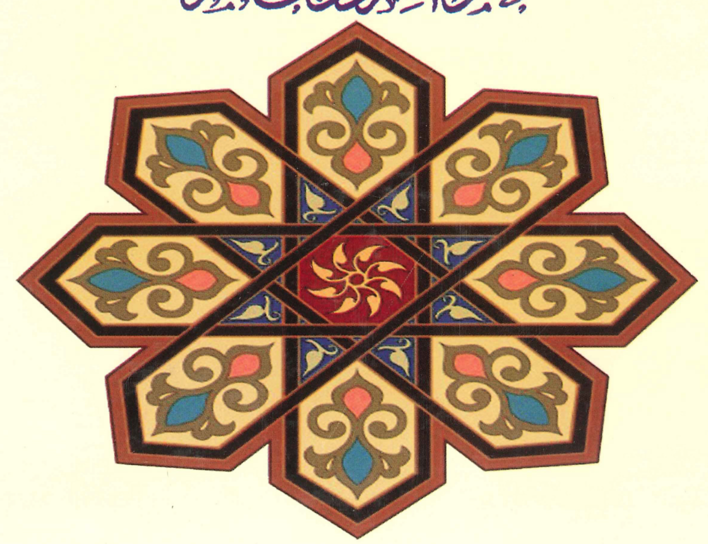
البلاذري

أنساب الأشراف

تحقيق





الجزء السادس



تحقيق وفهرسة : محمود الفردوس العظم

البلاذري

أنساب الأشراف

الجزء السادس

الأعياص

من ولد أمية الأكبر بن عبد شمس

فتنة عبد الله بن الزبير، وعبد الملك بن مروان

دار اليقظة العربية

للتأليف والترجمة والنشر بسورية

مؤسسة علمية ثقافية أسست عام ١٩٣٩ بدمشق

يرفدها

نخبة من العلماء والأدباء والمفكرين

دمشق ـ شارع المتنبي ☎ ٢٢١٢٢٦٤

طبع بتاريخ آب ١٩٩٩

مقدمة

قد هيأت هذا الجزء للطباعة منذ سنة تقريباً عندما كنت أود أن أصدر الأجزاء التي لم تصدر من مخطوط أنساب الأشراف للبلاذري ، ولكن بعد ما بدأت بإصدار الكتاب من أوله تأخر هذا الجزء إلى الآن وكان قد نضد تنضيداً ضوئياً ولما أردت الآن طباعته وجدت فيه بعض الأخطاء وعزّ عليّ الورق الحسّاس فلم أعثر عليه فلذلك كتبت بعض الكلمات وحاشيةً واحدةً بخط يدي فأرجو المعذرة من القرّاء لذلك لأني لم أتمكن من غير هذا والله الموفق.

المحقق

أمر عبد الله بن الزبير في أيام مروان وعبد الملك بن مروان والأحداث في فتنته

٢٦ ـ حدثني جماعة من العلماء سقت حديثهم، قالوا:

لما دعا ابن الزبير الناس إلى بيعته بعد موت يزيد بن معاوية، بايعوه على كتاب الله وسنة نبيه وسيرة الخلفاء الصالحين، وكان ممن بايعه عبيد الله بن علي بن أبي طالب وقبض ابن مطيع[1] يده، وقام مصعب بن عبد الرحمن بن عوف فبايع، فقال الناس: أبى ابن مطيع أن يبايع وبايع مصعب أمرٌ فيه صعوبة، وبايعه عبد الله بن جعفر وأراد ابن الحنفية على البيعة فأبى. وأبى ابن عمر أن يبايع، وقال: أنا لا أعطي صفقة يمني في فُرقة ولا أمنعها في جماعة وقال له: الزم المدينة حيث بويع الخلفاء فلم يفعل، وقال أبو حِزّة مولى خزاعة لما دعا لنفسه: ألهذا نصرناك، إنما كنت تدعو إلى الرضى والشورى أفلا صبرت وشاورت فنختارك ونبايعك، وقال:

[من البسيط]

أبلغ أميَّة عنّي إن عرضت لها	وابنَ الزبير وأبلغ ذلك العَربا
إنّ الموالي أضحت وهيَ عاتبةٌ	على الخليفةِ تشكو الجوع والحربا
إخوانكُم إن بلاءٌ حلَّ ساحتكم	ولا ترونَ لنا في غيره نَسبا
نعاهد اللَّهَ عهداً لانخيسُ بهِ	أن نقبلَ اليومَ شُورى بعد من ذَهبا

وأتت ابن الزبير بيعة الآفاق إلّا الأردن، وأُخرج ابن زياد من البصرة وتراضى أهلها ببّة[2]، ثم كثر الخوارج وتحارب أهل البصرة في العصبية بين مُضر

---

(١) هو: عبد الله بن مطيع بن الأسود بن حارثة بن نضلة بن عوف بن عبيد بن عَويج بن عدي بن كعب، أخذ البيعة لعبد الله ابن الزبير من أهل المدينة وقتل معه بمكة. جمهرة النسب: ج: ١ ص: ١٥٢.

(٢) ببّة: هو عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، ولقب ببّة لأن أمه كانت=

وربيعة والأزد، فاعتزل أمرهم فكتبوا إلى ابن الزبير يسألونه أن يستعمل عليهم رجلاً، فكتب إلى أنس بن مالك فصلى بالناس أربعين يوماً، ثم بعث ابن الزبير إلى عمر بن عبيد الله بن معمر القرشي ثم التيمي بعهده على البصرة فوافقه وهو يريد العمرة، فكتب إلى أخيه عبيد الله بن معمر[1] فصلى بالناس وقام بأمرهم حتى قدم. وبايع لابن الزبير باليمن بُجَير بن ريسان وكان قبله عاملاً ليزيد بن معاوية، ودعا له بخراسان عبد الله بن خازم السلمي. وولّى جابر بن الأسود بن عوف المدينة.

وأصابت الناس بالمدينة مجاعة، وكان عليها ابن أبي ثور حليف بني عبد مناف من قبل ابن الزبير فكان الناس في جهدٍ ينالون من ليل إلى ليل حُسيً من حنطة مطبوخة وعدسٍ، فوعظهم وأمرهم بالتناهي عن المعاصي، وقال: إن الله أهلك قوم صالح في ناقة قيمتها خمسمئة درهم فسمّي مقوّم الناقة[2].

المدائني، قال: ولّى عبد الله بن الزبير جابر بن الأسود المدينة وبعث مصعب بن الزبير لقتل الأسرى من أصحاب حبيش بن دلجة. وولّى بعدُ عبيدة[3] بن أبي ثور ثم عزله وولى الحارث بن حاطب الجمحي. ثم عزله وولى جابر بن الأسود ويقال جعفر بن الزبير، ثم وَهْب بن معتّب مولى الزبير، ثم رجلاً يكنى أبا قيس.

فقال الناس: كان ليزيد أبو قيس لايضرّ ولاينفع ولابن الزبير أبو قيس يضرّ وينفع ـ يعنون قرد يزيد الذي كان يكنّيه أبا قيس ـ.

= ترقصّه وهو صغير وتقول:

لأنكحن بيّه   جارية خِدبّة

(١) كيف يكون أخوه وهو عمر بن عبيد الله بن معمر وصحته إلى أخيه موسى بن عبيد الله ـ الكامل لابن الأثير: ج: ٤ ص: ٢٨.

(٢) مقوم الناقه ورد خبرها سابقاً في يوم الرَّبذة.

(٣) جاء اسمه سابقاً يوم الربذة عبد الله بن عبيد الله.

المدائني عن عامر بن أبي محمد، قال: قاتل مع ابن الزبير أربعون امرأةً فقتلت امرأة يقال لها شعثا فقال رجل من أهل الشام:

[من الكامل]

كانت لشَعثـاً في القتـالِ بَصيـرةٌ بل كان بُغـيَـةُ أهـلهـا بالأُردُن

وأخـذت مريم بنت طلحـة سيفاً وقـالت: لئن دخـل علينـا أهـل الشام لنقاتلنّهم. وأُعطي ابن الزبير الأمان في بعض أيامه، إمّا في أيام يزيد أو في أيام عبد الملك، فقـال: والله لا أخلعهـا حتى يخلعهـا المـوت، ولـو فعلتها ما بقيت حتى أموت، وتمثّل:

[من البسيط]

المـوتُ أكـرمُ من إعـطاء منقصـةٍ إلاّ نمُت عَبـطةً فالغـايةُ الهـرمُ

قال: وبلغ ابن الزبير أن الحجاج كان يقول: احذروا أن يفرّ كما فرّ أبوه، فقال: هو عدو الله الفرّار بن الفرّار يوم الرَّبذة.

المدائني، قال: كان عبد الله بن الزبير يشمّر إزاره ويحمل الدرّة يتشبّه بعمر بن الخطاب، فقال أبو حزّةَ:

[من البسيط]

ولم نَرَ من سيرة الفـاروق عنـدكُمُ غيرَ الإزارِ وغـيرَ الـدرَّةِ الخَـلقِ

- يعني الإزار الخلق -

قال: وكـانت عنـد عبـد الله بن الزبير قهطم بنت منظور بن زبّان، ويقال تماضر فولدت له حمزة وماتت فتزوج أختها أم هاشم، فقال الحجاج: عجباً لرجل يتزوج امرأة لم تنجب ثم تزوج أختها.

وخـرج حمزة بن عبـد الله يريد الحجـاج، فقال ابن الزبير لأم هاشم: من الخائن؟ قالت: حمزة، قال: أي الحمزتين تعني؟ حمزة هذا أو حمزة بن الزبير، وأمه

كلبية وهي أخت[1] مصعب لأمه الرباب بنت أنيف، فقالت: ابن الكلبية، فقال: كذبت ولو ولدت الكلبية الناس جميعاً ماكانوا إلا صُبُراً، ولكنه ابن أختك.

قالوا: واصطلح أهل الكوفة على عامر بن مسعود بعد موت يزيد وهرب ابن زياد إلى الشام فأقرّه ابن الزبير أشهراً ثم عزله وولّى عبد الله بن يزيد الخطمي[2] من الأنصار الصلاة وإبراهيم بن محمد بن طلحة الخراج، وكان يقال لعامر بن مسعود دحروجة الجُعَل لقصره، وهو عامر بن مسعود بن أمية بن خلف بن وهب بن حذافة ابن جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب، فخطب أهل الكوفة فقال:

إنّ لكل قوم أشربة ولذاتٍ فاطلبوها في مظانها وعليكم بما يجمُل ويحلّ منها واكسروا شرابكم بالماء وتواروا عني بهذه الجدران، فقال عبد الله بن همّام السلولي:

[من البسيط]

اشربْ شرابكَ وانعم غيرَ محسودِ ... واكسرهُ بالماءِ لاتعصِ ابنَ مسعودِ

إن الأميرَ لَهُ في الخمرِ مأربَةٌ ... فاشرب هنيئاً مريأً غيرَ تصريدِ

وقال آخر:

[من البسيط]

مَن ذا يُحرِّمُ ماءَ المُزنِ خالطهُ ... في قَعرِ خابيةٍ ماءُ العناقيدِ

إني لأكرهُ تشديدَ الرواةِ لنا ... فيها ويعجبُني قولُ ابن مسعودِ

---

(١) هكذا جاء في الأصل وهي أخت مصعب وقد أخطأ الناسخ فيجب أن يقول وهو أخو مصعب لأن حمزة ومصعب ورملة أبناء الزبير أمهم الرباب بنت أنيف بن عبيد بن مَصَاد بن حِصن بن كعب بن عُليم بن جناب الكلبي، نسب قريش ص: ٢٣٦ -

(٢) الخطمي: هو عبد الله بن يزيد بن زيد بن حِصن بن عمرو بن الحارث بن خَطمه (البطن) ابن جشم بن مالك بن الأوس وخطمة اسمه عبد الله نسب معدو اليمن الكبير: ج: ٢. ص: ٣١-

فلما بلغ ابنَ مسعود قولُ ابن همّام قال: قطع الله لسان هذا الحمار فقد أساء القول وذهب إلى قول الأخطل:

[من الرجز]

بئسَ الفوارِس عند مختلفِ القنا عِدلا الحمارِ محاربٌ وسَلول[1]

وحدثني العمري عن الهيثم بن عدي، قال: خطب عامر بن مسعودٍ، فقال: ياأهل الكوفة لأنسينكم سيرة عمر بن الخطاب.

قال: وقال يوماً: ياأهل الكوفة إني قد تزوّجت امرأةً من بني نصر بن معاوية فأعينوني بأرزاقكم شهراً، فقال قائل: نعم، فأخذ أرزاقهم كلها لشهرٍ.

قال: وحُصب ذات يوم على المنبر فغطى وجهه بكمّه، وقال: لم ذا؟ حسبكم الآن[2].

وقال ابن همّام السلولي:

[من البسيط]

مازلتُ أرجو أبا حفصٍ وسيرتَهُ حتى نكحتَ بأرزاقِ المساكينِ
أنكحتمُ يابني نصرٍ فتاتكمُ وجهاً يشينُ وجوهَ الرَّبربِ العينِ[3]
أنكحتمُ لافتى دنيا يُعاشُ به ولاشُجاعاً إذا شُقّت عصا الدِّينِ
يابنَ الزبير لقد وليتهُ شبقاً كزَّ اليدين بخيلاً غير عنّينِ
لايستطفُّ له مالٌ فيتركه ولايقول لما يُعطاهُ يكفيني

قال: وولّى عامر عمالاً فأساءوا السيرة ومالوا إلى الخيانة، فقال ابن همام في ذلك:

---

(١) مطلع قصيدة ذكرها في الديوان، ص: ٣٠٢-٣٠٣.

(٢) أي أنهم كانوا يرمونه بالحصباء ولذلك غطى وجهه وقال: كفاكم هذا الآن.

(٣) الربرب: القطيع من بقر الوحش، والعين الواسعة العيون وثلاثة أبيات من هذه القصيدة في الأغاني: ج: ١٢ ص: ٦٩ طبعة الثقافة في بيروت هي لفضالة بن شريك.

[من البسيط]

يابنَ الـزّبـير أمـير المؤمنـين ألم ... يَبلُغـك مافعـل العـمالُ بالعمـلِ

باعـوا التِّجارَ طعـامَ الأرض واقتسموا ... صُلب الخراج شحـاحـاً قسمة النَّفلِ

وقـدّموا لك شيخـاً كاذبـاً جَذِلاً ... مهـما يقُـل لك شيخٌ كاذبٌ يقُـلِ

الشيخ هو مرثد بن شراحيل كان أميناً على التجار في الطعام.

وفـيك طالـبُ حقٍّ ذو مزابـنـة ... جَلدُ القُـوى ليس بالواني ولا الوكِلِ [1]

أشـدُدْ يديكَ بزيدٍ إن ظفـرت به ... واشفِ الأرامـلَ من دُحـروجة الجُعلِ

زيد خازنه وهو مولى عتّاب بن ورقاء.

إنـا مُنينـا بشيخ من بَني خَلفٍ ... يرى الخيانةَ شُربَ الماءِ بالعسلِ

يعني عامراً.

خُذِ العُصيفيرِ فانتف ريَش ناهِضهِ ... حتّـى ينـوءَ بشرٍّ بعـد مُقتبـلِ

يعني عبـد الله بن أبي عُصيفـير الثقفي وكان على المدائن. وهو الذي مات الأحنف في داره بالكوفة.

ومـا أمـانَـةُ عتّـابٍ بسـالمـةٍ ... لاغمـز فيهـا ولكن جَمَّةُ السُّبُـلِ

يعني عتاب بن ورقاء كان على أصبهان.

وقيسُ كنـدةَ قد طالت أمـارتُـهُ ... بسُرَّةِ الأرض بين السهلِ والجبلِ

---

(١) مزابنة من الزبن: وهو الدفع ـ اللسان ـ

قال هشام بن الكلبي: هو قيس بن يزيد بن عمرو بن عمرو بن شراحيل ابن النعمان بن المنذر بن مالك ابن الحارث الكندي، وبعض من لاأعلم له يقول: هو قيس بن الأشعث.

وخُـذ حُجـيراً فأتبعـهُ مُحاسبـةً　　　وإن عذرتَ فلاتعـذر بني قفـلِ

يعني حُجير بن حجّار بن الجرّ، ويقال حجير بن جعيد كان على الزوابي أو المراذانات، وبنو قفل من تيم اللهِ بن ثعلبة، كان منهم قوم على صدقات بكر بن وائل.

مارابـني منهـمُ إلّا ارتـفـاعُـهُـمُ　　　إلى الخبيص عن الصحناة والبصل
ومـاغـلامٌ على أرضٍ مسـالمةٍ　　　كمـن غزا دستبيءَ غير مُجتعـلِ
يُجبى إليـه خراجُ الأرض مُتكّئـاً　　　مستهـزئـاً بغنـاء القينـةِ الفُضُـلِ
والـوالبيُّ الـذي مهـرانُ أمّـرهُ　　　فزال مهـرانُ مذمـومـاً ولم يزلِ

مهـران مولى زياد كان تشفّـع في هذا الرجل فصار في عداد العمال والرجل سعيد بن حرملة بن الكاهل الوالبي، ويقال هو أبو هيّاج عمرو بن مالك الوالبي.

ودونـك ابنَ أبي عُشٍ وصـاحبـهُ　　　قبلَ السَّبيعِ فقد أجرى على مهلِ

ابن أبي عش همداني قدم الكوفة فقال: من سيد قومي، فقالوا: الحجاج بن عمـرو الزُبيدي، فقال: أنا لا أقيم ببلدة يسود فيها زُبيدي. وكان على الدينور، وصاحبُه عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني.

لاتجـعـلن بيت مالِ اللّهِ مأكلةً　　　لكُـلِّ أزرقَ من همدانَ مُكتحـلِ
والـدارميُّ يطيفُ القهـرمـانُ به　　　في شاربٍ بُذّلت من رعيةِ الإبـلِ

الدارمي عطارد بن لبيد، ويقال مسعود بن قيس بن عطارد.

ومنقـذُ بنُ طُريفٍ من بني أسـدٍ　　　أُنـبئتُ عاملهم قد راح ذا ثقـلِ

يعني منقذ بن طريف بن عمرو بن قعين بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد وأخبر أن عاملهم وهو رجل منهم قد حسنت حاله للخيانة، وقال ابن الكلبي: كان عاملهم نُعيم بن دجاجة وكان على أسفل الفرات.

ومـاأُخـينسُ جُعـفـيٍّ يُمانـعـهُ — من المتـاعِ قيامُ الليل بالـطُّولِ

يعني زَحْر بن قيس، ويقال محمد بن أبي سبرة كان على جوخا.

وآخـرانِ من العـمالِ عنـدهُمـا — بعضُ المنـالـةِ إن ترَفّق بهم تنـلِ
محمَّـدُ بنُ عُمـيرٍ والـذي حدبت — بكـرٌ عليه غداةَ الـرّوعِ والـوهَلِ

محمد بن عمير بن عطارد ويزيد بن رويم حين أمرّ به عمرو بن حريث.

ومـاقـراتٌ وإن قيلَ امـرؤٌ ورعٌ — إن نال شيئاً بذاكَ الخائفِ الوجِل

فُرات بن زَحر قتله المختار يوم جبّانة السَّبيع.

والحـارثيُّ سيرضى أن تقـاسمهُ — إذا تجاوزتَ عن أعـمالـهِ الأُولِ

الحارثي السّريّ بن وقّاص وكان على نهاوند.

وادعُ الأقـارعَ فاقـرعـهم بداهيةٍ — واحمـل خيانـةَ مسعـودٍ على جملِ

مسعود من بني أسدٍ.

كانـوا أتـونـا رجـالاً لاركـابَ لهُمْ — فأصبحوا اليومَ أهلَ الخيلِ والإبلِ
لن يُعـتـبـوكَ ولمّـا يعـلُ هامـهُـمُ — ضربُ السّياطِ وشـدٌّ بعدُ في الحُجُـلِ
إنَّ الـسـياطَ إذا عضّـت غواربهُـم — أبـدوا ذخـائرَ من مالٍ ومن حُللِ

وحدثني المدائني عن سُحيم بن حفص عن أشياخه، قالوا:

كان ابن الزبير يُكنى أبا بكر وأبا خُبيب وكان شديد القلب واللسان، وهو

أول مولود بالمدينة في الإسلام[1] ، وكان بخيلاً، فقال فيه الشاعر:

[من الطويل]

رأيتُ أبـا بكـرٍ وربُّـك غالـبٌ على أمـره يبغي الخـلافـةَ بالتّمرِ

وقُتل وهو ابن ثلاثة وسبعين، ويقال اثنتين وسبعين وأشهر، وقال لعامله على وادي القُرى:

أكلت تمري وعصيت أمـري وجعـل يضربـه، وقـال لأعـرابٍ أتـوه: إنّ سلاحكم لرثّ وحديثكم لغَثّ وإنكم لعيال في الجَدب وأعداءٌ في الخصب، وأتاه أعـرابي يستفـرضـه، فقـال: افـرضـوا لـه، قال: أعطني، قال: قاتل أولاً، فقال الأعرابي: دمي نقدٌ ودراهمك نسيئةٌ.

قالـوا: ولما طال الحصار على ابن الزبير حبس الطعام، وقال: إن أخرجته فني، ولكنكم تنظرون إليه فتقوى قلوبكم وتطيب أنفسكم، ومتى أكلتموه نَفد ولا تأتيكم مِيرة فتلقون بأيديكم.

قالوا: وشكت امرأة من أهل مكة إلى ابن الزبير، فقالت: غرّرت سُفهاءنا وأخذت رباعنا فأَقِل سفهاءنا واردُد رباعنا، فقال: ماتقول هذه الهرّة الثرماء[2].

قالوا: وقال صخير بن أبي الجهم: دخلت على ابن مطيع وهو عاتب على ابن الزبير وعليّ سيفي، فقال: ضع سيفك وأرح نفسك فما عند ابن الزبير خير لدين ولا دنيا، قال: فأتيت الحجاج فأعطاني الأمان.

---

(١) أول مولـود بالمدينة في الإسلام من المهاجرين. والنعمان بن بشير الأنصاري أول مولود في الإسلام من الأنصار بعد الهجرة بأربعة عشر شهراً وعن ابن الزبير كان النعمان بن بشير أكبر مني بستة أشهر ـ الإصابة.

(٢) ثرم: انكسرت سنه وسقـطت من أصلهـا، فهـو أثرم وهي ثرماء. وفي الحديث (نهى أن يضحى بالثرماء).

المدائني عن عوانة، قال: نادى أهل الشام بابن الزبير: يابن الحواريّ، فقال لمولى له أجبهم، فقال: هل تعيبون من حواريّ رسول الله شيئاً؟ قالوا: يابن ذات النطاقين، فقال: أتعيبونها بالنطاق التي كانت تحمل به الطعام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى الصديق، أم بالنطاق الذي تنتطق به المرأة الحرّة في بيتها، وقد قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لك نطاقان في الجنّة» فقالوا: يابن الزبير يامشؤوم فسكت، فقال له ابن الزبير: أجبهم. قال: كيف أجيبهم وقد صدقوا.

المدائني عن المثنى بن عبد الله عن عوف، قال:

قال ابن عمر: كنت أتمنى ألاّ أموت حتى أعلم إلى مايصير أمر ابن الزبير، رحم الله أبا بكر طلب دراهم العراق، ورحم الله مروان طلب دنانير الشام.

المدائني عن عبد الله بن فائد، قال: نظر ثابت بن عبد الله بن الزبير إلى أهل الشام فقال: إني لأبغضهم فقال سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان، تبغضهم لأنهم قتلوا أباك، قال: صدقت، قتل أبي علوجُ أهل الشام وقتلَ جدّك المهاجرون والأنصار.

المدائني عن علي بن حماد، قال: قال مصعب بن الزبير لابن عمر: ياأبا عبد الرحمن أأدّيت حق الله عليك في هذا الأمر؟ قال: نعم، كتبت إلى عبد الملك آمره بتقوى الله وأن يكفّ نفسه، فكتب إلى: أنا أُخرج نفسي إن أخرج ابن الزبير نفسه ونجعل الأمر شورى، وكتبت إلى أخيك فكتب إليّ: إنك لست من هذا الأمر في شيء.

المدائني، قال: قال ابن أبي مُليكة: مارأيت أحداً أحسن مناجاةً لربّه في عَقِب الصدر من عبد الله بن الزبير.

المدائني، قال: كان مصعب بن الزبير جواداً فكتب إلى أخيه عبد الله، من سألك شيئاً فاكتب إليّ له فإن أعطيته كان حمده لك وإن منعته كان ذمّه عليّ، فلم يكتب لأحدٍ إلاّ أعطاه فأمسك عن الكتابة لأحدٍ إليه.

قال: وقال علي بن زيد: كان عبد الله طويل الصلاة كثير الصيام شديد البأس كريم الجَدّات والأمهات والخالات، وكانت فيه خلال مباينة لما حاول من الخلافة: بخل وضيق وسوء خُلق ولجاجٌ.

المدائني عن أبي زكريا العجلاني عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس أنه قال: إن هذا الأمر بدأ بنبّوة ورحمة وخلافة وإنه اليوم ملك عقيم، فمن سمع مقالتي فيهرب من بني أمية وآل الزبير فإنهم يدعون إلى النار.

المدائني عن سفيان عن عمرو بن دينار: أن ابن الزبير أقاد من لطمة.

المدائني عن أبي هلال الراسبي: أن الحسن كتب لابن الزبير إن لأهل الخير علامات يُعرفون بها ويعرفونها من أنفسهم، فمنها الصبر على البلاء والرضى بالقضاء وإنما الإمام سُوقٌ فما نفق فيها حُمل إليها فانظر أيّ سوق سوقك.

المدائني عن ابن المبارك، قال: قال أبو برزة الأسلمي: إنكم معشر العرب كنتم على الحال التي علمتم، من القلّة والذِّلة والضلالة وإن الله رفعكم بالإسلام وبمحمد عليه السلام حتى بلغتم ماترون وإن هذه الدنيا قد أفسدت مابينكم، أما الذي بالشام يعني مروان فإنما يقاتل على الدنيا، وكذلك الذي بمكة يعني ابن الزبير ومايقاتل الذين تدعونهم قُرّاءكم إلا على الدنيا، ومانرى خير الناس إلاّ عصابة لابدة، خماص البطون من أموال الناس خفاف الظهور من دمائهم.

حدثني هدبة ثنا حماد بن سلمه عن أبي حمزة، قال:

قلت لابن عباس إني بايعت ابن الزبير فأعطاني وحملني على فرس، أفأقاتل معه؟ قال: لاتقاتل معه وردّ عليه ماأعطاك واشتر بغلاً أو بغلين وغلاماً واغزُ المشركين فإن قُتلت على ذلك كنت شهيداً إن شاء الله، قال فرددت على ابن الزبير ماأخذت منه.

المدائني عن قيس بن الربيع عن ابن أبي ليلى عن عطاء، قال:

أتى ابنَ الزبير برجل فأمر بضرب عنقه، فقال امرأته طالق ثلاثاً فورّثها منه.

المدائني قال: بعث يزيد بن معاوية الضحّاك بن قيس ليأخذ بيعة ابن الزبير، فأبى أن يبايع، فقال الضحاك: إنك إن لم تبايع طائعاً بايعت كارهاً، فقال ابن الزبير: ياثعلبة بن ثعلبة تيسُ بحَيرة يتبع الصرَّبة[1] بالقبضة، أردت الحقحقة[2] فأخطأت استك الحفرة.

المدائني قال: جاء رجل إلى ابن عمر فقال: هذه خيلنا، قال: أيّة خيل؟ قال: خيل ابن الزبير قال: ماهي لنا بخيل، وجاء آخر فقال: بايعت ابن الزبير على كتاب الله وسنّة نبيّه، فأبى ذلك، فقال: صدق ولو أعطاك ذلك لم يف لك به، قال: وجاءه آخر فقال: ماذا تأمر ياأبا عبد الرحمن؟ قال: بطاعة الله والجماعة وأنهاك عن الفرقة، قال: ثم بماذا؟ قال: إذا كانت لك ضيعة فالحق بضيعتك.

المدائني عن عبد الله بن فائد، قال: كان ابن الزبير لايتكلم يوم الجمعة إلا بالمواعظ إلا أنه كان يشتم ثقيفاً، فيقول: قصار الخدود لئام الجدود سود الجلود بقيّة ثمود.

المدائني عن يزيد بن زريع عن حبيب بن الشهيد: أن عبد الله بن جعفر لقي ابن الزبير، فقال له ابن الزبير: أتذكر يوم لقينا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وأنت وأحد ابني فاطمة، فقال: نعم، فحملنا وتركك تعسل[3]، ولو علم ابن الزبير أنه يقول: حملنا وتركك ماسأله.

المدائني عن رجل عن خالد الحذاء عن عكرمة: أن ابن الزبير قال لعبد الله بن جعفر: أتذكر يوم لقينا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: نعم فحملني وابن عباس وتركك.

المدائني عن ابن فائد، قال: سمع معاوية رجلاً من كلب يقول:

---

(١) الصرب: اللبن الحامض.

(٢) الحقحقة: يسار البعير ويحمل على مايتبعه ومالا يطيقه حتى يدع براكبه.

(٣) تعسل: تضطرب.

[من الرجز]

ومـــن رقـــاشٍ ماجـــدٌ سمـــيدعُ ... يأبـــى فيعـــطي عن يدٍ ويمنـــعُ

فقال: ذاك منا عبد الله بن الزبير.

عبد الله بن الزبير يصف الدواء..

٢٧ ـ المدائني عن مسلمة وغيره: أن فضالة بن شريك الأسدي أتى عبد الله بن الـزبـير، فقال له: إني جشمت إليك سفراً بعيداً أتعبت فيه نفسي وأنفدت نفقتي وأنقبت خفي راحلتي، فقال:

ارقعهـا بسِبت[١] واخصفها بهُلب[٢] وأنجد بها العصرين يبرد خفها، فقال: لعن الله ناقةً حملتني إليك، فقال: إنَّ وراكبها وانصرف ولم يصله بشيء. فقال:

[من الوافر]

أقـــول لغـــلمـــتي ادنـــوا ركـــابي ... أفـــارقُ بطنَ مكَّـــةَ في سوادِ[٣]

فمالي حين أقـــطعُ ذاتَ عِرقٍ ... إلى ابـنِ الـكـــاهليَّةِ من معـــادِ[٤]

سيُبـــعـــد بينـــنـــا حثُّ المـــطايا ... وتـــعـــليقُ الأداوى والمـــزادِ[٥]

أرى الحـــاجـاتِ عنـد أبي خُبيبٍ ... نُكِـــدنَ ولا أمـــيَّةَ بالـــبـــلادِ

وكـــيف بأن يســـوسَ الأمـــر منهم ... أغـــرُّ مقـــاتـــلٌ واري الـــزّنـــادِ

من الأعـــياصِ أو من آلِ حربٍ ... أغـــرُّ كغُـــرَّةِ الـــفـــرسِ الجـــوادِ

فلما بلغ ابن الزبير الشعر فمرّ به قوله إلى ابن الكاهلية، قال: لو علم أن لي

---

(١) السبت: كل جلد مدبوغ.

(٢) الهلب: شعر الذنب وقيل كل شعر ـ اللسان ـ أي ارقعها بجلد وخيطها بشعر.

(٣) في سواد: أي في الظلام وفي الليل.

(٤) معاد: يعني عودة.

(٥) الأداوى: جمع إداوة وهي المطهرة، والمزاد: الوعاء الذي يحمل الماء للشرب.

والأبيات ذكرها الأغاني لفضالة بن شريك. ج: ١ ص: ٢٧ ط١. ثقافة بيروت.

جدّة ألأم من عمته[1] لسبّني بها، وكانت أم خُويلد بن أسد بن عبد العزى جدّة العوام بن خويلد زهرة بنت عمرو بن حنثر[2] من بني كاهل بن أسد بن خزيمة.

وقال بعض قضاعة:

[من الطويل]

عدِمتَ قريشاً أن رضَوا بك سيّداً ... وأنتَ بخيلُ الكفِّ غير جَوادِ[3]

فقال عبد الله بن الحجاج:

[من الطويل]

أتطلبُ شأوَ ابن الزبير ولم تكن ... لتدركهُ ماحجَّ للهِ راكبُ
تكلّفت أمراً لم تكن لتنالَهُ ... طَوالَ الليالي أو تُنالُ الكواكبُ
فمهلاً بني مروانَ لستُم بذادةٍ ... إذا ماالتقت يومَ اللقاء الكتائبُ
إذا التقتِ الأبطالُ كنتم ثعالباً ... وأسد الشَّرى في السلم عند الكواعب[*]

المدائني، قال: قال وهب بن منبّه: استعمل ابن الزبير على اليمن رجلاً دمياً وكان يلقب عجوز اليمن، فكتب إليه ابن الزبير يأمره بالجباية، فقال لي أرضكم مجرودة فانطلق إلى أمير المؤمنين فادفعوا عن أنفسكم، فقدمت في وفدٍ فدخلت عليه وعنده عبد الله بن خالد بن أسِيد، فقال لي: كيف عجوز اليمن؟ فقلت: أسلمت مع سليمان لله ربِّ العالمين، ولكن مافعلت عجوز قريش أمّ حَبل حمّالة الحطب[4]،

---

(١) عمته: شرح بعد أنها من بني أسد وفضالة هو ابن شَريك بن سلمان بن خويلد بن سلمة ابن عامر موقد النار بن الحريش بن نمير بن والبة بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد فيلتقي مع زهرة بنت عمر في الجد الأعلى وهو أسد بن خزيمه لأن كاهلاً أخا أسد. فجر ابن الزبير العمومة إلى أسد بن خزيمه وهذا من عادات العرب.

(٢) بهامش المخطوط: كان عمرو بن حنثر يلقي الحجر ويقول لاأفِرّ حتى يفرّ - من الإكمال لابن ماكولا - ورجعت إلى ابن ماكولا فوجدت القول صحيح الإكمال: ج: ٢ ص: ٢٤.

(٣) برمت: من البُرم: القوم السيِّئو الأخلاق - اللسان -

(*) إقواء: انتقل بحركة الروي من الضم إلى الكسر.

(٤) عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص بن أمية الأكبر بن عبد شمس. وحمالة الحطب هي =

فضحك ابن الزبير وقال لخالد: أسأت المسألة وأحسن الجواب.

حدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه عن جدّه، قال: أهدى أبو جَمل أحد بني حصين بن سعدانة بن حارثة الكلبي إلى عبد الله بن الزبير فُطراً فأتاه به وعنده زُفر ابن الحارث الكلابي، فقال زُفر يحرّض ابن الزبير على صلته:

[من الوافر]

ألا أبــلغ أبــا جملٍ رســولاً ... فقــد أهــديتَ فطركَ من بعــيدِ
فأنــت المــرءُ يُعــطى كلَّ خيرٍ ... ويُحــبــى بالــولائــدِ والــعــبـيدِ

قال ابن الكلبي: قال خالد بن سعيد فوالله ماأثابه عليه شيئاً، وقد أتاه به من السماوة، فلقيه زُفر ابن الحارث بعد ذلك، فقال له: ياأبا الكوثر ياأبا الهُذيل والله ماأعطاني قيمة الفطر فكيف يحبوني بالولائد والعبيد.

وقال هشام بن الكلبي: أخبرني خالد بن سعيد عن أبيه. قال: جَمَل بن سعدانة الذي يقول:

[من الرجز]

لَبِّث قليلاً يَلحقِ الهَيجا جَمَلْ[1]

وكان جمل بن سعدانة بن الحارث العليمي وفد إلى النبي صلى الله عليه وسلم وعقد له لواءً، وقال أبو دَهْبَل واسمه وهب بن وهب بن زمعة الجمحي:

[من الطويل]

أتــاركــةٌ عُليا قريش سَرَاتَهــا ... وســاداتهــا عنــد المقــامِ تُذَبَّــحُ
هُمُ عُوَّذٌ بالــلّهِ جيرانُ بيتــهِ ... به يُعْصمــون أن يُباحوا ويُفضحوا

= أم جميل بنت حرب بن أمية الأكبر، فلهذا عيّره بها وسماها أمّ حبل لقول الله تعالى: ﴿ في جيدها حبل من مسد ﴾.

(1) جمل عند ابن الكلبي في نسب معدّ واليمن الكبير حمل بدلاً من جمل وعطراً بدلا فطراً، وهنا أصح.

وقال ابن الزبير: لاتزال قريشٌ تعرف العزّ وإنكار الضيم مارأتني حيّاً.

المدائني قال: بعث الزبير ابنه عبد الله إلى خاله[1] العباس بن عبد المطلب فواقعه يتغدى، فقال: ادنُ يابن أختي، فأكل أكلاً ضعيفاً، ثم أُتي بقَعب من لبن فقال: اشرب فشرب شرباً ضعيفاً، فقال: يابن أختي أضواك[2] آل أبي بكر.

---

(١) لأن أم الزبير هي صفية بنت عبد المطلب.

(٢) ضوى: قلّة العظم وقلّة الجسم خُلقة ـ اللسان ـ

قصة النوار والفرزدق مع ابن الزبير:

٢٨ ـ حدثني أبو مسلم الأحمري عن هشام بن الكلبي عن أبيه وعوانة، قالا:

خطب النَّوارَ بنت أعين بن ضبيعة بن ناجية بن عقال رجلٌ من بني مجاشع ابن دارم بن مالك، فقالت للفرزدق بن غالب بن صعصعة بن ناجية: أنت وليي وأشهدت له برضاها بما صنع في تزويجها، فلما خرج الشهود قال لهم: أحفظتم الشهادة؟ قالوا: نعم، قال: فاشهدوا أني قد تزوجتها على خمسة آلاف، وبلغها الخبر فلم ترض، وأتت بني ناجية بن عقال فأعانوها على الفرزدق، وحوّلوها إلى بني عاصم من بني منقر بن عبيد، واكتروا لها كرّياً من بني عبد مناة بن أدّ بن طابخة أحد بني مِلْكان بن عديّ ومعه أجيرٌ له من خراسان يقال له زهير، وخرجت إلى ابن الزبير مستغيثة به، ويقال: إنهم حوّلوها إلى بني عاصم بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع. فقال الفرزدق:

[من الوافر]

و لولا أن يقولَ بنو عديٍّ[1] ... أليست أُمُّ حنظلةَ النَّوارُ

أم حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، النوّار بنت جلّ بن عدي بن عبد مناة، فيقول: أليست جدّتكم منّا.

إذاً لأتى بني مِلكانَ منّي ... بضائعُ لايُقسِّمُها التِّجارُ

مِلكان بن عدي بن عبد مناة أخو جل بن عدي. وقال:

لقد أهدت وليدتُنا إليكم ... غرائرَ لا يُقسِّمها التجارُ

لبئس العبءُ يحملُهُ زهيرٌ ... على أعجاز صرمتهِ نوارُ

---

(١) هذا الشطر مكسور، ويصح بزيادة الواو في أوله. وهو غير موجود في الديوان ومابعده غير موجود.

وقال أيضاً:

[من الوافر]

ولـولا أَنَّ أمّـي من عَديّ | وأني كارهٌ سُخطَ الـرَّبـاب
لصُـلتُ على بني مِلكـانَ مني | بجـيشٍ غيرِ منـظور الإياب[1]

وقال يهجو بني قيس بن عاصم:

[من الطويل]

بَني عاصمٍ إن تُلجئـوهـا فإنّكم | ملاجىء للنّسـوانِ دُسمُ العَمائمِ
بني عاصـمٍ لو كان حيّاً لديكـمُ | للامَ بنيه الشيخ قيسُ بنُ عاصِمِ

فقالوا للفرزدق: والله لئن زدت على هذين البيتين لنقتلنّك.

وخرج الفرزدق إلى ابن الزبير، ونزلت النوّار بنت أعين على أم هاشم بنت منـظور بن زبّان ونزل الفرزدق على بني عبد الله بن الزبير وسألهم أن يشفعوا له، وشفعت أم هاشم للنّوار فشفّعها، فقال الفرزدق:

[من البسيط]

أمـا بنـوهُ فلم تُقبـل شفـاعتُهم | وشُفِّعَت بنتُ منـظورِ بن زبّـانا
ليس النجيُّ الّـذي يأتيكَ مؤتـزراً | مثلَ النَّجيِّ الّذي يأتيكَ عُريانا[2]

ويروى: الشّفيع.

فقال ابن الزبير للنوار: إن شئت فرّقت بينكما وقتلته فلا يهجونا، وإن شئت سيّرتـه إلى بلاد العـدو، فقـالت: ماأريد واحدةً منهما، قال: فإنه ابن عمّك وهو راغب فيك فأزوجـك إيّاه، فقـالت: نعم، فزوّجهـا إياه، فكان الفرزدق يقول:

---

(١) هذا الشـطر يروى: أنضـاؤه بمكـان غير معمـور (نسخـة مكتبة المثنى) وهي موجودة في الديوان. ج: ١٠ص: ٢٨١.

(٢) البيتان غير موجودان بالديوان، والبيتان اللذان بعدهما أيضاً.

خرجنا متباغضين ورجعنا متحابيين والله يفعل مايشاء.

وقال قوم: نزل الفرزدق على حمزة بن عبد الله بن الزبير، وقال:

[من الكامل]

اليومَ قد نزلت بحمزةَ حاجتي ... إن المنوَّهَ باسمه الموثوقُ
بأبي عُمارة خيرِ من وطئ الحصا ... ونمت به في الصالحين عُروقُ
بين الحواريّ الأغرّ وهاشمٍ ... ثم الخليفةُ بعدهُ الصدّيقُ[1]

وقال أيضاً:

[من البسيط]

ياحمزُ هل لك في ذي حاجةٍ عرضت ... أنصاره بمكانٍ غير مغمور[2]
وأنتَ أحرى قريشٍ أن تقومَ بها ... وأنتَ بينَ أبي بكرٍ ومنظورِ

وكانت أمه قهطم بنت منظور، وقال بعضهم تماضر بنت منظور.

حدثني بعض النوفليين من ولد عبد الله بن الحارث بَبّه[3]، قال: وقع بين ببّة وبين عبد الله بن الزبير كلامٌ، فعيّره بلقبه وقال: ألست ببّة يابَبّة، فقال له عبد الله بن الحارث: ألست الضبابيَّ، وكان ابن الزبير في صغره جلس على حجر ضبٍّ ففسا حتى خرج الضبُّ فكان يعيّر بذلك ويقال الضبابيّ فترضى ابن الزبير ببّة عندها وصالحه.

حدثني محمد التوزيّ النحوي عن أبي زيد الأنصاري عن أبي عمرو بن العلاء، قال: خطب ابن الزبير يوماً فتكلم رجل من ناحية المسجد، فقال ابن الزبير: من المتكلم، فسكت، فقال ابن الزبير: ماله قاتله الله ضبح ضباح الثعلب وقبع قباع القنفذ.

قالوا: وكان ابن الزبير يقول: عالجت لحيتي لتكثر فلما بلغت سنين يئست منها، وكان معصوباً خفيف اللحم، فكان الزبير يقول: عبد الله يُشبه أبا بكر فهو ابنه ومنعني ابني.

---

(١) لم يذكرها الديوان وذكرها الأغاني: ج: ٢١ ص: ٣١٣.

(٢) ذكرت في الديوان ج: ٢ ص: ٨٥

(٣) ببّة: مؤنث ببّ: الغلام السمين والأحمق الثقيل.

وقال الحارث بن ضبّ العتكي في ابن الزبير، ويقال إنها قيلت في مصعب وذلك الثبت:

[من المتقارب]

فردَّ الخلافةَ يابنَ الزّبيرِ	إلى أهلها قبلَ أن تُخلعْ
أخافُ عليك زياد العراقِ	وأخشى عليكَ بني مسمع
ولا تأمنِ المكرَ مِن حارثٍ	فثَمَّ امرؤ سمُّهُ ينقع
ذكرتُ لك المعشر الأكرمين	ذوي المجد والحسبِ الأرفع

الحارث بن قيس الجهضمي، وزياد بن عمرو العتكي، ومالك بن مسمع وإخوته،ابن الزبير وخالد بن المهاجر بن خالد بن الوليد

٢٩ ـ المدائني عن عبد الله بن فائد: أن عبد الله بن الزبير أتى الطائف واستخلف ابنه عباد بن عبد الله، فأتي عبّاد بخالد بن المهاجر بن خالد بن الوليد وقد شرب وشهد عليه بأنه يعانق النساء في الطواف، فأمر بضربه الحدّ فجلد، فأتى بنو مخزوم أباه فكلموه، فقال: ماأصنع به وكان يتحدّث عند امرأة من قريش فقيل لابن الزبير فحبسه وقيّده، فقال:

[من مجزوء الكامل]

قد كان ليلي ليس يقصر مَدُّهُ طولُ النهارِ
فلئن خطاي تقاربت رسفَ المُقيَّد في الحصارِ
لَبِما أُمشّي بالأباطحِ يقتفي أَثري إزاري

في أبيات.

ثم أخرجه فسيّره إلى الشام، فتزوج ابنة النعمان بن بشير، فنازعها يوماً، فقال:

[من الخفيف]

لظباءٌ بين الحطيم إلى الحثمة في مظلماتِ ليلٍ وشرقِ
قاطناتُ الحجونِ أشهى إلى القلب مِنَ الساكناتِ دورَ دِمشقِ

فقالت:

[من المتقارب]

كهولُ دمشقَ وشُبّانُها أحبُّ إلينا من الجاليه
إذا ماأتى وافدٌ منهمُ كنسنا له دارهُ الخاليه
لقملٌ يدبّ دبيب الدبا أكاريز أعيت على الغاليه[1]
وريحهمُ مثلُ ريح التيوسِ عفَت على البان والغاليه

---

(١) الغالية: نوع من الطيب وهو من أجودها.

فبلغ عبد الملك الشعر، فقال: ياخالد جعلتك من الجاليه، قال: وأنت ياأمير المؤمنين أيضاً من الجاليه.

فأقام بالشام فانكسَرت فخذه، فقيل لعبد الملك، فقال: لاجبرها الله ومات من وجعه، فقيل لعبد الملك، فقال: لا رحمه الله.

قال ابن الكلبي: كان خالد بن المهاجر مع ابن الحنفية بالشعب، فعلّق عليه ابن الزبير ركوة خمر ثم ضربه الحدّ.

ورثته هند بنت النعمان، فقالت:

[من مجزوء الوافر]

ألا يابنَ المهاجرِ قد   دهاني طارقٌ طرقا
دعاك فما أبيت ولا   سددنا دونك الغَلقا
ألا عينيَّ جودا   بالدموعِ عليهِ واستبقا
أعيناني بفيضِكُما   ومُجّا الدَّمع والعلقَا

وقال عُقبة الأسدي حين ضُرب خالد بن المهاجر:

[من الكامل]

مازلتُ مُذحجٍ بمكةَ مُلحداً   في حيثُ يأمنُ قاطنٌ وحمامُ
أبنو المغيرةِ مثلُ آلِ خويلدٍ   يالرِّجالِ لخفَّةِ الأحلام
فلينهضنَّ لخالد من قومه   مثلُ الأغرِّ الحارثِ بنِ هشامِ
المشترينَ الحمدَ من أموالهم   في كل صافنة وكل سوام
ولتنهضنَّ العيسُ تنفخُ في البرى   تجتابُ عرضَ مكارم الأعلامِ
بالدارعين عليهمُ أبدانُهم   لتجابَ دعوةُ واصلٍ ضرغامِ

المدائني، قال: قال عبد الله بن الزبير: لقد أعظم الناس ولادة صفية بنت عبد المطلب لنا، حتى لقد هممت أن أطلق بنت الحسين[1]، فبلغ ذلك عبد الملك، فقال: أكلب الله عينه.

(١) يعني سُكَينة بنت الحسين زوجة أخيه مصعب بن الزبير.

بالسخيمة.

قالوا: وذكر مروانُ طلحة فأثنى عليه، وذُكر الزبير فلم يقل فيه شيئاً، وكان عبد الله بن الزبير حاضراً، فقال إن أبا محمد أهل لما ذكرته به، لكني أعرف من لم يذكر بخير قطّ، قال: ومن هو؟ قال: أبوك فوثب إليه مروان فاضطربا حتى حجز موسى بن طلحة بينهما، فقال له: دعني أصكُّ عينَ ابن لعين رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أمر التوابين وخبرهم بعين الوردة وهي رأس العين من الجزيرة

٣٠ ـ حدثني عباس بن هشام عن أبيه عن جده، وأبو مخنف، قالا:

لما فرغ مروان من مرج راهط قَصَدَ قَصْد مصر، ومرّ بفلسطين وقد هرب منها ناتل فولّاها مروان روح بن زنباع، ثم سار نحو مصر فغلب عليها ثم قدم الشام وزُفر بن الحارث قد غلب على قرقيسيا وتحصّن بها، وبلغه خبر مصعب بن الزبير وأنه يريد الشام. فوجّه مروان عبيد الله بن زياد إلى الجزيرة والعراق في سبعين ألفاً فيهم الحصين بن نمير وابن ذي الكلاع الحميري وعُمير بن الحُباب السلمي، وكان عمير قد بايع مروان وصار في حيّزه.

فسار ابن زياد حتى أوقع بالتّوابين بعين الوردة، ثم أتى قرقيسيا فرام زُفر فلم يقدر عليه فسار يريد العراق فقتل على الخازر، وهو نهر بأرض الموصل، وكانت وفاة مروان قبل نفوذ ابن زياد إلى الجزيرة فكتب إليه عبد الملك بوفاته وأخذ البيعة له ولعبد العزيز بن مروان من بعده وأن يتولى من أمر الجيش ماكان ولاه.

اجتماع التوابين على الطلب بدم الحسين..

٣١ ـ حدثني عباس بن هشام عن أبيه عن أبي مخنف وغيره، قالوا:

لما قُتل الحسين بن علي عليهما السلام ودخل عبيد الله بن زياد من معسكره بالنخيلة إلى الكوفة تلاقت الشيعة بالتلاوم والندم ففزعوا إلى خمسة نفرٍ من رؤوس الشيعة، وهم: سليمان بن صُرَدٍ الخزاعي وكانت له صحبة، والمسيّب بن نجبة الفزاري وكان من خيار أصحاب عليّ، وعبد الله بن سعد بن نُفَيل الأزدي، وعبد الله بن والٍ التميمي[1]، ورِفاعة ابن شدّاد البجلي الفتياني[2].

---

(١) هكذا في الأصل وصحته التيمي تيم بكر بن وائل كما سيأتي في قول عبد الملك بن مروان بعد معركة عين الورده وكما جاء عند الطبري.

(٢) جاء في الأصل القتباني وهذا خطأ لأن البطن فتيان، وهو رفاعة بن شداد بن عبد الله بن بشر بن بدّاء بن فتيان ـ نسب معدو اليمن الكبير: ج: ١ ص: ٣٩٩.

فاجتمع هؤلاء الخمسة النفر في منزل سليمان بن صُرَد ومعهم ناس من وجوه الشيعة، فابتدأ المسيّب بن نجبة الكلام: فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد فإنا قد ابتلينا بطول العمر فنرغب إلى ربنا في أن لايجعلنا ممن يقول له غداً ﴿ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مايَتَذَكَّرُ فيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾[1] وقد بلا الله أخبارنا فوجدنا كاذبين في أمر ابن ابنة نبينا، وقد بلغتنا كتبه وأتتنا رسله وسألنا نصره عوداً وبدءاً وعلانية وسراً، فبخلنا عليه بأنفسنا حتى قتل إلى جانبنا فلا نحن نصرناه بأيدينا ولا خذلنا عنه ألسنتنا ولا قوّيناه، بأموالنا، ولا طلبنا له النصر من عشائرنا، فما عذرنا عند ربنا لا عُذر والله أو نقتل قاتليه والموالين عليه، وإنه لابدّ لكم من أمير تفزعون إليه وترجعون إلى أمره وراية تحفّون بها معه.

ثم قام رفاعة بن شدّاد البجلي فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: دعوتَ إلى جهاد الفاسقين والتوبة من الذنب العظيم فمسموع ذلك عنك ومقبول منك، وقلت ولّوا أمركم رجلاً تفزعون إليه وتطيفون برايته وتطيعون له، فإن تكن ذلك الرجل تكن عندنا مرضيّاً متنصحاً، وإن رأيت ورأى أصحابنا ولّينا هذا الأمر شيخ الشيعة وصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وذا السابقة والقِدم، سليمان بن صُرَد المحمود في دينه وبأسه الموثوق برأيه وتدبيره.

ثم تكلم عبد الله بن والٍ وعبد الله بن سعد بن نفيل بنحو من كلام رِفاعة ابن شداد، وذكر المسيّب بن نجبة وذكر سليمان بن صُرَد لسابقته ورضاهما به.

فقال المسيب: أصبتم ووُفّقتم وأنا أرى مثل الذي رأيتم، فولّوا سليمان أمركم. فولّوه عليهم وقلّدوه رئاستهم، فخطب سليمان بن صُرَد، فقال:

إني أخاف ألاّ نكون أُخّرنا إلى هذا الدهر الذي نكدت فيه المعيشة وعظُمت فيه الرزية لما هو خير لنا، نمدّ أعناقنا إلى قدوم آل نبينا ونعدهم نصرنا ونحثهم على المسير إلينا، فلما قدموا علينا ونينا وعجزنا وداهنّا وتربّصنا حتى قتل ولد نبيّنا وسلالته وبضعة من لحمه،

---

(١) سورة فاطر. رقم: ٣٥ الآية رقم: ٣٧.

فاتخذه الفاسقون غرضاً للنبل ودريئةً للرماح.

فلا ترجعوا إلى الحلائل والأبناء حتى يرضى الله عنكم، بأن تناجزوا من قتله وتبيروه، ألا ولا تهابوا الموت، فوالله ماهابه أحد قطّ إلّا ذلّ، وكونو كتوّابي بني إسرائيل إذ قال لهم نبيّهم: ﴿ إِنَّكُم ظَلمتُمْ أَنفُسكُم بِٱتِّخاذِكُمُ العِجلَ فَتُوبُوا إلى بارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوا أَنفُسكُم ذٰلِكُم خيرٌ لَكُم عِنـدَ بَارِئِكُمْ ﴾[1] فما فعـل القـوم، جثـوا والله على الـركب ومدّوا الأعناق ورضوا بالقضاء حين علموا أنه لا ينجيهم من عظم الذنب إلا الصّبر على القتل، فكيف بكم لو قد دُعيتم إلى مثـل مادُعي القـوم إليه، اشحـذوا السيوف وركبّـوا الأسنّـة وأعـدّوا لعـدوكم ماستطعتم من قوّة.

وقال عبد الله بن سعد بن نُفَيل أو أخوه خالد: أشهد الله ومن حضر من المسلمين أني قد جعلت مالي الـذي أصبحت أملكه، سوى سلاحي الذي أقاتل به عدوي صدقة على المسلمين أقوّيهم به على قتال القاسطين.

وقـام أبـو المعتمـر حنش بن ربيعـة الكنـاني، وقـال: وأنا أشهدكم على مثل ذلك، وتصدّق حجر بن عِوَضة[2] الكندي بماله عليهم أيضاً. وتصدّق الأسود بن ربيغة بن مالك ابن ذي العينين الكندي بماله عليهم أيضاً.

وكتب سليمان بن صرُد إلى سعـد بن حذيفة يدعوه ومَن قِبله إلى التوبة والطلب بدم الحسين فأجابوه إلى ذلك، وهم شيعة المدائن وكانوا انتقلوا إليها من الكوفة، وقال لهم سعد ابن حذيفـة: إنكم كنتم على نصرة الحسين لولا أن خبر قتله ومعـاجلة القـوم إياه أتاكم، فانهضوا لقتال قتلته.

وكتب سليمان بن صرُد إلى المثنى بن مخربة العبدي ومَن قبله من شيعة البصرة بمثل ذلك فأجابوه إلى النهوض معه.

---

(١) سورة البقرة رقم: ٢ الآية رقم: ٥٤.

(٢) في الأصل عِوَصه بالصاد المهملة ولكن في آخر معركة عين الورده يثبتها عن ابن الكلبي: عِوضه بالضاد المعجمة. وفي نسخة مكتبة المثنى: عوضة.

وكـان ابتـداء أمـر التـوّابين في آخر سنة إحدى وستين، فكانوا يتداعون ويستعدّون ويرتؤون وكـان مهلك يزيد بن معـاوية في شهـر ربيع الأول سنة أربع وستين، وكان أَجَلُ الشيعة الذي ضربوه لمن كتبوا إليه في شهر ربيع الآخر سنة خمس وستين، أن يتوافوا ويجتمعوا بالنُخيلة.

وكـان عبيد الله حين أتاه موت يزيد بالبصرة وثب به أهلها حتى استخفى، ثم لحق بالشـام فلم يزل مع مروان بن الحكم إلى أن عقـد له مروان على ماغلب عليه وفتحـه من أرض الجزيرة والعراق.

ووثب أهل الكوفة بعامله عمرو بن حريث أيضاً فأخرجوه، واصطلحوا على عامر بن مسعود الجمحي دحروجة الجُعَل، فكان يصلي بهم ويدعو لابن الزبير، حتى عزله وولى عبد الله بن يزيد الخطمي فقدمها ابن يزيد لثمان ليال بقين من شهر رمضان سنة أربع وستين، ويقال بعد ذلك بأشهر.

قدوم المختار الكوفة..

٣٢ ـ وقـدم المختـار بن أبي عبيد الكـوفـة بعد عبد الله بن يزيد بثمانية أيام، فكان المختار إذا دعا الشيعة إلى نفسه وإلى الطلب بدم الحسين، قالوا: هذا سليمان بن صُرَد شيخ الشيعـة وقـد أطـاعته الشيعة وانقادت له وولته أمرها، فيقول: إن سليمان رجل لاعلم له بالحرب وسياسة الرجال، وقد جئتكم من قبل المهدي محمد ابن الحنفية مؤتمناً منتجباً ووزيراً مناصحاً، فلم يزل حتى انشعبت إليه طائفة منهم ومعظمهم مع ابن صُرّد.

فكـان سليمان أثقـل النـاس على المختـار، وأتى يزيدُ بن الحارث بن يزيد بن رويم الشيبـاني عبـد الله بن يزيد الخَـطمي، فاخـبره بخبر سليمان بن صُرّد والمختار بن أبي عبيد ومايدعوان إليه من الطلب بدم الحسين بن علي، وأنه لايأمن أن تواتيه الشيعة.

فخطب الناس فقال: إن قوماً اجتمعوا للطلب بدم الحسين فرحم الله الحسين ورحم هؤلاء القوم، والله لقد دُللت على أماكنهم وعليهم فأبيت أن أهيجهم، والله ماقتلت الحسين ولا مالأت على قتله ومـاأحببته، فلعن الله قتلته، فليظهر هؤلاء القوم آمنين ثم ليسيروا إلى قاتل الحسين وقاتل خياركم، وأماثلكم فقد أقبل إليكم، فإن عهد العاهد به على مسيرة ليلة من منبج، فقتاله والاستعداد له أحزم وأرشد من أن تجعلوا بأسكم بينكم. وكان عامل ابن الزبير على الخراج دون عبد الله بن يزيد، إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله.

فقـام حين فرغ ابن يزيد من كلامه، فقال: لاتغرّنكم مقالة هذا المداهن فوالله لئن خرج علينـا خارج لنقتلنّه، أو كما قال. فقطع عليه المسيّب بن نَجبة كلامه، فقال: أأنت تهدّدنـا بالقتـل إنك لأذلّ من ذلك، وأما أنت أيها الأمير فجزاك الله خيراً، فقد قلت قولاً سديداً. وكلّم القوم إبراهيم بكلام شديد غليظ، وقالوا لابن يزيد خيراً.

قيام سليمان بن صرد في أخذ ثأر الحسين بن علي عليهما السلام..

٣٣ ـ ثم إن أصحاب سليمان بن صُرَد انتشروا يشترون السلاح ويتجّهزون ظاهراً لايخافون أحداً. فلما أهلّ هلال شهر ربيع الآخر سنة خمس وستين، خرج سليمان إلى النُخَيلة في أصحابه فعسكر بها وبعث حكم بن منقذ والوليد بن غُصَين ابن مسلم الحُماني ثم الغِفاري في خيل، فناديا بالكوفة بالثارات الحسين فتلاحق به بعد النداء قوم، وكان مبلغ من أثبت في ديوانه ستة عشر ألفاً، ويقال اثنا عشر ألفاً، فعرض أصحابه ومن اجتمع إليه من أهل الكوفة، فوجدهم أربعة آلاف فقال: سبحان الله إنما وافوني من ستة عشر ألف أربعة آلاف، ويقال إنه قال: ماوافاني من اثني عشر ألفاً إلا أربعة آلاف. فقيل له إن المختار ثبّط الباقين عنك وقد صار معه ألفان، فقال: سبحان الله أما يذكر هؤلاء وما أعطونا من الميثاق.

وكان مقامه بالنُخيلة ثلاثاً، ثم بعث إلى من تخلّف عنه يذّكرهم الله وماأعطوه من العهود، فخرج إليه منهم ألف أو نحو ألف، فقام إليه المسيّب بن نجبة، فقال: يرحمك الله إنه لاينفعك المُكْرَه ولايقاتل معك إلا من أخرجته النيّة والحسبة ومن فرّ إلى ربه من ذنبه، فقال سليمان: أيها الناس إني والله لامطلب لي من الغنيمة إلا رضوان الله، وما معنا ابن ذهب ولا فضّة، ولاخزّ ولا حرير، وماهي إلا سيوفنا على عواتقنا ورماحنا بأيدينا، وزاد قدر البُلْغَة إلى لقاء عدونا، فمن لم يرض بهذا فلا يصحبنا. فنادى الناس من كل جانب: إنا لا نطلب الدنيا وليس لها خرجنا.

وأجمع سليمان المسير فأشار عليه عبد الله بن سعد بن نُفَيل بأن يطلب بدم الحسين عُمر بن سعد بن أبي وقّاص ومن بالمِصر فإنهم الذين شركوا في دمه وتولّوا أمره.

فقـال سليمان: إن هذا لكما قلت ولكن ابن زياد هو الذي سرّب إليه عمرَ بن سعد والجنود وعبّأهم عليه، وقال: لا أمان له عندي. فسيروا إليه فإنكم إن رُزقتم الظفر به فأمر من دونه من أهل المِصر أيسر من أمره.

وعـرض عليه عبـد الله بن يزيد الخطمي أن ينتظر إلى قدوم ابن زياد ليكون أمرهم وأمـره في محاربتـه واحد، فكره ذلك فعرض عليه أن يوجّه معه جيشاً، وقال: إنكم أعلام أهل مِصركم فإن أصبتم احتُلَّ مِصركم فحاجزه وأجمع على الشخوص واستقبال ابن زياد، ووعظ سليمان الناس ثم سار من النخيلة حتى إذا صار إل دير الأعور، عرض أصحابه فإذا قد تخلف منهم نحـو ألف، فقـال لأصحـابه: ماأحبُّ أن من تخلّف عنكـم منكـم، ولو قد خرجـوا مازادوكم إلا خبـالاً، ولما انتهى سليمان وأصحابه أتوا قبر الحسين وصرخوا صرخة واحدة، وقال سليمان: اللهم ارحم الشهيد ابن الشهيد، ونادوا: يالثارات الحسين وأظهروا التوبة من خذلانه، ثم أن سليمان سار فأخذ على الحصّاصة ثم على الأنبار ثم على صَنْدَوْداء قرية الأنصار ثم على القَيَّارة، وبعث على مقدّمته كُريب بن مَرْثَد الحميري.

فلما انتهى إلى قرقيسيا أخـرج إليهم زُفَر بن الحارث الكلابي أنزالاً وسوقاً وأهدى إلى وجوههم الجُزر ونحر لسائر أهل العسكر، وأمر ابنه الهُذَيل بن زفر فأقام لهم كل مااحتاجوا إليه وزودهم، وقـال لهم: إن عبيد الله بن زياد قد أقبـل ومعه حُصين بن نمير السكوني، وشرحبيل بن ذي الكُلاع الحميري، وأدهم بن محرز الباهلي، وربيعة بن المخارق الغنوي، وحملة بن عبـد الله الخثعمي، وهم في الشـوك[1]، وقد وردوا الرقة. فسيروا إلى عين الوردة فاجعلوهـا في ظهـوركم، فيكـون المـاء والمـادة في أيديكم ومابيني وبينكم فأنتم له آمنون، وعرض عليهم أن يقيموا عنده فيقاتل معهم، وقال: إنه يريدني فلا تبرحوا حتى يكون أمرنا واحداً فلم يفعلوا، وقال: أما والله لو أن خيلي كرجالي لأمددتكم.

فأغـذوا السـير وانتهـوا إلى قول زُفَـر بن الحارث ورأيه، وساروا إلى الشمسانية وإلى السُّكَـير ثم إلى الثنينـيرين سراعـاً، ثم إن سليمان عبّأ الكتائب ووجّه إلى أول عسكر أهل

---

(١) الشوك: السلاح ـ اللسان ـ

الشـام وقـد فصلوا من الـرقـة وعسكـر ابن ذي الكُـلاع أربعمئة عليهم المسيّب بن نَجبة فقـاتلوهم قتـالاً شديداً، فنـالـوا منهم وهزموهم وغنموا غنيمة حسنة، فبلغ الخبر ابن زياد فسرّح إليهم الحصين بن نمير في اثني عشر ألف، فخرج إليهم سليمان في التعبئة فلما تواقفوا دعاهم الحصين إلى طاعة عبد الملك بن مروان، وكان مروان قد هلك، ودعاهم سليمان إلى أن يسلموا إليهم عبيد الله بن زياد ويخلعوا عبد الملك، ويخرج عمال عبد الله بن الزبير ويُسلم الأمر إلى أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم. فاقتتلوا أشدّ قتال سُمع به فهُزم أهل الشام.

وحجز الليل بينهم، ثم قاتلوهم من الغد وقد أمدّ ابن زياد الحصين بابن ذي الكُلاع في ثمانية آلاف، فاقتتلوا قتالاً لم يُر مثله، ثم تحاجزوا وقد فشت في الفريقين الجراح.

ووافاهم أدهم بن محرز الباهلي في عشرة آلاف فالتقوا فقُتل سليمان بن صُرَد الخزاعي رماه يزيد بن الحصين بسهم، فأخذ الراية بعده المسيّب بن نجبة الفَزاري فقُتل، ثم أخذها عبد الله بن سعد بن نفيل وهو يقول: ﴿فَمِنْهُم مَّنْ قَضَى نَحْبَهُ، وَمِنْهم مَّنْ يَنْتَظِر﴾(1) رحمكما الله فقـد صدقتـما ووفيتما، وقاتل فحَمَل وحُمل عليه ربيعة بن المخارق بن جاوان الغَنَوي، فاختلف هو وعبد الله بن سعد بن نُفيل ضربتين فلم يصنع سيفاهما شيئاً، وطعن ابنُ أخي ربيعة بن المخارق عبدَ الله بن سعد بن نُفيل في ثغرة نحره فقتله، وأخذ الراية عبد الله بن والٍ التيمي فقتل.

ويقـال: بل دعي ابن والٍ حين قتـل عبـد الله بن سعد لتُدفع الراية إليه فوُجد قد استلحم، فحمـل رفاعة ابن شداد فكشف الناس عنه ثم إنه أقبل إلى الراية وقد أمسكها عبـد الله بن حازم الكبـيري من بني كبـير من الأزد، فقال لابن والٍ: خذ رايتك فأخذها وقاتل ابن والٍ حتى قُتل وقُتل ابن حازم إلى جنب ابن والٍ، وجاء الليل فنظر رفاعة إلى كل جريح فدفعه إلى قومه.

وسار بالناس حتى أصبح بالتنينيرين فعبروا الخابور ثم مضى لايمر بمعبر إلا قطعه. ودلف أهل الشام لمحاربتهم حين أصبحوا فوجدوهم قد مضوا فلم يتبعوهم.

---

(1) سورة الأحزاب رقم: ٣٣ الآية رقم: ٢٣.

وسار رفاعة بالناس فأسرع وخلّف وراءهم أبا الجويرية العبدي في سبعين فارساً لحمل من سقط من الرجال وقبض ماوجد من المتاع وحفظه على أهله وتعريفه، فلما مرّوا بزُفر بن الحارث بقرقيسيا بعث إليهم من الطعام والعلف مثل الذي كان بعث به في بدأتهم وأرسل الأطباء والأدوية، وقال: أقيموا عندنا إن أحببتم فإن لكم الكرامة والمواساة، فأقاموا ثلاثاً ثم زوّدوهم وساروا.

وأقبل ابن زياد يريد زُفر بن الحارث. وجاء سعد بن حذيفة بن اليمان من المدائن حتى انتهى إلى هيت فاستقبله الأعراب فأخبروه بما لقي الناس، فانصرف ولقي سعدَ المثنى بن مُخرِّبة بصَنْدَوْداء فأخبره الخبر، فأقاموا بمن معهما حتى قيل لهما: إن رفاعة قد أظلكما فاستقبلوه فبكى بعضهم إلى بعض، وانصرف سعد بن حذيفة بمن معه إلى المدائن، وانصرف أهل الكوفة إلى الكوفة وانصرف ابن مخرّبة إلى البصرة.

وقوم يزعمون أن سعد بن حذيفة كان وجّه إلى أهل عين الوردة ابن الحَصِل يبشّرهم بإقبالهم إليهم ليقوّوا متنهم وتطيب أنفسهم وأن ابن مخرّبة وافاهم بقبر الحسين عليه السلام في بدأتهم وشهد حربهم والله أعلم.

وقال هشام بن الكلبي عن أبيه: قُتِل بعين الوردة حجر بن عِوَضة بن حُجر ابن مالك بن ذي العينين، واسم ذي العينين معاوية بن مالك بن الحارث بن بدّا الكندي، وبعض الرواة تقول عَوْصة وذلك خطأ.

وقال الهيثم بن عدي بعث حُصين بن نمير إلى سليمان بن صُرّد حين التقوا: إني أعرف لك حقك وسنّك وقرابتك، وأنا أكره قتالك، فبعث إليه: والله ماخرجت وأنا أحبّ الحياة، فوجّه إليه سليمان بن عبد الرحمن الكلاعي في خمسة آلاف فقُتل ابن صُرّد ثم أخذ الراية ابن نجبة فقتل ثم ابن سعد بن نُفيل فقتل.

قالوا: وأتى أدهم بن محرز عبد الملك ببشارة الفتح، فصعد عبد الملك المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

أما بعد فإن الله قد أهلك من أهل العراق ملقح الفتنة ورأس الفتنة ورأس الضلالة

سليمان بن صُرَد، ألا وإن السيوف تركت رأس ابن نجبة خذاريف[1] وقد قتل الله منهم رجلين ضالّين مضلين عبد الله بن سعد أخا الأزد وابن والٍ أخا بكر ابن وائل، فلم يبق بعد هؤلاء أحدٌ عنده دفاع ولا امتناع، ثم نزل.

ولما قدم رفاعة بن شداد وأصحابه الكوفة كانوا يقولون إذا ذكر لهم أصحابهم: صبروا والله وفررنا وخفنا أن نلقي بأيدينا إلى التهلكة وأن نُؤكِلَ أهل الشام لحومنا وقلنا لعل الأيام تُبقي لهم منا شراً.

وكان عمر بن سعد بن أبي وقاص، وشَبث بن رَبعي الرياحي ويزيد بن الحارث بن يزيد بن رويم يقولون لعبد الله بن يزيد الخطمي وإبراهيم بن محمد ابن طلحة بن عبيد الله عاملي ابن الزبير على الكوفة بعد خروج ابن صُرَد: إن المختار بن أبي عبيد أشد عليكم من ابن صُرَد وهو يقول إذا ذُكر ابن صُرَد: إنه عشمة من العشَم وحفش من الأحفاش بالٍ ليس بذي تجربة ولا علم بالحرب، وأنا رجل أعمل على مثال مُثّل لي وأمرٍ تقدّم فيه إليّ ويدّل بنفسه غير إدلال ابن صُرَد، وليس البلد والمختار فيه لكم ببلد فأودِعوه الحبس حتى يجتمع الناس على رجل، فأخذاه فحبساه مقيّداً.

وقدم رفاعة وأصحابه الكوفة من عين الوردة وهو محبوس، فكتب إليهم:

أما بعد فمرحباً بالعصبة الذين حكم الله بالأجر حين رحلوا ورضي انصرافهم حين أقبلوا، إنّ سليمان بن صُرَد رحمه الله قضى ماعليه وتوفاه الله إليه، فجعل روحه مع أرواح الأنبياء والصدّيقين والشهداء الصالحين ولم يكن بصاحبكم الذي تنتظرون، ولكني الآمر والمأمور وقاتل الجبّارين فأعدّوا واستعدّوا، فإني أدعوكم إلى كتاب الله وسنّة نبيّه والطلب بدماء أهل البيت والدّفع عن الضّعفة وجهاد المُحلّين.

فأجابوه إلى مادعاهم إليه، وقالوا: إن شئت أخرجناك من محبسك، فقال: أنا أخرج في أيامي هذه وكانت صفيّة بنت أبي عبيد أخته امرأة عبد الله بن عمر بن الخطاب، فكتب إلى عبد الله بن عمر يعلمه أن ابن يزيد وابن محمد بن طلحة حبساه لغير جناية. فكتب إليهما يسألهما إخراجه، فأخرجاه، فكان من أمره ماكان.

---

(١) (خذاريف) ويقال: تركت السيوف رأسه خذاريف: قطعاً.

أمر المختار بن أبي عبيد وقصصه

٣٤ ـ وُلـد المختار بن أبي عبيد بن مسعود بن عمرو بن عُمير بن عوف بن عُقْدة بن غِيرَة من عوف بن قَسي وهو ثقيف بن مُنبّه بن بكر بن هوازن، في السنة التي هاجر فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة.

وتزوج أبوه دَومة بنت عمرو بن وهب بن معتّب، وكان قبل تزوّجه إياها يختار نساء قومه، فرأى في منامه قائلاً يقول: تزوّج دومة عظيمة الحومة لاتسمع فيها من لائم لومـة. فتـزوّجهـا فلما اشتملت على المختـار رأت في منـامها قائلاً يقول لها: أبشري بولد أشدّ من الأسد، إذا الرجال في كبد يتغالبون على بلد له فيه الحظّ الأشد.

فلما ولـد قيل لها: إن ابنـك قبـل أن يتسعسع[1] وبعد أن يترعرع[2]، كثير التّبع قليل الهلع خنشليل[3] غير ورْع يُدان بما صنع.

وكان مع أبيه أبي عبيد بن مسعود حين وجّهه عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى العـراق في الثقل، وكان له يوم قُتل أبوه ثلاث عشرة سنةً، وكان يقول: والله لأعلونّ منبراً بعد منبر، ولأفُلّنّ عسكراً بعد عسكر، ولأخيفنّ أهل الحرمين ولأذعرنّ أهل المشرقين والمغربين، فإن خبري لفي زُبُر[4] الأولين.

وكان المختار مع عمه بالمدائن حين جرح الحسن بن علي في مظلم ساباط، فلما أشار على عمه بدفعه إلى معاوية والتقرّب به إليه، طلبه قوم من الشيعة منهم الحـارث الأعـور وظبيان بن عُماره التميمي ليقتلوه فكلم عمـه الحسن، فسـألهم الإمساك عنه فأمسكوا.

---

(١) يتسعسع: هكـذا وردت في المخـطوط. ولم أجـد لها تفسيراً في اللسان ولكن وجدتها في اللاروس المعجم العربي الحديث تأليف الدكتور خليل الجر: سعسع الرجل: دهن شعره بالدهن، وسعسع الصبي: قارب الخطو.

(٢) يترعرع: إذا بلغ الولد العاشرة فما بعدها فهو مترعرع ـ فقه اللغة للثعالبي ـ.

(٣) خنشليل: الرجل السريع الماضي ـ اللسان ـ

(٤) زبر: كتب وزبر الأولين: كتب الأولين ـ اللسان ـ

وكان المختار عند الشيعة عثمانياً، فلما بعث الحسين بن علي مسلمَ بن عقيل نزل دار المختار فبايعه المختار فيمن بايعه سرّاً، وخرج ابن عقيل يوم خرج والمختار في ضيعة له بخُطَرنيّة[1] ، ولم يكن خروج مسلم عن مواعدة لأصحابه إنما خرج بداهة حين كان من أمر هانىء ماكان.

وقدم المختار الكوفة مسرعاً فوقف على باب المسجد الذي يعرف بباب الفيل في جماعة، فمرّ به هانىء بن أبي حيّة الوادعي، فقال له: يابن أبي عبيد لا أنت أقمت في منزلك، ولا مع القوم يعني أهل الكوفة من أصحاب ابن زياد، فقال: أمسى رأيي مرتجناً[2] عليّ لعظم خَطْبكم، فأتى هانىء عمرو بن حريث وهو خليفة ابن زياد فأخبره بعمل المختار، فأرسل إليه عمرو بن حريث رسولاً، وقال له: استنهه عن نفسه وحذّره أن يجعل عليها سبيلاً، فقام زائدة بن قدامة الثقفي، فقال: آتيك به على أنه آمن وإن رُقي إلى الأمير عبيد الله فيه شيء قمت بشأنه عنده، فقال عمرو بن حريث:

أما منّي فهو آمن، وأما الأمير فإن بلغه عنه شيء أقمت له بمحضرة الشهادة وشفعت له عنده أحسن الشفاعة، فأبلغ المختار رسالة عمرو بن حريث، فأتى حتى جلس تحت رايته وبات ليلته.

ثم إن ابن زياد جلس للناس وفتح بابه فدخل المختار عليه، فلما رآه قال له: أنت المقبل في الجموع لنصرة ابن عقيل، فقال: والله مابتّ إلا تحت راية عمرو، فرفع ابن زياد قضيباً كان في يده فاعترض به وجه المختار فشتر عينه، وشهد له عمرو على ماقال. فقال ابن زياد: لولا شهادة عمرو لك لضربت عنقك، وأمر به فحبس.

فلم يزل محبوساً حتى قتل الحسين، ثم إن المختار سأل زائدة بن قدامة الثقفي أن يسير إلى عبد الله بن عمر فيسأله الكتابة إلى يزيد بن معاوية في استيهابه

---

(١) خُطَرْنية: ناحية من نواحي بابل العراق - معجم البلدان -

(٢) مرتجناً: رجن: حبس الناقة عن المرعى من دون علف - اللسان

منه، وكانت صفيّة بنت أبي عبيد اخت المختار عند عبد الله بن عمر، فسار ابن قدامة إلى ابن عمر، فكتب إلى يزيد بما سأل المختار، فكتب يزيد إلى زياد بتخلية سبيل المختار. فخلاّه وأجلّه في المقام بالكوفة ثلاثاً، فخرج في اليوم الثالث إلى الحجاز فلقيه ابن الغَرق من وراء واقصة. فلما رأى شتر عينه استرجع[1] ، فقال المختار: شتر عيني ابن الزانية بالقضيب، قتلني الله إن لم أقطع أنامله وأباجله وأعضاءه إرباً إرباً. فاحفظ هذا الكلام عني، ثم ذكر ابن الزبير، فقال: إن سمع مني وقبل عني كفيته أمر الناس، وإلاّ فلست بدون رجل من العرب، إنّ الفتنة قد برقت ورعدت وكأن قد انبعثت فوطئت في خطامها.

فرُوي عن ابن الغرق أنه قال: حدّثتُ بهذا الحديث الحجاج بن يوسف فضحك وذكر سجع المختار، فقال: كان يقول: ورافعة ذيلها وصائحة ويلها بدجلة أو حولها، فوالله ماأدري ماكان يقول إلا إنه كان رجل دنيا ومقارع أعداء ومسعّر حربٍ.

قال وقدم المختار على عبد الله بن الزبير فرحّب به وأوسع له ثم قال له: ماحال العراق يابا إسحاق؟ فقال: هُم لسلطانهم في العلانية أولياء، وفي السِرّ أعداء، فقال ابن الزبير: هذه صفة عبيد السوء إذا رأوا أربابهم خدموهم وأطاعوهم، وإذا غابوا عنهم شتموهم وعابوهم، وعرض على ابن الزبير أن يقلّده أمره ويستكفيه إياه، فلم يفعل، فقام عنه ولحق بالطائف، فتصرّف في أموره، وغاب عن ابن الزبير سنة، وجعل يقول: أنا مبير الجبارين.

فبلغ ذلك ابن الزبير، فقال: إن يُهلك الله الجبارين يكُن المختار أحدهم قاتله الله كذّاباً متهكّماً .

وأقبل المختار بعد سنة حتى دخل المسجد وابن الزبير في ذكره، فقال ابن الزبير: اذكر غائباً تَره، وأقبل المختار فطاف بالبيت وصلى عند الحجر ركعتين ثم جلس، واجتمع إليه قوم يسلمون عليه واستبطأه ابن الزبير، فقال له بعضهم: قمْ إليه فقد استبطأك، فقال: أتيته عاماً أول فعرضت عليه نفسي فرأيته منحرفاً عني،

---

(١) استرجع: أي قال إنّا لله وإنا إليه راجعون.

والله انه إليّ لأحوج مني إليه، فقال له عيّاش بن سهل بن سعد الساعدي[1] : إنك أتيته نهاراً وهذا أمر تضرب عليه الستور، فأته ليلاً، فقال: أنا فاعل.

فلما كان الليل أتاه عيّاش فمضيا جميعاً حتى دخلا على ابن الزبير فسلم عليه ابن الزبير وصافحه، فابتدأ المختار القول، فقال: إنه لاخير في الإكثار من المنطق، ولا حظّ في التقصير عن الحاجة، وقد جئتك لأبايعك على أن لا تقضي أمراً دوني وعلى أن أكون أول من تأذن له، وإذا ظهرت استعنت بي على أفضل عملكِ، فقال ابن الزبير: أبايعك على كتاب الله وسنة نبيّه، فقال المختار: لو أتاك شرّ غلماني لبايعته هذه المبايعة العامّة، والله لاأبايعك إلا على هذه الخصال، فبسط ابن الزبير يده فبايعه، ومكث المختار معه حتى شهد حصار ابن الزبير الأول، وهو حصار حصين بن نمير السكوني. وقاتل في جماعة معه أشدّ قتال، وأغنى أعظم الغناء، ولما كان آخر يوم قاتل فيه الحصين بن نمير بن الزبير، نادى: ياأهل الشام، أنا المختار بن أبي عبيد، أنا الكرّار غير الفرّار، أنا المُقدم غير المحجم إليّ ياأهل الحفاظ، وحماة الأدبار وكان آخر أيامهم في القتال. اليوم الذي علم أهل الشام فيه بموت يزيد.

وكان عبد الرحمن بن بُخْدُج بن ربيعة، أحد بني عامر بن حَنيفة في عصابة من الخوارج من أهل اليمامة[2] يقاتل مدافعة عن البيت لاغضباً لابن الزبير.

وأقام المختار مع ابن الزبير حتى انصرف عنه الحصين بن نمير وأهل الشام إلى الشام، فلما رأى ابنَ الزبير لايولّيه شيئاً أقبل يسأل الناس عن خبر الكوفة وأهلها، فيُقال له: إنهم أخرجوا عمرو بن حريث عامل ابن زياد واصطلحوا على عامر بن مسعود بن أمية بن خلف. فيقول: أنا أبو اسحاق أنا لها إذ ليس لها أحدٌ غيري، أنا راعيها إذا ضلّ راعيها، ثم ركب رواحله وأتى الكوفة فلما صار بنهر الحيرة اغتسل وادّهن ولبس ثيابه واعتم وتقلّد سيفه وركب راحلته.

---

(١) الساعدي أي من ساعدة بن كعب بن الخزرج أصحاب سقيفة بني ساعدة وقوم سعد بن عبادة الذي لم يبايع لأحد بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات بحوران وقبره في قرية الشيخ سعد بحوران بسوريا. والله أعلم.

(٢) اليمامة: هي الرياض الآن في المملكة العربية السعودية.

المختار يدعو بالكوفة لمحمد بن الحنفية:

٣٥ ـ فمرّ بمسجد السكون وجبانة كندة، وجعل لايمّر بمسجد إلا سلم على أهله، حتى مرّ ببني بدّا من كندة، فسلم على عبيدة بن عمرو البدّي، وقال: يابا عمرو أبشر بالنصر واليسر والفرج، إنك على رأي تُستر معه العيوب وتُغفر الذنوب. وكان عبيدة من أشدّ الناس تشيعاً وحُبّاً لعليّ وكان شجاعاً، فقال للمختار: بشرك الله بخير.

ثم قال: اِلقَني رحمك الله وأهل مسجدك، ودار على الشيعة من همدانِ وغيرها يبشّرهم ويبلّغهم السلام عن ابن الحنفية.

فيقال: إنه لما أراد الشخوص إلى الكوفة أتى ابن الحنفية، فقال له: إني على الشخوص للطلب بدمائكم والانتصار لكم، فسكت ابن الحفنية فلم يأمره ولم ينهه فقال: إن سكوته عني اذنٌ لي وودّعه. قال له ابن الحنفية: عليك بتقوى الله ما استطعت.

ويقال: إنه لما قال له: إني على الشخوص للطلب بدمائكم والانتصار لكم. قال: إني لأحب أن ينصرنا ربّنا ويهلك من سفك دماءنا ولست آمرك بحربٍ ولا إراقة دمٍ، فإنه كفى بالله لنا ناصراً ولحقِّنا آخذاً وبدمائنا طالباً.

وحدثني عبيد الله بن صالح بن مسلم العجلي ثنا إسماعيل بن مجالد عن أبيه عن الشعبي:

إنه قال وسئل هل كانَ أمر المختار عن رأي محمد بن الحنفية، فقال: كان لذلك سببٌ إلا أنه أمره بما لم يعمل به.

وقال أبو مخنف في روايته: لما اجتمعت الشيعة إلى المختار، حمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد فإن المهدي ابن الوصي محمد بن علي بعثني إليكم أميناً ووزيراً ومنتجباً وأميراً، وأمرني بقتال المحلّين والطلب بدماء أهل بيته الطيبين، فكان أول من بايعه عبيدة بن عمرو، وقد كانت الشيعة مجتمعةً لسليمان بن صُرَد الخزاعي فجعل يثبّطها عنه ويقول: هذا رجل عشمة[1]، هامةُ اليوم أو غدٍ وإنما

---

(١) عشمة: كبير هرم يابس ـ اللسان ـ

يريد أن يقتلكم ونفسه، وأنه لاعلم له بالحروب وسياسة الأمور، حتى مال إليه كثير منهم.

وكان ابن الزبير قد جعل مكان عامر بن مسعود على صلاة الكوفة وحربها عبد الله بن يزيد الأنصاري أحد بني خطمة وعلى الخراج إبراهيم الأعرج بن محمد ابن طلحة بن عبيد الله، فأتاهما عمرُ بن سعد بن أبي وقاص، ويزيد بن الحارث بن يزيد بن رويم الشيباني، وشَبَث بن ربعي الرياحي، فقالوا لهما: إن سليمان بن صُرَد يريد قتال أعدائكما وإن المختار يريد الوثوب بكما في مِصركما والإفساد عليكما، فأخذاه فحبساه وقيّداه، فكان يقول في السجن:

أما وربّ البحار والنخل والأشجار والمهامِهِ والقفار والملائكة الأبرار والمصطَفَيْن الأخيار لأقتلنّ كل جبّار بكل لَدِنٍ خطّار ومهندٍ بتّار في جموع من الأنصار ليسوا بميل أغمار ولا عُزل أشرار. حتى إذا أقمت عمود الدين ورأبت صدع المسلمين وشفيت غليل صدور المؤمنين وأدركت ثأر أبناء النبيين. لم يكبُر علي فراق الدنيا ولم أحفل بالموت إذا أتى.

وكان يسجع بعد خروج ابن صُرَد إلى الجزيرة فيقول: عُدّوا لِغُزيكم أكثر من عشر وأقل من شهر فليأتينّكم نبأ هُترٍ(١) وطعن بترٍ وضرب هبرٍ(٢) وقتلٌ جمّ وأمرٌ قدحُمّ، فمن لها يومئذ؟ أنا لها.

وكتب من الحبس إلى عبد الله بن عمر: أما بعد فقد حبست مظلوماً وظنّ بي ولاة المِصر ظنوناً، وحُملت على أكاذيب، فاكتب رحمك الله إلى هذين الوالدين الظالمين في أمري لعل الله يخلّصني ببركتك، فكتب ابن عمر إليهما: أما بعد: فقد علمتما الذي بيني وبين المختار بن أبي عبيد من الصهر، ومالنا عليه لكما من الودّ، فأقسمت عليكما بما بيني وبينكما لما خلّيتما سبيله، فلما أتى الكتاب عبد الله بن يزيد وإبراهيم بن محمد دعَوا المختار وقالوا: هات بكفلاء يضمنونك، فضمنه زائد بن

---

(١) الهُتر: بضم الهاء ذهاب العقل من كبر أو مرض أو حزن.

(٢) ضربٌ هبر: أي يهبر اللحم يقطعه قطعاً كبيرة ـ اللسان ـ

قدامة الثقفي، وعبد الرحمن بن أبي عُمَير الثقفي، والسائب بن مالك الأشعري، وقيس بن طهفة النهدي، وعبد الله بن كامل الشاكري من همدان، ويزيد بن أنس الأسدي، وأحمر بن شُميط البجلي ثم الأحمسي، وعبد الله بن شدّاد الجشمي، ورفاعة بن شدّاد البجلي، وسُليم بن يزيد الكندي الحوتي، وسعيد بن منقذ الهمداني ثم الثوري أخو حبيب بن منقذ، ومسافر بن سعيد بن عمران الناعطي، وسعر بن أبي سعر الحنفي.

فلما ضمنوه دعا به عبد الله بن يزيد وإبراهيم بن محمد، فأحلفاه ألا يبغيهما غائلة ولا يخرج عليهما ماكان لهما سلطان. فلما خرج من عندهما، قال:

أما حلفي لهما بالله فإنه ينبغي لي أن اكفّر يميني فإن خروجي عليهما خيرٌ، ومن حلف على يمين فرأى غيرها خيراً أتى الذي هو خير وكفّر عن يمينه، وأما حلفي بعتق مماليكي فوددت أني نلت الذي أريد وأني لا أملك مملوكاً أبداً. وأما هَدْي الله بَدَنة[1] فذلك أهون عليّ من بصقة.

ثم إنه صار إلى داره فتدالّت[2] عليه الشيع يبايعونه، فلم يزل أصحابه يكثرون وأمره يقوى حتى عزل ابنُ الزبير عبدَ الله بن يزيد وإبراهيم بن محمد وولى عبد الله بن مطيع بن الأسود الكوفة فقدمها في شهر رمضان سنة خمس وستين، وبعث ابن الزبير الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي وهو القُباع على البصرة وخرج إبراهيم ابن محمد إلى المدينة وكسر الخراج على ابن الزبير. وقال: إنها كانت فتنة، وقبل خروجه منها حبسه ابن مطيع، فكتب إليه إسماعيل بن طلحة: والله لتطلقنّه أو لتعلمنّ أني لك بئس الشعار وأنها لك بئس الدار، فأطلقه.

ودعا ابن مطيع الناس إلى البيعة لابن الزبير ولم يسمّه، وقال: بايعوا لأمير

---

(١) ماينحر أيام عيد الأضحى، والبَدْنه من الإبل والبقر كالأضحية من الغنم تهدى إلى مكة ـ اللسان ـ.

(٢) في نسخة مكتبة المثنى: فتداكت.

المؤمنين، فكان ممن بايعه فضالة بن شريك الأسدي، ويقال ابن همام السلولي، وقال:

[من الطويل]

دعـا ابنُ مُطيعٍ للبياع فجئتـهُ ... إلى بيعـةٍ قلبـي لها غير عارفِ[1]

فأخـرج لي خشنـاءَ حيثُ لمستُهـا ... من الخُشن ليست من أكُفِّ الخلائف

من الشَّثِنـاتِ الكُـزْم أنكرتُ مسّها ... وليست من البيضِ السِّباطِ اللطائفِ[2]

معـاودةً ضرب الهـراوى لقـومها ... فروداً إذا ماكـان يومُ التَّسـايُفِ

ولم يُسـمِ إذ بايعتُـه مَن خليفتي ... ولم يشـتَرط إلاّ اشـتراطَ المُجازفِ

قالـوا: وخـطب ابن مطيع، فقـال: إن أمـير المؤمنـين بعثني على مِصركم وثغوركم وأمرني بجباية فيئكم، ولا أحمل شيئاً مما يفضل عنكم إلا أن ترضوا بحمل ذلـك، فاتقـوا الله واستقيمـوا ولا تختلفـوا، وخـذوا فوق أيدي سفهائكم، فوالله لأوقعنّ بالسقيم العـاصي ولأقيمن درء الأصعـر[3] المرتـاب ولأبالغنّ للمحسن في الإحسان ولأتبعنّ سيرة عمر وعثمان، فقال له السائب بن مالك: سيرة عثمان كانت هوىً وأثـره فلا حاجـة لنـا بها. وأما سيرة عمر فأقل السيرتين ضرراً علينا، ولكن عليك بسيرة علي بن أبي طالب فإنا لانرضى بما دونها، فقال ابن مطيع: نسير بكم بكل ماتهوون وتريدون.

وكان على شُرَط ابن مطيع إياس بن مضارب العجلي، وقال له حين ولاّه: عليك بحسن السيرة والشدّة على أهل الريبة.

---

(١) في كتاب الأغاني: ج: ١٢ ص: ٦٥ طبعة الثقافة تغير بعض الكلمات فمثلاً بدلاً من لها، بها.

(٢) الشثن: غليظ الكف خشنها الكزَم: بالتحريك قصر في الأصابع شديد ـ اللسان ـ

(٣) الأصعر: من صعرّ خده للناس.

محمد بن الحنفية لايمانع من طلب بنصرتهم من كان..

٣٦ ـ قالوا وبعث ابن مطيع إياساً إلى المختار ليأتيه به فتمارض المختار ودعا بقطيفة، وقال: إني لأجد قفقفة[1] ، وجعل المختار يبعث إلى أصحابه فيجمعهم في الدور حوله وأراد الوثوب بالكوفة في المحرم.

٣٦ ـ فجاء رجل من شبام، ويقال له عبد الرحمن بن شريح إلى وجوه الشيعه، فقال لهم: إن المختار يريد الخروج بنا ولا ندري لعلّ محمد بن علي لم يوجّهه إلينا، فانهضوا بنا إليه لنخبره خبره فإن رخّص لنا في اتباعه اتبعناه وإن نهانا عنه اجتنبناه، فما ينبغي أن يكون شيء آثر عندنا من أدياننا.

فخرج عبد الرحمن بن شريح الشبامي، والأسود بن جرّاد الكناني. وسعر بن أبي سعر الحنفي في عدّة معهم إلى ابن الحنفية، فلما لقوه، قال عبد الرحمن: إنكم أهل بيت قد خصّكم الله بالفضيلة وشرّفكم بالنبوّة وأعظم حقكم على الأمّة فلا يجهله إلا غبين الرأي مخشوش[2] الحظ، وقد أصبتم بحسين رحمه الله وأتانا المختار ابن أبي عبيد يزعم أنه جاء من تلقائك يطلب بدمه، فمرنا بأمرك.

فقال ابن الحنفية: إن الفضل بيد الله يُؤتيه من يشاء، فالحمد لله على ماآتانا وأعطانا، وأما المصيبة بحسين فقد خصّت أهله وعَمَّت المسلمين، وأما مادعاكم المختار إليه فوالله لوددت أن الله انتصر لنا بمن شاء من خلقه. فقالوا: هذا إذن منه ورُخصة ولو شاء لقال لاتفعلوا حتى يبلغ الله أمره.

فلم تكن إلا زيادة أيام على شهر حتى وافوا الكوفة فبدأوا بالمختار وكان ظنه قد ساء وخاف أن يأتي القوم بأمر يخذّلون به الشيعة عنه. فقال لهم: ارتأيتم وتخيّرتم فما رأيكم؟ قالوا: أذن لنا في نصرتك، فقال: الله أكبر أنا أبو اسحاق اجمعوا إليّ الشيعة فاجتمعوا، فقال: إن نفراً منكم أحبّوا أن يعلموا مِصداق ماجئت به فرحلوا إلى إمام الهدى والنجيب المرتضى وابن خير من جلس ومشى بعد النبيّ المصطفى،

---

(١) قفقفه: رعدة.

(٢) الخشاش: الشرار من كل شيء ـ اللسان ـ وفي رواية: مخسوس الحظ.

فسألوه عما قدمت له فأنبأهم أني وزيره وظهيره ورسوله.

فقام عبد الرحمن بن شريح، فقال: إنا قدمنا على المهديّ بن عليّ فأمرنا بمظاهرة المختار ومؤازرته وإجابة دعوته، فأقبلنا طيبةً أنفسنا منشرحة صدورنا قد أذهب الله عنّا الشكّ والغِلّ والرّيب واستقامت لنا بصيرتنا في قتال عدوّنا فليبلّغ شاهدكم غائبكم، وقام الوفد رجلاً رجلاً فتكلّموا بنحو ماتكلّم به عبد الرحمن.

فاستجمعت له الشيعة، وقالوا: إن أشراف أهل الكوفة مجمعون على قتالنا مع ابن مطيع، فإن جاء معنا إبراهيم بن الأشتر على أمرنا رجَونا القوة بإذن الله على عدونا، فإنه فتىً ماضٍ[1] وابن رجل شريف وله عشيرة ذات عزٍّ وعددٍ.

فروي عن الشعبي أنه قال: فخرج إليه وجوه الشيعة وأنا فيهم، فكلّموه ودعوه إلى الطلب بدم الحسين وأهل البيت، وقالوا: إن هذا أمر جسيم إن أجبتنا إليه عادت لك منزلة أبيك في الناس وأحييت شرفه وماكان مشهوراً به من الفضل ونصرة الحق والغضب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل بيته.

فقال: قد أجبتكم إلى مادعوتموني إليه من الطلب بدم الحسين وأهل بيته، على أن تولّوني الأمر. فقالوا: أنت لذلك أهل ولكن المهدي محمد بن علي وجّه المختار إلينا فهو الآمر والمأمور بالقتال، وقد شخص إليه نفرٌ منا اعتباراً لما جاء به، فأمر بطاعته.

ثم إن المختار أتاه في جماعة من الشيعة بعد أيام كثيرة فأقرأه كتاباً من محمد ابن علي إليه نسخته:

من محمد بن علي إلى إبراهيم بن مالك: أما بعد، فإني بعثت إليكم المختار ابن أبي عبيد نصيحي ووزيري وثقتي وأميني المرضي عندي، للطلب بدماء أهل بيتي فانهض معه بنفسك وعشيرتك وأتباعك ومن أطاعك. فإنك إن نصرتني وساعدت وزيري كانت لك عندي بذلك فضيلة ولك الأعنّة والمنابر وكل بلد ظهرت عليه فيما بين الكوفة وأقصى بلاد الشام.

---

(١) في رواية: فتى بئيس: أي ذو بأس.

فقال ابن الأشتر: قد كاتبت محمد بن علي وكاتبني فما رأيت كتب إليّ قطّ إلا باسمه واسم أبيه لايزيد على ذلك، وقد استربت بهذا الكتاب.

فقام يزيد بن أنس، وأحمر بن شميط، وعبد الله بن كامل بن عمرو الهمداني ثم الشاكري، وورقاء بن عزّاب الأسدي فشهدوا أنه كتاب ابن الحنفية، فتنّحى إبراهيم عن صدر المجلس وأجلس المختار فيه وبايعه.

فمكثوا يدبّرون أمرهم حتى أجمع رأيهم على أن يخرجوا ليلة النصف من شهر ربيع الأول سنة ست وستين، ووطّنوا على ذلك شيعتهم ومن معهم.

فلما كان عند غروب الشمس لليلة النصف وهي ليلة الميعاد، قام إبراهيم ابن الأشتر فصلى المغرب، حين قال القائل: أخوك أم الذئب(1)، ثم أتى المختار.

قال الشعبي: فأقبلنا معه وعلينا السلاح فلم يمكن في تلك الليلة خروج فاتعدّوا لليلة الخميس.

المدائني في إسناده، قال: كان للمختار مجلس يجلس فيه بالطائف ليلاً فرفع رأسه إلى السماء ثم قال متمثلاً:

[من الرمل]

ذو منـاديحَ وذو مُلتَـبطٍ ... وركـابي حيثُ وجـهّـتُ ذَلَـلْ(2)

لاتـذمَّـنْ بلداً تكـرهُـهُ ... وإذا زلّـت بك الـنـعـلُ فَزل

قد والله مات يزيد فما لبثوا أن جاء موته.

- ٣٧ ـ المدائني في إسناده، قال: ركب المختار يوماً مع المغيرة بن شعبة فمرّ بالسوق، فقال المغيرة: أما والله إني لأعرف كلمةً لو دعا بها أريب لاستمال بها أقواماً فصاروا له أنصاراً، ثم لاسيّما العجم الذين يقبلون مايُلقى إليهم، قال المختار: وماهي ياعمّ؟ قال: تدعوهم إلى نصرة آل محمد والطلب بدمائهم. فكانت في نفس المختار حتى دعا.

---

(1) أخوك أم الذئب: تقال عند شدّة الظلام.

(2) مناديح: ذو كثرة وذو سعة. ملتبط: متمرغ ومضطجع ـ اللسان (٩٨)

مقتل إياس بن مضارب وابنه راشد بن إياس

٣٨ ـ قالوا: وبلغ ابن مطيع إجماع المختار بالخروج فأخبر إياساً بذلك وهو على شُرطه، فخرج إياس في الشرط وبعث ابنه راشداً إلى الكناسة، وأقبل يسير حول السوق في الشرط.

وأشار على ابن مطيع أن يبعث إلى كل جبّانة عظيمة رجلاً من ثقاته في جماعة من أهل الطاعة له، فوجّه ابن مطيع عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني إلى جبّانة السَبيع، فقال: اكفني قومك، وبعث كعب بن أبي كعب الخثعمي إلى جبانة بشر بن ربيعة الخثعمي، وبعث زَحْر بن قيس الجعفي[1] إلى جبانة كندة، وبعث شمر بن ذي الجوشن الكلابي إلى جبانة سالم، وبعث عبد الرحمن بن مخنف إلى جبانة مُراد، وأمر كل امرىءٍ أن يتحفّظ ويحكم أمره ومايليه، وبعث شبث بن ربعي إلى السبّخة.

فخرج إبراهيم بن الأشتر إلى المختار ليلة الأربعاء في جماعة عظيمة عليهم الدروع وهم متقلدو السيوف وقد كفروا[2] الدروع بالأقبية وستروا السيوف وفيهم شراحيل وابنه عامر بن شراحيل الشعبي، وقال الشعبي: كان إبراهيم فتىً حدثاً شجاعاً لايكره أن يلقى أحداً من أصحاب ابن مطيع، فمرّ بدار عمرو بن حُريث المخزومي، فلقيه إياس ابن مُضارب في الشرط، فقال: من أنتم؟ قال إبراهيم: أنا إبراهيم بن مالك الأشتر، فقال: ماهذا الجمع معك لقد رابني أمرك ولست بتاركك حتى آتي بك الأمير، وكان مع إياس رجل همداني يُكنى أبا قَطن وفي يده رمح طويل، وكان صديقاً لإبراهيم فاستدناه إبراهيم فدنا منه، وهو يظن أنه يكلمه في مسألة ابن مضارب الإمساك عنه فكلّمه إبراهيم بشيء ثم استلب الرمح منه وحمل على إياس فطعنه في ثغرة نحره فصرعه وأمر رجلاً ممن معه فاحتزّ رأسه وتفرق أصحاب ابن مضارب.

---

(١) جاء في الأصل الخثعمي وهو سهو من الناسخ وصححته كما مر سابقاً الجعفي.

(٢) كفر: كفر فوق درعه: إذا لبس فوقها ثوباً ـ اللسان ـ

فبعث ابن مطيع راشد بن إياس بن مضارب مكان أبيه على الشرط، وصيّر مكـان راشـد بالكنـاسـة سويد ابن عبـد الرحمن بن بجير المنقري أبا القعقاع بن سويد، وبعضهم يقول هو سويد بن عمرو والأول أصح.

وأقبل إبراهيم بن الأشتر إلى المختار، فقال: إنّا اتعدنّا للخروج القابلة وهي ليلة الخميس، وقـد حدث أمـر لابـدّ لنا معه من الخروج الليلة، وأخبره خبر ابن مُضارب وألقى رأسه بين يديه، فقال المختار: بشرّك الله بخير، فهذا أول الفتح، ثم لبس المختار سلاحه وأمر فنودي: يامنصور أمِتْ، وأمر أيضاً فنودي: يالثارات الحسين وجعل يقول:

[من الرجز]

قد علمت بيضـاءُ حسنـاءُ الطَّلَلْ واضحـةُ الخـدَّين عجـزاءُ الكَفَـلْ

أني غداةَ الرَّوْعِ مقدامُ بَطَلْ

وقـال ابن الأشـتر: إن هؤلاء الـذين رتّبهم ابن مطيع في المـواضع يمنعون إخواننا من المصير إلينا وإتياننا فالرأي أن آتي قومي في كتيبتي هذه التي جئت فيها ليجتمعوا، ثم أدور في نواحي الكوفة وأنادي بشعارنا فيخرج إليّ من أراد الخروج، فقـال المختـار: استخـر الله ففعـل إبـراهيم ذلك، وجعل كلما تسرّعت إليه خيل كشفها، ثم عاد يخترق السكك ويجتنب منها سكك الأمراء.

وخـرج المختـار في جماعـة من أصحـابه حتى نزل عند السبخة، ونادى أبو عثمان النهدي في شاكر، ألا إن وزير آل محمد قد خرج وبعثني إليكم، فخرجوا من الدور ينادون: يالثارات الحسين وينادون كعب بن أبي كعب الخثعمي وهو بجبانة بشر حتى يخلي لهم الطريق فأتوا عسكر المختار، وجاء جبّار[1] بن أبجر العجلي فعبّا له المختـار أحمـر بن شميط الأحمسي فقاتله وأقبل إليهم ابن الأشتر، فلما أحسّ به جبّار هرب وأصحابه.

---

(١) في رواية أخرى: حجار.

وتوافى إلى المختار من كل قبيل المئة والمئتين وكانوا يحملون على من عرض لهم حتى تتام إليه ثلاثة آلاف وثمانمئة رجل. فعبأهم المختار وكتّبهم وتوجه ابن الأشتر إلى راشد بن إياس بن مُضارب فلقيه في جبّانة مراد وهو في أربعة آلاف فاقتتلوا، فقَتَل خزيمةُ بن نصر العبسي وأبو نصر بن خزيمة المقتول مع زيد بن علي بن الحسين راشدَ بن إياس، ونادى قتلت راشداً بن إياس، ونادى قتلت راشداً وربّ الكعبة، وانهزم أصحاب راشد، فقالت أخته ترثيه:

[من الطويل]

لحى اللهُ قوماً أسلموا أمس راشداً بجبّانـةِ الـدارَين عنـد مُرادِ
فلا وَلـدتْ عجيلةٌ بعـدَ راشـدٍ غلامـاً ولا حلّتْ بصَـوبِ رعـادِ

وجعل إبراهيم بن الأشتر يحرّض أصحابه، فيقول: إنه ليس مع الحقّ قِلّةٌ، ولا مع الباطل كثرةٌ ﴿فَكَمْ مِن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[1].

---

(1) سورة البقرة رقم: ٢ الآية رقم: ٢٤٩.

أمر حسان بن فائد وحصار ابن مطيع وهربه

٣٩ ـ قالوا: وأقبل إبراهيم ابن الأشتر بعد قتل راشد بن إياس نحو المختار وقدّم البشراء بين يديه بقتل راشد، وقويت أنفس أصحابه، ودَخل ابنَ مطيع وأصحابه الفشلُ والوهن.

فسرّح ابنُ مطيع حسان بن فائد بن بَكَير بن أساف العبسي في نحو من ألفين فاعترض له إبراهيم ليردّه عمن بالسبخة من أصحابه فزحف إبراهيم إليه في أصحابه فما طاعنوا برمح ولا ضاربوا بسيف حتى انهزم أصحاب حسان وظُفر به، فكلّم فيه خزيمة بن نصر العبسي إبراهيم، وقال: ابن عمي، فحمله إبراهيم على فرس، وقال: الحق بأهلك.

وقصد إبراهيم بن الأشتر لشَبث بن ربعي فاعترضه يزيد بن الحارث بن يزيد ابن رويم ليصدّه عنه، فأمر إبراهيم خزيمة بن نصر أن يصمد له فهزمَ خزيمةُ يزيدَ وكشف إبراهيم شبثاً وأصحابه فانهزموا إلى ابن مطيع.

وولى ابن مطيع شرطته بعد إياس وابنه سويد بن عبد الرحمن المنقري أبا القعقاع. واستخلف على المِصْرِ شَبَث بن ربعي وصار إلى مساحق بن عبد الله بن مخرمة القُرشي ثم العامري[1]، ومال إلى ابنه نوفل بن مساحق خمسة آلاف فاجتمعت مقاتلة ابن مطيع إليه، وقد صار إلى الكناسة، فدلف إليهم ابن الأشتر، وقال لأصحابه: انزلوا ولا يهولنّكم آل فلان وآل فلان فإن هؤلاء الذين ترون لو قد وجدوا وقع السيوف انفرجوا عن ابن مطيع انفراج المعزى، ثم أخذ أسفل قبائه فأدخله في منطقة له حمراء من حواشي البرود، ثم قال لأصحابه: شدّوا عليهم فداكم عمي وخالي[2] فما لبثوا أن انهزموا وركب بعضهم بعضاً على أفواه السكك وازدحموا.

---

(١) قريش عمارة منها فخذ عامر بن لؤي فينسب أولاً: إلى العام ثم إلى الخاص.

(٢) العرب تفدي وهنا فدّاه بقرابته العصب وقرابته اللحمه يعني قرابته من قبل أبيه وقرابته من قبل أمه.

وانتهى ابن الأشتر إلى مساحق أو ابن مساحق فرفع عليه السيف، فقال له: يابن الأشتر هل بيني وبينك إحنة[1] أو عداوة أو لك قبلي ثأر تطلبني به، فخلّى سبيله، فكان بعد ذلك يشكره.

وأتى ابن مطيع القصر واتبعه ابن الأشتر، وجاء المختار حتى دخل المسجد، وولي حصار ابن مطيع في القصر إبراهيم بن الأشتر وأحمر بن شميط ويزيد بن أنس الأسدي، فصار كل امرىءٍ منهم في ناحية من القصر، ومكث ابن مطيع ثلاثاً يرزق أصحابه الدقيق ومعه أشراف الناس إلا عمرو بن حريث فإنه دخل القصر معه ثم كره الحصار فخرج من الكوفة.

وأشار شَبث بن ربعي على ابن مطيع أن يأخذ لنفسه أماناً ويخرج، فأبى ذلك وقال: الأمر مستقيم بالحجاز لأمير المؤمنين عبد الله بن الزبير وبالبصرة، فكيف أرضى بهذه المنزلة، فقال: فإذ كرهت هذه فصِرْ إلى بعض من تثق به سرّاً فاستخف عنده ثم الحق بأمير المؤمنين. فقال لأسماء بن خارجة بن حصن الفزاري، وعبد الرحمن بن مخنف وأشراف أهل الكوفة ماترون فيما أشار به شبث، قالوا: نِعم الرأي. قال: ننتظر المساء. وطلع من القصر رجل فشتم المختار، فرماه عمرو بن مالك النهدي أبو نمر بسهم فعقره ولم يقتله. فقال:

[من الرجز]

خُذها من ابنِ مالكْ من فاعلٍ كذلكْ

ولما أمسى ابن مطيع جمع الأشراف الذين معه فقال: جزاكم الله عن الطاعة خيراً، أما إني سأعلم أمير المؤمنين بما كان من محاماتكم وجِدّكم واجتهادكم، فقال: شبث: جزاك الله من أمير خيراً فقد عففت عن أموالنا وأكرمت أشرافنا ونصحت لإمامك وقضيت الذي عليك، وماكنا لنفارقك إلاّ بإذن منك، فقال: ليذهب كل امرىءٍ منكم إلى حيث أحبّ، ثم احتال للخروج من ناحية دار الروميين حتى أتى إلى آل أبي موسى.

---

(١) الإحنة: الحقد في الصدر ـ اللسان ـ

وخلا القصر واستأمن أصحابه، فأمّنهم ابن الأشتر وخرجوا، فدخل المختار.

قالوا ودخل المختار القصر في اليوم الرابع من حصار ابن مطيع فقال:

الحمد لله الذي وعد وليّه النصر وعدوّه الخُسْر وجعله فيه إلى آخر الدهر وعداً مفعولاً، وقضاءً مقضيًا، وقد خاب من افترى، إنه قد رُفعتْ لنا رايةٌ ومدّت لنا غايةٌ، فقيل لنا في الراية ارفعوها ولا تضعوها، وفي الغاية اجروا إليها ولا تعتدوها، فسمعنا دعوة الدّاعي وإهابة الراعي، فكم من ناعٍ وناعية لقتيل في الواعية. وبُعداً لمن طغى وكذب وتولّى. ألا ادخلوا أيها الناس فبايعوا بيعة هُدى فوالذي جعل السماء سقفاً مكفوفاً والأرض فجاجاً مُسبلاً مابايعتم بعد بيعة أمير المؤمنين عليّ وآل علي بيعة أهدى منها.

فبايعه الناس على كتاب الله وسنّة نبيّه والطلب بدماء أهل البيت وجهاد المحلّين والدفع عن الضّعفاء وقتال من قاتله وسلم من سالمه والوفاء بعهده، وبيعته لاأُيقيل ولا يستقيلون. فكان الرجل إذا عرض عليه ذلك فقال نعم ماسحه. فجاء المنذر بن حسان بن ضرار الضّبي ومعه ابنه فرآهما جماعة من الشيعة كانوا وقوفاً مع سعيد بن منقذ الهمداني، فقالوا: هذا والله من رؤساء الجبّارين فشدّوا عليه وعلى ابنه فقتلوهما، فصاح سعيد: لاتعجلوا.

وبلغ ذلك المختار فكرهه حتى استبينت في وجهه كراهته.

حال المختار بعد أخذ البيعة:

٤٠ ـ وبعث المختار إلى ابن مطيع: إني قد عرفت مكانك وقد ظننت أن بك عجزاً عن النهوض وقد دفعت إليك بمئة ألف درهم، فقبلها ابن مطيع وشخص عن الكوفة.

وكان المختار قد وجد في بيت مال الكوفة تسعة آلاف ألف درهم، فأعطى أصحابه ومن بايعه، وأحسن المختار مجاورة أهل الكوفة والسيرة فيهم وأكرم

الأشراف وولى شرطته عبد الله بن كامل الشاكري، وولى حرسه كيسان مولى عُرَينة ويُكنى أبا عمرة، وهو صاحب الكيسانية[1] وولى المختار عماله وولى عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الموصل، وكان عبد الله بن الزبير كتب إلى ابن مطيع في تولية محمد بن الأشعث الموصل فولاّه إياها، فلما وردها عبد الرحمن بن سعيد انحاز ابن الأشعث إلى تكريت، وكتب بخبره إلى ابن الزبير، فكتب إليه ابن الزبير: قد فهمت كتابك ولا عذر لك عندي فيما فعلت، أتخلّي أرض الموصل وخراجها وحصونها من غير جهاد ولا إعداد وقد خرطتك[2] عليها، فأنت تأكل منها الكثير وتبعث إليّ بالقليل، فوالله لو لم تقاتل مناصحة لإمامك ولا طلباً لثواب ربك لكنت حرياً بأن تقاتل عن بلد أنت أميره لك خيره وعليك عيبه، فلم تفعل ذلك غضباً ولا محاماةً على سلطانك فلست في أمر دنياك بالحازم القوي ولا بأمر آخرتك بالخائف التقيّ، فقد عجزت عن عدوك وضيّعت ماوليتك والسلام.

وأتاه عبد الرحمن بن محمد ابنه، فقال له: على ماذا تقيْم في غير عزٍ ولا منعة ولا انتظار قوّة، فلم يزل به حتى قدم الكوفة ودخل على المختار فسلم عليه ودعا له وهنّأه وعرض عليه أن يجلس للقضاء ثم إنه تمارض، فقيل للمختار إنه عثماني، فصيّر على القضاء عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ثم مرض، فصيّر مكانه عبد الله ابن مالك الطائي فأبى ذلك، فأجلس المختار شريحاً للقضاء.

وكان إبراهيم بن همام السلولي الشاعر عثمانياً، وكان سمع رجلاً من الشيعة نال من عثمان فعنّفه واستخفى، وحين ظهروا وقوي أمرهم قال في المختار شعراً وأتاه فأنشده إياه فحمله المختار على فرس، وقال لأصحابه إنه قد أثنى عليكم، فأعطاه قيس بن طهفة النهدي فرساً ومِطرفاً، ووثب به قوم من الشيعة فأجاره ابن الأشعث فامتنعوا منه، وسمع المختار الضوضاء، فخرّج إليهم فقال:

---

(١) الشيعة التابعة للمختار وبه سميت كيسانيه.

(٢) خرطتك عليها: أي وليتك عليها بغير رضى أهلها ـ اللسان ـ

إذا قيل لكم خيراً فاقبلوا، وإذا قدرتم على مكافأة فافعلوا أولا فتنصّلوا، واتقوا لسان الشاعر فإن شره حاضر وقوله جارحٍ، ومضى به إبراهيم بن الأشتر إلى منزله فأعطاه ألف درهم وفرساً.

وكان ابن همّام حين حُصر ابن مطيع بالقصر فتدلّى منه مع ناس تدلّوا أيضاً، فقال:

[من الكامل]

لما رأيتُ القصرَ أُغلقَ بابَهُ ... وتعلّقت همدانُ بالأسبابِ

ورأيت أفواهَ الأزقّةِ حولَنا ... مُلئت بكلِّ هِراوةٍ وذئابِ

ورأيتُ أصحابَ الدقيقِ كأنّهم ... حولَ البيوت ثعالبُ الأسرابِ

أيقنت أنَّ إمارة ابنِ مُضاربٍ ... لم يبق منها فيشُ أيرِ ذُبابِ

أخبار عبيد الله بن زياد بعد معركة عين الوردة

٤١ ـ وكان عبيد الله بن زياد حين أوقع بالتوابين بعين الوردة، وحاول الظفر بزُفَر بن الحارث فلم يمكنه فيه شيء، أقبل نحو الموصل فكتب عبد الرحمن بن سعيد بن قيْس الهمداني إلى المختار يعلمه أن خيل عبيد الله بن زياد قد أشرفت على الموصل، وأنه ليس معه خيل ولا رجال وأنه خائف أن يعجز عنه وانحاز إلى تكريت.

فولى المختار يزيد بن أنس بن كلاب الأسدي الموصل وأمره أن لايناظر عدوه وأن ينتهز الفرصة منه إذا أمكنته وقال له: إني ممدّك بمددٍ بعد مدد وإن ذلك أشدّ لعضدك وأعزّ لجندك وأهدّ لعدوك، ثم ضم إليه ورقاء بن عازب الأسدي وسعر بن أبي سعر الحنفي.

وبعث ابن زياد بين يديه ربيعة بن المخارق الغَنَوي، وعبد الله بن حملة بن عبد الرحمن الخثعمي في ستة آلاف هذا في ثلاثة آلاف وهذا في ثلاثة آلاف وسبق ربيعة إلى يزيد، فخرج إليه يزيد في الناس وهو مريض لما به وذلك في ذي الحجّة سنة ست وستين.

فجعـل يحرض النـاس ويأمـرهم بالصّـبر والجدّ والعزم، ثم التقوا من لدن طلوع الشمس إلى ارتفاع الضحاء فهزم المختارية ربيعة وأصحابه وحَووا عسكرهم وقُتِـل ربيعـة بن المخـارق قتله عبـد الله بن صبرة، ولم يُمس يزيد حتى مات، فانصرف أصحابه كراهة أن يقيموا بعد أميرهم.

فولّى المختارُ إبراهيمَ بن الأشتر الموصل وأمره أن يردّ جيش يزيد بن أنس معه إلى المـوصل. فلما خرج من الكوفة أرجف أهلها بالمختار وطمعوا فيه، فكتب إلى إبراهيم بالرجوع وكان أصحاب المختار يسمّون الخشبية لأن أكثرهم كانوا يقاتلون بالخشب، ويقال إنهم سمّوا الخشبية لأن الذين وجّههم المختار إلى مكة لنصرة ابن الحنفية أخـذوا بأيديهم الخشب الـذي كان ابن الزبير جمعه ليحرق به ابن الحنفية وأصحابه فيما زعم، ويقال بل كرهوا دخول الحرم بسيوف مشهورة، فدخلوه ومعهم الخشب ولم يسلوا سيوفهم من أغمادها.

وحدثني عباس بن هشام عن أبيه قال: أتى يزيد بن أنس الأسدي بأسرى وهو لما به فجعل يقول: اقتل اقتل حتى ثقل لسانه، فجعل يُومىء بيده حتّى ثقلت يده، فجعل يومىء بحاجبه حتى مات على تلك الحال.

وقال الهيثم بن عدي: لما وّجه المختار يزيد بن أنس الأسدي فوجّه إليه حصين ابن نمـير فقـدّم أمامه حَمَلة بن عبد الرحمن الخثعمي فالتقوا بباتليّ فقُتل حملة وأتى يزيد بستة آلاف أسير، فضرب أعناقهم وهو يكيد بنفسه ثم مات.

وقدم مصعب على البصرة والكوفة في أوّل سنة سبع وستين، فتوقف عن قتال المختار حيناً.

يوم جبانة السبيع

٤٢ ـ قالوا: ولما سار ابن الأشتر يريد الموصل تواطأ أهل الكوفة على حرب المختار، وقالوا: إنما هذا كاهن فخرج عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني بجبّانة السَّبِيع، وخرج زَحْر بن قيس الجُعفي، وإسحاق بن الأشعث في جبانة كندة، وخرج كعب بن أبي كعب الخثعمي في جبانة بشر، وخرج عبد الرحمن بن مَخنف في الأزد، وخرج شمر بن ذي الجوشن في جبانة بني سلول، وخرج شَبث بن ربعي بالكناسة في مضر، وخرج حجّار بن أبجر العجلي ويزيد بن الحارث بن يزيد ابن رويم في ربيعة بناحية السبخة، وخرج عمرو بن الحجاج الزُبيدي في جبانة مراد، وبلغ من في جبّانة السبيع أن المختار عزم على معاجلتهم.

فأقسموا على من في النواحي من الأشراف اليمانية أن يصيروا بأصحابهم إليهم، فتواقفت اليمانية جميعاً في جبانة السبيع، ويقال: إن عمرو بن الحجاج الزُبيدي وحده أقام فيمن معه بجبانة مُراد ولم يأتيهم.

وأقبل إبراهيم بن الأشتر من المدائن مُجدّاً في السير مجذماً[1] له حتى قدم الكوفة ووافى المختار، فرأى المختار أنه إن وجّه إبراهيم قبال قومه بجبانة السبيع لم يبالغ فيه، فقال له: ازحف أنت إلى شَبَث فقاتل المضريّة بالكناسة وأمضي أنا إلى جبانة السبيع. فتقدّم إبراهيم لأمره ومضى هو حتى صار في طرف الجبّانة، ووجه أحمر بن شُميط وابن كامل إلى من بها وأمرهما يعبّئا لهم، وانتهى ابن الأشتر إلى مضر اليمن[2] فقاتلهم قتالاً شديداً فهزمهم، ولَقِي ابن شميط وابن كامل أهل اليمن بجبانة السبيع وقد صار إليهم شمر بن ذي الجوشن، ويقال لم يصر إليهم وإنما صار إلى مُضر فهُزم ابن شُميط حتى لحق أصحابه بالمختار. وصبر ابن كامل في جماعة من أصحابه فأمدّه المختار بثلاثمئة رجل مع عبد الله بن قُراد الخثعمي ثم ثابت إلى ابن شميط ثائبة من أصحابه فقاتل وقاتلوا، وبعث المختار بأبي القلوص

---

(١) الجذم: القطع ورجل مجذام قاطع للأمور فَيصل.

(٢) مضر اليمن: لم أجد معنى لكلمة اليمن إلا أن تكون الكناسه كانت لليمن فيعني مضر التي بكناسة اليمن.

ومعه جماعة من شبام. فدخلوا الجبانة وهم ينادون: يالثارات الحسين، ونادى أيضاً أصحاب ابن شميط وابن كامل: يالثارات الحسين وحملوا فلم يلبثوا أن هزموا من بجبانة السبيع.

فلما هُزمت مضر واليمن تفرقت ربيعة وكل من اعتزى إلى اليمن ومضر، ويقال بل أتى أولئك أصحاب المختار فقاتلوهم أيضاً قتالاً خفيفاً حتى تفرقوا.

وقال قوم: بل قاتل يومئذ بجبانة السبيع رفاعة بن شداد البجلي مع المختار، وهو يقول: [من الرجز]

أنا ابن شدّادٍ على دين عَليّ ... لستُ لعثمانَ بن أروى بوَلي

لأَصْلَينَّ اليومَ فيمن يَصطلي ... بِحَرِّ نار الحرب غيرَ ملتوي

وقال آخرون إنه قاتل يومئذ مع أهل الكوفة فقُتل، ويقال إنه نفي بعد المختار، وذلك الثبت.

أخبار المختار

٤٣ - حدثنا عفان ثنا حماد بن سلمة ثنا عبد الملك بن عُمَير حدثني رفاعة بن شدّاد، وقال:

كنت أقوم على رأس المختار فلما عرفت كذبته هممت وايم الله أن أضرب عنقه. فذكرت حديثاً حدّثنيه عمرو بن الحمق عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من أمن رجلاً على نفسه فقتله أُعطي لواء غدر يوم القيامة».

وحدثني أبو أيوب الرقي المعلّم عن عيسى بن يونس عن نُصَير بن أبي نُصَير عن إسماعيل السدي عن رفاعة، قال:

دخلت على المختار وإذا وسادتان ملقاتان، فقال: يافلان ائت فلاناً لرجل دخل بوسادة، قلت: وماهاتان الوسادتان؟ فقال: قام عن إحداهما جبريل وعن الأخرى ميكائيل، فوالله إن منعني أن أضربه بالسيف، إلا حديثٌ حدّثني به عمرو ابن الحمق، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من ائتمنه رجل

على دمه فقتله فأنا منه بريء ولو كان المقتول كافراً».

وقال الهيثم بن عدي: كان المختار يقول: العجب كل العجب بين جمادى ورجب. وكان يقول: أحياء وأموات وجميع وأشتات، والموجبة الواجبة جباجبه.

مقاتلة النعمان بن صُهبان يوم جبانة السبيع.

٤٤ ـ قاتل النعمان بن صُهبان يوم جبانة السبيع فقتل، قال: وقاتل رفاعة بن شداد مع أهل الكوفة، قالوا: وقتل المختار يوم جبانة السبيع النعمان بن صُهبان الراسبي، وكان ناسكاً شيعياً قدم من البصرة ليقاتل مع الشيعة، ويطلب بدم الحسين فسمع من المختار كلاماً أنكره فقاتله مع أهل جبانة السبيع حتى قتل، والفرات بن زَحر، وعمرو بن مخنف، ومالك بن حزام بن ربيعة، وهو ابن أخي لبيد بن ربيعة الشاعر، ويقال بل قتل مع المضرية.

قالوا: ولما هُزم أهل جبانة السبيع، استُخرج من دور الوادعين من همدان خمسمئة أسير فأتي بهم المختار فقتل منهم من كان شهد مقتل الحسين فكانوا مئتين وثمانية وأربعين، ويقال كانوا مئتين وخمسين.

وكان سراقة بن مرداس البارقي صنع أشياء فجعل يقول:

[من الرجز]

امنُنْ عليَّ اليومَ ياخير مَعدّ ... وخير من لبّى وحيّا وسجد

فأمر به فحُبس ليلة ثم خلاه، فقال شعراً ذكر فيه أنه رأى الملائكة تقاتل مع المختار على خيل بلق، فأمره المختار أن يصعد المنبر فيعلم الناس مارأى ففعل، ثم هرب إلى مصعب بن الزبير وهو بالبصرة، فقال:

[من الوافر]

ألا أبلغ أبا إسحاقَ أني ... رأيتُ البُلقَ دُهْماً مُصْمتاتِ

كفرتُ بوحيكم وجعلتُ نذراً ... عليّ قتالكم حتّى المماتِ

أري عينيَّ مالم تبصراهُ ... كلانا عالمٌ بالتُّرهاتِ[1]

---

(١) ذكر الطبري أربع أبيات. ج: ٦ ص: ٥٥.

وأخـذ المختـار سُحيماً مولى عتبة بن فرقد السلمي وكان يُكثر الكلام فيه، فقال: أنت القائل قاتلوا الكذاب، وما علمك أني كذّاب، فضرب عنقه.

وقال عبد الله بن همام السلولي:

[من الطويل]

وفي ليلةِ المختـارِ مايُذهـلُ الفَتى ... ويُلهيهِ عن رُود الشبابِ شَمـوعِ
دعـا يالثّـارات الحسينِ فأقبلَت ... كتـائـبُ من همدانَ بعـد هزيعِ
ومن مَذحجٍ جاء الرئيسُ بنُ مالكٍ ... يقُـودُ جُموعـاً عُبئـت لجمـوعِ
ومـن أسـدٍ وافى يزيدُ لنصره ... بكـلِّ فتىً ماضي الجنـانِ منيعِ [1]

وزعم بعضهم أن شبث بن ربعي قتل يومئذ واحتجّ بشعر أعشى همدان حين يقول:

[من الطويل]

جزى اللهُ إبـراهيمَ عن أهـلِ مصرهِ ... جزاء امـرىءٍ عن وجهة الحقّ ناكبِ
سما بالقنـا من أرض ساباط مُرقلاً ... إلى المـوت إرقالَ الجمالِ المصاعبِ
فصبَّ على الأحياء من صَوب ودقهِ ... شآبيب موتٍ عُقّبت بالخـرائبِ
فأضحـى ابنُ ربعيٍ قتيلاً مُجدّلاً ... كأن لم يُقـاتـل مرّةً ويُحـاربِ
فأمّـا أبـو إسحـاق فانصـاع سائراً ... إلى عسكـرٍ جمِّ القنـا والكتـائبِ
فلمّا التـقينـا بالسَّـبيع وأنسلوا ... إلينـا ضربنـا هامهم بالقـواضبِ
فما راعنـا إلا شبـامٌ تحسُّنـاً ... بأسيافها لا أُسقيت صوب هاضبِ
أيقتُلنـا المختـارُ ظُلماً بكُفـرهِ ... فيالـك دهـراً مُرصـداً بالعجـائبِ

ومن نفى قتل شبث يومئذٍ روى هذا البيت: فأضحى ابنُ صُهبانٍ قتيلاً مجدّلاً. وذلك الثبت والأول غلط، وإنما مات شبث حتف أنفه.

---

(١) من مذحج جاء إبراهيم بن مالك الأشتر النخعي والنخع من مذحج وهو جسر لقب النخع بن حرب بن عُلة بن جلد بن مالك الذي هو مذحج ومن أسد يعني يزيد بن أنس الأسدي.

وكانت وقعة الجبانة في ذي الحجة سنة ست وستين.

فلما فرغ المختار منها أمر إبراهيم بن الأشتر بالمسير للقاء عبيد الله بن زياد.

وطلب قتلة الحسين وأهله وجعل يقول في سجعه: أما ومنشىء السحاب، شديد العقاب، سريع الحساب، مُنزل الكتاب، العزيز الوهّاب، القدير الغلّاب، لننبشنّ قبر كثير بن شهاب[1] المفتري الكذّاب، المعيب العيّاب، المحرّم المرتاب. ثم لأبعثنّ الأحزاب إلى بلاد الأعراب، ثم لأورثّن دورهم وقصورهم وأموالهم للصابرين الصادقين السامعين المنيبين. وكان يقول:

وربِّ البلد الأمين، وحرمة طور سنين، لأقتلنّ الشاعر الهجين[2]، أعشى الناعطيين[3] وسوء برق البارقين ابن الأمة من جلولاء خانقين[4]، والذي مننت عليه فكفر وتابعني فغدر، وغداً يلقى فينحر ثم يصير إلى سقر فيذوق فيها العذاب الأكبر[5]. وويل لابن همام[6] اللعين وأخي الأسديين[7]، أولئك أولياء الشياطين،

---

(١) كثير بن شهاب الحارثي الذي حمل حجر بن عدي وجماعته من الكوفة إلى معاوية فقتلهم بمرج عذراء وأعان على قتل مسلم بن عقيل.

(٢) الهجين الذي أبوه عربي وأمه غير ذلك.

(٣) الناعطيين يعني أعشى همدان وناعط من همدان ولكن ليس من البطن ناعط وهو ناعط واسمه ربيعة بن مرثد بن جشم بن حاشد بن خيران بن نوف بن همدان. وأعشى همدان واسمه عبد الرحمن بن الحارث بن نظام بن جشم بن عمرو بن مالك بن عبد الحي بن زيد بن حرب بن قيس بن عامر بن مالك بن جشم بن حاشد. فليتقى مع ناعط في جشم بن حاشد ـ نسب معد اليمن الكبير ـ

(٤) لم أجد مايدل من الكتب التي تحت يدي على أن أم أعشى همدان أمة.

(٥) يعني فيه عبد الله بن الزبير كما هو موضح بهامش المخطوط، وجاء في الطبعة العراقية دار المثنى المصورة عن الطبعة العبريه من دون و، فأصبح الكلام يعني أعشى همدان وهذا خطأ.

(٦) يعني بابن همام: عبد الله بن همام السلولي الشاعر والذي هجا المختار ؏ كما مر سابقاً.

(٧) أخو الأسديين: يعني به فضالة ابن شريك الأسدي الذي هجاه أيضاً.

وإخـوان الكـافـرين الـذين قرفـوا[1] عليَّ الأباطيل، وتقوّلوا عليّ الأقاويل فسمّوني كذّاباً، وأنا الصادق المصدوق، وكاهناً وأنا النجيب الفاروق.

وطـوبى لعبـد الله وعبيدة[2] وأخي ليلى[3] الطريدة ذوي الأخلاق الحميدة، والمقالة السديدة والأنفس السعيدة.

وقـال أيضـاً: أما والذي خلقني بصيرا، ونوَّر قلبي تنويرا، لأحرقن بالجمر دورا ولأنبشنّ قبورا. ولأقتلنّ جبّاراً كفورا.

وقال أيضاً: في صفر الأصفار يُقتل كل جبار على يد المختار.

وكان يقول: أما ورب الجبال الشمّ، الشوامخ الصمّ، لأقتتلنّ أزدعمان بكل شيعيّ يمان، من مَذحج وهمدان، ولأبيرنَّ عبساً وذُبيان وتميماً أولياءَ الشيطان، حاشا النجيب ظَبيان[4].

وقــال: أمــا ورب القلم واللوح ذي الكـرم، لَتـدَيننَّ لي العـرب والعجم ولَتتخذنّ من تميم خدم.

وقـال: أمـا والسميع العليم العزيز الكريم لأعرُكَّنَّ عُمان عَركَ الأديم، ثم لأتخذَنّ خدماً من تميم.

وكان يمسح رأس ابنته. ثم يقول: صلى الله على عيسى بن مريم، لأنه فيما يزعمون، كان يقول: سيتزوجها المسيحُ ابن مريم عليه السلام.

---

(١) قرفوا: بغوا عليه ـ اللسان ـ

(٢) عبد الله بن كامل وعبيدة بن عمرو البدّي ثم الكندي.

(٣) هي ليلى بنت قمامة المزنية وأخوها رفاعة بن قمامة من شيعة علي ـ الطبري: ج ٦ ص: ١٠٣ ـ

(٤) ظبيان بن عمارة التميمي.

مقتل عمر بن سعد بن ابي وقاص ومن شرك في دم الحسين عليه السلام

٤٥ ـ حدثني عباس بن هشام عن أبيه عن عوانة. قال:

كان لعمر بن سعد بن أبي وقّاص جعبة فيها سياط، وقد كتب على سوط منها عشرة وعلى آخر عشرين إلى خمسمئة، فغضب على غلام له فضرب بيده إلى الجعبة فخرج سوط المئة، فجلده مئة.

فأتى الغلامُ سعدَ بن أبي وقّاص رضي الله عنه وهو يبكي وقد سال دمه على عقبيه، فقال سعد: اللهم اقتل عمر وأسل دمه على عقبيه، فمات الغلام وقتل المختار عمر بن سعد، وكان سعد مستجاب الدعوة.

قالوا: ولما هُزم الناس يوم جبّانة السبيع، خرج أشراف أهل الكوفة فلحقوا بمصعب بن الزبير وقد قدم البصرة والياً على العراقين.

فقال المختار: ليس من ديننا أن ندع قوماً قتلوا الحسين يمشون على الأرض، ويقال إنه بلغه أن ابن الحنفية، قال عجباً للمختار يزعم أنه يطلب بدمائنا وقتلة الحسين جلساؤه وحدّاثه يحترفون في المِصر. فحرّكه ذلك حركاً شديداً.

فقال ذات يوم: والله لأقتلن رجلاً عظيم القدمين غائر العينين مُشرف الحاجبين أسرُّ بقتله المؤمنين، والملائكة المقرّبين، وكانت هذه صفة عمر بن سعد، فسمعها الهيثم بن الأسود وهو عند المختار. فدسّ ابنه العُريان بن الهيثم إلى عمر فأخبره بقول المختار.

وقد كان المختار سأل عن ابن سعد، فأخبر بأنه مستخف، فكتب له أماناً على نفسه وأهله ولا يؤخد بحدث كان منه مالزم مِصره ومنزله، فلما أبلغ العُريان عمر بن سعد رسالة أبيه همّ بالخروج عن المِصر، ثم قيل له: إن هذا قول باغ، فأقام في منزله، فبعث المختار أبا عمرة كيسان مولى عُرينة[1] وهو على حرسه إليه

---

(١) عُرينة: بطن من كلب بن وبرة وهو عُرينة بن ثور بن كلب بن وبرة.

سرّا وأمره أن يأتيه برأسه.

فدخل أبو عمرة عليه داره وعنده أهله فضرب عنقه وأتى المختار برأسه، وعند المختار حفص بن عمر بن سعد، وهو لايعرف القصة، فقال له المختار: ياحفص تعرف هذا الرأس؟ قال: نعم هذا رأس أبي حفص فقبّح الله العيش بعده، قال: فإنك لاتعيش بعده وأمر به فضُربت عنقه، ثم بعث برأسيهما إلى ابن الحنفية، وقال: هذا بالحسين وهذا بعلي بن الحسين ولا سواء.

فقيل له: أمّنته على أن لايحدث حدثاً ولم يحدث، فقال: سبحان الله ألم يدخل الخلاء مذ أمّنته! ثم بعث معاذ بن هانيء الكندي، وأبا عمرة، ومَعْبد، بن سلمة الحضرمي فأحاطوا بدار خولي بن يزيد الأصبحي[1] صاحب رأس الحسين فاختبأ في مخرجه، فطلبوه فخرجت إليهم امرأته، فقالوا لها: أين زوجك، قالت: لا أدري وأشارت بيدها إلى المخرج، فدخلوا عليه فوجدوا على رأسه قوصرة، فأخرجوه.

وأقبل المختار حين بلغه أخذه فقتله إلى جانب منزله ثم أمر به فأحرق، فلم يبرح حتى صار رماداً.

وكانت امرأته تسمى العَيُوف[2] وكانت حين أتاها برأس الحسين قد نفرت منه فكانت لاتكتحل ولا تتطيب، وقالت: والله لايرى مني سروراً أبداً.

ولما هُزمت مضر يوم الجبّانة خرج شَمِر بن ذي الجوشن يركض فرسه خارجاً من الكوفة، واتبعه غلام للمختار يقال له زربي فعطف عليه شَمِر فقتله ولحق ببعض القرى فنزلها وكتب إلى المصعب ووجّه فيجاً[3] فأخذت الفيج مسلحة للمختار فسألوه عن صاحب الكتب[4] فدلّ على القرية التي هو فيها، فانتهى الأمر

---

(١) الأصبحي: أي من بني ذي أصبح وهو بطن من حمير.

(٢) جاء سابقاً في مقتل الحسين إسمها النوار بنت مالك الحضرمي.

(٣) الفيج: فارسي معرب وهو الرسول الذي يسعى على رجليه ـ اللسان ـ

(٤) الكتب: هكذا في الأصل ويظهر كان معه أكثر من كتاب واحد وفي الطبعة العبريه الكتاب.

إلى المختـار فوجّه إلى شمر خيلاً فلم يشعر إلا وقد أحاطوا بالقرية، فخرج إليهم يقاتلهم، وهو يرتجز ويقول:

[من الرجز]

نبّـهتُـمُ ليث عرينٍ باسـلا   لم يُرَ يومـاً عن عدوٍّ ناكـلا
إلا كذا مقابلاً أو قاتلا

فقيل: قتله عبد الرحمن بن عبد الله الهمداني طعنه في ثغرة نحره، ونادى: يالثـارات الحسين، ثم أوطأه الخيل وبه رمق حتى مات، ثم احتز رأسه وأتى به المختار، ونُبذت جيفته للكلاب.

وكـان حكيم بن طفيل الطائي سلب العباس بن علي ثيابه ورمى الحسين بسهم، فكان يقول: تعلّق سهمي بسرباله وماضرّه، فبعث إليه عبد الله بن كامل فأخذه فاستغاث أهلهُ بعديّ بن حاتم، فكلم فيه ابن كامل، فقال: أمره إلى الأمير المختار وبادر به إلى المختار قبل شفاعة ابن حاتم إلى المختار، فأمر به المختار فعُرّي ورُمي بالسهام حتى مات.

وكـان زيد بن رُقَـاد الجنبي[1] يقـول: رميت فتىً من آل الحسين ويده على جبهتـه فأثبتهـا في جبهتـه، وكان ذلك الفتى عبد الله بن مسلم بن عقيل بن أبي طالب، وكـان رمـاه بسهم فلق قلبـه، فكـان يقول: نزعت سهمي من قلبه وهو ميت، ولم أزل أنضنض سهمي الـذي رميت به جبهتـه فيهـا حتى انتزعته وبقي النصل، فبعث إليه المختارُ ابنَ كامل في جماعة، وقال لهم: لاتضربوه ولا تطعنوه، ولكن ارموه بالنبل والحجارة ففعلوا ذلك حتى سقط، ودعا له ابن كامل بنار فحرقه بها وبه حياة حتى صار رماداً، ويقال: إنه سلخه وهو حيّ حتى مات.

وكان عمرو بن صبيح يقول: طعنتُ فيهم فخرجت وماقتلت، ويقال: إنه رمى عبدَ الله بن مسلم بالسهم في جبهتـه، وإن زيد بن رُقَـاد فلق قلبه. فبعث المختار إلى عمرو فأُتي به له، فلما أصبح أُدخل إليه مقيّداً وحضر الناس، فأمر به

---

(١) جاء اسمه في مقتل الحسين زياد بن ورقاء، انساب الأشراف، ج ٥ : ص ٤٩٧

فعُرّي ثم طُعن بالرماح حتى مات ثم أُحرق. ولما نُزعت ثيابه جعل يقول: أماوالله لو أن سيفي معي لعلمتم أني بنصل السيف غير رعش ولا رِعديد[1]، ومايسرني أني إذ كانت منيتي القتل أنه قتلني غيركم السَّحرة الكفرة.

وكان مالك بن النُّسير البدّي[2] الذي ضرب الحسين بن عليّ على رأسه وعليه برنس فامتلأ دماً فألقاه فجاء فأخذه، فبعث المختار إليه مالك بن عمرو النهدي وقد دُلّ عليه فجاء به، فأمر بنار فأجّجت في الرحبة عظيمة، ثم أمر فقُطعت يده وألقيت في تلك النار، ثم قُطعت رجله فألقيت فيها وهو ينظر، فلم يزل يفعل ذلك بعضوٍ بعد عُضوٍ حتىَ مات.

ودُلّ المختـارُ أيضاً على عبد الله بن أسِيد الجهني، وحَمَل بن مالك المحاربي فجاء بهما مالك بن عمرو النهدي فضُربت أعناقهما.

ودُلّ المختار أيضاً على عمران بن خالد العنزي، وعبد الرحمن بن خُشكاره البجلي، وعبد الله بن قيس الخولاني، وهم أصحاب الحلل والورس، وعدّة كانوا أخـذوها معهم، فبعث إليهم ابن كامل فأتاه بهم، فلما أدخلوا إليه، قال: ياقتلة الصالحين وأبناء النبيين لقد أقاد الله منكم، ثم قال: اضربوا أعناقهم لقد جاءكم الورس بيوم نحس فضُربت أعناقهم في السوق.

وبعث المختـار السـائب بن مالـك الأشعري في خيل فأخذ عبدَ الله وعبد الرحمن ابني وهب الهمداني وهُما ابنا عم أعشى همدان فأمر بهما المختار فقتلا في السوق.

وطُلب حُميد بن مسلم فنجا، وقال:

[من مجزوء الوافر]

ألم تَرني على دَهشٍ	نجـوتُ ولم أكـد أنـجـو
رجـاءُ الـلهِ أنـقـذني	ولم أكُ غيرهُ أرجـو

---

(١) رِعديد: جبان يُرعد عند القتال جُبناً ـ اللسان ـ

(٢) البدّي: بطن من كندة وهو بدّا بن الحارث ن معاوية بن ثور وهو كندة. (٦٧)

ووجّه المختار في طلب عثمان بن خالد الجهني، ونسر بن شوط القابضي من همدان، وهما قاتلا عبد الرحمن ابن عقيل بن أبي طالب، فظفر بهما فضربت أعناقهما ثم أحرقا، فقال أعشى همدان، وهو عبد الرحمن بن الحارث بن نظام الهمداني:

[من البسيط]

ياعينُ بكّي فتى الفتيان عُثمانا	لايبعدنّ الفتى من آل دُهمانا
واذكر فتىً ماجداً عفّاً شمائله	مامثلُه فارسٌ في آلِ همدانا

وبعث المختار إلى مُرّة بن منقذ قاتل علي بن الحسين عليهما السلام ابنَ كامل فأحاط بداره، وكان (مرة بن)[1] منقذ شجاعاً فخرج عليهم وبيده الرمح وهو على فرس جواد فطعن عبيد الله بن ناجية الشبامي فصرعه، ولم يضرّه وضربه ابن كامل فشلّت يده ونجا فلحق بمصعب، وهرب عمرو بن الحجاج الزُّبيدي فمات بواقصة عطشاً.

وحدثني أبو عثمان عمرو بن محمد، قال: سمعت أبا نُعيم الفضل بن دكين يقول:

هرب عمرو بن الحجاج فسقط من العطش، فلحقه أصحاب المختار وبه رمق فذبحوه واحتزوا رأسه.

وهرب سنان بن أنس النّخعي، الذي كان يدعى قاتل الحسين فلحق بالبصرة فهدم المختار داره.

قالوا: فبينا الحجاج يخطب ذات يوم إذ قال: ليقم كل ذي بلاء وغَناءٍ فيتكلم، فقام سنان فقال: أنا قاتل الحسين بن علي، فقال الحجاج: بلاءٌ لعمر الله حسنٌ، واعتُقل لسانُ سنان ومات بعد خمس عشرة ليلة.

وهرب حرملة الأسدي وعبد الله بن عقبة الغَنوي الذي ذكره ابن أبي عقب، فقال:

[من الطويل]

وعند غنيّ قطرةٌ من دمائنا	وفي أسدٍ أُخرى تُعدُّ وتذكرُ

(١) مرة بن لاتوجد في المخطوط ولا في الطبعة العبرية وهذا يُدل عليها أول الكلام وقد سهي عنها.

فيقال إنهما أدركا فقُتلا، ويقال بل ماتا عطشاً.

وبعث المختار حوشباً اليرُسمي إلى محمد بن الأشعث الكندي، وقال: ستجده قائماً متلدّداً أو كامناً متغمّداً أو لاهياً متصيداً، وكان في قرية له عند القادسية فهرب ولحق بالبصرة.

وكان أسماء بن خارجة مستخفياً، فقال المختار ذات يوم وعنده أصحابه: أما وربّ الأرض والسماء والضياء والظلماء لينزلنّ من السماء نارٌ دهماء أو حمراء أو سحماء[1] فلتحرقن دار أسماء. فأتى الخبر أسماء، فقال: سجع أبو إسحاق بنا ليس على هذا مقام، فخرج هارباً حتى أتى البادية فلم يزل بها ينزل مرةً في بني عبس ومرة في غيرهم حتى قتل المختار، وهدم المختار له ثلاثة أدؤر فقال عبد الله بن الزبير الأسدي في قصيدة له:

[من الطويل]

أتركتُم أبا حسان تُهدمُ دارهُ ... مُنبَّذةً أبوابُها وحديدُها

فلو كان من قحطانَ أسماءُ شمَّرت ... كتائبُ من قحطان صُعرٌ خُدودها

فأجابه أيوب بن سعنة النخعي، وقال:

[من الطويل]

رمى اللهُ عين ابن الزُّبير بلقوةٍ ... فخلخلها حتى يطول سُهودها

بكيت على دارٍ لأسماء هُدِّمت ... مساكنها كانت غلولاً وشيدُها

ولم تبكِ بيت اللهِ إذ دلفت لهُ ... أُميّةُ حتى هدَّمتهُ جنودُها

أمر الكرسي

٤٦ ـ وقال المختار لآل جَعدة بن هُبيرة، وأمّ جعدة أمُّ هانىء بنت أبي طالب: ائتوني بكرسي علي بن أبي طالب، فقالوا: لاوالله ماله عندنا كرسي، قال:

---

(١) سحماء: سوداء والغراب الأسحم: الغراب الأسود ـ اللسان ـ.

لاتكونوا حمقى وائتوني به، فظن القوم عند ذلك أنهم لايأتونه بكرسي، فيقولون هذا كرسي علي إلا قبله منهم.

فجاؤوا بكرسي فقالوا: هذا هو، فخرجت شِبام وشاكر ورؤوس أصحاب المختار وقد عصبوه بخرق من الحرير والديباج. فكان أول من سدن الكرسي حين جيء به موسى بن أبي موسى الأشعري وأمّه ابنة الفضل ابن العباس بن عبد المطلب، ثم دفع إلى حوشب البُرسمي، وبُرسم بن حمير[1] وهم في همدان فكان خازنهُ وصاحبُه حتى هلك المختار.

وكان أصحاب المختار يعكفون عليه ويقولون هو بمنزلة تابوت موسى فيه السكينة ويستسقون به ويستنصرون، ويقدّمونه أمامهم إذا أرادوا أمراً فقال الشاعر: [من السريع]

أبلغ شِباماً وأبا هانىء ... أني بكُر سيِّهمُ كافرُ

وقال أعشى همدان:

[من الطويل]

شهدتُ عليكم أنكم خشبيَّةٌ ... وأني بكم ياشرطة الكُفر عارفُ
وأقسم ماكرسيكم بسكينةٍ ... وإن ظلّ قد لُفَّت عليه اللّفائفُ
وأن ليس كالتابوتِ فينا وإن سعت ... شِبامٌ حواليهِ ونهدٌ وخارفُ[2]

---

(١) بُرسم: ليس ابن حمير ولكن من حمير وهو بُرسَم بن الغوث بن قطن بن عَريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن حمير. وعند الطبري برسم بالباء المعجمة وهو خطأ ـ نسب معد واليمن الكبير اللوحة رقم: ٩٧.

(٢) شِبام قبيلة من همدان، وهو عبد الله بن أسعد بن جشم بن حاشد بن جشم بن خَيران بن نَوف بن أوسلة الذي هو همدان. ونهد قبيلة من قضاعة من حمير: وهو نهد بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة بن مالك بن عمرو بن مُرّة ابن زيد بن مالك بن حمير. وخارف قبيلة من همدان: وهو مالك (الخارف) بن عبد الله بن كَثير بن مالك بن جشم بن حاشد بن جشم بن خيران بن نَوف بن أوسلة الذي هو همدان.

وإن شاكـرٌ طافـت به وتمسَّحت بأعـواده أو أدبـرت لايُسـاعفُ[1]
وإني امـرؤٌ أحـببتُ آلَ محمـدٍ وآثـرتُ وحياً ضمَّنتـهُ الصَّحـائفُ

وكـان له عم يُكنى أبـا أمامة وكان من أصحاب المختار، فكان يأتي مجلس قومه فيقول: أتانا اليوم بوحيٍ ماسمع الناس بمثله.

وحدثني عباس بن هشام عن أبيه عن جده، قال:

قيل لابن عمـر: إن المختار يعمد إلى كرسي علي فيحمله على بغل أشهب يحفّ به الديباج ويُطيف به أصحابه يستسقون ويستنصرون، فقال: فأين جنادبة الأزد عنه لايعقرُ به بعضهم، قال: وهم جندب ابن زهير، وجندب بن كعب من بني ظبيان وجندب بن عبد الله وهو جندب الخير.

أمر المثنى بن مخربة العبدي وأمر عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي بالبصرة

٤٧ ـ قالوا: وكان المثنى لقي المختار عند انصراف من انصرف من التوابين من عين الـوردة بالكـوفـة فبايعه وقال له المثنى: إن لنا بالبصرة شيعةً فأْذن لنا في القدوم عليهم والدعاء لهم، فأذن له في ذلك. فخرج إلى البصرة فلم يزل بها حتى بلغه ظهور المختار.

وكان ابن مطيع لما أخذ المئة ألف من المختار ليشخص إلى المدينة، استحيا من الرجوع إلى ابن الزبير فعدل إلى البصرة فأقام بها، وكان المختار خائفاً أن يوجّه إليه ابن الزبير جيشاً لما فعل بابن مطيع ولإخراجه إياهُ.

فكتب إليه: أمـا بعـد: قد عرفت منـاصحتي كانت لك، واجتهـادي في طاعتـك ونصرتـك، ومـاكنت أعـطيتني من نفسك، فلما وفيت لك خِست لي ولم

---

(١) وشاكر قبيله من همدان: وهو شاكر بن ربيعة بن مالك بن معاوية بن صعب بن دومان بن بكيل بن جشم بن خَيران بن نَوف بن أوسلة الذي هو همدان ـ نسب معد لوحة: ٩١.

تعترف لي بما عاهدتني، فكان مني ماكان. فإن تراجعني اراجعك وإن ترد مناصحتي أنصح لك.

فلما قرأ ابن الزبير دعا عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فقال له: قد ولّيتك الكوفة فسِر إليها، فقال: وكيف وبها المختار، قال: قد كتب إليَّ أنه سامع مطيع لي.

فسار عمر إليها، وبلغ المختار خبره فوجّه زائدة بن قدامة الثقفي ومعه مسافر ابن سعيد بن نِمران الناعطي في خمسمئة دارع، ومعه سبعون ألف درهم، وقال: إذا لقيته فقل له عني: إنك قد تكلّفت لسفرك خمسة وثلاثين ألف درهم، وهذه سبعون ألف درهم فخذها وانصرف، فإن أبى ذلك فأره أصحاب مسافر وحذّره إياهم.

فلما لقيه زائدة أدى إليه رسالة المختار، فقال: ماأنا بقابلٍ مالاً ولا بُدَّ لي من النفود لأمر أمير المؤمنين فدعا زائدة بالخيل وقد كان قد أكمنها، فقال: إني محاربك بمن ترى وراءهم مثلهم ومثلهم، فقال عمر: أما الآن فقد وجب العُذر وهذا أجمل بي، فأخذ السبعين ألفاً فاستحيا من الرجوع إلى مكة فصار إلى البصرة فأقام بها وذلك في أمارة القُباع الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة وقبل قدوم مصعب بن الزبير البصرة.

قالوا: واتخذ المثنى بن مخربة مسجداً فصلى فيه بأصحابه واجتمعت الشيعة، فبعث إليهم القباعُ عبّاد بن الحصين الحبطي[1] في الخيل، فبعث المثنى رجلاً من أصحابه فلقيه فهُزم عبّاد. فبعث القباعُ الأحنفَ على خيل مُضر ورجالها، فصار إلى عبد القيس[2] فخرج مالك بن مسمع في بكر بن وائل مانعاً لعبد القيس منهم

---

(١) الحبطي بطن من قبيلة تميم: وهو عباد بن الحصين بن يزيد بن عمرو بن أوس بن سيف بن عزم بن حِلّزة بن نِيار بن سعد بن الحارث وهو الحبط بن عمرو بن تميم.

(٢) عبد القيس قبيلة مشهورة من ربيعة بن نزار: وهو عبد القيس بن أفصى بن دُعْمي بن جديلة ابن أسد بن ربيعة بن نزار.

بالربعية[1] لأنه كان يرى رأي المثنى وبعثت ربيعة إلى الأزد فأجابوهم، ورئيس الأزد يومئذ زياد بن عمرو العتكي، فكانوا يقتتلون قتالاً ضعيفاً، وكلهم يهوى الصلح، فكان عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي وعبد الله بن مطيع يختلفان بين الفريقين.

فقال لهم عمر: يامعشر بكر والأزد ألستم على طاعة ابن الزبير؟ قالوا: بلى غير أنا نكره أن نسلم إخواننا من عبد القيس. فقال ابن مطيع: فقولوا لإخوانكم فليذهبوا حيث شاؤوا فهم آمنون، ولايدخلنّ بينكم وبين أهل مِصركم فرقة.

فأتى مالك بن مسمع وزياد بن عمرو عبد القيس، فقالا: إن هؤلاء القوم قد دعوا إلى الصلح وأعطوا النِّصف ولم نأتكم حين أتيناكم ونحن نرى رأيكم، ولكنا حمينا لكم أن تضاموا وتوطؤوا. ثم أخذا بيد المثنى فقالا له: إن الذين يرون رأيك قِبلنا قليل، فخذ أماناً لنفسك والحق بأصحابك. فقبل ذلك.

وجاء ابن مطيع وعمر بن عبد الرحمن فعرضا الصلح فقبله القوم وأجابوا إليه، وأما الأحنف فقالا له: إن القوم قد أحبوا الصلح ودعوا إليه، فكان الأحنف كره ذلك وتأرّب[2] فلم يجب إليه، فقال له عمر بن عبد الرحمن: إني لأعجب ممن يزعم أنك[3] حليم، قبل القوم الصلح وأجابوا إلى النَّصف وتأبى إلا الفرقة وماتسفك فيه الدماء وتنتهك الحُرمة، فقال الأحنف: هلم يابن أخي إلى خالك، يعني نفسه وذلك أن أمّ الحارث جدّه من ولد نهشل بن دارم فتميم أخواله وقال له: إن ربيعة والأزد كثيرٌ عددهم بالمِصر وقد تحالفوا وصاروا يداً علينا، فإن أريناهم الهيبة لهم ركبونا، والله ماهم بأحرص على السلم والصلح مني. اذهب يابن أخي

---

(١) بكر · قبيلة مشهورة من ربيعة بن نزار ولذلك قال بالربعيه. وهو بكر بن وائل بن قاسط ابن هِنب بن أفصى بن دعمي فهو يلتقي مع عبد القيس بأفصى.

(٢) تارّب: أربْتُ به أي احتلت عليه، وتارّب تحايل ـ اللسان ـ

(٣) في الطبعة العبرية ممن يزعم أنكم حليم وبعد كلمة الفرقة وما [. . .] لنفسك فيه الدماء وكان تحقيق هذا الكتاب على نسخة مخطوط استنبول فقط كما شرح في المقدمة وهذا صحيح ولكن تصحيح ماجاء فيها مثال ماجاء هنا ليس بالأمر العسير ص: ٢٤٤. (٧٢)

فاصنع ماأحببت واصطلح القوم. ورجع المثنى وخرج من البصرة.

وكتب المختار إلى الأحنف وهو على مضر: أما بعد، فويل أمّ ربيعة ومضر من أمر سوءٍ قد حضر، وإن الأحنف قد أورد قومه سقر، وإني لاأملك القدر وماخُطّ في الزبر، ولعمري لئن قاتلتموني وكذّبتموني لقد كُذِّب من كان قبلي وماأنا بخيرهم.

وكتب المختار إلى مالك بن مسِمَع وزياد بن عمر: أما بعد، فاسمعا وأطيعا وداوما على أحسن ماأتيتما أوتيكما من الدنيا ماشئتما، وأضمن لكما الجنّة إذا توفيتما.

فلما قرأ مالك الكتاب ضحك، وقال لزياد: لقد أكثر لنا أخو ثقيف وأوسع، أعطانا الدنيا والآخرة، فضحك زياد وقال: نحن لانقاتل بالنسيئة إن عجّل لنا النقد قاتلنا معه.

وحدثنا علي بن محمد المدائني عن أبي إسماعيل الهمداني عن الشعبي، قال:

جلست يوماً إلى الأحنف فقال رجل من جلسائه: ياكوفي نحن استنقذناكم من عبيدكم، يعني يوم قتل المختار. قلت: قد عفونا عنكم يوم الجمل فلم تشكروا، وأنشدته شعر أعشى همدان:

[من الرمل]

أفخرتُم أن قتلتُم أعبُداً ... وكفرتم نعمة اللّهِ الأجلّ

نحنُ سقناكُم إليهم عنوةً ... وجمعنا أمركم بعد الفشل

فإذا فاخرتُمونا فاذكُروا ... مافعلنا بكُمُ يومَ الجمل

فقال: ياكوفي أنتم أصحاب أنبياء، يعني المختار، قال: فأجبته بجواب كرهه الأحنف، وقلت: يكذبون علينا في أشياء، فقام فجاء بصحيفة صفراء فقال: اقرأ آنفاً، فإذا فيها من المختار بن أبي عبيد إلى الأحنف ومن قِبَله سِلمٌ أنتم أما بعد، فويل لربيعة ومُضَر وإن الأحنف موردٌ قومهَ سقر حين لايستطيع لهم الصَّدر، وإني لاأملك لكم ماخُطّ في الزبر، ويلغني أنكم تكذّبوني وقد كُذِّبت الأنبياء مثلي، ولستُ بخير من كثير، فقال الأحنف: ياشعبي كوفي هذا أم بصري. ثم ضحك وقال لأصحابه: أحسنوا مجالسة أخيكم.

خبر شرحبيل بن ورس المدعي من حمير وهم في همدان

٤٨ ـ قالوا: لما بلغ المختار إقبال أهل الشام نحو العراق وعلم أنه يُبدأ به، خاف أن يأتيه أهل الشام من شامهم وأهل البصرة من بصرتهم، فأظهر الميل إلى عبد الله بن الزبير ومداراته.

وكتب إليه: بلغني أن ابن مروان قد بعث إلى الحجاز جنداً، فإن أحببت أن أمدّك أمددتك.

فكتب إليهِ ابن الزبير: إن كنت على طاعتي فبايع لي وخذ بيعة من قِبلك، فإنه إن جاءتني بيعتك صدّقت مقالتك، وكففت الجنود عن بلادك وسرّح الجيش الذي أنت باعث به إلى وادي القُرى ليلقوا مَنْ بها من جند ابن مروان إن شاء الله.

فدعا المختار شرحبيل بن وَرس[١] المدّعي فسرّحه في ثلاثة آلاف أكثرهم موالٍ ليس فيهم من العرب إلا سبعمئة، وقال له: سِر حتى تدخل المدينة فإذا دخلتها فاكتب إليّ بذلك، ودبّر أن يدخل شرحبيل المدينة ثم يبعث إليها عاملاً من قبله، ثم يأمره أن يسير إلى مكة فيحاصر ابن الزبير.

ووقع في نفس ابن الزبير مادبّر المختار وظن به مكيدته، فبعث عباس بن سهل بن سعد الساعدي[٢] من مكة في ألفين وقال له: الق جيش ابن ورسٍ فإن كان في طاعتي وإلاّ فحاربهم حتى تهلكم، وأمره أن يستنفر الأعراب، ففعل وأقبل حتى لقي ابن وَرسٍ بالرَّقَم[٣]، وقد عبّأ ابن ورس أصحابه، وأصحاب عباس متقطّعون على غير تعبئة، فقال له عباس: ألست على طاعة عبد الله بن الزبير؟ قال: نعم، قال: فسِرْ بنا إلى عدوه بوادي القُرى، قال: نعم ولكن أريد المدينة أولاً ثم أرى رأيي..

---

(١) شرحبيل بن ورس: لم أجده في نسب حمير ولا همدان في كتاب نسب معدو اليمن الكبير لابن الكلبي والله أعلم. والطبري قال: شرحبيل بن ورس من همدان.

(٢) هو عباس بن سهل بن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة بن حارثة بن عمرو بن عمرو بن الخزرج بن ساعدة (وإليه يقال الساعدي) بن كعب بن الخزرج.

(٣) رقم: جبال دون مكة بديار غطفان ـ معجم البلدان ـ.

فتركهم ابن سهل حتى نزعوا سلاحهم وشُغلوا بأثقالهم، ثم قَصَدَ قَصْد ابن ورسٍ في ألفٍ من كُماة أصحابه وشجعانهم، وجعل ابن ورسٍ يقول: ياشُرطة الله إليّ، قاتلوا الملحدين أولياء الشياطين فإنكم على الحق المبين، وقد غدر القوم وفجروا، فانتهى إليه عباس بن سهل وهو يقول:

[من الرجز]

أنا ابنُ سهلٍ فارسٌ غيرُ وكَلْ   أروعُ مقدامٌ إذا النِّكسُ نَكَلْ

فلم يطل القتال بينهم حتى قُتل ابن ورس في سبعين، ورفع عباس راية أمان لأصحابه فأتوا إلاّ نحواً من ثلاثمئة انصرفوا مع سليمان بن حُميّر الثوري. فظفر ابن سهل منهم نحوٍ من مئتين فقتلهم وأُفلت الباقون.

فلما بلغ المختار خبر شرحبيل بن ورس وأصحابه، قال: إن الفجّار الأشرار قتلة الأخيار الأبرار، ألا وإن الفاسق النجس، والجِبْسُ الرِّجس[1] قتل ابن ورس، وكان أمراً مأتيّا وقضاءً مقضياً.

٤٩ ـ وكتب المختار إلى ابن الحنفية: إني كنت بعثت جنداً ليحوزوا لك البلاد ويدوّخوا الأعداء، فلما صاروا بطيبة لقيهم جند الملحد فخدعوهم وغرّوهم، فإن رأيت أن أبعث إلى المدينة خيلاً وجنداً كثيفاً، وتبعث من قبلك رُسلاً يعلمونهم أني في طاعتك وأني بعثت مَن بعثت عن أمرك فافعل، فإنك ستجدهم بحقك أعرف، وبكم أهل البيت أرأف منهم بآل الزبير الظّلمة الملحدين، والسلام.

فكتب إليه ابن الحنفية: إنّ أُحبَّ الأمر إليّ ماأُطيع الله فيه، فأطعه مااستطعت فيما أعلنت وأسررت، واعلم أني لو أردت القتال وجدتُ الناس إليّ قُدما سراعا وعليه أعوانا، ولكني أعتزلهم وأصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين[2].

---

(١) الجبس: الجبان الفَدم، القذر ـ اللسان ـ وجاء في الطبعة العبرية بدلاً من الجبس، القذر الرجس وهذا خطأ.

(٢) جاء في الطبعة العبرية: أحبّ الأمر إلي ماأُطيع الله وهو خير الحاكمين. فقط ص: ٢٤٧ وأسقط الباقي. رغم أن كلمة أُطيع يجب أن يتبعها فيه.

مسير إبراهيم بن مالك الأشتر إلى الموصل ومقتل عبيد الله بن زياد وحصين بن نمير السكوني

٥٠ ـ قالوا: لما فرغ المختار من أمر من خرج من أهل الكوفة وانقضت حربهم بجبانة السبيع والكناسة. لم يكن له همّة إلا إمضاء جيش إبراهيم بن الأشتر للوجه الذي وجّهه له.

فشخص إبراهيم من الكوفة لست ليال خلون من ذي الحجّة سنة ست وستين، ويقال لثمان خلون من ذي الحجة. وكان معه قيس بن طَهْفَة[1] على رُبع أهل المدينة، وعبد الله بن جندب على مذحج وأسد، والأسود ابن جراد الكندي على كندة وربيعة، وحبيب بن منقذ على تميم وهمدان، فقال شاعرهم:

[من الرجز]

أمـا وربِّ المـرسـلاتِ عُرفـا   لتـقـتُـلَنَّ بعـد صفٍّ صفًّـا

وبعد ألفٍ قاسطينَ ألفا

فخـرج في زهـاء تسعـة آلاف، وشيّعـه المختـار فلما صار إلى القنـطرة إذا أصحاب الكرسي قد وفدوا يستنصرون ويدعون.

فقال ابن الأشتر ربنا لاتؤاخذنا بما فعل السفهاء منا سنّة بني إسرائيل والذي كنا له.

وانتهى ابن الأشتر إلى المدائن، فلقي من كان انصرف من أصحاب يزيد بن أنس فردّهم معه، فلما تجاوز الكُميل من أرض الموصل جعل لايسير إلا على تعبئة. وسبق ابن زيادٍ إلى الموصل وبادر دخوله العراق.

واجتمعا على الخازر إلى جنب قرية تدعى باريتا بينها وبين مدينة الموصل

---

(١) قيس بن طهفة من بني رفاعة البطن بن مالك بن نهد، كان سيداً في زمانه وقد ولي الرُّبع بالكوفة زمان علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وكانت عنده الرباب بنت الأشعث بن قيس ففخرت عليه فطلقها ـ نسب معد واليمن الكبير: ج: ٣ ص: ٥٥. (٧ ٧)

خمسة فراسخ. فنزل ونزل عبيد الله بن زياد قريباً منه على شاطىء الخازر، وهو نهر قريب من الزابي. فأرسل إليه عُمَير بن الحُباب السُّلَمي: إني أريد لقاءك الليلة. وكانت قيس الجزيرة مضطغنة على بني مروان لما كان من مروان إليهم في وقعة مرج راهط فأتاه ابن الحباب فجرى بينهما كلام كثير، وقال: ماأحد أبغض إليّ ظفراً من آل مروان، فاعلم أني منهزم بالناس إذا قامت الحرب.

فأراد ابن الأشتر أن يبلو صدقه ذلك. فقال له: أترى أن أخندق على نفسي وأتلوم يومين أو ثلاثة. فقال عمير: لاتفعل فإن القوم أضعافكم فإن طاولوك وماطلوك خبروا أمركم واجترؤوا عليكم لكثرتهم وقلّتكم. وخرج مافي قلوبهم من الهيبة لكم فإن في أنفسهم منكم روعة وهم من لقائكم على وَجَل، فعاجلهم وناجزهم فإن القليل لايطيق الكثير على المطاولة، ولا آمن إن ساموكم يوماً بعد يوم ومرّة بعد مرّة أن يقهروكم. فقال ابن الأشتر: الآن علمت أنك ناصح.

وكان عمير بن الحباب على ميسرة عبيد الله بن زياد، فأذكى ابن الأشتر تلك الليلة حرسه، ولم يدخل الغمض عينه، فلما كان في السحر عبّأ أصحابه. فجعل سفيان بن يزيد بن المغفّل على ميمنة، وعليّ ابن مالك الجشمي على ميسرته. وصلى الغداة بغبش، ثم صفّ أصحابه وألحق كل صاحب راية برايته وجلس على تلٍّ عظيم. ووجّه من عرف خبر القوم، فقيل له: إنهم على دهش، فأخبره بعض رسله وعيونه أنه لقي منهم رجلاً ما له هجّيرى[1] إلاّ: ياشيعة أبي تراب، ياشيعة المختار الكذاب.

وجعل ابن الأشتر يحرّض الناس فيقول: ياأنصار الدين ياشيعة الحق ياشرطة الله، هذا قاتل الحسين، فما الذي تبقون له جدّكم واجتهادكم بعده، هذا الذي حال بين الحسين وماء الفرات، ومنعه الذهاب في الأرض العريضة حتى قتله وأهلَ بيته فوالله ماكان عملُ فرعون ببني إسرائيل إلا دون عمل هذا الفاجر.

وزحف الشاميّون وعلى ميمنة ابن زياد الحُصَين بن نُمير، وعلى ميسرته عمير

---

(١) الهجّيري: الدأب والعادة، كثرة الكلام.

ابن الحباب السلمي وعلى خيله شُرحبيل بن ذي الكلاع الحميري، ومشى ابن زياد في رجاله، فلما تدانى الصفّان حمل حُصين بن نمير على ميسرة أهل الكوفة فقتل علي بن مالك الجشمي، فأخذ الراية ابنُه فقُتل في رجال من أهل الحفاظ وانهزمت ميسرة ابن الأشتر، فصيّر عليها عبد الله بن ورقاء السلولي، فثابت الميسرة إليه. وجعل ابن الأشتر يقول: ياشرطة الله إليّ أنا ابن الأشتر إن خير فُرّاركم كُرّاركم.

وحملت ميمنة ابن الأشتر على عُمير بن الحباب وأصحابه فثبتوا، وكان عُمير أنف من الفِرار فقاتل قتالاً شديداً. فلما رأى ابن الأشتر ذلك، قال لأصحابه: أمّوا السواد الأعظم فإن فضضتموه لم يكن للقوم ثبات بعده، ففعلوا ذلك وتضاربوا بالسيوف وتطاعنوا بالرماح، وإبراهيم يشدّ بسيفه فلا يضرب أحداً إلا صرعه والقوم يهربون من بين يديه كأنهم الغنم، وجعل إذا حمل برايته حمل أصحابه حملة رَجل واحد لايثنيهم شيءٌ، فكانوا على ذلك. ثم أن أهل الشام انهزموا بعد قتال شديد وقتلى بين الفريقين كثيرة، ويقال إن عميراً أول من انهزم بالقوم بعد تغذير منه. ووصل إبراهيم إلى عبيد الله بن زياد فقتله وهو لايثبته، فقال: ياقوم لقد قتلت رجلاً وجدت منه رائحة المسك شرقت يداه وغربت رجلاه، فطُلب فإذا هو ابن زياد فأمر برأسه فأخذ وأحرقت جثته بالنار، وحمل شريك بن جرير التغلبي[1] على الحصين بن نمير السكوني وهو يظنه ابن زياد فقتله، وقُتل شرحبيل بن ذي الكُلاع، فادّعى قتله سفيان بن يزيد بن المغفّل الأزدي، وورقاء ابن عازب الأسدي، وعبد الله بن زهير السلولي.

ولما هزموهم اتبعوهم فكان من غرق منهم أكثر ممن قتل، واحتووا على عسكرهم. وأرجف الناس بالكوفة بمقتل ابن الأشتر. فخرج المختار إلى المدائن فلما صار بها تلقته البشارات بقتل عبيد الله بن زياد وفضّ عسكره.

وقال عامر الشعبي: كنت في عسكر المختار بالمدائن فكان يحرّضنا ويحثّنا ويقول: إن شيعة الله يقتلونهم بنصيبين أو قرب نصيبين. فقال لي بعض الهمدانيين

---

(١) في الطبعة العبرية الثعلبي خطأ وعند الطبري ابن جدير التغلبي.

حين جاء قتل ابن زياد: ياشعبيّ ألا تبوء وتُقِرّ للمختار، قلتُ: بِمَ أبوء له أقولُ إنه يعلم الغيب، والله مايعلم الغيب إلا الله، قال: ألم يقُل إنهم يُهزمون، قلت: إنه قال بنصيبين أو قرب نصيبين وإنما كانت الوقعة بالخازر، فقال: لا تؤمن ياشعبي حتى ترى العذاب الأليم.

حدثني خلف بن سالم وأبو خيثمة، قالا ثنا وهب بن جرير عن أبيه، حدثني جرير بن زيد حدثني إبراهيم ابن الأشتر، قال:

مرّ بي ابن زياد يوم الخازر فسطع منه المسك وأنا لا أعرفه فظننت أنه رجل له منزلة في القوم وحال. فقصدت له فضربته على رأسه بالسيف فخرّ بين قائم برذونه يخور كخوار الثور فنظرت فإذا هو ابن زياد.

وانصرف المختار إلى الكوفة، ومضى إبراهيم بن الأشتر إلى الموصل وبعث عماله عليها وعلى نصيبين وسنجار ودارا وما والاها من أرض الجزيرة.

وقال الهيثم بن عدي: ولّى ابنُ الأشتر زُفرَ بن الحارث قرقيسيا، وحاتم بن النعمان الباهلي حرّان والرُّها وسُمَيساط وناحيتها، وعمير بن الحباب كَفرتوثا وطور عبدين. وليس ذلك بثبت عند الكلبي.

وقال عمير بن الحباب حين قُتِل ابن زياد:

[من الطويل]

[و](١)ماكان جيشٌ يجمع الخمرَ والزّنى ... محلًّا إذا لاقى العَدوَّ لِيُنصرا

وقال ابن المفرغ حين قتل ابن زياد:

[من البسيط]

إنّ المنايا إذا مازُرنَ طاغيةً ... هتكنَ أستارَ حُجّابٍ وأبوابِ

أقولُ بُعداً وسُحقاً عند مصرعهِ ... لابن الخبيثةِ وابن الكودنِ الكابي(٢)

(١) يجب زيادة الواو ليصح الوزن.

(٢) الكودن: البرذون الهجين وقيل هو البغل.

لاأنـت زاحمتَ عن مُلكٍ فتمنعـهُ	ولامُـتـتَّ إلى قوم بأسـبـابِ
لامـن نزارٍ ولا من جِذم ذي يمنٍ	جُلمـودةٌ أُلقيت من بين ألهـابِ[1]
لاتقبـلُ الأرضُ موتـاهـم إذا قُبروا	وكيف تقبـلُ رِجسـاً بين أثـوابِ

بدء معركة مصعب بن الزبير مع المختار

٥١ ـ قالوا: ولحق جميع من كان هرب من المختار من أهل الكوفة أو أكثرهم بمصعب بن الزبير بالبصرة، وقد قدمها والياً على المِصرين.

فقدم شبث بن ربعي التميمي[2] على بغلة قد قُطع ذنبها وطرفي أذنيها وشقّ قباءه ووقف ينادي:

واغَـوثـاه واغـوثاه، فدخل على المصعب وأخبره بما لقي الناس من المختار. وهذا أصحُّ من قول من قال: إن شبثاً قُتل بالكوفة، وأخبره أيضاً وجوه أهل الكوفة بما نالهم وسألوه نُصرتهم والمسير معهم. وقدم عليه محمد بن الأشعث ولم يكن شهد وقعة الكوفة، فاستحث المصعب بالشخوص إلى الكوفة.

فقال: لست فاعلاً حتى يقدم المهلّب عليّ، وكان بفارس، فكتب إليه يأمره بالقدوم عليه فاعتلّ بالخراج[3] فقال محمد بن الأشعث وجّهني إليه آتك به، فسار محمد حتى قدم فارس فلما رآه المهلب قال: يامحمد أما وجد المصعب بريداً غيرك! فقال: ياأبا سعيد والله ماأنا إلاّ بريد نسائنا وأطفالنا. فأقبل المهلّب معه في جموع

---

(١) ألهاب: جمع اللهب وهي الفرجة بين جبلين ـ اللسان ـ وذكر الأغاني أكثر من هذه الأبيات زاد عليها ثلاثة أبيات ج: ١٨ ص: ٢٠٩ ـ ٢١٠.

(٢) في أصل المخطوط التيمي وهو سهو من الناسخ وهو شبث بن ربعي بن حصين بن عُثيم بن ربيعة بن زيد بن رياح بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، كان مع علي عليه السلام ثم صار مع الخوارج حيث قالوا لعلي قد خلعناك وأمّرنا شَبثاً، وكان أيضاً مؤذناً لسجاح المتنبئة.

(٣) في أصل المخطوط الخروج وهو سهو وصحته الخراج كما جاء عند الطبري.

وهيئة وسلاح[1] ليس لأحد مثلها حتى قدم البصرة.

وكان المهلب أتى عبد الله بن الزبير، فكتب له عهده على خراسان فلما صار إلى البصرة طلب إليه أهلها أن يقاتل الخوارج وكانوا قد ظهروا وأبزّوا[2] عليهم فأقام لقتالهم واتبعهم إلى فارس فكان يحاربهم، وقدم المصعب فولّاه فارس خراجها وحربها.

وحدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي ثنا وهب بن جرير عن أبيه عن مصعب بن زيد وصعبٌ عمّ جرير بن حازم قال:

قدم المهلب بعهده على خراسان من قبل عبد الله بن الزبير، وقد نزلت الحرورية بين الجسرين بالبصرة، فقتلوا وحرقوا وغلبوا على كور الأهواز وشاطىء دجلة، فأتى الأحنف في أشراف أهل البصرة المهلب، فسألوه أن يتولّى قتال الأزارقة[3]، فقال: لست أقدر على ذلك، هذا عهد أمير المؤمنين إليّ على خراسان، قالوا: فإنا نخرج إلى أمير المؤمنين فنسأله أن يعفيك من خراسان ويولّيك قتال الأزارقة، قال: فرأيكم فخرج من خرج منهم فجاءوا بكتاب ابن الزبير بتولّيه قتال الأزارقة، وقال بعض الناس: افتعلوه على لسان ابن الزبير، وقال آخرون: بل خرج ناس فجاؤوا بكتابه، فنفى الخوارج إلى الأهواز، قال جرير بن حازم: ثم صاروا إلى فارس فاتبعهم.

وكتب عبد الله إلى مصعب بن الزبير بتوليته فارس، وكان قدم المصعب البصرة والياً عليها بعد القُباع في سنة سبع وستين.

---

(١) في الأصل كلمة غير واضحة وفي الطبعة العبرية علاج والعلج سواء كان من العلوج أو الرجل الضخم فالجمع أعلاج والمناسب لها سلاح حتى في المخطوط الحاء المهملة واضحة.

(٢) أبز الظبي: وثب وقفز: والأبّاز القفّاز - اللسان - وفي الطبعة العبرية أبرّوا وهو من التأبير وهو الإبادة وهذا خطأ.

(٣) الأزارقة: فرقة من الخوارج تابعوا نافع بن الأزرق فنسبوا إليه.

خبر يوم المذار ومقتل أحمر بن شميط وابن كامل

٥٢ ـ قالوا: قدم المهلب بن أبي صُفرة من فارس واستخلف المغيرة ابنه، ويقال غيره، وقال بعضهم: قسم فارس بين أصحابه وأمرهم أن يخرجوا إلى قتال الخوارج مع صاحب الناحية التي يكون فيها.

فلما دخل على مصعب أمره بالعسكرة عند الجسر الأكبر، ولم يُرِ المصعب أحداً إعظامه له، ودعا عبد الرحمن بن مخنف، فقال له: ائت الكوفة مستخفياً حتى تخرج إليّ من اَستطعت إخراجه وخذّل الناس عن المختار فمضى حتى نزل بمنزله سرّاً فلم يظهر.

وخرج مصعب بن الزبير وقد جعل المهلب على ميسرته، وعمر بن عبيد الله ابن معمر على ميمنته، وقدّم عبّاد بن الحصين التميمي أمامه على مقدّمته، وكان مالك بن مِسمَع على جيش بكر بن وائل، ومالك بن المنذر بن الجارود على جيش عبد القيس. والأحنف بن قيس على جيش العالية.

وبلغ المختار ذلك فقال لأصحابه: ياأهل الدين وأعوان الحق وأنصار الضعيف، وشيعة الرسول وآل الرسول وشرطة الله. إن هؤلاء الذين هربوا من أسيافكم، أتوا أشباهاً لهم من أهل البصرة من الفاسقين، فاستنفروهم ليُمات الحق ويُنعش الباطل ويُدال أولياء الله في الأرض، فانتدبوا رحمكم الله مع أحمر بن شُميط الأحمسي.

فعسكر ابنُ شميط بحمّام[1] أعين وضمّ إليه المختار الناس، وبعث على مقدّمته عبد الله بن كامل الشاكري من همدان. فسار أحمرُ بن شميط حتى ورد المذار.

وأقبل مصعب فنزل قريباً منه، وعبّأ كل واحد منهما جنده فجعل ابنُ شميط ابنَ كاملٍ علىّ ميمنته، وعبد الله بن أنس بن وهب بن نَضْلة الجشمي على ميسرته،

(١) حمّام أعين: بالكوفة مشهور منسوب إلى أعين مولى سعد بن أبي وقاص ـ معجم البلدان ـ

وجعل على الخيل رَزين بن عبدٍ السلولي، وعلى الرجال كَثير بن إسماعيل بن كثير الكندي، وجعل أبا عمرة على الموالي. وأقرَّ المصعب المهلب على ميسرته وعمر ابن عبيد الله على ميمنته، وجعل على الرجال مقاتل بن مِسمع[1] ، وعلى الخيل عبّاد بن الحصين.

فالتقوا وحمل عباد على ابن شميط وأصحابه فلم يَزُل منهم رجل عن موقعه، وحمل ابنُ كامل على المهلب، فلم يزالوا كذلك يحمل بعضهم على بعض. ثم حمل أهـل البصرة جميعـاً على ابن شميط حملة واحـدة، فقاتل حتى قُتل، وتنادى أهل الكـوفـة: يامعشر بجيلة وخثعم الصَّـبر الصبر، فناداهم المهلب الفِرار الفِرار علام تـقـاتـلون أضـلّ الله سعيكـم. ثم مالت الخيل على رجّـالـة ابن شميط فاصـطلمـوا[2] وقُتِل عبد الله بن كامل وسرّح المصعب محمد بن الأشعث في خيل عظيمـة من أهـل الكـوفـة ممن هرب من المختار، ومَن بعث[3] به عبد الرحمن بن مخنف، وقال: دونكم الطلب بثأركم فكانوا أشدَّ عليهم من أهل البصرة ولايدركون رجلاً إلاّ قتلوه، فلم ينج من ذلك الجند إلا شرذمة قليلة من أصحاب الخيل.

ورُوي عن معاوية بن قُرّة المُزني[4] أبي إياس بن معاوية أنه قال: انتهيت إلى رجل منهم فأدخلت سنان الرمح في عينه وجعلت أخضخضه، فقيل له: أوفعلت ذلك ! قال: نعم والله لهم كانوا أحل عندنا قتالاً من الترك والديلم، وكان معاوية قاضياً بين أهل البصرة.

وقال أعشى همدان:

---

(١) مقاتل بن مسمع هو أخو مالك بن مسمع كما ذكر ذلك الطبري.

(٢) الاصطلام: الاستئصال واصطلم القوم: أبيدوا ـ اللسان ـ

(٣) في أصل المخطوط هكذا ولكن بلا نقط وفي الطبعة العبرية تعب وليس لها معنى في المكان.

(٤) مزينة قبيلة من مضر، وهو معاوية بن قُرّة بن إياس بن هلال بن رئاب بن عبيد بن سُوادة بن سارية بن ذبيان بن ثعلبة بن سليم بن أوس بن عمرو والذي هو مزينة بن أدّ بن عامر الذي هو طابخة بن إلياس بن مُضر ـ اللوحة: ٨٨ من جمهرة النسب ـ

[من الوافر]

أما نُبِّئتَ والأنباءُ تنمي بما لاقت بجيلةُ بالمذارِ

أُتيح لهم بها ضربٌ طلخفٌ وطعنٌ صائبٌ وجهَ النهارِ[1]

فبشِّر شيعة المختار إمّا مررت على الكويفةِ بالصَّغارِ

وما إن سرّني إهلاكُ قومي وإن كانوا وجدِّك في خَسارِ

ولكني أُسرُّ بما يُلاقي أبو إسحاقَ من خزيٍ وعارِ

وكان على البصرة حين شخص المصعب إلى المذار عبيد الله بن معمر التيمي ولّاه إياها المصعب، وهو كان عليها أيضاً (حين)[2] خرج لقتال المختار، والثبت أنه كان خليفة أخيه عمر بن عبيد الله لأن أمرها كان إلى عمر، وكان عمر خليفة المصعب عليها في ظعنه ومقامه.

وبلغ المختار ومن معه خبرُ ابن شُميط وابن كامل ووجوه رجاله وحُماته، فقال من كان بالكوفة من الأعاجم كلاماً بالفارسية، تفسيره: لم يصدق أبو إسحاق المرّة.

وقال بعض الشعراء فيما ذكر المدائني: [من الطويل]

ونحنُ قتلنا أحمراً وجموعَهُ وقد كان قَتّال الكُماةِ مظفّرا

غداة علا الإسكافُ بالسيفِ رأسهُ فخرَّ صريعاً لليدين مُعفَّرا

قال: والإسكاف محمد بن عبد الرحمن الإسكاف.

حدثنا خلف بن سالم وأحمد بن إبراهيم قالا ثنا وهب بن جرير ثنا جويرية، حدثني الصقعب بن ثابت عن أبيه، قال: سمعت المختار بالمدائن وهو يقول: والذي كرّم وجه أبي القاسم ليدخلنّ ابن شميط البصرة في عافية ضافية قضاءً مقضيا، وقد خاب من افترى ولقد بعثت معه براية ماغزلتها يد ولا نسجها نسّاج، وكان أدرجها ولفّ عليها خرقة ثم ختمها، وقال: لاتفتحها حتى تبلغ ساعة كذا من النهار ثم انشرها، فإن القوم إذا نظروا إليها انهزموا.

---

(١) طِلَخْف: شديد ـ اللسان ـ

(٢) حين لاتوجد في أصل المخطوط وأوجبها هنا المعنى.

وحدثاني قالا ثنا وهب بن جرير بن حازم، حدثني ابي عن الأزرق، قال:

بعث المختارُ ابنَ شميط، فدفع إليه سفطاً مختوماً، وقال: إن فيه رايةً لم ينسجها إنس ولا جن، فأخرجها فإنك تظفر عليهم، وإياك أن تخرجها من أول النهار، فقُتل.

ومضى مصعب إلى الكوفة فانحاز المختار إلى داره فحصره فيها، فخرج ليلاً فعرفه أناس فقتلوه، وقُتل أصحابه وقد نزلوا على حكمه وهم سبعة آلاف.

خبر قدوم المصعب بن الزبير الكوفة
ويوم حروراء ومقتل المختار بن أبي عبيد

٥٣ ـ حدثني محمد بن يزيد أبو هشام الرفاعي، حدثني عمي كثير بن محمد عن عبد الله بن عياش المنتوف عن مجالد عن الشعبي، قال:

ولى عبد الله بن الزبير البصرة القباعَ[1]، وإنما سُمّي القُباعَ لأنه رأى مكيالاً لأهل البصرة، فقال: ماهذا القباع؟ يعني الأجوف، فلقّبوه قباعاً وهو الذي يقول فيه أبو الأسود الدؤلي لعبد الله بن الزبير:

[من الوافر]

أبا بكرٍ جزاكَ اللهُ خيراً أرِحنا من قُباعِ بني المُغيرة

فعزله ابن الزبير وولى البصرة والكوفة جميعاً مصعب بن الزبير أخاه فقدم البصرة وكان المختار بالكوفة وقد أخرج عنها ابن مطيع عامل ابن الزبير.

فلما قدم أصحاب المختار المذار ليغلبوا على البصرة فيما دبّروا، زحف إليهم المصعب بوجوه أهل البصرة واستخلف عمرُ بن عبيد الله عُبيدَ الله بن عبيد الله بن مَعْمر أخاه، ويكنى أبا معاذ بكنية أبيه، وقتل المصعبُ ابنَ شُميط وأصحاب المختار وفضّ عسكرهم. ثم إن عمر بن عبيد الله استخلف أيضاً على البصرة أخاه

(١) جاء في المخطوطتين: (ولى عبيد الله بن معمر التيمي القباعَ) وهذا خطأ من الناسخ والقباعُ هو الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي. وفي الطبعة العبريه كما جاء في الأصل.

بأمر المصعب، وسار المصعب إلى الكوفة فقتل المختار.

وولّى عبد الله بن الزبير حمزة ابنه البصرة بعد أشهر، وذلك بمشورة رجل شخص إليه من أهل العراق مولى لبني عجل[1] يقال له إبراهيم بن حيان، فأخبره أن أهل البصرة محبّون ولايته، وكتب إلى مصعب في ضمّ مَن قبله من رجال البصرة إلى حمزة، فغضب مصعب وشخص إلى مكة، وحمل معه مالاً من مال الكوفة واستخلف عليها القباع.

وقدم حمزة البصرة في سنة تسع وستين فكان جواداً إلا أنه كان أحمق، شخص إلى الأهواز فدعا بدهقانها[2] واسمه مردانشاه، فأمره أن يحمل الخراج فاستأجله فشدّ عليه فضرب عنقه، وعنده الأحنف، فقال له: سيف الأمير لحادّ. ونظر حمزة إلى جبل الأهواز، فقال: كأنه قُعَيْقِعان[3]، يعني جبلاً بمكة فسمّوه قعيقعان وسموا الجبل أيضاً قعيقعان.

ولما ورد مصعب على عبد الله أخيه، قال له: من استخلفت على الكوفة؟ قال: الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة، وقال له: مارأيت في حمزة ابنك حتى عزلتني ووليته، قال: مارأى عثمان في ابن عامر حين عزل أبا موسى وولاّه، ولم أعزلك تفضيلاً له عليك، وردّه على المصرين جميعاً. فأقرّ القُباع بالكوفة على خلافته وأقرّ عمر بن عبيد الله على أمر البصرة ثم ولاّه فارس.

وقال ابن عياش: كان حمزة يُعطي الكثير من لايستحقه ويمنع القليل من يستحق الكثير، وكان يعطي مئة ألف ويمنع شسعاً، ورأى فيض[4] البصرة،

---

(١) بنو عجل بطن من بكر بن وائل. وهو عجل بن لُجَيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل ابن قاسط بن هِنب بن أفصى ابن دُعمي بن خديله بن أسد بن ربيعه بن نزار ـ اللوحة ١٣١ من الجزء الثالث من جمهرة النسب لابن الكلبي ـ

(٢) دهق: الدّهق: شدّة الضغط والدُّهقان: التاجر فارسي معرّب ـ اللسان ـ وهنا يعني ملتزم الخراج.

(٣) قعيقعان: جبل بالأهواز في حجارته رخاوة.

(٤) نهر بالبصرة قديم واسع عليه قرى ومزارع، والمعروف بالفيض ـ معجم البلدان ـ (٨٧)

فقال: إن هذا غدير إن رفق به أهله كفاهم ضيعتهم، وركب إلى فيض البصرة في الجَزرِ. فقال: لو اقتصدوا فيه لم ينقص هذا النقصان. ومدحه موسى شهوات فقال:

[من الرمل]

حمزةُ المُبتاعُ حمداً باللُّهى	ويرى في بيعه أن قد غَبنْ[1]
وإذا أعطى عطاءً فاضلاً	ذا إخاءٍ لم يُكدِّرهُ بِمن
وإذا ماسنَةٌ مُجدبةٌ	برتِ المالَ كبريٍ بالسَّفن
انجلت عنه نقياً ثوبهُ	وتولّت ومُحيّاه حسن
نورُ صدقٍ نيّرٌ في وجهه	لم يُصب أثوابه لونُ الدَّرن

ولجأ الفرزدق إليه وهو بالحجاز في امرأته وقد كتبنا قصته في خبر ابن الزبير.

قالوا: ولما صنع حمزة ماصنع بدهقان الأهواز، كتب الأحنف ووجوه أهل البصرة في عزله وإعادة مصعب، فعزله واحتمل حمزة مالاً من مال البصرة فعرض له مالك بن مسمع، وقال: لاندعك تخرج بأعطياتنا فضمن له عبيد الله بن عبيد الله ابن معمر العطاء كاملاً فكفّ، وقد كان عسكر في ربيعة وتخلّص حمزة بالمال فترك أباه وأتى المدينة، فأودع المال رجالاً فذهبوا به إلا يهودياً وفى له. وقال أبوه: أبعده الله أردتُ أن أباهي به بني مروان فنكص.

قالوا: وكان حمزة محبّاً لابن سريج المغني، وهو غنّى في قول موس شهوات:

حمزةُ المبتاع حمداً باللهى.

وكان حمزة لايخالفه، فسأله رجل أن يكلمه في إسلافه ألف دينار ففعل وأسلف الرجل ألفاً وأعطى ابن سريج ألفاً.

وحدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي عن وهب بن جرير عن أبيه عن صعب بن زيد، قال:

---

(١) لُها: العطية. ويقال إنه لمعطاء للهى: إذا كان جواداً يعطي الشيء الكثير. وفي جمهرة ابن الكلبي: ج: ١ ص: ٨١ حمزة المبتاع حمداً بالندى. (٨٨)

بعث ابن الزبير ابنه حمزة، وكان فيه ضعف وحمق فخرج إلى الأهواز فلما رأى جبلها، قال: إن هذا الجبل لشبيه بقعيقعان فسمّي لذلك قعيقعان.

قال صعب: وفرغنا يوماً من الخوارج ونحن بالأهواز، فخرج على فرسه مطلقاً برحات قبائه فكأني أنظر إلى تِكّة سراويله قد بدت على قربوس سرجه وهو يركض فكان وجهه إلى البصرة، ولم يلق قتالاً، وكان خليفته بالبصرة عبيد الله بن عبيد الله ابن معمر، وأقام بالبصرة سنةً، وكان عمر بن عبيد الله على فارس.

قالوا: ولما انقضى أمر يوم المذار أقبل المصعب نحو واسط القصب ولم تكن يومئذ، إنما كان أحدثها الحجاج بعد. فأخذ في كسكر وحمل الضعفاء في السفن فخرجوا في نهر يقال له قوسان منه إلى الفرات، فكان أهل البصرة يخرجون فيجرّون سفنهم ويقولون:

[من الرجز]

عوّدنا المُصعبُ جرَّ القلس بالزّنبريّاتِ الطِّوال المُلس[1]

ويقال إنهم قالوا ذلك حين شخص إلى الكوفة ثم إلى مَسكِن.

قالوا: وبلغ المختار مسيرهم، فخرج حتى نزل السَّيْلحون بالكوفة وسكّر الفرات على نهر السيلحون ونهر يوسف، وجعل يذكر شميطاً وأصحابه، فيقول: حبّذا مصارع الكرام. وبقيت سفن البصريين تجرّ على الطّين، فلما رأوا ذلك وجّهوا خيلاً إلى السكر فكسروه وصمدوا صَمْدَ الكوفة[2].

فلما رأى المختار ذلك أقبل حتى نزل حروراء وحال بينهم وبين الكوفة، وقد كان حَصّن القصر والمسجد واستخلف بالكوفة عبد الرحمن بن شدّاد الجشمي، وجعل المختار يومئذ على ميمنته سليمان بن يزيد الكندي، وعلى ميسرته سعيد بن منقذ الهمداني، وكان على شرطته يومئذ عبد الله بن قراد الخثعمي.

---

(١) القلس: حبل ضخم من ليف أو خوص ـ الزنبري: الضخم من السفن.

(٢) صمدوا: صمد الكوفة: قصدوا قصد الكوفة ـ اللسان ـ (٨٩)

وكـان على ميمنة المصعب المهلّب بن أبي صفرة وعلى ميسرته عمر بن عبيد الله بن معمر، وعلى الخيل عبّاد بن الحصين وعلى الرجال مقاتل بن مِسمَع، وعلى أهل الكوفة محمد بن الأشعث بن قيس، وعلى بكر بن وائل مالك بن مِسمع.

فلما رأى المختـار ذلـك وجّـه إلى كل خُمس من أخماس أهل البصرة رجلاً، فبعث إلى بكر بن وائل سعيد ابن منقذ صاحب ميسرته، وإلى عبد القيس وعليهم مالك بن المنذر بن الجارود عبدَ الرحمن بن شُريح الشبامي من همدان. وكان على بيت مالـه، وبعث إلى أهـل العالية وعليهم قيس بن الهيثم السلمي عبد الله بن جعدة بن هبيرة المخزومي، وبعث إلى الأزد وعليهم زياد بن عمرو العتكي سليمان ابن يزيد الكنـدي وكـان على ميمنتـه، وبعث إلى محمد بن الأشعث السائب بن مالك الأشعري، ووقف في تعبئة أصحابه.

وكـان المهلب في خُمَسَين كثيرَيْ العـدد والفـرسان وهم الأزد وتميم، وكان الأحنف حاضراً ولم يحبّ أن يشهر نفسه. فحمل بعض القوم على بعضٍ والمهلب واقف، فقيل له: ألا تحمل، فقال: ماكنتُ لأجزر الأزد وتميماً خشبية أهل الكوفة حتى أرى فرصتي، وحمـل ابن جعـد ة على أهـل العالية فكشفهم حتى ألحقهم بمصعب فجثـا المصعب عنـدها على ركبتيه ورمى بسهمه فرمى الناس سهامهم. وبعث إلى المهلب ماتنتظر لا أباً لغيرك، احمل على من يليك فحمل في خمسمئة على أصحاب المختار فحطموهم، وحمل الناس بأجمعهم فانهزم أصحاب المختار.

وقال عمرو بن عبد الله النهدي: اللهم إني أبرأ إليك من فعل هؤلاء، يعني أصحابه حين انهزموا وأبرأ إليك من هؤلاء يعني أصحاب مصعب، اللهم إني على ماكنت عليه بصفين، ثم قاتل حتى قتل، وقال مالك بن عمرو النهدي، وكان على الـرجالة وأُتي بفرسه ليركبه: والله لافعلت ولأن أقتل في أهل الصبر أحبّ إليّ من أقتل في بيتي، أين أهل الصبر اليوم، فثاب إليه خمسون رجلاً فشدّ وشدّوا على محمد ابن الأشعث بن قيس وأصحابه وكان بالقرب منه، فقتل محمد بن الأشعث.

فبنوا نهد يدّعون قتله يقولون: قتله مالك، وكندة تقول: قتله عبد الملك بن أشاءة الكندي، وخثعم تقول: قتله ابن قُراد الخثعمي. ويقال: إن المختار مرّ في

أصحابه على ابن الأشعث، فقال لهم: ياشرطة الله كرّوا على الثعالب الرّواغة فحملوا فقتل محمد بن الأشعث.

فقال أعشى همدان:

[من المتقارب]

ومـاعُـذرُ عينٍ على ابـنِ الأشـ ـجّ في أنْ يُغـتّر تقـطارُهـا
فلا تبـعـدنَّ أبـا قاسـمٍ فقـد يـبلغُ الـنفس مقـدارُهـا
بشطِّ حرورا إذا اجـتـمـعـت عليك ثقـيفٌ وسـحّـارُهـا

وقُتل سعيد بن منقذ في سبعين راكباً من قومه، وقتل سليمان بن يزيد الكندي في تسعين، ونزل المختار على فم سِكّة شبث بن ربعي فقاتل عامّة ليلته وقُتل معه بَشرٌ من همدان وغيرها، وانصرف البصريون عن المختار فعمد إلى قصرٍ فنزله.

وكانت وقعتهم يوم أربعاء، وكان عبد الله بن ثُوَب لما خرج يريد حروراء جعل يقول: اليوم يوم الأربعاء تربّعت السماء، ونزل القضاء بهزيمة الأعداء، فلما كانت الوقعة ضُرب على وجهه فقيل له: أين ماكنت تقول، فقال: ﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَايَشَآءُ ويُثْبِتُ وعِندهُ أُمُّ ٱلكتبِ ﴾(1) ويقال إن المختار قال ذلك.

وكان عبيد الله بن علي بن أبي طالب مع المصعب فقتل يومئذ، ويقال إنه قتل يوم المذار، فقال المصعب للمهلّب: يابا سعيد أعلمتَ أنهم قتلوا عبيد الله بن علي وهم يعرفونه ويزعمون أنهم شيعة أبيه، فقال المهلب للمصعب: أصلح الله الأمير أي فتح لو لم يكن محمد بن الأشعث قُتل، فقال: نعم، فرحم الله محمداً.

قالوا: وسار مصعب يوم الخميس بمن معه فأتى السبخة فقطع عن المختار المادّة، وبعث عبد الرحمن بن الأشعث(2) وزَحْر بن قيس إلى جبّانة مُراد، وبعث

(1) سورة الرعد رقم: ١٣ الآية رقم: ٣٩.

(2) يجب أن تكون بن محمد بن الأشعث لأن الأشعث لم يكن له ولد اسمه عبد الرحمن.

عبد الله بن الحرّ الجُعفي إلى جبّانة الصائدين[1] من همدان، وبعث عبّاد بن الحصين إلى جبانة كندة، فكانوا كلهم يقطعون عنه المادة.

وأمر المصعبُ المهلبَ أن يتّخذ على الكوفة درويا ففعل، فلم يقدر المختار على الماء فجعل يشرب وأصحابه من ماء البئر ويعطيهم من عسل عنده فيذيفونه به لطيب الماء.

مقتل المختار وأصحابه:

٥٤ ـ اقترب مصعب وأصحابه من القصر ورتّبهم في مواضع وقّفهم بها، وأقبل أحداثٌ يصيحون: يابن دَوْمة. فأشرف عليهم فقال: إن الذي تعيّرونه ابن رجل من القريين عظيم[2]، وكانت أم المختار دَومة بنت وهب بن معتّب بن وهب ابن كعب الثقفي، ثم خرج المختار في مئتين فحمل على أصحاب مصعب فقاتلهم وضرب يحيى بن ضمضم وكان فارساً شجاعاً، إذا ركب خطّت الأرض رجله فأطار قحف رأسه فخرّ ميتاً، ثم تتابع الناس عليه وكثروه فلم يكن له بهم طاقة فدخل القصر واشتدّ عليه الحصار.

فقال لأصحابه: انزلوا بنا نقاتل حتى نقتل كراماً، أما والله ماأنا بآيسٍ إن صدقتم أن تنصروا، فضعف أصحابه وعجزوا، فقال: أما والله لاأعطي بيدي ولا أحكّم في نفسي.

---

(١) الصائد: واسمه كعب بن شرحبيل بن شراحيل بن عمرو بن جشم بن حاشد بن جشم بن خَيران بن نَوف بن همدان.

(٢) في هامش الأصل: عظيم إحدى القريتين مسعود بن عمرو جدّه وعظيم القريتين الذي نزلت فيه الآية: ﴿ وقَالُوا لَولاَ نُزِّلَ هذَا القُرْءانُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ القَريتَينِ عَظيمٍ ﴾ سورة الزخرف رقم: ٤٣ الآية رقم: ٣١ والمختار هو ابن أبي عبيد بن مسعود ابن عمرو بن عُمير بن عقدة بن غِيَرة بن عوف بن ثقيف.

فلما رأى عبد الله بن جعدة مايريد المختار تدلّى من القصر فلحق بناس من إخوانه فاستخفى عندهم، ثم إن المختار أرسل إلى امرأته أم ثابت بنت سَمرة بن جندب، فبعثت إليه بطيب فاغتسل وتحنّط، ووضع الطيب في رأسه ولحيته، ثم خرج في تسعة عشر رجلاً من أصحابه فيهم السائب بن مالك الأشعري، فقال للسائب: ماترى؟ قال السائب: أنا أرى أم أنت ! قال المختار: بل الله يرى، أنت ويحك أحمق إنما أنا رجل من العرب رأيت ابن الزبير انتزى على الحجاز، ومروان على الشام، ونجدة على اليمامة، فلم أكن دون أحدهم، فقاتل على حسبك، فقال السائب: وماكنت أصنع بالقتال على حسبي، وتمثل المختار قول ابن الزِّبَعْري:

[من الرمل]

كلُّ بؤسٍ ونعيمٍ زائلٌ وسواءٌ قبر مُثْرٍ ومُقلٌ

ثم قال لأصحابه لما رأى بهم من الروع والفشل والامتناع من أن يتابعوه على الخروج والقتال معه: إني والله إن قُتلت لم تزدادوا إلا ضعفاً وذلاً، ثم إن أُخذتم ذُبحتم كما تذبح الغنم، يقولون: هذا قاتل أبي وهذا قاتل أخي، وإن قاتلتم صابرين فقتلتم مُتّم كراماً. ثم خرج فقاتل وهو يقول:

[من الرجز]

إن تقتلوني تجدوا لي جزرا محمداً قتلته وعمرا
والأبرصَ الجاهل لما أدبرا(1)

فقُتل السائب بن مالك ثم قُتل المختار عند الزّيّاتين قتله أخوان من عنزة يقال لهما طَرفة وطُريفة، وبنو تميم يدّعون أن مولى لبني عُطارد يقال له محمد بن عبد الرحمن قتل المختار.

وقال أبو اليقظان: قتله فيما تقول ربيعة طرّاف بن يزيد الحنفي.

---

(1) أراد بقوله محمد يريد قتل محمد بن الأشعث بن قيس، وعمراً: أراد قتل عمر بن سعد بن أبي وقاص، والأبرص: أراد قتل شمر بن ذي الجوشن وكان بيديه برص كما مرّ معنا سابقاً.

ماحدث بعد مقتل المختار:

٥٥ ـ ونزل الباقون من أصحابه على الحكم فجعل عباد بن الحصين ينزلهم مكتفين، وكان فيهم عبد الله بن قُراد فمروا به على عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث وهو يقول:

[من الرجز]

ماكُنتُ أخشى أن أُرى أسيرا إن الّذينَ خالَفوا الأميرا

قد خَسِروا وتُبِّروا تتبيرا

فقال عبد الرحمن ائتوني به فقدّموه إليه، فقال له ابن قُراد، أما إني على دين جَدّك الذي آمن به ثم كفر، يعني الأشعث إن لم أكن الذي ضربت أباك بسيفي حتى فاضت نفسه، فدنا منه فقتله، فغضب عباد بن الحصين من قتله إياه دون أمر مصعب، وأُتي مصعبُ برجل من بني مُسْلية[1] فقال:

الحمد لله الذي ابتلانا بالأمير وابتلاه بنا، من عفا عفا الله ومن عاقب لم يأمن القصاص، يابن الزبير نحن أهل قبلتكم وعلى ملّتكم ونحن قومكم لسنا بروم ولا ديلم، لم نَعْدُ أن خالفنا إخواننا من أهل مصرنا، فإما أن نكون أصبنا وأخطؤوا وإما أصابوا وأخطأنا، فاقتتلنا بيننا كما اقتتل أهل الشام بينهم، وكما اقتتل أهل البصرة بينهم، فقد افترقوا ثم اجتمعوا وقد ملكتم فأسجحوا[2] وقدرتم فاعفوا. فرقّ له مصعب وللأسرى.

فقام عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، فقال: اخترنا عليهم أو اخترهم علينا

وقام محمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني، فقال: قد قُتل أبي وأشرافنا وخمسمئة أو أكثر منا ويخلّى سبيلهم، ودماؤنا ترقرق في أثوابهم، اخترنا أو اخترهم.

---

(١) بنو مسليه: هو مسلية بن عامر بن عمرو بن عُلَة بن جَلْد بن مالك الذي هو مَذْحج.

(٢) السجح: لين الخدّ، والاسجاح حسن العفو وفي المثل السائر في العفو عند المقدرة ملكت فاسجح أي ظفرت فأحسن.

فأمر بهم أن يقتلوا، فقال بعضهم: قد أمرنا المختار أن لا نموت هذه الميتة الدنيئة فأبينا.

وكان من أخرج من القصر نحو من ستة آلاف.

حدثني أبو مسعود عن أبيه عن مجاهد، قال: لما ظفر مصعب بأصحاب المختار بعثت إليه عائشة بنت طلحة في أمرهم الحارث بن خالد المخزومي فوجدهم قد قُتلوا.

وقال مُسافِر بن سعيد بن نمران الناعطي: ماتقول يابن الزبير غداً وقد قتلت أمّةً من المسلمين حكّموك في أنفسهم ودمائهم صبراً وإن فينا لرجالاً ماشهدوا حربنا وحربكم إلا اليوم. فقُتل وقُتل القوم.

حدثني عبد الله بن صالح المقرىء عن الهيثم عن عوانة، قال:

لما أراد المصعب قتل أصحاب المختار ونزلوا على حكمه، شاور الأحنف بن قيس فيهم، فقال: أرى أن تعفُوَ عنهم، فإن العفو أقرب للتقوى، فقال أشراف أهل الكوفة: اقتلهم وضجّوا، فلما قتلوا، قال الأحنف: ماأدركتم بقتلهم ثأراً فليته لايكون في الآخرة وبالاً.

وكان المصعب قال: اقتلوا الموالي واعفوا عمن كان صليبيّاً(1) مع المختار، فقام ابن الأصبهاني وابن الإسكاف صاحب الدار بالبصرة، فقالا: ماهذا بحكم الإسلام، فقتل الجميع.

قالوا: وبعث المصعب إلى أم ثابت بنت سَمُرة بن جُندب الفزاري، وعَمرة بنت النعمان بن بشير الأنصاري امرأتي المختار فأحضرتا، فقال لهما: ماتقولان في المختار، فأما أم ثابت فقالت: ماعسينا أن نقول فيه إلا بمثل ماتقولون من الكذب وادعاء الباطل، فخلى سبيلها، وقالت عمرة: ماعلمته رحمه الله إلا مسلماً من عباد الله الصالحين، فحبسها المصعب في السجن، وكتب إلى عبد الله بن الزبير: إنها

---

(1) صليبية أي من صلب العرب.

تزعم أنه نبيّ[1] ، فكتب إليه أن أخرجها فاقتلها، فأخرجها إلى مابين الحيرة والكوفة بعد العشاء الآخرة، فأمر بها رجلاً من الشرط يقال له مَطر، فضربها بالسيف ثلاث ضربات، وهي تقول: ياأبتاه ياأهيلاه ياعشيرتاه، فرفع رجل يده فلطم مطراً، وقال: يابن الزانية عذّبتها فقطعت نفسها ثم أشخطت وماتت، وتعلّق مطر بالرجل فأتى به مصعباً، فقال: خلّوه، فقد رأى أمراً عظيماً فظيعاً، وكان لقب مطرٍ هذا تابعة.

فقال عبد الله بن الزَّبير الأسدي ويقال عمر بن أبي ربيعة:

[من الخفيف]

إنّ من أعجب العجائِبِ عندي ... قتلُ بيضاءَ حُرّةٍ عُطبولِ[2]

قتلوها ظلماً على غير ذنبٍ ... إنّ لله دَرَّها من قتيلِ

كُتبَ القتلُ والقِتالُ علينا ... وعلى المُحْصَنات جَرُّ الذيولِ

وقال الأحوص ويقال غيره:

[من الطويل]

ألم تعجَبِ الأقوامُ من قتلِ حرّةٍ ... من الجامعات العقلَ والدّينَ والحسب

من العاقلات المؤمنات بريّةٍ ... من الشكِّ والُبهتان والإثمِ والرِّيب

كأنّهم إذ أبرزوها فقُطّعت ... بأسيافهم فازوا بمملكة العرب[3]

وكان مقتل المختار في شهر رمضان سنة سبع وستين، وبعث المصعب برأسه ورؤوس وجوه أصحابه إلى عبد الله بن الزبير بمكة، وسمّر المصعب يد المختار على حائط المسجد الجامع فلم تزل مسمورة حتى قدم الحجاج الكوفة، فأمر بها فانتُزعت ثم دُفنت.

---

(١) هنا نجد أن المصعب قد كذب فلم تقل شيئاً يوجب القتل ودمها في عنق المصعب.

(٢) عطبول وعيطبول: جارية جميلة فتية ممتلئة طويلة العنق: وقد وردت هذه الأبيات لتغيير بعض الكلمات في الأغاني. ج؛ ٩ ص: ٢٢٠ لعمر بن أبي ربيعة.

(٣) لم ترد في ديوان الأحوص لا في شعره ولا في شعر من استشهد به.

ولما قتل المصعب المختار أنفذ عمر بن عبيد الله بن معمر إلى البصرة، وأقام بالكوفة لإصلاح أمرها فكان يوم الجُفرة بالبصرة في أيام عمر بن عبيد الله هذه، ثم لحق به مصعب وقد ذكرنا ذلك فيما تقدّم من نسب بني أبي العيص.

حدثني العمري عن الهيثم بن عدي عن عوانة وغيره قالوا:

وفد مصعب على أخيه عبد الله ثلاث مرّات، أولاهن من الكوفة حين قتل المختار ومعه إبراهيم بن الأشتر، والثانية من البصرة بمال العراق حين عزله وولى حمزة بن عبد الله البصرة، فقدمها غلام معجب حريص فقصّر بالأشراف وبسط يده، ففزعوا إلى مالك بن مِسمَع، فأمر بحمل سرادقه فضرب على الجسر، ثم أرسل إلى حمزة: يابن أخي الحق بأبيك فأخرجه عن البصرة، فقال العُدَيل بن فرخ العجلي:

[من الطويل]

إذا ماخَشينا من أمير ظُلامةً ... دعونا أبا غسّان يوماً فعسكرا
فما في معدٍّ كلّها مثلُ مالكٍ ... أغرُّ إذا سامى وأهيبُ منظرا
بني مسمعٍ لولا الإلهُ وأنتمُ ... بني مِسمعٍ لم يُنكر الناسُ مُنكرا
بني مسمعٍ أنتم ذؤابةُ وائلٍ ... وأكرمُها في أوّل الدّهر جوهرا[1]

فردّ عبد الله مصعباً على الكوفة والبصرة، ثم إنه احتاج إلى مشافهة أخيه عبد الله بشيء في أمر عبد الملك حين بلغه عزمه على إتيان العراق، فشخص إليه فلم يقم قبله إلا يوماً، ثم ركب رواحله إلى البصرة.

---

(١) جاء في الأغاني: ج: ٢٢ ص: ٣٧٢ بغير هذه الألفاظ وهي من قصيدة مطلعها: أمن منزلٍ من أم سَكنٍ عشيّةً.

ماقيل في المصعب عندما قتل المختار وأصحابه:

٥٦ ـ وحدثني عباس بن هشام عن أبيه عن أبي مخنف وعن عوانة، قالا:

لما قدم مصعب على أخيه بعد قتل المختار، قال له ابن عمر: أأنت الذي قتلت ستة آلاف من أهل القبلة في غداة واحدة على دَم؟ فقال: إنهم كانوا سحرة كفرة. فقال له: والله لو كانوا غنماً من تراث الزبير لقد كان ماأتيت عظيماً.

قالوا: وقال عبد الله بن الزبير لابن عباس وأخبره بأمر المختار فرأى منه توجعاً وإكباراً لقتله: أتتوجع لابن (أبي) عُبيدٍ وتكره أن تسمّيه كذاباً! قال: ماجزاؤه ذلك مِنّا، قتل قتلتنا وطالب بدمائنا وشفى غليل صدورنا.

قالوا: ومَرَّ عروة بن الزبير على ابن عباس، فقال: ياأبا عباس إن ربك قتل المختار الكذاب وهذا رأسه قد جيء به، فقال ابن عباس: قد بقيت لكم عقبة إن صعدتموها فأنتم أنتم، يعني عبد الملك وأهل الشام.

حدثني عمر بن شبّة عن موسى بن إسماعيل عن أبي هلال عن أبي يزيد المدني، قال:

ذكر ابن عمر الدجّالين والكذّابين، فقال ومنهم ذو صهري هذا، قال وقلت: ومن ذو صهرك، قال: المختار.

وحدثني عمر ثنا أبو داود ثنا قيس عن أبي إسحاق عن سعيد بن وهب، قال:

قيل لابن الزبير إن المختار يزعم أنه يوحى إليه، قال: صدق ثم قرأ ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ على مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ * تَنَزَّلُ على كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾[1].

حدثني مصعب بن عبد الله الزبيري عن أبيه، قال:

قال هشام بن عروة: قيل لابن عباس إن المختار يزعم أنه يوحى إليه، فقال: صدق، إنها وحيان وحي الله إلى محمد صلى الله عليه وسلم ووحي الشياطين، وقرأ ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إلى أَوْلِيَآئِهِمْ﴾[2].

---

(١) سورة الشعراء رقم: ٢٦ الآية رقم: ٢٢١.

(٢) سورة الأنعام رقم: ٦ الآية رقم: ١٢١

وحدثني عباس بن هشام عن أبيه عن جدّه عن أبي صالح، قال:

كان ابن عباس يقول في المختار طلب بثأرنا وقتل قتلتنا، فنهاه محمد بن الحنفية، وقال: نحن أعلم به فلا تقل فيه من الخير شيئاً.

وقد روي عن ابن عباس أنه ذكر عنده المختار، فقال: صلّى عليه الكرام الكاتبون.

حدثنا بسام الجمال وغيره قالوا ثنا حماد بن سلمة عن يحيى بن سعيد عن أبيه:

إن المختار لما دعا الناس لبيعته رأيت الحارث بن سويد يذهب مُرفلاً[1]، فقلت: أين تذهب، أما تدري ماهذه البيعة. قال: بلى ولكني سمعت ابن مسعود يقول: ماكلام أتكلم به يرد عني ضربتين بسوط إلا كنت متكلماً.

المدائني، قال: وجد المختار في بيت مال الكوفة تسعة آلاف ألف درهم ويقال ألف ألف وتسعمئة ألف.

المدائني، قال: كتب المختار إلى ابن الزبير إن ابن مطيع خالفك وكاتب عبد الملك، وأنت أحبُّ إلينا من عبد الملك، فوجّه عمر بن عبد الرحمن بن الحارث فماكره المختار، وقد كتبنا خبره.

قال: وكتب المختار إلى ابن الزبير أني اتخذت الكوفة داراً فإن سوّغتني ذلك وأمرت بألف ألف درهم سرت إلى الشام وكفيتك أمره، فقال ابن الزبير: إلى متى أماكر كذاب ثقيف ويماكرني ثم تمثل: [من الرجز]

عاري الجواعِرِ من ثمودٍ أصلُهُ ... عبدٌ ويزعُم أنهُ من يَقدُمُ[2]

وكتب إليه لا والله ولا درهماً، وقال:

[من الطويل]

ولا أمتري بالهُونِ حتى يدُرَّني ... وإني لآبى الخسفَ مادمتُ أسمعُ

---

(١) مرفلاً: متبختراً ـ اللسان ـ

(٢) تنسب ثقيف إلى ثمود وتنسب إلى يقدم بن عنزة من قبل بعض الناس وهذا ليس بالثبت.

فجاهره المختار عندها ونصب له.

وقال المدائني: أعظمت ربيعة قتل إياس وابنه[1]، وقالوا: يُقتل بهما إبراهيم بن الأشتر، فقال سراقة البارقي:

[من الوافر]

أتــوعُـدنــا ربــيعـةُ في إياسٍ | ومــاتــدري ربــيعـةُ ماتــقــولُ
ولــولا رَفـعُـنــا عنهم لكــانــوا | كمــن غالــتــهُ في الأيّام غُولُ
لإبــراهــيمُ أمــنــعُ من سُهيلٍ | إذا طارت من الفَـزع العُقــولُ
وأمــنــعُ جانــبــاً من ليثِ غابٍ | جريءٍ دونــهُ أجــمٌ وغِــيلُ
وأصــدق عدوةً منــه إذا مــا | تدمّــى من فريســتــه التــليلُ[2]

حدثني روح بن عبد المؤمن عن غُندر عن شعبة عن الحكم، قال:

صلّيت خلف أبي عبد الله الجدلي زمن الكذاب، وكان الكذاب استخلفه، فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم، فلما قرأ غير المغضوب عليهم ولا الضّالين، قال: كفى بالله هادياً ونصيرا، ثم قال: بسم الله الرحمن الرحيم.

المدائني، قال: قال المختار: من جاءنا من عبدٍ فهو حرٌّ، فبلغ ذلك ابن الزبير، فقال: قد كان يقول: إني لأعرف كلمة لو قلتها كثُر تَبعي، وهي هذه ليكثرنّ تَبَعُه.

قال أبو الحسن المدائني: أتى عبّاد بن زياد دومة الجندل بعد مرج راهط طالباً للعـزلة وهارباً من الفتنة، فوجه المختار إليه شرحبيل بن ورس الهمداني في أربعة آلاف، فأرسل إليه عبّاد: إني هربت إلى دومة الجندل بديني واعتزلت الفتنة، فقال له أصحـابه: هو رأس الفتنة وأولها وآخرها فلا تبرح حتى تسفك دمه. فعزم ابن

---

(١) إياس بن مضارب وكان على شرطة بن مطيع وابنه راشد وقد مر خبر قتلهما.

(٢) التليل: المصروع ـ اللسان ـ

ورس على قتاله. فقال عباد لأصحابه وهم سبعمئة من عبيده ومواليه وأتباعه: اخرجوا بنا إلى هؤلاء القوم فإنه لم يُحصر قوم قطّ إلا وهنوا وذَلّوا. فقاتلهم فقُتل من أصحاب ابن ورس أكثر من ألف، ولم يُقتل من أصحاب عبّاد إلا الوليد بن قيس مولى عبيد الله بن زياد وانهزم ابن ورس، فوثب الأعاريب عليه فانتهبوه وقتلوا جماعة من أصحابه، فصار فيمن بقي معه إلى بلاد طيء، فجمع له معدان الطائي، وهو معدان بن سلمة بن حنظلة فقاتله ابنُ ورس وهو يقول:

[من الرجز]

أنا ابن ورسٍ فارسٌ غيرُ وَكِل ... أروعُ مقدامٌ إذا النكسُ نكَل

وأعتلي رأسَ الطِرِمّاح البطلْ ... بالسيفِ يوم الرَّوعِ حتّى ينجدل

وجعل مَعدانُ يقول:

[من الرجز]

إيهٍ بني مَعنٍ ذوي العديدِ ... فجرّدوا البيضَ من الحديدِ

ولا تُعيدوهُنَّ في الغُمودِ ... وانتزعُوا سُرادِقَ العَبيدِ

فقتلوا منهم سبعمئة ودخل ابن ورس الكوفة.

فقال الأخطل:

[من البسيط]

وأنت يابنَ زيادٍ عندنا حَسنٌ ... منكَ البلاءُ وأنتَ النّاصح الشَّفِقُ

المستقِلُّ أموراً ليس يحملها ... غُمرٌ من القومِ رعديدٌ ولا خَرِقُ

حوادث جرت في أيام المختار:

٥٣ ـ وقال المدائني: مالَ عُمير بن الحباب يوم الخازر، وقال يالثارات المرج فقُتل ابن زياد وحصين بن نمير وشرحبيل بن ذي الكلاع.

وقال أبو الحسن المدائني: أقام عبيد الله بن زياد حين وجهه مروان على قرقيسيا سنة فلم يقدر على شيء، فتوجّه يريد العراق فلقي التوابين، ثم سار يريد العراق فقتل بالخازر، وقال عمير بن الحباب:

[من الوافر]

جُزيناهُم بيومِ المرجِ يوماً ... كسُوفَ الشمس أسودَ ذا ظِلالِ
فلم ينفكَّ أعظمُ سكسكيٍّ[1] ... أمامَ الجسرِ مااختلفَ اللّيالي

وقال الفرزدق:

[من الطويل]

ألا رُبَّ من يُدعى الفتى ليس بالفتى ... ولكنّما كان الفتى ابنُ زيادِ

وقال المدائني: بعث المختار برأس ابن زياد إلى عبد الله بن الزبير، فبعث به عبد الله إلى ابن الحنفية، فقال: ﴿الشَّهرُ الحَرامُ بِالشَّهرِ الحَرامِ والحُرُماتُ قِصاصٌ﴾[2] قال: ورماك بالحق.

قال المدائني: قتل المختار عبدَ الله بن شدّاد الجهني، وأبا عمر بن خالد بن أسِيد، وزيد بن رقّاد الجنبي، وعمرو بن الحجاج الزُّبيدي فُقد فمات عطشاً، وهرب مِسكين بن عامر الدّارمي وكان ممن قاتل قبل المختار بالكوفة ولحق بمحمد ابن عمير بن عطارد بأذربيجان، وقال في أبيات له:

---

(١) السكسكة: من الألفاظ التي تحمل الضدين، وهي بمعنى: الضعف والشجاعة.

(٢) سورة البقرة رقم: ٢ الآية رقم: ١٩٤.

[من الخفيف]

لَهفَ نفسي على قَريع قُريشٍ يوم يؤتى برأسهِ المختار[1]

ليتنا قبلَ ذلك اليوم مُتنا أوفعلنا مايفعلُ الأحرارُ

وقال المدائني: هرب أسماء بن خارجة إلى البادية فنزل على رجل من بني عبس، وكان للعبسي كلب يقال له وقّاع، فقال العبسي: إني أخاف على كلبي، فقال أسماء أنا له ضامن، فكان يأمر بإطعامه حتى تناهى سمنه، ثم رحل أسماء فنزل بلاد كلب ونزل بالعبسي رجلٌ من بني ثعلبة بن سعد يُكنى أبا حيّان، فجاء الكلبُ والطعامُ موضوع فرماه أبو حيان بسهم فقتله، وأمِنَ أسماء فرجع ونزل بالعبسي، فقال: مافعل وقّاع؟ فأخبر وقال قد كنتَ ضمنته، قال: احتكم، فقال: ألف درهم فأعطاه أربعة آلاف درهم.

حدثني عمر بن شبّة حدثني حيّان بن بشر بن يحيى بن آدم عن علي بن هشام عن أبي الجحاف، قال:

قال لي معاوية بن ثعلبة: لما خرج المختار كرهت الخروج معه فأتيت محمد بن الحنفية فسألته، فقال: إني آمرك بما آمرُ به نفسي، لاتخرج معه فإنا أهل بيت لانبتزّ هذه الأمّة أمرها، وإن علياً لم يقاتل حتى كانت له بيعة.

وذكر الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء، قال:

أراد ابن الحنفية أن يقدم الكوفة، فقال المختار: إن في المهدي علامةً وهي أن يضربه رجل بالسيف ضربة فلا تضرّ، فبلغ ابن الحنفية ذلك فأقام.

وقال نصر بن عاصم الليثي:

[من الكامل]

فارقتَ نَجدةَ والذين تزرّقُوا وابن الزبير وشيعةَ الكذّابِ

والصُفرَ الآذان الذين حين تخيّروا ديناً بلا فقهٍ ولا بكتابِ

---

(١) قريع قريش: خيار قريش وهو يعني عبيد الله بن زياد لأن معاوية ألحق زياد بنسبه فأصبح زياد قرشي من بني أمية وابنه عبيد الله كذلك.

وحدثني سعيد بن سليمان سعدويه وعمرو بن محمد الناقد، قالا ثنا هُشيم عن المغيرة عن إبراهيم، قال:

ماكانوا يقرؤون خلف الإمام حتى كان المختار فاتهموه فقرؤوا خلفه وكان يصلّي بهم صلاة النهار ولا يصلّي بهم صلاة الليل.

حدثني عبد الله بن صالح ثنا أشياخنا: أن الشعبي كان يقول للخشبية: ياشرطة الله قَعي وطيري.

حدثني عمرو بن محمد الناقد عن حفص بن غياث عن الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت، قال:

كانت هدايا المختار تأتي ابن عمر وابن عباس وابن الحنفية فيقبلونها.

حدثني هُدبةُ بن خالدٍ عن وُهيب عن ابن عون عن نافع، قال:

ماردّ ابنُ عمر على أحدٍ من الولاة صلته إلا المختار فإنه بعث إليه بمئة ألف درهم فردّها.

حدثني المدائني، قال: قدم محمد بن الأشعث البصرة وهو ينادي: واغَوثاه تركنا السيوف تنطف وقُلف[1] العبيد في الأحراح، وكان على البصرة القُباع، فقدم المصعب على بقية ذاك.

وقال ابن قيس الرُّقيات يمدح مصعباً:

[من الخفيف]

والّذي نغَّص ابنَ دومَةَ مايُو — حي الشياطينُ والسُّيوف ظِماءُ

فأباح العراقَ بضربهمُ بالسَّـ — ـيفِ صلتاً وفي الضِّراب جلاءُ

مُلكه مُلكُ رحمةٍ ليس فيه — جبروتٌ يُخشى ولا كبرياءُ[2]

وقال ابن الكلبي: بعث مصعب إلى عبد الرحمن بن حِجر بن عديّ، وعبد ربّ ابن حجر، وعِمران بن حُذيفة ابن اليمان فقتلهم صبراً، وكانوا خرجوا مع المختار.

---

(١) القُلف: بالضم: الغرلة وهي جلدة الذكر التي تقطع عند الختان.

(٢) في الطبعة العبرية منه بدلاً من يخشى. ورد منها بيتان في الأغاني. ج: ٥ ص: ٧٠.

حدثني يوسُف بن موسى القطّانُ عن جرير بن عبد الحميد عن مغيرة قال:

قُتل عُبيد الله بن عليّ مع مصعب يوم المختار.

وحدثني عباس بن هشام عن أبيه عن عوانة عن أبيه، قال:

لما وفد مصعب على أخيه بعد قتل المختار، قال لابن عمر: ماتقول في قوم خلعوا ربقة[1] الطاعة وسفكوا الدماء وقاتلوا فقوتلوا حتى إذا غُلبوا دخلوا حِصناً فسألوا الأمان على الحكم فأُعطوا ذلك، ثم أُخرجوا فقُتلوا قال:

وكم العدّة؟ قال: خمسة آلاف، قال: فسبح ابن عمر ثم قال: عمّرك الله يابن الزبير، لو أن رجلاً أتى ماشيةً لآل الزبير فذبح منها خمسة آلاف، ألم تكن تراه مُسرفاً، قال: فسكت فلم يُجب. فقال: ألم يكن فيهم من ترجى له التوبة، ألم يكن فيهم مُسْتكره.

حدثني عباس بن هشام عن أبيه، حدثني أبو بكر بن عياش، حدثني أبو إسحاق السَّبِيعي، قال:

مازال شراب أهل الكوفة الزبيب حتى كان زياد فشربوا التمر.

قال وحدثنا أبو بكر قال: أول ماقُرىء خلف الإمام في زمن المختار لأنهم اتهموه.

حدثنا أحمد بن إبراهيم ثنا وهب بن جرير عن أبيه عن صعب بن يزيد، قال:

كان عبد الله بن الزبير استعمل مصعباً على البصرة، ثم عزله واستعمل ابنه حمزة وذلك بعد قتل المختار، فلما رأى أهل البصرة ضعف حمزة طلبوا إلى ابن الزبير أن يردّ إليهم المصعب، وكان المصعب رجلاً له نجدة وشجاعة وسخاء، وبَصرٌ بما يأتي ويذر، فلما قدم البصرة جبى خراج الأهواز وشاطىء دجلة، وجعل يعطي الناس العطاء في كل سنة مرتين في أولها وآخرها، فلم يزل المصعب بالبصرة إلى أن خرج إلى مسكن.

---

(١) ربقة: الربقة في الأصل: عروة في حبل تجعل في عنق البهيمة أو يدها تمسكها. وخلعوا ربقة الطاعة فارقوا الجماعة.

وحدثنا أبو خيثمة أحمد بن إسرائيل ثنا وهب بن جرير عن أبيه، قال:

استعمل عبدُ الله بن الزبير عبدَ الله بن مطيع العدوي [1] على الكوفة، فقال المختار لابن الزبير وهو يومئذ عنده: إني لأعلم قوماً لو أن لهم رجلاً له رِفْقٌ وعلم بما يأتي ويذر لاستخرج لك منهم جُنداً تقاتل بهم أهل الشام، قال: من هُم؟ قال: شيعة علي وبني هاشم بالكوفة، قال: فكن أنت ذلك الرجل.

فبعثه إلى الكوفة، فنزل ناحية منها وجعل يبكي على الحسين ويذكر مصابه حتى ألفوه وأحبّوه فنقلوه إلى وسط الكوفة، وأتاه منهم بشر كثير، فلما علا أمره وقوي شأنه سار إلى ابن مطيع فأخرجه من الدار.

وحدثني أحمد بن إبراهيم ثنا وهب عن أبيه عن جدّه حدثوه.

أن المختـار لما غلب على الكوفة ابتنى لنفسه من بيت المال داراً أنفق عليها مالاً عظيماً، واتخذ بستاناً من بيت المال، وأعطى عطايا كثيرة وأنفق نفقات، وكتب إلى ابن الزبير: إن سوغتني ماأنفقت من بيت المال فإني في طاعتك، وإنما حملني على إخراج ابن مطيع مارأيت من وهنه وضعفه وأنه لم يكن صاحب ماهو فيه.

فأبى ابن الزبير أن يفعل فخلعه المختار، وكتب إلى علي بن الحسين بن علي يريده على أن يبـايع له، وبعث إليه بمال، فأبى أن يقبله وأن يجيبـه، وخـرج إلى المسجد فشتمه وعابه وذكر كذبه، فكتب المختار إلى ابن الحنفية يريده على ذلك، فأتـاه علي بن الحسين فأشار عليه أن لايقبل وأن يخرج إلى الناس فيتبرأ منه ويعيبه ويذكـر كذبه، فأتاه ابن عباس فقال: لاتفعل فإنك لاتدري على ماأنت من ابن الزبير، فأطاع ابن عباس وسكت عن عيب المختار.

وغلظ أمـر المختار بالكوفة وكثرت خشبيته فجعل يخبرهم أن جبريل يأتيه، وتتبع قتلة الحسين فقتلهم، وكان ممن قتل عمر بن سعد بن أبي وقاص، وهو الذي كان لقي الحسين فقتله، فازداد أهل الكوفة إعظاماً له وحبّاً وطاعة، فخرج النعمان ابن صُهبان الراسبي من البصرة، وكان يرى رأي الشيعة حتى قدم الكوفة فدخل

---

(١) عدوي: قوم عمر بن الخطاب وهو عدي بن كعب بن لؤي بن غالب بن قريش.

على المختار ذات يوم، فقال له المختار: هذا مجلس جبريل قام عنه آنفاً.

فخرج النعمان وأصحابه فقاتلوه فقتلوا أجمعين.

حدثنا أبو خيثمة ثنا وهب بن جرير، حدثني أبي ومحمد أبي عُيينة:

أن المختار وجّه أحمرَ بن شميط ليأخذ البصرة، فخرج في أربعين ألفاً فنزل المذار[1]، واستنفر المصعب الناس، وخرج إليه بالبصرة[2]، وقد كان مصعب لما قدم العراق كتب إلى المهلب حين قتل ابن الماحوز الخارجي أن يصير إليه فأتاه، فسار المصعب بالناس حتى نزل بإزاء ابن شميط[3] بالمذار واستعمل على ميمنة الناس المهلّب بن أبي صفرة وعلى ميسرتهم عمر بن عبيد الله بن معمر، وكانت في الميمنة تميم والأزد وفي الميسرة ربيعة، وكان المصعب في القلب ومعه أهل العالية من أخلاط الناس.

فلما زحف بعض الناس إلى بعض حمل عمر بن عبيد الله على ميمنتهم فهزمهم وقُتلِ ابن شميط وأصحابه.

عمال ابن الزبير

٥٨ ـ قال علي بن محمد أبو الحسن المدائني وغيره:

اصطلح أهل الكوفة بعد موت يزيد وهرب ابن زياد على عامر بن مسعود، فأقرّه عبد الله بن الزبير أشهراً ثم عزله، وولى الحرب والصلاة عبد الله بن يزيد الخَطمي[4] وولّى الخراج إبراهيم بن محمد بن طلحة.

---

(١) المَذارُ: المذار في ميسان بين واسط والبصرة وهي قصبة ميسان بينها وبين البصرة مقدار أربعة أيام وبها قبر عبيد الله بن علي بن أبي طالب.

(٢) هكذا في الأصل وفي الطبعة العبرية كذلك ويجب أن تكون بأهل البصرة.

(٣) في الأصل وفي الطبعة العبرية: بإزاء المهلب بن أبي صفرة وهو سهو من الناسخ لأن المهلب خرج معه من البصرة كما يتضح فيما سبق. وكذلك عند الطبري خرج المهلب معه من البصرة.

(٤) الخطمي: نسبة إلى بطن من الأوس وهو خطمه واسمه عبد الله. وهو عبد الله بن يزيد بن =

صفات عبد الله بن يزيد الخطمي:

فحدثني عمر بن شبّة ثنا أبو داود ثنا زهير بن معاوية عن أبي إسحاق، قال:

٥٩ - خرج عبد الله بن يزيد يستسقي وخرج معه البراء بن عازب ويزيد بن أرقم، وخرجت معهم يومئذ، فخطب على رجليه على غير منبر، فاستغفر الله واستسقى وصلّى بنا ركعتين جهر فيهما بالقراءة ونحن خلفه ولم يؤذّن يومئذ ولم يُقِمْ.

وحدثني الحسين بن علي بن الأسود ثنا يحيى بن آدم عن إسرائيل عن عبد الله بن يزيد: أنه دَفَن ميتاً فسلّه من قبل رجليه.

حدثنا عمر بن محمد الناقد ثنا أبو أحمد الزبيري عن مسعود عن ثابت بن عبيد، قال: رأيتُ على عبد الله بن يزيد خاتماً من ذهب وطيلساناً مُدَبّجاً.

وحدثني الحسين بن علي عن يحيى بن آدم عن إسرائيل عن الأشعث بن سُليم عن عبد الله ابن يزيد الأنصاري:

إنه كان على الناس، فقام من العشيِّ قبل العيد، فقال: إنا خارجون وإنا مصلّون، قبل الخطبة.

حدثنا عفّان ثنا حماد بن سلمة ثنا أبو جعفر الخطمي ثنا محمد بن كعب، قال:

دُعي عبدُ الله بن يزيد إلى طعام، فلما جاء وجد البيت منجّداً فقعد خارجاً يبكي، فقالوا: مايبكيك؟

قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا شيّع جيشاً فبلغ عقبة الوادي، قال: «أستودع الله دينكم وخواتم أعمالكم» فرأى يوماً رجلاً رقع بردةً له بقطعة فَرْوٍ، فقال: «أأنتم اليوم خير أم إذا غَدَت عليكم قصعةٌ وراحت قصعةٌ، وغدا أحدكم في حُلّةٍ وراح في حُلّة، وسترتم بيوتكم كما تُستر الكعبةُ».

وقال المدائني وغيره: وعزل ابنُ الزبير عبدَ الله وصاحِبَه، وولّى الكوفة عبدَ الله ابن مطيع، فأخرجه المختار منها ثم ولّى أخاه مصعباً البصرة والكوفة، وقال له: إذا فتحت الكوفة فأنت أميرها وأمير ثغورها.

= زيد بن حِصن ابن عمرو بن الحارث بن عبد الله (خطمة) بن جشم بن مالك بن الأوس.

وبهامش المخطوط عبد الله بن يزيد صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

صفات الحارث بن عبد الله القباع:

٦٠ ـ فقُتل المختار بالكوفة سنة سبع[١] وستين ثم استخلف على الكوفة القُباع، وهو الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي، وولّى المهلبَ بن أبي صفرة الموصل والجزيرة وأرمينية، وقال له: إنما ولّيتك لتكون بيني وبين عبد الملك وجيوشه لثقتي بحزمك. ووجه إلى البصرة عمر بن عبيد الله بن معمر ولم يزل خليفته عليها ثم ولاه فارس بعد مصيره من الكوفة إليها.

وقال بعضهم: إن مصعباً استخلف القباع وأمره أن يجعل عمرو بن حريث خليفته.

وعزل عبدُ الله بن الزبير أخاه بعد سنة من مقتل المختار أو أقلّ عن البصرة، وولى البصرة ابنه حمزة، وأمر مصعباً أن يلحق بمن معه من رجال البصرة، فعزل المهلب عن الموصل ونواحيها فلحق بحمزة بالبصرة.

وخرج المصعب إلى أخيه فردّه على البصرة والكوفة. فكانت ولاية حمزة نحواً من سنةٍ، وأقرّ حمزة عمر بن عبيد الله على فارس، وكُلّم في توجيه المهلب لقتال الأزراقة، ففعل.

قالوا: وولى القُباع شرطة الكوفة شَبث بن بعي الرياحي. فذكر عبد الله بن المبارك عن مسعر عن عبيد الله بن القبطي، أن الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة القُباعَ فاتته الركعتان قبل الفجر فأعتق رقبةً.

وحدثني عمر بن شبة عن أبي داود عن شعبة عن مغيرة عن الشعبي عن ابن أبي ربيعة، أنه أجّل العِنّين سنة، وروي أن الشعبي، قال: يؤجّل تسعة أشهر.

وحدثني عمرو بن محمد الناقد ثنا أبو أحمد الزبيري عن سفيان عن حماد عن الشعبي قال:

---

(١) في الأصل المخطوط على هذا الشكل تسع من دون نقط فجاءت في الطبعة العبرية تسع من دون الرجوع إلى ماسبق حيث حدد في سنة سبع وستين وهو الثبت.

ماتت أم الحارث[1] بن أبي ربيعة وهي نصرانية فشهدها معه قوم من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم.

وقال المدائني: كانت أمه نصرانية سوداء وكانت أكلت حمامة من حمام مكة، فكان يعير بذلك.

صفات شبث بن ربعي:

٦١ - المدائني قال: تقدّم شَبث بن ربعي ليصلي على جنازة رجل من بني حميري[2] بن رياح وهو شرط القباع بالكوفة فمنعوه، فوثب ابنه عبد السلام على رجل فقطع أذنه، فدفعه شبث إليهم ليقطعوا أذنه فقالوا هو ابن أمة وصاحبنا ابن مهيرة[3] فدفع إليهم ابنه عبد العزيز فأبوه فدفع إليهم عبد القدوس فقطعوا أذنه فعزله القُباع وقال: هذا أعرابي، وولى شرطته سويد بن عبد الرحمن المنقري[4]. فقال شبث:

[من الطويل]

أبعدَ القُباعِ آمَنُ الدهرُ صاحِباً ... على سَوءةٍ إنّي إذاً لغَبينُ

وأُمكَ سوداءُ الجواعر جَعْدَةٌ ... لها شَبَةٌ من منخريكَ مُبينُ

وقال الهيثم بن عدي والمدائني: أتى بني تميم محمدُ بن عمير بن عطارد في حَمالة، فقال: تقسم على بني عمرو كذا، وعلى حنظلة كذا، وعلى بني سعد كذا، فقال شبث: بل كلّها عليّ، فقال ابن عُمير: نعم العَون على المروءة المال، قال: وكان

---

(١) الحارث بن أبي ربيعة هكذا جاء في الأصل وفي الطبعة العبرية وهو خطأ فلم يلد أبو ربيعة إلا بجيراً وسماه الرسول صلى الله عليه وسلم عبد الله وعياشاً وصحته الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة وأمه من ولد أبرهة نصرانيه وعندما خرجوا معه في جنازتها، قال لهم: انصرفوا محمودين إن لها أهل دين أولى بها منا ومنكم - نسب قريش -

(٢) حميري بن رياح بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم.

(٣) حرة يدفع لها المهر فهي مهيرة.

(٤) بطن من تميم وهو منقر بن عبيد بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم.

شبث علوياً، والهيثم بن الأسود أبو العريان عثمانياً وكانا متصافيين، فقال الهيثم لشبث: إني أخاف عليك من يوم صفين.

قال العريان بن الهيثم بن الأسود: فمرض شَبث فأتيته، فقلت له: يقول لك أبي كيف تجدك، قال: أنا في آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة، فأخبر أباك أني لم أندم على قتال معاوية يوم صفين، وتمثل قول لبيد:

[من الطويل]

تمنّى ابنتـايَ أن يعيش أبـوهما وهل أنا إلاّ من ربيعةَ أو مُضر

ولم يلبث شبث أن مات فلم أبلغ إلى أبي حتى سمعت الصياح، فقال أبي يرثي شبثاً:

[من الرمل]

إنـني اليوم وإنْ أمّـلْتني لقليلُ المُكثِ من بعد شَبث
عاش تسعين خريفاً همُّهُ جمعُ مايملك من غير خبث
لم يُخلّف في تميمٍ سُبّةً ينكُسُ الرأسُ ولا عهداً نكث[1]

في أبيات:

وجاءت الخوارج تريد الكوفة فخطب (القباع) وقال: إن أول القتال السباب ثم الرّميا ثم الطعان ثم السلّة، فقالوا: ماأحسن صفة الأمير. وسار من الكوفة إلى باجوًا شهراً، فقال الشاعر:

[من الرجز]

سار بنا القُباعُ سيراً نُكرا يسيرُ يوماً ويُقيم شهرا

وزعم قوم أن حمزة بن عبد الله ولي البصرة والكوفة فعزل المهلب عن البصرة ونواحيها، وأنه ولّى القباع الكوفة، وليس ذلك بثبت والثبتُ أنه ولي البصرة فقط، وأن مصعباً عزل المهلب عن عمله ذلك وألحقه بحمزة كما أمره أخوه، وولي الموصل ونواحيها إبراهيم بن الأشتر، فكان عليها حتى قدم المصعب والياً على البصرة وبعد ذلك إلى أن أحضره قتال عبد الملك.

---

(١) نعم لم ينكث بعهد سوى أنه كاتب الحسين عليه السلام وأحث عليه بالقدوم إلى الكوفة ثم قاتله في جيش عمر بن سعد كما تقدّم سابقاً.

وقال قوم: استخلف مكان المهلب عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، وكان إبراهيم بن الأشتر بالكوفة مشرفاً على القباع.

صفات عمر بن عبيد الله بن معمر:

٦٢ - وقال المدائني ولّى عبد الله بن الزبير البصرة بعد ابنه عُمر بن عبيد الله فكان سخيّاً شجاعاً ممدوحاً، وقال المهلب: مارأيت مثل أحمر قريش[1] في شجاعته، مالقينا خيلاً قط إلا كان في سَرَعان خيلنا، ولما ولاّه مصعب فارس بلغه ذلك فقال: رماها بحجرها لقد ولاّها شريفاً شجاعاً، وقد مدحه الفرزدق ومدحه نُصيبٌ وغيرهما، وفيه يقول يزيد بن الحكم بن أبي العاص الثقفي:

[من الوافر]

فما كعبُ بن مامــة وابنُ سُعـدى ... بأجـود منـك ياعُـمـرَ الجـوادا

وقال المدائني: كانت لمغيرة بن حبناء التميمي جارية نفيسة فاضطر إلى بيعها فجعل يمسك، حتى قالت له: لو بعتني فانتفعت بثمني كان أمثل مما أراك تلقى، قال: أفعـل على كره، فعـرضهـا على عمـر بن عبيد الله وقد بلغته خَلّتُه[2] وخبره فاشتراها منه بمئة ألف، وذلك أضعاف ماتساوي وقبض الثمن، وقال:

[من الطويل]

لولا قُعودُ الـدَّهر بي عنكِ لم يكن ... يفـرِّقُنـا سوى المـوتِ فاعـذري[*]
أروحُ بهمٍّ في الـفـؤاد مُبرِّحٍ ... أنـاجـي به قلبـاً قليل الـتَّصـبُّرِ
عليكِ سلامٌ لازيارة بيـنـنـا ... ولا وصـلَ إلاّ أن يشـاء ابنُ معمرِ

فلما بلغ الشعر عمر بن عبيد الله قال: قد شاء ابن معمر. فخذ بيدها والمال لك.

---

(١) أحمر قريش هو عمر بن عبيد الله بن مَعمر بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيْم - قوم أبي بكر الصديق - بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن قريش - جمهرة نسب ابن الكلبي لوحة رقم: ٢١.

(٢) خلته: ماصار إليه: أي صفته.

(*) الشطر الأول مكسور ويصح بزيادة الواو أو الفاء قبل لولا. الشطر الثاني مكسور أيضاً بسبب نقص كلمة بعد يفرقنا، ولعلها: كرهاً.

صفات الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة:

٦٣ ـ قالوا: وعزل عبدُ الله بن الزبير عُمرَ بن عبيد الله بن معمر عن البصرة وولّاها القباع فحبس عُمرَ ابن عبيد الله بن معمر وطالبه بمالٍ، فجزع من الحبس فقال له القباع: يابا حفص لاتجزع فإنك أول من سنّ هذا حبست عبد الله بن الحارث يعني ببّة، وكان حبسه وطالبه بمال.

وقال عبد الملك بن مروان: من ولّى ابن الزبير البصرة؟ فقالوا: الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة، فقال: لاحُرٌّ بوادي عوفٍ. ووقع بين الحارث وبين يحيى بن الحكم بن أبي العاص كلام، فقال له يحيى: يابن السوداء يابن آكلة حمام مكة، وكانت حبشية، وزعموا أنه لما مات، قال الوليد بن عبد الملك: مات سيد بني مخزوم، فقال عبد الملك: بل سيد قريش[1] وقال أبو الأسود الدؤلي وسأل القباع حاجة فلم يقضها:

[من الوافر]

أبا بكر[2] جزاكَ اللهُ خيراً ... أرحنا من قُباعِ بني المُغيرة

بلوناهُ فلُمناهُ وأعيا ... علينا مايُمرُّ لنا مريره

على أن الفتى نُكحٌ أكولٌ ... مسهابٌ مذاهبهُ كثيره(*)

وكان عباد بن الحصين على شرطه بالبصرة وفيه يقول زياد الأعجم:

[من الطويل]

فإن تكُ ياعبّادُ ولِّيتَ شرطةً ... فباستِ زمانٍ صرت فيه تُكلِّمُ[3]

قال المدائني: تواقف جرير والفرزدق بالمِربد في ولاية القُباع، فأرسل إليهما عبّاداً فهربا فهدم دورهما وطلبهما، فقال الفرزدق:

---

(١) هو الحارث بن ـ عبد الله ـ بجير ـ بن عمرو ـ أبي ربيعة ـ بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن قريش ـ فهر ـ

(٢) أبو بكر كنيةُ عبد الله بن الزبير وكان يكنى أيضاً أبا خُبيب.

(٣) ورد في ديوان زياد الأعجم. ص: ١٧٢ ط: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مصر.

(*) يجب زيادة الواو قبل مسهاب ليصح الوزن. (١١٢)

[من الطويل]

أفي قُمّليِّ من كُليبٍ هجوتَهُ ... أبو جهضمٍ تغلي عليَّ مراجله
فما كان شيءٌ كنت فينا تُحبُّهُ ... من الشرِّ إلاّ قد أبانت شواكله
وقبلك ماأعييتُ كاسر عينه ... زياداً فلم يقدر عليَّ حبائلهْ
وقد عاش لم يعقد لسيفٍ حمالةً ... ولكن عصامُ القربتين حمائله
ياحارثُ داري مرّتين هدمتها(*) ... وكنت ابن أُختٍ ماتخافُ غوائله(1)

في أبيات. وكانت أسماء بنت مُخرِّبة النهشليّة عند أبي ربيعة خلف عليها بعد (أخيه) هشام بن المغيرة.

وقال جرير:

[من الطويل]

فما في كتاب اللّهِ هدمُ بيوتنا ... كتهديم ماخورٍ خبيثٍ مداخله
ففي مخدعٍ منه نوارٌ وسربُها ... وفي مُخدعٍ أكيارهُ ومراجله(2)
أحارثُ خذْ ماشئت منا ومنهمُ ... فأنت كريمٌ ماتُغبُّ فواضله

وقال يزيد بن نهشل الدارمي:

[من البسيط]

لولا حواجزُ قُربى لست راعيها ... وخشيةُ الله فيمن قد يعاديني
لقد بريتك برياً لا اجتياز له ... إنّي رأيتُك لاتنفكُّ تبريني

في أبيات. وقال الأشهبُ بن رُميلة:

[من الطويل]

أحارُ بنُ عبدِ اللهِ ياخير مُطلبٍ ... لذى خلّةٍ أو أن اتاه نسيبُ
إذا مُتَّ مات الجودُ وانقطع النّدى ... وعادت أكفُّ السائلين تخيبُ

---

(1) ذكرها الديوان = قصيدة طويلة: ج: ٢ ص: ٢٢٩ ط: دار الكتاب العربي بيروت

(2) نوار: هي زوجة الفرزدق. والأكيار جمع كير وهو منفاخ الحدادين وكان جرير يلقب الفرزدق ابن القين يعني ابن الحداد. وذكرها الديوان وهي قصيدة طويلة. ج: ٢ ص: ٩٧٢. مع تقديم وتأخير وتغيير بعض الكلمات.

(*) ياحارث خطأ والصواب أحارث.

في أبيات.

وقال المدائني وغيره: كان ببّة أول من وجّه لقتال الأزارقة، وكان القباع أول الناس عقد للمهلب على قتال الأزارقة، وكانوا قد غلبوا على الأهواز، ولم يزل القباع على البصرة من قبل عبد الله بن الزبير حتى المصعب، والياً على البصرة والكوفة.

صفات مصعب بن الزبير وأخباره:

٦٤ ـ قالوا قدم المصعب البصرة فدخل المسجد فصلى ركعتين ثم أرسل إلى عمر بن عبيد الله بن معمرٍ، وكان محبوساً عند القباع فأطلقه وجعله خليفته بينه وبين الناس.

وقال المدائني: وولى شرطته مُطرِف بن سيدان الباهلي ثم عزله وولّاه الأهواز وولى شرطه بشر بن غالب الأسدي.

وقال المدائني: كان عمر بن سَرح مولى ابن الزبير يحدّث، قال:

كنتُ في الذين قدموا مع مصعب من مكة إلى البصرة، فقدم متلثماً حتى أناخ على باب المسجد ودخل فصعد المنبر، فقال الناس: أميرٌ أميرٌ، وجاء الحارث ابن عبد الله بن أبي ربيعة فسفر المصعب فعرفوه وقالوا:مصعب بن الزبير، فقال للحارث: اِظهَرْ فصعد حتى جلس على المنبر دونه بدرج،، ثم قام المصعب فحمد الله وأثنى عليه، وقرأ: ﴿طسَمّ * تِلكَ آيتُ الكِتبِ المُبينْ * نَتلُو عَلَيكَ مِن نَبإِ مُوسَىٰ وَفِرْعونَ بِٱلْحَقِّ لِقَومٍ يُؤمِنونَ * إنَّ فِرعونَ عَلاَ في الأَرضِ وجَعلَ أَهلَها شِيَعاً يَستضعِفُ طَآئِفةً مِنهُمْ ويُذبّحُ أبناءهُمْ ويَستحِيي نِساءهُمْ وكانَ مِنَ المُفسِدينَ﴾ وأشار نحو الشام ﴿ونُريدُ أَن نَّمُنَّ علَى الَّذينَ آستُضعفُوا فِي الأَرضِ ونجْعلهُم أَئِمَّةً ونَجعلهُمُ الوارِثينَ﴾ وأشار بيده نحو الحجاز ﴿وَنُمَكِّنَ لَهُم في الأَرضِ ونُرِىَ فِرعونَ وهمٰنَ وجُنُودهُما مِنهُم ماكانُوا يَحذرُونَ﴾[1] وأشار إلى الشام.

---

(١) سورة القصص رقم: ٢٨، الآية رقم: ٤ (١١٥)

حدثني أبو هشام الرفاعي عن عمه عن ابن عيّاش الهمداني عن الشعبي أنه قال: مارأيتُ أميراً قطّ على منبرٍ أحسن من مصعب بن الزبير.

المدائني قال: وجَدَ مصعب على رجال من أهل البصرة فيهم أنس بن مالك وصعصعة بن معاوية فضرب صعصعة محمولاً على آسته، ثم أمر بأنس، فقال له أنس: أنشدك الله وخدمتي رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصيّته بالأنصار. فخرّ مصعب من المنبر حتى ألصق خدّه بالأرض، وقال: سمعاً وطاعةً لله ولرسوله وحمله وكساه وأمر له بعشرين ألف درهم[1].

المدائني، قال: وجدَ مصعب على الفرات بن معاوية البكائي[2] فحلق رأسه ولحيته في غداة يوم، فراح إليه الفرات من يومه وقد اعتمّ فسلم عليه، فندم مصعب وقال: رجل فعلت به مافعلت وأتاني في عشيّة يومه، فأحسن إليه وأكرمه ووصله وولّاه.

وقيل لعبد الملك: إن مصعباً ينال الشراب، فقال: والله لو علم مصعبٌ منذ حارب أنّ شرب الماء يُفسد مروءته أو مروّته ماشربه فكيف يشرب الشراب ماعرفت له زلّة مذ حارب.

محمد بن سعد الواقدي قال: كان مصعب وعبد الملك وعبد الله بن أبي فروة أخلّاء ولا يكاد يفترقون، فكان عبد الملك وابن أبي فروة يتباريان في الكسوة ولم يكن مصعب يقدر على مايقدران عليه، فاكتسى ابن أبي فروة حُلّةً واكتسى عبد الملك وبقي مصعب لاشيء له.

فذكر عبد الله: فلما ولي مصعب العراق استكتب عبد الله بن أبي فروة، فإنه لعند المصعب إذ أُتي المصعبَ بعقد جوهرٍ قد أُصيب في بعض بلاد العجم لبعض ملوكهم. فقال: ياعبد الله أيسرّك أن أهبه لك، قال: نعم، فدفعه إليه وقال: والله

(١) أين هذا الفعل مع أنس من فعل الحجاج معه إذ ختمه حتى لجأ لعبد الملك.

(٢) الفرات بن معاوية بن الطفيل بن ثور بن معاوية بن عُبادة بن ربيعة ـ البكاء ـ بن عامر من ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن. (١١٦)

لسروري بالحُلّة لو كسوتمونيها أشدّ من سرورك بهذا العقد فبارك الله لك فيه.

قال: فلم يزل العقد عنده حتى أُخذ أخوه عمران في إمرة عمر بن عبد العزيز على المدينة شارباً فأمر عمر باستنكاهه، فوجدت فيه رائحة الشراب فأمر بحبسه، فجاء عبد الله بالعقد فدسّه تحت مُصلى عمر. ثم قام فرفع عمر المصلى فرأى العقد، فقال: ردّوه ماهذا؟ فقال: هذا أهديته إليك، فقال: لو كنتُ تقدّمتُ إليك لأحسنتُ أدبك، ثم أمر بعمران فضُرب الحدّ.

وكان عمران صديقاً لعبد الله بن عمرو بن عثمان مع الولاء، فجاء عبد الله راكباً ومعه بغل مُجَنَّبٌ فلما ضُرب عمران حمله على البغل المجنوب، ويقال على البغل الذي كان راكباً عليه وركب هو المجنوب، وانطلق به إلى منزله.

قالوا: وكان مصعبٌ يعطي أهل العراق في كل سنة عطاءين في الشتاء عطاء وفي الصيف عطاء، فأحبه الناس حبّاً شديداً، فقال عمرو بن يزيد النهدي(١):

[من الطويل]

ألم ترَ أن الجودَ إذ ماتَ مصعبٌ ... دفناهُ واستُرعي الأمانة ذئبُ

فهبنا أناساً أوبقتنا ذنوبُنا ... أما لثقيفٍ حوبةٌ وذُنوبُ

فأُتي به الحجاج، فقال له: أنت القائل ماقلت، فقال: فقدنا والله مصعباً ففقدنا به عدلاً شاملاً وعطاءً جزيلاً وخِسنا به، فجُعلنا أحاديث ومُزّقنا كل مُمزّقٍ فأمر به فضربت عنقه.

المدائني، قال: قدم مصعب البصرة وماء البطيحة يفيض على السباخ حتى كاد يصير في نهر معقل، فاتخذ المسنّاة(٢) التي نَسبت إليه وحاز تلك الأرضين لنفسه، فأقطعها عبد الملك الناس فحفروا الأنهار فهي اليوم قطائع عبد الملك.

---

(١) النهدي: قبيلة من قضاعة وهو نهد بن زيد بن ليث بن سُود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة.

(٢) سن: صبّ في سهوله أجرى في تلك مجرى تسيل فيه المياه بسهولة.

المدائني وأبو مسعود عن عوانة، قال: كتب عبد الله بن الزبير إلى المصعب لرجل من قريش بألف درهم فاستقلّ ذلك واستحيا من الرجل، فقال له: إن بيني وبين أمير المؤمنين علامة أنه إذا كتب إلي بألف فهي مئة ألف فأعطاه مئة ألف، فبلغ ذلك عبد الله بن الزبير فغضب منه. وكتب عبد الله إلى مصعب في قوم فوصلهم فبلغه ذلك فلم يكتب إليه في أحدٍ.

المدائني والحرمازي، قالا: خطب مصعب أهل البصرة، فقال: ياأهل البصرة بلغني أنكم تلقّبون أمراءكم، وقد لقّبت نفسي الجزار.

واستخلف المصعب على البصرة عبيد الله بن عبيد الله بن معمر على أن الولاية لعُمر بن عبيد الله وإيّاه كان يكاتب، وسار إلى المختار فقتله وأنفذ عمر بن عبيد الله إلى البصرة حين قتل المختار فصار إلى البصرة فحدث فيها ماحدث من أمر الجفرة، فقدم مصعب البصرة فتلافى ذلك الأمر.

ثم إن ابن الزبير ولّى حمزة ابنه البصرة سنةً أو نحوها، وكان خليفة مصعب على الكوفة القباع فأقرّه ومضى إلى أخيه، ثم قدم بولاية المصرين في سنة تسع وستين، فأمر مصعب القباع حتى شخص إلى مسكن، فانصرف القباع إلى ابن الزبير بمكة.

المدائني قال: لما قدم المصعب بعد عزل ابن الزبير حمزةَ ابنه، وقد أعاده على المصرين، بدأ بالبصرة فقدمها فتزوّج وهو بالبصرة سُكينة بنت الحسين عليه السلام، فولدت له جاريةً سمّاها فاطمة، وصيّر على شرطه عبّاد ابن الحصين، ولما بلغ عبدَ الله أخاه تزويجه قال: إنّ مصعباً أغمد سيفه وسلّ أيره.

قال: ولما سار مصعب إلى الكوفة أخذ معه مالك بن مِسمَع وزياد بن عمرو، فاستأذناه في الرجوع، فأذن لهما، وقال: إنهما لايريدان خيراً، فقال الشاعر:

[من الكامل]

أَلحق أميّةَ بالحجازِ وخالداً | وآضرب عِلاوة مالكٍ يامُصعبُ
فلئن فعلتَ لَتحرمنّ بقتلهِ | وليصفُونْ لكَ بالعراقِ المشربُ

وقال آخر:

[من المتقارب]

أخافُ عليك زيادَ العراقِ | وأخشى عليك بني مِسْمَعِ

وقال المدائني عن جهم بن حسان السُّليطي، قال:

كلّم الأحنف مصعباً في قوم حبسهم، فقال: أصلح الله الأمير إن كنتَ حبستَهُم بحقّ فالعفو يسعهم وإن كنت حبستهم بباطل فالحق يخرجهم، فقال: صدقت وأخرجهم.

المدائني عن مسلمة بن محارب قال: دخل أسقف نجران على مُصعب فكلّمه بشيءٍ فأغضبه فرماه بقضيب كان معه فأدماه، فقال الأسقف: إن أذن الأمير في الكلام تكلّمت، قال: تكلم بما شئت، قال: إن المسيح، قال: لاينبغي للإمام أن يكون سفيهاً ومنه يُلتمس الحلم ولا جائراً ومنه يُلتمس العدل، فقضى حاجته.

حدثني حفص بن عمر عن الهيثم بن عدي فذكره المدائني عن ابن جعدبة:

إن المصعب بن الزبير قال لحُبّى المدينية: ابغيني امرأة أتزوجها، فقالت: بأبي أنت وأمي عائشة بنت طلحة على عظم في أذنيها وقدميها، فقال المصعب: أما الأذنان فيغطيهما الخمارُ، وأما القدمان فيغطيهما الخفُّ. فتزوجها وأصدقها خمسمئة ألف درهم وأهدى لها خمسمئة ألف درهم، فقال: أنس بن أبي أناس وبعضهم يقول: ابن همام والأول أثبت:

[من الكامل]

أبلغْ أميرَ المؤمنين رسالةً | من ناصحٍ ماإن يُريدُ متاعا
بَضعِ الفتاة بألفِ ألفٍ كاملٍ | وتبيتُ قاداتُ الجيوشِ جياعا
فلو انّني الفاروق أُخبرُ بالتي | شاهدتُهُ ورأيتُهُ لارتاعا

وقال المدائني: قيل هذا الشعر: أبلغ أمير المؤمنين رسالة. حين تزوج مصعب سكينة بنت الحسين بن علي عليهما السلام[1]، وقال محمد بن سلّام الجمحي: كانت عائشة بنت طلحة عند عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر، ثم عند مصعب، ثم عند عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي، وأم عائشة أم كلثوم بنت أبي بكر رضي الله عنه وأمها بنت خارجة الأنصاري.

حدثني الحرمازي عن الشعبي: أنه ركب مع المصعب يوماً فلما نزل أمره بالنزول وأخذ بيده، قال: فلم أزل أدخل معه حتى صرت إلى بيت قد سُدلت ستوره، فترك يدي ودخل فبقيت لا أقدر على تقدمٍ ولا تأخرٍ، ثم نادى من وراء الستر: ادخل ياشعبي، فدخلت، فإذا هو وعائشة بنت طلحة على سرير، فوالله ماشبهّتُ بوجهها إلا القمر طالعاً فكلّمني ثم قال: انصرف. فقالت: والله لاينصرف إلا بجائزة، فأمر لي بعشرة آلاف درهم وأمرت لي بمثلها، فلما كان الغد دخلت عليه والناس عنده وهو على سريره، فاستدناني فدنوت حتى ألصقت صدري بالسرير، فقال: ادنُ فمددتُ إليه عنقي، فقال: كيف رأيت ذاك الإنسان؟ قال: قلت: والله مارأيت مثله قطّ فبارك الله للأمير، ثم رجعتُ إلى مقعدي.

وقال الهيثم بن عدي عن مجالد قال: لما دخل الشعبي على مصعب ومعه عائشة، قال أنا وهذه كما قال الشاعر:

[من الطويل]

ومازِلتُ في لَيلى لَدنْ طرَّ شاربي ... إلى اليوم أُبدي إحنَةً وأُواحنُ

قال المدائني قيل هذا الشعر حين تزوج مصعب سكينة بنت الحسين عليه السلام[2].

---

(١) قول المدائني لم يرد في الطبعة العبرية.

(٢) في الطبعة العبرية خلط في قول المدائني الأول والثاني فلم يذكر الأول وذكر الثاني وزاد فيه: الشعر: أبلغ أمير المؤمنين.

حدثني عمر بن شبّة عن مخلد بن يحيى: أن مصعب بن الزبير ولّى مُطرّف بن سيدان الباهلي أحد بني جاوة[1] شرطته في بعض الأيام التي ولي فيها العراق لأخيه عبد الله، فأتى مطرِّف بالنابي بن زياد بن ظَبيان أحد بني عائش ابن مالك بن تيم الله بن ثعلبة[2] وبرجل من بني نمير[3]، وقد قطعا الطريق وقُتل النابي بأمر مصعب، وضُرِبَ النميري بالسياط وتركه. فلما عَزل مُطرِّفاً عن الشرطة وولاه الأهواز. فجمع عبيد الله بن زياد بن ظبيان جمعاً وخرج يريده، فالتقيا فتواقعا وبينهما نهر، فعبر مطرّف بن سيدان إليه، فعاجله ابن ظبيان فطعنه فقتله.

فبعث مصعبٌ ابن مطرّف في طلبه فلم يلحقه ولحق ابن ظبيان بعبد الملك وقاتل مصعباً معه.

قال البعيث اليشكري[4]:

[من الطويل]

[و][5]لما رأينا الأمر نكساً صدورهُ	وهمَّ الهوادي أن تكون تواليا
صبرنا لأمر اللهِ حتى يُقيمهُ	ولم نرضَ إلا من أميّةَ واليا
ونحنُ قتلنا مُصعباً وابنَ مُصعب	أخا أسدٍ والأشتريَّ اليمانيا
سَقينا ابنَ سيدانٍ بكأسِ رويّةٍ	كفتنا وخيرُ الأمرِ ماكانَ كافيا

المدائني، قال: قَدِم مصعب بامرأته عائشةَ البصرة، وكانت أجمل الناس فكانت تسأل عن أجمل نساء البصرة، فأخبرت عن أمّ الفضل بنت غيلان بن

(١) عند ابن الكلبي في الجمهرة: جيأوة بن معن بن مالك وهو باهلة بن أعصر وهو منبّه بن سعد بن قيس بن عيلان.

(٢) نابي ابن زياد بن ظبيان بن الجعد بن قيس بن عمرو بن مالك بن عائش بن مالك بن تيم الله بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل.

(٣) نمير بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن.

(٤) يشكر بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن افصى بن دعمي بن جديله بن أسد بن ربيعة بن نزار.

(٥) يجب أن تضاف الواو ليصح الوزن. وذكر البيت الثالث في الأغاني. ج: ١٩. ص: ٥٨.

خرشـة الضّبيّ[1] ، وكانت تحت داود بن قحذم أحد بني قيس[2] بن ثعلبة، وكان مصعب يطالبـه بمئـة ألف درهم من خراج عليه، فكانت عائشة تحب أن تراها، فقيل لابن قحذم: لو بعثت بها إلى عائشة فكلّمتها في أن تكلّم مصعباً في إسقاط مايطالبك به عنك، فقال: إنه من فتيان قريش مُترفٌ قد أسكره السلطان، فأخاف منه مايُخاف من مثله. فلم يُترك حتى أرسلها إلى عائشة.

فوجـدتهـا في بركة لها في دارها، فقالت لها عائشة: انزلي، فنزلت وظلّتا في الـبركة مليّاً، ثم خرجتا فدخلتا بيتاً وتحدّثتا وكلّمتها في زوجها، فلم تلبثا أن جاء مصعبٌ فأدخلتها الحجلة[3] ودخلت معها، ونزع مصعبٌ ثيابه وقالت عائشة: إن معي في الحجلة فلانة وقد جاءت في أمر زوجها وضمنتُ لها عنك قضاء حاجتها.

فأسقط ما على ابن قحذم ووهبه له وانصرفت أم الفضل فدخلت على زوجها وقـالت له: والله ماجئتك حتى دخلت الحجلة وأرخيت عليّ الستور واغتسلت ثم قضيت حاجتي، فقـال: واسـوءتـاه لمصعب إن كان فعـل ذلـك، قالت: لاتُـرَع وحدّثته الحديث.

المـدائني عن ابن جعـدبـة، قال: جلس ابن عمر ومصعب وعُروة[4] وعبد الملك بالمـدينة يتحدثون، فتمنّى ابن عمر الجنّة، وتمنّى مصعبٌ ولاية العراق وأن يتزوّج سُكينةَ بنت الحسين وعائشة بنت طلحة، وتمنّى عروة أن يُفقّه في الدين ويُحمل عنه العلم. وتمنّى عبد الملك الخلافة.

المدائني عن ابن جعدبة عن صالح بن كيسان، قال: كان يقال ليس في الدنيا زوج أحسن من مصعب وعائشة.

---

(١) الضبي: يعني من بني ضبّة بن أدّ وهو عم تميم بن مرّ بن أدّ.

(٢) لم يأت في العرب من منه أربع إلا ثعلبة بن عكابة فجاء منه: شيبان وتيم الله وذُهل وقيس وكل واحد من هؤلاء ولد قبيلة.

(٣) الحجلة: مثل القبّة وهي بيت يزين بالثياب والأسِرّة والستور ـ اللسان ـ

(٤) يعني عبد الله بن عمر بن الخطاب ومصعب وعروة ابنا الزبير وعبد الملك بن مروان.

قال المدائني: وكان مصعبٌ يحسدُ الناس على الجمال، فبينا هو ذات يوم يخطب إذ رأى رجلاً جميلاً من بني حِمّان[1] مستقبلاً له فأعرض عنه، ثم أقبل ابنُ جَودان الأزدي وكان جميلاً فأعرض عنه، ثم دخل الحسن ابن أبي الحسن البصري فلما رآه ترك مبادراً.

قال: وكانت عائشة سيّئة الخُلق فغاضبها مصعب في بعض الأمر، فتهاجرا فبلغ ذلك من كل واحد منهما مبلغاً شديداً، فأقبل مصعبٌ من حربه وعليه سلاحه، فقالت لها حاضنتها وقد شكت إليها وجدها: قومي إليه فامسحي وجهه من الغبار وانزعي سلاحه،
فقامت إليه فقال: بأبي أنت إني مشفق عليك من ريح الحديد والصدأ، فقالت: والله لهو أطيب ريحاً من المسك الأذفر[2] فقبّلها وصالحها.

وقال المدائني: خرج مصعبٌ عن البصرة إلى الكوفة للقاء عبد الملك وخلّف على البصرة سِنانَ بن سلمة ابن المحبِّق الهُذلي[3]، وكانت لأبيه صحبة وَوُلد سنان أيّام حُنين فحنّكه النبي صلى الله عليه وسلم، فلم يزل على البصرة حتى قتل[4] المصعب، وخلّف عبّاد بن الحُصين معه على شرطته وقُتِل مصعب يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلةً خلت من جمادى الأولى والآخرة سنة اثنتين وسبعين. ولما قُتِل مصعب وثب حُمران[5] على البصرة.

المدائني وغيره، قالوا: لما قدم مصعب الكوفة دخل إليه عبد الله بن الزَّبير الأسدي[6] فقال: أنت القائل:

[من الطويل]

إلى رَجَبٍ أو ذلك الشهرِ قَبلهُ ... توافيكمُ بيضُ المنايا وسودُها
ثمانون ألفاً دينُ عثمانَ دينهُم ... مُسوَّمةً جبريلُ فيها يقودُها

---

(١) حِمّان بن عبد العُزّى بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم.

(٢) الأذفر: شدّة ذكاء الريح ـ اللسان ـ

(٣) هذيل بن عمرو وهو مدركة بن إلياس بن مضر.

(٤) في الطبعة العبرية حتى قدم وهو خطأ ص: ٢٨٥.

(٥) حُمران بن أبان مولى عثمان ابن عفان كما جاء عند الطبري.

(٦) وهو من أسد خزيمه بينما عبد الله بن الزُّبير من أسد عبد العزى من قريش.

فخافه ثم قال: نعم أنا قلته. قال: فإنا قد عفونا عنك وأمرنا لك بمئة ألف، فخرج من عنده وهو يقول:

[من الطويل]

جَزى اللهُ عنّي مُصعباً إنّ سيبهُ يُنالُ به الجاني ومن ليس جانيا

ويعفُو عن الذّنبِ العظيمِ تكرُّماً ويُعطي من المعروفِ مالستُ ناسيا

المدائني قال: أتى رسولُ مُصعبٍ عمرَو بن النعمان بن مُقرّن[1] بمالٍ فقال له: الأمير يقرئك السلام ويقول إنّا لم ندع بالكوفة قارئاً إلّا وقد ناله معروفنا فاستعن على نفقة شهر رمضان بهذا فقال: وعلى الأمير السلام.

قل له: إنّا والله ماقرأنا القرآن لنطلب به الدنيا، وردّه عليه وكان يؤمّ الناس في شهر رمضان.

حدثني بكر بن الهيثم ثنا أبو نعيم عن يحيى بن زكريا عن إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي قال:

مارأينا أميراً قطّ على منبر أحسن من مصعب.

حدثني محمد بن حيان الحرّاني ثنا زهير بن معاوية ثنا عطاء بن السائب عن أبي البختري وقال: كان مصعب إذا سلّم في الصلاة كلّها قال: لاإله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لاإله إلا أنت والله أكبر لاحول ولا قوة إلا بالله، ويرفع بذلك صوته فقال عبيدة: ماله قاتله الله نعّارٌ[2] بالبدع.

قال المدائني: وكان عبيد الله بن الحُرّ الجُعفي[3] يغشى مصعباً بالكوفة فيراه يقدّم أهل البصرة فقال:

[من الطويل]

لقد ساءني من مُصعبٍ أنّ مصعباً أرى كُلَّ ذي غشٍّ له هُو صاحبه

إذا ماأتيتُ الباب يُدخل مُسلمٌ ويمنعني أن أدخل الباب حاجبُه

وقال أيضاً:

---

(١) هكذا في الأصل وصحته النعمان بن عمرو مُقرّن بن عائذ بن مِيجا بن نصر بن حُبشية بن كعب بن عبد بن ثور بن هُذمة بن لاطم بن عثمان بن عمرو الذي هو مُزينة بن أد، وقتل يوم فتح نهوند وهو أمير الناس في زمن عمر بن الخطاب.

(٢) جاء في الطبعة العبرية يغار وهو خطأ والنعّار: صاح وصوت بخيشومه ـ اللسان ـ

(٣) في الأصل العبسي ولكن بعد صفحتين يسميه الجعفي وهو الثبت.

بأيّ بلاءٍ أو بأيّة نعمةٍ يُقدَّم دوني مسلمٌ والمهلب
ويدعى ابنُ منجوفٍ سويدٌ كأنّه خصيٌ أتى للماء من غير مشرب

وقال أيضاً:

[من الطويل]

ألم تَر قيساً قيسَ عيلانَ برقعت لحاها وباعت نَبلَها بالمغَازلِ

وكتب زُفر بن الحارث إلى مصعب: أنا قد كفيتك قتال ابن الزرقاء، يعني عبد الملك[1]، (وابن الحر يهجو قيساً) ثم إن نفراً من بني سُليم أخذواابن الحر فخافهم، فقال: إنما قلت:

ألم تَرَ قيساً قيسَ عيلانَ أقبلت إلينا وسارت بالقنا والقبائل

فقتله رجل منهم يقال له عباس.

فقال زُفر:

[من الطويل]

[و] لما رأيت الناس أولادَ عِلَّةٍ وأغرقَ فينا نَزعَهُ كلُّ نابلِ[2]
فلو سُئلَ ابن الحر أخبرَ أنها يمانيّةٌ لاتُشترى بالمغازلِ

وقال ابن همام السلولي:

[من الطويل]

ترنمت يابنَ الحرُّ وحدك خاليا بقول امرىءٍ نشوان أو قولِ ساقطِ
أتذكرُ قوماً أوجعتكَ رماحُهم وذبّوا عن الأحسابِ يومَ المآقِطِ
وتبكي لِما لاقت ربيعةُ منهمُ وماأنتَ في أحسابِ بكرٍ بواسطِ
فهلّا لجُعفيٍّ طلبتَ ذحولها ورهطُكَ دُنيا في السِّنينَ الفوارطِ[3]

في أبياتٍ. وقد أنكر أنّ ابن الحرّ قُتل هذه القتلة، وقد ذكرتُ خبره بعد هذا الموضع.

---

(١) هكذا جاء في الأصلُ ومابين الهلالين من تاريخ الطبري وفي الطبعة العبرية وضع بين هلالين نقطاً.

(٢) جاءت في الطبعة العبرية نائل بدلاً من نابل وفي الأصل نابل.

(٣) في الأصل لجعفي وفي الطبعة العبرية بجعفي.

أخبار الأحنف وبعض أقواله:

٦٥ ـ المدائني قال: كان ابن أبي عُصَيفير الثقفي محبوساً بمئة ألف ويقال بخمسمئة ألف، وقد كان وجّه من يقيم الأنزال للأحنف منذ فصل من البصرة إلى أن دخل الكوفة مع مصعب ثم أنزله داره، فسأل عنه فقيل محبوس، فكلّم مصعباً فيه، وكان أكرم الناس عليه فقال: إن عليه كذا وكذا، فقال: مثل الأمير سُئلها ومثلي ترك له مثلها، فقال: هي لك ومثلها، فلما أتي الأحنف بماله بعث به إلى ابن أبي عصيفير أيضاً.

وكان عبيد الله بن الحرّ محبوساً. فكلم الأحنف مصعباً فيه، فلما أخرجه قال له: يابا بَحْرٍ جعلني الله فداءك، لا أدري ماأكافئك به إلا أن أقتلك فتدخل الجنة وأدخلُ النار. فضحك الأحنف وقال: لا حاجة لي في مكافأتك يابن أخي.

قال المدائني: وجلس الأحنف في مسجد الكوفة وقد أطافت به بنو تميم، فكلمهم في شيء، فقالوا: لا فقال: إن بني تميم خيل صعاب تضطرب على سائسها ساعة ثم تتبعه.

المدائني قال: دخل الأحنف على مصعب في بعض الأيام فأنكر تشمّره[1] ويقال إنه مد رجله بين يديه وهو جالس معه على السرير، فقال: عجباً لمن يتكبّر ويتجبّر وقد جرى في مجرى البول مرتين.

وبلغ قوله عبد الملك فقال: لله هو وتمثّل:

[من الطويل]

وأُضمِرُ في ليلى لقومٍ ضَغينةً ... وتُضمِرُ في ليلى عليَّ الضَّغائنُ

قال: وكلم الأحنف مصعباً في رجل فقال: أبلغني عنه الثّقة أنه قال كذا وكذا، فقال: اللهم غُفراً إن الثقة لايبلّغ.

---

(١) التشمّر: الجدّ والانكماش ـ اللسان ـ وهكذا جاءت في الأصل وفي الطبعة العبرية: فأنكر تكبّره.

قال: وحضر الأحنف مصعباً وقد أُتي برجل فجعل الشرط يقولون له: اصدق الأمير. فقال الأحنف: إن بعض الصدق معجزة.

ولما بلغ عبد الملك قولُ الأحنف: عجباً لمن يتكبّر وقد جرى في مجرى البول مرتين، بعث إليه: أنه بلغني تنكر صاحبك لك فهلمّ إلينا فلك عندنا ولاية الشام، فقال الأحنف: ياعجباً لابن الزرقاء أيدعوني إلى نفسه وأهل الشام. والله لوددت أنّ بيننا وبينهم بحراً من نارٍ لايعبره إلينا منهم أحدٌ إلا احترق. ثم قال: اللهم أمت الأحنف قبل أن يرى لأهل العراق غدراً، فمات بالكوفة بعد يسير.

حدثني عبد الله بن صالح حدثني ابن كناسة عن الأشياخ، قالوا:

لما حضرت الأحنف الوفاة بالكوفة، قال: لاتندبني نادبة ولا تبكيني باكية ولا يعلمنّ بموتي أحدٌ وأسرعوا إخراجي، فأرسل مصعب: إذا حضر إخراجه فأعلموني، ففعلوا فأرسل من أخذ السكك لئلاّ تخرج امرأة، فانتفجت[1] عليهم امرأة من منقر في رجالةٍ وهي تقول:

[من السريع].

قُل لأميري مُصعبٍ إنّني ... سأندبُ المدفونَ بالقاعِ

أندبُهُ بالخير لا أبكي ... بخيرِ ماينعى به النّاعي

فقال مصعبٌ دعوها، فلما دُفن قامت على قبره، فقالت: أيها الناس أنتم خَولُ الله في بلاده وشهداؤه على عباده، وإنا قائلون ومثنون صدقاً، رحمك الله من مجَنٍ في جَنن، ومُدرج في كَفن. فقد كنت من أعظم الناس حلماً وأكرمهم فعلاً، فلن يُرثى بعدك مثلك، إنا لله وإنا إليه راجعون.

فقال مصعب، صدقت والله كذلك كان أبو بحرٍ وبكى وبكى الناس، وقال مصعب: ماتَ سيّد العرب، قال: ومشى مصعب أمام جنازته متسلّباً إعظاماً لموته.

---

(١) انتفجت: ارتفعت أو خرجت.

قال: وقدم بموت الأحنف إلى البصرة رجل من بني يشكر، فكذّبه رجلٌ من بني تميم. ثم علم الخبر فقال:

[من الطويل]

أمـاتَ فلم تَبـكِ الـسـماءُ لفَقـدِهِ ... ولا الأرضُ أو تبـدو الكـواكبُ بالظُّهرِ

كذبـت إذا ماقـرٌ في بطنِ حامـلٍ ... جنينٌ ولا أمسى على الأرض مِن شُفرِ[1]

ولـمـا أتـيتُ الـيشـكـريَّ وجـدتُـهُ ... بأمـر أبي بَحـرِ بن قيسٍ أخـا خُبرِ

وكان موته بالكوفة، وقد شخص مصعب إليها يريد عبد الملك فشخص منها إلى مَسكَنٍ، وقد دخلها معه في أيام المختار أيضاً وشهد مقتله.

حدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه، قال: كان عُقَيبة بن هُبَيرة الأسدي فاتكاً، وكانت له ابنة صغيرة، فلاعبت ابنة عم له يقال له تميم فكسرت الصبيّة ثنيّة ابنة عُقيبـة فجـاءت أبـاها تبكي، فدخل على تميم داره فقتله، فرُفع إلى مصعب فأقرّ بالقتل فحبسه، فأعطى ابن تميم جماعةٌ من الأشراف الدّية كاملة لئلا يُقتل عُقَيبة، وأعلى محمد بن عمير بن عُطاردٍ دِيةً. فأبى ابن تميم إلا قتل عُقَيبة.

فلما جيء به ليقتل، قال: ياأهل الكوفة اسمعوا والله ماقتلته لِمَا جنت ابنته على ابنتي، ولكن سمعت أمير المؤمنين علي بن أبي طالبٍ، يقول وعَنَّ له تميم هذا في جانب المسجد: من سرّه أن ينظر إلى جِذْل[2] من أجذال جهنم فلينظر إلى هذا، رحم الله قاتله. فمازالت في نفسي حتى قتلتـه، فقال الناس: رحمك الله، ثم قال لابنة تميم: لقد ضَربتُ أباكِ ضَرْبةً حتى رأيتُ ضوء الثريا في سَلْحِه قالت: وأنت يافاسق ستضرب ضربةً حتى أرى ضوء بنات نَعْشٍ في سلحك. ثم قُدِّم فضُربتْ عُنُقهُ.

---

(١) شُفر بالضم شفر العين الذي ينبت فيه الشعر ـ اللسان ـ

(٢) الجِذْل: ماعظم من أصول الشجر المقطَّع والجمع أجذال ـ اللسان ـ

أمر عبيد الله بن الحر

٦٦ ـ عبيد الله بن الحرّ بن عمرو بن خالد بن المُجَمَّع بن مالك بن كعب بن سعد[١] بن عوف بن حريم بنِ جُعْفَى بن سعد العشيرة.

حدثني عبد الرحمن الأحمري أبو مسلم ثنا هشام بن محمد الكلبي ثنا جرير بن عمرو الجُعْفي، وكانت أمه العالية بنت الأسعر بن عبيد الله بن الحر، قال: وحدثني لوط بن يحيى أبو مخنف ببعضه عن أشياخه، قال:

شهد عبيد الله بن الحرّ القادسية مع خاليه زهير ومرثد ابني قيس بن مشجعة بن المُجمَّع، وكان شجاعاً فاتكاً لايُعطي الأمراء طاعة، ثم إنه صار مع معاوية بن أبي سفيان فكان يكرمه.

فبلغ معاوية أنه اجتمع إليه جُموع من أصحابه فسأله عنهم، فقال: بطانتي وأصحابي وإخواني، أتقي بهم إن نابني أمرٌ وخِفْتُ ظلامةً من أميرٍ جائر، فقال له معاوية: لعلّ نفسك قد تطلعت إلى علي بن أبي طالبٍ.

فقال: إن علياً لعلى الحق وأنت بذلك عالم، فقال عمرو بن العاص: كذبت يابن الحرّ، فقال: أنت والله وأبوك أكذب مني، ثم خرج من عند معاوية مغضباً يريد الكوفة في خمسين فارساً ممن كان ينتابه، وسأل معاوية عنه فقيل له خرج. وسار ابن الحر يومه حتى إذا أمسى منعه بعض مسالح معاوية من السير، فشدّ وأصحابهُ عليهم فقتلوا منهم نفراً وهرب الباقون، وأخذوا من دارهم مااحتاجوا إليه وأخذوا سلاحاً من سلاحهم.

فمضى عبيد الله لايمرّ على قرية من قرى الشام إلاّ أغار عليها حتى قدم الكوفة.

---

(١) في الأصل وفي الطبعة العبرية هكذا من دون كعب بن سعد جاء مالك بن عوف رأساً والصح ماأثبته عن نسب معدو اليمن الكبير لابن الكلبي اللوحة: ٣٨.

وبلغ معاوية خبره، فقال لعمرو: هذا ماهجت علينا من ابن الحرّ. وكانت لابن الحرّ بالكوفة امرأة يقال لها الدرداء، وهي كبشة بنت مالك، فلما فقده أهلها زوّجوها من عكرمة بن الخنْبص، فقاضاهم إلى عليّ. فقضى له بامرأته وأقام عبيد الله منقبضاً عن كل أمرٍ من أمور عليّ وغيره حتى توفي عليّ عليه السلام، وولي معاوية ويزيد ابنه وكان من أمر الحسين ماكان.

عبيد الله بن الحر والحسين.

٦٧ ـ قال أبو مخنف:لما أقبل الحسين من المدينة وقُتل مسلم بن عقيل. خرج ابن الحر فنزل قصر بني مقاتل الذي صار لعيسى بن علي، متحرّجاً من أن يتلطخ بشيء من أمر الحسين أو يشترك في دمه، فلما صار الحسين إلى قصر بني مقاتل رأى فسطاطاً، فسأل عنه فقيل هو لعبيد الله بن الحرّ فبعث إليه الحجاج بن مسروق الجُعفي يدعوه إلى نصرته، فقال للحجاج قل له: إني إنما خرجت إلى هاهنا فراراً من دمك ودماء أهل بيتك، لأني إن قاتلتك كان ذلك عظيماً، وإن قاتلت معك ولم أقتل بين يديك فقد قصرّت وأنا أحمى أنْفاً من ذلك، وليس لك بالكوفة شيعة ولا أنصار يقاتلون معك.

فلما أبلغه الحجاج الرسالة مشى إليه الحسين، فلما رآه قام عن مجلسه فسأله الخروج معه فاستعفاه من ذلك واعتلّ عليه، وعرض عليه فرساً له يقال لها الملحقَة وبعضهم يقول المحلقة. وقال له: انج عليها حتى تلحق بمأمنك، وأنا وأصحابي لك بالعيالات، فانصرف عنه، ويقال إنه دفع الفرس إليه، وقال له ابن الحر: أنت مختضب أم هو سواد لحيتك، فقال: عجّل عليّ الشيب فاختضبت. وخرج ابن الحرّ فأتى منزله بشاطىء الفرات فنزله حتى أصيب الحسين بكربلاء.

وكان ابن الحرّ رجلاً لايقاتل لديانة، وإنما كان همّه الفتك والتصعلك والغارات، ثم إن ابن الحر أتى الكوفة، فقال له عبيد الله بن زياد، وكان قد تفقّد أهل الكوفة: أكنت معنا أم مع عدوّنا؟ قال: لا والله ماكنت مع عدوّك، ولو كنتُ معه لبلغك ذلك ولكني كنت مريضاً، قال: مريض القلب، قال: مامرض قلبي قطّ وقد وهب الله لي في بدني العافية.

وكـان ابن الحُـرّ يُغير على مال الخراج فيقتطعه ويعطي منه أصحابه، وكان سخيّاً متلافاً وقد كان من أهل الديوان والعطاء.

قالـوا: فخـرج من عند زيادٍ مغضباً، فبات عند أحمر بن يزيد بن الكيشم الطائي، ثم خرج من عنده فأتى المدائن، وقال يرثي الحسين عليه السلام:

[من الطويل]

يقــولُ أمــيرٌ جائــرٌ حقُّ جائــرٍ ألا كنت قاتلتَ الشهيدَ ابنَ فاطمهْ

ونفسي على خِذْلانــه وآعتــزالــه وبيعـةِ هذا النـاكثِ العهدَ سادِمَهْ

فيانــدمــي ألّا أكــونَ نَصرتُــهُ ألا كلُّ نفسٍ لاتُــســدِّد نادِمــه

سقـى الـلهُ أرواحَ الـذين تأزّروا على نصره سَقـيّاً من الـلهِ دائمــه

في أبيات، وقال أيضاً:

[من الوافر]

فيالــكِ[1] حـســرةً مادُمــتُ حيّاً تردَّدُ بين حَلقــي والــتّراقــي

وله فيه شعرٌ غير هذا.

عبيد الله بن الحر والمختار..

٦٨ ـ قالوا: فلما خرج المختار بالكوفة أبى ابن الحرّ أن يبايعه وبعث المختار في طلبه، ثم أتاه بعد فبايعه تعذيراً، فكان المختار يهمّ أن يسطو به ثم يمسك عن ذلك لمكان إبراهيم بن الأشتر معه، وجعل ابن الحرّ يتعبّث بالنواحي كما كان يصنع (سـابقاً، فيتمسك) به إبراهيم. ففارقه وأقبل في أصحابه وهم نحو من ثلاثمئة، فأغـار على الأنبـار فأخـذ ماكـان في بيت مالهـا فقسمه بين أصحابه بقلنسوة دَلْهَم المُرادي[2] وكانت ضخمة، وكان دَلْهَم جسيماً عظيم الرأس شديد البأس، وفي ذلك يقول ابن الحرّ:

---

(١) يجب أنْ تزاد الفاء في أول السطر ليصح الوزن.

(٢) قبيلة من مَذْحج وهو مراد واسمه يحابر بن مالك وهو مَذْحج.

[من الطويل]

أنـا الحُـرُّ وابنُ الحـرِّ يحملُ شِكَّتي طِوالَ الهـوادي مشرفـاتُ الحوائكِ
فمن يكُ أمسى الـزعفـرانُ خَلوقَهُ فإنَّ خلوقي مستشـار السَّنَـابِـكِ
إذا ماغنمنـا مغنـماً كانَ قِسمـةً ولم نتّبـع رأيَ الشّحيحِ المُتـارِكِ
أقـولُ لهم كيلوا بكُـمَّـةِ بعضكُم ولا تجعلوني في النّدى كابنِ مالكِ

يعني إبراهيم بن الأشتر[1].

ثم أغـار على كسكـر ، فأخـذ ماكـان في بيت مال عاملها وقتله وقسم بين أصحابه قبل أن يستميحوه[2].

ولما بلغ المختار غارتُه على الأنبار بعث عبد الله بن كامل الشاكري فهدم داره وأخـذ امرأته، أمَّ سلمة بنت عبدة بن الحُليق الجُعفيّة فحبسها في السجن، فبلغ ذلك ابنَ الحرِّ، فقال:

[من الطويل]

أشـدُّ حيازيمـي لكـلِّ كريهـةٍ [و] إنّي على مانـابَـني لجليدُ
هُمُ هدمـوا داري وسـاقوا حليلَتي إلى سجنهم والمسلمـون شُهـودُ
فلسـتُ إذاً للحـرِّ إن لم أرعْـكـمُ بخيلٍ عليهـا الـدارعـونَ قُعـودُ

في أبيات.

---

(١) في الندى كابن مالك ومالك هذا هو الأشتر النخعي أبو إبراهيم ويظهر من هذا الشعر أن إبراهيم بن الأشتر لم يكن كريماً.

(٢) في الطبعة العبرية يستبيحوه فقد استباحوه عندما أخذوه ولكن أعطاهم قبل أن يستميحوه من السماحة أي أعطاهم قبل أن يطلبوا.

عبيد الله بن الحر والخوارج..

٦٩ ـ وسار حتى أتى ساباط المدائن فتلّقى بها أصحابَ الزُّبير بن عليّ وهو من الأزارقة. فظنّوا أصحابه جيشاً سُرِّح إليهم، وظنّ أنه جيش سُرِّح إليه، فحكّموا فلما سمع تحكيمهم قاتلهم قتالاً شديداً فقُتل يومئذٍ بشر مولى الزبير وكاتبه وناس من أصحابه، ثم أديل[1] ابن الحرّ عليهم فقتل منهم وغنم، وقال في ذلك شعراً منه قوله:

[من الطويل]

أقدِّمُ مُهري في الوغى ثم أنتحي ... على قَرَبُوس السرج غيرَ صدودِ

دعَوني إلى مكروهِها فأجبتهُم ... ومـاأنـا إذ يدعونني ببعيدِ

إذا ماالتقوني بالسيوف غشيتُهمْ ... بنفسٍ لِما يخشى النفوسُ ورودِ

فأقلعتِ الغمّاءُ عنّا وفُرِّجت ... ونحن بها من غانمٍ وشهيدِ

وقال أيضاً:

[من الطويل]

أقولُ لِفتيانِ الصَّعالكِ أسرجوا ... عناجيجَ أدنى سيرِهنَّ وجيفُ[2]

دَعانيَ بشرٌ دعوةً فأجبتُهُ ... بساباط إذ سِيقت إليه حُتوفُ

فلم أُخلفِ الظنَّ الذي كان يُرتجى ... وفي بعضِ أخلاقِ الرجال خُلوفُ

---

(١) أديل لنا على أعدائنا أي نُصرنا عليهم.

(٢) العُنجوج: الرائع من الخيل والجمع عناجيج ـ اللسان ـ

هجوم عبيد الله بن الحر على السجن

٧٠ ـ ثم أتى ابنُ الحرّ وهو في مئة وثلاثين فارساً الكوفة ومعهم الفؤوس والكلاليب لمكاثرة أصحاب السجن، فأتى السجن فدخله فأخرج امرأتَه وكلَّ من كان في السجن، فقاتله ابن كامل صاحب شُرطة المختار فهزمه ابن الحرّ، وانطلق ابن الحرّ بامرأته حتى أدخلها بيوت جُعفي فتوارت عند كُريب بن سلمة الجُعفي ولم يزل ابن الحر يقاتل قومه بالكوفة، ويقول:

[من الطويل]

ألم تعلمي ياأُمَّ تَوبةَ أنّني ... أنا الفارس الحامي حقائقَ مذْحِجِ

وأنّي أتيتُ السجنَ في رونَق الضُّحى ... بكلِّ فتىً يحمي الذِمار مُدجَّجِ

ثم أغار ابن الحر على شبام من همدان، فقاتله عبدُ الله بن أريم وجعلَ يقول:

[من الرجز]

[و] لقد مُنيتم بأخي جِلادِ ... ليسَ بفرّارٍ ولا حَيّادِ

ثَبتِ المقامِ مُقعِصِ الأعادي

فشدَّ عليه ابن الحرّ فصرعه وظنّ أنه قتله ثم عولج فبرىء، وهزم من لقيه من شبام وشاكر وقال:

[من الطويل]

[و][1] سائل بيَ المختارَ كم قد ذعرتُهُ ... وشرَّدتَ أطرافاً له وجُموعا

وقاتلتُهُ والناسُ قد أذعنوا له ... وقد أقشعَ الأحياءُ عنه جميعا

---

(١) يجب أن تزاد الواو ليصح الوزن.

عبيد الله بن الحر والمصعب..

٧١ ـ فلم يزل مخالفاً للمختار حتى قتله المصعب.

وتكلم أهل الكوفة في قتل أصحاب المختار، فقال ابن الحر:

إما أنا فأرى أن يردَّ الأمير كلَّ قوم ممن كان مع هذا الكذاب إلى قومهم فإنه لاغناء بنا عنهم في ثغورنا، ويردّ عبيدنا علينا فإنهم لأراملنا وضعفائنا، وأن نضرب أعناق الموالي فقد بدا كفرهم وعظم كِبرُهم وقلّ شكرهم ولا آمنهم على الدين، فضحك المصعب ودفعهم لابن الحرّ فضرب أعناقهم وكانوا سبعمئة، وقاتل ابن الحرّ المختار مع مصعب.

وبعث المصعب إلى ابن الحر: إنّ لك ولأصحابك خراج بادوريا[1] على أن تقاتل معي عبد الملك وأهل الشام، فقال: أوَليس لي خراج بادوريا وغيرها لستُ فاعلاً وانشأ يقول:

[من الوافر]

أيرجو ابنُ الزُّبيرِ اليومَ نَصري ... لعاقبةٍ ولم أنصرْ حُسينا

في أبيات، وقيل لمصعب إن ابن الحرّ غير مأمون على أن يصنع في سلطانك ماكان يصنع في سلطان من كان قبلك، ويفسد عليك. فلم يزل مصعب يتلطف له ويعده حتى أتاه فحبسه فقال في السجن:

[من الطويل]

فمن[2]يُبلغُ الفِتيان أنَّ أخاهمُ ... أتى دونَه بابٌ منيعٌ وحاجبهْ

بمنزلةٍ ماكانَ يرضى بمثلها ... إذا قام غنَّتهُ كبُولٌ تُجاذبهْ

في أبيات، وقال أيضاً:

---

(١) بادوريا: طسوج من كورة الأستان بالجانب الغربي من بغداد ـ معجم البلدان ـ

(٢) يجب أن تزاد الفاء ليصح الوزن: فمن.

[من الوافر]

بأيِّ بَلاءٍ أم بأيَّةِ نعمةٍ تقدَّم قبلي مُسلمٌ والمهلَّب

وكتب ابن الحرّ إلى الأحنف وغيره يسألهم الكلام لمصعب فيه، فكلمه فيه الأحنف فأخرجه من الحبس وأطعمه خراج كسكر، فصار إليه فقسمه في أصحابه.

ثم أتى ابن الحر نِفَّرَ(١) فأخذ خراجها فقسمه ولحق ببرُس، فبعث إليه المصعب الأبردَ بن قرّة التميمي فقاتله وقد صار مع ابن الحر خلق، فهزم الأبردَ وضربه ضربةً على جبينه، فبعث إليه حُريثَ بن زيد الخيل الطائي فقتله عبيدُ الله ابن الحرّ بمبارزةٍ وهزم أصحابه، فبعث إليه المصعبُ الحجاجَ بن حارثة الخثعمي فقاتله حتى حجز الليلُ بينهم، وقاتله بسطام بن مصقلة بن هبيرة الشيباني وهو والي على عين التمر فدعا رجلٌ من أصحاب بسطام يقال له يونس بن عاهان ابنَ الحرّ للمبارزة، فقال عبيد الله: شرّ دهرك آخره، فذهبت مثلاً، ماكنتُ أظنُّ أني أعيش حتى يدعوني مثل هذا إلى البراز. وهُزم أصحاب بسطام فافتدى نفسه بمالٍ وقال:

[من الرجز]

لو أنَّ لي مثلَ جريرٍ أربعه صبّحتُ بيتَ المالِ حتّى أجمعَهْ

ولم يَهُلني مصعبٌ ومن معَهْ

يعني جرير بن كُرَيب وكان صاحب ميسرته.

وأتى ابن الحرّ شهر زور فأخذ ماكان في بيت مالها، وقاتله عاملها فهزَمه وظفَر به فضرب عنقه، وكان من قبل المهلّب لأنّه كان على الموصل وأعمالها والجزيرة وما يليها من قبل المصعب، وقال ابنُ الحرّ:

---

(١) نِفَّرَ: نِفَّرَ كانت من أعمال كسكر ثم دخلت في أعمال البصرة، والصحيح أنها من أعمال الكوفة وقال عبيد الله بن الحر:

[من الطويل]

لقد لقي المرء التميميُّ خيلنا فلاقى طعافاً صادقاً عند نِفَّرا

وضرباً يزيل الهام عن سكناته فما أن ترى إلا صريعاً ومدبرا

ـ معجم البلدان ـ

[من الطويل]

يُخَوِّفُني بالقتلِ قومي وإنّما أموتُ إذا جاء الكتابُ المؤجَّلُ
لعلَّ القنا تُدني بأطرافِها الغنى فنحيا كراماً نُجتَدَى ونؤمَّلُ
ألم ترَ أن الفقر يُزري بأهلهِ وأنَّ الغَنى فيه العُلى والتّحمُّلُ
وإنّكَ إن لاتركبِ الهولَ لاتَنل من المالِ مايُرضي الصديق ويُفضلُ

وبايع ابن الحرّ لعبد الملك مُراغمة للمصعب واجتمع إليه بشر من أهل الموصل بتكريت، فبعث إليه المهلّب عبدَ الله بن يزيد بن المغفّل الأزدي. وبعث إليه مصعبُ الأبردَ بن قرّة التميمي والجوَن الهمداني، فقاتلهم فلم يزل ينتصفُ منهم، ثم أنه بيّتهم فقتل منهم بشراً وأصاب منهم خيلاً وسلاحاً، وقاتلوه من الغَدِ فجُرح ابن الحرّ وانهزم أصحابه، فلم يبق إلا في خمسين من أهل الحفاظ وحجز بينهم الليل. فخرج من تكريت وأتى ناحيةً من الكوفة، فبعث إليه المصعبُ جماعةً، فيهم حجّار بن أبجر. فأصيب صاحب راية ابن الحرّ فدفعها إلى أحمَرَ طيء ومضى إلى نِفَّر فأخذ ماكان بها من مال.

ويقال: إن المصعب بعث إليه عمر بن عبيد الله بن معمر وقاتله فضربه في وجهه ضربةً لم يزل أثرها باقياً حتى مات، وليس ذلك بثبت، وقال بعضهم وأحسبه الهيثم بن عدي بعث به حين دخل البصرة بعد الجفرة وقبل توليته فارس.

قتل عبيد الله بن الحر

٧٢ ـ ومضى ابن الحرّ إلى عبد الملك ومعه جماعة من أصحابه، فلما قدم عليه أذن له وأجلسه معه على السرير، وأمر له بمئة ألف درهم ولكل رجل من أصحابه الذين دخلوا معه بمال. وقال له ابن الحرّ: إنّي أتيتك لتوجه معي جنداً إلى المصعب لأحاربه، فأمر له بمئة ألف درهم أخرى ولأصحابه بمال فرّقه عليهم وقال: سِرْ واجمع من قدرت عليه. وأنا ممّدك بالخيل والرجال.

فسار ابن الحرّ فنزل بقرية يقال لها بيت فارطٍ إلى جانب الأنبار وهي على شاطىء الفرات. فاستأذنه أصحابه في دخول الكوفة، فأذن لهم وأمرهم أن يُؤذنوا من كان بالكوفة ليسيروا إليه.

وبلغ خبره عبيد الله بن العباس السلمي[1] فاغتنم الفرصة فسأل الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة القُباع، وكان خليفة مصعب على الكوفة يومئذ والمصعب بالبصرة أن يبعثه إلى ابن الحرّ وأخبره بمكانه وبتفرّق أصحابه فسار إليه في خيل كثيفة من قيس، فنزل على حاتم بن النعمان الباهلي[2] وهو نازلٌ في قصرٍ عند كويفة ابن عُمر بين كوثا وبَزيقيا[3]، واستمدّه فأمدّه بخمسمئة من قيس. فسار حتى لقيَ ابنَ الحرّ وهو في عدّة يسيرة من أصحابه. فقالوا: هذا جيش لا طاقة لنا به، فقال: ماكنتُ لأدعهم وحمل عليهم حملات وهو يقول:

[من الرجز]

يالــكَ يومٌ فات فيه نهبي وغــابَ عني ثِقَــتي وصَــحْــبي

ثم عطفـوا عليه فكشفـوا أصحـابـه وحـاولوا أن يأسروه، فقال لأصحابه: انصرفوا سالمين ودعوني أُقتل، فقالوا: والله لانسلّمك، فقاتلوا طويلاً حتى أثخنوا بالجراح، ثم أذن لهم بالذهاب فذهبوا ولم يُعرض لهم، وجعل يقاتل وحده فحمل عليه رجل من باهلة يُكنى أبا كُدَينة فطعنه وجعلوا يرمونه ولا يدنون منه، وجعل يقـول: هذه نبـلٌ أم مغازل فلما أثخنته الجراح خَلص إلى معبر فدخله ولم يدخل فرسه فنسف عرقوبه ومضى به الملاح حتى توسّط به الفرات، فأشرفت عليه الخيل وفي المعـبر نبيط، فقـالـوا لهم: إن الذي في السفينة بغية أمير المؤمنين والأمير فإن فاتكم قتلنـاكم. فوثب ابن الحـر ليقـع في الماء فوثب إليه رجلٌ طُوال فقبض على عضديه وجراحاته تشخب دماً، وضربه الآخرون بالمجاذيف. فلما رأى ابن الحرّ أنه يُمال به نحو القيسية قبض على الذي كان يمنعه وأخذ بعضده فعالجه حتى سقطا جميعاً إلى الفرات فغرقا.

---

(١) سليم قبيلة من هوازن قيسيّة وهـو سُليم بن منصـور بن عكرمة بن خَصَفة بن قيس بن عيلان الذي هو النّاس ابن مضر.

(٢) باهلة قبيلة قيسيـة: وهـو مالك بن أعصر وَلَد سعد مناة وأمه باهلة بنت صعب بن سعد العشيرة فنسبوا إليها وهو سعد مناة بن مالك بن أعصر بن سعد بن قيس بن عيلان الذي هو الناس بن مضر.

(٣) بزِيقيا: قرية قرب حلّة بني مَزيد من أعمال الكوفة ـ معجم البلدان ـ

فقال أبو كُدَينة الباهلي: إني لأنظر إلى شيخ على شاطىء الفرات يصيح ويبكي وينتف لحيته ويقول: يابختيار يابختيار. فقلنا: مالك ياشيخ؟ قال: ابني بختيار كان يقتل الأسد ويخرج هذا المعبر من الماء وحده ثم يردّه، حتى وقع عليه هذا الشيطان الذي دخل المعبر فغرّقه.

ولما بلغ عبدَ الملك خَبرُه، جزع عليه وندم على بعثه في أصحابه من غير أن يضمّ إليه جُنداً، وقال: أيّ مدرة[1] حربٍ وسَدّاد ثغرٍ كان، لايبعدنّك الله يابن الحرّ والله ماوجدوك خوّاراً ولا فرّاراً.

قال ابن الكلبي: وكان ابن الحرّ لما صار إلى الأنبار بلغه أن حبشيّاً يقال له الغُداف يقطع الطريق ويعرض للعدّة من الشجعان فيهزمهم ويسلبهم، ويدخل القرية نهاراً فلا تعجبه امرأة إلا افترشها وقضى حاجته منها لايقدر أحد على منعه ولا دفعه، فمضى إليه وحده فلما رآه عرفه بالنعت فسايره ابن الحر، فقال له: من أين أقبلت ياصاحب الفرس؟ قال: من الأنبار، قال: فإنه بلغني أن ابن الحرّ تنزّلها فما تراه يريد؟ قال: إيّاك يريد، أنا ابن الحرّ فخذ حذرك أيها الكلب، ثم حمل عليه فطعنه فصرعه ثم نزل فضرب رجله فأبانها، فأخذ الأسود رجله فرمى بها ابن الحرّ، فمشى إليه ابن الحرّ فقتله وأخذ فرسه، وجعل ابن الحرّ يقول:

[من البسيط]

أمّ الغُدافِ فشُقّي الجيبَ وانتحبي	إنّ الغُـدافَ وربّي وافَق الأجـلا
دهْـدهـتُـهُ بين أنهارٍ وأوديةٍ	لايعلَمُ الناسُ غيرى ماالّذي فَعلا

---

(١) المِدْرَة: السيد الشريف والزعيم والمحامي المدافع.

أمر زُفر بن الحارث الكلابي

٧٣ ـ وهو الحارث بن عبد عمرو بن معاز بن يزيد بن عمرو بن خويلد بن نفيل بن عمرو بن كلاب[١] .

حدثني هشام بن عمار الدمشقي عن الوليد بن مسلم عن مروان بن جناح عن يونس بن ميسرة:

أن مروان بن الحكم أنفذ مع عبيد الله بن زياد بن بن أبي سفيان جيشاً إلى الجزيرة والعراق، وقال له: كل بلد افتتحته كنت أميره، فسار في زهاء ستين ألفاً، فلم يبلغ الجزيرة حتى مات مروان فقلّده عبد الملك ماقلّده أبوه وأعطاه مثل الذي أعطاه من الولاية.

فلما صار إلى الرّقة وهو يريد زفر بن الحارث بقرقيسيا وقد تحصّن بها. بلغه أمر قوم خرجوا من الكوفة يطلبونه بدم الحسين بن علي وعليهم سليمان بن صُرَد، فعرّج إليهم وسرّب للقائهم جيشاً بعد جيش حتى قتلهم فقلّ من أُفلت منهم، وأتى قرقيسيا فحاصر زُفر بن الحارث فلم يمكنه فيه شيء، فمضى يريد العراق ليواقع المختار ابن أبي عبيد الكذاب، ومصعب بن الزبير، فلما صار بالموصل لقيه إبراهيم بن مالك الأشتر النخعي[٢] فقاتله فقتل ابن زياد وحصين بن نمير وابن ذي الكُلاع.

---

(١) كلاب قبيلة قيسية: وهو كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خَصَفة بن قيس بن عيلان بن مضر.

(٢) النخع: قبيلة يمانية وهو النخع واسمه جَسر بن حرب بن عُلَة بن جَلْد بن مالك الذي هو مَذْحج بن أدد بن زيد بن يشجب بن عَريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن المرعف بن قحطان.

فاستخلف عبد الملك على دمشق عبد الله بن يزيد بن أسد بن كُرْز أبا خالد القسري[1] ، وشخص فلما شارف الفرات انخزل عمرو بن سعيد الأشدق من عسكره وصار إلى دمشق فبايعه عبد الله بن يزيد، وأغلق أبواب دمشق، فانكفأ عبد الملك راجعاً إليه حتى قتله بعد أن أمّنه، واستخلف على دمشق عبد الرحمن ابن عبد الله الثقفي[2] وأمه أم الحكم أخت معاوية وبها يعرف، وصار إلى زفر فحصره حتى صالحه، وكان بالجزيرة رجل من بني تغلب يقال له جِدار بن عبّاد قد تحصّن في بعض مدنها. وكان ابن زياد على محاربته وحصاره بعد الفراغ من أمر زُفر، فلما حدث من أمره ماحدث. قال زُفر:

[من الوافر]

تَمَسَّكْ وَيْحَ أُمِّكَ ياجِدارُ ... أتاكَ الغَوثُ وانقطَعَ الحِصارُ

فوجّه عبد الملك أخاه محمد بن مروان إلى جِدار بن عبّاد فحصره ثم صالحه، وبايع جدار لعبد الملك وقد مدحه الأخطل.

قال: وأقبل طاغية الروم يريد الشام، وخرج أيضاً قائد من قوّاد الضواحي في جبل اللكام فاتبعه خلق من الجراجمة والأنباط وأبّاق عبيد المسلمين وغيرهم، ثم صار إلى لبنان فأقبل عبد الملك مُغِذّاً للسير حتى أتاه كتاب ابن أم الحكم بذلك.

فلما ورد دمشق وجّه حُميد بن حُريث بن بحدل الكلبي[3] بهدايا وألطاف إلى

---

(١) قسر قبيلة من أنمار من كهلان قحطانية وهو خالد بن عبد الله بن يزيد بن كُرز بن عامر بن عبد الله بن عبد شمس بن غمغمة بن جرير بن شِق بن صعب بن يشكر بن رُهم بن أفرك بن نذير بن قسر واسمه مالك بن عبقر بن أنمار بن أراش بن عمرو بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان.

(٢) ثقيف قبيلة من قيس. وهو عبد الرحمن بن عبد الله بن عثمان بن عبد الله بن ربيعة بن الحارث بن حُبَيْب بن الحارث بن مالك بن حُطيط بن جشم بن ثقيف بن مهاوية بن بكر بن هوازن.

(٣) كلب قبيلة من قضاعة يمنيه وهو كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة.

طاغية الروم، وكتب إليه معه يسأله الموادعة على إتاوة وأعطاه، كما فعل معاوية حين أراد إتيان العراق. فقبل الطاغية الهدايا ومابذل له عبد الملك من الإتاوة، وأعطاه، رهناء من أبناء الروم صيّرهم ببعْلبَكّ، وكان مع حُميد أيضاً (كُرَيب)[1] بن أبرهة الصبّاح الحميري، ووادع عبد الملك (الذين خرجوا) بلبنان وجعل لهم في كل جمعة ألف دينار فركنوا إلى ذلك ولم يعبثوا بفساد، ثم دسّ إليهم سُحَيم بن المهاجر فتلطّف حتى وصل إلى رئيسهم متنكراً فأظهر ممالأته وتقرّب إليه بذمّ عبد الملك وشتمه، ووعده أن يدلّه على عوراته وماهو خير له من الصلح الذي بذلَهُ له.

ثم عطف عليه وهو وأصحابه غارّون غافلون بجيش من موالي عبد الملك وبني أمية، وجندٍ من ثقات جنده وكماتهم كان أعدّهم لمحاربته وأكمنهم في مكان بالقرب منه خفيّ، فقتل أولياء الروم وبشراً من الجراجمة وغيرهم ثم نادى بالأمان فيمن بقي من الجراجمة ومن سواهم فتفرقوا في قراهم ومواضعهم.

فلما أصلح عبد الملك أموره استخلف ابنه الوليد على دمشق ومعه سعيد بن مالك بن بحدل، ويقال انه خلّف ابن أم الحكم أيضاً، وأنفذ عبد العزيز إلى مصر وسار إلى مسكن وقتل مصعب بن الزبير.

وقال هشام: قال الوليد وقد سمعتُ أن خروج هؤلاء الذين خرجوا بلبنان كان مع مخالفة عمرو الأشدق وإغلاقه أبواب دمشق. وحديث ابن جناح أصحّ.

وقال الوليد: وبلغني أن عبد الملك أمر فنودي: من أتانا من العبيد يعني الذين كانوا مع أولئك القوم فهو حرٌّ وله أن نثبته في الديوان فانفض إليه خلق منهم فكانوا ممن قاتل مع سُحيم، وأنه وفى لهم رَبعاً على حدة فهم يسمّون الفتيان إلى الآن.

حدّثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه عن لوط بن يحيى في إسناده، قال:

التقى مروان والضحّاك يوم مرج راهط، وكان مع الضحّاك خلق من أهل اليمن إلاّ أن قيساً كانوا رؤوس الناس معه وعددهم. فلما قُتل الضحّاك مضى زُفر

---

(١) بين الهلالين من الطبري.

فأتى قنسرين[1] فاحتمل ماكان له بها إلى قرقيسيا. قال الكلبي: بل كان عاملاً عليها من قبل الضحّاك فأمدّه وسرّب الخيول إليه، فلما قُتل هرب إلى قرقيسيا ولما أتى قرقيسيا ضوى إليه خلق من قيس فرسانٌ ورجال. وكان عياض بن عمرو الحميري بقرقيسيا قد غلب عليها، فقال له زُفر:

إني إنما جئت لدخول الحمّام لعلّةٍ عرضت لي، ثم أنا منصرف عنك فخاف عياض أن لايفعل فأحلفه فحلف له زُفَر ليخرجنّ منها بعد دخوله الحمام بقرقيسيا. فلما صار بالمدينة أخرج عياضاً منها ولم يدخل الحمّام بها أيّام مقامه كلّها.

وكان دخوله إياها في المحرّم سنة خمس وستين، وذلك قبل مرور التوّابين به بأشهر.

قال: وتشاغل مروان بمصر حتى غلب عليها، ثم وجّه عبيد الله بن زياد، وقال له: أنت أمير كل بلد أهله على غير طاعتي تفتحه، فسار في ستين ألف فقتل من قتل من التوّابين بعين الوردة وقُتل بالخازر.

وأقبل عبد الملك يريد زُفَر بن الحارث ثم العراق فخلعه عمرو بن سعيد وعاد إلى دمشق. ثم أتى قرقيسيا بعد قتله عمرو بن سعيد، فوضع المجانيق على قرقيسيا فأمر زُفَر أن ينادي أهل عسكر عبد الملك فيقال لهم: لِمَ وضعتم المجانيق علينا؟ ففعلوا، فقالوا: لنثلم ثلمة نقاتلكم عليها، فقال زُفر قولوا لهم: إنا لانقاتلكم من وراء الحيطان والأبواب ولكنّا نخرج إليكم.

قالوا: وثلمت المجانيق ثلمة من المدينة برجاً مما يلي حسان بن مالك بن بحدل وحُميد بن حُريث بن بحدل، فقال زُفر أو غيره.

[من الطويل]

لقد تركتني مَنجنيقُ ابنِ بَحدلٍ أُحيدُ عن العُصفورِ حينَ يطيرُ

---

(١) قنسرين: كورة بالشام منها حلب وكانت قنسرين مدينة بينها وبين حلب مرحلة من جهة حمص - معجم البلدان -

وكان خالد (بن يزيد) بن معاوية يقاتل أهل قرقيسيا مع كلب وهم أخواله لأنَ أم يزيد ميسون بنت بحدل، ويقال إنه كان يقاتلهم من ناحية أخرى في موالي معاوية وغيرهم، فألحّ عليهم بالقتال والرمي حتى كاد يظفر، فقال رجل من بني كلاب: لأسمعنّ خالداً قولاً لايعود بعده إلى ماكان يصنع ولأكسرنّه به، فلما غدا خالد للمحاربة أشرف عليه الكلابي وهو يقول:

[من الرجز]

ماذا ابتغاءُ خالدٍ وهَمُّهْ إذْ سُلبَ الملكَ ونيكتْ أُمُّه

فانكسر واستحيا ولم يعد إلى الحرب حتى انقضى أمر زُفر، وقال زُفر لخالد وكان يُكنى أبا هاشم:

[من الطويل]

أبو هاشمٍ عطّارةٌ فارسيَّةٌ مُكحلَّةُ العينينِ برّاقةُ الفَمِ
أبو هاشم يرمي فوارسَ قومهِ وأمّا العدوُّ الأبعدينَ فلا يَرمي[1]

وقال الصقعب المريّ[2]:

[من الرجز]

نحنُ بنو مُرّة نرمي زُفرا يَهدِي إلينا حَجَراً فحجرَا
لما رأينا دينَهُ تغيّرا وأصبحَ المعروفُ منه مُنكرا

وقال أيضاً:

[من الرجز]

كيف ترى قيساً تُرامي قَيسا حُمقاً ترى ذاك بها أم كَيسا
تدوسُهم بالمنجنيق دَوسا

---

(١) يعني أن كلاب التي يرميها عدنانية وبني أمية عدنانية وجعل العدنانيين قومه، أما كلب فقحطانية.

(٢) مُرّة: قبيلة قيسية، وهو مُرّة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان.

وقيل لعبد الملك: إنّ قيساً تنهزم بالناس فاجعلها ترمي بالمجانيق، فقال الصقعب:

[من الرجز]

فبـآسـتِ من قال ألا لا يَنصَـحُ ... ولقد فتـحنـا حولهـا مايُفتَـحُ

في كلّ يومٍ وخَصيً ترجّحُ

وقـالت كلب لعبد الملك: إنا إذا لقينا زُفر انهزمت القيسية فلا تَشُبْ جمعنا بأحدٍ من قيس، ففعل فكتبت القيسية على نبلها: ليس يقاتلكم غداً مضري ورموا بنبلهم إلى المدينة.

فلما أصبح زفر دعا الهُذيل ابنه، وبه يكنى ويقال إنه كان يكنى أبا الكوثر والأول أثبت، فقـال: اخـرج إليهم فشـدّ عليهم شدّة لاتنثني عنهـا حتى تضرب فسـطاط عبد الملك، أسمعت يابن اللخناء[1] والله لئن رجعت دون أن تطأ طُنبَ فسطاطه لأضربن الذي فيه عيناك.

فخـرج عبد الملك وتقدّمت اليمانيّة، فجمع الهُذيل بن زُفَر خيله ثم رماهم فصـبروا قليلاً ثم انكشفـوا وتبعهم الهـذيل بخيله حتى وطئـوا أطنـاب الفسطاط وقطعوا بعضها ثم كرّوا راجعين، فقبّل زُفر رأس ابنه الهذيل، وقال: يابُنيَّ لايزال عبـد الملك يحبّـك بعـدهـا أبداً، فقال الهذيل: والله لو شئت أن أدخل فسطاطه لفعلتُ، فقال زُفر:

[من الطويل]

تَراهُ أَمامَ الخَيْلِ أوّل فارسٍ ... ويضربُ في اعجازِها إنْ تولّتِ

ألا لا أُبـالي من أتـاهُ حِمامـهُ ... إذا ماالمـنـايا عن هُذيلٍ تجلّتِ

حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي وأبو خيثمة، قالا: حدثنا وهب بن جرير حدثنا محمد بن أبي عُيينة قال:

جعل بشر بن مروان يرسل إلى قيس: أتقتلون أنفسكم مع رجل ليس منكم إنما هو من كندة، فبلغ ذلك زُفر بنَ الحارث فقال:

---

(١) اللخناء: في الهامش هي المرأة المنتنة أو التي لم تختن.

[من الطويل]

لعـلّك يابشر بن مروانَ لائـمـي ... على حينِ أبدت عن نواجذها الحربُ
فتـخـبرُ قومـي أنّـني لسـتُ منهـمُ ... وتـزعُـم أنـا معشرٌ من بني وهـبِ[1]
أتجعـلُ أجـلافـاً عليهـا عباؤهـا ... ككنـدةَ تمشي في المـطارفِ والعَصبِ

وقال زُفر أيضاً:

[من الطويل]

أفي اللهِ أمّا بَحدلٌ وابنُ بَحدلٍ ... فيحيا وأمّـا ابنُ الـزُّبـير فيُقتـلُ
كذبتُـمْ وبيتِ الـلهِ لاتـقـتلونـهُ ... ولـمّـا يكُـن يومٌ أغـرُّ مُحجَّـلُ
ولـمّـا يكـن للمشرفـيَّةِ فيكـمُ ... شُعـاعٌ كقـرن الشمسِ حين ترجَّـلُ[2]

المدائني عن أبي زياد بن يزيد بن قحيف الكلابي، قال: قاتل عبد الملك زُفرَ بن الحارث أربعين يوماً ورمى المدينة بالمجانيق حتى ثَلم عامّة بروجها. فقال أبناء الكلبيات من قريش واليمانيّةُ: إنك قد هدمت مدينتهم فناهضهم غداً بقضاعة، فخرج الهُذيل بن زُفر. ويزيدُ بن حُمران ومسلم العُقيلي وهو أبو إسحاق بن مسلم وعبد الله بن يزيد[3] الهلالي فصاروا على برج المدينة، وأقبلت قضاعة مع شروق الشمس فاقتتلوا إلى الظهر، ثم حالت قضاعة وانكشفت ووقفت القيسية على البروج، وأقبل رَوح بن زنباع الجذامي[4] عند المساء إلى برج منها فقال: من

---

(١) بنو وهب بطن من قبيلة كندة: وهو وهب بن ربيعة بن معاوية الأكرمين بن الحارث الأصغر بن معاوية بن الحارث الأكبر ابن معاوية بن ثور بن عمرو (مرقع) بن معاوية بن كندة واسم كندة ثور.

(٢) ذكر هذه الأبيات الطبري مع تغيير بعض الكلمات. ج: ٥ ص: ٥٤٣.

(٣) في الأصل بريد وفي الطبعة العبرية يزيد وهو خطأ وصحته بريد كما جاء في جمهرة النسب وهو عبد الله بن بُرَيد بن عبد الله بن الأصرم بن شعُيثه بن الهُرم بن رؤيبة بن عبد الله بن هلال.

(٤) جذام قبيلة قحطانية وهو جذام بن عدي بن الحارث بن مرّة بن أُدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ.

صاحبُ هذا البرج؟ قيل عبد الله بن بُرَيد الهلالي، فقال روح: نشدتك الله كم قتلنا منكم اليوم؟ قال: إن نشدتني الله. فلم يُقتل منا أحد ولم يُجرح إلاّ الرجل الواقف صاحب الكردوس الأيمن فإنه طُعن طعنة في صدره وأرجو أن لا يكون عليه بأسٌ. فنشدتك الله كم قتلنا منكم؟ قال: عدّة فرسان وجرحتم مالا يحصى، فلعن الله ابن بحدل.

ورجع رَوح إلى عبد الملك فقال له: إنّ ابن بحدلٍ يمنّيك الباطل فأعرض عن هذا الرجل.

علي بن محمد المدائني وغيره: أن رجلاً من كلب يقال له الذيال كان يخرج في حصار زُفر بقرقيسيا يشتم، فقال زُفر للهذيل أو لبعض من معه من قيس: أما تكفيني هذا! فقال: أنا أجيئك به. فدخل عسكر عبد الملك ليلاً فجعل ينادي: من يعرف بغلاً من صفته كذا وكذا حتى انتهى إلى خباء الرجل وقد عرفه (فقال) الرجل: ردّ الله عليك ضالّتك، فقال: ياعبد الله إني قد أعييتُ فلو أذنت لي واسترحت قليلاً، قال: ادخل، فدخل والرجل وحده في خبائه، فرمى بنفسه ونام صاحب الخباء، فقام إليه فأيقظه، وقال: والله لئن تكلمت لأقتلنّك ولئن سكت وجئت معي إلى زُفر، فلك عهد الله وميثاقه أن أردّك إلى عسكرك بعد أن يصلك زُفر ويحسن إليك، فخرجا وهو ينادي: من دلّ على بغلٍ ويصفه حتى أتى زفر والرجل معه، فأعلمه أنه قد آمنه.

فوهب له زفر دنانير وحمله على راحلة وألبسه ثياب النساء وبعث معه رجالاً حتى دنوا من عسكر عبد الملك. فنادوا: هذه جارية بعث بها زُفَر إلى عبد الملك وانصرفوا. فلما نظر إليه أهل العسكر عرفوه وأخبروا عبد الملك خبره، فضحك وقال: لايبعد الله رجال مُضر، والله إنّ قتلهم لذلّ وإنّ تركهم لحسرة. وكفّ الرجل فلم يَعد لشَتْم زُفرٍ وأصحابه، ويقال إنه هرب من العسكر.

قالوا: وقال عبد الملك وهو محاصرٌ لِزُفَر بن الحارث:

[من الرجز]

إنّـا وجـدنـا زُفَـرَ بنَ الحـارثْ في هذه الهِيئـاتِ والهَنـابـثْ[1]

خبيثةً من أخبث الخبائث

صلح عبد الملك وزفر بن الحارث

٧٤ ـ قالوا: وكتب عبد الملك إلى زُفر بن الحارث كتاباً يدعوه فيه إلى الطاعة ولـزوم الجـماعـة، ويرغبّـه ويرهّبـه. وبعث بالكتـاب مع رجـاء بن حَيْوَةَ الكندي والحجـاج بن يوسف الثقفي، فأتيا زفـر بالكتـاب وكلماه فأبى الصلح. وحضرت الصلاة فصلّى رجاء مع زُفر وصلى الحجاج وحده وقال: لا أصلّي مع مُشاقٍ منافقٍ، فلما انصرفا قال عبد الملك لرجاءٍ: كيف لم تفعل كما فعل الحجاج؟ قال: ماكنت لأدعِ الصلاة مع قومٍ يقيمونها وأصلّي وحدي.

وقـال الهـذيل بن زُفـر لأبيه: لو صالحت هذا الـرجـل فقد أكلتك وقومك الحـرب، وأنت مذ سِنـون في هذه المـدينـة، وقـد أعـطى الناسُ الرجلَ طاعتهم واجتمعوا عليه، وهو خيرٌ لك من ابن الزُّبير. وأمر عبدُ الملك محمدَ ابن مروان أن يعـرض على زُفـر وابنِـه الهذيل الأمان على أنفسهما ومن معهما وأن يعطيا ماأحبّا. ففعل محمد ذلك فأجاب الهذيل وكلّم أباه فأجاب على أن له الخيار.

فبينا الرسل تختلف في ذلك إذ جاء رجل من كلب إلى عبد الملك، فقال: ياأمـير المؤمنين قد هُدمت أربعة أبرجة، فقال عبد الملك لا أصالحهم، وناهضهم فهزموا أصحابه حتى دخلوا عسكره وأزالوه عن موقفه، فقال: أعطوهم ماأرادوا، فقال زفر: كان هذا قبل هذه الحال أمثل.

قال: واستقرّ صلح زفر على أن آمنه عبد الملك وابنَه وكلّ زفري وعلى وضع الدماء والأموال أن لايقاتل زفر مع عبد الملك ولا يبايع له حتى يموت عبد الله بن الزبير لبيعته له، وأن يعطى مالاً يقسمه في أصحابه، وخاف زفر أن يغدر به عبد

---

(١) الهنابث: الدواهي ـ اللسان ـ

الملك كما غدر بعمرو بن سعيد الأشدق. فتوقف عن إتيانه حتى بعث إليه بقضيب النبي صلى الله عليه وسلم أماناً له.

وحدثني حفص عن عمر العمريّ عن الهيثم بن عدي عن يعقوب بن داود، قال:

لما تم الصلح بين عبد الملك (وزفر) خرج إليه فرأى قِلّة أصحابه، فقال عبد الملك: لو علمت أنه في هذه القلّة لحاصرته أبداً حتى ينزل على حكمي، فبلغ زفرَ قولُه، فقال: إن شئتَ رجعتَ ورجعنا إلى أمرنا، فقال: بل نفي لك يابا الهذيل.

ودخل زُفرُ على عبد الملك فأجلسه معه على سريره، فقال ابن عضاة الأشعري[1] : أنا كنت ياأميرَ المؤمنين أحق بهذا المجلس، فقال زُفَرُ: كذبت لست هناك، إني عاديتُ فضررت وواليت فنفعت. ودخل الأخطل غياث ابن غوث على عبد الملك فرأى زُفرَ بن الحارث معه على سريره، فقال: ياأمير المؤمنين أيقعد زُفر هذا المقعد وقد قاتلك وحاول زوال نعمتك وسَلبها. فقال زُفر: إنّا كنّا قاتلناك بالأمس ثم أرانا الله خيراً مما كنّا فيه فواليناك ودخلنا في أمرك، فنحن اليوم في طاعتك على أشدّ مما كنا فيه من معصيتك، فلا تسمعن مايقول هذا الفَدَوسكي[2] النصراني ولا قول قومه، فإنا أمسُّ بك قرابة وأوجب عليك حقّاً.

قالوا: ودخل زُفر على عبد الملك وقد مدّ رجله ولم يُقبلْ عليه كما كان يُقبل، لكلام الناس في إجلاسه إياه على سريره، فلما دنا زُفر من السرير، قال: ياأميرَ المؤمنين اقبض رجلك عن مجلس خالك وفِهْ لي بها أخذتَ عليه صفقتي[3] ونلتَ به

---

(١) الأشعر قبيلة قحطانية وعضاة هو ابن نِمر بن ياضر بن كَركَر بن عامر بن عَذَر بن وائل بن ناجية الجماهر بن نبت الذي هو الأشعر بن أدد بن زيد بن يشجب بن عَريب بن زيد بن كهلان.

(٢) فدوسكي: هكذا جاء في الأصل والطبعة العبرية وهو خطأ وصحته في جمهرة النسب والأغاني فدوكسي وهو غياث بن غوث بن الصلت بن طارقة بن سيحان بن عمرو بن فدوكس بن عمرو بن مالك بن جشم بن بكر بن حُبَيّب بن عمرو بن غَنم بن تغلب بن وائل بن قاسط بن هنب ابن أمضى بن دُعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار.

(٣) هكذا في الأصل وفي الطبعة العبرية: أخذتُ عليه صفقةٌ وهو خطأ.

طاعتي، فقبض رجله وجلس زُفر.

وقال ابن الكلبي: قوله خالك يعني أن أمّ عبد شمس من بني سُليم وأمّ أميّة بنت أبان بن كُليب بن ربيعة بن عامر.

قالوا: وكان ممن تكلّم في أمر زُفر عند عبد الملك خالد بن يزيد بن معاوية، فقال زُفر:

[من الطويل]

أبـا هاشـمٍ لستَ الحليمَ فتُرتَجى ... ولسـتَ أبيّاً صابـراً حين تُجْهَـلُ

ستَمنَعُني قيسٌ من الضَّيمِ والقَنـا ... وتمـنـعُـني بيضٌ تُحدُّ وتُـصـقـلُ

أبـعـدَ سعـيدٍ يومَ قام بخُـطـبـةٍ ... تُزال بها عنـك الخـلافـةُ تَجْذلُ[1]

سعيد[2] بن مالك بن بحدل.

قالوا: وقال عبد الملك لزفر: بلغني أنك من كندة، فقال: وماخير من لاينفي حسداً ولا يُدعى رغبة.

قالوا: وساير زُفر عبد الملك يوماً، فلما كان بالمرج طعن في جنبه بمخصرته ثم قال:

[من الطويل]

وتبقى حزازات النفوس كما هيا

أبقاها الله ولا ذهب بها، فغضب زُفر وخنس من موكبه فافتقده وقال: أين أبو الهذيل، فقالوا: تخلف، فوقف وقال: أبو الهذيل فدعي فقال[3]: إنما مزحت معك، قال: فهلا بغير هذا.

وقال الجحاف بن حُكيم السلمي:

[من الطويل]

وكُـنتَ زُبـيرياً فأصبحتَ شيعـةً ... لمروانَ وأُريدُ الهـوى لابنِ بَحْـدَلِ

---

(١) تجذل: تنتصب ـ اللسان ـ

(٢) في أول الكتاب الذي خطب حسان بن بحدل لا سعيد.

(٣) هكذا في الأصل، وفي الطبعة العبرية: فوقف فدعي فقال (ياأبا) الهذيل إنما.

وقال ابن الكلبي: كانت الرباب بنت زُفر بن الحارث عند مسلمة بن عبد الملك، فكان يؤذن عليه لأخويها الهذيل وكوثر في أول الناس، فقال عاصم بن عبد الله الهلالي لمسلمة:

[من الطويل]

أمَسلمَ قد منَّيتَني ووعدتني مواعيدَ خيرٍ إن رجعتَ مؤمَّرا
أيُدعى الهذيلُ(١) ثم أُدعى وراءهُ فيالَك مُدعىً ماأذلَّ وأحقرا
فلستُ براضٍ عنكَ حتى تُحبَّني كحبِّكَ صِهريك الهُذيلَ وكوثرا
وكيف ولم يشفع لي الليلَ كُلَّهُ شفيعٌ إذا ألقى قِناعاً ومِئزرا

فقال الهذيل وفخر على عاصم:

[من الطويل]

(٢) [و] ما فخرُ ذي فخرٍ عليَّ وإنّما نشأنا وأُمّانا معاً أمتانِ
أبي كان خيراً من أبيكَ وأفضلتْ عليك قديماً جُراتي وبَياني

وقال الهيثم بن عدي: لما أتى زُفر قرقيسيا، ومات مروان كتب إلى أبان بن عقبة بن أبي مُعَيط وهو على حمص يأمره أن يسير إلى زُفر، فسار وعلى مقدّمته عبد الله بن زِمِّيت الطائي، فواقع زُفر بن الحارث فقتل من أصحاب زميت ثلاثمئة فلامه أبانُ على عجلته. وأقبل أبانُ فواقع زفر فقتل ابنه وكيع بن زفر، وأدركت طيء ثقل زُفر ونساءً له، فاستوهب محمد بن حُصين بن نمير النساء فألحقهنّ بقرقيسيا، وقال زُفر:

[من الطويل]

عَلِقنا بحبلٍ من حُصَينٍ لو آنَّهُ تعيَّبَ حالت دونَهُنَّ المصائرُ
أبوكم أبونا في القديم وإنّني لغابِرُكم في آخرِ الدهرِ شاكرُ

وكان يقال إن زُفر بن الحارث من كندة.

---

(١) يجب أن تكون: هذيلٌ ليصح الوزن.

(٢) يجب زيادة الواو لصحة الوزن.

خبر عصبيّة قيس وكلب ويوم بنات قين

٧٥ ـ وقال هشام بن الكلبي وغيره: صار زُفر بن الحارث إلى قرقيسيا فتحصّن بها وجعل يغير منها على بلاد كلب لأن كلباً كانوا مروانيّة. وكانت قيس زبيرية فكان يقتل ويسوق الأموال، وكانت كلب تفعل مثل ذلك بقيس. وكان عُمير بن الحُباب السُلمي يغير مع زُفر أيضاً ببني تغلب، وذلك بعد انصراف عمير من جيش عبيد الله بن زياد حين قتل، وقبل وقوع الحرب بين قيس وتغلب، وغزا زفر تدمر وعليها عامر بن الأسود الكلبي من بني عامر الأجدار بن عوف بن كنانة بن عوف بن عذرة ابن زيد اللات ومعه ابنه الهذيل بن زُفر فقتلهم جميعاً ففي ذلك يقول زُفر:

[من الكامل]

ياكلبُ قد كَلِبَ الزّمانُ عليكُمُ ... وأصابكُم مني عذابُ تَنزُّلِ
إنَّ السَّماوةَ لاسماوةَ فالحقوا ... بمنابتِ الزيتونِ وابني بحدلِ

فأجابه ابن القعطل الكلبي:

دُسنا ولم نفشَل هوازن دوسةً ... تركت هوازنَ كالفريدِ الأعزلِ
من بعد مادُسنا ترائِقَ حامِها ... بالمشرفيّةِ والوشيجِ الذُّبَّلِ[1]
وأذلَّ معطَسكُم وأضرعَ خدّكم ... قتلى فزارةَ إذ سما أبنا بحَدلِ

قالوا: فلما رأت كلب المَدَر مالقيته كلب البوادي من زُفر بن الحارث وعُمير بن الحباب، أمّروا عليهم حُميْد بن حُريث بن بحدل الكلبي فخرج حتى نزل بتدمر، وعبد الملك يومئذ يريد أن يزحف إلى زُفر بن الحارث ثم يأتي العراق لمحاربة مصعب بن الزبير. وكان من شهد المرج من بني نمير بن عامرٍ بناحية الشام بقرب تدمر بينهم وبين أهل تدمر عهد وعقد، فأرسل إليهم حُمَيد بن حريث عن نفسه وعن أهل تدمر: إنّا قد نقضنا عهدكم فالحقوا بمأمنكم من الأرض، ثم سار إليهم فقتلهم، ويقال إنهم وجّه إليهم جماعة من كلب فأتت عليهم، وإن حُميداً لم يكن معهم.

---

(١) ترائق: جمع ترقوة وهي عظم وصل بين ثغرة والعاتق من الجانبين ـ اللسان ـ

وسـار حُميد يريد بني تغلب لمظاهـرتهم عُمـير بن الحباب وقيساً على كلب. فوجـد عمـيراً قد أغـار على قوم من كلب فمضى في طلبه ودليلهُ العَكْبش بن جُليطة[1] الكلبي والمأموم بن زيد الكلبي، فلم يلحقه ولحق قوماً من قيس ممن كان مع عمـير فقتلهم، فلم ينـج منهم إلا رجل عُريان ركب فرسه وأتى عميراً. فقال عُمـير: مازلت أسمـع بالنذير العريان حتى رأيته، ولحق عمير بقرقيسيا. وانطلق حميد إلى من قتل من أولئك القيسية الذين كانوا مع عمير فقطع آذانهم ونظمهم في خيط ومضى بها إلى الشام.

وانتهى الخبر إلى عبد الملك وعبد الله بن الزّبير يومئذ بمكة، وكان عند عبد الملك حسـان بن مالـك بن بحـدل الكلبي، وعبد الله بن مسعدة بن حكمة بن مالك بن حذيفة بن بدر الفزاري. فأتى عبد الملك بالغداء، فقال عبد الملك لعبد الله بن مسعـدة: ادنُ فكُل. فقال ابن مسعدة: والله لقد أوقع حُميد بسُليم وعامر وأخلاط قيس وقعةً لاينفعني معها غداءٌ، ولا يسرّني بعدها شراب حتى يكون لها غَيرٌ.

فقـال حسـان بن مالـك: يابن مسعـدة غضبت لقيس إن قُتِلتْ وأُنسِيتَ دخولهم قرقيسيا يغيرون على أهل البادية منا قومٍ ضعفاء لاذنب لهم، فلما رأى حُميد مانزل بقومه ومانالهم طلب بثأره فأدركه.

وبلغ حُميداً قولُ ابن مسعـدة، فقـال: والله لأوقعنّ بفزارة وقعةً تُشغل ابنَ مسعـدَة عن الغضب لعـامرٍ وسليم. فتجهّز وخرج حتى أتى فزارة ومعه دليل من كلب يُقال له العكبش بن جُلَيطة وآخر يقال له المأموم بن زيد بن مضرّس الكلبي، ومعه كتاب قد افتعله على لسان عبد الملك بتوليته صدقاتهم.

فلما اجتمعت إليه وجـوههم، قال: يابني فزارة هذا كتـاب أمـير المؤمنـين وعهـده، وقـد كان ضرب فسـطاطـاً وخبـاءً. فجعـل يدعـو الرجل منهم فيدخل

(1) جُلَيْطَة: هكذا في أصل المخطوط وقد صحّح عليها وفي الطبعة المصرية حَلِيطة.

الفسطاط ثم يخرج من مؤخّرته فيُقتل، وعلم قومٌ من خارج الفسطاط بما يفعل بأصحابهم فامتنعوا من الدخول، فكثَرَهم بمن معه فقتلهم فكان جميع من قتل منهم من بني بدر خمسين رجلاً سوى من قتل من غيرهم، وأخذ أموالهم ثم رجع حُميد إلى الشام[1] .

فلما قَتل عبدُ الملك مصعبَ بن الزبير بالعراق وقدم النُخيلة بالكوفة، كلّمه أسماء بن خارجة بن حصن وبنو فزارة[2] وذكروا ماصنع حُمَيد بن حُريث بن بَحدل، وحدّثوه بأنه ادعى أنّه مصدِّقه، وقالوا: ياأمير المؤمنين أَقِدنا منه، فأبى عبد الملك ذلك، وقال: كنتم في فتنة والفتنة كالجاهلية ولا قَود فيها، ولكنّي صانع بكم مالا أصنعه بغيركم أُدِي كل قتيل منكم بديّةٍ من أعطية قضاعة وحمير[3] ممن بأجناد الشام فقبل القوم الديات، فقال عمرو بن المخلي، وبعضهم يقول ابن المِخلاة، وقال ابن الكلبي: هو المَخلي:

[من الوافر]

خُذُوهــا يابَــني ذُبــيانَ عَقــلاً	على الأحياءِ واعتَقِــدوا الخِـذامـا
مواعِــدَ من بَني مروانَ دَينــاً	نُدافِـعُــكـم بها عامــاً فعــامــا

فلما قبضوا الديات مضى قوم منهم إلى اليمن فاشتروا الخيل والسلاح، فلما قدموا أغارت بنو فزارة على بني عبد وُدٍ وبني عليم من كلب[4] ، وهم على ماء يقال له بنات قين[5] .

---

(١) كأنه في ذلك الوقت تسمى دمشق الشام كما هو الآن بينما الشام تعرف بجميع بلاد سوريا وفلسطين والأردن.

(٢) فزارة بن ذبيان بن بغيض بن رَيث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان.

(٣) قضاعة من حمير والديات تحتملها جميع القبائل التي من جذم واحد.

(٤) عبدود بن عوف بن كنانة بن عوف بن عُذره بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب. وبني عُلَيم بن جناب بن هُبَل بن عبد الله بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات.

(٥) بنات قين اسم موضع بالشام في بادية كلب سمي بالقين بن جسر بن شيع اللات =

وقال غير أبي مخنف: هو ماء عند جبل يقال له بنات قين، فقتلوا منهم مئة وثمانين. ويقال نيِّفاً وخمسين، ويقال نيِّفاً وثمانين، وكان قائد القوم سعيدَ بن عيينة ابن حصن، وحَلْحَلة بن قيس بن الأشيم ابن سيار من بني العُشَراء[1] من فزارة، فقال عُويف القوافي ابن معاوية:

[من الوافر]

فسائِل جَحجبَى وبني عَديٍّ ... وتيمَ اللاتِ من عَقَد الخِذاما

فإنا قد جمعنا جمع صدقٍ ... يُفرِّجُ عن مناكِبهِ الزِّحاما

في أبيات.

وبلغ عبد الملك أن كلباً جمعت لتغير على قيس وفزارة خاصَّةً، فكتب إليهم يقسم لهم بالله لئن قتلوا من بني فزاره رجلاً ليقيدنّهم به. فكفّوا. وكتب عبد الملك إلى الحجاج بن يوسف وهو عامله على الحجاز يأمره بأن يحمل إليه سعيد بن عيينة وحلحلة بن قيس الفزاريين فبعث بهما إليه فحبسهما.

وقدم على عبد الملك وفدُ كلب، فعرض عليهم الديات فأبوها، فقال: إنما قُتِل منكم الشيخ الكبير والصبيّ الصغير، فقال له النعمان بن فُرَيَّة: قُتل منّا من لو كان أخاك لاختيرَ عليك، فغضب عبد الملك وأراد ضرب عنقه، فقيل له: إنه شيخ كبير خَرِفَ فأمسك. وقال أبناء القيسيات وهم الوليد وسليمان ابنا عبد الملك وأبان بن مروان لعبد الملك: لاتُجبهم إلاّ إلى الديات[2]، وقال خالد بن يزيد بن معاوية وأبناء الكلبيات لا إلاّ القتل، واختصموا وتكلّم الناس في ذلك في المقصورة حتى علت أصواتهم وكاد يكون بينهم شرٌّ.

= من قضاعه وكانت وقعة لبني فزارة على كلب رداً لوقعة لكلب على فزارة يوم العاه. ـ معجم البلدان ـ

(١) العُشراء هو عمرو بن جابر بن عقيل بن هلال بن سُميّ بن مازن بن فزارة.

(٢) ياللعجب كيف يميل هؤلاء إلى القيسين وينسوا صنيع كلب لهم وتثبيتهم في الحكم يوم مرج راهط ولولا كلب لكانوا تبع لابن الزبير الذي تعاضده قيس.

فلما رأى عبد الملك ذلك أخرج سعيد بن عيينة وحلحلة بن قيس، فدفع حلحلة إلى بني عبدوُدّ من كلب، وحلحلة يقول:

[من الطويل]

إن(١)إك مقتولاً أُقادُ برُمَّتي ... فمن قبلِ قتلي ماشَفى نفسِيَ القتلُ
وقد تركت حربي رُفيدةَ كُلَّها ... مُجاورُها في دارِها الخوفُ والذلُّ
ومن عبدِ وُدٍّ قد أبرتُ قبائلاً ... فغادرتُهُم كَلَّاً يُطيفُ بِهِ كُلُّ

وقال أيضاً:

إن(٢)يقتلوني يقتلوني وقد شَفَى ... غليلَ فؤادي ماأتيتُ إلى كلبِ
فقرَّت به عيني وأفنيتُ جَمعهم ... وأثلجَ لمّا أنْ قتلهمُ قَلبي
شفى النفسَ مالاقت رُفَيدةُ كُلُّها ... وأشياخُ وُدٍّ من طِعانٍ ومن ضَربِ

ووقف حلحلة بين يدي عبد الملك، فقال لعبد الملك: ماتنتظر بنا يابن الزرقاء؟ فوالله لو ملكناها منك ماأنظرناك طرفة عين، فلما قُدّم ليُقتل قيل له: اصبر ياحلحلة، فقال:

[من الرجز]

أصبرُ من عَودٍ بجنبيهِ جُلب ... قد أثَّرت فيه العروضُ والحُقب(٣)
أصبر من (ذي) ضاغطٍ عَركركْ ... ألقى بواني زَورِهِ للمبرك(٤)

ومدّ عنقه وهو يقول: اجعلها خير الميتتين فقُتل، وكان الذي تولى قتله شُعيب بن سويد.

ودُفع سعيد بن عيينة بن حِصن إلى بني عُليم من كلب فقتلوه، ويقال إن سعيداً هو الذي قال لعبد الملك: يابن الزرقاء ماتنتظر بنا.

---

(١) و (٢) يجب زيادة الواو أو الفاء ليستقيم الوزن.

(٣) جُلَب: الجُلبة: شدة الجوع. العرض: حزام الرحل.

(٤) جاء في أصل المخطوط من دون ذي وضارطٍ بدل ضاغط وفي اللسان جاء كما ذكرتُ.

وقال حين حُبس:

[من الوافر]

[و] إن أُقتَل فقد أقررتُ عيني ... وقد أدركتُ قبلَ الموتِ ثأري
وماقَتلٌ على حُرٍّ كريمٍ ... أبادَ عدوَّه يوماً بعارِ
فإن أُقتل فقد أهلكتُ كلباً ... ولستُ على بني بَدرٍ بزارِ

وقال حلحلة وهو في الحبس:

[من الطويل]

لعمري لَئن شيخا فُزارةَ أسلما ... لقد حزنت قيسٌ وقد ظَفرت كلبُ
فلا تأخذا عَقلاً وخُصُّوا بغارةٍ ... بني عبدِ وُدٍّ بين دُومةَ فالهُضبِ(١)
سلامٌ على حيَّي هِلالٍ ومالكٍ ... جميعاً وخصوا بالسَّلامِ أبا وَهبِ(٢)

أبو وهب زبّان بن سيّار بن عمرو أحدُ بني العشراء من فُزارة، ومالك بن سعد بن عدي بن فزارة، وقال زبّان حين بلغه شعر حلحلة: رحم الله أبا ثُوابة قد كفانا النار والعار وأدرك بالثأر ولنا في القوم فضلٌ، فلِمَ يحرّضنا عليهم. وقال بعض الفُزاريين: لقد وفى أبو الزبّان لكلب وآثرهم على بني عمه(٣).

وقال علي بن الغدير الغَنوي في قتل سعيد وحلحلة:

[من الوافر]

وحلحلةُ القتيلُ مع ابنِ بدرٍ ... وأهلُ دمشقَ أنجيةٌ عِزينُ(٤)

---

(١) في أصل المخطوط هكذا جاء وفي الطبعة العبرية بدلاً من بغارة بعاره وبدلاً من فالهضب والهضب.

(٢) في الطبعة العبرية وخصّ وفي الأصل خصاً وفي الأول يكسر البيت. والبيت الأول فيه إقواء.

(٣) في الطبعة العبرية: وفي أبو الزبان الكلب. وهو خطأ وفي الأصل كما ذكرت وأبو الذبّان لقب عبد الملك لقب به لبخره ـ المعارف لابن قتيبة ـ وكلب قحطانية وفزارة معدّية ولذلك قال: آثرهم على بني عمه.

(٤) عزين: أعزن الرجل اذا قاسم نصيبه ـ اللسان ـ

فبعدَ اليومِ أيامٌ طِوالٌ وبعدَ خُمودِ فتنتكم فُتونُ
خليفةُ أمَّةٍ قُسِرت عليهِ تخمَّطَ فاستخفَّ بمن يدينُ[1]

وقال أرطاة بن سُهيَّة:

[من الوافر]

ألا أبلغ بني مروانَ عنّا فقد أعطيتمُ كرماً وخيرا
أيقتلُ شيخُنا ويُرى حُميدٌ رخيَّ البال يستبىءُ الخمورا
فناكتِ أمَّها قيسٌ جِهاراً وعضّت بَعدَها مُضرُ الأيورا
ولا واللهِ ماكرمُت ثقيفٌ ولا كانوا على كلبٍ نَصيرا

يقول حين حمل الحجّاج سعيداً وحلحلة[2].

وقال رجلٌ من كلب:

[من الطويل]

ونحنُ قَتلنا سيِّديهم بشَيخنا سُويدٍ فما كانا وفاءً به دَما

سويد بن مازن بن ماطل[3].

---

(١) التخمّط: التكبّر ـ اللسان ـ

(٢) فزاره قيسية وثقيف قيسية أيضاً ولذلك قال: ماكرمت عندما أرسلها الحجاج الثقفي.

(٣) ماطل هو حاتم وإليه تنسب الإبل الماطلية والخيل وهو ماطل بن خيبري بن سلمة بن عمرو بن النعمان بن عامر بن عبدودٍ الكلبي.

حــرب قيــس وتغلــب

٧٦ ـ قالـوا: لما انقضى امر مرج راهط وصار زُفر بن الحارث إلى قرقيسيا، صار معه عُمير بن الحباب ابن جعدة السُلمي، وهو ابن الصمعاء، والصمعاء أمّه أو جدَّتُه وكانت سوداء، فجعلا يطلبان كلباً واليمانيةّ بقتلى مرج راهط، وكان معهما قوم من تغلب يدلّونهما[1] ويقاتلون معهما إذا أغارا.

فطلبت كلبٌ قوماً أغاروا عليهم من بني تغلب مع زُفـر، ففي ذلك يقول غياثُ الأخطل بن غوث:

[من البسيط]

نُبِّئـتُ كلبـاً تمنَّـى أن تُحاربَـنـا وطـالَ ماحـاربـونـا ثمَّ ماظَفروا[1]

وحدثني داود بن عبد الحميد قاضي الرقّة عن مشايخ القيسيين، قالوا:

لما انقضى أمر المرج بايعَ عُميرٌ مروان بن الحكم وفي نفسه مافيها من أمر قتلى قيس يوم المـرج، فلما عقد مروان لعبيد الله بن زياد، ووجهه إلى الجزيرة والعراق شخص عمير في جيشه فجعله على إحدى مجنبتيه وهي الميسرة، وكان معه يوم لقيَ ابنَ صرَّدٍ بعين الوردة، وأتى معه قرقيسيا فكان عُمير يثبّطه عن المقام عليها، ويشير عليه بتلقي جيش المختار بن أبي عبيد الثقفي قبل أن يدخل الجزيرة، فأغذّ ابنُ زيادٍ السير حتى لقيَ إبراهيم بن الأشتر، فمال عمير مع ابن الأشتر حتى فُضَّ عسكر عبيد الله بن زياد وقُتل عند نهرٍ يقال له الخازر بقرب الزابي.

وكره عمير أن يصير إلى المختار، فأتى قرقيسيا فأقام بها مع زُفر بن الحارث، فكانا يغيران على كلب واليمانية، وشُغل عبدُ الملك عن زُفَر فلم يَسِرْ إليه ولم يوجّه جيشاً. وملّ عميرٌ المقام بقرقيسيا، فطلب الأمان من عبد الملك فأمّنه وكان عليه في نفسه ماكان، ووشى به إليه مع ذلك واشٍ فحبسه فاحتال حتى هرب من الحبس،

---

(١) ذكرها الديوان مطلع قصيدة وبدلاً من تحاربنا تسافهنا: ص: ١٨٨ ط: دار الكتاب العربي بيروت.

فيقال: إنه اتّخذ سُلماً من خيوط قِنّبٍ وتسلّق به حتى[1] تخلص من كُوّة في الحبس، وقـال بعضهم، لما أقبـل ابن زياد صار عُمـيرٌ إلى قرقيسيا ثم إلى نصيبـين فغلب عليها، ثم أمّنه عبدُ الملك، فأشار عليه بعضهم بالغدر فحبسه حتى[3] تخلص من حبسه على سلم من خيوط من كوّة البيت، وأنشأ يقول:

[من الوافر]

عجـبـتُ لما تَظنّـتـهُ المـوالي	بخـرّاجٍ من الـغَـمـرات ناجِ
ونـوَّمَ شُرطـةَ الـريّانِ عني	كُمَـيتُ الـلونِ صافيةُ المـزاجِ

والـريّان مولى عبـد الملك وصـاحب حرسه، وكان عميرٌ محبوساًعنده فسقى أعوانَه نبيذاً حتى أسكرهم ونجا، ويقال: بل كُلِّم فيه فخلّاه، والأول أثبت.

فعـاد إلى الجـزيرة، وكـان منـزله على النهر المعروف بالبليخ فاجتمعت إليه قيس، وكان يغير بهم على كلب واليمانية. وكان من معه من القيسية يسيئون جوار بني تغلب ويُسخّرون مشايخهم من النصارى فهاج ذلك منهم شرّاً لم يبلغ الحرب. وذلـك قبـل شخوص عبد الملك إلى زُفر والمصعبِ بن الزبير، وكانت قيس زبيريّة وتغلب مروانيّة.

وقال أبو عمرو الشيباني الراوية فيما أخبرني عنه ابنه عمرو بن أبي عمرو:

أغار عُمير بن الحُباب على كلب، ثم انكفأ راجعاً فنزل ومن معه من قيس بثنيٍ من أثناء الفرات ويقال على الخابور، والخابور نهر يخرج من رأس العين ويصبّ في الفرات، وكانت منازل بني تغلب فيما بين الخابور والفرات ودجلةوكانت بحيث نزل عمـيرٌ وأصحابه امرأة من بني تميم ناكح في بني تغلب، يقال لها أمّ دَوبل ولها غُنَيمـة فأخـذ غلام من بني الحَـريش[4] بن كعب بن ربيعـة بن عامـر عـنـزاً منهـا فذبحهـا، فشكت ذلك إلى عُمير فلم يُشكِها وقال: هذا من مغمرة الجيش، فلما رأى الحـرشيون أن عمـيراً لم يغيّر على صاحبهم شدّوا على باقي الغنيمة فذبحوها

---

(١) من الواحد حتى (٣) ساقطة من الطبعة العبرية ـ أي بين حتى الأولى وحتى الثانية.

(٢) الحريش: اسمه معاوية بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن.

وأكلوها، ومانعهم قوم من بني تغلب حضروهم فقُتل رجل منهم يقال له مجاشع التغلبي.

وجاء دَوْبل وهو من بني مالك بن جشم بن بكر بن حُبيب. وكان من فرسان بني تغلب(١) فأخبرته أمّه بما أُصيبت به، فسار في قومه فشكا إليهم ماصُنع بغنم أمّه وجعل يذكّرهم تعدّي قيس عليهم وسوء جوارهم لهم. فاجتمعت منهم جماعة وأمّروا عليهم شُعَيث(٢) بن مُليل التغلبي، ثم أغاروا على بني الحريش ومع بني الحريش حينئذٍ قوم من إخوتهم بني قُشَير(٣) بن كعب فقتلوا منهم واستاقوا ذَوْداً(٤) لامرأة من بني الحريش يُقال لها أمّ الهيثم لم يقدر القيسيون على تخلّصه من أيديهم.

فقال الأخطل وبلغه الخبر وهو براذان(٤):

[من الطويل]

أتاني ودوني الزّابيان كلاهما ... ودجلةُ أنباءٌ أمرُّ من الصَّبْرِ

أتاني بأنَّ ابْنَي نزارٍ تَضاغَنا ... وتغلبُ أولى بالوفاءِ وبالغدر(٥)

وقال الأخطل أيضاً:

[من الطويل]

[فـ] إن تسألونا بالحَرَيش فإنّنا ... بُلينا بنُوكٍ منهُمُ وفجورِ

غداةَ تحامتنا الحريشُ كأنَّها ... كلابٌ بدتْ أنيابُها لِهَريرِ

---

(١) من ٢ ـ ٥ ساقط من الطبعة العبرية ص: ٣١٥.

(٢) قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة.

(٣) الذَود: للقطيع من الإبل الثلاث إلى التسع ـ اللسان ـ

(٤) راذان: قرية بنواحي نسا ـ معجم البلدان ـ

(٥) ابن نزار: قَيْس من مضر وتغلب من ربيعة، ومضر وربيعة ابني نزار، وذكرهما الديوان بدلاً من تضاغنا قال: تناجيا. ص: ١٧٥

وجاءُوا بجمعٍ ناصِري أمِّ هيثمٍ   فما رجعوا من ذَودِها ببعيرِ[1]

وقال عمرو بن الأيهم التغلبي:

[من الوافر]

وإنا يومَ سار بنا شُعَيثٌ   قَريناهم وأيَّ قِرىً قَرينا

نَصَصنا الخيلَ والراياتِ حتّى   قضينا من هوازنَ ماقَضينا

وماأبقينا من قيسٍ شَريداً   وماغادرنا للجُشَميِّ دَيناً[2]

فرد عليه نُفَيع بن صفَّار المحاربي[3] بعد مقتل شُعَيث بن مُلَيل، فقال:

وإنّا يومَ لاقَيْنا شُعَيثاً   قَرَيْناهُ فأيَّ قِرىً قَرَيْنا   من الوافر]

في أبيات،

وقال القطامي وهو عُمَير بن شييم: [4]

وإنا يوم نازَلَهُم شُعَيْثٌ   كليثِ الغِيل أصحرَ ثم ثارا

وتغلبُ جَدَّعوا أشراف قيسٍ   وذاقوا من تخطِّمها السِّوارا[5]

بضربٍ يقعَصُ الأبطال مِنهم   ويمتكِرُ اللحى منه امتكارا

المَكْر: المغرة[6]

وفي رواية أبي عبيدة فيما أخبرني عنه علي بن المغيرة الأثرم:

أن غنم أم دَوْبل وهي فيما ذكر تغلبيه، نفشت في زرعٍ لرجل من قيس في

---

(١) لم يذكر هذه الأبيات في الديوان.

(٢) الجشمي: هو دَوبل لأنه من بني مالك بن جشم كما مر سابقاً.

(٣) المحاربي: أي من بني محارب وهو نفيع بن صفَّار واسمه سالم ابن سَنَّة بن الأشيم بن ظفر بن مالك بن غنم بن طريف بن خلف بن محارب بن خَصَفة بن قيس بن عيلان.

(٤) عمير بن شييم بن عمرو بن عبَّاد بن بكر بن شييم بن مالك بن جشم بن بكر بن حُبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب.

(٥) في الطبعة العبرية ص: ٣١٦ تخمّطها. والخِماط: السماط: والخطام: سمَة في عرض الوجه كهيئة الخط وهي كما ذكرت.

(٦) المغْرة: دهان أحمر اللون يعلمون به أغنامهم ويوضع بواسطة صوفه على قسم من رأس الغنم.

بعض الليالي فشكا القيسي ذلك إليها فلم تشكْه وضحكت به، ثم نفشت في زرعه ليلة أخرى فأخذ عنزاً منها فذبحها، فلما جاء ابنها دَوبل أعلمته ذلك، فأتى وأخٌ له وعدّة معهما من بني تغلب الرجلَ القيسي فذبحوه على دم العنز، فأغار قومه على بني تغلب فقتلوا منهم اثني عشر رجلاً فيهم مجاشع التغلبي، وأغارت بنو تغلب وعليها شُعيث بن مُليل على قوم من بني قُشَير فقتلوا منهم خمسة وعشرين رجلاً. ولم يذكر أبو عبيدة بني الحريش، وأمرُ بني الحريش أثبت[1].

وقوم يزعمون: أن شعيثاً كان بأذربيجان، وكان يرى رأي الخوارج فأرسلت إليه تغلب تستنجده فأقبل في ألفي فارس، ومعه ثعلبة بن نياط فعبر دجلة إلى لِبّى وهي بين تكريت، والموصل، وأتى الثرثار فوجَد قيساً مجتمعين عليه وتغلب بإزائهم وعليهم ابن هَوبَر التغلبي فكره أن يسير تحت لواء ابن هوبر فقصد قصد قيس.

وأتت عُمـيَر بن الحباب طلائعُه فأخبرته بخبر شُعيث فانفرد له في جمع كبيرٍ من قيس وخلّف من يكفيه أمـر ابن هوبـرِ والتغلبيين، فلقي شُعيثاً فاقتتلا فظهر عُمـير على شُعيث فقُتل وأصحابه فلم ينجُ منهم إلا عدّة يسيرة لحقوا ببني تغلب، وكان ثعلبة بن نِياط فارق شعيثاً ولحق ببني تغلب فقاتل معهم.

والخبر الأول أثبت والشعر على صحته أدلُّ.

---

(١) جاء في الطبعة العبرية. ولم يذكر أبو عبيدة بني الحريش البتّة. فقط ص: ٣١٦.

يـوم ماكسـين

٧٧ ـ قالـوا: استحكم الشرُّ بين قيس وتغلب وعلى قيس عمير بن الحباب وعلى تغلب شعيث بن مُليل.

فغـزا عميرٌ بني تغلب وجماعتهم بماكسين، وهي قرية من قرى الخابور بينها وبـين رأس العـين يوم أو يومان فاقتتلوا قتالاً شديداً، وهي أول وقعة لهم تزاحفوا فيها فقُتل من بني تغلب خمسمئة وقُتل شعيثٌ من مُليل، وكانت الوقعة عند قنطرة هناك.

فقال نُفيع بن صفّار المحاربي:

[من الرجز]

ماهَمُّـنـا يومَ شُعـيثٍ بالـغَـزَلْ   يومَ انتضَينـا هُنّ أمثـالَ الشُّعَـلْ

وهُـنَّ يَرِدينَ كعـقبـانِ الخَيل   من ابن دهماءَ وطِرفٍ ذي خُصَل

وزعموا أن رجل شعيث قُطعت يومئذ فجعل يقاتل حتى قتل وهو يقول:

[من الرجز]

قد علمـتْ قيسٌ ونـحنُ نعلمُ   أنّ الـفتى يُقتـلُ وهـو أجـذمُ

وقال نفيع بن صفّار:

[من الكامل]

وبشـاطىءِ الخـابورِ صبّحنـاكمُ   بالمرهفاتِ البِيض يفرين الذُّرى

وقال جرير بن عطيّة:

[من الكامل]

تركـوا شُعيثَ بَني مُليلٍ مُسنـداً   والأسِيينِ وأَقعَصُـوا شُعـرورا[1]

---

(١) جاء هذا البيت في ديوان جرير ضمن قصيدة طويلة مطلعها: صرم الخليط تباينا دبكورا البيت: ٤٣.

تركـوا شُعـيثَ بني مُلَيـل مسلماً   والـشعـثمـين وأسلمـوا شُعـرورا

وقال نفيع بن صفّار المحاربي:

[من البسيط]

مابعــدَ قتــلِ شُعيثٍ في سَرَاتِكُمُ وبعــد قتــل أَبي أفعى وشُعــرورِ

قال تميم(1) بن أُبيّ بن مقبل العجلاني:

[من البسيط]

قُل لابنة الأخطلِ المسلوبِ مئزرُها يوم الــفــوارسِ لماراث فاديهــا

ولــســتُ سائلَهــا إلاّ بواحــدةٍ ماردٌ تغـلبُ عنهـا إذ تُنـاديهـا

وقال عُبيد بن حُصين النميري(2) الراعي:

[من الطويل]

أبـا مالـكٍ لاتنـطُقِ الشعـرَ بعدها وأعطِ القِيادَ القــائـدين على كَسْرِ

ونحنُ تركنـا تغلبَ ابنَـة وائــلٍ كَمُنكسِرِ الأنيابِ منقـطعِ الـظَّهرِ

يعني بما كان بينهم يوم الخابور ويوم ماكسين.

---

(1) هو تميم بن أُبيّ بن مُقبل بن عوف بن حُنيف بن العجلان بن عبد الله بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن بكر بن هوازن.

(2) عُبيد بن حُصين بن جندل بن قطن بن ربيعة بن عبد الله بن الحارث بن نُمير بن عامر بن صعصعة.

يــوم الشــرثار الأوّل

٧٨ ـ والشرثـار نهر ينزع من هرماس نصيبين ويفّرغ في دجلة بين الكُحيل وراس الإيَّل[١] .

قالوا: استعدّت تغلبُ بعد يوم ماكسين وحشدت، واجتمعت إليها النَمر بن قاسط[٢] وأتـاها المُجشّر[٣] بن الحارث من ولد أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان، وكان من سادات بني شيبـان بالجـزيرة، وأتـاها زِمام ابن مالك الشيباني في جمع، وأتت جماعـة منهم مالـك[٤] بن مِسمَـع قبـل يوم الجفُـرة وقبـل مصـيره إلى ناحية اليمامة والبحرين، فشكوا إليه قيساً وماكان منهم يوم ماكسين وقبله فقال: ماأحسبكم إلا من نبيط تكريت ولو كنتم من بني تغلب لدافعتم عن أنفسكم وحريمكم. فقالوا: إنـا حيٌّ فينا ماقد علمتَ من النصرانيّة ومضرٌ مضرُ وأي السلطانين غلب فهو مع قيس[٥]، فقال مالك: اذهبوا فإن أمدّهم السلطان بفارس فلكم عليّ فارسان وإن أمدهم برجلٍ فلكم رجلان. إن السلطان اليوم لفي شغُلٍ عنكم وعنهم. فانطلقوا وقد غضبوا وجعلوا عليهم بعد شعيث بن مُليل زياد بن هَوبَر، ويقال يزيد بن هوبر التغلبي.

وقـال ابن الكلبي: هو حنظلة بن قيس بن هوبرأحد بني كنانة بن تيم بن أسامة بن مالك بن بكر بن حُبيبٍ. وكان على قيس عُمير بن الحباب السلمي. فلما رأى من مع بني تغلب، استنجد تميماً وبني أسد، فلم يأتِه منهم أحدٌ، فقال عمير:

---

(١) رأس الأيل: إسم جبل. حاشية المخطوط.

(٢) النمر بن قاسط بن هِنب بن أفصى بن دُعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار.

(٣) أبـو ربيعة بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب.

(٤) مالك بن مِسمعَ بن شيبان بن شهاب بن قُلع بن عمرو بن عبّاد بن جحدر واسمه ربيعة بن ضبيعة بن قيس من ثعلبة بن عكابة.

(٥) السلطانـان هما عبد الملك بن مروان وعبد الله بن الزبير هما من مضر وقيس من مضر أما تغلب فهي من ربيعه ولذلك قال: أي السلطانين غلب فهو مع قيس.

[من الطويل]

أيا أخوينا من تميمٍ هُديتُما ... ومن أسدٍ هل تسمعانِ المُناديا

ألم تعلما إذ جاءَ بكرُ بنُ وائلٍ ... وتغلبُ ألفافاً تهزُّ العَواليا

إلى قومكم قد تعلمونَ مكانَهم ... وكانوا جميعاً حاضرينَ وباديا

وزعموا أن عبيد[1] الله بن زياد بن ظَبيان البكري ممن أنجدهم مع من أنجدهم[2] من ربيعة. فلذلك حقد عليهم المصعب بن الزبير حتى قتل أخاه النابي ولم يقتل صاحبه، وكانت القيسيه زبيرية، وأنجد بني تغلب أيضاً ركضة بن النعمان الشيباني.

قالوا: ثم إن الرَّبعَيّين والقيسيين التقوا على الثرثار فاقتتلوا قتالاً شديداً وجعل بنو تغلب يقولون:

[من الرجز]

ننعي بأطرافِ القَنا المُجاشعا ... فإنَّه كانَ كريماً فاجِعا

وابنَ مُليل شيخَنا المُدافعا

ثم إن قيساً انهزمت، وقتلتْ بنو تغلب وألفافهم منهم مقتلة عظيمة وبقروا بطون ثلاثين امرأة من بني سُليم.

وقالت ليلى بنت الحمارس التغلبية، ويقال قالها الأخطل:

[من الرجز]

لمّا رأونا والصليبَ طالِعا ... ومارَ سَرجيسَ وَسمّاً ناقِعا[3]

---

(١) عبيد الله بن زياد بن ظبيان بن الجَعْد بن قيس بن عمرو بن مالك بن عائش بن مالك بن تيم الله بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل.

(٢) مع من أنجدهم ـ ساقطة من الطبعة العبرية. ص: ٣١٩ .

(٣) جاء هذا البيت في ديوان الأخطل ضمن قصيدة من سبعة أبيات وهو البيت الثالث. ص: ١٩٩.

والخـيل لاتحـمــل إلاّ دارعــا والــبـيض في ايمانـنـا قواطِعــا
خلّوا لنــا الـثّـرثــارُ والمــزارعــا وحنــطةً طيبــاً وكـرمــاً يانعــا

كأنما كانوا غُرابا واقِعا

ويُروى أدان والمزارعا.

وقال الأخطل:

[من الطويل]

عتبتُّـم علينــا آلَ عيلانَ كُلُّكُـمْ وأيُّ عدوٍّ لم نُبِـتــهُ على عَتــبِ[1]

في قصيدة له.

فأجابه جرير بن عطيّة في قصيدة له :

[من الطويل]

ستعلمُ مايُغني الصليبُ إذا غَدت كتــائبُ قيسٍ كالمُهنَّــاةِ الجُــربِ
لعــلّكَ ياخــنـزيرَ تغـلبَ فاخِــرٌ إذا مُضرٌ يوماً تَسامت بها الحَربُ[2]

وقال الأخطل في شعر طويل:

[من الطويل]

لعمـري لقـد لاقت سُليمٌ وعـامرٌ إلى جانِبِ الثرثـارِ راغيَةَ البكـرِ[3]

وقال نُفيع بن صفّار المُحاربي:

[من الطويل]

أبــا مالـكٍ لاتـدَّعِ الفخـرَ بالمُنى فما بسفــاهِ القـولِ يُغضبُ للوِتـرِ
ولـكـن بحــدِّ المشرفيَّةِ يُنـتـمـى بها للمعــالي والمُثقّفــةُ السُّمــرِ

---

(١) ذكره في قصيدة مطلعها: لعمري لقد أسريت، يمدح عبد الملك بن مروان، الديوان: ص: ٢٧

(٢) ذكرت في الديوان من قصيدة طويلة مطلعها: أصاح أليس اليوم متنظري صحبي. وهو البيت رقم: ٢٣ ج: ٢ ص: ٦٣٤

(٣) ذكر الديوان قصيدة وفيها هذا البيت: وإن يذكروها في مَعَدّ فإنما أصابك بالثرثار راعية البكر ص: ١٥٨.

فيقال: أنه بَهتهُ بهذا الشعر، ويقال: بل قاله له وقد ادعى الأخطل باطلا في بعض أيامهم.

يوم الثرثار الثاني

٧٩ ـ قالـوا: ثم إن قيساً تجمعت واستمـدّت واستعدّت وعليهم عُميرُ بن الحُبـاب وهم في عسكـرٍ، فأتاهم زُفر بن الحارث من قرقيسيا وعبد الملك مشغول عنه، فكان في عسكر آخر، وكان رئيس بني تغلب والنمر ومن معهما ابن هوبر.

فالتقوا بالثرثار فاقتتلوا أشدّ قتال اقتتلته الناس، فانحازت بنو عامر وكانت في إحدى المجنبتين وصبرت بنو سُليم وأعصر[1] حتى انهزمت بنو تغلب، وقُتل ابنا عبد يسوع بن حرب، ومِحكان وعبد الحارث من بني الأوس بن تغلب.

فقال عمير بن الحباب:

[من الوافر]

فِدىً لفـوارسِ الثّـرثـارِ نفسي ... [و]مـاجَمّعتُ من أهـلٍ ومـالِ
وولّـت عامِـرٌ عنـا فأجـلت ... وحـولي من ربيعـةَ كالجبـالِ
أكـاوِحُـهـم بدُهـمٍ من سُليمٍ ... وأعصرَ كالمصـاعيب النِّهـالِ[2]

وقال زُفر بن الحارث:

[من الوافر]

ألا مَن مُبـلغٌ عنّي عُمـيراً ... رسـالـةَ ناصـحٍ وعـليه زارِ
أتـترُكَ حيَّ ذي يمـنٍ وكـلبـاً ... وتجـعـلُ حدَّ نابـكَ في نِزارِ
كمُـعـتـمـدٍ على إحـدى يديهِ ... فخـانـتـهُ بوهـنٍ وانـكـسـارِ

---

(١) قبيلة من قيس: وهو أعصر واسمه مُنبّه بن سعد بن قيس بن عيلان.

(٢) كاوح: كاوحت فلاناً مكاوحة: إذا قاتلته فغلبته.

يوم الفدين

٨٠ ـ قالوا: وأغار عُمير بن الحباب على الفُدَين وهي قرية على شاطىء الخابور ولها حصن فاكتسح مافيها وقتل عامَّة أهلها، ويقال بل قاتل فيها جميع بني تغلب وكانوا بها مزاحفة فهزمهم.

فقال ابن صفّار:

[من الكامل]

لو تُسألُ الأرضُ الفضَاءُ بأمركُم ... شهدَ الفُدينُ بهُلككم والصُّوَرُ

كذبتكَ شيبانُ اخُوَّة وأنَّفت ... أسيافكُمْ بكُم سدوسُ ويشكُرُ[1]

والعامّة تسمي هذه القرية الصوّر وهي قريبة من الفُدين بينهما نحو أربعة فراسخ.

يوم السكير

٨١ ـ يومُ السُّكَير: وهو يسمى اليوم سُكير العباس.

قال: ولقي عمير بن الحباب تغلب والنمر وعليهم ابن هوبر بالسُّكَير، وهي قرية تشرع على الخابور ومنها ناحية تشرع على الفرات، فاقتتلوا فانهزمت تغلب والنمر وهرب عُمير بن جندل وكان من فرسان تغلب.

قال عمير بن الحباب:

[من الطويل]

وأفْلَتنا يومَ السُّكيرِ ابنُ جَندلٍ ... على سابحٍ غوجِ اللَّبانِ مُثابرِ[2]

ونحنُ كررنا الخيلَ قُبّاً شوازِياً ... دِقاقَ الهوادي دامياتِ الدوائرِ

---

(١) سدوس قبيلة وهو سدوس بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن علي بن بكر بن وائل. ويشكر قبيلة وهو يشكر بن بكر بن وائل.

(٢) فرس غَوْج اللّبان: أي واسع جلدة الصدر.

وقال ابن صفار:

[من الوافر]

صَبحناكم بهنَّ على سُكيرٍ فلاقيتُم هناكَ الأقورينا[1]

يوم المعارك

٨٢ ـ والمُعارِك بين الحضر والعقيق من أرض الموصل، قال: اجتمعت تغلب بعد يوم السُّكير بهذا المكان فالتقوا وقيسٌ به واشتدّ قتالهم فانهزمت تغلب.

فقال ابن صفار:

[من الكامل]

ولقد تركنا بالمعارِكِ منكمُ والحضرِ والثرثارِ أجساداً جُثّا

فيقال: إن يوم المعارك والحضر واحد. وهزموهم إلى الحضَر فقتلوا منهم بشراً. وقال بعضهم: هما يومان مختلفان كانا لقيس والله أعلم.

يوم لبى

٨٣ ـ يوم لبّى، قالوا: والتقوا أيضاً بلبّى عند ديرها، ولبّى فوق تكريت من أرض الموصل، فتناصفوا فقيس تقول: كان الفضل لنا وتغلب تقول: كان الفضل لنا.

يوم بلد

٨٤ ـ وقال أبو الوليد الكلابي: كانت بين قيس وتغلب وقعةٌ ببلد تكافؤوا فيها، وقال أبو عيسى القيسي: كانت لقيس.

---

(١) الأقورينا: من قوّره واقتوره: بمعنى قطعه وتقور السحاب أي تقطع ـ اللسان ـ

يوم الشرعبية

٨٥ ـ قالوا: التقوا بالشَرعَبيَّة وعلى قيس عُمير بن الحباب، وعلى تغلب وألفافها ابن هوبر، فكان بينهم قتال شديد وقتل يومئذ عمّار بن المُهزَّم وعاصم السُلميّان، وكان يوم الشرعبية لتغلب على قيس.

فقال الأخطل:

[من الكامل]

ولقد بكى الجحّافُ لما أوقَعت ... بالشرعبيَّةِ إذ رأى الأهوالا

.والشرعبية من بلاد تغلب، وبناحية منبجٍ أيضاً شرعبية فبعضهم يقول: إن هذه الواقعة كانت بناحية منبجٍ، وذلك غلط.

يوم البليخ

٨٦ ـ قالوا: اجتمعت تغلب وسارت إلى البليخ وهناك عمير والقيسية، والبليخ نهر بين الرَّقّتين، فالتقوا وعلى قيس عمير وعلى تغلب ابن هوبر، فهزُمت تغلب وقُتلت وبُقر بطون نساء من نسائهم كما فعلوا يوم الثرثار.

وفي ذلك يقولِ ابن صفّار:

[من الكامل]

زُرقُ الرّماحِ ووقع كلّ مُهنّدٍ ... زلزلنَ قلبكَ بالبَليخِ فزالا

وأنشدني أبو الوليد الكلابي لبعضهم:

[من المتقارب]

تسامت جموعُ بني تَغلبٍ ... إلينا فكنّا عليهم وبالا

بقرنا النّساءَ غداةَ البليخِ ... إذا جئننا وقتلنا الرجّالا

يوم الحشاك ومقتل عمير بن الحباب السلمي

٨٨ ـ قالوا: ولما رأت تغلب إلحاح عمير بن الحباب عليها اجتمعت حاضرتها وباديتها وصاروا إلى الحَشَّاك، وهو نهر يأخذ من الهِرْماس وعلى الحَشّاك تلال وقُورٌ[١] وبقربه الشرعبية وإلى جنبه بَراق ويقال بُراق، ودلف إليهم عمير في قيس ومعه زُفر بن الحارث والهذيل ابنه، وعلى تغلب ابن هوبر.

فاقتتلوا عند تل الحُشّاك أشدّ قتال وأبرحه حتى جنّ عليهم الليل ثم تفرقوا، فاقتتلوا من الغد إلى الليل ثم تحاجزوا، وأصبحت تغلب في اليوم الثالث فتعاقدوا ألاّ يفرّوا.

فلما رأى عمير جدّهم وأن نساءهم معهم، قال لقيس: ياقوم أرى لكم أن تنصرفوا عن هؤلاء فإنهم مستقتلون، فإذا اطمأنوا وصاروا إلى سرحهم وجهنا إلى كل قوم منهم من يغير عليهم، فقال له عبد العزيز بن حاتم بن النعمان الباهلي[٢]: يابن الصمعاء قُتِلت فرسان قيس أمس وأول من أمس مُلِىء سَحْرُكُ وجُبُنتَ.

ويقال: إنّ عيينة بن أسماء بن خارجة الفزاري كان أتاه مُنجداً له قال ذلك.

فغضب عمير من قوله، وقال: كأني بك لو حَمِسَ الوغى أول فارّ، فنزل عمير وجعل يقاتل راجلاً وهو يقول:

[من السريع]

أنا عُميرٌ وأبو المُغَلِّس قد أَحبِسُ القومَ بضَنكِ المَحبِس

وانهزم زُفر يومئذ وهو اليوم الثالث فلحق بقرقيسيا، وذلك أنه بلغه أن عبد الملك قد عزم على الحركة إليه بقرقيسيا، فبادر لإحكام أمره والتأهب بما يحتاج إليه،

---

(١) في هامش المخطوط. قُورٌ جمع قاره.

(٢) باهله هم أولاد مالك بن منبه بن سعد بن قيس بن عيلان وأمهم باهلة بنت صعب بن سعد العشيرة من مذحج فغلبت عليهم.

ويقال إنه ادّعى ذلك حين فَرّ تَحَسُّناً به وركبت تغلب ومن معها أكتاف القيسية، وجعلوا يقولون:

[من الطويل]

أما تَعلَمونَ أَنَّ تغلبَ تغلبُ

وشدّ على عمير جميلُ بن قيس من بني كعب بن زهير[1] فقتله، فقال الأخطلُ لزُفَر:

[من الوافر]

لعَمرُ أبيكَ يازُفرَ بنَ ليلى لقد أنجاكَ جدُّ بني مُعازِ
وركضُكَ غيرَ مُنقلبٍ إلينا كأنَّكَ ممسكٌ بجناحِ بازي

ويقال: بل تعاوى على عُمير غلمان من بني تغلب فرموه بالحجارة وقد أعيا حتى أثخنوه، وكرّ عليه ابن هوبر فقتله، وأصابت ابنَ هوبر يومئذ جراحةٌ.

فلما انقضت الحرب أوصى بني تغلب وهو لمآبهِ من جراحته بأن يولّوا أمرهم مُرّار بن علقمة الزهيري، وروي أيضاً أن ابن هوبر جرح في اليوم الثاني من أيامهم هذه الثلاثة، فأوصى بني تغلب بأن يؤمّروا عليهم مُرّاراً ومات من ليلته، فكان مُرّار رئيسهم في اليوم الثالث، فعبأهم على راياتهم وأمر كل بني أب أن يجعلوا نساءهم خلفهم. فلما أبصرهم عميرٌ قال لأصحابه: يامعشر قيس إن تغلب حيّ كثير العدد وقد اجتمعوا لقتالكم ونساؤهم معهم، فأطيعوني وانصرفوا فإذا تفرّقوا شددنا عليهم حيّاً حيّاً، فقيل له القول الذي قيل له وفعل مافعل حتى قتله جميل الزهيري. وقال الشاعر:

---

(1) هو جميل بن قيس بن عمر بن حِصن بن سلمة بن كعب بن سالم بن حارثة بن كِسر بن كعب بن زهير بن جشم بن بكر ابن حُبَيب بن عمرو بن غَنم بن تغلب. لوحة ١٦٤ من الجمهرة.

[من الطويل]

رقـت بأثنـــاءِ الـفُـراتِ وشَـفَّني نوائـــحُ أبكـــاهـا قتيلُ ابنِ هَوبـر

ﻟِﻢ تَظلمـي إن نُحـتِ أمَّ مُغَلِّسٍ قتيلَ النَّصـارى في نوائـح حُسَّرِ

وقال بعض الشعراء ينكر قَتل ابن هوبر عميراً:

[من الطويل]

وإنّ عُمـيراً يومَ لاقـتـهُ تَغـلبٌ قتيلُ جميلٍ لاقـتيلُ ابـنِ هوبـرِ

قالوا: وكانت ابنة الحُمارس تنشر شعرها وتحرّض وهي تقول:

[من الرجز]

إيهـاً بني تغـلبَ إيهـاً إيهـا نحنُ بنـو الحـرب نشـأنـا فيها

واستحر القتلُ يومئذٍ ببني سُليم وغَنيّ خاصّةً، وقد قتل من غيرهم من قيس بشر كثير.

وقال عُمير في أول يوم لاقى بني تغلب فيه فصابروه فيما ذكر بعضهم:

[من الطويل]

وكـنّـا حسِبنـا كُلَّ سوداءَ تمرةً ليالي لاقَـينـا جُذامـاً وحِمـيرا

فلما قرعنـا النَّبـعَ بالنَّبـعِ بعضـهُ ببـعضٍ أبت عيدانُنـا أن تكسَّرا

وإنّـا لقـينـا من ربيعـة مَعشراً يقـودونَ خيلاً للمـنـيَّة ضُمَّـرا

سقينـاهمُ كأسـاً سقُـونا بمثلهـا على أنَّهم كانـوا على المـوتِ أصبرا

ويقال: إنه لغيره، والله أعلم(١)

وقال زُفر:

---

(١) هذه الأبيات الأربعة في كتاب شرح ديوان الحماسة للمرزوقي: ج: ١ ص: ١٥٥ طبعة مصر هي لزُفر وهي:

وكنـا حسبنـا كل بيضـاء شحمةً ليـاليَ قارعـنـا جُذامَ وحِمـيرا

=

وحكى الأصمعي في الأمثال: ماكل بيضاء شحمةً ولا كل سوداء تمرة.

[من الوافر]

ألا ياكلبُ غيرُكِ أوجعوني وقد ألصقتُ خدَّكِ بالتُّرابِ
ألا ياكلبُ فانتشري ونامي فقد أودى عُميرُ بني الحبابِ

وبعث بنو تغلب برأس عُمير بن الحُباب إلى عبد الملك وهو بغوطة دمشق، مع وفدٍ منهم فأعطى الوفد وكساهم.

فلما صالح عبد الملك زُفر بعد ذلك واجتمع الناس عليه، قال الأخطل شعراً يقول فيه:

[من البسيط]

بني أميَّة قد ناضلتُ دونكُمُ أبناء قومٍ هُمُ آووا وهُم نَصروا
وقيسَ عيلانَ حتى أقبلوا رقَصاً فبايعوا لكَ قَسراً بعدما قُهروا[1]
ضجّوا من الحرب إذ عضَّت غواربهُم وقيسُ عيلان من أخلاقِها الضَّجرُ
فلا هَدى اللهُ قيساً من ضلالَتِها ولا لَعاً لبني ذكوانَ إن عثَروا[2]
ولم يزل لسُليمٍ أمرُ جاهِلها حتى تعايا بها الإيرادُ والصَّدرُ

= فلما قرعنا النبع بالنبع بعضُهُ ببعضٍ أبت عيدانُهُ أن تكسَّرا
ولما لقينا عُصبةً تغلبيَّةً يقودون جُرداً للمنيَّة ضُمَّرا
سقيناهم كأساً سقونا بمثلها ولكنهم كانوا على الموت أصبرا
انتهى وأنا أقول إن هذه القصيدة قالها يوم مرج راهط لأنه هناك لاقى جذام وحمير وأما العصبية التغلبية فهو يعني بها كلب لأن كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة وتغلب هذا هو المقصود بالعصبية التغلبية وعمير غير من كلماتها.

(١) هذه الأبيات من قصيدة يمدح فيها عبد الملك مطلعها: خفّ القطين. ذكرت في الديوان: ص: ١٠٦.

(٢) لعاً: كلمة يدعى بها للعاثر معناها الارتفاع، من دعائهم لا لعاً لفلان: لا أقامه الله. بنو ذكوان: بطن من قبيلة سُليم القيسية وهو ذكوان بن رفاعة بن الحارث بن بُهثة بن سُليم بن منصور بن عِكرمة بن خَصَفة بن قيس بن عيلان.

فقــد نُصِرتَ أمــيرَ المؤمنــين بنـا ... لما أتـاكَ بمـرجِ الغـوطَـةِ البُقـر[1]
يُعـرِّفـونـكَ رأسَ ابنِ الحُبابِ فقد ... أضحى وللسَّيفِ في خيشـومـهِ أثَرُ

وقال الأخطل في قصيدة له:

[من الوافر]

ألا من مُبــلغٌ قيســاً رســولاً ... فكيف وجــدتُّمْ طعمَ السفــاق[2]
فإن يَكُ كوكبُ الصَّمعــاءِ نَحساً ... به ولَــدت وبــالـقـمــرِ المُحــاقِ
ولاقــى ابــنُ الحُــبــابِ له حُمَّيا ... كَفــتــهُ كلَّ حازِيَةٍ وراقِ
فأضــحى رأســهُ ببــلادِ عَــكٍّ ... وســائــرُ خلقــه بجــبَــا بِراقِ[3]
وإلّا تَذهــبِ الأيامُ نَرفِــد ... جميلةَ مثــلَهــا قبــلَ الــفِــراقِ
ملأنــا جانــبَ الثَّـرثــارِ مِنهــم ... وجــهَّــزنــا أُميمــةَ لانــطِلاقِ[4]

أميمة امرأة عُمير بن الحباب.

(١) البقر: الذين بقروا بطون النساء أي شقوها.

(٢) في الطبعة العبرية الشقاق وفي الأصل السفاق: والسفيق الوجه قليل الحياء وقح.

(٣) قبيلة عدنانية وهو الحارث ولقب بعك بن الدّيث بن عدنان بن ادد بن زيد والديث أخو معدّ. جمهرة النسب اللوحة رقم: ٢.

(٤) هذه القصيدة ذكرها الديوان في هجاء القيسيين مطلعها: عفا من آل فاطمة. ص: ٢٠٧.

يـوم الكحيـل
من أرض الموصل في عبر دجلة الغربي

٨٩ ـ قالوا: لما قتل عُمير بن الحباب تجمّعت قيس بناحية حدث الرقاق وهي بناحية قيس.

فقال الأخطل:

[من الوافر]

ضربنـاهُـم على المكـروهِ حتّى حدونـاهـم إلى حدَث الـرِّقـاقِ

قالوا: ثم إن تميم بن الحُباب أتى زُفر بن الحارث فسأله أن يطلب له بثأره فامتنع من ذلك، فقال له الهذيل ابنه: والله لئن ظُفر بهم إن ذلك لعارٌ عليك، وإن ظفروا وقد خذلتهم إن ذلك لأشدّ.

فاستخلف زُفـرُ على قرقيسيا أخاه أوس بن الحارث، وعزم أن يغير على بني تغلب ويغـزوهم، فوجّـه يزيد ابن حُمران في خيل إلى بني فَدَوكَس فقتل رجالهم، واستباح أموالهم حتى لم يبق غير امرأة واحدة يقال لها حميدة أعاذها ابن حمران وقد استعاذت به.

وبعث الهذيلَ بن زُفر إلى بني كعب بن زهير فقتل فيهم قتلاً ذريعاً.

وبعث مُسلمَ بن ربيعة أخا بني عُقيل[1] إلى قوم من بني تغلب مجتمعين فأكثر فيهم القتـل، ثم قصـد لبني تغلب وقد اجتمعوا بالعقيق من أرض الموصل، فلما أحسّت به بنو تغلب ارتحلت تريد عبور دجلة، فلما صارت بالكُحيل لحقهم زُفر بن الحارث بالقيسية فاقتتلوا قتالاً شديداً، وترجّل أصحاب زُفر أجمعون، وبقي زُفر على بغلٍ له فقتلوهم ليلتهم وبقروا بطون نساء منهم، وغرق في دجلة أكثر ممن قتل بالسيف.

---

(١) بني عقيل قبيلة قيسية وهو عُقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عِكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان.

وأتى فلَّهم لِبِّى فوجّه زُفَر إليهم الهُذيل بن زُفَر فأوقع بهم إلا من عبر فنجا، وأسر زُفر منهم مئتين فقتلهم صبراً، فقال زفر:

[من الوافر]

ألا ياعــينُ جودي بانــسكــاب — وبـكّـي عاصِـماً وابـنَ الحُـبـابِ
فإن تكُ تغــلبُ قَتـلت عُمـيراً — ورهــطاً من غنيٍّ في الحــرابِ
فقــد أفنــى بني جُشمٍ بنِ بكــرٍ — ونــمــرَهُــمُ فوارسُ من كلاب[1]
قتــلنــا منهــمُ مئـتــينِ صبراً — ومــاعــدلــوا عُميرَ بنَ الحُبابِ
فقــتــلانــا نعــدُّهــمُ كِرامــاً — وقـتــلاهُـم تُعــدُّ من الـكِــلابِ

وقال أيضاً:

[من الوافر]

قتــلنــا من بني جُشَــمٍ جُموعــاً — فما عَدلــت جُموعــهــمُ عُمــيرا

وقال ابن صفّار المحاربي:

[من الوافر]

ألم تَر حَربــنــا تركــتْ حُبــيبــاً — مُحالـفُـهــا المــذلّــةُ والصَّغــارُ[2]
وقــد كانــوا أُولي عزٍّ فأضــحــوا — ولـيس بهم من الــذُلِّ انــتـصــارُ

حدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه حدثنا ابن الجصّاص، قال:

وقف عِكـرمـة بن ربعي التيمي من ربيعـة على أسـماء بن خارجة الفزاري بالكوفة، فقال له: قتلت بنو تغلب عُميرَ بن الحُباب، فقال أسماء: لابأس إنما قُتل في ديار القوم مُقبلاً غير مدبر، ثم قال:

---

(١) بني جشم بن بكر يعني بهم تغلب ونمرهم يعني النمرين قاسط.

(٢) حُبَيب: من أجـداد بني فدوكس بطن من تغلب منهم الأخـطل. وفي كتـاب المؤتلف والمختلف لابن حبيب في تغلب حُبيب مضموم الحاء خفيفاً ابن عمرو بن غنم بن تغلب.

[من الطويل]

يدي لكَ رَهنٌ عن سُليمٍ بغـارةٍ ... تشيبُ لها أصداغُ بكرِ بن وائلِ [1]

وتـتركُ أولادَ الـفـدوكَسِ عالـةً ... يتـامى أيامى نُهزةً للقبـائـلِ [2]

وحدثني الأثرم عن خالد بن كلثوم عن المفضّل الضبيّ وغيره، قالوا:

أسر القطامي[3] في يومٍ من أيامهم وأخذ ماله، فقام زُفر بأمره حتى ردّ عليه ماله وجميع ماأخذ منه ووصله فقال فيه:

[من البسيط]

إنّي وإن كانَ قومـي ليس بينهـمُ ... وبـينَ قومك إلاّ ضربـةُ الهـادي

مُثنٍ عليكَ بما أوليتَ من حَسنٍ ... وقـد تعـرَّضَ منّي مقتـلُ بادي

في شعرٍ طويل، وقال أيضاً:

[من الوافر]

فمـن يكُـنِ آستـلامَ إلى ثَويّ ... فقـد أحسنت يازُفـرُ المتـاعـا[4]

أأكفـرُ بعـدَ دفـعِ الموتِ عنّي ... وبعـد عطائِـكَ المئـةَ الـرِتـاعـا

وقـال عوانة بن الحكم وغيره: لما ولّى مصعبُ المهلّب بن أبي صُفرة الموصل والجزيرة، بعث إلى بني تغلب وكانوا مروانية: إن تبايعوا أميرَ المؤمنين عبد الله بن الـزبير، وإلا أتاكم جيش ينسيكم قيساً ويُلحقكم بمن قتلتم منهم وقتلوا منكم. فعزل قبل أن يُحدث فيهم حدثاً. فلذلك قال القطامي:

---

(١) ذكر بكر بن وائل ولم تشترك في الحرب ولكن بكر بن وائل أخا تغلب بن وائل.

(٢) ذكرها هنا صحيحاً بينما فيما سبق ذكرها الفودسكي.

(٣) القطامي شاعر عظيم وهو: عمير بن شييم بن عمرو بن عبّاد بن بكر بن شييم ابن مالك بن جشم بن بكر بن حُبَيب بن عمر بن غنم بن تغلب. وهذه القصيدة ذكرها الأغاني: ج: ٢٣ ص: ٢٠٩ ط: ثقافة بيروت.

(٤) ذكرها الأغاني المصدر السابق ص: ٢٠٥.

[من الطويل]

أتـاني من الأَزدِ النَّـذيرةُ بعـدَمـا | تنـاشَـدَ قولي بالحجـازِ المجالِسُ[1]
فقـالـوا عليك ابن الـزبـيرِ فَعُذْ به | أبى اللهُ أن أُخزى وعزٌّ خُنابِسُ[2]
ومـا جعـلَ الـلهُ المُهلّبَ فارسـاً | ولكنَّ أمثـالَ الهُـذيلِ الفـوارسِ

يـوم البشـر
والبشر جبل في عبر الفرات الغربي

٩٠ ـ قالوا وفد الأخطل على عبد الملك بن مروان فدخل عليه الجحاف[3] بن حَكيم بن عاصم بن قيس السُّلمي والأخطل عنده. فقال له عبد الملك: أتعرف هذا ياأخطلُ؟ قال: نعم هذا الذي أقول فيه:

[من الطويل]

ألا سائـلِ الجحَّـافَ هل هُو ثائـرٌ | بقتـلى أُصيبت من سُليمٍ وعـامِـرِ

وأنشـد القصيدة حتى فرغ منهـا، فتغـالـظا في الكلام فنهض الجحّاف يجُرّ مِطرفـاً كان عليه حتى أتى الـديوان فنـظر إلى مقـادير القراطيس التي تكتب فيها العهـودِ ثم لطف لبعض الكتـاب، حتى كتب له عهداً مفتعلاً على صدقات بكر وتغلب[4] بالجزيرة، وقال لأصحابه: إن أمير المؤمنين قد ولاّني هذه الصدقات فمن أراد اللحاق بي فليفعل، وسار حتى أتى الموضع الذي يُدعى اليوم برصافة هشام

---

(١) أتاني من الأزد: يقصد أتاني من المهلب لأن المهلب بن أبي صفرة أزديّ من أزد عُمان.

(٢) جاء في الطبعة العبرية أَخزى. وفي الأصل بدُون تشكيل واستشهد في الشعر ابن منظور في اللسان بمادة خنس فقال:

وقـالـوا: عليـكَ ابن الـزبـير فَلُذ به | أبَـى الله أن أُخـزى وعِـزٌّ خُنـابس

(٣) الجحاف بن حَكيم بن عاصم ابن قيس بن سِباع بن خُزاعي بن محاربي بن مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان وقدّمتُ بقية النسب فيما مضى.

(٤) قد افتعـل العهد كذباً كما فعل حُميد بن حريث مع بني فزارة وكأنه قد سن لمن بعده هذه السنة كما مرّ معنا سابقاً.

وهي بقرب الرقة، فاجتمع إليه أصحابه بها، فقال لهم: إن الأخطل تعتبني[1] وأسمعني ولستُ بوالٍ، فمن كان يحبّ أن يرخص عني العار وعن نفسه فيّ فليصحبني، فإني آليت أن لا أغسل رأسي أو أُوقع ببني تغلب، فرجعوا غير ثلاثمئة قالوا له: نموتُ معك ونحيا.

فسار ليلته حتى أصبح الرحوب، وهو ماء لبني جُشم بن بكر قوم الأخطل، فصادف عليه جماعة عظيمة من بني تغلب فقتل منهم مقتلة عظيمة، وأُخذ الأخطل وعليه عباءة وسخة فظنّ آخذه أنه عبدٌ، وسئل فقال: أنا عبدٌ فخلّى سبيله، فرمى نفسه في جُبٍّ من جبابهم مخافة أن يراه من يعرفه من قيس فيقتل، وقُتِل أبوه يومئذٍ،

فلما انصرفت القيسية خرج من البئر وجعلت عبلة امرأته تسأله أن يعود إلى البئر خوفاً عليه من كرتهم وعودتهم، فقال:

[من الكامل]

ياعبلَ أكرمَ حُرّةٍ في قومها	حسباً وأرعاها لكهلٍ سيِّدِ
قامت تُتبِّعُنا دُموعاً حَرَّةً	منها بطرفِ غَضيضةٍ لم تبردِ

ثم إن الجحاف استخفى، فطلبه عبد الملك بن مروان فمضى حتى دخل بلاد الروم مما يلي أرمينيّة، وأرادت تغلب دفن موتاهم، فقال لهم الشمرذَى: إنكم إن دفنتموهم فرأى الناس كثرتهم غزوكم استقلالاً لكم واجترئوا عليكم فأحرقهم[2].

وقال الجحّاف للأخطل:

[من الطويل]

أبا مالكٍ هل لُمتني إذ حضضتَني	على القتل أم هل لامَني لكَ لائمُ
ألم أُفنِكمُ قتلاً وأجدعْ أنوفكم	بفتيانِ قيسٍ والسيوفِ الصوارمِ

---

(١) تَعتّبني: هكذا في أصل المخطوط وفي الطبعة العبرية أتعبني وهي خطأ والتَّعتُّب: التجَنّي - اللسان -

(٢) هكذا في الأصل وفي العبرية فاحرقوهم.

بكــلِّ فتىً ينعى عُمــيراً بسيفــهِ إذا اعــتـصمتْ أيمانُهم بالقــوائمِ

فإن يطردوني يطردوني وقـد جَرى بيَ الـوردُ يوماً من دِماءِ الأراقمِ[1]

نكـحتُ بسيفي من زُهـيرٍ ومـالــكٍ نكَـاحَ اغتصـابٍ لا نكـاحَ الدراهمِ[2]

لقد أُوقدت نارُ الشمَرذى بأرؤسٍ عِظامِ اللّحى معرنِزماتِ اللّهازمِ

تُحشُّ بأوصــالٍ من القـوم بينهـا وبـين الـرّجـالِ المُـوقـديهـا محارمُ

فلا تحمــدوا إلا الإمــامَ لِتركـكُم تمشُّــون بالخـابـورِ دُسم العـمائمِ

في أبيات، وقال نُفيع بن صفّار المحاربي:

[من الطويل]

لقـد رفَعت نارُ الشَّمَـرذَى لقـومِهِ شَنـاراً وخِـزياً طارَ كلَّ مطارِ

ولم يزل الجحـاف ببـلاد الروم حتى طُلب له الأمان من عبد الملك فأمّنه. وسمعتُ مشـايخ من أهـل أرمينية يذكـرون، أن الجحاف أقام بطرابِزُندة ثم أتى كمخ حتى أتي قلقيلة، وبعث إلى بطانة عبد الملك من القيسيين حتى يأخذوا له أماناً.

قالوا: فلما صار إليه حمّله ديات من قتل وأخذ منه الكفلاء، وأُمِّر[3] بالسعي والاضـطراب، فقـال: أسـأل قومي، فأتى الحجّـاج بن يوسف بالعراق فحجبه، فلقي أسـماء بن خارجـة، فقـال له: إني لا أعصبت لومهـا إلاّ بك، فدخل على

---

(١) الأراقم: ولـد بكـر بن حُبيب ستـة أولاد وهم: جشم ومـالـك وعمـرو وثعلبة ومعاوية والحـارث هؤلاء الستة هم الأراقم وسموا بذلك لأنه مر كاهن بإمهم وهم ستة في قطيفة فقـالت له أمهم: انـظر إلى بني هؤلاء. فقـال: والله لكـأنّما رموني بعيون الأراقم فغلب عليهم والأرقم من الحيات المنقوش في ظهره.

(٢) زهير ومالك بطنان من تغلب وهما زهير بن جشم بن بكر ومالك بن بكر بن حُبيَب العم وابن الأخ. وابن معرنزم غليظ مجتمع وكذلك اللهزمة ـ اللسان ـ.

(٣) هكذا في الأصل أُمّر وفي الطبعة العبرية وأمره. فعبد الملك لم يأمره ولكن أمروا عليه أصحابه.

الحجاج بن يوسف فكلمه فأذن له، فلما دخل عليه حمد الله وأثنى عليه ثم قال: إني أعملتُ المطيَّ إليك من الشام لأنّه ليس أمامك مذهب ولا وراءك مطلب، وليست يدٌ دونَ الله تحجزك وأنت أمير العراق وسيّدُ قيس، ففُكَّ رهني وتلافَ أمري.

فيقال إنّ الحجاج قال له: ياجحاف أعملت المطيَّ من الشام. فقلت: آتي الحجاج فإن أعطاني شكرت وإن منعني بخلْتُ وذممْتُ، والله ماأعطيك مال الله، فقال: تعطيني عمالتك. فقال: هذا نعم فتركها له، ويقال إن الحجاج قال له: أعهدتني خائناً؟ فقال: لا، ولكنّك سيّدُ قومك ولك عُمالةٌ واسعةٌ، فقال: لقد أُلهمتَ الصدق ونظرت بنور الله، فأمر له بمئة ألف درهم، وكانت عُمالة الحجاج خمسمئة ألف درهم.

ثم أقبل الحجّاج عليه يضاحكه ويسأله عن خبره وخبر بني تغلب والأخطل فلما ولّى. قال: لله رجال قيس.

وقال الجحّاف:

[من الطويل]

رحلتُ إلى الحجّاجِ أطلبُ رِفدهُ	على ثقـةٍ باللهِ والـرّهنُ قد غلق
فأخفى سُؤالي ثم أقبـل ضاحكاً	إليَّ وأعـطاني الـوفـاءَ من الـورق

فلما أدّى الجحاف ماألزمه عبد الملك أظهر التوبة وأصحابهُ، ومضى حاجّاً.

فذكروا أن محمد بن سوقة، قال: مرّ بي الجحاف وأنا في دكاني في السوق فاشترى منّي خزّاً قسمه في أصحابه، فإذا هو وأصحابُه قد زمّوا[1] أنفسهم، قلتُ: ماهذا الذي أرى وأصحابك صنعتموه؟ فقال: جعلنا ماترى لنذكر خطيئتنا في قتل القوم الذين قتلناهم، ونحن نريد الحجّ فلعلّ الله يرحمنا ويتوب علينا. وقدم الجحاف مكة وأصحابُه معه فتعلّق بأستار الكعبة، فجعل ينادي: اللهم اغفر لي

---

(١) زموا أنفسهم: جعلوا في أنوفهم حلقة يُربط بها الزمام أي الحبل وجعلوا حبالهم من الخز وربطوها بأنوفهم وأخذوا يجرون بعضهم وراء بعض كقطار الجمال.

وما أظن أن تفعل، فسمعه محمد ابن الحنفيّة، فقال: ياشيخ القنوط[1] شرٌّ من الذنب، ثم سأل عنه فقيل هذا الجحاف.

وقال الأخطل:

[من الطويل]

لقد أوقعَ الجحّافُ بالبِشرِ وقعةً ... إلى اللّهِ منها المُشتكى والمُعوَّلُ

فإلّا تُغيِّرها قريشٌ بمُلكها ... يكُن عن قُريشٍ مُستمازٌ ومرحلُ[2]

فإن تحملوا عنهم فما من حمالةٍ ... وإن ثقُلت إلّا دمُ القومِ أثقلُ

فزعموا أن عبد الملك قال لما أنشده:

يكُن عن قُريشٍ مستمازٌ ومَرحَلُ

قال: إلى أين ويلك. قال: إلى النار.

خبر مصعب بن الزبير ومقتله

٩١ ـ حدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي ثنا وهب بن جرير بن حازم ثنا أبيّ عن صعب بن زيد:

أنّ المصعب بن الزبير لما فرغ من قتال المختار، وكان إبراهيم بن الأشتر على الموصل والجزيرة وأذربيجان وأرمينية، فعزله ووجهه إلى قتال الأزارقه، ووجّه المهلب ابن أبي صُفرة على عمله، ثم عزل المهلب وردّ إبراهيم ابن الأشتر على العمل ووجه المهلب لقتال الأزارقة.

قال: وبلغ المصعب إقبال عبد الملك نحوه وهو يومئذ بالبصرة قد قدم من عند أخيه بعد أن وفد عليه، فسأل أهل البصرة النهوض معه، وكانت الحرورية قد نزلت سوق الأهواز وعليهم قطري بن الفُجاءة، فقالوا: أصلح الله الأمير كيف

---

(١) القنوط: اليأس من الخير.

(٢) استماز عن الشيء تباعد عنه واستشهد بهذا المعنى في اللسان بنفس بيت الأخطل هذا.

نسير معك وهذه الحرورية تظلّ علينا وعلى ديارنا وأموالنا.

وقال المهلّب للمصعب: اعلم أن أهل البصرة والكوفة قد كاتبوا عبد الملك وكاتبهم وأنه إنما اجترأ على السير إلى العراق بكتبهم، وقال له المهلب: لاتنّحني عنك واجعلني منك قريباً، فقال له المصعب: إنّ أهل البصرة قد أبوا أن يسيروا حتى أبعثك لقتال الحرورية، وأنا أكره إذا أقبل عبد الملك إليّ ألاّ أسيرُ إليه، فاكفني هذا الثغر، فقال المهلب: إني لست آمن غدر القوم بك، وإن فعلوا فأبعدهم الله.

وحدثنا أبو خيثمة زهير بن حرب وأحمد بن إبراهيم قالا ثنا وهب بن جرير عن أبيه عن محمد بن الزبير الحنظلي عن معاوية بن صعصعة بن معاوية وهو ابن أخي الأحنف بن قيس، قال:

والله إني لواقفٌ مع عمي بالحيرة في ظل قصر بني بقيلة، إذ أقبل زياد بن عمرو العتكي حتى وقف إلى جنب الأحنف، فذكر المصعب وسوء رأيه فيما بينه وبينه وعابه. فقال له الأحنف: أظنك والله يازياد وأصحابك ستدخلون علينا ذُلاً وبلاءً عظيماً، أحسبكم والله ستدخلون علينا أهل الشام فيقتلونا وينزلون دورنا، فمهلاً يازياد. فقال زياد: إن حالي قد اشتدّت وإن عليّ ديناً، فقال الأحنف: وهل تكفيك عشرة آلاف؟ أكلّم المصعب فيأمر لك بها، وأيم الله إني لأعلم أنها لاتنفعه عندك، فكلّمه الأحنف، فأمر بها له، فكان زياد عند ذلك أسوأ ماكان رأياً وأشدّه على المصعب.

قال أحمد بن إبراهيم، قال وهب، قال أبي هذا.

حين دخل المصعب الكوفة لقتال عبد الملك وفي تلك الأيام مات الأحنف بالكوفة: ألا ترى أن الأحنف قد كان رجع إلى البصرة بعد مقتل المختار وكتب في حمزة بن عبد الله مع من كتب فيه من أهل البصرة.

حدثنا أبو خيثمة وأحمد بن إبراهيم، قالا ثنا وهب بن جرير عن أبيه، قال وهبٌ: ولا أعلمه إلا عن صعب بن زيد، صعب هذا هو جدّ مرثد بن حازم[1]

---

(١) هذه الجملة: هو جدّ ساقطة من الطبعة العبرية وهي بهامش الأصل مشار إلى موضعها بسهم.

أن أشراف أهل العراق كتبوا إلى عبد الملك يدعونه إلى أنفسهم، ويخبرونه أنهم مبايعوه، فلم يبق بالبصرة شريف إلّا كاتبه غير المهلب.

وحدثنا أبو خيثمة وخلف بن ثابت المخزومي وأحمد بن إبراهيم، قالوا ثنا وهب بن جرير ثنا محمد بن أبي عُيينة، قال:

سار المصعب يريد عبد الملك حتى انتهى إلى باجُمَيرا[1] ثم التقى هو وعبد الملك فغدر أهل البصرة بالمصعب فقُتل واجتمع الناس على عبد الملك.

وحدثنا خلف وأحمد بن إبراهيم قالا ثنا وهب حدثني أبي، قال:

كتبوا إلى عبد الملك يسألونه المسير إليهم ويخبرونه أنهم لو قد رأوه مالوا إليه بمن تبعهم، فأقبل عبد الملك وخرج إليه مصعبٌ، فلما صُفّوا للقتال مال أهل العراق إلى عبد الملك وبقي المصعب في خِفٍّ من الناس، فقال لابنه عيسى: أيّ بنيّ انصرف فأبى وقال: والله لا آتي قريشاً فأخبرهم عن مصرعك أبداً، قال: فتقدّم إذاً فتقدّم فقُتِل، وأقبل عبيد الله بن زياد بن ظَبيان فقال للمصعب: كيف ترى الله صنع بك وأخزاك، قال بل أخزاك، والمصعب راجل وابن ظبيان راكب، قال فقتل ابن زياد المصعب واحتزّ رأسه فأتى به عبد الملك فألقاه بين يديه، وهو يقول:

[من الطويل]

نُعاطي الملوكَ الحقَّ ماقَسَطوا لنا ... ولَيسَ علينا قَتلُهم بمُحرَّم

فخرّ عبد الملك ساجداً، فكان ابن ظَبيان يقول: ماندمتُ على شيء قطّ ندامتي على ألّا أكون ضربتُ رأس عبد الملك حين أتيته برأس المصعب، فأرحتُ الناس منهما وأكون قد قتلتُ ملكي العرب في يومٍ واحدٍ.

وحدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي ثنا وهب بن جرير ثنا الأسود بن شيبان عن خالد بن سُمير بحديث طويل، فاختصرته، قال:

---

(١) باجُميرا: موضع دون تكريت ـ معجم البلدان ـ

لم يكن لأحدٍ من الناس مثل منزلة عبد الله بن أبي فروة عند المصعب، فلما قُتل المصعب رَحَل إلى عبد الله بن الزُّبير، فجعل عبد الملك لمن ردّه عليه مئة ألف درهم، فلم يُقدر عليه حتى قدم مكة.

فقال له عبد الله بن الزبير: يابن أبي فروة أخبرني عن الناس، قال: ياأمير المؤمنين خرجنا حتى إذا واقفنا عبد الملك مال داود بن قحذم براية بكر بن وائل، ومال فلانٌ براية بني فلانٍ فلما رأيتُ المصعب قد بقي في رِقّةٍ من الناس أتيته بأفراس قد أضمرتُها فهي مثل القداح، فقلت له: اركب فالحق بأمير المؤمنين، فدثّ[1] في صدري دثّةً، وقال: ليس أخوك بالعبد. وأحببتُ الحياة فانصرفتُ، فقال ابن الزبير: حَسبُنا الله ونعم الوكيل ثلاث مرات.

وحدثني العُمري عن الهيثم بن عديّ عن مُجالد عن الشعبيّ، قال:

قدم مصعبٌ حين وليَ العراقين فبدأ بالبصرة وولّى القُباع الكوفة، وكان خليفة القُباع بها عمرو ابن حُرَيث، ثم شخص إلى الكوفة فقتل المختار ومعه الأحنفُ بن قيس، ثم عزله أخوه عن البصرة وولّاها حمزة ابنه فغضب وأُقِرّ على خلافته القباع، ومضى إلى أخيه فردّه على المِصْرين، فأقام بالبصرة حتى شخص منها إلى الكوفة واستخلف عبّاد بن الحُصين، ويقال إنه استخلف سِنان بن سلمة وجعل عبّاداً على شُرَطِه، وكان الأحنف مع مصعب فمات الأحنف بالكوفة، ثم إن مصعباً شخص إلى مَسْكن[2] فقُتل بها.

وقال الهيثم: ثم خرج عبد الملك يريد العراق لمحاربة مصعبٍ في خمسين ألفاً فقصد لزُفر بن الحارث حتى أمّنه، وخرج معه إلى مصعب فشهد حربه ولم يقاتل.

وقال غيره: لما صالح عبد الملك زُفَر بن الحارث رجع إلى دمشق ثم شخص قصداً فواقع مصعباً.

---

(١) دث الشيء: دفعه وضربه ضرباً مؤلماً.

(٢) مَسْكِن: موضع قريب من أوانا على نهر دُجيل عند دير الجاثليق كانت به الوقعة بين عبد الملك بن مروان ومصعب بن الزبير فقتل المصعب وقبره هناك معروف ـ معجم البلدان ـ

وحدثني هشام بن عمار عن الوليد بن مسلم وغيره:

أن عبد الملك صالح زُفر بن الحارث ثم قدم دمشق فأصلح أمر ملك الروم والجراجمة الذين خرجوا عليه، ثم استشار في المسير إلى مصعب بن الزبير، فقال له بعض من معه: إنك قد واليت بين سنتين شخصت فيهما فخسرت خيلك ورجالك، وعامُك هذا عامُ جَذْبٍ فأرِحْ الأمر سنة أو سنتين واسترح ثم اشخص. فقال: الشام بلدٌ قليل المال ولا آمن نفاده، وقد كتب إليّ أشراف أهل العراق يدعوني إليهم.

قال: وكان يشاور يحيى بن الحكم بن أبي العاص ثم يخالفه، ويقول: من أراد صواب الرأي فليخالف يحيى بن الحكم فيما يُشير به عليه، فدعاه فاستشاره، فقال: أرى أن ترضى بالشام وتقيم به وتدع مُصعباً والعراق، فلعن الله العراق. فضحك عبد الملك ودعا خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد فشاوره، فقال: يا أمير المؤمنين غزوت مرّةً فنصرك الله ثم ثانيةً فزادك الله عِزّاً، فأقم عامك هذا. ثم قال لمحمد بن مروان أخيه: ماترى؟ قال: أرجو أن ينصرك الله أقمتَ أو غزوتَ، فاغزُ عدوّك وشمّر في طلب حقّك.

فأمر الناس بالاستعداد للمسير وقدّم محمد بن مروان ومعه خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد وبشر بن مروان، وقال: قد استعملت عليكم سيّد الناس محمد بن مروان أخي ونصيحي.

وحدثني عباس بن هشام عن أبيه عن عوانة، قال:

بعثت عاتكة بنت يزيد امرأة عبد الملك وهي أمّ يزيد ابنه: مارأيتُ خليفةً قطّ غزا بنفسه، فوجّه الناس وأقِمْ، فقال: والله لو بعثت إلى مصعب جميع أهل الشام لفضّهم وفلّهم مالم أكن معهم، وتمثّل:

[من الطويل]

ومُسْتخبرٍ عنّا يُريدُ بنا الرّدى ... ومُستخبراتٍ والعيونُ سواكبُ

وقال ابن الكلبي والهيثم قال عوانة:

لما بلغ مصعباً إقبال عبد الملك إليه وأن قد قدّم مقدّمته، وهو بالبصرة أراد المسير إليه بأهل البصرة فأبوا أن يسيروا معه، وقالوا: عدوّنا من الخوارج مُطِلٌّ علينا. فأرسل إلى المهلّب وهو عاملهُ على الموصل والجزيرة فولّاه قتال الخوارج، وخرج فقال بعض الشعراء:

[من السريع]

أكلَّ عامٍ لكَ باجُمَيرا   تغزو بنا ولا تُفيدُ خيرا[1]

وباجُميرا موضع كان إذا بلغ مصعباً إقبال عبد الملك نحوه خرج إليه من الكوفة، فيبلغه انصراف عبد الملك فينصرف.

وقال أبو مخنف: ولّى عبد الله مصعباً أخاه العراقين، ثم إنّ مولى لبني عجل أتى عبد الله بن الزبير بعد قتل المختار فأشار عليه باستعمال حمزة ابنه على البصرة، وقال له: إن ذلك يعجب أهلها ويحبونه فولّاه إياها، فأراد مصعب الامتناع من تسليمها. فقال الأحنف: إن رأيت أن لا يكون بينك وبين أخيك ماتضارّان فيه فافعل فإن ضرر ذلك ينالنا، فقدم حمزة البصرة فأقام سنةً أو نحوها، فكان إذا عرض عليه مايرتفع من الخراج، قال: فأين خراج الزاوية؟ فكان الأحنفُ بن قيس ومالك بن مِسْمَع يقولان: أما الفتى فيخبرنا أنه لايستوفي عندنا سنةً حتى يُعزل.

وخرج مصعب مغضباً إلى أخيه فردّه على المصرين فأشخص حمزة إلى أبيه، ويقال بل قدم حمزة إلى أبيه فردّ مصعباً. فكتب مصعب من الكوفة إلى المهلّب وهو عامله بالموصل والجزيرة: أن يقدم فقدم عليه فضمّه إلى حمزة فولاه قتال الخوارج وسار إلى الكوفة، وكان خليفته بها القُباع وكان سبب خروجه إلى الكوفة، أنه بلغه حركة عبد الملك، فأقام بها والأحنف معه فمات بالكوفة قبل مصير مصعب إلى مسكن ومشى في جنازته، وظفر مصعب بإبراهيم بن حيّان فقطع يده ونفاه فصار إلى الروم فجنى هناك جناية فقطعوا رجله.

---

(١) هذا البيت في معجم البلدان لأبي الجهم الكناني.

قال عوانـة : وكان إبراهيـم بن الأشتر عاملاً للمختار حين قتل على الموصل ونواحيها، فكتب إليه المصعب يدعوه إلى طاعته والبيعة لعبد الله بن الزبير، فسارع إلى ذلـك وقدم عليه فولّى المهلب ماكان يليه من الموصل والجزيرة، ثـم عزله وأعاد إبراهيم بن الأشتر إلى عمله، فلما صحّ عنده وصول عبد الملك يريده بعث إلى ابن الأشتر فأقدمه عليه فجعله على مقدّمته. وسار حتى أتى دِمِماً وهي من عمل الأنبار، ثم قطع منهـا حتى نزل بقرب أَوَانا وهناك دُجَيْل ودير الجاثليق وباجُمَيرا، فعسكره ومـوضـع وقعتـه بين هذه المـواضع. وكاتب عبد الملك وجوه أهل الكوفة والبصرة ورغّبهم في الأموال والأعمال. وكتب إليه جماعة منهم يستعجلونه على نصرتهم إياه وانحـرافهم عن المصعب ويسـألـونـه ولايةَ أصبهـان، فكـان يسأل عنها ويقول: ماأصبهان هذه أتنبتُ الذهب والفضّة، لقد كُتب إليّ فيها أربعون كتاباً.

وكتب عبـد الملك إلى إبـراهيم بن الأشـتر فجعل له ولاية العراقين، فأخذ كتابه فدفعه إلى المصعب وقال له: أصلح الله الأمير إن عبد الملك لم يكتب إليّ بهذا الكتـاب إلا وقـد كتب إلى هؤلاء الوجوه بمثله، وقد أفسدهم عليك فأنا أرى أن تأخـذ وجـوه أهل المِصرين فتشدهم بالحديد، فقال له: يابا النعمان أنأخذ الناس بالـظنّة؟ قال: فاجمعهم في أبيض المدائن لئلاّ يشهدوا الحرب معك، قال: أفسد قلوب عشـائرهم، قال: فابعث بهم إلى أخيك بمكـة، فقال: ليس هذا برأي. قال: فإن لقيت العدو فلا تمدّني بأحدٍ منهم واتهمهم.

قالـوا: وبكت عاتكة بنت يزيد بن معاوية حين أراد عبد الملك المسير نحو العراق، وبكى جواريها، فقال: كأنّ كُثيّر عزّة كان يرى مانحنُ فيه حين يقول:

[من الطويل]

إذا ماأراد الـغـزوَ لم يَثـنِ رأيهُ	حصـانٌ عليهـا نظمُ دُرٍّ يزينهـا
نَهتـهُ فلما لم ترَ الـنَّهي عاقـهُ	بكت فبكى مما شَجـاهـا قَطينهـا

فسار عبد الملك حتى نزل الأحيونيّة[1] وهي بين مسكن وتكريت، ونزل مصعب دير الجاثليق وهو بمسكِن وبين العسكرين ثلاثة فراسخ، ويقال فرسخان، وخندق مصعبٌ خندقاً على عسكره، وعسكره اليوم يعرف بخربة مصعب، وقال مصعب: رحم الله أبا بحرٍ يعني الأحنف بن قيس، لقد كان يقول لي: لا تلق بأهل العراق عدوّاً، فإنهم كالمُومسة تريد كلّ يومٍ رجلاً، وهم يريدون كل يومٍ أميراً.

وكان عِكرمة[2] بن رِبعي أحد بني تيم الله بن ثعلبة، وحوشب[3] بن يزيد بن الحارث بن يزيد بن رويم الشيباني يتباريان في إطعام الطعام، فقال مصعب: دعوهما فلينفقا من خيانتهما وفجورهما.

وأرسل عبد الملك إلى مصعب رجلاً من كلب، وقال له: أقرىء ابن أختك[4] السلام وقل له يدع دعاءه إلى أخيه وأدع دعائي إلى نفسي ونصيّر الأمر شورى، فقال مصعب، قل له: السيف بيننا.

---

(١) في الطبعة العبرية: الأخنونية وفي معجم البلدان الأخنونية: موضع من أعمال بغداد قيل هي حربي. بينما في أصل مخطوط المكتبة العامة المغربية ص: ٤٣٧/ ٦٨ الأحيونية وجعل تحت الحاء للتأكيد: ح

(٢) هو عِكْرِمة الفياض بن ربعي بن عمير بن صبح بن لأي بن موءلة بن عامر بن مالك بن تيم الله بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل صاحب شاة عكرمة التي يضرب بها المثل: نشأ عكرمة بالسواد ثم انتقل إلى البصرة وقد تغذى باللبن فقال لزوجته: اشتر لنا شاة نحلبها وتصنعين لنا من لبنها شراباً ففعلت، فاستخرمت - طلبت الفحل - فقالت ياجارية خذي بإذن الشاة وانطلقي بها إلى التياس فانزى عليها ففعلت. فقال التياس آخذ منك على النزوة درهماً، فانصرفت إلى سيدتها فأعلمتها فقالت: إنما رأينا من يرحم - أي يدخل في الرحم - ويعطي وأما من يرحم ويأخذ فلم نره فضرب بها المثل.

(٣) حوشب بن يزيد بن الحارث بن يزيد بن رويم بن عبد الله بن سعد بن مرّة بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن عكابة.

(٤) أم مصعب بن الزبير الرباب بنت أُنَيف بن عبيد بن مصاد بن حصن بن كعب بن عُليم بن جناب الكلبي. ولذلك قال له: ابن اختك.

فقدّم عبد الملك محمد بن مروان ومعه بشر بن مروان، وقال: اللهم انصر محمداً، اللهم انصر خيرنا لهذه الأمّة، وقدّم مصعب إبراهيم بن الأشتر للقائه فالتقيا وبين عسكر مصعب وعسكر ابن الأشتر فرسخ فتناوش الفريقان فقُتل صاحب لواء محمد، وجعل المصعب يمدّ إبراهيم، وجعل محمد يكفّ أصحابه عن مناجزة القوم، فوجّه إليه عبد الملك يشتمه، فوقّف محمد رجلاً في جماعة وأمره أن يمنع من يأتيه من جهة عبد الملك من دخول عسكره. فوجّه عبد الملك خالد بن عبد الله ابن خالد بن أسيد فردّه أشدّ الردّ حتى إذا كان قُرب المساء، قال محمد للناس حركوهم فتهايج القوم.

ووجّه المصعب إلى إبراهيم بن الأشتر عتّاب بن ورقاء الرياحي، وكان قد بايع عبد الملك ووعده أن يكيد له المصعب، فلما رآه إبراهيم غمّه أمره. وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون قد سألته أن لا يمدّني بهذا ونظرائه وانهزم عتاب على مواطأة منه لأهل الشام. فوقعت الهزيمة وقتل ابن الأشتر وهو يقول: قد قلت أعفني من عتّاب وذوي عتاب.

وكان الذي قتل ابنَ الأشتر مولى لبني عُذرَةَ[1] يقال له عُبيد بن ميسرة واحتزّ رأسه وأتى به عبدَ الملك. وأحرق جثّته موالي حصين بن نمير.

وقال عوانة: لما واقع محمدُ بن مروان ابنَ الأشتر، قال ابنُ الأشتر لأصحابه: لاتنصرفوا حتى ينصرف أهل الشام عنكم، فقال عتّاب بن ورقاء: ولِمَ لاننصرف فانصرف وانهزم الناس حتى أتوا مصعباً، وصبر إبراهيم بن الأشتر حتى قُتل.

فلما أصبح محمد بن مروان وجّه إلى عسكر مصعب رجلاً، وقال: انظر كيف تراهم؟ فلم يعرف الطريق، فدلّه عليه إبراهيم بن عربي الكناني[2]، فأتى العسكر

---

(١) بنو عذرة بن سعد هذيم بن زيد بن ليث بن سُود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة.

(٢) إبراهيم بن عربي من ولد عبيدة الرماح بن معدّ بن عدنان ولكن انتسبوا في كنانة وأم إبراهيمْ بن عربي فاطمة بنت شريك بن سحماء فلما كان يوم الدار يوم قتل عثمان وضُرب مروان بن الحكم وسعيد بن العاص فسقطا فوثبت فاطمة بنت شريك فأدخلت مروان بيت القراطيس فأفلت فكان مروان وبنوه يكرمونه ـ جمهرة ابن الكلبي ـ

ثم انصرف، فقال: رأيتهم منكسرين.

وقاتل مع مصعب شُعيث[1] بن ربيع بن جُشَيش العنبري فصبر.

قالوا: وأصبح مصعب فدنا من محمد ودنا منه حتى التقوا فنزل قوم من أصحاب مصعب وأتوا محمداً، فدنا محمد من المصعب وناداه: أنا ابن عمّك محمد ابن مروان فاقبل أمان أمير المؤمنين فقد بذله لك، فقال: أمير المؤمنين بمكة يعني عبد الله أخاه، فقال: يابن عم إن القوم خاذلوك، فأبى عليه ماعرض، وجعل يقول:

[من الطويل]

[و][2]إنّ الأُلى بالطَفّ من آلِ هاشمٍ   تأسّوا فسَنّوا للكرامِ التأسّيا

والشعر لابن قَتّة. ودعا محمدُ عيسى بن مصعب، وقال له مصعب: انظر مايريد عمك، فدنا منه فقال: إني لكم ناصح ولك ولأبيك الأمان وناشده، فرجع إلى أبيه فأخبره بما قال له، قال: إني أظن القوم سيفون فإن أحببت أن تأتيهم فافعل، فقال: لاتتحدث نساء قريش بأني خذلتك ورغبتُ بنفسي عنك، قال: فتقدّم حتى أحتسبك فتقدّم وناس معه فقتل وقُتلوا، ونظر مصعب إلى عتّاب بن ورقاء، فقال: لايبعد الله ابن الأشتر فقد كان حذّرنيك، وتركَ الناس مصعباً وخذلوه حتى بقي في سبعة نفرٍ، وجاء رجل من أهل الشام ليحتزّ رأس عيسى بن مصعب، فشدّ عليه مصعب فقتله وشدّ على الناس فانفرجوا عنه، ثم جاء إلى مرفقة ديباج فجلس عليها ثم قام فشدّ على الناس فانفرجوا عنه.

وبذل له عبدُ الملك الأمانَ وقال له: إنه يعزّ على أن تُقتل فاقبل أماني ولك حكمك في المال والولاية فأبى وجعل يضارب، فقال عبد الملك هذا والله كما قال القائل:

---

(١) شُعَيث بن رَبيع بن جُشَيش بن مدركة بن ثعلبة بن عمرو بن جُندَب بن الحارث ـ بنو بيضاء ـ بن جُهمة بن عدي بن جُندب بن العنبر بن عمرو بن تميم، وفي الأصل جُشَيش وفي الطبعة العبرية حشيشب الحاء المهملة وهو خطأ.

(٢) تزداد الواو لصحة الوزن.

[من الكامل]

ومُــدجَّــجٍ كرهَ الــكُــماةُ نِزالَــهُ		لامُمْــعنٍ هربــاً ولا مُســتــسلِمِ

هذا والله الـذي لايجيبنـا إلى أمـانينـا ولا يصـدف[1] عنـا. ودخل مصعب سُرادقه، فيقال إنه تحنّط فرمى السرادق حتى سقط، وخرج فقاتل وأتاه عبيد الله بن زياد بن ظَبيان فدعاه إلى المبارزة، فقال له: ياكلب اغْرُب مثلي يبارز مثلك لعمري لقد ألجأني الدهر إلى مبارزتك، وشدّ عليه مصعب، فضربه على البيضة فهشمها وجرحـه فرجـع مصعب فعصب رأسـه، وأتى عبد الله بن أبي فروة مصعباً وكان كاتبه، فقال له: جُعلتُ فداءك تركك الناس وهذا الرجل يعني عبد الملك مستديم لك لعلّك تقبـل أمـانه، وعندي خيل مقدّحة[2] فاركب أيها شئت وانج بنفسك، فدثّ في صدره، ورجـع ابن ظبيان إلى مصعب فحمل عليه فضربه مصعب وهو مثخن لما أصابته من الجراحة فلم تعمل ضربته فيه وضربه عبيد الله بن ظبيان حتى مات، ويقـال إن ابن ظبيان ضربـه وزَرَقَهُ زائدة بن قدامة الثقفي أو رماه ونادى: يالثارات المختار فسقط ميتاً واحتزّ ابن ظبيان رأسه، ويقال بل أمر غلاماً له ديلمياً فاحتزّ رأسه وحمله إلى عبد الملك فوضعه بين يديه وهو ينشد:

[من الطويل]

نُعـاطِي الملوكَ الحقَّ ماقَسَـطوا لنـا		ولـيسَ علينــا قَتـلُهـم بمُحــرَّمِ

فسجد عبد الملك فكان ابن ظبيان يقول: لقد هممت أن أضرب رأس عبد الملك وهـو ساجد فأكون قد قتلت ملكي العرب وأرحت الناس منهما، وقال عبد الملك: لقد هممت أن أقتل ابن ظبيان فأكون قد قتلت أفتك الناس بأشجع الناس.

وقـال الهيثم بن عديّ: كتب عبـد الملك إلى إبـراهيم بن الأشـتر وهـو مع مصعب كتاباً، فأتى به المصعب قبل أن يقرأه فلما قرأه قال له: يابا النعمان أتدري

---

(١) الصدوف: الميل عن الشيء.

(٢) مُقدّحه: مضمّرة ـ اللسان ـ

مافيه؟ قال: لا، قال: يعرض عليك ماسقت دجلة أو ماسقى الفرات، فإن أبيت جمعهما لك، وإن هذا لما يُرغب فيه، قال إبراهيم: ماكنت لأتقلد الغدر والخيانة، ماأحد بأيأس منه فيّ، وماترك أحداً ممن معك إلا وقد كتب إليه، فابعث إليهم فاضرب أعناقهم وإلّا فأوقرهم حديداً ثم ألقهم في أبيض كسرى ووكّل بهم حفظة، فإن ظفرت عفوت عنهم أو عاقبت، فقال: ياأبا النعمان إني أخاف من هذه القالة، ووالله لو لم أجد إلا النمل لقاتلت به أهل الشام.

كيف جرى قتل مصعب:

٩٢ ـ قال: فلما اصطف الناس مال عتّاب بن ورقاء فذهب وكان على خيل أهل الكوفة، وجعل إبراهيم يقول لرجل رجل تقدّم فيأبون عليه فيتقدّم هو فيقاتل، فلم يزل يفعل ذلك حتى قتل ثم تقدّم مصعب فخذله الناس، فقال لحجّار بن أبجر تقدّم ياأبا أسيد، قال: إلى هؤلاء الأنتان، قال: ماتتأخر عنه أنتن، ثم قال للغضبان ابن القبعثري: تقدّم ياأبا السمط، قال: ماأرى ذاك، فالتفت إلى قطن بن عبد الله الحارثي[1] وهو على مَذْحِج وأسد[2] فقال: تقدّم، فقال: أسفك دماء مذحج في غير شيء، فقال: أُفٍّ لكم، ثم أقبل في عدّة.

فلما برز قال زياد بن عمرو العتكي[3] لعبد الملك: ياأمير المؤمنين إن أبا البختري إسماعيل بن طلحة بن عبيد الله كان لي صديقاً وقد خفت أن يقتل فآمنه، قال: هو آمن. ودنا محمد بن مروان فأعطى مصعباً الأمان فأباه، ورُمي مصعب من كل جانب فأثخن وقاتل ابنه عيسى حتى قُتل وقَتل ابنُ ظبيان مصعباً، ويقال ضربه غلام له على جبينه واعتوره الناس فقُتل، ووقف ابن ظَبيان فاحتزّ رأسه وأتى به عبد الملك.

---

(١) الحارثي: وهو الحارث بن كعب بن عمرو بن عُلَة بن جَلد بن مَذحج.

(٢) أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر.

(٣) هو زياد بن عمرو بن أشرف بن المجتري بن ذهل بن زيد بن عِكَبّ ـ بطن ـ بن أسد بن الحارث بن العتيك بن أسد بن عمران بن عمرو مزقياء بن عامر ماء السماء ابن حارثة الغطريف بن امرىء القيس البطريق بن ثعلبة البهلول بن مازن بن درء الأزد.

قالوا: وقُتل يحيى بن جعدة فأُتي عبد الملك برأسه، فقال: مالآل جعدة وآلِ الزبير[1]، وقُتل عبد الله بن شدّاد بن الهاد الكناني[2] ويقال لم يقتل ولكنه مات في تلك السنة، وقتل يحيى بن مُبشِّر اليربوعي، وشدّ رجل على مسلم بن عمرو الباهلي فطعنه فأراده عن فرسه، فمرّ به رجلٌ وهو مُرتَثّ[3] فقال: هذا صنيعة من صنائع بني أمية يعمل تحت رايات بني الزبير.

وقال عوانة: أُتي به عبد الملك وقد طُلب له منه الأمان وهو مُثْقَل، فقال: يامسلم ويحك نسيتَ بلاء يزيد بن معاوية عندك.

قالوا: وكان قتل مُصعب في سنة أثنتين وسبعين.

قال ابن الزُّبير الأسدي[4] في إبراهيم بن الأشتر:

[من الطويل]

سأبكي وإن لم تَبكِ فتيانُ مَذْحِجٍ ... فَتاها إذا اللّيلُ التّمامُ تأوّبا

فتىً لم يكن في مِرَّة الحربِ جاهلاً ... ولا بمطيعٍ في الوغى مَنْ تهيَّبا[5]

أبانَ أنوفَ الحيِّ قحطانَ قتْلهُ ... وأنفَ نزارٍ قد أبانَ فأوْعبا

---

(١) آل جعدة من بني مخزوم من قريش وهو جعدة بن هبيرة بن مدرك بن عوف بن عبيد بن عمر بن مخزوم وأم جعدة أم هانىء بنت أبي طالب وكانوا مع الحسين عليه السلام كما مرّ سابقاً في مقتل الحسين.

(٢) هو عبد الله الفقيه بن شداد بن أسامة بن عمرو الهاد بن عبد الله بن جابر بن بُرّ بن عُتوارة بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة وكان يجب أن يقول الليثي ثم الكناني لأن ليث بطن من كنانة.

(٣) ارتث فلان: ضرب في الحرب فأثخن وحمل وبه رمق.

(٤) عبد الله بن الزّبير بن الأشيم بن الأعشى بن بَجرة بن قيس بن منقذ بن طريف بن عمرو قُعين بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة. شاعر كوفي المنشأ والمنزل كان من شيعة بني أمية وأسِرَ فأتي به مصعب فمنّ عليه ووصله وأحسن إليه، فمدحه وأكثر، وانقطع إليه، فلم يزل معه حتى قتل مصعبٌ.

(٥) مِرّة: المِرّة: القوّة والطاقة والشدّة وفي الطبعة العبرية مُرّة خطأ بالضم.

فمـن يَكُ أمسى خائنـاً لأمـيرِهِ فما خانَ إبـراهيمُ في الموتِ مُصعَبا

ولـما قُتـل مصعب قال عبـد الملك: متى تغـذو النسـاء مثل مصعب، لقد حرصنا على استبقائه ولكن الله أبى ذلك.

وقال عديّ بن الرقاع العاملي[1]، ويقال البَعِيث اليشكري[2].

[من الطويل]

ونحنُ قتلنـا ابنَ الحـواريِّ مُصعَباً أخـا أسَـدٍ والمَـذحِجيَّ اليَمانيا[3]

ومرّت عُقابُ الموت قصداً بمُسلِمٍ فأهـوت له ظُفـراً فأصبـح ثاويا

يعني مسلم بن ربيعة الباهلي.

ولعدي بن الرقاع قصيدته التي يقول فيها:

[من المتقارب]

لعمـري لقـد أصحـرت خيلُنا بأكـنـافِ دجـلَةَ للمـصعَـبِ

إذا شئـتُ نازلـتُ مُستـقـدمـاً إلى المـوتِ كالجمـل الأجـربِ

فمـنْ يكُ منّـا يكُـنْ آمـنـاً ومـن يكُ من غيرنـا يَهرُبِ

وقال عبيد الله بن قيس الرُّقيّات[4]:

---

(١) عدي بن الرقـاع نسب إلى أجداده وهو عدي بن زيد بن مالك ابن عدي بن الرقاع بن عَصَر بن عَدّة بن شَعل بن معاوية بن الحارث الذي هو عاملة بن عدي بن الحارث بن مُرّة بن أدد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان وأم الحارث بن عدي عاملة بنت مالك بن وديعه بن الحـاف بن قضـاعة إليها ينسبون منزله دمشق وهو من حاظرة الشعراء لا من باديتهم مقدّم عند بني أمية وخاصة الوليد بن عبد الملك عدّه ابن سلاّم من الطبقة الثالثة من الشعـراء. وفي الأغـاني: ج: ١٩ ص : ٥٨ طبعة الثقافة هي لزيد بن الرقاع أخي عدي بن الرقاع.

(٢) اليشكري: يشكر بن بكر بن وائل ومنهم الشاعر الحارث بن حِلّزة.

(٣) أخا أسد هو مصعب لأنه من أسد بن عبد العُزى من قريش.

(٤) عبيد الله بن قيس الرُّقيّات بن شُريح بن مالك بن ربيعة بن وُهَيب بن ضباب بن حُجَير =

[من الطويل]

لقــد أورث المِصرين خزياً وذِلّــةً قتــيلٌ بدير الجــاثِــليق مُقــيمُ
فما قاتَلت في اللهِ بكــرُ بنُ وائــلٍ ولا صبَرَت عنــد الــلّقــاءِ تميمُ

في أبيات. وقال ابن قيس أيضاً:

[من مجزوء الرجز]

إنّ الــرزيَّة يومَ مَســ ــكِــنَ والمُصيبــةَ والـفجيعَــه
بابــن الحــواريِّ الّــذي لم يعــدُهُ يومُ الــوقــيعــهْ
يالهــفــتي لو أنّ لي بالــدَّيرِ يوَم الــدَّيرِ شيعــهْ[1]

وقال الأُقيشر الأسدي[2] :

[من الطويل]

حمى أنفَهُ أن يقبُل الضَّيم مصعبٌ فمات كريماً لم تُذمَّ خلائــقُــه
ولـو شاء أعطى الضَّيم من رام هضمهُ فعــاش ملومــاً في الرِّجالِ طرائقُه

= بن عبد بن مَعيص بن عامر بن لؤي بن غالب بن فِهر الذي هو قريش لقب عبيد الله بن قيس الـرّقيّات لأنه شبب بثلاث نسوة سمين جيعاً رُقية. وكان زبيري الهوى وخرج مع مصعب بن الزبير ولما قتل دخل البصرة واستخفى عند امرأة لايعرفها ولاتعرفه سنةَ وهي لاتسأله عن شيء إلى أن سمع نداء يقول من آواه برئت الذمة منه فأراد الرحيل فقالت له لاتُـرع فهـذا النداء منذ سنه ثم أتته براحلتين وعبد ونفقة المسير وقالت هذا لك فوصل المـدينة واستجار بعبد الله بن جعفر فقال له: ماأحرصهم على الظفر بك ثم كتب إلى أم البنين بنت عبد العزيز امرأة الوليد بن عبد الملك وإلى أبيها أن يشفعا له عند عبد الملك. ودخل عبد الملك على أم البنين حسب عادته كل يوم يسألها ألك حاجة، قالت نعم قال كل حاجـة لك مقضيـة إلا أن تكـون ابن الـرقيات. فقالتلا تستثنِ عليّ شيئاً فنفخ بيده فأصاب خدها فوضعت يدها على خدها فنظر إليها وقال ولو كان ابن الرقيات هو قالت هو ذاك فأمنه. وذكرها الديوان وهي ثمانية أبيات. ص: ١٩٦ ط: صادر بيروت.

(١) ذكرها الديوان. ص: ١٨٤ وهي سبعة أبيات.

(٢) الأقيشر واسمه المغيرة بن عبيد الله بن الأسود بن وهب بن ناعج بن قيس بن سعد بن عمرو بن أسد بن خزيمة كان شاعراً سكيّراً ماجناً.

ولكن مضى والمـوت يـوَقَّ خالُـهُ | يُســاورهُ مرّاً ومــرّاً يعــانــقُــه[1]
فولّى كريماً لم تَنـلهُ مذلَّـةٌ | ولم يكُ وغــداً تطبُّــيهِ نمارقُــه[2]

وقال عرفجة[3] بن شريك أحدُ بني قيس بن ثعلبة:

[من البسيط]

مالابـنِ مَروان أعمى اللهُ ناظـرَهُ | ولا أصــابَ رغيبــاتٍ ولا نفــلا
يرجــو الفـلاحَ ابنُ مروانٍ وقـد قَتلتْ | خيلُ ابنِ مروانَ خِرقاً ماجـداً بطلا[4]
يابنَ الحـواريِّ كم من نعمةٍ لكُمُ | لو رامَ غيركُـمُ أمثـالَهـا شُغِـلا
حُمِّلتــمْ فَحـمـلتُـم كُلَّ مُعضـلةٍ | إنَّ الكـريـم إذا حمّلتـهُ احتمــلا

وقال الحارث بن خالد المخزومي[5]:

[من البسيط]

هلّا صَبرتُم بني السُّوداء أنفسَكمُ | حتّى تموتــوا كما ماتت بنــو أُسـدِ

يعني بني خالد بن أسيد[6].

وقال سويد بن منجوف السدوسي[7] من أهل البصرة يُحذِّر مصعباً غدر أهل الكوفة:

---

(١) بوق: البائقة الداهية ـ اللسان ـ وفي الطبعة العبرية يبرق خطأ.

(٢) وغداً في الأصل وفي الطبعة العبرية رغداً بالراء المهملة وهو خطأ.

(٣) عرفجة بن شريك بن الريّان بن عبد الله بن حُنيف ابن ثعلبة بن سعد بن قيس بن ثعلبة.

(٤) خِرقاً: الخِرق من الفتيان: الظريف في سماحة ونجدة ـ اللسان ـ

(٥) الحارث بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عُمر بن مخزوم، كان من شعراء قريش الخمسة ولي مكة لعبد الملك بن مروان.

(٦) خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد صاحب يوم الجفرة بالبصرة فهرب خالد وأصيبت عين مالك بن مِسمَع وكان معه فهرب أيضاً. وهذه الجملة ساقطة من الطبعة العبرية.

(٧) سويد بن منجوف بن ثور بن عُفير بن زهير بن كعب بن عمرو بن سدوس بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة.

[من الوافر]

ألا أبلغ مصعباً عنّي رسولاً[1] ... ولن تلقى النصيحَ بكلِّ وادِ

تعلَّم أنَّ أكثر من تُناجِني ... وإن أدنيتهم فهُم الأعادي

وقال الأقيشر في أبيات له ويقال ابن الزُّبير:

[من الطويل]

مَنْ كانَ أمسى خائِناً لأميرِهِ ... فما خانَ إبراهيمُ في الحربِ مُصعبا

وقال موسى شهواتٍ[2]:

[من الخفيف]

قد مضى مُصعبٌ فولَّى حميداً ... وابنُ مروان آمن حيثُ سارا

مُصعبٌ كان منك أورى زِناداً ... حين تَغشى القبائلُ الأقتارا

وقال سالم بن وابصة الأسدي[3]:

[من الرجز]

أبلغ أميرَ المؤمنينَ رسالةً ... ليس المُبلِّدُ كالجوادِ المُسهبِ

لاتجعلنَّ مؤنَّثاً ذا سُرَّةٍ ... ضخماً سُرادقُه وطيء المركبِ

يغدو إذا ماالحربُ أُطفىء نارُها ... ويروحُ مَزهوّاً عظيمَ الموكبِ

كأغرَّ يتَّخِذُ السيوفَ سُرادقاً ... يمشي برايته كَمَشْيِ الأنْكَبِ

ومُشَهَّرٍ في الحرْبِ فَرَّجَ سَيْفُهُ ... غَمَراتِ مَخْشِي الردَى مُتَهَيَّبِ

فاذكُر ولا تجعل بلاءَ محمدٍ ... والخاذِليهِ لدى الحروب كجُندبِ

يُدعى إذا ماالحيسُ أُحسنَ أُدمُهُ ... وإذا تكونُ عظيمةٌ لم يُندبِ

والى ابنُ مروانَ الأغرُّ محمدٌ ... بينَ ابنِ أشترهم وبينَ المُصعبِ

نفسي فِداؤك يوم ذلك من فتىً ... يكفي بمشهدِهِ حُضورَ الغُيَّبِ

وهي في ديوانه طويلة.

---

(١) هذا الشطر مكسور ويصح لو قلنا فبَلِّغ مصعباً عنّي رسولاً.

(٢) هو موسى بن يسار مولى قريش ولُقّب شهوات لأنه كان سؤلاً مِلحفاً وكان في أيام دولة بني أمية.

(٣) سالم بن وابصة بن عتبة بن قيس بن كعب بن بهد بن سعد بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة.

المدائني قال: سار مصعبُ وحوله نفر يسير وقد خذله أهل العراق لِعِدَة عبد الملك إياهم، وعَدَ حجّار بن أبجر ولاية أصبهان، ووعدها غَضبان بن القَبَعثرى، وعتّابَ بن ورقاء، وقطنَ بن عبد الله الحارثي، ومحمد بن عُمير بن عُطارد.

قال: وقال عروة بن المغيرة: خرج مصعب يسير فوقعت عينه عليّ، فقال: ياعروة كيف صنع الحسين، فأخبرته بإبائه النزول على حكم ابن زياد وعزمه على الحرب، فقال:

[من الطويل]

فإنَّ الأُلى بالطفِّ من آلِ هاشمٍ تأسَّوا فسنُّوا للكرامِ التأسِّيا

والبيت لسليمان بن قَتَّة.

قال: وقال قيس بن الهيثم لأهل البصرة: ويحكم لاتُدخلوا أهل الشام عليكم، والله لئن تَطْعموا بعيشكم لَيُضيِّقُنَّ منازلكم ادفعوهم عن داركم. فوالله لقد رأيت سيّد أهل الشام على باب الخليفة يفرح بأن أرسله في حاجة، ولقد رأيتنا في الصوائف وإنَّ زاد أحدنا على عدّة أجمال وإن أحدهم ليغزو على فرسه وزادُه خلفه.

قال: والتقى القوم فقُتل مسلم بن عمرو الباهلي وقتل يحيى بن مُبشّر أحد بني ثعلبة بن يربوع فقال جرير:

[من الكامل]

صلّى الإلهَ عليكَ يابنَ مُبشّرٍ إمّا ثويتَ بُملتقى الأجنادِ

مأوى الضَّريكِ إذا السنون تتابعت وفتى الطعانِ عَشيَّةَ العصوادِ

والخيلُ ساطعةُ الغبار كأنها قَصبٌ تُحرّقُ أو رعيلُ جَرادِ[1]

---

(١) في ديوان جرير طبعة دار المعارف ج: ١ ص: ٤٤٤ بدلاً من إما ثويت: أنى قتلت وبدلاً مأوى الضريك: مأوى الجياع، والضريك: السيء الحال الفقير، وفي المخطوط: كأنه وفي الطبعة العبرية كأنها.

٩٣ ـ ماقيل في عبد الملك والمصعب.

قالوا: ولما أُخبر ابنُ خازم بمسير مصعب يريد عبد الملك، قال: أمعه عُمر ابن عبيد الله بن معمر؟ قالوا: لا استعمله على فارس، قال: أفمعه المهلّب؟ قيل: لااستعمله على الموصل، قال: أفمعه عبّاد بن الحُصين؟ قيل لا استعمله على البصرة، قال: وأنا بخراسان.

[من الطويل]

خُذيني فجرِّيني ضِباعُ وأبشري   بلحمِ امرىءٍ لم يشهدِ اليومَ ناصِرُهْ

وقال ابن الكلبي: لما أُخبر بأن ابن معمر والمهلّب غائبان عن المصعب، قال:

[من الطويل]

فلوبهما حكَّت رحا الحرب بركَها   لقاما ولو كانَ القيامُ على رِجلِ

وحدثني العمري عن الهيثم بن عديّ عن عَوانة، قال:

قال عبد الملك يوماً لجلسائه، من أشدّ الناس؟ قالوا: أمير المؤمنين، قال: اسلكوا غير هذه الطريق، قالوا: عُمير بن الحُباب، قال: قبّح الله عُميراً لِصّ، ثوبٌ ينازع عليه أعزُّ عنده من نفسه ودينه، قالوا: فشبيب، قال:

إن للحرورية طريقاً، قالوا: فمن؟ قال: مصعبٌ كانت عنده عقيلتا قريش سُكينة بنت الحسين وعائشة بنت طلحة، ثم هو أكثر الناس مالاً، جعلتُ له الأمان وضمنتُ أن أولّيه العراق وعلم أني سأفي له لصداقةٍ كانت بيني وبينه، فأبى[1] حتى قتل وحمى أنفاً وقاتل حتى قُتل.

فقال رجلٌ: كان يشرب الشراب، قال: ذاك قبل أن يطلب المروءة، فأمّا مُذ طلبها فلو ظنّ أن الماء ينقص من مروءته ماذاقه.

---

(١) فلو أضاف عبد الملك الرابعة وهي: وقد علم أن جيشه خذله لكان أعظم.

وقال المدائني: أُتي عبدُ الملك بجيفة مصعب فجعل ينظر إلى جسده، ويقول: متى تغذو النساء مثلك على نفاقك، وكانت على رأسه جاريةٌ تذبُّ عنه فبدا لها ذَكَرُه، وأول مايعظُمُ من الميت ويستمدّ جُردانهُ، فقالت: ياسيدي ماأعظم أيور المنافقين، فقال: اغربي قبّحك الله.

حدثنا أبو بكر الأعين ثنا أبو نُعيم الفضل بن دُكين، حدثني عبد الله بن الزبير وهذا أبو أبي أحمد الزّبيري عن عبد الله بن شريك العامري[1]، قال:

إني لواقف إلى جنب مصعب فأخرجت إليه كتاباً من قبائي، فقلت: هذا كتاب عبد الملك فقال: اصنع ماشئت، وأخذ رجلٌ من أهل الشام جاريةً له فصاحت: واذُلّاه فنظر إليها فأعرض عنها.

قال أبو نُعيم: وقُتل مصعب وهو ابن ستٍ وثلاثين سنةً.

وقال الهيثم عن ابن عيّاش: استأمن زيادُ بن عمرو العتكي لإسماعيل بن طلحة وقال: إنه كان يدفع شرّ المصعب عني فأمّنه، فدنا فصاح به وكان زيادٌ ضخماً فأتاه وكان إسماعيل نحيفاً فضرب بيده إلى منطقته وكانت مناطقهم حواشي محشوّةً فاقتلعه من سَرجه، فقال: أنشدك الله أبا المغيرة فإنّ هذا ليس بوفاءٍ لمصعب، فقال زياد: هذا والله أحبُّ إليّ أن أراك غداً مقتولاً.

قال: وخرج عبيد الله بن زياد بن ظبيان وداودُ بن قَحذمٍ القيسي وبسطام بن مصقلة بن هبيرة الشيباني وعمرو بن ضبيعة إلى عبد الملك برأس إبراهيم بن الأشتر.

وقال الهيثم: لما قَتل عبد الملك مصعباً نزل النخيلة أربعين ليلة فوجّه الحجاج إلى عبد الله بن الزُّبير، وولّى بِشراً الكوفة، وولّى خالد بن عبد الله بن خالد بن أسِيد البصرة[2]، ووجّه أميّة إلى أبي فُدَيك فهزمه فقدم البصرة في ثلاث، فوجّه

---

(١) العامري: أي من بني عامر بن لؤي ابن غالب بن فِهر الذي هو قريش.

(٢) خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد هو صاحبُ يوم الجفرة بالبصرة كما مرّ سابقاً.

عبد الملك عُمر بن عبيد الله بن معمر إلى أبي فُدَيك ووجّه معه ابن عِضاهٍ الأشعري وأفرشه ديوان المِصرين فانتخب منه، فقتل أبا فُديك وكتب بالفتح إلى بشر بن مروان، فقال العجّاج[1]:

[من الرجز]

لَقد شفاكَ عُمرُ بنُ مَعمرِ من الحروريّين يومَ العسكَرِ
وَقعُ امرىءٍ ليس كوقعِ الأعورِ

يعني عبد الله بن عُمير الليثي وكان وُجّه إلى نجدة فلم يصنع شيئاً.

وقال غير الهيثم: وجّه خالد أخاه أميّة، ووجّه عبد الملك إبراهيم بن عربي إلى اليمامة أميراً عليها، فخرج عليه نوح بن هبيرة وكان معه من أهل الشام ألف فقتلهم.

المدائني قال: قال عبد الملك: لله مصعب لو كان لأخيه سخاؤه وله شجاعة أخيه، وشدّة شكيمته ماطُمع فيهما، على أن مصعباً كان شجاعاً أبيّاً لقد أعطيناه أماناً لو قبله لوفينا له به. ولكنه آثر الموت صابراً عن الحياة.

وحدثني الحِرمازي عن أبي زيد عن أبي عمرو بن العلاء قال:

ذكر رجل مصعباً عند عبد الملك فوقع فيه وصغّر شأنه، فقال عبد الملك: اسكت فإن من صغّر مقتولاً صغّر قاتلَه.

حدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه عن عوانة عن رجل من أهل مكة، قال:

لما أتى عبدَ الله بن الزبير مقتلُ مَصعب أضرب عن ذكره أياماً، ثم تحدث به الإماء بمكة في الطريق، ثم صعد المنبر فجلس عليه مليّاً لايتكلم، وإذا الكآبة بادية في وجهه وجبينه يرشح عَرقاً، قال: فقلت لصاحب لي: ألا تَراه، أتُراه يهاب المنطق، والله إنه لخطيبٌ جريءٌ، فما تظنّه تهيّب؟ قال: أراه يريدُ ذكر مصعب سيد العرب فهو يفظع ذكره، ثم قام فقال: الحمد لله الذي له الخَلق والأمر ومُلك الدنيا

---

(١) العجّاج الراجز هو عبد الله بن رؤبة بن لبيد بن صخر بن كَثيف بن عَميرة بن حُيي بن ربيعة بن سعد بن مالك بن سعد بن زيد مناة بن تميم.

والآخرة يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعزّ من يشاء ويُذلّ من يشاء بيده الخير وهو على كل شيء قدير، ألا وإنه لم يُذَلّ امرؤٌ كان معه الحق وإن كان فرداً ولم يُعزّ أحدٌ من أولياء الباطل ولو كان الناس معه طُرّاً. إنّه أتانا خبر من العراق حزّننا وأفرَحنا وساءنا وسَرّنا، أتانا قتلُ مصعب بن الزبير رحمه الله، فأما الذي حزّننا من ذلك فإنّ لِفراق الحميم لوعةً يجدها حميمُه عند المصيبة ثم يرعوي ذو الرأي والدين والحِجَى والنُّهى إلى جميل الصبر وكريم العزاء، وأمّا الذي سرّنا من ذلك فإنا قد علمنا أن قتله شهادةٌ وأن الله جاعلٌ ذلك لنا وله خِيرة، إن أهل العراق أهل الغدر والنفاق أسلموه وباعوه بأقل ثمن وأخسّه فقُتل، وإن قُتل فمَه قد قتل أبوه وعمّه[1] وهما من الخيار الصالحين، إنّا والله مانموتُ حَبَجاً مانموت إلا قتلاً قعصاً بأطراف الأسنة وظُباة السيوف، ليس كما يموت بنو مروان في حِجالهم[2]، فوالله ماقُتل منهم رجل قطّ في جاهلية ولا إسلام، ولئن ابتُليت بالمصيبة بمصعب لقد ابتليت قبله بالمصيبة بإمامي عثمان بن عفّان، ألا وإنما الدنيا عاريةٌ مِن الملك الجبار الذي لايزول ملكه ولا يبيد سلطانه، فإن تقبل عليَّ لا آخذها أخذ الأشِرِ البَطِرِ وإن تدبر عني لا أبكي عليها بكاء الخَرِف الهَتِر[3] ثم نزل وهو يقول:

[من الطويل]

خُذيني فجرّيني ضُباعُ وأبشري ... بلحم امرىءٍ لم يَشهَدِ اليومَ ناصرُه

قالوا: وتمثّل عبد الله حين قُتل مصعبٌ.

[من البسيط]

لقد عَجِبتُ ومابالدَّهر من عَجبٍ ... أنّى قُتلتَ وأنت الحازمُ البطلُ

وقال عبد الملك: إن عبد الله بن الزبير لو كان خليفةً كما يقول لخرج فآسى بنفسه ولم يغرز ذنبه في الحَرَم، ثم قال: لله درّك يامصعب ماكان أسخى نَفسك بنَفسك.

---

(١) يقصد بعمه السائب بن العوام قتل يوم الرّدة باليمامة.

(٢) الحجلة: القبة التي تنام فيها العروس مع زوجها.

(٣) الهَتِر: الهتر: مَزق العرض. والمستهتر: لايبالي ماقيل فيه ولا ماقيل له ولا ماشُتم به. اللسان.

وقال أعشى همدان[1] وهو عبد الرحمن بن الحارث بن نطام قصيدة طويلة أولها:

[من الطويل]

ألا مَنْ لِهم آخـرَ الـلّيلِ مُنصبِ ... وأمـرٍ جليلٍ فادحٍ لي مُشـيِّبِ

وفيها:

ألا بهلةُ الـلهِ الّـذي عزّ جارُهُ ... على الغـادرين الـناكثينَ بمُصعَب

جَزى اللهُ حجّـاراً هنـاكَ مَلامـةً ... وفـرخَ عُمـيرٍ من مُنـاجٍ مُؤلّب

ومـاكـان عتّـابٌ له بمُنـاصحٍ ... ولا كان عن سعيٍ عليهِ بمُغـرب

ولا قَطنٌ ولا ابنُـهُ لم يُنـاصِحـا ... فَتبّـاً لسعيِ الحـارثيِّ المُخبَّب

وضَـاربهُم يحيى وعيسى ذَمـامـةً ... وضـاربَ تحتَ السّـاطعِ المُتنصِّب

وأدبـرَ عنـهُ المـارقُ ابنُ القبعثَرى ... فما كانَ بالحـامـي ولا بالمُـذبِّـب

ولا الـعَـتـكـيُّ إذ أمـالَ لواءهُ ... فولّى بهِ عنـهُ إلى شرِّ مَوكـب

ولا ابنُ رُويمٍ لاسقى الغيثُ قبرهُ ... فبـاءَ بجدعٍ آخـرَ الـدهرِ مُوعب

ومـاسرَّني من هيثمٍ فعـلُ هيثمٍ ... وإن كان فينـا ذا غنـاءٍ ومنصب

ولا فعـلُ داودَ الـقـليلِ وفـاؤُهُ ... فقـد ظلَّ محمـولاً على شرِّ مركب

ولكن على فيّاض بكـرِ بن وائـلٍ ... سأثني وخـيرُ القـولِ مالم يكـذَّبِ

يعني بفرخ عمير: محمـد بن عمـير بن عُطارد، ويعني بالهيثم، الهيثم بن الهيثم بن الأسود بن الهيثم النخعي، ويعني بفيّاض بكرٍ: عِكرمة بن ربعي من بني تيم الله بن ثعلبـة بن عُكابة، وكان جواداً، ويعني بعيسى: عيسى بن مصعب، وبيحيى: يحيى بن مُبشّر اليربوعي من بني تميم، ويعني بحوشب[2]: حوشب بن

---

(1) أعشى همدان: هو عبد الرحمن بن الحارث بن نظام بن جُشم بن عمرو بن مالك بن عبد الحيّ بن زيـد بن حرب بن قيس بن عامـر ابن مالك بن جُشم بن حاشد بن جُشم بن خيران بن نَوف بن أوسلة الذي هو همدان.

(2) هكـذا في الأصـل وفي الـطبعة العبرية ولم يُذكر في الشعر حوشب وكان يجب أن يقول: ويعني يابن رويم: حوشب وهو سهو من الناسخ والله أعلم.

يزيد بن رويم، ويعني بداود: داود بن قحذَم.

وقال أبو السفّاح من ولَدِ عَميرة بن طارق اليربوعي:

[من السريع]

صلّى على يحيى وأشياعهُ ربٌّ غفورٌ وشفيعٌ مُطاع
ياسيّداً ماأنتَ من سيّدٍ مُوطّإ الرَّحلِ رحيبُ الذِّراعْ
قوّالِ معروفٍ وفعّالهِ عقّارِ مثنى أُمّهاتِ الربّاع[1]

وقال المدائني: كان أبو العباس الأعمى يهجو آل الزبير ويمدح مصعباً من بينهم، ويمدح بني أميّة، وكان عثمانياً، فقال له عبدُ الملك: أنشدني شعرك في مصعب فإنّا لانتهمك، فأنشده:

[من الخفيف]

رحِمَ اللّهُ مُصعباً إنّه عا ش جواداً وكان فينا كريما
طلب المُلكَ ثم مات فقيداً لم يعش باخلاً ولا مَذموما

فقال عبد الملك: صدقت والله كذا كان.

وقال هشام بن الكلبي: تزوّج مصعب فاطمة بنت عبد الله بن السائب أحد بني أسد بن عبد العُزّى، فولدت له عيسى بن مصعب وعُكاشة، فقتل عيسى يوم دُجيل، ونجا عكاشة بنفسه، فقال الشاعر: [من الطويل]

ولو كانَ صُلبَ العُود أو ذا حفيظةٍ رأى مارأى في الموت عيسى بنُ مُصعبِ

المثبت أنّ البيت قيل في حوشب بن يزيد بعد هذه الأيام، وهو:

ولو كان حُرّاً حَوْشَبٌ ذا حَفِيظةٍ رأى ما رأى في الموت عيسى بن مصعب

وقالوا: قال عوانة: اشترط زُفر في صلحه ألا يقاتل مع عبد الملك وابن الزبير حيّ، ولم يدخُل الهذيل في الشرط، فلما سار عبد الملك إلى مصعب سار الهُذيل بنُ زُفر معه. ثم تحوّل إلى مصعب وقاتل مع إبراهيم بن الأشتر يوم دُجَيل، فلما قُتل

(١) مثنى: اثنين اثنين والرباع جمع رُباع وهو الفصيل الذي ولِدَ في الربيع ـ اللسان ـ

استخفى بالكوفة في قومه، ثم إنّ زُفر طلب له الأمان فأمّنه عبد الملك وبايعه. ويقال إنه قدر عليه بغير أمان، فقال له عبدُ الملك: ماظنّك بي؟ قال: ظنّي أنك قاتلي، قال: فقد أكذَبَ اللهُ ظنّك، بل قد عفوتُ عنك وكان يحبّه لشجاعته.

قالوا: وبويع عبد الملك بدير الجاثليق، ودُفنت جثّة مصعب هناك فقبره معروف بمسكن بقرب أُوَانا ويعرف موضع عسكره ووقعته بخربة مصعب وبصحراء مصعب. وزعموا أنّها لاتُنبت شيئاً.

وبعث عبد الملك برأس مصعب إلى الكوفة وحمله معه، ثم بعث به إلى عبد العزيز بمصر فلما رآه وقد حذا[1] السيف أنفه، قال: رحمك الله أما والله لقد كنت من أحسنهم خَلقاً وأشدّهم بأساً، وأسخاهم نفساً، ثم ردّ برأسه إلى الشام فنُصب بدمشق وأرادوا أن يطوفوا به في نواحي الشام، فأخذته عاتكة بنت يزيد بن معاوية وهي أمّ يزيد ابن عبد الملك، فغسلته وطيّبته ودفنته، وقالت: أما رضيتم بأن صنعتم ماصنعتم حتى تطوفوا به وتنصبونه في المدن، هذا بغي.

قالوا: وكان محمد بن مروان أخذ جارية لإبراهيم بن الأشتر كرديّة فواقعها فولدت على فراشه مروان بن محمد الجعدي، فلذلك قيل لمروان ابن أمةِ النّخع.

---

(١) حذا المجلد: قطعه.

عمل عبد الملك بالكوفة بعد مقتل مصعب.

٩٤ ـ وحدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه عن جدّه وأبي مخنف:

إن مصعب بن الزبير قتل في سنة اثنتين وسبعين، فشخص عبد الملك إلى الكوفة وجعل على شُرطه قطن بن عبد الله بن الحُصين الحارثي، فكان قائماً بأمرها ثم ولّاها عبدُ الملك بِشرَ بن مروان، وولى خالد بن عبد الله بن خالد بن أسِيد البصرة، وكان قطن عثمانياً، لم يَمِل إلى عبد الملك أحدٌ مَيله.

ومضى عبد الملك إلى الشام، ثم إنه جمع العراقين لبشر. فأتى البصرة فأقام بها أربعة أشهر، ويقال ستة أشهر ويقال سنة[1] وهو عليل ومات.

فولّى عبدُ الملك الحجّاج العراق ومات عبد الملك في سنة ست وثمانين، فكانت ولايته بعد قتل مصعب أربع عشرة سنةً.

وقال أبو اليقظان عاش عبد الملك بعد قتل المصعب أربع عشرة سنةً.

المدائني عن مسلمة بن محارب وعوانة:

أن عبد الملك قدم الكوفة حين قُتل المُصعبُ فقال للهيثم بن الأسود: كيف رأيت الله صنعَ؟ قال: صنع ياأمير المؤمنين خيراً فخفّف الوطء وأقلّ التثريب، فوالله مانِيل فضلٌ قطّ إلا بعفو وصبر واحتمال.

وتقدّم رجلٌ من الأنصار فأنشده:

[من السريع]

اللهُ أعطاكَ الّتي مافوقَها وقد أرادَ المُلحدونَ عَوقَها

عنكَ ويأبى اللهُ إلّا سوقَها إليكَ حتّى قلّدوكَ طوقَها

وحمّلوكَ ثِقلَها وأوقَها[2]

---

(١) ويقال سنة: ساقطة من الطبعة العبرية.

(٢) أوقها: مشقّتها ومكروهها.

قالوا: وهيأ عمرو بن حُريث وكان خليفة المصعب على الكوفة حين شخص إلى مسكن، وكان مائلاً إلى عبد الملك وقد كاتبه فيمن كاتبه، لعبد الملك طعاماً. فدخل عبد الملك قصر الكوفة من النُخيلة. فقال له عمرو: تأذن لخاصّتك أم تجعله إذناً عامّاً؟ قال: بل أجعله إذناً عامّاً، فأذن للناس ووُضعت الموائد فأكل عبد الملك وأكلوا، ويقال إن عبد الملك أجلس عمراً معه على المائدة، فقال له: أي الطعام أحبّ إليك وأطيب عندك؟ فقال: عَناقٌ[1] حمراء قد أُجيد تمليحها وأحكم نضجها. فقال عبد الملك: ماصنعت يابا سعيد رحمك الله شيئاً، فأين أنت عن عُمرُوس[2] راضع قد أجيد سَمطُه وأُحكم شيُّه إذا اختلجت منه عضواً تبعك العُضو الذي يليه.

فلما فرغوا من طعامهم أقبل بدءاً عبد الملك يدورُ في القصر ومعه عمرو بن حُريث وجعل يسأله عمّا أحدَث فيه رجلٌ رجلٌ ويسأله أيضاً عمّا أشرف عليه من قصور الكوفة، فيقول: هذا لفُلان وهذا لفُلانٍ، وأحدث هذا فُلان، وجعل عبد الملك يُنشده:

[من الطويل]

فكلُّ جَديدٍ ياأميمَ إلى بِلىً ... وكلُّ امرىءٍ يوماً يصيرُ إلى كان

ثم استلقى على فراشه وأنشد:

[من الرجز]

اعمَل على مهلٍ فإنّك ميّتٌ ... واكدح لنفسكَ أيُّها الإنسانْ

فكأنّ ماقد كانَ لم يكُ إذ مضى ... وكأنّ ماهُو كائنٌ قد كانْ

---

(1) عَناقْ: الأنثى من أولاد المعزى إذا أتت عليها سنة.

(2) عُمروس: الحَمَل ـ اللسان ـ

وقال بعضهم: إن عبد الملك أمر فاتُّخِذ له الطعام ووضعت الموائد، فجاء عمرو بن حُريث يترأبَلُ[1] في مشيته فاستدناه وأكل معه وسأله عن أطيب الطعام، فأجابه بما ذكرنا وإن الطعام كان بالخورنق.[2]

قال: فلما أكل عبد الملك وأكل الناس، أقبل يطوف ويسأل عمراً عن الخورنق وعما أشرف عليه من الأبنية فيخبره بذلك، ثم أنشد الشعر:

وولّى عبد الملك الحجاجَ بن يوسف محاربة عبد الله بن الزبير وأنفذه من الكوفة.

وقال ابن الكلبي والهيثم بن عدي وغيرهما:

لما دخل عبد الملك الكوفة قصد المسجد فخطب خطبةً ذكر فيها صُنع الله له ووعد المحسن وتوعّد المُسيء وقال: إن الجامعة التي وُضعت في عنق عمرو بن سعيد عندي، والله لا أضعُها في عنق رجلٍ فانزعُها إلا صُعُداء لا أفكّها عنه فكّاً فلا يُبقينّ امرؤٌ إلّا على نفسه ولا يولغْني دمه.

المدائني قال: دعا عبد الملك بالنخيلة إلى البيعة فجاءت قضاعةُ فرأى قلّتها. فقال: يامعشر قضاعة كيف سلمتم من مضر[3] مع قلّتكم؟ فقال عبد الله ابن يعلى النهدي[4]: نحن أعزُّ منهم وأمنعُ، قال: بمَن؟ قال: بمَن معك ياأمير

---

(١) يترأبل: أي يمشي مشية الرئبال والرئبال من أسماء الأسد ـ اللسان ـ

(٢) الخورنق: قصر كان بظهر الكوفة بناه أحد ملوك الحيرة والذي بناه سنهار ـ معجم البلدان ـ وأنا أرجّح القول الثاني لأنه يوافق ماتوحي به أبيات الشعر التي أنشدها عبد الملك.

(٣) كلب أصحاب مرج راهط من قضاعة وقيس الذين قُتلوا بمرج راهط من مضر.

(٤) النهدي: أي من نهد اللات بن أسد بن وبَرَة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة.

المؤمنين[1]. ثم جاءت مذحِج وهمدان، فقال: ماأرى لأحدٍ مع هؤلاء بالكوفة شيئاً، ثم جاءت جُعفى فلما رآهم قال: يامعشر جُعفى اشتملتم على ابن أختكم وواريتموه يعني يحيى[2] بن سعيد بن العاص؟ قالوا: نعم قال: فأتوني به. قالوا: وهو آمن؟ قال: وتشترطون أيضاً! قالوا: إنا والله مانشترط جهلاً بحقك، ولكنا نتسحّبُ عليك تسحّب الولد على والده. قال: أما والله لنعم الحيّ أنتم إن كنتُم لفُرساناً في الجاهلية والإسلام، نعم هو آمن فجاءوا به فقال له: وكان يُكنى أبا أيوب (ياباأيوب) بأي وجه تلقى ربّك وقد خلعتني، قال: بالوجه الذي خَلَق فَسوّى فقال عبد الملك: لله دره أيّ ابن زَومَلة هو، يعني عربيّة.

وتقدّم رجلٌ من عَدوان[3]، فقال له: من أنتَ؟ قال: من عَدوان، فقال عبد الملك:

[من الهزج]

عذيرَ الحيِّ من عَدوا	نَ كانوا حيَّةَ الأرضِ
بغى بَعضُهمُ بَعضاً	فلم يَرعَوا على بَعضِ
ومنهم كانتِ الساداْ	تُ والموفونَ بالقَرضِ

---

(١) هذا يدل على أن قضاعة كانت كثيرة في جيش عبد الملك.

(٢) أم يحيى بن سعيد العالية بنت سلمة بن يزيد بن مشجعة بن المجمّع بن مالك بن كعب بن سعد بن عوف بن حَريم بن جُعفى بن سعد العشيرة. ولذلك قال لهم ابن أختكم فارجع الخؤلة إلى الجد الأكبر جعفى وهذه عادة من عادات العرب مازالت سارية حتى الآن.

(٣) عَدْوان عدا على أخيه فهم فقتله فسمي عدوان واسمه الحارث بن عمرو اسمه جديلة بن قيس بن عيلان وهو من جديلة التي هي تنسب إليها عدوان يعني من عمرو الذي اسمه جديلة وهو معبد بن خالد بن ربيعة بن مُرير بن جابر بن ناصرة بن عمرو بن سعد بن علي بنْ رُهم ابن ناج بن يشكر بن عدوان وكان صحب مصعب بن الزبير وولاه عبد الملك الطرق ليمنع الميره عن عبد الله بن الزبير ولذلك يقال له مَعْبَد الطرق.

ثم قال للرجل: إيهِ، فقال: لا أدري، فقال مَعبَد بن خالد الجَدلي[1]:

ومنهم حَكَمٌ يقضي فلا يُنقَضُ مايَقضي[2]
ومنهم من يُجيزُ الحـ ـجَّ بالسُّنَّةِ والفَرضِ[3]

فقال للرجل: لِمَنْ هذا؟ قال: لا أدري، قال معبد: هو لذي الإِصْبَع[4] العدواني واسمه حُرثان بن مُحرّث ابن الحارث بن شباب. فقال للرجل: كم عطاؤك؟ قال: سبعمئة، وقال لمعبدَ: في كم أنت؟ قال: في ثلاثمئة. فأمر فحُطَّ الرجل أربعمئة وزِيدَها معبدٌ فصار في سبعمئة والآخر في ثلاثمئة، وقال: هذا لجهلك، ثم أوصى به[5] عبد الله بن إسحاق بن الأشعث، وقال لبشرٍ: اجعله في صحابتك.

---

(١) الجدلي: في قيس عيلان جديلة وفي طيء جديلة، وجديلة ابن أسد بن ربيعة بن نزار ـ الإكمال لابن ماكولا: ج٣: ص: ٥٨.

(٢) حكمٌ يقضي هو عامر بن الظرب العدواني كان من حكماء العرب لايعدل بفهمه فهماً ولايحكمه حكماً وفيه قيل المثل: إن العصا قرعت لذي الحلم: مجمع الأمثال للميداني طبعة مصر: ج: ١١ ص: ٣٨.

(٣) الذي كان يجيز الناس بالحج هو أبو سيّارةَ واسمه عُمَيلةُ بن الأعزل بن خالد بن سعد بن الحارث بن وابش بن زيد بن عدوان كان يدفع بالناس في الموسم في الجاهلية جمهرة النسب ج: ٢ ص: ١٨٢.

(٤) ذو الأصبع واسمه حُرثان بن محرّث بن الحارث بن شَباه بن ربيعة بن وهب بن ثعلبة بن ظرب بن عمرو بن عِياذ بن يشكر بن عدوان شاعرٌ عظيم.

(٥) أوصى أي أوصى بمعبد بن خالد، والأبيات ذكرها الأغاني. ج: ٣ ص: ٨٥.

وولّى عبد الملك قطنَ بن عبد الله الكوفة أربعين يوماً ثم عزله وولّى بشراً، وقال:

قد ولّيت عليكم بشراً وأمرته بالإحسان إلى محسنكم، واللين لأهل الطاعة والشدّة على أهل المعصية والرِّيبة منكم، فاسمعوا له وأطيعوا وأحسنوا مكانفته ومعاونته.

وولّى محمد بن عُمَير همذان، وحوشب بن يزيد بن رويم الريّ، وبعضهم يقول: ولّى يزيد بن رويم الريّ، وذلك وهمٌ لأن يزيد قُتل قبل الزبير بن علي الخارجي وخروج قطري وذلك قبل قتل مصعب، وقال بعضهم: ولّى الري وهمذان محمد بن عميرة وهو أشبه[1]، وفرّق العمّال ولم يَفِ لأحدٍ وعده بولاية أصبهان.

وقال المدائني: لجأ عبد الله بن يزيد بن أَسِيد إلى علي بن عبد الله بن العباس، ولجأ إليه أيضاً يحيى بن معيوف الهمداني، ولجأ الهُذَيل بن زُفَر بن الحارث وعمرو بن يزيد الحكمي[2] إلى خالد بن يزيد بن معاوية فأمّنهم عبد الملك بن مروان.

حدثني محمد بن سعد عن أبي نعيم ثنا يونس بن أبي إسحاق عن أبي إسحاق قال:
كنتُ أنا والأسود بن يزيد في الشُرَط أيام مصعب. قالوا: ولما أراد عبد الملك الشخوص إلى الشام خطب الناس. فعظّم عليهم حقّ السلطان. وقال لهم: هو ظِلُّ الله في الأرض. وحثّهم على الطاعة والجماعة وذكر ابن الزبير وخِلافه وخروجه مما دخل الناس فيه من بيعة يزيد وغيره وحكم الله له عليه، وقال: إنه لو كان خليفة كما يزعم لأبدى صفحته وآسى أنصاره بنفسه، ولم يغرز ذنبه في الحَرَم. ثم أعلمهم أنه ولّى مِصرهم أخاه بشراً وآثرهم به وأمره بالإحسان إلى مُحسنهم

(١) وهو أشبه: لم أفهم معناها إلا أن يكون هو أشبه بالقول السابق.

(٢) الحكمي: بطن وهو الحكم بن سعد العشيرة بن مذحج، وهو الذي شتم في المسجد أيام بيعة مروان رسول حسان بن بحدل إلى الضحاك بن قيس.

ومُطيعهم، والشدّة على أهلِ المعصية والريبة منهم، وأمرهم بالسمع والطاعة له وأن يحسنوا مؤازرته ومكانفته ويخفّوا لِمَا أهاب بهم إليه.

وولّى خالد بن عبد الله بن خالد بن أسِيد البصرة، وأنشدني محمد بن الأعرابي الراوية في بيعة عبد الملك لرجل من بَلقين[1]:

[من الوافر]

عَقَدنا بيعةَ الملكِ الهُمامِ ... بدَيرِ الجاثِليقِ على دُجَيلِ

سيحوي فَخرَها أهلُ الشآمِ ... عقدنا بيعةً لا إثمَ فيها

(١) بَلقَين وهو القين بن مالك الزنية وسماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الرُّشدَ بن مالك بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة.

بسم الله الرحمن الرحيم

أمر عبد الله بن الزبير في أيام عبد الملك ومقتله

٩٥ ـ قال الواقدي وغيره، لما بويع عبد الملك وهو بالشام بعث إلى المدينة عُروة بن أُنَيف في ستة آلاف من أهل الشام، وأمره أن لاينزل على أَحَدٍ ولا يدخل المدينة وأن يعسكر بالعَرْصَة ففعل، وكان عامل عبد الله بن الزبير على المدينة الحارث بن حاطب بن الحارث بن مَعْمرٍ الجُمَحِي ولاه إياها بعد عزل مُقَوِّم الناقة لتشاؤم الناس بمقَوّم الناقة وغلاء السعر في ولايته حتى بلغ مُدّ[1] النبي صلى الله عليه وسلم درهمين فهرب الحارث، وكان ابن أُنيف يدخل فيصلّي الجمعة بالناس ثم يعود إلى معسكره. فأقام وأصحابه شهراً لايبعث إليهم ابن الزبير أحداً ولم يلقوا كيداً. فكتب عبد الملك إلى ابن أُنيف ومن معه في القفول إلى الشام، فلم يتخلّف منهم أحدٌ. وكان يصلّي بالناس بعده عبد الرحمن بن سعد القَرَظِ، ثم عاد الحارث ابن حاطب إلى المدينة، ووجّه ابن الزبير سليمان ابن خالد الزرَقي من الأنصار وكان رجلاً صالحاً وجدّه ممّن شهد العقبة إلى الحارث وأمره بتوليته خيبرَ وفَدَك، فخرج سليمان فنزل في عمله.

وبعث عبدُ الملك عبدَ الواحد بن الحارث بن الحكم بن أبي العاص، ويقال عبد الملك بن الحارث بن الحكم وهو الثبت في أربعة آلاف إلى المدينة، فلما نزل أوّل عمل ابن الزبير مما يلي الشام هرب عماله، وسار عبد المُلك حتى نزل وادي القُرى، ووجّه منها خيلاً عليها أبو القمقام إلى سليمان بن خالد فوجدوه قد هرب فلحقوه فطلبوه حتى لحقوه فقتلوه ومن معه.

---

(١) المُدّ: ضربٌ من المكاييل وهو ربع صاع وهو قَدْرُ مُدّ النبي صلى الله عليه وسلم.

فلما بلغ ذلك عبد الملك اغتمّ وقال: قتلوا رجلاً مسلماً محرماً صالحاً بغير ذنب، ودخل عليه قبيصة بن ذُؤيب بن حلحلة بن عمرو الخُزاعي(١) وكان يتولى خاتم عبد الملك، وروح بن زنباع الجُذامي(٢) ، فنعاه إليهما فارتاعا لذلك وترحما عليه.

وعزل ابنُ الزبير ابنَ حاطب الجمحي(٣) ، وولّى مكانه جابر بن الأسود بن عوف الزهري(٤) . فوجّه جابر أبا بكر ابن أبي قيس في ستمئة وأربعين فارساً إلى خيبر فوجدوا أبا القمقام ومن معه وهم الخمسمئة الذين قتلوا سليمان الزرّقي مقيمين بفَدَك يعسِفون الناس ويأخذون أموالهم فقاتلوهم وانهزم أصحاب أبي القمقام وأُخذ منهم ثلاثون رجلاً أسرى فقتلهم أبو بكر صبراً، ويقال: بل قتل الخمسمئة أو أكثرهم.

وكان عبد الملك قد وجّه طارق بن عمرو مولى عثمان بن عفّان، وهو الذي يقول فيه الشاعر:

---

(١) الخزاعي: خزاعة قبيلة من الأزد ولما رحلت الأزد من اليمن أنجزع عنهم عمرو بن ربيعة ونزل مكة فسمّي خزاعة وهو عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو مُزَيقياء بن عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرىء القيس البطريق بن ثعلبة البُهلول بن مازن الزاد بن دره (الأزد).

(٢) رَوْح بن زنباع بن روح بن سلامة بن حُداد بن حديدة بن أمية بن امرىء القيس ابن حماية ابن وائل بن مالك بن زيد مناة بن أفصى بن سعد بن إياس بن حَرَام بن عمرو الذي هو جذام بن عدي بن الحارث ابن مرة بن أدد.

(٣) جُمح: قبيلة من قريش واسمه تيم بن عمرو بن هُصيص بن كعب بن لؤي بن غالب بن قريش.

(٤) الزهري: قبيلة من قريش وهو زهرة بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤي.

[من الرجز]

ولـو تَكَـلَّمـنَ ذَمَمـنَ طارقـاً والـدهـرُ قد أمَّـرَ عبـداً آبقـا[1]

وأمره أن ينزل بين أيلة ووادي القُرى، فيمنع عمال ابن الزبير من الانتشار ويحفظ مابينه وبين الشام ويسدّ خللاً إن ظهر له. فوجّه طارقٌ إلى أبي بكر فاقتتلوا فأُصيب أبو بكر في المعركة، وأصيب من أصحابه أكثر من مئتي رجل، وكان ابن الـزبـير قد كتب إلى القباع أيام كان عامله على البصرة في البعث إليه بألفي رجل ليعينوا عامله على المدينة ويقيموا معه بها، فوجّه رجلاً في ألفين فكان مع جابر.

فلما قُتل أبو بكر بن أبي قيس كتب ابن الزبير إلى القادم من البصرة: يأمره أن يخرج في أصحـابـه فيلقى طارقـاً. وبلغ طارق الخـبر فسـار نحو المدينة فالتقيا بمـوضـع يعـرف بشبكـة الـدَوم، فقُتِل البصري وقُتل أصحابه قتلاً ذريعاً فطلب مُدبرهم وأجهز على جريحهم ولم يستبق أسيرهم، ولم ينج منهم إلا الشريد، فلما بلغ ابن الزبير مقتله، كتب إلى عامله على المدينة: يأمره أن يفرض لألفي رجل من أهل المدينة وماوالاها درءاً لها ففرض الفرض ولم يأته مال فبطل، فسُمّي ذلك الفرض: فرض الريح، قال الواقدي: ويقال إن هذا الفرض كان في ولاية ابن حاطب.

ورجـع طارق إلى وادي القـرى، فكان سيّارةً فيما بين المدينة ووادي القُرى وأيلة، وكان عامل ابن الزبير مقيماً بالمدينة، قال: وعزل ابن الزبير جابر بن الأسود وولّى في صفر سنة سبعين طلحة بن عبد الله بن عوف الذي يعرف بطلحة الندى، فلم يزل على المـدينـة حتى أخـرجـه طارق بن عمـرو، وقد قدمها يريدُ الحجّاج والحجّاج بمكة. وكان طارق حسن العفو والتقِيَّة له رفق.

---

(١) أبق: الإباق: هربُ العبيد من غير خوف ولا كدّ عَمل وهذا الحكم فيه الرد، فإذا كان من كدّ أو خوف لم يرد ـ اللسان ـ

قدوم الحجاج على عبد الله بن الزبير

٩٦ ـ قال الواقدي: لما قتل عبدُ الملك مصعبَ بن الزبير وأتى الكوفة وجّه منها الحجّاج بن يوسف إلى عبد الله بن الزبير في ألفين ويقال في ثلاثة ويقال في خمسة آلاف من أهل الشام وذلك في سنة اثنتين وسبعين، فلم يعرض للمدينة ولا طريقها وسار على الرَبَذة حتى أتى الطائف. فكان يبعث البعوث إلى عَرَفة ويبعث ابن الزبير إليه أصحابه فيقتتلون هناك وكلُّ ذلك تُهزم خيلُ ابن الزبير وترجع خيل الحجاج إلى الطائف.

وقال عَوانة بن الحكم: دخل عبد الملك بن مروان الكوفة حين قتل مُصعباً فأقام بها أياماً، ثم وجّه جيشاً لابن الزبير وهو بمكة واستعمل عليه الحجاج بن يوسف الثقفي. فأقبل عليه الهيثم بن الأسود النخعي، فقال له: ياأمير المؤمنين أوص هذا الغلام الثقفي بالكعبة ومُرْه أن لا يُنفّر أطيارها ولايهتك أستارها ولا يرمي أحجارها، وأن يأخذ على ابن الزبير بشعابها وفجاجها وأنفاقها حتى يموت فيها جوعاً أو يخرج عنها مخلوعاً. فقال عبد الملك للحجّاج: افعل ذلك واجتنب الحَرم وانزل الطائف.

فسار الحجاج حتى نزل الطائف، ثم إنه كتب إلى عبد الملك: إنك متى تدع ابن الزبير وتكفّ عنه ولا تأمر بزحمه ومصادمته يكثر عَدَده وعُدَده وسلاحه. فأْذَنْ لي في قتاله ومناجزته، فكتب إليه: افعل ماترى، فأمر أصحابه أن تجهّزوا للحجّ ثم أقبل من الطائف وقدّم مقدّمته فنصبوا المنجنيق على أبي قبيس فلما هبطوا إلى مِنىً رأى من في عسكر الحجاج المنجنيق منصوبة.

فقال الأُقَيبل[1] بن شهاب الكلبي وهو ينسب في القين بن جَسر، فيقال القَيني:

[من الطويل]

لعمرو أبي الحجاج لو خِفتُ ماأرى ... من الأمرِ ماأُلفيتُ تعذُلني نفسي

فلم أرَ جَيشاً غُرَّ بالحجّ قبلَنا ... ولم أرَ جيشاً مِثْلنَا غَيْرَ ما خُرس

يقول: لايتكلم ولا يُنكر.

خرجنا لبَيتِ اللّهِ نرمي سُتورَهُ ... وأحجارهُ زَفنَ الولائِدِ في العُرسِ[2]

دَلفنا له يومَ الثّلاثاءِ من مِنىً ... بجيشٍ كصدر الفيل ليس بذي رأسِ

فإلاّ تُرحنا من ثَقيفٍ ومُلكِها ... نُصلُ لأيامِ السَّباسِبِ والنَحسِ

فبلغ الحجّاج الشعر فطلبه ليقتله فهرب حتى لحق بدمشق فضرب على قبر مروان بن الحكم خيمةً مستجيراً به. فدعا به عبد الملك فلما صار بين يديه أنشده:

[من البسيط]

إني أعوذُ بقبرٍ لست مُخفِرَه ... ولا أعوذُ بقبرٍ بعدِ مروانا

---

(١) جاء عند ابن الكلبي في النسب الكبير. ج: ٢ ص: ٤١٦ اسمه الأفتل الشاعر وهو: الأفتل بن شهاب بن مكحول بن معقل بن زيد بن عمرو بن عدي بن عوف بن حِجي بن الحارث بن مبذول بن عَصَية بن هُصَيص بن حِجي بن وائل بن جُشم بن مالك بن كعب بن النعمان الذي هو القين بن جَسْر بن شَيْع اللات بن أسد بن وَبَرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة.

(٢) الزفن: الرقص ـ اللسان ـ

٩٧ ـ صحيفة المتلمس ولكن لم تنفذ.

فقال عبد الملك: وأنا لا أعوّذ به أحداً بعدك، وأمر كاتبه أن يكتب له إلى الحجاج بأن يمسك عنه ويُعلمه أنه قد آمنه. فقال له الكاتب: عُدْ إليّ. فلما خرج أمره عبد الملك أن يكتب إليه: إني قد صرفت إليك الأُقيبل فاعمل فيه بما ترى فإنك محمود الرأي موفّق للصواب. فكتبه وختمه. فلما أخذه وانطلق متوجهاً يريد مكّة، فكَّرَ في أمره، فقال: لعلَّ الكتاب مثل صحيفة المتلمس[1]، ففتحه ودفعه إلى من قرأه له، فأنشأ يقول:

[من البسيط]

لأَطـلُبـنَّ حُمولاً قد عَلت شَرَفـاً	كأنها في الـضُّحى نخـلٌ مواقـيرُ
فقـد علمتُ وعِلمُ المـرءِ ينفعُهُ	أنَّ انـطلاقي إلى الحجّـاجِ تَغـريرُ
مُستحقِباً صُحُفـاً تَدمى طوابعُهـا	وفي الصحـائِفِ حيّاتٌ منـاكـيرُ
لئـن أتيتُـكَ ياحجّـاجُ مُعتـذراً	إذاً فلا قُبِـلت تلك المـعـاذيرُ
وإن ظَهـرت لحجـاجٍ ليقـتـلني	إنّي لأحمـقُ من تُحدى به عِيرُ

ثم لحق بقومه في باديتهم فلم يزل معهم حتى هلك.

وحصر الحجّاج ابن الزبير في المسجد وألحَّ عليه بالمنجنيق وصيّر على رُماتها رجلاً من خثعم[2] فجعل يرمي البيت وهو يقول:

---

(١) صحيفة المتلمس: كتب الملك عمرو بن المنذر ملك الحيرة إلى عامله على هجر صحيفة لكل من طرفة بن العبد الشاعر والمتلمس الشاعر لوصلهما ففي الطريق قال المتلمس لطرفه لو قرأنا هذين الكتابين فأبى طرفه فأقرأ المتلمس صحيفته إلى بعض القراء فإذ بها شر فرماها في النهر وهرب ومضى طرفة بالصحيفة إلى العامل فقتله ولذلك ضرب المثل بصحيفة المتلمس.

(٢) خثم قبيلة يمنيه: وهو خثعم واسمه أفتل بن أنمار بن أراش بن عمرو بن الغوث بن نبت بن مالك ابن زيد بن كهلان بن سبأ.

[من الرجز]

خطّارةٌ مِثْلُ الفَنيق المُزبِدِ   نرمي بها عُوَّاذَ هذا المسجدِ

وقد كان رُماةُ المنجنيق يقولون مثل هذا في حصار حُصين بن نُمير أيام يزيد ابن معاوية.

رمي الكعبة كان بإذن عبد الملك.

٩٨ ـ وقال الواقدي: كتب الحجاج من الطائف إلى عبد الملك يسأله المدد ويستأذنه في حصار ابن الزبير ودخول الحَرَم، ويُعلمه أنه قد رُوخي له في خناقه وأنه في فسحة من أمره. فأذن له في ذلك وكتب إلى طارق بن عمرو يأمره باللحاق به، فقدم المدينة في ذي القعدة سنة اثنتين وسبعين، فخرج عامل ابن الزبير عنها، وصيّر عليها طارقُ بن عمرو رجلاً من أهل الشام يقال له ثعلبة، فكان ثعلبة ينكث المخّ على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويأكله، ويأكل التمر على المنبر ليغيظ بذلك أهل المدينة، وكان مع ذلك شديداً على أهل الريبة فأمنت الطرق، وكان أصحابه يتعبثون فيضربهم بالسياط، وأخذ قوماً تناولوا من شعير لرجل قد دُقّ شعيره، فضرب كلَّ امرىءٍ منهم خمسمئة سوط، وأُتي برجل اغتصب امرأةً نفسها فضربه بالسياط حتى مات ثم صلبه على باب المرأة.

وقال جابر بن عبد الله لما رأى صنيعه على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم: رحم الله عثمان أنكروا من أمره ماقد رأوا أعظم منه أضعافاً، وإن كانت سيرة طارق صالحة.

قال: وكانت العِير تحمل إلى أهلِ الشام من عند عبد الملك السَّويق[1] والكعك والدقيق لاتَفْتُر حتى أخصبوا.

قال: ونحر ابن الزبير ونفرٌ معه البُدن عند المروة إذ لم يقدر على إتيان مِنى

---

(١) السَّويق: مايتخذ من الحنطة والشعير.

وعرفة، وسأل الحجاجُ ابنَ الزبير أن يطوف بالبيت، فلم يأذن له في ذلك إذ لم يأذن له الحجاج في حضور عرفة.

وكـان عبـد الملك يُنكر رمي البيت في أيام يزيد بن معاوية، ثم أمر بذلك فكان الناس يتعجبون منه ويقولون خُذل في دينه.

وحـجّ عبـد الله بن عمـر في تلك السنة، فأرسل إلى الحجّاج: أن اتق الله واكفُفْ هذه الحجارة عن الناس فإنّك في شهر حَرام وبلدٍ حَرام، وقد قدمت وفود الله من أقطار الأرض يضربون آباط الإبل ويمشون على أقدامهم ليؤدّوا فريضةً، أو يزدادوا مُزدادَ خيرٍ فإنّ المنجنيق قد منعتهم من الـطواف. فَكفّ عن الـرمي حتى قضوا مايجب عليهم بمكة وخرجوا إلى مِنى[2]، ولم يعرض ابن الزبير للحجاج في الزيارة وغيرها، ونادى منادي الحجّاج في الناس: أن انصرفوا إلى بلادكم فإنا نعود بالمنجنيق على الملحد ابن الزبير.

وتحلّب[3] النـاس إلى ابن الـزبـير ليقاتلوا معه إعظاماً للبيت وحُرمته، وقدم عليه قوم من الأعـراب تُقعقع وِفاضُهم وقالوا: قدمنا لنقاتل معك فأعنّا على قتال أعدائك، فنظر[4] فإذا مع كلّ امرىءٍ منهم سيفٌ كأنه شَفرةٌ قد خرج من غِمده، فقـال: يامعشر الأعـراب لاقـرّبكم الله، فوالله إنّ سلاحكم لرَثّ وإن حديثكم لغثّ، وإنكم لعيالٌ في الجدب وأعداء في الخصب. فتفرّقوا عنه.

وقـال الـواقـدي في روايته: قدِم على ابن الزبير حُبشان من الحبشة فقاتلوا معـه، فكـانـوا يرمـون بمزاريقهم فلا تقع لهم مزراق[1] إلاّ في رجلٍ، فقتلوا من

---

(٢) جاء في الطبعة العبرية إلى منى وعرفه وكلمة عرفه غير موجودة في أصل المخطوط. ج: ٥ ص: ٣٦٠.

(٣) تحلّب: سال، تحلّب فوه: سال لعابه ـ اللسان ـ

(٤) فنظر: ساقطة من الطبعة العبرية. ج: ٥ ص: ٣٦٠.

(١) المزراق: الرمح القصير.

الشاميين جماعة ونهكوا فحمل عليهم أهل الشام فانكشفوا وجعلوا يعتذرون إلى ابن الزبير ويقولون لسنا بأصحاب مواجهة ولكنّا أصحاب اتّباع بالمزاريق إذا ولّوا، فلم يزل بعد ذلك يواجه الشاميين بأصحاب السيوف ويتقدّم فإذا ولّى القوم أمر أصحاب المزاريق فرموهم. ثم إنهم فارقوه لضيق الأمر عليهم.

قال: وكان مع ابن الزبير قوم قدموا مع ابن عُدَيس[1] من مصر، ثم صاروا خوارج ذوي شجاعة وبأس فقاتلوا معه دافعين عن عزّ[2] البيت معظّمين لحرمته وكانت لهم نكاية في أهل الشام، فبلغه عنهم مايقولون في عثمان رضي الله عنه. فقال: والله ماأحبّ أن أستظهر على عدوّي بمن يبغض عثمان ولا بأن ألقى الله إلا ناصراً له، وجعل يماكرهم فقالوا: والله مانرى أن نقاتل مع رجل يكّفر أسلافنا وماقاتلنا إلا لحرمة هذا البيت وأن نردّها شورى فتفرّقوا عنه. فاختلّ عسكره وعُريت مصافّه ودنا منه عدوّه حتى قاتلوه في جوف المسجد، فقال عُبيد بن عُمير: عَجباً لك ولما صنعتَ لهؤلاء القوم وهم أهل البلاء الحسن والأثر الجميل، هلّا سكت عنهم واحتملتهم إلى أن يصنع الله وتضع الحرب أوزارها، وقد قلت: لو أن الشياطين أعانتني على هؤلاء القوم لقبلتهم، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعين في حربه بالمنافقين واليهود.

قال: وأصابت الناسَ مجاعةٌ شديدة حتى ذبح ابنُ الزبير فرساً وقسم لحمه في أصحابه.

وقال الواقدي: حدثني ابنُ جُريج عن عطاء، قال:

---

(١) ابن عديس هو عبد الرحمن بن عديس البلوي الذي خرج بأهل مصر الذين ساروا إلى عثمان مغاضبين له وهو من رهط صخر بن عِتر بن جُشم بن وَدْم بن ذبيان بن هُميم بن ذهل بن هَنِيّ بن بليّ. كما جاء في النسب الكبير. ج: ٣ ص: ١٢

(٢) كلمة عز ساقطة من الطبعة العبرية. ص: ٢٦١

رأيتُ العبّاد من أصحاب ابن الزبير يأكلون لحوم البراذين في حصر ابن الزبير. وقال الواقدي في روايته:

وبيعت الدجاجة بعشرة دراهم ومُدّ الذُّرة بعشرين درهماً وإن بيوت ابن الزبير لمملوءة قمحاً وشعيراً وذرةً وتمراً .

وقال ابن الكلبي وغيره: كان أهل الشام ينتظرون فناء ماكان عند ابن الزبير من الطعام، فكان يحوط ذلك ولاينفق منه إلاّ مايمسك الرمق، ويقول: أنفسهم قويّة مالم يَفْنَ، يعني أنفس أصحابه.

قالوا: ولما صدر الناس عن الحجّ أعاد الحجاج الرمي بالمنجنيق، فلقد كان الحجر يقع بين يدي عبد الله بن الزبير وهو يصلي فلا يبرح.

وحدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي ثنا محمد بن كثير ثنا حماد بن سلمة عن قتادة، قال:

كان حجر المنجنيق يجيء عبدَ الله بن الزبير، فيقال له: تنحَّ فيقول:

[من المتقارب]

فسهّل[1] عليكَ فإنّ الأمورَ بكفّ الإلهِ مقاديرُها

فليسَ بآتيكَ مَنهيُّها ولا قاصِرٌ عنكَ مأمورُها

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن ابن الزناد عن هشام ابن عروة[1] عن أبيه قال:

رأيتُ حجارة المنجنيق يُرمى بها الكعبة حتى كأنها جيوب النساء، ولقد رُميت بكلب فكفأ قدراً لنا فيها جَشِيشة[2] ، فأخذناه فوجدناه كثير الشحم، فكان أشدّ إشباعاً لنا من الجَشِيشة.

---

(١) يجب إضافة الفاء ليصح الوزن.

(١) عروة: يعني عروة بن الزبير أخا عبد الله بن الزبير الشقيق.

(٢) الجشيش: الحبّ حين يدق قبل أن يطبخ فإذا طبخ فهو جشيشة.

قال عَوانـة: رُميت الكعبـة حتى ارتجّت ووهت فارتفعت سحابة ذاتُ برق ورعـد فسقـطت صاعقـة على المنجنيق فأحـرقتهـا وقتلت من أصحابها اثني عشر رجلاً. فذُعر أهل الشام من ذلك وكفّوا عن القتال، فقال الحجّاج: أنا ابن تِهامة وهي بلاد كثيرة الصواعق، فلا يروعنّكم ماترون، فإن من قبلكم كانوا إذا قرّبوا قُربـانـاً بُعثت نار فأكلتـه فيكـون ذلك علامة تقَبُّل ذلك القربان، فأتي بمنجنيق أخرى وعاود الرمي.

المدائني عن مسلمة عن أشياخ له، قال:

رمى الحجّـاجُ البيت فسقـطت على المنجنيق صاعقـةٌ في يوم مطير، فقال: لاتروعنّكم فإنها صواعق تِهامة، قال: وجعل أهل الشام يقولون وهم يرمون:

[من السريع]

يابنَ الـزبـير طالَ ماعَـصَيكـا وطـالَ ماعَـنّـيتـنـا إلـيكـا

لَتُـجـزينَّ بالّـذي أتـيكـا لَنضرِبـنَّ بسـيفـنـا قفَـيكـا

وجعلوا يقولون كقولهم في أيام حِصار حصُين بن نُمير:

[من السريع

كيف ترى صنـيعَ أُمِّ فروة[1] تقـتُـلُهـم بين الـصّـفـا والمـروة

وكان مع الحجاج جماعة ممن كان مع الحُصين[2].

حدثني محمد بن سعد والوليد بن صالح قالا: ثنا الواقدي حدثني إسحاق بن يحيى بن يوسف، قال:

---

(١) يعني أم فروة المنجنيق.

(٢) حُصين بن نمير بن ناتل بن لبيد بن جعثنة بن الحارث بن سلمة بن شُكامة بن شبيب بن السكون بن أشرس بن ثور (كندة) حاصر ابن الزبير وضرب الكعبة بالمنجنيق في أيام يزيد وتوفي يزيد وحصين محاصراً ابن الزبير فلما علم بموته فاوض ابن الزبير أن يخرج معه إلى الشام فيوليه الخلافة فأبى ابن الزبير.

رُمي بالمنجنيق فرعدت السماء وبرقت، فتهيّب ذلك أهل الشام فرفع الحجاج بيده حجراً ووضعه في كفة المنجنيق ورمى بعضهم، فلما أصبحوا جاءت صاعقة فقتلت من أصحاب المنجنيق اثني عشر رجلاً فانكسر أهل الشام، فقال الحجاج: ياأهل الشام لاتنكروا ماترون فإنما هي صواعق تِهامة، وعظّم عندهم أمر الخلافة وطاعة الخلفاء.

وقال ابن الكلبي: أصابت الناس مجاعةٌ في أيام ابن الزبير وكان عامله على وادي القُرى الجرّاح بن الحصين بنَ الحارث الجُعفي، وكان لابن الزبير بها تمرٌ كثير من تمر الصدقة، فأنهبه، فلما قدم عليه جعل يضربه بدرته ويقول: أكلت تمري وعصيت أمري، فلما كان حصار الحجاج إياه، دعا الحجاج الجراح بن الحُصين فقال له: حدثني حديث الملحد وحديثك، فدعا وجوه من معه فقال: اسمعوا أهذا ممن يُرجى لخير!.

قال: وقدم عبد الله بن درّاج مولى معاوية مكة فاتهمه ابن الزبير فقتله. فقال ابن الزَّبير الأسدي:

[من الرمل]

أيُّها العائذُ في مكّة كم ... مِن دَمٍ أجريتَهُ في غير دَم

أيدٌ عائِذةٌ مُعصِمةٌ ... ويدٌ تقتل مَن جاء الحَرم[1]

قالوا: ولما كان قبل مقتل عبد الله بن الزبير بيوم، خطب الحجاج أصحابه وحضّهم، وقال: هذا الفتح قد حضر وقد ترون خِفّة من مع المُلحِد ابن الزبير من الرجال وقلّتهم وما فيه أصحابُه من الضيق والجهد، ففرحوا واستبشروا وملئوا مابين الحجون إلى الأبواب.

وقالت أسماء بنت أبي بكر أمّ عبد الله بن الزبير رضي الله عنهم: والله ماأنتظر إلاّ أن تُقتل فأحتسبك، أو تظفر فأسرّ بظفرك. فإن كنت على حقٍّ وبصيرة

---

(١) ذكرها الأغاني ج: ١٤ ص: ٢٣٦.

في أمـرك فما أولاك بالجدّ ومنازلة هؤلاء القوم وإلا فالسلْم منهم أولى بك، فقال: ياأُمّـه إني أخـاف إن قتلني أهـل الشام أن يمثّلوا بي، فقالت: يابنيّ إن الشاة إذا ذُبحت لم تألم السلخ، فامض على بصيرتك واستعن بالله ربّك.

فخـرج ابن الـزبـير فدفع أهلَ الشام دفعةً منكرةً وقتل منهم، ثم انكشف وأصحابه فرجع، وبلغ أمّه الخَبَرُ، فقالت: خذلوه وأحبّوا الحياة ولم ينظروا لدنياهم ولا آخرتهم، ثم قامت تصلي وتدعو فتقول: اللهم إن عبد الله بن الزبير كان مُعظماً لحرمتك وقد جاهد فيك أعداءك وبذل مُهجة نفسه لرجاء ثوابك فلا تخيّبه، اللهم أظهره وانصره. اللهم ارحم طول ذلك السجود والنحيب وذلك الظمأ في الهواجر. ومـاأقـول هذا القـول تزكية له ولكنه الذي أعلمه وأنت أعلم بسريرته وعلانيته، اللهم إنه كان بِرّاً بوالديه فأشكرُ ذلك له.

فلما كان يوم الثلثاء وهو اليوم الذي قتل فيه جاء إلى أمه وعليه درعه ومغفره فودّعها وقبّل يدها وقال: ياأُمّه خذلني الناس إلا ولدي وأهل بيتي، فقالت: لاتبعد إلّا من النار. وكان الحجاج قد بسط الأمان للناس فاستأمن إليه خلق واعتزلوا ابن الزبير.

قالوا: وخرج ابن الزبير من عند أمّه فقاتل أشدّ قتال، وضرب رجلاً من أهل الشـام، فقـال: خذهـا وأنا ابن الحواري فقتله، وضرب آخر وكان حبشيّاً فقطع يده، وقال: اصبر أبا حُمَمه اصبر ابنَ حام.

وقال أبو مخنف: جعل يقاتل يومئذ قتالاً لم يُرَ مثله وهو يقول:

[من الرجز]

صبراً عِنـاقُ إنّــه شرٌ باق ... قبلكَ سنَّ النـاس ضربَ الأعناق

قد قامَتِ الحربُ بنا على ساق

المدائني عن يزيد بن عياض عن صالح بن كيسان، قال:

برز عبد الله بن الزبير في اليوم الذي قُتِل فيه فدُمي وهو يقول:

[من الطويل]

[فـ] لسنا على الأعقابِ تَدمى كُلومُنا ولكن على أقـدامِنـا تقـطُرُ الـدِّمـا

وهذا البيت لخالد الأعلم حليف بني مخزوم وهو عُقيلي[1] وكان أسر يوم بدر فقدم في فدائه عِكرمة بن أبي جهل، وقال بعضهم: هو لأبي عزة الجمحي.

قالـوا: ورأى الحجـاجُ الناسَ يخيمونِ عن ابن الزبير فغضب وترجّل وأقبل يسـوق الناس، ويصمدُ بهم صَمدَ صاحب علم ابن الزبير وهو بين يديه، فتقدّم ابن الـزبـير صاحبَ علمـه وضاربهم فانكشفوا، وعرّج فصلى ركعتين عند المقام، فحملوا على صاحب عَلمـه فقتلوه عنـد باب بني شيبـة[2] وصـار العلم في أيدي أصحـاب الحجـاج، فلما فرغ من صلاتـه تقدّم فقاتل بغير عَلم، والحجاج يذمّر الناس وقد شُحنت الأبواب، ولم يتخلّف من أهل عسكر الحجاج أحد من أصحابه وأصحاب طارق، فأصابت ابنَ الزبير رَميةٌ فسقط فصاحت امرأة، واأمير المؤمنيناه، وتعاونوا عليه فقتلوه.

وقال أبو مخنف وغيره: أتى عبدُ الرحمن بن زيد بن الخطاب ابنَ الزبير ليلة الثـلاثـاء، فعرضَ عليه أن يخرج إلى الحجاج على أن يأخذ له أماناً فأبى، وقال: خرجتُ منكـراً للظلم متّبِعـاً لهدي الصالحين وقد قُتل على ذلك قومٌ مُستبصرين، فإن قُتلت فإني سأجتمع وقاتلي بين يدي الحكم العدل.

---

(١) عقيلي: أي من بني عُقيل بطن من بني عامر بن صعصعة من قيس وهو عُقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. هذا ذكره ديوان الحماسة شرح المرزوقي: فلسنا. ج: ١ ص: ١٩٨ وهو للحصين بن حمام المريّ.

(٢) بني شيبه من بني عبد الدار بن قصي الذي كانت له مناسك الحج بعدَ قصي.

فلما أصبح سمع الحجاج يقول: خذوا الأبواب لايهرب، فقال: ظنّ ابن الخبيثة بي ظنّه بأبيه ونفسه يوم فرّ من الحنتف بن السّجف[1].

وقال أبو مخنف في روايته: دخل ابنُ الزبير على أمه فقبّل يدها وعانقها، وكانت عمياء فلما مست الدرع قالت: هذه تثقلك فنزعها وشمّر ثيابه وأدرج كمّه، فقالت: والله ماأحبُّ أن أموت يومي هذا حتى أعلم مايصير أمرك إليه من الظفر الذي أرجوه أو الأخرى فأحتسبك وتمضي لسبيلك ونيّتك.

وجعل أهل الشام ينادونه يابن العمياء وابن ذات النطاقين[2]، فأنشد:

[من الطويل]

وعـيَّرهـا الـواشُـونَ أني أُحبها ... وتلك شكـاةٌ ظاهـرٌ عنـكَ عارُهـا

وقاتلَ وهو يقول:

[من مجزوء الرجز]

شيخٌ كبـيرٌ علُّ ... قد عاشَ حتـى ملّ

وقال ابنُ الزبير وأخبر أن بني سهم[3] قد مالوا برايتهم إلى الحجاج فدخلوا في أمانه وأنه قال من دخل دار الحارث بن خالد ودار شيبة الحجبي[4] فهو آمن فقال:

---

(١) يوم الربذة هرب الحجاج وأبوه على جمل واحد وكانوا مع ابن دَلجة كما مرّ سابقاً.

(٢) هذا يدل على أن أهل الشام يجهلون من هي أسماء ولماذا سميت ذات النطاقين فيعيّرونه بها وهي موضع الفخر.

بنو سهم بطن من قبيلة قريش وهو زيد ولُقّب سهم بن عمرو بن هُصيص بن كعب بن لؤي بن غالب بن قريش الذي منهم عمرو بن العاص.

(٤) الحجبي: نسبة إلى حجابة الكعبة لأن مفتاح الكعبة كان لهم.

[من الرجز]

فرّت سَلامـانُ وفـرّتِ النّـمـرْ ... وقـد تلاقـى معـهُـم فلا تَفِـرْ

وفي رواية الـواقدي: أن أسماء كانت تقول وابن الزبير يقاتل الحجّاج: لِمَنْ كانت الـدولة اليوم، فيقال للحجاج فتقول: رُبّما أُمِّرَ الباطلُ، فإذا قيل هي لعبد الله، قالت: اللهم انصر أهل طاعتك ومن غضب لك.

وفي روايته أيضاً: أن إسحاق بن عبيد الله الأسلمي، قال: شهدت حصار ابن الزبير الآخر[1] فكان يباشر القتال بنفسه، ولقد رأيته يقتل بيده مثل جميع من يقتله أصحابه ورأيت اليوم الذي قتل فيه وهو يوم الثلاثاء، وإنه لبين الركن والمقام يقـاتلهم أشـدّ القتال حتى إنهم ليغشونه من كل ناحية حتى قُتل وكان يدعى إلى تبييت الحجاج، فيقول: البيات لايصلح ولا نستحلّه.

قالـوا: وعُرض على ابن الزبير أن يدخل الكعبة، فقال: والله إني لأكره أن أدخُلها فأوخذ كما تؤخذ الضبع من وجارها، ولكني أقاتل بسيفي هذا حتى أقتل، والله ماباطن الكعبة عند الحجاج إلا كظاهرها، وكان يحمل على رجليه حتى يبلغ الأبطح كأنه أسدٌ في أجمةٍ، ثم يرجع إلى المسجد، وقد جعل الحجاج يومئذ على كل باب أهل جند من أجناد الشام، وجعل ابن الزبير يقول[2].

[من الرجز]

إني إذا أعـرفُ يومـي أصـبرُ ... والـصّـبْرُ أولى بالـفـتـى وأعـذَرُ

وبعضُهُم يعرفُ ثم يُنكرُ

وقـال أبو مخنف وعوانة في روايتهما: قال حمزة بن الزبير لعبد الله: لو رقيت فوق الكعبة ياأمير المؤمنين قاتلنا حولك حتى نُقتل جميعاً قبلك، فقال ابن الزبير:

---

(١) الحصـار الأول كان في عهـد يزيد بن معاوية وكان الذي حاصره الحُصين بن نمير ومات يزيد وهو على حصار، ثم عاد إلى الشام بسبب موت يزيد.

(٢) في الأصل هكذا وفي الطبعة العبرية رضي الله عنه.

[من الطويل]

أبى لابن سلمى أنّه غيرُ خالدٍ — حِذارُ المنايا أيَّ وجهٍ تيمّما[1]

فلستُ بمبتاعِ الحياةِ بسُبَّةٍ — ولامُرتقٍ من خيفةِ الموت سُلَّما

ثم قال لأصحابه: أيُّكم طلبني فإني في الرعيل الأول.

وقيل له: لو لحقت بموضع كذا، فقال: لبئس الشيخ أنا في الإسلام لئن أوقعتُ قوماً فقتلوا ثم فررتُ عن مثل مصارعهم.

وقال لمن بقي معه: غُضّوا أبصاركم عن البارقة وعضّوا على النواجذ ولينظر (كل) رجل كيف يضرب ولاتخطئوا مضاربها فتكسروها، فإن الرجل إذا كان أعضب[2] لاسيف معه أُخذ أخذاً كما تؤخذ المرأة وكان يقول:

[من الرجز]

لاعهدَ لي بغارةٍ مثل السَيل — لاينقضي غُبارُها حتّى الليل

قالوا: وقاتل ابنُ مطيع حتى قُتل وهو يقول:

[من الرجز]

أنا الذي فررتُ يومَ الحرّهْ — والحر لايفرّ إلا مرّهْ[3]

فاليومَ أُجزي فَرّةً بكرّه

ويقال: إنّه أصابته جراح فمات منها بعد أيام وذلك أثبت.

قالوا: وشرب ابن الزبير الصبر أياماً ثم المسك. مخافة أن يُصلب فَيُشَمّ نتنه.

---

(١) ابن سلمى كأنه يقصد غير حمزة بن الزبير فحمزة أمه الرباب الكلبية وهو أخو مصعب الشقيق.

(٢) الكبش الذي ليس له قرون فيفقد سلاحه من أجل المناطحة. فيقال له أعضب.

(٣) يوم الحرّة: كانت في عهد يزيد حينما خرج أهل المدينة عليه وأرسل لهم جيشاً على رأسه مسلم بن عقبة المريّ وفي هذه الوقعة سمّي مسرف. وفرّ يومها عبد الله بن مطيع العدوي.

وقال طارقٌ ورأى ابن الزبير: ماولدتْ النساء أذكر من هذا، فقال الحجاج: اتقـرّظ مخالفـاً لأمير المؤمنين وطاعته! قال: ذلك أعذرُ لنا في محاصرته سبعة أشهر ونصفـاً، أو قال: ستة أشهر ونصفاً وهو في غير حصنٍ ولا منعة، فبلغ عبد الملك ذلك فصوّب طارقاً.

وقال الواقدي: حُصر ابنُ الزبير في غُرّة ذي القعدة سنة اثنتين وسبعين وقُتل يوم الثـلاثاء في جمادى الآخرة سنة ثلاث وسبعين، وكان الحصار ستة أشهرٍ وسبع عشرة ليلةً. وحـجّ الحجـاج بالنـاس في سنة ثلاث وسبعين حجاً تامّاً، وقُتل ابنُ الزبير وهو ابن ثلاث وسبعين سنة.

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن هشام بن عروة، قال:

رَمىَ عبـدَ الله بن الـزبير رجلٌ من السكون[1] بآجرّة فأثبته فوقع وتولى قتله رجلٌ من مُرادٍ[2] وحمل رأسه إلى الحجاج فسجد الحجاج، وأوفد السكونيّ والمُراديّ إلى عبـد الملك وأعطى كلّ واحدٍ منهما خمسمئة دينار وفرض لكل واحدٍ منهما مئتي دينار، ونصب عبد الملك رأس ابن الزبير وأمر فبُعث إلى النواحي.

وحـدثني محمـد بن سعد عن محمد بن عمر الواقدي عن خالد بن إلياس عن أبي سلمة الحضرمي قال:

دخلتُ على أسماء بنت أبي بكر يوم الثلاثاء وبين يديها كفنٌ قد أعدّته ونشرته ودخّنته وأمرت جوارِيَ لها أن يَقُمن على أبواب المسجد، فإذا قُتل عبدُ الله صِحنَ فلما قُتل سمعت صياحهنّ فأرسلت لتحمله فوجدت الحجاج قد حزّ رأسَه فبعث به إلى عبد الملك وصلبه مُنكّساً وإذا هي تقول: قاتل الله المُبِير[3] يحول بيني وبين جثته أن أواريها.

---

(١) السكون بطن من قبيلة كندة اليمانية وهو السكون أو السكن ابن أشرس بن ثور الذي هو كنده بن عُفَير بن عدي بن الحارث بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب.

(٢) مراد بطن من قبيلة مَذْحج وهو مراد واسمه يحابر بن مالك الذي هو مذحج بن أدد

(٣) المبير: المهلك: قال الناس: لو عرفناه لأبرنا عترته أي أهلكناهم وهو من أبرتُ الكلب إذا أطعمته الإبرة بالخبز.

ماحدث لعبد الله بن الزبير بعد قتله:

٩٩ - وحدثني روح بن عبد المؤمن، حدثنا عارم بن الفضل، حدثنا حمّاد بن زيد عن أيوب عن نافع:

أن ابن عُمر مرّ بجِذْع ابن الزبير، فقال: أهو هو. قلت: نعم، قال: لقد كان عن هذا غنيّاً.

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن شرحبيل بن أبي عَوْن عن أبيه، قال:

لما أحسّ ابنُ الزبير بالقتل تمسّك وكانت له سجّادة كرُكْبَة العنز، فلما قتله الحجاج صلبه على الثنيّة اليُمنى بالحجون، فأرسلت أسماء إليه: قاتلك الله على ماذا صلبته، فقال: إني استبقت أنا وهو إلى هذه الخشبة فكانت اللِجّة به فسبقني إليها، فاستأذنته في تكفينه ودفنه. فأبى ووكّل بجثّته من يحرسها.

وكتب إلى عبد الملك بصلبه إيّاه، فكتب إليه عبد الملك يلومه على صلبه، ويقول: ألا خلّيت بينه وبين أمّه، فأذن لها الحجاج فوارته بمقبرة الحجون وصلى عليه عروةُ بن الزبير، ويقال غيره.

وقال عَوانة بن الحكم: مرّ عبدُ الله بن عُمر حين أُخبر بصلب ابن الزبير فجعلت ناقته تحتكُّ بخشبته، أو قال بجذعه، ورائحة المسك تسطع منه. فقال: رحمك الله أبا خُبَيب، والله لقد كنتَ صوّاماً قوّاماً ولكنّك رفعتَ الدنيا فوق قدرها وأعظمتها، ولم تكن لذلك بأهل، وإنّ قوماً أنت من شِرارهم لقومُ صِدْقٍ أخيارٌ.

وقال عوانة: بلغني أن الحجاج ربط إلى ابن الزبير هرّة ميّتة، ويقال كلبة ميتة، فكانت رائحة المسك تغلب على ريحها.

قال: وتُوفّيت أمّه بعده بقليل.

قال: ولما قتل ابن الزبير كبّر أهل الشام، فقال ابن عمر: لَمَنْ كبّر من الأخيار لمَولده أكثر ممن كبّر من الأشرار لقتله، وكان أول مولود وُلد بالمدينة من أبناء

المهاجرين[1].

وقال عوانةوغيره: لما قتل الحجاجُ ابنَ الزبير وصلبه، بعث إلى أمه أسماء بنت أبي بكر ذات النطاقين لتأتيه فأبت أن تفعل، فبعث إليها لتُقْبلنّ أو لأبعثنّ إليك من يجرّك بقرونك، فقالت لرسوله: قل لابن أبي رغال[2] لستُ أفعلُ أو تبعثَ إليّ من يجرّني بقروني وجعل يتوذَف[3] في مشيته حتى دخل عليها، فقال: كيف رأيتِ ماصنعتُ بطاغيتـكِ، قالت: من عنيت؟ قال: عبد الله، قالت: رأيتك أفسدت عليه دنياه وأفسـد عليك آخرتك، وإن أعجب مما فعلت تعييرك إيايّ بالنطاقين، فليت شعري بأيّ نطاقيّ عيّرتني، أبالذي كنتُ أحمل به الطعام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في الغار، أم بنطاقي الذي تنتطق الحرّة بمثله في بيتها، أما إني سمعت رسـول الله صلى الله عليه وسلم يقـول: «يكون في ثقيف مبير وكذاب». فأمـا الكذاب فقد رأيناه وأما المبير فأنت هو، فانصرف وهو يقول: مبير المنافقين، مبير المنافقين قالت: بل عمودهم.

قالوا: وكتب الحجاج إلى عبد الملك يسأله أن يبعث إليه بعروة بن الزبير، وكان عروة بن الزبير قد شخص إلى عبد الملك حين قُتل أخوه. وذُكر أن أموال عبد الله عنـده، فلما وصل الكتاب إليه، قال للحرسي: خذ بيده وكان عروة بمجلسه وقد آمنه، فقال عروة: ماعلى هذا أتيتك، فقال: لابدّ من الحجاج، فنهض عروة وهـو يقـول: ليس الـذليل من قتلتمـوه ولكن الذليل من ملكتموه، فاستحيا عبد الملك وقال للحرسي: خَلِّ عنه، وكتب إلى الحجاج ينهاه عن الكتاب فيه، فكفّ عنه، وكانت أم عروة أيضاً أسماء.

---

(١) كبر المسلمون لمولده لأن اليهود ادّعت أنها سحرت المهاجرين فلا يولد لهم فلما ولد عبد الله كبّر المسلمون تكذيباً لقول اليهود.

(٢) أبـو رغال: كان دليل أبرهة الحبشي وجيشه إلى مكة لهدم الكعبة وقبره بين مكة والطائف يرجم حتى الآن.

(٣) وذف: مشية فيها اهتزاز وتبختر ـ اللسان ـ

المدائني عن عبد الله بن فائد. قال: ركب عروة ناقة لم يُدرك مثلها، فقدم الشام قبل قدوم رسل الحجاج بقتل عبد الله بن الزبير على عبد الملك، فأتى باب عبد الملك فاستؤذن له، فلما دخل سلم عليه بالخلافة فردّ عليه عبد الملك ورحّب به وعانقه وأجلسه على السرير، ثم قال عروة:

[من الطويل]

نَمــتُّ بأرحــامٍ إلــيكَ قريبــةٍ ولا قُربَ للأرحــامِ مالم تُقــرَّبِ

ثم تحدّث حتى جرى ذكر عبد الله، فقال عروة: إن أبا بكر بان. قال عبد الملك: ومـافعـل؟ قال: قُتل رحمه الله فخرّ عبد الملك ساجداً، فقال عروة: فإن الحجاج صلبه فَهب جثّته لأمّه، قال: نعم، وكتب إلى الحجاج يُعْظم مابلغه من صلبه، وكتب إليه: إياك وعروة فقد آمنته، فكان مسيره من الشام راجعاً إلى مكة ثلاثـين يوماً. فأنزل الحجاج جثة عبد الله عن خشبته وبعث بها إلى أمّه، فغسلته فلما أصابه الماء تقطّع، فقالت: قيل لي في المنام ياأمّ المُقطَّع فكنتُ أظنّه المُنذِر لأنه جُدّع بالسيوف ولم أظنّه ابني فغسلته عضواً عضواً فاستمسك ودفنته وصلى عليه عروة.

المدائني عن عامر بن حفص، قال: صلب الحجاجُ ابنَ الزبير وقرن به كلباً ميّتاً.

قال: وكتب الحجاج في عروة: إن عروة كان مع أخيه فلما قُتل عدو الله أخذ مالاً من مال الله وهرب.

فكتب إليه عبـد الملك: إنه لم يهرب ولكنه أتاني مبايعاً وقد آمنته وحَلَلْتُه مما كان، وهو قادم عليك فإيّاك وعروة، فعاوده فكتب إليه: أعْرِض عنه ولا تُرادّني فيه.

المدائني قال: قال عوانة: أكثر الحجاج الكتب في عروة، حتى همّ عبد الملك أن يُشخصه إليه فقال عروة: ليس الذليل من قتلتموه ولكنه من ملكتموه.

قال أبو الحسن المدائني: ويقال: إنّ عروة قال: ليس بملوم من صبر حتى مات كريماً، ولكنّ الملوم من خاف من الموت وسمع مثل هذا الكلام، فقال: لن تسمع أبا عبد الله منا شيئاً تكرهه.

قال عامر بن حفص: ووفد عروة مع الحجاج، فقال يوماً قال أبو بكر فقال الحجاج: لا أمّ لك أتكنّي منافقاً عند أمير المؤمنين. فقال له: ألي تقول لا أمّ لك وأنا ابن عجائز الجنّة، أمّي أسماء بنت أبي بكرٍ الصدّيق وجدّتي صفيّة بنت عبد المطلب وخالتي عائشة وعمّتي خديجة بنت خويلد.

وقال الواقدي في بعض رواياته: ركبت أسماء دابّتها ووقفت على ابنها مصلوباً، فقالت: لأُثنينَّ عليك بعلمي، لقد قتلوك مُسلماً مُحرِماً ظمآن الهواجر مصليّاً في ليلك ونهارك. ودعت له طويلاً وماتقطر من عينها قطرة، ثم انصرفت وهي تقول: من قُتل على باطلٍ فلقد قُتلت على حقٍ وأنت منيعٌ بسيفك فلا تبعَد.

وفي بعض روايات الواقدي: أنّ الحجاج وقف على أسماء، فقال: كيف رأيت نصرَ الله الحقَّ، قالت: إنّه ربما أُديل الباطل على الحق ليجعل الله ذلك فتنةً للقوم الظالمين، قال: إنّ ابنك ألحد في البيت وقال الله: ﴿وَمَن يُرِد فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[1] وقد أذاقه الله ذلك العذاب، قالت: كذبتَ لقد كان أول مولود في الإسلام بالمدينة فسُرَّ به المسلمون وكبّروا يومَ وُلد ولقد سُررت أنت وأصحابك بقتله فَلَمَنْ فرح به يومئذ خيرٌ منك ومن أصحابك، ولقد كان صوّاماً قوّاماً تعوّذ بالبيت فما أعذتموه وانتهكتم حرمته يابن أم الحجاج، إن الله للظالمين بمرصاد، وبلغ عبد الملك ماجرى بينه وبين أسماء فكتب إليه: مالك ولابنة الرجل الصالح.

وقال الواقدي: شخص عروة مستأمناً إلى عبد الملك وكان له صديقاً ومجالساً في مسجد المدينة أيّام تنسّك عبد الملك. فآمنه عبد الملك وطلبه الحجاج منه فأراد أن يبعث به إليه ثم تذممّ فتركه وأرسل معه رسولاً إلى الحجاج في ترك التعرّض له،

---

(١) سورة الحج رقم: ٢٢ الآية رقم: ٢٥.

وأن لايراجعه فيه بكتاب وأن يُنزل عبد الله من خشبته ويخلّي بين أهله وبين دفنه، فأُنزل وصلى عليه عروة.

قال الواقدي: وقد سمعتُ أنّه أُنزل وعُروة غائبٌ فصلّى عليه غيره والأول أثبت.

قال الواقدي: وأمّا أبو الزناد فكان يقول: حال الحجاج بينهم وبين الصلاة عليه، وقال: إنما أَمَرَ أميرُ المؤمنين بإنزاله ودفنه.

وقال الواقدي: قُتل مع عبد الله بن الزبير عروةُ بنُ عبد الله بن الزبير، ومعاوية بن المنذر، وحمزة ابن الزبير مات من جراحٍ أصابته وعبد الله بن صفوان الجُمحي وعبد الله بن مطيع العَدَوي[1] مات من جِراحٍ بعد المعركة وصلى الحجاج عليه، فقيل: أتصلّي عليه وأنت قتلته! قال: أتدرونَ ماقلتُ: إنما قلت اللهم إنه كان يعادي أولياءك ويوالي أعداءك فأَصْلِهِ النار، وعُمارة بن عمرو بن حزام الأنصاري. وبعث الحجاج برؤوس عبد الله بن الزبير وعبد الله بن صفوان وعُمارة بن عمرو بن حزم إلى المدينة فنصبت بها، ثم أنفذت إلى عبد الملك فلما رأى رأس ابن صفوان، قال: ألم يكن أعرج حانيا.

وقال جابرُ بن عبد الله الأنصاري لعبد الله بن عمير بعد مقتل ابن الزبير: كيف أنت ياأبا عاصم، فقال: بخيرٍ من رجل قُتِل إمامُه وظهر عليه عدوّه، فقال جابر: اللهم: ﴿لَاتَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[2].

---

(١) العدوي: أي من بني عدي قوم عمر بن الخطاب بطن من قريش، وهو عديّ بن كعب بن لؤي بن غالب بن قريش. ولم أجد موقفاً وقفه أحد ممن قتل في حوادث ابن الزبير أعظم موقفاً وأروع مقتلاً وأشدّ حمية وأوفى ذمّة وأكثر فداءً وأكبر شجاعة من موقف مصعب وهو الأخ الغير شقيق فقد أُعطي الدنيا وما فيها وهو شاب في مقتبل عمره نزاع للهو والسرور وعلم أن الذي أعطيه سيوفون له بها أعطوه فأبى وتقدم إلى الموت بعد أن قدّم ابنه عيسى قبله غير هياب ولا وجل.

(٢) سورة يونس رقم: ١٠ الآية رقم: ٨٥.

المدائني في إسناده، قال: نظر ثابت بن عبد الله بن الزبير إلى أهل الشام فشتمهم، فقال له سعيد ابن خالد بن (عمرو بن) عثمان بن عفان: إنما تبغضهم لأنهم قتلوا أباك، قال: صدقت لقد قتلوا أبي ولكن المهاجرين والأنصار قتلوا أباك.

وقال الواقدي: لما فرغ الحجاج من أمر ابن الزبير كنس المسجد الحرام من الحجارة والدمّ، وأتته ولاية مكة والمدينة وكان عبد الملك حين بعثه لقتال عبد الله ابن الزبير عقد له على مكة، ولكنه أحبَّ تجديد ولايته إيّاها، فشخص الحجاج إلى المدينة واستخلف على مكة عبد الرحمن بن نافع بن عبد الحارث الخزاعي. فلما قدم المدينة أقام شهراً أو شهرين فأساء إلى أهلها واستخف بهم، وقال: أنتم قتلة أمير المؤمنين عثمان، وختم يد جابر بن عبد الله برصاص وأيدي قوم آخرين كما يفعل (بأهل) الذمّة، ثم عاد فبنى الكعبة على ماهي عليه اليوم، وذلك لورود كتاب من عبدْ الملك عليه في ذلك وغير بناءها الذي بناها عليه عبد الله بن الزبير بعد حصاره الأول، فكان عبد الملك يقول بعد ذلك: لوددت أني قلّدتُ ابنَ الزبير من أمر الكعبة ماتقلد[1] وكان المتولي لبنائها والنفقة عليها عبد الرحمن بن نافع، ويقال: إنه كتب إلى عبد الرحمن من المدينة أن يأخذ في بنائها فابتدأه ثم قدم الحجاج مكةّ فاستُتِمّ بحضرته.

---

(١) وحُمل إلى ابن الزبير من صنعاء الفسيفساء التي كان بناها أبرهة الحبشي في كنيسته التي اتخذها هناك ومعها ثلاث أساطين من رخام فيها وشي منقوش قد حُشي النقش السندروس وأنواع الألوان من الأصباغ فمن رآه ظنه ذهباً، وشرع ابن الزبير في بناء الكعبة وشهد عنده سبعون شيخاً من قريش أن قريشاً حين بنت الكعبة عجزت نفقتهم فنقصوا من سعة البيت سبعة أذرع من أساس إبراهيم الخليل الذي أسسه هو وإسماعيل فبناه ابن الزبير وزاد فيه الأذرع المذكورة. وكان ابن الزبير روى عن عائشة عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لولا حداثة قومكِ بالشركِ لأعدتُ فيها ماتُرك منها» فلما هدمها الحجاج ردها إلى ماكانت عليها حين هدمها ابن الزبير وأخرج المِجْرَ منها ورفع بابها، وقال عبد الملك بن مروان: لو كنت أعرف حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا، لأمرت الحجاج أن يبنيها على أساس بناء ابن الزبير.

وقال غير الواقدي: استخلف نافع بن علقمة الكناني خال مروان[1] ولما رجع إلى مكة استخلف على المدينة عبد الله بن قيس بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف، وكان إليه القضاء.

وروي أن الحجاج لما فرغ من امر ابن الزبير وبناء الكعبة شخص إلى عبد الملك واستخلف على مكة عبد الرحمن ابن نافع وعلى المدينة عبد الله بن قيس، وأشخص معه محمد بن الحنفية بأمر عبد الملك فأمره أن لايكون له عليه أمرٌ وردّه مُكرماً، وسأله عمن استخلف بالمدينة، فقال عبد الله بن قيس. فقال عبد الملك: استخلفته من أحمق أهل بيت من قريش، ثم رجع الحجاج بعد ذلك فلم يزل والياً على الحجاز حتى أتته ولايته على العراق حين مات بشر بن مروان بالبصرة.

وقال قوم: كان الحجاج قد وفد إلى عبد الملك فأتاه نعي أخيه وهو عنده فولاّه العراق. فشخص من الشام إلى الكوفة، وذلك في سنة خمس وسبعين، وولّى عبد الملك مكة عبد الرحمن بن نافع أقرّه عليها. وولّى المدينة يحيى بن الحكم بن أبي العاص، ثم بعده أبان بن عثمان بن عفان.

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي في إسناده، قال:

لما خرج الحجاج من المدينة قال: الحمد لله الذي أخرجني من أمّ نَتْن، أهلها أخبث أهل أغشُه لأمير المؤمنين، وأحسده له على نعمته، ووالله لولا ماكان يأتيني من كتب أمير المؤمنين فيهم، لجعلتها مثل جوف الحمار، أعوادٌ يعوذون بها ورمّة قد بَليت يقولون منبر رسول الله وقبر رسول الله، فبلغ جابرَ بن عبد الله قَولُه، فقال: إنّ أمامه مايسوءه[2]، وقد قال فرعون ماقال ثم أخذه الله بعد أن أنْظَره.

---

(١) نافع بن علقمة بن صفوان بن أميّة بن محرّث بن خُمْل بن شقّ بن رقبة بن الحارث بن عامر ابن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة.

(٢) خطب عبد الملك أهل المدينة، فقال: وليكم عمر بن الخطاب. فكان فظّاً غليظاً مضيّقاً عليكم فسمعتم له وأطعتم، ثم وليكم عثمان فكان سهلاً ليناً كريماً فعدوتم عليه فقتلتموه،

وقال المدائني: لما قتل الحجاجُ ابنَ الزبير دخل المسجد فصلى ركعتين ثم وقف على ابن الزبير فرآه صريعاً فأمر به فصُلب منكَّساً. قال: وكان الحجاج رأى كأنه أخذ ابن الزبير فسلخه، ويقال: بل رأى أنه نكحهُ، فذلك كان سبب تولية عبد الملك الحجاج حربه.

قال: وقال ابن الزبير يوم قُتل: أنا ابن اثنتين وسبعين سنةٍ وأشهر، ثم قاتل وهو يقول:

[من الرجز]

أنـا ابـنُ أنْـصـارِ النبيِّ أحـمـدِ عبـدِ الإلـهِ والـرسـولِ المهتـدي
أضربُ منهُمْ كلَّ وَغْدٍ قُعْدُدِ

قال: وقاتل عروة يوماً، فقال:

[من السريع]

أبي الحـواريّون إلا مجدا من يُقـتـلِ الـيومَ يُلاقِ رُشـدا

وقال ابن الزبير:

[من الطويل]

فما مِيتـةٌ إن مُتُّـهـا غيرَ عاجـزٍ بعـارٍ إذا ماغـالتِ النفسَ غُولُهـا
أرى المـوتَ يَغشـاني عِيانـاً وإنّـما رأيتُ مَنَـايا النـاسِ يَسعى ذَليلُها

قالوا: وأخرّ الحجاجُ الصلاة يوماً، فقال ابن عُمر: إن الشمس لاتنتظرك.

ووطىء ابنُ عمر زُجّ رمح فكان ذلك سبب موته، فقال الحجاج: ما بك؟ قال: أنتَ قتلتني وأصحابُك.

وبعثنا عليكم مُسلماً فقتلناكم يوم الحَرّة، فنحن نعلم يامعشر قريش أنكم لاتحبّونا أبداً وأنتم تذكرون يوم الحرة ونحن لانحبكم أبداً ونحن نذكر مقتل عثمان.

وقال النهشلي[1] :

[من الرجز]

نحـنُ وَفَـيْنـا مَقْتَـلَ الإمـامِ ... بابـن الـزُّبـيرِ وبَـني هِشـامِ
حتـى جعلنـاهُـم مع الحـمامِ ... بين مُصَـلّى النـاسِ والمَقـامِ

المدائني عن عامر بن حفص وغيره، قالوا: قاتل عطاء[2] بن أبي رباح مع ابن الزبير.

قالوا: وقال عروة لعبد الله: قد دعاك هؤلاء القوم إلى الأمان وخيّروك نزول أي بلد شئت من البلدان، وخيّروك من الولاية ماأحببت، وقد صالح الحسن فكن مثله، قال: أفلا أكون مثل الحسين مات كريماً.

قالـوا: وكتب ابن الـزبـير بعد مقتل مصعب إلى أهل العراق يدعوهم إلى طاعته، وبعث بكتابه إليهم مع رجل من الأنصار، فرُفع ذلك إلى بشر بن مروان فأخذ الأنصاري فقتله. وكان هذا الأنصاري نازلاً على نعيم بن القعقاع بن مَعْبد ابن زُرارة بن عُدُس، وكان نُعيم يذمّ بشراً وينسبه إلى الفسق والأَفَن، ويُقرّظ ابن الزبير ويدعو إلى طاعته سرّاً، ويقال: إنه كان مع الأنصاري كتاب من ابن الزبير إليه في معاونته في أمره. فسَعَى بالأنصاري وبنُعيم إلى بشر بن مروان حَوْشب بن يزيد بن الحـارث بن يزيد بن رويم الشيبـاني فقتله وقتل الأنصاري. وقال بعض الرواة: سعى بهما يزيد بن الحارث نفسه. وذلك غلط لأن يزيد قُتل بالريّ في أيام مُصعب قتله الزبير بن عليّ الحارثي.

---

(1) النهشلي: نهشل الشاعر بن حري بن ضمرة بن جابر بن قطن بن نهشل ابن دارم بن مالك الغرف بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم.

(2) عطاء هو أسلم الإمـام شيخ الإسلام مفتى الحرم أبو محمد القرشي مولاهم المكي، يقال ولاؤه لبني جمح. كان أسودَ أعورَ أفطس أشلّ أعرج ثم عمي. كان ثقةً فقيهاً عالماً كثير الحديث ـ سير أعلام النبلاء. ج: ٥ ص: ٧٨ ـ

وبعث بشر بالكتاب الذي كتبه ابن الزبير إلى عبد الملك. فكتب إلى الحجاج بالطائف أن سِرْ إلى ابن الزبير فأنزل معه وأشغِله. فقدم مكة ورماه بالمنجنيق.

وقال جوّاس بن القعطل الكلبي:

[من الكامل]

إنّ الخلافةَ ياأميّةُ لم تكن	أبداً تدرُّ لغيركم ثَدياها
فخذوا خلافَتَكم بأمرٍ حازمٍ	لايَحلُبَنَّ الملحدونَ صَراها[1]
سيروا إلى البلدِ الحرامِ وشمِّروا	لاتُصلِحوا وسواكمُ مولاها
لاتتركُنَّ منافقينَ ببلدةٍ	إلاّ أَملتم بالسيوفِ طُلاها

قالوا: ووجد الحجاج في بيت مال ابن الزبير عشرة آلاف ألف درهم فأخذها.

وقال عبدُ الله بن زهير بن أميّة لابن الزبير: إن الناس قد خذلوك فإن أحببت أن نأخذ لك أماناً أخذناه، فقال: خُذْ لنفسك أماناً إن أردتَ، فأمّا أنا فلا حاجة لي في أمانهم. وقال له الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة، وهو القُباع: أما والله لو قبلت أمان القوم كان خيراً لك مما أنت فيه، فقال له: يابن آكلة حمام مكة ألِي تقول هذا! ويحكَ إنّ موتاً في عِزّ خير من حياة في ذُلّ.

وطلب عبد الله بن عمرو بن عثمان الأمان من الحجاج فأُومن[2]. وأتى حمزة ابن عبد الله وخُبيب بن عبد الله الحجاج، فقال عبد الله لابنه الزبير: إن أردتَ أن تذهب فاذهبْ فلأَن تحيَوا أحبُّ إليَّ من أن تقتلوا، فقال: لبئس الولد أنا لك إن لم أواسيك بنفسي حتى يصيبني ماأصابك، فقُتل مع أبيه.

---

(١) الصِّرار: خيط يشدّ فوق خِلف الناقة لئلا يرضعها ولدها والخلف للناقة بمثابة حلمة الثدي للمرأة ـ اللسان ـ

(٢) يظهر أن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان كان يقاتل مع ابن الزبير.

المدائني قال: قاتل غلام لابن الزبير أو مولى له وهو يقول:

[من الرجز]

العَبْدُ يحمي رَبَّهُ ويحتمي

وقتل ابنُ صفوان وحمزة بن الزبير وابناه عروة والزبير وأمّ عطاء بن أبي رَباح من ضربةٍ ضُربتها.

المدائني قال: لما بلغ عبدَ الملك مقتلُ ابن الزبير سجد، ودعا بمقصّ فأخذ من ناصيته وأخذ من نواصي صغار أولاده وأخذ من ناصية روح بن زنباع، وقال: أنت منا[1].

المدائني عن أبي طالب بن ميمون عن ابن أبي عتيق[2]، قال:

كان ابن الزبير مضطجعاً في المسجد وولدُه وأهل مكة يخرجون إلى الحجاج وأنا عند رِجله، فقال: ماهذه الأصوات أين يذهبون؟ قلت: إلى الحجاج، قال: فما يمنعهم أن يكفّوا أصواتهم فقد منعونا النوم، فقلتُ في نفسي أتُراه جادّاً، ثم سمعتُ غطيطه.

ووقف الحجاج على جثّة ابن الزبير ومعه نافع بن جُبير بن مُطعِم[3]، فقيل لنافع: ماقال لك؟ قال: أريد صلبه فنهيته.

وقال أبو دَهْبَل[4]:

---

(١) عندما يؤسر أحدهم ويطلقه الآسر من دون فداء كان يجزّ ناصيته علامة عدم أخذ الفداء، وكأنه قد فُك أسره وأسر ولده وأصحابه.

(٢) محمد بن أبي عتيق ابن عبد الله بن أبي عتيق بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ابن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مُرّة بن كعب بن لؤي.

(٣) جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف بن قُصيّ.

(٤) أبو دَهبل الجمحي شاعرٌ من بني جُمح من قريش.

[من الطويل]

أتــاركــةٌ عُليا قريشٍ سَراتَهــا وســاداتِهــا عنــد المقــام تُذَبَّحُ
وهــمْ عُوَّذٌ بالــلهِ جيرانُ بيتِــهِ به مُعْصِمـون أن يُباحوا ويُفْضحوا

المدائني قال: كتب عبد الملك إلى ابن عمر: أن بايع الحجاج فإنّ فيك خصالاً لاتصلح لكَ معها الخلافة، منها البخل والعِيّ. فقال ابن عمر: ﴿سَمِعْنَا وأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِليكَ المَصِيرُ﴾[1] يعيّرني ابن مروان بالبخل[2] والعِيّ، فوالله لو وَليتُ فأعطيتُ الناسَ حقوقهم ماكان ذلك من مالي، ومَامَنْ قرأ كتاب الله وترك القول فيما لايعنيه بعييّ.

وقال جرير بن عطية في ابن الزبير:

[من الوافر]

دعــوتَ المــلحــدينَ أبــا خُبيبٍ جِماحــاً هل شُفيتَ من الجِــماحِ

وقال الراعي[3]:

[من الكامل]

ماإن أتــيتُ أبــا خُبيبٍ راغبــاً أبــداً أريدُ لبَــيعَــتي تحويلا
[أ] ولا أتيتُ نُجيدةَ بنَ عُويمــرٍ أبـغي الهــدى فيزيدُني تضليلا[4]

وقال سليمان بن سلّام الحنفي[5]:

---

(١) سورة البقرة رقم: ٢ الآية رقم: ٢٨٥.

(٢) عبد الملك بن مروان كان بخيلاً أبخر، والأبخر الذي له رائحة فم كريهة، ولذلك لبخله لُقّب رشح الحجارة ولبخره لقب أبو الذبّان.

(٣) الراعي: هو راعي الإبل النميري الشاعر وهو عبيد بن حُصين بن جَندل بن قطن بن ربيعة بن عبد الله ابن الحارث بن نُمير بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن.

(٤) نجدة بن عامر الحنفي الخارجي فصغرّه وأباه للتحقير ويجب زيادة الهمزة في أول الشطر لصحة الوزن.

(٥) الحنفي يعني من بني حنيفة بن لُجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل.

[من البسيط]

إنّـا دَعَـونـا سميعـاً فاستجابَ لنا ... ومابهِ حين يَدعو العبدُ من صَمَمِ

أراحنـا منْ بَني العـوّامِ إذ قَسَـطوا ... واستخلفَ اللهُ عدْلاً من بَني الحَكَمِ

مُجرَّبَ الـوَقْـعِ لاتنبُـو مضـاربُهُ ... يُمسي العَـدُوُّلـه لحماً على وَضَمِ[1]

بابنِ الـزبـيرِ جُنونٌ لا شِفـاءَ لهُ ... إلاّ سُرَيجيَّةٌ تَشـفـي مِنَ اللَّمَمِ[2]

رامَ الأمـورَ فَأعيتـهُ مطالِعُهـا ... حتّى أحـلَّ بركنِ البيتِ والحَرمِ

وغـرَّنـا بكتـابِ اللهِ يدرُسُـهُ ... ولم يدعْ بطنُـهُ تمراً لِمُجتـرِمِ

وَغـالَ أعـطيةَ المِصرين يأكُلُهـا ... ولم يَخَفْ نَقمـةَ الرحمنِ ذي النِّقَمِ

في أبيات.

المـدائني قال: قال ابن عمـر: أهـل الحجـاز أسرعُ الناس إلى فتنة، وأهل الشـام أطـوع النـاس لمخلوق في معصية الخـالق، وأهل العراق أسأل الناس عن صغيرة وأركبهم لكبيرةٍ، يسألون عن قتل جرادة وقد قتلوا ابن بنت نبيّهم.

وتزّوج عبد الله بن الزبير أمَّ الحسن بنت الحسن بن عليّ، وعائشة بنت عثمان ابن عفّـان، وتـزوّج قَهْـطَم بنت منظور فولدت له حمزة وخُبيباً، والزبير، ومنذراً، وثابتاً، وعبّاداً، ثم خلفَ على أختها أم هاشم، وتزوج رَيْطة بنت عبد الرحمن بن الحـارث بن هشـام فولـدت له عبـد الـرحمن وتزوج حنتمة[3] بنت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فولدت له موسى وعامراً.

وسوّدت أمّ الحسن وجواريها على عبد الله حين قُتل رحمه الله وأرضاه.

---

(١) وضم: الخشبة التي يوضع عليها اللحم.

(٢) سُريج: هو حداد معروف والسيوف السريجية منسوبة إليه. اللَمَم: من لمّ الشيء أي جمعه اللَمَم: الجمع - اللسان -

(٣) يظهر أن عبد الله بن الزبير كان مولعاً بزواج الأخوات فتزوج قهطم بنت منظور ثم بعد موتها تزوج أختها أمّ هاشم وتزوج رَيْطةَ بنت بعد الرحمن بن الحارث وتزوج بعدها أختها حنتمه بنت عبد الرحمن بن الحارث.

أمر الخوارج فيما بين موت يزيد بن معاوية وولاية عبد الملك بن مروان

الأزارقة ومقتل نافع

١٠٠ ـ قالوا: كان نافع بن الأزرق من بني حنيفة، ويقال إنه كان مُقيماً معهم فانتسب إليهم وكان يُكنى أبا راشد، وكان مع نجدة[1] بن عامر ففارقه.

حدثني جعفر بن عمر عن الهيثم بن عدي، قال:

كان نافع مع نجدة بن عامر فأحدث المحنة وقتل في السرّ فعابت تلك الخوارج، وقالوا: أحدثت مالم يكن عليه السلف من أهل النهروان وأهل القبلة، فقال: هذه حجّة قامت عليّ لم تقم عليهم. ففارقته الخوارج فسمّوا أهل الوقوف لأنهم وقفوا عند الشُّبْهة.

وكان ابن الأزرق مِمَّن حُبس من الخوارج، فدُلّ ابنُ زيادٍ على رجلٍ أُتّهم برأي الخوارج فحبسه، فقال له نافع: لِمَ حبسكَ ابنُ زياد، قال: حبسني في ظِنّة الحرورية لعنهم الله ولعن من كان على دينهم فقال له نافع: أنت والله ظالم ومظلوم، ولم يزل نافع محبوساً حتى مات يزيد بن معاوية وهرب ابن زيادٍ.

قال أبو الحسن علي بن محمد المدائني: بايع أهل البصرة ابنَ زياد بعد موت يزيد وفي السجن أربعمئة من الخوارج، فكُلّم فيهم ابن زياد فأخرجهم فأفسدوا

---

(١) نجدة بن عامر بن عبد الله بن سيّار بن المُطرّح بن ربيعة بن الحارث بن عبد الحارث بن عدي بن حنيفة بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل.

الناس حتى نكثوا بيعته فتحوّل عبيد الله بن زياد إلى الأزد. وأقبل الخوارج يأتون المِربَد في كل يوم فيقفون به فيعيبون الظلم ويدعون إلى قتال السلطان والجبابرة وليس لهم رأسٌ منهم حتى قتل مسعود[1] الأزدي وحاربت الأزد وبكر تميماً فأمَّروا عليهم نافع بن الأزرق.

وأمر الناس بالبصرة يومئذ إلى عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب الذي يُعرف ببّة، وخرجوا إلى الأهواز في آخر شوال سنة أربع وستين فتوافوا بالأهواز ثلاثمئة وخمسون فيهم نجدة بن عامر بن عبد الله بن سيّار بن المُطرِّح بن ربيعة من بني حنيفة وبنو الماحوز[2] التميميّون ثم السليطيون فأخرجوا عمّال الأهواز، وأقاموا شهراً لا يهجون أحداً وليس منهم اختلاف.

ثم إن مولى لبني هاشم كلّمهم فقال: إن الاستعراض[3] وقتل الأطفال لنا حلالٌ. فمال نافع بن الأزرق إلى مقالته، فقال بالاستعراض وتأوّل قول الله: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشرِكِينَ حَيْثُ وَجدتُّمُوهُمْ﴾[4] ورأى قتل الأطفال وتأوّل قول الله تعالى: ﴿إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُم يُضِلُّوا عِبادَكَ ولا يلدُوٓا إلاَّ فاجراً كفَّاراً﴾[5] وضيّق عليهم التقيَّة لقول الله: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيهِمُ القِتَالَ إِذَا فَرِيقٌ منهُمْ يَخشونَ النَّاسَ﴾[6] وقوله:

---

(١) مسعود قمر العراق بن عمرو بن عدي بن محارب بن صُنَيم بن مُلَيح بن شرطان بن معن بن مالك بن فهم بن غَنْم بن دَوْس بن عُدثان بن عبد الله بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد قتلته تميم يوم هروب عبيد الله بن زياد من البصرة.

(٢) بنو الماحوز هو الزبير بن الماحوز وأخو عثمان خارجيان من بني سليط بن الحارث بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم.

(٣) الاستعراض: من فعل استعرض القوم: قتلهم ولم يبال بمن قتل.

(٤) سورة التوبة رقم: ٩ الآية رقم: ٥.

(٥) سورة نوح رقم: ٧١ الآية رقم: ٢٧.

(٦) سورة النساء رقم: ٤ الآية رقم: ٧٧.

﴿ يُجٰهِدُون في سَبيلِ اللهِ ولا يخافُونَ لومةَ لآئِمٍ ﴾[1] وبرىء من القُعَّد واستحلّ قتلهم تأوّلاً لقول الله عزّ وجلّ: ﴿ وجآءَ المُعذِّرُون مِنَ الأعرابِ ليُؤذن لهُم وقَعدَ الّذين كذبُوا اللّهَ ورسُولَهُ ﴾[2] وامتحن المهاجر، وقال: لايحلّ لنا مناكحة قومنا ولا مواريثهم ولا أكل ذبائحهم، والدار دار كُفرٍ.

فخالف نجدةُ نافعاً، فقال نجدة التقيّة واسعة والمقام في دار الكفر حلال وليس لنا أن نمتحن من جاء مُقرّاً بالإيمان، فبايع نجدةَ قومٌ، فصار نجدة إلى اليمامة وبرىء وأصحابه من نافع (بن) الأزرق ونزل بأباض.

وكان أبو طالوت[3] سالم بن مطر بالخضارم[4] وقد بايعه قوم فخلعوه وبايعوا نجدة، وأبو طالوت في قول الكلبي: مَطر بن عقبة بن زيد بن جُهينة بن الفَند وهو سهل بن شيبان، قال: ويقال سالم بن مطر. وقال غيره: هو سالم بن مطر مولى بني زِمّان، وقال الهيثم: هو حنفي.

وكتب نجدة إلى نافع كتاباً يدعوه فيه إلى معاودة ماكان من قوله الأول وترك ماأحدث، وقال له: إنه قد قعد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قوم فلم يُكفّروا، وأنزل الله عزّ وجل: ﴿لاّ يستَوى القعٰدُونَ مِنَ الْمُؤمِنينَ غَيرُ أُولي الضَّرَرِ والمُجٰهِدُون في سبيلِ اللّهِ بأموالِهم﴾ إلى قوله: ﴿وكُلاًّ وَعَدَ اللّهُ الحُسنى﴾[5] فكتب نافع إلى نجدة كتاباً يقول فيه: إن المؤمنين من أهل مكة كانوا يومئذ مقهورين لايستطيعون أن يعلنوا دينهم. وقد أظهر الله الدين وقمع النفاق، وقد قعد قوم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنهاهم الله تعالى، فقال:

---

(١) سورة المائدة رقم: ٥ الآية رقم: ٥٤.

(٢) سورة التوبة رقم: ٩ الآية رقم: ٩٠.

(٣) أبو طالوت مطر بن عقبة بن زيد بن الفِنْد واسمه سهل بن شيبان بن ربيعة بن زِمّان بن مالك بن صعب بن علي ابن بكر بن وائل.

(٤) الخضارم واد بأرض اليمامة.

(٥) سورة النساء رقم: ٤ الآية رقم: ٩٥.

﴿وجاءَ المُعَذِّرُونَ مِنَ الأعْرابِ لِيُؤذنَ لَهُمْ وقَعدَ الَّذينَ كَذبُوا اللَّهَ ورسُولَهُ﴾[1] وقال حين شكوا الضّعفَ فقالوا: ﴿ كُنَّا مُستَضعفِينَ فِي الأَرضِ قَالُوَا أَلَمْ تَكُنْ أَرضُ اللَّهِ واسعَةً فهاجِرْوا فيها﴾[2] .

وكتب نافـع إلى عبد الله بن الزُّبير يدعوه إلى أمرهم ويقول له: إنك تتولّى عثمان وكان أبوك وعليّ وطلحة أشدّ الناس عليه حتى قُتل، وأنت تتولى أباك وطلحة فكيف تجمـع ولاية قاتـلٍ ومقتول في دين الله وقد بايعَ أبوك وطلحة عليّاً ثم نكثا بيعته وحارباه، فاتق الله الذي إليه المصيرُ ولا تتولّ الظالمين.

وكتب نافـع إلى من بالبصرة من الحرورية يدعوهم إلى الجهاد ويرغّبهم فيه ويحذّرهم الدنيا وغرورها وينهاهم عن القعود، فلما أتاهم الكتاب. قال أبو بيهس هِيصَم بن جابر الضبعي[3] بقوله: في أن الداردار الكُفر والاستعراض مباح، فإن أصبت الأطفال فلا حرج على من أصابهم.

وقالت الصفرية وهم أصحاب عبيد الله بن قَبِيص ويقال أصحاب عبيد الله ابن صفّار التميمي، وإنما سُمّوا الصُّفْرية لصُفرة في وجوههم: لايحلّ قتل الأطفال تَعمّداً ولا الاستعراض، وقال نصر بن عاصم الليثي[4] :

[من الكامل]

فارقــتُ نجــدَةَ والّــذينَ تزرّقُــوا ... وابنَ الــزبــيرِ وشيعَــة الكـذّابِ
الصفر الآذانَ حين تخيّروا ... دينــاً بلا علمٍ ولا بكــتــابِ

---

(١) سورة التوبة رقم: ٩ الآية رقم: ٩٠.

(٢) سورة النساء رقم: ٤ الآية رقم: ٩٧.

(٣) الضبعي: مِن بني ضبيعة بن عجل بن لُجَيم بن صعب بن علي ابن بكر بن وائل.

(٤) في الكامل للمبرد: ج: ٣ ص: ١٢٢١ تحقيق الدالي: ابن عاصم الليثي وكان يرى رأي الخوارج فتركه وصار مُرجِئاً.

وقال عبد الله بن أباض[1] القوم كفّار بالنعم وليسوا مشركين، فقال له أبو بَيْهس: أما نافع فغلا في الدين فكفر بغلوّه، وأما أنت فقصّرت فكفرت بتقصيرك، إنّ آخر هذا الأمر كأوّله، وعدوّنا كعدوّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد تحلّ لنا التقيّة ومناكحة قومنا ومواريثهم بما تمسّكوا به من الدعوة. وكفروا بما أتوا به من الأعمال.

قال: فأقام نافع بالأهواز ونجدة باليمامة.

وكتب ابن أباض والصُّفرية إلى نافع ينكرون عليه شهادته على القُعَّد بالكفر واستحلاله المال قبل المحاربة وقتل الأطفال وماكان عنده من أمانة، وقالوا: إنما أحلّ الله لرسول الله دماء عدوّه وأموالهم إذا ناصبوا القتال، فأمّا على وجه-الأمانة وقبل الحرب فلا، قد قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم كعبَ بن الأشرف في داره فلم يغنم ماله والأمانة مؤدّاة إلى البِّر والفاجر.

معارك الخوارج

١٠١ - وحدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي ثنا وهب بن جرير عن أبيه:

إن أصحاب نافع بن الأزرق ونافعاً خرجوا بعد مقتل مسعود بن عمرو الأزدي إلى الأهواز فغلبوا عليها، فبعث إليهم عُمر بن عبيد الله بن مَعْمَر أخاه عثمان بن عبيد الله وكان خليفة أخيه عمر بن عبيد الله بن معمر في جيش فلقيهم بدولاب وهي قرية دون سوق الأهواز، فقُتل عثمان وهُزم جيشه وقُتل منهم ناس كثير.

---

(١) في الجمهرة ج: ١ ص: ٣٤٦ ومن بني صريم بن مقاعس عبد الله بن أباض الخارجي وعبد الله بن صفار الخارجي وصريم هو ابن مقاعس واسمه الحارث بن عمرو بن كعب ابن سعد بن زيد مناة بن تميم.

وحدثني أبو خيثمة وأحمد بن إبراهيم قالا ثنا وهب بن جرير عن محمد بن أبي عيينة عن سَبْرة بن مخنف:

أن ابن الأزرق خرج في أربعين وصار إلى دولاب فبعث إليهم عمر بن عبيد الله أخاه عثمان بسبعة آلاف من أهل البصرة فهزموا جنده وقتلوه، فقال ابن سهم التميمي:

[من الطويل]

فلو شَهِدَتنا يومَ دولابَ أبصَرتْ طعانَ امرىءٍ في الحربِ غيرِ سَؤُومِ
غَداةَ طَفت في الماءِ بكرُ بنُ وائلٍ وعُجنا صدورَ الخيلِ نحوَ تميمِ[1]

وحدثني أبو خيثمة وأحمد بن إبراهيم قالا ثنا وهب عن أبيه:

أن أهل البصرة بعثوا إليهم جيشاً بعده عليهم حارثة بن بدر الغداني[2]، فلما نظر إليهم عرف أنه لاطاقة له بهم، فقال لأصحابه:

[من مجزوء الرجز]

فكرنبوا ودَولِبُوا وحيثُ شئتُم فاذهبُوا

وانتدب في الجيش القرّاء والفقهاء والأغنياء وأنفقوا أموالهم واستعملوا عليهم مسلم بن عُبَيس الكريزي.

قال المدائني: لما بلغ أهل البصرة قول نافع بن الأزرق وماقال به من القتل والاستعراض، فزعوا إلى الأحنف ابن قيس، فقالوا: ليس بيننا وبين هذا العدوّ إلاّ ثلاث ليالٍ، وقد جرّد السيف وعاث في الأرض، فقال الأحنف: علمهم في

---

(١) هذه القصيدة في الكامل للمبرد: ج: ٣ ص: ١٢٢٦ تحقيق أحمد الدالي هي لقطري بن الفجاءة مع تغير في بعض الكلمات وبعض أنصاف البيوت. وفي الجمهرة هي لأبي سهم الخارجي وليس ابن سهم وهو الذي يقول:

لعمرك إني في الحياة لزاهد وفي العيش مالم ألق أم حكيم

(٢) الغداني: بطن من تميم وهو غدانة بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم.

مِصركم كعلمكم في سوادكم فاستعدّوا لجهادهم. وحضّ الأحنف الناس فتسارعوا إليه واجتمع عشرة آلاف، فكلّم وجوهُ أهل البصرة عبدَ الله بن الحارث ببّة، فأمّرَ عليهم مسلم بن عُبَيس بن كُريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس، فخرجوا في جمادي الآخرة سنة اثنتين وستين، فلما أتوا جسر البصرة، قال لهم مسلم: أيها الناس إنا لسنا نخرج لذهبٍ ولا فضّة، إنما نسير إلى قوم إن ظهرنا عليهم كانت رماحهم أطراف الأسِّنة وإنما يقدمون على الموت ويلقون المنايا، فمن أحبَّ المضيَّ فليمض ومن كرهه فلينصرف من قريب، فتفرّقت عنه جماعة، وخرج فيمن بقي معه فلقي نافعاً بالأهواز، ونافع في ستمئة فاقتتلوا فقُتل مسلم بن عبيس، وقد كان قال لأصحابه: إن قُتِلت فأميركم ربيع بن عمرو الغُداني، وهو الأجذم جُذمت يده بكابُل مع عبد الرحمن بن سَمُرة، فقاتل نافعاً وأصحابه بدولاب فكانت بينهم قتلى، وقُتل رجال من بني تميم أقدموا على الخوارج، وقُتل رجال من بني سدوس، فذمّرهم رجل منهم وقال: يابني سدوس مابالُ هؤلاء أجدّ باطلهم منكم في حقكم، أراهم سراعاً إلى النار وأنتم بطاء عن الجنّة، وحَمَل وكرَّ الناس فقتل نافع ابن الأزرق.

وقام بأمر الخوارج حين قُتل ابن الأزرق عبيد الله بن بشير بن الماحوز السليطي، فقاتلهم ربيع بن عمرو عشرين يوماً ثم قُتل، وأخذ الراية الحجاج بن ناب بعد أن طُلب إليه في أخذها، فلم يفعل وقال: إنها مشؤومة فقاتل الحجاج بن ناب حتى قُتل، وأخذ الراية بعده حارثة بن بدر الغُداني.

وقال هشام بن محمد الكلبي: قول من قال حارثة بن بدر غلط. وإنما هو جارية بن بدر بن ربيعة بن بدر ابن سيف بن جارية بن سَليط بن الحارث بن يربوع، وهو الذي قال:

[من مجزوء الرجز]

وكرنبوا ودولبوا وحيث شئتم فاذهبوا

وجاءت خيل المحكّمة من ناحية اليمامة لعلها بنحو: أربعين ويقال مئتين، فمشى ابن بدر برايته القهقري وعدل نحو دُجيل، فغرق يومئذ دَغْفل[1] بن حنظلة أحد بني شيبان، وصار ابن بدر بناحية نهر تيري ولم تتبعه الخوارج لما بهم من الجراح وأقام عبيد الله بن بشير بن الماحوز بالأهواز ثلاثة أشهر، فقال صالح بن عبد الله العبشمي[2]

[من الطويل]

لعَمرِكَ إنّي في الحياةِ لَزاهدٌ ... وفي العيشِ مالم ألقَ أمَّ حكيمِ[3]

لعمرُكَ إنّي يوم ألطِمُ وجهها ... لَمستسرعٌ في الغيِّ غيرُ حَليمِ

رأت فتيةً باعوا من اللّهِ عهدهُم ... بجنّاتِ عدنٍ عنده ونعيمِ

فلو شَهدتني يومَ دولابَ أبصرت ... طِعانَ امرىءٍ في الحرب غير مليمِ

غداةَ طفَت في الماءِ بكرُ بنُ وائلٍ ... وألفافُها من يحمُدٍ وسَليمِ

ومالَ الحجازيّونَ نحو بلادكم ... وعجنا صدور الخيلِ نحو تميمِ

وكان بعبد القيس أوّلُ حدِّها ... وولّت شيوخُ الأزد ثم تعوم

فلم أرَ يوماً كان أكثر معقَصاً ... يُمجّ دَماً من كاظمٍ وكَليمِ

قالوا: وكان على الأزد يوم ابن عبيس قبيصة بن أبي صُفرة جدُّ هزار مرد وقال بعض الشعراء:

[من الوافر]

يرى مَنْ جاءَ ينظُرُ في دُجيلٍ ... شيوخَ الأزدِ طافيةً لِحاهَا

---

(١) دَغْفل بن حنظلة بن يزيد بن عبدة بن عبد الله بن ربيعة بن عمرو بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة. النساب والذي أفحم أبا بكر الصديق في النسب وقال له: [من الرجز]

صادف درءُ السيلِ سيلاً يتبعُهْ ... يهيضُهُ حيناً وحيناً يصدعُهْ

(٢) العبشمي: أي من عبد شمس بن عبد مناف بن قصي القرشي.

(٣) أم حكيم من الأنصار وهي من الخوارج بنت عمرو بن قيس بن عامر بن جعدبة بن ثعلبة ابن سالم بن مالك بن واقف بن امرىء القيس بن مالك بن الأوس.

وقال الشاعر يرثي مسلم بن عُبَيس والحجاج بن ناب الحميري:

[من الوافر]

ألا ياعينُ ويحكِ أسعديني ... بدمعٍ ليس ذا حينَ الجمود
على النفرِ الأُلى قُتلوا جميعاً ... بدولابٍ على ذُفَرِ المجيدِ
هُمُ صَبروا على حرِّ المنايا ... ولمّا يرهبوا جمع الجُنُودِ
ثوى ابنُ عُبيسَ ثم مضى حميداً ... إلهُ النّاسِ صلِّ على الشهيدِ
إذا نُسبت قريشٌ كان فرعاً ... مقيمَ العِزِّ في البيتِ المشيدِ
وما أَلِفوا رتيعاً ثم نكساً ... ولا رعديدَةً عند الورُودِ
غلامٌ من غَداتِهِ في رؤاها ... بحيثُ الناسُ في الحَسَب التّليدِ
وحجّاجُ بنُ نابٍ غادَرتْه ... رماحُ القومِ مُلقىً بالصّعيدِ
غلامٌ حِميريٌّ لم تَخُنهُ ... قِرافُ الأمّهاتِ ولا الجدُودِ

وقال بعض الخوارج في مقتل نافع بن الأزرق:

[من الكامل]

شَمِتَ ابنُ بدرٍ والحوادثُ جمّةٌ ... والجائرون بنافعِ بنِ الأزرقِ
قد ماتَ غيرَ مُداهنٍ في دينهِ ... ومتى يَمُرَّ بذكرِ نارٍ نُصعَقُ
والموتُ حتمٌ لامحالةَ واقعٌ ... من لم يُصبِّحهُ نهاراً يُطرقُ
فلئن أميرُ المؤمنينَ أصابه ... ريبُ المَنُونِ فمن يُصبهُ يُغلقُ

وقالت عمرة أمّ عمران بن الحارث الراسبي، وكان عمران مع ابن الأزرق فقتل:

[من البسيط]

اللّهُ أيّد عَمراناً وأسعدهُ ... وكانَ عمرانُ يدعو اللهَ في السَّحَرِ
يدعوه جَهراً وإسراراً ليرزُقَهُ ... شهادةً بيدي ملحادَةٍ غُدرِ
ولّى صحابتُه التسعونَ إذ دهموا ... وشَدَّ عمرانُ بالضرغامةِ الهصرِ
أعني ابنَ عمرةَ إذ لاقى منيّتَهُ ... يوم ابنِ نابٍ يُحامي عورةَ الدُّبُرِ

في أبيات.

قالوا: وقُتل مع ابن الأزرق عوف بن أحمر الضبعي فبكاه الحارث بن كعب الشَّنيّ[1]، فقال:

[من الطويل]

أجيهانُ قد أبلى عظامي وشَفَّها ... وأسهرَ ليلي ذكرُ عوفِ بن أحمرِ

فتى كان لايخشى سوى اللّهِ وحدَهُ ... ويطمعُ في معروفهِ كلُّ مُعمرِ

يُجاهدُ في اللّهِ ابنُ أحمرَ صادقاً ... إذا ماارتَضى بالجورِ كلُّ مُقصِّرِ

في أبيات.

وكان عوف ممن شهد النهر واعتزل ثم شهد النخيلة فنجا وقتل مع نافع، وكان الحارث بن كعب الشني مع نافع فنجا، ثم أخذه الحجاج بن يوسف بعد فقطع يديه ورجليه وصلبه فطرق حَرسهُ الخوارجُ ليلاً فاستنزلوه ولم يعرضوا للحرس ومضوا به فدفنوه.

وحدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي ثنا وهب بن جرير عن محمد بن أبي عيينة، حدثني معاوية بن قُرّة قال:

خرجنا مع ابن عُبيس ونحن نحو من عشرين ألف، فقام ابن عُبيس خطيباً: فحمد الله وأثنى عليه وقال:

أيها الناس إنا إنما خرجنا حِسْبَةً فمن كان منكم على مثل رأينا فلينهض معنا، ومن لايك على مثل رأينا فليرجع عنّا فحصلنا في ألفين فسرنا حتى لقيناهم بدستوا[2] فاقتتلنا فقتل منا خمسة أفراد، وكانت الحرورية في خمسمئة فلما أمسينا

---

(١) شن بن أفصى بن عبد القيس وأخوهُ لكَيز وكان يبرّ أمه ولكيز يعقها فحملها شن ذات يوم فجعلت تقول فديت لكيزاً فرمى بها من الجبل وكانت عجوز كبيرة فماتت فقال شنّ: دونك لكيز جعرات أمك وقال: يحمل شنّ ويفدى لكيز فذهبت مثلاً.

(٢) نزل نافع بن الأزرق روستقباد من أرض دستوا من نواحي الأهواز ـ معجم البلدان ـ

بقيت شرذمة نحو ستين وقتل ابن الأزرق وابن عبيس، وقال: فقمنا وقاموا ينظرون إلينا وننظر إليهم مامنا رجل يبسط يده للقتال من اللغوب، فقال الناس: امسكوا عنهم حتى يسوّد عليهم الليل، وقال بعضهم: لا نقتلهم على غرّة، فاستقام رأيهم على تركهم حتى يصبحوا، قال: وطرقهم مددٌ من اليمامة، وكان نافع يبقر النساء ويقتل الصبيان.

وقال الهيثم بن عديّ عن ابن عياش ومجالد ويونس بن أبي إسحاق قالوا:

قال الشعبي: خاف أهل البصرة نافع بن الأزرق وأصحابه ففرّقوا الإبل ليرتحلوا عنها والمتولي لأمر البصرة إذ ذاك عبد الله بن الحارث ببّة وذلك عند هرب ابن زياد، وكان أهل البصرة كتبوا لعبد الله بن الزبير بارتضائهم إياه فأقرّه سنة ثم عزله، وكان يُكنى أبا محمدٍ فعقد ببّة لمسلم بن عُبَيس ووجّه معه القرّاء والمستبصرين في قتال الحرورية، فأتوا دولاب فاقتتلوا فقتل مُسلم وقُتل نافع أيضاً، فأمّر أهل البصرة عليهم ربيعاً الأجذم، أحد بني سَلِيط، ورأست الأزارقة عليهم عبيد الله بن الماحوز التميمي، وقُتل الأجذم فرأسوا عليهم الحجاج بن ناب الحميري حليف قريش، فقتلا جميعاً فرأس أهل البصرة عليهم حارثة بن بدر ورأست الحرورية الزُّبير بن الماحوز، فقال حارثة بن بدر: كرنبوا ياأهل البصرة ودولبوا وحيث شِئتم فاذهبوا فلستُ لكم بصاحب.

وقتل من أهل البصرة بشر كثير، فقال عبيد الله بن هلال:

[من الطويل]

لَعَمرُكَ إني في الحياةِ لزاهدٌ[1].

هذا الشعر الذي كتبناه.

---

(١) هذا الشعر في السابق قال هو لابن سهم الخارجي وفي الجمهرة لأبي سهم الخارجي ثم قال: هو لصالح بن عبد الله العبشمي والآن يقول هو لعبيد الله بن هلال وفي الكامل للمبرد هو لقطري بن الفجاءة، وربما ادعاه كل رؤساء الخوارج. والله أعلم.

وقال المدائني: الأزارقة لايكفّرون من أهل الكبائر في دار هجرتهم إلا القاتل، فيقولون: القاتل قصد قطع الحجّة لأنّ المسلم حجّة.

وقال المدائني حدثني أبو عمران الجَوني واسمه عبد الملك بن حبيب عن أبي الجلد غيلان ابن فروة الجَوني قال:

أتاني نافع بن الأزرق قبل أن يخرج، فقال: إني أريد الخروج، فقلت: لاتفعل، فقال: قد طال مقامنا بين هؤلاء الذين أماتوا السنّة وأحيوا البدعة، قال: فقلت له: أما إن أبيت إلا الخروج فإني رويت أن لجهنم سبعة أبواب بابٌ منها للحرورية فاخرج إن شئت أودَعْ، فخرج إلى الأهواز.

المدائني عن عامر بن عبد الملك قال: جاء نافع بن الأزرق إلى مالك بن مِسْمَع وعليه سيف عريض قصير، فقام إليه ابن مسمع فأخذ بحمائل سيفه، فقال له: يامالك خلّ عن سيف ابن عمك[1]، فقال مالك: يانافع ألا تعيننا على أمرنا هذا؟ فقال: إني لا أرى القتال معكم.

وروي عن الجارود بن سَبْرة، قال: خرج نافع إلى الأهواز فأقام وأصحابه سبعة أشهر لا يستعرضون الناس وسيرتهم حسنة، ثم استعرضوا وبسطوا أيديهم، فقتل نافع في جمادي الآخرة سنة خمس وستين، فقام بأمر الخوارج عبيد الله بن بشير ابن الماحوز[2] وعلى أهل البصرة ربيع الأجذم.

المدائني عن هشام بن قحذم قال: خرج قوم من الأزارقة بموقوع فقيل لبيّة، إنّ بموقوع خوارج، فقال: دعونا نمسي ونرى رأينا، فأرسل إليهم خيلاً ليلاً فالتُقطوا،

---

(١) العمومية تلتقى بينهما في لجيم فهو أخو عكابة ابنا صعب بن علي بن بكر بن وائل فمالك من بني قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب وابن الأزرق من بني حنيفة في أول خبره وحنيفة بن لجيم بن صعب.

(٢) الماحوز من بني سَليط واسمه كعب بن الحارث بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم.

قال: ومات الأزرق أبو نافع وكان رجلاً سِنيّاً صالحاً، فقدم نافع من سفر له وقد مات أبوه فلم يصلِّ عليه، وقال: دونكم صاحبكم، فلما بلغ ابن زيادٍ ذلك أخذه فحبسه، فقال لرجلٍ محبوس معه: لأي شيء حبسك ابن زياد؟ فقال: أخذني بظنّة الخوارج لعنهم الله فقال: هذا الظالم المظلوم حبسه ابن زياد ويشتم الخوارج. قال: ولقي نافع امرأةً على حمار لها وذلك في أيّام الطاعون، فقال لها: أين تريدين؟ قالت: أفُرُّ من الطاعون، قال: ويلك أتفرّين من الله على حمار!

وقال سلامة الباهلي: قتلت نافعاً فطالبتني بثأره امرأةٌ كانت تدعوني إلى البراز ونحن نقاتل عُبيد الله بن الماحوز.

أمر عثمان بن عبيد الله بن معمر في قتال ابن بشير بن الماحوز

١٠٢ ـ قال: أقام عبيد الله بن بشير بن الماحوز بالأهواز بعد مقتل مسلم وأصحابه ثلاثة أشهر، وهاب الناس الخوارج وكَرِهَ ببّة القتال ولزم منزله.

فكتب أهل البصرة إلى ابن الزبير في ذلك فكتب إلى أنس بن مالك[1] في تولي الصلاة فصلى أربعين يوماً، ثم ولّى ابنُ الزبير البصرة عُمر بن عبيد الله بن معمر وكتب إليه بعهده عليها وكان يريد العُمرة فقلّد خلافته عُبيد الله بن عبيد الله أخاه، وندبَ عمرُ بن عبيد الله لقتال الأزارقة وهم بالأهواز أخاه عثمان، ويقال: إنّ عبيد الله ندبه، وبلغ الخوارج ذلك فأقبلوا من الأهواز يريدون البصرة، فقال أهل البصرة: ماعُذرنا عند أهل مِصرنا إن وصل إليهم الخوارج ونحن دونهم إليهم فأقبل من نهر تيرى وكان بها فعبر دُجيلاً. وأقبل الخوارج فقاتلهم حتى رجعوا إلى دولاب.

وقدم عثمان بن عبيد الله بن معمر في عشرة آلاف من أهل البصرة فسار ومعه حارثة بن بدر إلى ابن بشير بن الماحوز، فلما التقى العسكران، قال عثمان لحارثة بن بدر: أما الخوارج إلاّ من أرى؟ فقال حارثة: حسبك هؤلاء، فقال: لاجَرَم لا أُطعمُ طعاماً حتى أناجزهم، فقال حارثة: أذكرك الله إن هؤلاء لايقاتلون بالتعسّف فاستبق نفسك وجندك، فقال: أبيتم ياأهل العراق إلا جُبناً وماهؤلاء إلا كلبٌ فقال حارثة: أنا أعلم بهؤلاء منك، فقال عثمان: أنت بهطر[2] الحرب أعلم!

---

(١) أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جُندب بن عامر بن غَنْم بن عدي بن النجار واسمه تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج الصحابي المشهور وخادم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(٢) هصر: كسر وأصل الهصر أن تحني العود الرطب اليك.

فغضب حارثة واعتزل، وناهضهم عثمان بعد الظهر فتقاتلوا حتى غابت الشمس وقد قُتل عثمان قتله ابن بُرْز مولى عبد القيس[1] ، ويقال إنهم تحاجزوا عند المساء ثم بيّتهم الخوارج فقتل عثمان، وقال حارثة: أيها الناس أنا حارثة بن بدر فقاتل الخوارج ومنعهم من اتباع الناس، وبلغ فلّ عثمان البصرة. وذلك في ذي القعدة سنة خمس وستين.

ورجع الخوارج إلى الأهواز ورجع حارثة إلى نهر تيرى، فقال رجل يرثي عثمان بن عبيد الله وكان مقتله بدولاب أيضاً:

[من المتقارب]

ونالَ الشهادةَ منهم فتىً | بدولابَ كالقمرِ الأزهرِ
طويلُ النجاد رفيعُ العمادِ | كهمّك من فارسٍ مُستعرِ[2]
أراد الجهاد رجاء الثواب | وقاتلَ عن دُبُرِ المُدبرِ
ليعذُرهُ اللّهُ والمسلمون | ومعذِرةُ الله للمعذِرِ

في أبيات.

وقال رجلٌ من بني تميم:

[من الطويل]

مضى ابنُ عُبيسٍ صابراً غيرَ عاجزٍ | وأعقبنا هذا الحجازيُّ عثمانُ
فأرعدَ من قبلِ اللقاءِ ابنُ معمرٍ | وأبرقَ والبرقُ اليمانيُّ خوّانُ
فلم يُنكِ عثمانُ جناحَ بعوضةٍ | فأضحى عدوُّ الدين حرباً كما كانوا
فلولا ابنُ بدرٍ للعراقينِ لم يَقُم | بما قامَ فيه للعراقينِ إنسانُ
إذا قيلَ مَنْ حامي الحقيقةِ أومأتْ | إليه معدٌّ بالأكُفِّ وقحطانُ

---

(١) عبد القيس من أشهر القبائل المعدّية وسكناها البحرين وهو عبد القيس بن أفصى بن دُعميّ بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معدّ.

(٢) همك: لجّ وتمادى فيه. يقال: مِسْعَر حرب: لموقد الحرب.

قالوا: ثم عزل عبدُ الله بن الزبير عُمر بن عبيد الله بن معمر، وولى البصرة الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي وهو القُباع في سنة ستٍ وستين، وكان حارثة بن بدرٍ بنهر تيرى، فكتب إلى القباع يسأله توليته قتال الخوارج وأن يمدّه بجيش، فهمّ أن يفعل ثم أُنشدَ فيه:

[من الوافر]

ألم ترَ أنَّ حارثةَ بنَ بدرٍ ... يُصلّي وهُو أكفرُ من حمارِ
وأنّ المالَ يعرفُ مَنْ وعاهُ ... وتعرفُكَ البَغَايا والعُقارُ[1]

فكتب إليه القباع أن اشخص إلى مِصرك فإني مولٍ هذا الأمر غيرك ، فقال: لا أبرح حتى يقدم من يقوم مقامي، فرفضه أصحابُه وقفلوا حتى بقي في عصبة من قومه، فقال: لاصحبكم الله:

[من مجزوء الرجز]

[و] كرنبوا ودولبوا ... وحيث شئتم فاذهبوا

وقال حارثة:

[من الكامل]

---

(١) العُقار: الخمر. وكان حارثة سكّيراً سارقاً وهو الذي قال له أبو الأسود الدؤلي عندما ولاه ابن زياد سُرّق وهي بلدة من كور الأهواز على نهر تيرى: [من الطويل]

أحارِ بنَ بدرٍ قد وُليتَ إمارةً ... فكُن جُرَذاً فيها تخونُ وتسرقُ
فلا تعجزَن فالعجزُ أبطأُ مركبٍ ... وماكلُّ من يُدعى إلى الرزقِ يُرزقُ

فقال حارثة: [من الطويل]

جزاكَ مليكُ الناس خيرَ جزائِهِ ... فقد قُلتَ معروفاً وأوصيتَ كافيا
أمرتَ بحزمٍ لو أمرتَ بغيرِهِ ... لألفيتَني فيه لرأيكَ عاصيا

أيْرُ الحِمارِ فَريضَةٌ لنسائِكُمْ والخصيتانِ فَريضَةُ الأعرابِ
ولِذي الموالي جلدُ أير بنيهِمُ والأنثيانِ قِلادة وسِخابُ[1]

ولما علم الخوارج خفّة مع من حارثة قطعوا إليه دُجيلاً فبيّتوه فأتى دُجيلاً فركب سفينة ولحق به قوم من بني تميم فرسبت السفينة فغرقوا جميعاً.

قال المدائني، قال أبو أميّة بن يعلى: ركب حارثة سفينةً وجاء شُكيم التميمي وقد دفع الملاح، فناداه: ياحارثة إن مثلي لايُضَيَّعُ، فقال للملاح: ادنُ سفينتك فقرّبها إلى جرف فرمى بنفسه من الجرف وعليه سلاحه فمالت السفينة ورِجلها في الماء فرسبت وغرقت وغرق حارثة ومن معه.

قالوا: وأقام عبيد الله بن بشير بن الماحوز بعد غرق حارثة بنهر تيرى يجبي ماحوله، وبعث الزُّبير ابن علي وهو ابن عمّه إلى الفرات فجباه، وكان في جماعة ثم إنه أتى الجسر الأكبر بالبصرة فقطع الناس الجسر الأكبر فعقده وعبر فصار بين الجسرين، وخرج الناس إليه في السفن وعلى الدواب فلما انتهوا إليه خرج الناس من السفن فاسودّت الأرض، فلما رأى كثرة الناس، قال: أبى قومكم إلا كُفراً ورجع حتى عبر الجسر، وفزع الناس إلى الأحنف بن قيس، فأتى الأحنفُ القباعَ فشكا إليه ما الناس فيه، فقال: أشيروا عليّ من أوليّ، فأشار قوم بمالك بن مِسمع الجحدري[2] وأشار قوم بزياد بن عمرو العتكي، فقال الأحنف: لا أرى لهم غير المهلّب.

---

(١) السخاب: القلادة من القرنفل ـ اللسان ـ

(٢) الجحدري: هو جحدر بن ضبيعة واسمه ربيعة وإنما سمي جحدراً لقصره ويوم حرب البسوس تحالقوا لتعرفهم النساء فقال: لاتحلقوا رأسي فإني أعرف لقصري وأشتريه منكم بأول فارس يطلع عليكم من القوم فطلع ابن عناق فشد عليه فقتله وهو من أجداد مالك بن مِسْمَع ولهذا صار ينسب إليه ومالك بن مسمع بن شيبان بن شهاب بن قُلع بن عمرو بن عباد بن ربيعة جحدر بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل.

فكلّم القباعُ المهلَّبَ وقال له: إنّ أهل مِصرك قد ارتضوك ورجوك وأملوا أن يقمع الله هذا العدوّ بك، فقال المهلّب: لا حول ولا قوّة إلا بالله إني عند نفسي دون ماقالوا، وقد ولاّني أميرُ المؤمنين عبد الله بن الزبير خراسان وأمرني بأمرٍ فأنا أكره ترك أمره، فقال الأحنف: ياأبا قبيصة لو أتيت عملك لم تنتفع به مع هؤلاء لاجلاء لهم عن مِصرك ومن تخلّف من أهلك. فنحن نكتب إلى أمير المؤمنين فيعفيك مما ولاّك وتكتبَ إليه فتستعفيه وتعلمه بما رغبنا فيه إليه، فكتبوا وكتب فأجابهم ابن الزبير إلى ماسألوه.

ويقال: إنهم زوّروا كتاباً، واشترط المهلّبُ أن ينتخب من أحبّ من المقاتلة، فقالوا له: ذاك لك. وأن يكون والي كلّ بلدٍ يغلب عليه. فقال له القباع: ذاك لك، واشترط أن يعمل برأيه، فقال له: ذاك لك، ويقال: إنه سأل أيضاً خراج ماغلب عليه، فقال له القُباع: ذاك للمسلمين فإن أخذته كنت وعدوّهم سواء، ولكن لك مافَضُلَ من أُعطيات أصحابك.

فكُتب له بما سأل كتابٌ وُضِع على يد الصلت بن حُريث الحنفي.

فانتخب المهلب اثني عشر ألفاً من جميع الأخماس[1] وعسكر بالجسر وأعان المهلبُ الناسَ واتّخذ ألويةً وراياتٍ، وقاتل الخوارج فهزمهم وعقد الجسر وأمر أن لايتبعوا، فصاروا إلى نهر تيرى وانصرفوا إلى عبيد الله بن بُشَير بن الماحوز، فقال رجلٌ من الأزد:

---

(١) الأخماس: كانت البصرة كلها مقسمة إلى خمسة أخماس.

[من البسيط]

أبـا سعـيدٍ جزاكَ الـلهُ صالحـةً ... عن العـراق ليالي الحـرب تلتهبُ

والنـاسُ في فتنـةٍ عمياءَ مُظلمـةٍ ... والـدين يُهجرُ والأمـوالَ تُنتهبُ[1]

لولا دفـاعُـكَ إذ حلَّ البـلاءُ بهم ... لأصبحـوا عن جديد الأرض قد ذهبوا

وجبى المهلب خراج الفرات وغيره وأعطى الناس، وانضم إليه محمد بن واسع الأزدي الناسك، وأبو عمران الجَوني، وعبد الله بن رياح الأنصاري، وكان معه معاوية بن قُرّة المُزني[2].

ووعظ المهلب الناس، وقال: هذا عدوكم الذي لاريبة في أمره ولا توقّف عنه، وقد لقيهم قبلكم مسلم ابن عُبيس الصابر المحتسب، وعثمان بن عبيد الله ابن معمرالبحرالُمفرط، وحارثة بن بدر العاصي المخالف فالقوهم رحمكم الله بصبرٍ وعزم، وجعل المهلب على بني تميم الحريش[3] بن هلال وسار حتى نزل نهر تيرى. وسار الخوارج إلى الأهواز، فجبى خراج السوس ومناذر واستخلف أخاه المُعارك فبعث عبيد الله بن بشير إلى المُعارك مولى لأبي صفرة[4] يقال له فائد من سبي الجاهلية في خمسين من الخوارج فيهم صالح بن مخراق فقتلوا المعارك وصلبوه. فبعث المهلّب ابنه المغيرة فأنزل عمّه ودفنه، ثم سار المهلب فأتى سولاف من مناذر وقد صار الخوارج إليها فقاتلهم فكُشف المهلب. وقتل عبد الرحمن الإسكاف مولى

---

(١) في أصل المخطوط والمال منتهب وبها يكسر الوزن.

(٢) قرّة بن معاوية أبو القاضي المشهور بالذكاء حتى قيل في حلم أحنف في ذكاء إياس وهو إياس بن معاوية بن قرّة بن إياس بن هلال بن رئاب بن عبيد بن سواءة بن سارية بن ذبيان بن ثعلبة بن سُليم بن أوس بن مزينه بن أدّ بن طانجة بن إلياس بن مضر.

(٣) الحريش هو من بني أنف الناقة من تميم وهو الحريش بن هلال بن قدامة بن شماس بن لأي بن جعفر أنف الناقة بن قُريع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم.

(٤) أبو صفره اسمه ظالم بن سرّاق بن صبح بن كندي بن عمرو بن عدي بن وائل بن الحارث ابن العتيك بن الأسد بن عمران بن عمرو مُزَيقياء.

الأزد، ويقال من أنفسها وكان فارساً رامياً رمى طائرين فشكّهما فقيل خرزهما فسمّي الإسكاف، فقال الشاعر:

[من الوافر]

بسولافٍ أضعتَ دماءَ قومي وطرتَ على مواشكَةٍ درورِ[1]

ثم إن بعض المنهزمين رجعوا وأتى المهلب سِلّى وسِلّبرى[2] وقد ثاب الناس إليه فأقام ثلاثاً بسِلّى وسِلّبرى وهما من مُناذر الصغرى، وقال عبيد الله بن بُشَير للخوارج: تنتظرون بعدوّكم، فحاربهم المهلب ثلاثة أيام وقاتل بيديه أشدّ قتال، وقدّم ابنه المغيرة فقاتل، ومرّ على القبائل يحضّهم على القتال ويحرّضهم، وأمر أصحابه أن يكثروا الرمي بالحجارة، فجعلت تصرع الراجل من قبل الفارس فقُتل عبيد الله بن بشير بن الماحوز. فكان أمره ستة عشر شهراً، وكان مقتله في شوال سنة ستٍ وستين، وقُتل من أصحاب المهلب أكثر ممن قتل من الخوارج، وقام بأمر الخوارج الزُّبير بن علي بن الماحوز.

وكان المهلّب ربما افتعل الحديث ينشّط به الناس إلى القتال. فقال الشاعر:

[من مجزوء الرجز]

أنتَ الفتى كُلُّ الفتى لو كنتَ تَصدُقُ ماتقولْ

وسماه بعضهم الكذّاب، وقال بعض الخوارج:

[من الطويل]

---

(١) مواشكة: سريعة.

(٢) سِلّى وسِلّبرى: جبل بمناذر من أعمال الأهواز ـ معجم البلدان ـ

[و](1)كم من قتيلٍ تَنقُر الطّيرُ عينهُ بســولافَ غرّتـهُ المُنى والجعـائـلُ

وقال مجاهد المنقري :

[من الوافر]

تَبعنــا الأعــورَ الكــذّابَ نمشي يُزجّــي كُلَّ أربــعــةٍ حِمارا

فيالَهــفــي على تركــي عَطائــي معــيانــةً(2)وأخــذيه ضِمارا

كأنَّ دمــوعَ عينِــكَ يابنَ عصمٍ خريرُ المـنـجنـون سَقى الــدّيارا

وقال ابن قيس الرّقيات :

[من الطويل]

أبيتُ وعرضُ السُّوسِ بيني وبينَها ورُستــاقُ سولافٍ حمتــه الأزارقَـه

إذا نحــنُ شئنــا قارعَتنــا كَتيبــةٌ حَروريّةٌ فيهـا من المـوتِ بارقَـه(3)

وقال بعض الخوارج :

[من الطويل]

بسِــلَّى وسِــلَّبرى تصــارع فتــيةٌ كِرامٌ وعقرى مِن كُميتٍ ومن وردِ

وقال آخر:

---

(1) يجب زيادة الواو ليصح الوزن.

(2) معيانة: الوزن مكسور بهذه الكلمة. ويصح بقولنا: مُعَايَنَةً.

(3) ذكر في الديوان طبعة صادر بيروت بتغير بعض الكلمات وهم أربعة أبيات ص: ١٦٢ .

[من الكامل]

قُل للأزارقَـةِ الّـذين تَمزَّقـوا ... بسِـلَّى وسلَّبرى لقيتُم نحـوسـا[1]

قتـلى بها من بعـدمـا حصَّلتُمُ ... من رُسلهِ بعـد المسـاءِ رُؤوسـاء

وكـان المهلب بعث برأس عبيد الله بن بُشـير بن المـاحوز ورؤوس قوم من أصحابه إلى القباع مع رسوله رجل من الأزد فلقيه بنو عبيد الله بن بشير، فقالوا: هل من خبرٍ؟ فقـال: نعم قُتـل هذا المارق وهذا رأسه معي. فأخذوا رأس أبيهم وحفروا حفيرة فدفنوا الرؤوس الباقية فيها، وأخذوا الأزدي فقتلوه ومن معه وهربوا.

فلما كان الحجاج أخذ ابناً لعبيد الله بن بُشَير فقتله وقد أتاه مسلماً عليه ودفع ابنين له آخرين إلى ورثة الأزدي.

وكتب المهلب إلى القباع مع الرقاد بن عبد الله، والمصعب بن زيد عمّ جرير ابن حازم:

إنا لقينا الأزارقة بسِلَّى وسلَّبرى فكانت في الناس جولةً، ثم ثاب أهل الدين والعـزم والحفـاظ فرزقنـا الله النصر عليهم، ونزل القضاء وجاوزت النعمة مقدار الأمل فصاروا دريئة رماحنا وضرائب سيوفنا، وقتل الله صاحبهم عبيد الله بن بُشَير ابن الماحوز في رجال من فرسانهم وحماتهم، وبقيت منهم بقيّة شذّوا عن عسكرهم ليلاً وأرجو أن يكون آخر هذه النعمة كأولها.

فكتب إليه القباع: هنيئاً لك ياأخا الأزد شرف الدنيا وعزها وثواب الآخرة وفضلها، فقال المهلب: ماأجفا أهل الحجاز، أما تراه عرف اسمي؟

وقال بعض الخوارج في المهلب:

---

(١) هذا البيت شطره الأول من الكامل والشطر الثاني من الطويل.

[من الطويل]

أتـانـا بأحـجـارٍ ليقتـلنـا بها　　　　وهـل تُقتَـلُ الأقرانُ ويحكَ بالحجرِ

وكـان المهلب ولى بعضهم الضرب بالحجـارة، فإنها تنفّـر الخيل وتصرف وجوهها وتحيّر الرجالة وتعقرهم، وكان الخوارج أكثر سلاحاً من البصريين، فطعن رجل من الخوارج رجلاً من أهل البصرة، فذكر أمه فقال الخارجي: أمك خير لك مني صاحبا تسقيك محضاً وتعلك رائباً.

وقال بعضهم في قتل ابن بُشَير بن الماحوز:

[من البسيط]

ويومَ سِلّى وسِـلَّبرى أحـاطَ بهم　　　　منّـا صواعـقُ لاتُـبـقـي ولا تَذرُ

حتـى تركنـا عُبيدَ اللهِ مُنجـدِلاً　　　　كما تَجدَّلَ جذعٌ مالَ مُنـقـعـرُ

قال أبـو الحسـن[1] المـدائـني: عبـيد الله بن بُشَـير بن يزيد ويزيد هو الماحوز[2]، طعن رجلاً فقيل محزه أي شجه يعني كما يمحز الحمار، ابن الحارث بن مساحق بن زبيد بن ضَباب بن سَلِيط، والزبير بن علي بن يزيد بن مساحق ويزيد أخو الحارث بن مساحق.

---

(١) في الأصـل: أبـو الحسين وهو سهومن الناسخ وهو أبو الحسن علي بن عبد الله الأخباري الحافظ. سير أعلام النبلاء. ج: ١٠ ص: ٤٠٠.

(٢) محز: نكح والماحوز نوع من القرنفل ولا أرى هنا لها معنى ـ اللسان ـ

أمر الزبير بن علي من آل الماحوز[1]

١٠٣ ـ قالوا: لما قتل عبيد الله بن بُشَير استخلف قوم من الخوارج الزبيرَ بن علي، فرأى جَزَع أصحابه على ابن بُشَير ومن قُتل منهم، فقال: لاتجزعوا فإنه صار إلى الجنّة واذكروا أيامكم، قتلتم ابنَ عبيس، وربيعاً الأجذم، والحجاج بن ناب، وحارثة بن بدر والمُعارك. والحرب سجال والعاقبة للمتقين، وخرج فنزل في تخوم أصبهان فأقام شهراً ثم أتى السوس فقاتله المهلّب ثم أتى تُستَر فقاتله المهلّب، وصار إلى أرجان من فارس.

وقدم مصعب بن الزبير على البصرة والكوفة من قبل عبد الله أخيه في أول سنة سبع وستين والزبير ابن علي بأرجان، فكتب مصعب إلى المهلب في القدوم عليه ووجه بكتابه مع محمد بن الأشعث، فقدم واستخلف ابنه المغيرة بن المهلب، وقال لأصحابه: إنكم لاتفقدوني ماكان المغيرة عليكم فإنه أبو صغيركم في الشفقة وابن كبيركم في البر والطاعة فلتحسُن طاعتكم له، فما أردت صواباً قطّ إلا سبقني إليه، وقدم المهلب البصرة، وكتب مصعب إلى المغيرة: إنك إلا تكُن كأبيك فإنك بحمد الله كاف لما وليت فعليك بالجدّ في أمرك والحذر لعدوّك.

وسار مصعب ومعه المهلب وعمر بن عبيد الله بن معمر إلى المذار فقتل أحمر ابن شَميط ثم أتى الكوفة وهما معه فقتل المختار بن أبي عُبيد ثم وجه عمر بن عبيد الله إلى البصرة فشهد الجُفرة، وولى المهلبَ بن أبي صُفرة الموصل والجزيرة وأرمينيّة، وأتى البصرة فتلافى أمرَ أصحاب الجُفْرة وولى البصرة عبّاد بن زياد، ويقال ولاها

(١) من آل الماحوز خطأ إلا أن يكون تجاوزاً فقال في السابق ويزيد هو الماحوز ثم قال ويزيد أخو الحارث بن مساحق ويزيد الماحوز بن الحارث فيكون الزبير بن علي من أعمام الماحوز لا من آل الماحوز. إذا كان ماقاله صحيحاً.

سنانَ بن سلمة بن المُحبَّق الهذلي[1] وجعل عبّاداً على شُرَطه، وولى عمر بن عبيد الله فارس فألفى الزبير بن علي بأصطخر فعسكر على أربعة فراسخ من معسكره.

فبيّته الزبير والخوارج فقاتلهم فرجعوا ولم يظفروا وأصاب منهم طرفاً، ثم إنّه قدّم إليهم عبيد الله ابنهُ، وأمه من ولد قيس بن عدي السهمي[2] من قريش في خيلٍ فقتلوه وأبوه لايعلم لأنه كان مشغولاً بإصلاح قنطرة هناك قد ردمت فسأل عن ابنه، فقيل قُتل والله كريماً صابراً، فاحتسبه واسترجع[3] وترحمّ عليه وقال: عند الله أحتسبه.

وقال قطري[4] بن الفجاءة للزبير بن علي: لاتقاتل اليوم عمر فإنه موتور، فأبى وقاتله فقُتل من فرسان الخوارج تسعون، وطعن عمرُ بن عبيد الله صالحَ بن مخراق فشتر عينه وضرب قطرياً على جبينه ففلقه وانهزم الخوارج. واستشهد يومئذ رجل من ولد معَبد بن العباس بن عبد المطلب يقال له عباس بن عبد الله، وستة[5] من ولد الحارث بن عبد المطلب.

وكتب عمر إلى مصعب: إني لقيت هذه العصابة المارقة، فاستشهد عبيد الله

---

(١) الهذلي: أي من قبيلة هذيل: وهو سنان بن سلمة بن صخر وهو المُحبَّق بن عتبة بن صخر ابن حضير بن الحارث بن عبد العُزى بن وائلة بن دابغة بن لِحيان بن هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر.

(٢) بطن من قريش وهو سهم بن عمرو ابن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب بن قريش.

(٣) أي قال: إنا لله وإنا إليه راجعون.

(٤) قطري بن جَعونة وهو الفُجاءة بن مازن بن يزيد بن زياد بن حتر بن كابية بن حُرقوص بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم.

(٥) الست مؤنث الستة من العدد أصله سدس واستعمال العامة الست للسيدة لحن ويستعملونها للجدّة وتدعو الكنّة حماتها أيضاً بالجدّة. قاموس محيط المحيط.

ابن عُمر ورجال صالحون، ثم إن الله منحنا أكتافهم فقتلنا من كان يومه حان وكلٌّ إلى حينٍ وخسران.

وصارَ الزبير بن علي إلى سابور فلقيه عمر بكازرُون وكان معه مُجاعة[1] بن سعر فقتلَ مجاعة بعمودٍ كان بيده من الخوارج أربعة عشر رجلاً ودافع عن عُمر يومئذ فوهب له تسعمئة ألف، وكان مجّاعة اجتباها من خراج أصطخر، ويقال أكثر من ذلك، فقال يزيد بن الحكم[2] :

[من الكامل]

ودعاكَ دعوةَ مُرهقٍ فأجبتَهُ خِفّاً وقد نسيَ الحياةَ وضاعا

فرجعتَ حين دهاكَ غير مُعتِّمٍ تحمي وكنتَ لمثلها رجَّاعا

فرددتَ عاديةَ الكتيبةِ عن فتىً قد كادَ يُترَكُ لحمُه أقطاعا

وولى عبد الله بن الزبير ابنه حمزة البصرة، وكتب إلى المصعب أن يُلحق به المهلّب وعمر ومن معه من رجال أهل البصرة. فألحق به المهلّب. وولّى مكانه إبراهيم بن الأشتر، فوجّه حمزة المهلّب لقتال الخوارج لمسألة أهل البصرة إيّاه ذلك. وقال قوم: عزل حمزةُ المهلبَ عن الموصل ووجّهه لقتال الخوارج، وهذا قول من زعم أن حمزة ولي البصرة والكوفة، وذلك غلطٌ.

وأتى الخوارج رامهرمز في أيام حمزة فقاتلهم المهلّب، فأتوا أرجان فمضوا إلى أصبهان.

وغضب مصعب فمضى إلى أخيه وعامله على الكوفة القُباع وعلى الموصل

---

(١) مُجاعة بن سعر بن يزيد بن خليفة بن سنان بن قطن بن العجلان بن مرّة بن عُبيد بن الحارث الذي هو مقاعس بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم.

(٢) في كتاب الكامل للمبرد يزيد بن الحكم الثقفي.

الأشتر. فردّه أخوه على البصرة والكوفة وعزل حمزة ابنه. فقدم مصعب البصرة ولم يعـزل حمزةُ عُمَـر بن عُبيد الله عن فارس، وأقبـل الزبير بن علي من أصبهان إلى الأهواز، فقال مصعبٌ: العجبُ لعمر بن عبيد الله قطع هذا العدو أرض فارس فلم يقاتلهم ولو قاتلهم وفرَّ كان أعذر له.

وكتب إليه: يابن معمر ماأنصفتني تجبي الفيء وتحيد عن العـدو، فاكفني أمرهم، فأقبل عمر من فارس وخرج مصعبٌ من البصرة ومعه المهلب يريدان جميعاً الزبير وأصحابه، فبلغهم ذلك فانحازوا إلى السوس ثم أتى الكلتانية، وخرجوا إلى كسكر وأتوا المدائن وعليها كردم بن مرثد الفزاري فتحصّن في القصر فأتوا ساباط فقتلوا أحمر طيىء، وكان من فرسان عبيد الله بن الحُرّ، وقال الشاعر:

[من الطويل]

تركـتـم فَتى الفتيانِ أحمـرَ طيّىءٍ ... بسـابـاط لم يعـطف عليه خَليلُ
ولـو كنتُ من خُلاّنـهِ لَحميتُـه ... ولـكـنَّ خُلاّنَ الـصَّـفَـاءِ قليلُ

وقُتـل يومئـذ كاتب الـزبير بن علي ومولاه، وبسط الخوارج في القتل فقتلوا النساء الصبيان والأطفال وقتلوا أم ولد ربيعة بن ناجذ الأزدي وغيرها، وقالت لهم أم ولد ربيعة: أتقتلون من يُنشَّأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين، فقال لهم رجل منهم: استحيوها، فقالوا: قد أعجبتك وفتنتك فأمسك وسرحوا صالح بن مخراق إلى بكـر بن مخنف وكـان عامـل مصعب على أصبهـان العال وهو بادوريا والأنبار وقُطربل ومسكن فلقوه بكرخ بغداد فقتلوه، فقال سراقة يرثيه:

[من الطويل]

ألا يالَـقَـوم للهمـومِ الـطُّوارقِ ... وللحـدَثِ الجـاري تأخذه البوائق
لحى اللهُ قوماً عرّدوا عنـك بُكـرةً ... ولم يصـبروا للاّمعـاتِ البـوارقِ
نوّلـوا فأجلوا بالضُّحى عن عَميدهم ... وسـيّدهـم بالـمـأزقِ الْمـتـضـايق

وكان مع الأزارقة رجل من بني العم[1] يقال له راشد شديد البأس فقاتلهم راشد وانحاز الخوارج فحماهم وقال الشاعر:

[من الوافر]

وعــبَّــأ راشــدُ الــعَــمِّـيُ خيلاً ... إلى خيلٍ فقــاتــلَهــم جهــارا

وحــامى راشــدُ العـمِّـيُ عنّــا ... وقــد جازت فوارسُــنــا المــذارا

في أبيات.

وأقبل الزبير وأصحابه يريدون الكوفة وعليها من قبل مصعب القباع فخرج إلى النخيلة متثاقلاً فكلمه شبث بن ربعي وإبراهيم بن الأشتر وغيرهما، ويقال إن ابن الأشتر كان بالموصل، في أمر العدوّ وقالوا: قد أظلّنا، فخرج يُجرّ جرّاً فصار إلى دير عبد الرحمن. فقال الشاعر:

[من السريع]

إنّ الــقُــبــاعَ سار سيراً نُكــرا ... يســيرُ يومــاً ويُقــيم شهــرا

وجعل يتردد بين دباها وتيرى ودماريا، فقال الشاعر:

إن الــقُــبــاعَ سار سيراً ملســا ... يَســير يومــاً ويُقــيم خَمســا

ثم سار إلى البصرة، وقــال: إذا لقيتم عدوكم فأحسنــوا القتــال، فإن أول الحــرب المشــاتمة ثم الرميّا بالنبل ثم إشراع الرماح والطعان ثم السلّة فقالوا: لقد أحسن الأمير الصّفة.

---

(١) بنــو العمّ: بطن من تميم وهــو ولد مرّة بن وائل بن عمرو بن مالك بن فهم بن غَنْم بن دوس. يقال لهم بنو العم وذكرهم جرير في شعره فقال: [من البسيط]

سيروا بني العمّ فالأهــوازُ منــزلكُم ... ونهر تيرى فلما تعــرفــكــمُ عَربُ

ـ اللباب في معرفة الأنساب ـ

وأتى الخوارج الصراة فقتلوا سماك بن يزيد السبيعي، والقباع معسكر في ستة آلاف فقطع الجسر ورجع الخوارج وانصرف القباع إلى الكوفة، وأتى الخوارج المدائن ومضوا إلى جوخا فأغاروا (على) براز الزور فقتلوا وأصابوا أموالاً وأتوا للبدنجين ثم حلوان ومضوا إلى أصبهان، فنزل الزبير بن علي بعقوة عتّاب بن ورقاء الرياحي[1] وكان مصعب ولّاه إياها، ويقال كان الذي ولّاه إياها أبو يزيد الخطمي[2] وابن مطيع فأقرّه مصعب ثم عزله ليحضر معه حرب عبد الملك، فحقد ذلك عليه وكاتب عبد الملك، فبعث إليه عتّاب: ماأغراك بي وأنا ابن عمك[3]، فقال: إن البعيد والقريب من المشركين عندنا سواء. فحصره الخوارج أشهراً ثم إن الخوارج أتوا الريّ وعليها يزيد بن الحارث ابن يزيد بن رويم الشيباني، وكان المصعب ولّاه وأقرّه عليها فحصره شهراً ثم قاتله فقتله الزبير بن علي ونادى يزيد ابنه حوشب بن يزيد فهرب ولم يلو على أحدٍ وقتل الخوارج لطيفة أمّ حوشب، وكان عليّ عليه السلام دخل على يزيد يعوده، فقال له عليّ: إن عندي جارية لطيفة الخدمة، فبعث بها إليه فسماها لطيفة، وقال بعض الشعراء بعد مقتل مصعب:

[من الطويل]

مواطنُنا في كلّ يوم كريهةٍ ... أسرُّ وأشفى من مواطنِ حوشَبِ
دعاهُ يزيدٌ والأسنَّةُ شُرَّعٌ ... فلم يستجب إن الفتى غيرُ يعرُبِي
ولو كان حرّاً حوشبٌ ذا حفيظةٍ ... رأى ما رأى في الموت عيسى بن مصعبِ[4]

---

(١) الرياحي: بطن من تميم وهو رياح بن يربوع بن حنظلة.

(٢) الخطمي: خطمة واسمه عبد الله بن جشم بن مالك بن الأوس أوس الأنصار.

(٣) الزبير بن علي تميمي وعتاب بن ورقاء الرياحي تميمي فالعمومة إلى تميم بن مرّ.

(٤) عيسى بن مصعب حارب مع أبيه وأعطى الأمان وسمح أبوه له بذلك فقال: لاتتحدث نساء قريش أني خذلتك وتقدم حتى قتل مع أبيه، كما ذكر سابقاً في هذا الكتاب.

وقال بشر بن مروان ذات يوم ومعه حوشب بن يزيد وعِكرمة بن ربعي: من يدلّني على فرسٍ جوادٍ؟ فقال عِكرمة: فرس حوشب فإنه نجا عليه يوم الريّ، فضحك بشر، وقال بشر يوماً: من يدلّني على بغلة قويّة ظهيرة، فقال حوشب: بغلة واصل بن مساور بن رئاب حملت مساوراً وواصلاً، وكان عِكرمة يُتَّهم بامرأة واصل، وإنما عناها بقوله بغلة واصل. فضحك بشر وقال: لقد انتصفت وقيل في حوشب بن يزيد:

[من الكامل]

نجّا حليلتهُ وأسلمَ شيخَهُ   تحتَ الأسنَّةِ حوشبُ بنُ يزيدِ

وقيل أيضاً:

نجّا حليلتهُ وأسلم شيخهُ   لما رأى وقعَ الأسنَّة حوشبُ

وأتى الزبير أصبهان منحطّاً من الريّ فحارب عتّاب بن ورقاء أشهراً، فقال رجلٌ من أصحاب عتّاب ويكنى أبا هريرة.

[من الرجز]

قُل لِابنِ ماحوزَ والأشرارِ   كيفَ تَرونَ ياكلابَ النّارِ

شدَّ أبي هريرةَ الهرّارِ[1]

فكمن له عبيدة بن هلال فضربه فصرعه، ثم حامى عليه أصحابه فسلم،

---

(1) في كتاب الكامل للمبرد: ج: ٣ ص: ١٢٧٦ اسمه شريح ويكنى أبا هريرة وبقية الأبيات..

....   يهركم بالليل والنهار

ألم تروا جيّاً على المصحار   تُمسى من الرحمن في جوار

فكـان الخـوارج ينـادونهم: مافعـل الهرار؟ فيقولون: ماعليه بأس، وخرج إليهم، فقال: أنا أبو هريرة الهرار.

ثم إن عتّـاب بن ورقـاء عقـد لواءً لياسمـين جاريته وقال: من أراد الهوينا فليأت لواء ياسمـين ومن أراد الصـبّر فإليّ، وخـرج إلى الخـوارج فقاتلهم وهم في ألفين، ويقال في ألفين وسبعمئة فاقتتلوا أشدّ قتال وقُتل الزبير ابن علي وبشرٌ معه وفشت فيهم الجـراح ومضى فلّهم فلم يُتّبعوا، وقال الأعشى[1] في قتل ابن الزبير وذُكر أن الحارث بن عَميرة قتله في قصيدة أولها:

[من الكامل]

إنّ المكـارمَ أكملت أسبـابَهـا ... لابنِ القَيولِ الـزُّهـرِ من قحـطانِ

حتّـى تداركـهُـم أغـرُّ سُميدعٌ ... فحـماهُـمُ إنّ الـكـريم يماني

الحـارثُ بنُ عمـيرةَ اللّيثُ الّـذي ... يحمـى العـراقَ إلى قُرى نجـرانِ

وقال رجلٌ من ضبَّة:

[من الوافر]

خَرجتُ من الـكتيبـةِ مُستميتـاً ... ولم أكُ في كتـيبـةِ ياسَـمـينـا

وآثـرتُ الحـياةَ على حياتي ... ولم أتـرك لها حسـبـاً ودينـا

ولم أكُ في المـدينـة ديدبـانـاً ... أُرجِّـمُ في نواحـيهـا الـظُّنـونـا

أعـاذَ الـلهُ قومـي أن يكـونـوا ... مع السُّمـكِ الّـذي بالغـارقينا

---

(١) إذا ذكـر الأعشى فقط يتبادر للقراء أعشى قيس لأنه أشهرهم وهو شاعر مخضرم مات في أول الإسلام وهذه القصيدة لأعشى همدان وهو عبد الرحمن بن الحارث بن نظام بن جُشم بن عمرو بن مالك بن عبد الحي بن زيد بن حرب بن قيس بن عامر بن مالك بن جشم بن حاشد بن جُشم بن خيران بن نَوف بن همدان واسمه أوسلة.

وقال حبناء بن يزيد:

[من الطويل]

عَبحنــا براز الــروز منّــا بغــارةٍ كورد القَـطا فيهـا الـوشيجُ المقـوّمُ

ومِلنــا على جابي المــدينةِ كردمٍ فأفــلتــنــا فوتَ الأسـنّــةِ كردمُ

ونجّـا ابنَ ورقـاء الـرّياحيَ سابحٌ شديدُ قنــاطِ القصرتـين عثمثمُ[1]

ونــحــن شفـينـا من يزيدَ صدورَنــا ومن خيلهِ أو صاحبِ الحربِ مغشمِ

وقال رجل من أصحاب عتاب:

[من المنسرح]

نحـنُ قتلنــا الــزبـيرَ مارقـكـمْ فأصبـح الـغــلُّ منكـمُ مِزقــا

وذلــك الـفـعــلُ فعلُنــا أبــداً إذا جهــولٌ من قومــنــا مَرقــا

وولّي الخـوارج بعد قتل الزبير بن علي قطريّ بن الفُجاءة مازن بن يزيد بن حنثر[2] بن كابية بن حرقوص بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم ويقال مازن بن زياد بن يزيد بن خنثر بن حارثة بن صُعير بن خزاعي بن مازن، وقال الشرقي بن القطامي اسم الفُجاءة جَعونة، وكانوا أرادوا تولية أمرهم عَبيدة بن هلال فقال لهم: أنا أدلكم على من خير مني، قطريّ فبايعوه قبل مقتل مصعب بأشهرٍ سنة إحدى وسبعين.

فسـار قطري ويكنى أبا نعامة من أصبهان حتى أتى الأهواز، ثم ترفّع إلى كرمان، فقال بعض أصحابه:

[من الطويل]

هربنــا نُريد الخَفْضَ من غير عِلّة ولـلحـربِ نابٌ لايُفــلُّ وَمِخـلَبُ

---

(١) العثمثم: القوي الشديد ـ اللسان ـ

(٢) عند ابن الكلبي في الجمهرة يزيد بن زياد بن حنثر ولعلها سهو من الناسخ والله أعلم.

فلما بلغه البيت انحطّ إلى إيذج من كور الأهواز.

وبلغ مصعباً أن عبد الملك مُجدّ في الحركة إليه، فكتب إلى عماله في النواحي من الوجوه فجمعهم إليه عبر المهلب وعمر بن عبيد الله. ويقال إن المهلب كتب إليه يسأله أن يكون بقربه، وقال له: قد بلغني أن وجوه المصرين قد كاتبوا عبد الملك، فقال له: إن أهل المصر سألوني أن اصرفك عن وجهك وأبوا أن يخرجوا معي إن أخليتُ هذا الوجه منك.

وواقع المهلّب قطرياً عن إيذَج وعن الأهواز كلّها، وقال الأحنف وهو بالبصرة قبل أن يدخل مصعب إلى الكوفة للتوجّه إلى مسكن وقد ذكر قطرياً: إيهاً أبا نعامة إن ركب بنات سجاح وقال بنات صهالٍ وأمسى بأرض وأصبح بأخرى وجبى المال، طال أمره. فلما بلّغ قطرياً ذلك رسولٌ كان له بالبصرة، فنادى في عسكره: ألا لايصحبنا إلاّ رجلٌ معه بغلٌ. وكان ذلك مما يُنكر على الأحنف.

وقاتل قطريٌّ عمرَ بن عبيد الله بن معمر بفارس، ثم أتى أصبهان ثم أتى الأهواز، فقُتل مصعبٌ في سنة اثنين وسبعين والخوارج برامهرمُزْ، والمهلب بإزائهم.

وقال الهيثم بن عديّ والمدائني: برز المصعب لحرب عبد الملك والمهلب في وجوه الخوارج وهو يحمي البصرة والأهواز منهم، وعمر بن عبيد الله بفارس، وعبّاد ابن الحصين بالبصرة. فبلغ ذلك عبد الله بن حازم فاسترجع، وقال: أنا بخراسان وفي إبراهيم بن الأشتر ماسدّ بعض المسدّ، وأنشد:

[من الطويل]

خُذيني فجرّيني ضِباعُ وأبشري بلحم امرىءٍ لم يشهد اليومَ ناصرُهْ

وكان مقتل قطري في أيام الحجاج وسأذكر ذلك في موضعه إن شاء الله

قال: وكان الخوارج يسالون اصحاب المهلب عن ابن الزبير، فيقولون: إمام عدا، فلما قام عبد الملك سألوهم عنه، فقالوا: إمامُ هدىً، فقالوا لهم: ياكفرة قلتم أمس قولاً تقولون اليوم خلافه لعنكم الله عبيد الدنيا.

أمر نجدة بن عامر الحنفي

١٠٤ ـ قال ابن الكلبي: هو نجد بن عامر بن عبد الله بن سيّار بن المطرّح بن ربيعة بن الحارث بن عبد الحارث ابن عديّ بن حنيفة، وسُمّي المطرَّح لأن بني كلاب أصابوه وهو غلام فأخذوه، وكان شهاب بن حبيب بن الحارث ابن عبد الحارث يغير على القبائل فقال له ربيعة بن الحارث: أنت تغير وابني في بني كلاب مُطرَّح.

وكان نجدة مع نافع (بن) الأزرق ففارقه مع قوم فارقوه لتبرئه من القعَد وامتحانه المهاجر إليه وتحريمه التقيّة في دار قومه، وصار نجدة باليمامة فنزل بأُباض، ودعا أبا طالوت وهو في قول الكلبي: مطر بس عقبة بن زيد بن جهينة(١) بن الفِنْد وهو شهل بن شيبان بن ربيعة بن زِمّان بن مالك بن صعب، ودعا سالم بن مطر مولى بني مازن بن مالك بن صعب بن علي بن بكر بن وائل إلى نفسه، فبايعه خمسون على أنهم إن وجدوا من هو خير لهم منه بايعوه وبايعه معهم، ثم إن أبا طالوت(٢) صار إلى الخضارم وكانت لبني حنيفة، فأخذها معاوية بن أبي سفيان فصيّر فيها رقيقاً مبلغهم ومبلغ أولادهم ونسائهم أربعة آلاف. ويقال كانوا أربعة آلاف بيت فأخذ سالم ذلك الرقيق فقسمه في أصحابه، وأقام شهراً وذلك في سنة خمس وستين وأتاه الناس وكثر أصحابه.

---

(١) عند بن الكلبي لايوجد جهينة. الجمهرة. ج: ٢ ص: ٢٩٠.

(٢) أبو طالوت واسمه مطر بن عقبة بن شهل وهو الفِند بن شيبان بن ربيعة بن زِمّان بن مالك بن صعب بن علي بن بكر بن وائل.

وخرجت عِير من البحرين أربعون راحلة تحمل مالاً وغير ذلك يراد بها ابن الزبير وفيها ثلاثون رجلاً من شيعته وأكرياؤهم من بني تميم، فخرج إليهم نجدة في ستين راكباً ومعهم ثور بن جليلة بن ثور الحنفي فساق العِير حتى أتى بها أبا طالوت بالخضارم، فقال نجدة: اقسموا هذا المال واجعلوا غلّة هذه الشيوخ لكم ومن لحق بكم وردّوا هذا الرقيق، فدعوهم كما كانوا يعتملون الأرض ويعمرّونها فإن ذلك أردّ وأنفع، فاقتسموا المال وقالوا لأبي طالوت: إنما بايعناك على أنّا إن وجدنا خيراً منك بايعناه وبايعته، ونجدة خير لنا منك فبايعوه على مايبايع عليه الخلفاء، ألاّ يخلع إلاّ عن جَورٍ ظاهر ولم يبايعوه على مابايعوا عليه أبا طالوت، وبايعه أبو طالوت أيضاً وذلك في سنة ست وستين، ونجدة يومئذ ابن ثلاثين سنة، وخرج سراج بن مجّاعة الحنفي إلى الله عبد الله بن الزبير ليأخذ لقومه أماناً، فقال له ابن الزبير: ياسراج ألم تر ماصنع قومك، والله لأوجهنّ إليهم جيشاً، فقال: والله ماصنع هذا إلاّ حروريّة.

قالوا: وأقام نجدة شهراً أو أكثر بأصحابه، فقالوا: لو غزونا فسرّح نصر بن منازل الحنفي في ثلاثمئة إلى البحرين، وقال: إن قتل فأميركم أبو سعيد العجلي، وعلى البحرين يومئذ سعيد بن الحارث الأنصاري، وكان من قبل يزيد بن معاوية فبقي بها، فمنعهم سعيد بن الحارث من دخولها، فوجه نجدة قدامة بن المنذر بن النعمان في ثلاثمئة، وقال: إن قتل فأميركم أبو سُعْدة فإن قتل فأميركم أساف اليشكري فإن قتل فأميركم المطرّح بن نجدة فإن قتل فأبو سنان يحيى بن وائل اليشكري.

وقال بنو كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة لكلاب بن قرّة بن هبيرة القشيري[1] : إنها فتنة فلو أتينا سوق المجاز فاغزنا فإن بها بَزاً[2] منشوراً وبُرّاً منثوراً، فأجابهم كلاب ومعه أخوه غُطيف.

وكتب نجدة إلى ابن المنذر وأبي سُعْدة والذين وجههم إلى البحرين فردّهم يحيى بن وائل إلى بني كعب وهم بالحجاز وقدامة بن النعمان في ثلاثمئة وأتبعهم نجدة في أربعمئة ويقال خمسمئة فالتقوا بذي المجاز فهزمهم نجدةُ وقتلهم قتلاً ذريعاً وصبر كلاب وغُطيف ابنا قُرّة، وجعل كلاب يقول لأخيه:

[من الرجز]

صبراً غُطيفُ إنها الشهادةْ كلُّ امرىءٍ مفارقٌ أولادَهْ

وصبرا حتى قُتلا وهُزم قيس بن الرقاد الجعدي[3] فلحقه أخوه لأمه معاوية بن قُرّة فسأله أن يحمله ردفاً فلم يفعل، وقدم جُفَينة بن قُرّة على أهله وجفنة أيضاً فأتته امرأته بزبد وتمر، فجعل يأكل وهي تسأله عن إخوة لها وإخوته فلم يجبها، فقالت: اجتحف[4] وأخبر فقال:

[من الطويل]

[و][5] لايستوي الجَحْفانِ جَحفٌ بزبدةٍ وجحفُ حروريٍّ بأبيضَ صارمِ

---

(١) قشير بطن من بني عامر بن صعصعة من قيس وهو قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة.

(٢) البزّ: الثياب ـ اللسان ـ

(٣) الجعدي: بطن من عامر بن صعصعة من قيس وهو جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة.

(٤) اجتحف: اغترف الطعام والجحف: شدّة الجرف.

(٥) يستقيمْ الوزن بإضافة الواو.

فلما فرغ قال: سلي. فلم تسأله عن أحدٍ من إخوته وإخوتها إلا نعاه، فشقّت جيبها وقالت: ألا صبرت حتى تقتل معهم، وقال معاوية:

[من البسيط]

ياقاتَلَ اللّهُ قيسَ الجعدِ كيفَ دَعا ... كعباً لأسبابِ أمرٍ غيرِ ميمونِ

حتى إذا التقَتِ الأبطالُ واطّعنوا ... فعلَ الديافيّةَ المطْليّةَ الجُونِ[1]

طرّحَ رايَتَنا قيسٌ وبزبزَهُ ... عن الطّعانِ طويلُ الشخص ملبونِ[2]

في أبيات:

وقال قيس:

[من الرجز]

اسأل مُعاويةَ بنَ قُرَّةَ إذ دَنت ... منهُ الأسنَّةُ أيَّ فِعلٍ يفعلُ

فإذا أبيتَ لذاكَ فاشتَرِ مثلهُ ... إن الرداف عن الأحبَّةِ تسألُ

ويريد مثل فرسه.

وقال جُفينة وهو جفنة[3] يحرّض ابن الزبير:

[من الطويل]

على أيّ شيءٍ أنتَ بالرُكْنِ واقفٌ ... مقيمٌ وقد شَالت بهنَّ الركائب

ولا شيء إلا الموت إذ بَرزت لنا ... مخافةَ أربابِ السيوفِ القَواضِب

في أبيات.

---

(١) الديافي: العظيم الجليل - اللسان -

(٢) البزبزة: سرعة السير - اللسان -

(٣) قال في السابق قدم جُفينة على أهله وجفنة أيضاً وهنا يقول جفنة فكيف هذا إلا أن كان في السابق يعني واسمه جفنة أيضاً.

قالوا: ورجع نجدة إلى اليمامة وكثر أصحابه فصاروا ثلاثة آلاف، فخاف أن تطأ الجنود اليمامة وأن تُغزا أهلها، فاستخلف عمارة بن سَلمى من ولد الدؤل بن حنيفة. وهو عُمارة الطويل، وأتى البحرين في سنة سبع وستين.

فقالت الأزد: نجدة أحبُّ إلينا من ولاتنا لأنه مُنكر الجور وولاتنا يجورون فعزموا على مسالمته، واجتمعت عبد القيس ومن بالبحرين غير الأزد على محاربته، فقال بعضهم: نجدة أقرب إليكم[1] من الأزد فلا تحاربوه، وقال بعضهم: أندَعُ نجدة وهو حروريّ مارق تجري أحكامه علينا.

فالتقوا بالقطيف وأقبل وكيع أحد بني جذيمة من عبد القيس يرتجز ويقول:

[من الرجز]

يا أمَّ يعقوبَ تجنَّبيني — لا تحذَري عليَّ واحذَريني
إنَّ عليَّ واقياً يقيني — أنا وكيعٌ لستُ بالعجينِ
اليومَ أحمي حَسَبي وديني — ما ملكتْ قائمةً يميني

فقُتل وكيعٌ وجماعةٌ من العبديين وسبى نجدة من قدر عليه من أهل القطيف، قال الشاعر:

[من الطويل]

نصحتُ لعبد القيسِ يومَ قطيفِها — وما نفعُ نُصحٍ قيلَ لا يُتقبَّلُ

وأقام نجدة بالقطيف ووجه ابنَه المُطرِّح إلى فلّ أهل القطيف من عبد القيس فقاتلوه بالثوير فقُتل المطرِّح وجماعة من النجدية فقال جمّال بن سلمة الشاعر:

---

(١) أقرب إليكم لأن نجدة من بني حنيفة من بكر بن وائل من ربيعة بن مضر وعبد القيس من ربيعة والأزد قحطانية فالقربى في المعدّية.

[من الطويل]

[و](1)إن تقتلونا بالقطيفِ فإنّنا قتلناكُمُ يومَ الشوير وصَحصحا

وإن تقتُلوا منّا وكيعاً وعاصماً فإنّا قتلنا طارقاً والُمطرَّحا

ووجّه نجدة رجلاً من عُكل(2) يقال له ذَوّاد إلى الخطّ(3) فظفر بهم، فقال سويد بن كراع العكلي:

[من الرجز]

صبّحتِ الخطُّ بنا صباحاً تحملُ من عُكلٍ فتىً وضّاحا

مُهريّةٌ تُرى بها مَراحا

وأقام نجدة بالبحرين، فلما قدم مصعب بن الزبير البصرة سنة تسع وستين بعث إليه عبد الله بن عُمير الليثي(4) الأعور في أربعة عشر ألفاً، يقال عشرين ألفاً، ويقال إن حمزة بن عبد الله بن الزبير الموجّه له حين وَليَ البصرة، فجعل ابن عمير يقول: أثبت يابا المطرَّح فإنا لا نفرّ، فقدم ونجدة بالقطيف فنزل على ميلٍ من عسكره وصيّر البحر خلفه والأثقال أمامه وأناخ الإبل أمام الأثقال، وقال: لآخذنّ نجدة أخذاً، وحضر نجدة وأصحابه، فرغّبهم في الشهادة والجنّة وزهّدهم في الدنيا، واعتزل قوم من أصحابه منهم ذوّاد العُكلي فلم ينهضوا معه، فقال نجدة: إن إخوانكم هؤلاء أحبّوا البقاء، وثبت نجدة فيمن بقي معه وأتى ابنَ عُمير وهو

---

(1) يجب إضافة الواو ليصح الوزن.

(2) عكل: هم قيس وعلي والحارث وسعد وجشم أولاد عوف بن وائل بن قيس بن عوف بن عبد مناة بن ادّ بن عامر الذي هو طابخة بن إلياس بن مضر حضنتهم أمة تسمى عكل فغلبت عليهم.

(3) سيف البحر يسمى الخط ومن قرى الخط القطيف والعُقير وقطر ـ معجم البلدان ـ

(4) الليثي: قبيلة من مدركة وهو ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة ابن مدركه وهو عمرو بن إلياس بن مضر.

غارّ. فقاتلهم طويلاً. وأصبح ابن عمير فهاله أمرُ من رأى في عسكره من القتلى والقطعى والجرحى، وتشاغل ومن في عسكره بموتاهم وجرحاهم، فأتاهم نجدة فحمل عليهم فلم يلبثوا أن انهزموا فلم يلو أحدٌ منهم على أحدٍ، وحوى نجدة العسكر وأصاب جواري لابن عمير وفيهنّ أمّ ولد له.

فعرض نجدة عليها أن يردّها عليه، فقالت: لاحاجة لي فيمن فرّ عني.

وورد ابنُ عميرٍ البصرة فارّاً، فقال الفرزدق:

[من الطويل

[و][1]مافرَّ من جيشٍ أميرٌ برايةٍ فيدعى طوالَ الدهر إلاّ منافقا
تَمنَّيتَهُم حتّى إذا مالقيتَهُم تركتَ لهم دونَ النّساء السُّرادقا
وأعطيتَ ماتُعطي الحليلةُ بعلَها وكُنتَ حُبارى[2]إذ رأيتَ البوارِقا

وقال العجّاج[3] حين قتل عُمرُ بن عبيد الله بن معمر أبا فُدَيك:

[من السريع]

لقد شفاك عُمرُ بنُ معمَرِ من الحروريّينَ يوم العسكَرِ
وقعَ امرىءٍ ليس كوقعِ الأعورِ

يعني عبد الله بن عمير في حرب نجدة.

---

(١) يجب زيادة الواو ليصح الوزن وفي ديوان الفرزدق وما مع تقديم وتأخير وتغير بعض الكلمات. ج: ٢ ص: ٩٩ ط: دار الكتاب العربي بيروت.

(٢) حُبارى: طائر طويل العنق يشبه الأوزة وسلحه فيه مادة لاصقة فعندما يرى الطيور الجوارح يعلو في السماء فإذا لحقه الطائر يسلح عليه فيلتصق ريشه ولايمكن له الطيران فيسقط إلى الأرض فتأتيه في الأرض وتنتف ريشه فيموت.

(٣) العَجاج: هو الراجز عبد الله بن رؤبة بن لُبيد بن صخر ابن كثيف بن عُمير بن حُني بن ربيعة بن سعد بن مالك بن سعد بن زيد مناة بن تميم.

وبعث نجدة بعد هزيمة ابن عُمير عطيّةَ بن الأسود الحنفي إلى عُمان، وقد غلب عليها عياذُ بن عبد الله وهو شيخ كبير وابناه سعيد وسليمان يَعشُران السفن ويجبيان البلاد، فمانعوه وقاتلوه فقُتل عياذ وغلب عطية على عُمان فأقام بها أشهراً، ثم خرج منها واستخلف رجلاً يكنى أبا القاسم فقتله سعيد وسليمان ابنا عياذ وأهل عُمان.

وخالف عطيّةُ نجدة فعاد إلى عُمان فلم يقدر عليها، فركب البحر وأتى كرمان فضرب دراهم كان يُقال لها العطويّةُ وأقام بكرمان. ويقال إن المهلب بعث إليه جيشاً فلحق بسجستان ثم صار إلى السند فقتلته خيل المهلب بقندابيل. ويقال إن الخوارج قالوا له: هاجر، فقال: أنا مهاجر على ديني فقتلوه.

وسمع أبو حُزابة امرأةً كانت مع عطية تقول وهو بكرمان: هل من سيف هل من رمح، فقال: أتيريدين نيزكاً[1]، فرفعته إلى عطية فضربه أسواطاً.

وقال الفرزدق في بني حنيفة:

[من الطويل]

وهُم من بعيدٍ في الحروبِ تَناوَلوا عياذَ بنَ عبد اللهِ والخيلُ شُجَّبُ[2]

قالوا: ووجّه نجدة بعد هزيمة ابن عمير إلى البوادي مَن يأخذ مِن أهلها الصدقة، فكانوا يدعون القوم فإذا أجابوهم أخذو الصدقة منهم، فقاتل أصحابَه

(١) النيزك ذكر الضب وهو مشهور عند العرب لأنه يقال ان للضب أيرين: وهو يعني هنا أتريدين أيراً.

(٢) البيت في الديوان من قصيدة طويلة رقمه: ٣١ ج: ١ ص: ٨٩ والشطر الثاني: عياذاً وعبد الله والخيلُ تُجذَبُ. وهذا خطأ فهو عياذ بن عبد الله كما هنا.

بنـو تميم بكـاظمة وأعانهم أهل طُويلع[1] وقتلوا رجلاً من الخوارج فوجّه نجدة إلى أهـل طويلع من أغار عليهم وقتل منهم نيّفاً وثلاثين رجلاً وسبى، ثم إنه دعاهم بعد ذلك فأجابوه وأخذ منهم الصدقة. فقال الفرزدق:

[من الطويل]

[و][2]لسنـا بأقـوامٍ يبيعـونَ دينَهم	إذا عَلمـوا ألّا سبيـلَ إلى التّمـرِ
وماكنتُ مُذ شدّت على السيفِ قبضتي	لأنـقُضَ بيعـاً بينَ زمـزَم والحـجـرِ

يعني بيعة ابن الزبير.

قال علي بن محمد المدائني: وخرج نجدة إلى صنعاء في خِفٍّ فبايعه أهلها، وخـافـوا أن يكـون وراءه جمعٌ كبير، فلما أقاموا أياماً ولم يروا مدداً يأتيه ندموا على بيعتـه، وبلغـه ذلـك فقـال: إن شئتم أدلتكم بيعتكم وجعلتكم في حلٍّ منها وقاتلتكم، فقالوا: ماكنّا لنستقيل بيعتنا، فبعث إلى مخاليفها فأخذ منها الصدقة.

ووجه نجدة أبا فُديك إلى حضرموت فجبى صدقات أهلها، وحجّ نجدة في سنـة ثمان وستـين، ويقـال في سنـة سبعين وهو الثبت، وقد كان في أيام يزيد بن معاوية قاتل مع ابن الزبير غضباً للبيت وماانتُهك من حُرمته، فلما حجّ مرّته هذه كان في ثمانمئة وستين رجلاً ويقال في ألفين وستمئة فصالح ابن الزبير على أن يصلي كل واحـدٍ منهما بأصحابه ويقف بهم ويكفّ بعضهم عن بعض على قتال ماكانت الأزارقـة عليه في أيام مقـاتلتهـا معه. فلما صدر نجدة عن الحجّ توجّه إلى المدينة فتأهّب أهلها للقتال وتقلّد عبد الله بن عُمر السيف، فلما كان نجدة بنجل[3] وأُخبر

(١) طويلع: ماء لبني تميم ثم لبني يربوع.

(٢) تضاف الواو ليصح الون وهذان البيتان غير موجودين في الديوان.

(٣) نُجْل: قرية أسفل صُفَينة بين أُفَيمة وأفاعية وهي مرحلة من مراحل طريق مكة.

بلبس ابن عمر السلاح رجع نجدة إلى الطائف، وأصاب ابن بحدج ابنةً لعبد الله ابن عمـرو بن عثمان كانت عند ولي لمنزلها فضمّها نجدة إليه، فقال بعضهم: إن نجـدة ليتعصّب لهذه الجـارية فامتحنـوه بأن سألـه بعضهم بيعها منه، فقال: قد اعتقت نصيبي منهـا فهي حُرّة، قال: فزوّجني إياهـا، قال: هي بالغ وهي أملك بنفسها فأنا أستأمرها وقام من مجلسه، ثم قال: قد استأذنتها فكرهت الزوّج، وقيل إن عبـد الله بن الزبير كتب إليه: والله لئن أحدثت فيها حدثاً لأطأنّ بلادك وطأةً لاتبقى معها بكر.

نجدة يسأل عن المحقرات ويقتل المسلمين

١٠٤ ـ فكتب نجدة إلى (ابن) عمر يسأله: هل ساروا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحربة واللواء، وعن الرجل يغشى المرأة في الحيض. فقال: سلوا ابن عباس، فقال: يرحم الله أبا عبد الرحمن أين كان يوم حنين قد سُيّر بذلك بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم مرجعه من حنين، وأما الذي يغشى في الحيض في أولـه فدينار والذي يغشى في الحديّة فنصف دينار. فبعث إليه نجدة: فإن لم يجد. قال: يقوّم الذي يلزمه طعاماً ويصوم لكل مُدٍّ يوماً.

وقال ابن عباس: قاتله الله يقتل المسلمين ويسأل عن المحقّرات.

ولما رجع نجدة من نُجل وقَرُب من الطائف أتاه عاصم بن عروة بن مسعود فبايعه قومه فلم يدخل نجدة الطائف.

فلما قدم الحجـاج الـطائف لمحـاربة ابن الزبير، قال لعاصم: ياذا الرجس بايعت نجـدة! قال أي والله وذو عشرة أوجـه أعـطيت نجدة الرضى ودفعته عن قومي وبلدي.

قالـوا: وأتى نجـدة تبـالة ثم شخص عنها واستعمل الحازوق الحنفي وهو حزّاق على الـطائف وتبـالـة والسّراة، واستعمل سعداً الطّلائع على مايلي نجران، ووجّـه إلى بعض أصحـابه يقال إنه عمرو بن همّام العُقيلي[1] ، ووجه حاجب بن خميصة لقبض صدقات بني هلال[2] ونمير فمنعوه إياها فقاتلهم فقتل منهم رجلان وتولى قتلهما رجلان من بني كلاب، فطالبوا بدمهما فهرب الكلابيّان إلى اليمن.

ورجـع نجـدة إلى البحـرين فقـطع المـيرة عن أهـل الحـرمـين من اليمامـة والبحرين. فكتب إليه ابن عباس: إن ثمامة لما أسلم قطع الميرة عن أهل مكة وهم مشركون حتى أكلوا العِلهز[3] ، فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ثمامة: إن أهل مكة أهل الله فلا تمنعهم الميرة فخلّاهم وإياها، وإنك قطعتها عنا ونحن مسلمـون، فخـلّى لهم نجـدة المـيرة. وأقـام عمال نجـدة في النـواحي حتى وقـع الاختلاف بينه وبين أصحابه فاجترأ الناس عليهم.

فأمـا الحـازوق فطلبوه بالطائف فهرب فلما كان في عقبة في طريقه، إذ قوم يطلبونه فرموه حتى قتلوه وهو يقول: أتقتلوني قتلة الزُّناة ليبارزني منكم من شاء، وأخذوا فرسه فقالت أخته أو ابنته تبكيه:

---

(١) بطن من بني عامـر بن صعصعـة من قيس: وهـو عُقَيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن بكر معاوية بن بكر بن هوازن.

(٢) هلال: بطن من بني عامر بن صعصعة: وهو هلال بن ربيعة بن عامر بن صعصعة: ونمير هو أخو ربيعة بن عامر بن صعصعة.

(٣) العِلْهز: وَبَرٌ يخلط بدماء الحلم والحَلَم القُراد كانت العرب في الجاهلية تأكله في الجدب.

[من الطويل]

أعينيَّ جودا بالدُّموعِ على الصَّدرِ ... على الفارس المقتولِ بالجبَلِ الوعرِ

فإن تقتُلوا الحازوقَ وابن مُطرِّفٍ ... فإنّ لدينا حوشباً وأبا جسرِ

أُقلِّبُ عيني في الرِّباب فلا أرى ... حُزاقاً فعيني بالمجاة من القطرِ

ومَن بعتُمُ العام الوشيك ولاحقاً ... وقتلُ حُزاقٍ لايزالُ على الذكرِ

في أبيات.

قال هشام بن الكلبي: كان عبد الله بن النعمان الدوسي سيد الأزد بالسراة وهو قتل الحازوق الحنفي أيام نجدة وكان أوغل في بلاد الأزد، فقال عبد الله بن الزبير حين بلغه قتل الحازوق: إن الأزد هم الأسد قتلوا الحازوق وإن من خثعم سلمى تدرون من هي؟ هي امرأة كانت في الجاهلية. وقتل سعد الطلائع ناجيةُ الجرمي[1] وأراده على الصدقة فمنعه إياها وقاتله فقتله ناجيةُ.

وقال الكلبي: لقيت رُسل نجدة تطلب الصدقة بهدل بن فاتك بن الطفيل ابن حبيب بن مِنْتَف الطائي ومعه رجال من طيء فاقتتلوا فَقَتل نويرةُ بن بجير الطائي منهم بالأجفر سبعة خوارج. وكانت راية طيء يومئذ مع زيد بن حبال بن بشر الطائي، فقُتل يومئذ عبسُ بن سُجيّ بن الأغر الطائي ونافذ بن زهير ابن ثعلبة الطائي وله يقول المعنيُّ الطائي:

[من السريع]

ياعين بكّي نافذاً وعبسا ... يوماً إذا كانَ البراءُ نحسا

قال: وكان أميرهم في الحرب زياد بن جدّ بن وبرة، قَتل من الخوارج اثني عشر وكانوا يقاتلون أياماً.

---

(١) الجرمي: قبيلة من قضاعة، وهو جَرْمُ بن ريّان بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة.

الخلاف بين نجدة وأصحابه:

١٠٥ ـ قالـوا: وخالف نجدةَ أبو سنان الحيّ بن وائل وذلك أنه أشار عليه بالبسط على من كان أجابه وبايعه تقيّة فنهره وشتمه نجدةُ، وحيٌّ هو القائل:

[من البسيط]

إمّـا أُقـاتـلُ عن ديني على فَرسٍ ... ولا أرى رجـلاً إلاّ بأصـحـابِ
لقـد لَقـيتُ إذاً شرّاً وأدركـني ... ماكُنتُ أزعُمُ فِي خصميَّ من العـابِ

فبعث إليه نجـدة من يناظره فقال له: أكلّف الله أحداً علم الغيب؟ قال: لا، قال: فإنّما عليه أن يحكم بما ظهر، فقبل منه ورجع إلى نجدة.

وحدثني ابن الكردي وغيره، قالوا: كان سبب خلاف عطيّة بن الأسود على نجدة أن نجـدة وجّـه سريَّةً برّاًوسريّةً بحراً فأعطى سريّة البرّ أكثر مما أعطى سرية البحر فنازعه حتى أغضبه فشتمه نجدة فغضب وألّب الناس عليه، وقد كان كلّم نجدة في رجل فأعطاه فرساً، فقال: ألا ترونه يُعطي على الشفاعة، وأعطى نجدة مالك بن مِسمـع حين هرب إلى تاجـر مالاً، وحكم في رجل يشرب الخمر في عسكره، فقال هو شديد النكاية وقد استنصر رسول الله صلى الله عليه وسلـم بالمشركين.

قالوا: وكتب عبد الملك إلى نجدة يدعوه إلى طاعته وبيعته، على أن يهدر له ماأصـابـه من الـدمـاء والأموال، وأن يولّيه اليمامة وما حولها، فطعن عليه عطيّةُ، وقـال: ماكاتب عبد الملك حتى علم منه ادّهاناً في الدين. فخرج عطيةُ إلى عُمان مفارقاً له. وخالف نجدة أيضاً قوم استتابوه فحلف ألا يعود ثم ندموا على استتابته وتفرّقوا وخالف عليه عامّة من كان معه وانحازوا عنه وولّوا أمرهم أبا فُدَيك عبد الله ابن ثور أحـد بني قيس بن ثعلبـة وكـانـوا حين فارقوا نجدة بايعوا ثابتاً التمّار، ثم قالوا: لايقوم بأمرنا إلا رجل من العرب وجعلوا الاختيار إليه فاختار لهم أبا فُدَيك عبد الله ابن ثور.

مقتل نجدة بن عامر الحنفي.

١٠٦ ـ واستخفى نجدة، وأرسل أبو فُدَيك في طلبه جماعةً من أصحابه، وقال: إن ظفرتم به فجيؤني به وأنا أبو فُديك أباض وبرىء وأصحابه من نجدة. وقيل لأبي فُديك إن لم تقتل نجدة تفرّق الناس عنك، فألحّ في طلبه.

وكان نجدة مستخفياً في قرية من قرى حَجْر ويقال بين حجر ولجوة، وكان للقوم الذين أخفوه جاريةٌ يخالف إليها راعٍ لهم، فأتاها ليلاً وقد غسل نجدة رأسه ودعا بطبيب، فأخذت الجارية شيئاً من الطيب، فشمّه فسألها الراعي عن أمر الطيب فأخبرته خبر نجدة، فغدا الراعي إلى أصحاب أبي فُدَيك فدلّهم على مكانه، فطرقوه فنذِر بهم، فأتى أخواله من بني تميم فاستخفى عندهم، وقال: آتي عبد الملك فأضع يدي في يده، فقالوا: لك عندنا زادٌ وحملان، قال: فأعهدُ لأم المطرّح عهداً فأتاها فنذروا به فآذنوا أصحابَ أبي فُديك بموضعه، فسبق إليه رجل من بني عُقَيل من الفُدَيكية، فخرج نجدة مصلتاً بالسيف فضنّ به العقيلي عن القتل. فنزل عن فرسه ومشى معه، وقال: إن فرسي هذا فرس لايدركه شيء فلعلّك تنجو عليه فإن الخيل طالعة عليك، فقال: ماأحبّ البقاء وقد تعرّضت للشهادة في مواطن ماهذا الموطن بأخسّها. وغشيه الوازع أخو أبي فديك لأمه وأبو طالوت وأبو هاشم مولى بني مازن واسمه راشدٌ في ثمانية عشر فيهم ثابت التّمار ونبّههم لقتل نجدة، فطعنه أبو هاشم، ويقال طعنه رجل من بني عدي بن حنيفة وضربه القوم فقتلوه.

وبقي أبو فُديك[1] الحنفي الذي يقال إنه طعن نجدة فلقيه حصين بن نجدة

---

(١) يظهر أن الرجل الذي طعن نجدة وهو من بني عدي بن حنيفة يكنى أبا فُدَيك أيضاً.

بدمشق فقتله فوجدوه مقتولاً فاتهموا حصيناً بقتله فحبسوه ثم أخرج، وقال رجل من بني جرم يرثي نجدة:

[من الوافر]

أبعدَ أبي المطرِّحِ يومَ حجرٍ ... يقومُ بسُوقها أبداً مُجيرُ
فليتَ سيوفُكُمْ ياأهل حجرٍ ... أتاها يوم نجدةَ مستعيرُ
وأصبحتِ اليمامةُ بعدَ عزٍّ ... أذلَّ رقابَها الأسدُ العقيرُ
ولم يستبدلوا منهُ ابنَ ثَورٍ ... فقد ضاعت بكاظمةَ الثُّغورُ

في أبيات.

وكان الجَرمي وقوم معه من جَرم نزلوا قريباً من ذي المجاز، فأغار عليهم بنو قُشير فأصابوا لهم أموالاً فلما ظفر نجدة ببني كعب ردّ على الجرميين ماأُخِذ منهم[1] فلذلك رثاه الجَرمي.

وكان نجدة ذا شجاعةٍ وسخاء، فقال نصر بن سيّار[2] يوماً لرجل من بني حنيفة: من كان سيدكم؟ قال مجّاعة[3]، فقال: ماأدري مامجّاعتكم من عصيدتكم[4]، والله ماكان فيكم فِئة أكرم كرماً ولا أعظم سؤدداً من نجدة وهو الذي يقول:

[من الطويل]

وإن جَرّ مولانا علينا جَريرةً ... صَبرنا لها إنَّ الكرام الدّعائمُ

---

(١) قشير بطن من بني كعب بن ربيعة ولذلك حمّل بني كعب ماأخذته منهم قشير.

(٢) نصر بن سيّار الليثي آخر وال لبني أمية على خراسان وهو الذي قتله أبو مسلم الخرساني.

(٣) مجّاعة هو الذي غش خالد بن الوليد يوم الردة وألبس نساء بني حنيفة لباس المقاتلين وأوقفهم على سور اليمامة وأخذ لبني حنيفة الأمان من خالد بن الوليد.

(٤) العصيدة: دقيق يُلتُّ بالسمن ويطبخ ـ اللسان ـ

وقـال أبـو الحسن: كان نجـدة استخلف على البحـرين هِميان بن عديّ السدوسي فلما وافى مالك بن مِسمع تاح[1] بعد الجفرة كتب هميان إلى نجدة: إنه قد ورد علينـا قوم لهم شرف، وقديم لو وردوا على أبي بكر وعُمر لعرفا مكانهم، فإن رأيت أن أعـطيهم من سهم المؤلّفـة قلوبهم فعلتُ، فكتب نجدة: ليس في عطيه المؤلّفة وقت معلوم، فأعطهم ماترى أنه يحلّ أن يعطى مثلهم، فأعطاهم هميان كل ماكان في بيت المال ثم لحق بهم وحمل مالكاً على ناقة وحمل ابنه على فرسٍ. وكان ذلك مما أنكروه عليه.

قالوا: وفارق أبا فُديك قومٌ حين قتل نجدة فقابله أبو مسلم بن جُبَير وهو من أهل الحجاز، فوجأه اثنتي عشرة وجأة وقال:

[من المتقارب]

وخـالـفـتُ قومـيَ في دينهـم ... خلافَ صباً حين جاءت جنـوبـا*

معناه خلاف صباً جنوبا.

أرجّـي الإلـهَ وغـفـرانَـهُ ... وتـرجـونَ درهَمَـهـم والجَـريبـا

قالـوا: فقُتل أبو مسلم وحُمِل (أبو) فديك جريحاً فبرىء. وسنكتب خبر أبي فُديك ومقتله في موضعه إن شاء الله.

وكان أبو فديك من الحرقَيينِ[2] من ولد قيس بن ثعلبة بن عكابة.

---

(١) سماها سابقاً تاحر ولم أجد لها تفسير في معجم البلدان.

(٢) الحُرقَيْن: هما تيم وسعد ابنا قيس بن ثعلبة بن عكابة فكانا يسميان الحرقتان.

خبر عبد الرحمن بن بخدج[1]

١٠٧ ـ عبد الرحمن بن بخدج بن ربيعة بن سُمَير بن عاتك بن قيس[2] من بني عامر بن حنيفة.

قالوا: فارق عبد الرحمن بن بخدج نجدة ناقماً عليه فأتى فارس، فقال الأعلمُ[3] وهو نعمان بن عبّاد بن فيّاض بن شراحيل النكريّ[4] من عبد القيس لعمر ابن عبيدالله بن معمر وهو على فارس: إن دخول هؤلاء على بلدٍ أنت فيه وَهنٌ. فندب ابن معمر قوماً مع النعمان ووجّهه إلى ابن بخدج، فصيّر النعمان على مقدمته أبا المنازل وسار الأعلم. وكتب إلى عمر بن عبيد الله:

[من الطويل]

فلا أعرفنكُم بعدما تُقرعُ العَصا ... ترومون أمراً منكمُ متفاقِما

فلما قرأ عمرُ البيت، قال: أما النعمان فلا يرجع حتى يظفر أو يموت. قالوا: وأصاب النعمان كسر في فخذه فأبطأ في السير وتقدّم أبو المُنازل، فلقي الخوارج فقاتلهم وصبروا جميعاً ثم تحاجزوا وانحاز الخوارج ولزموا الطريق فلقوا النعمان الأعلم بذي الغاف فقاتلهم النعمان فانكشف أصحابه وصبر فحمل عليه حسان بن بخدج فضربه فلم يصنع شيئاً وعانقه النعمان فصار إلى الأرض وضغطه النعمان إلى الأرض بصدره حتى قتله النعمان وحمل عبد الرحمن بن بخدج على

(١) في المخطوط يكتبه بحدح بالحاء المهملة وبعضاً يكتبه بالخاء المعجمة وصحته بخدج من جمهرة ابن الكلبي.

(٢) وهو كما جاء هنا بن قيس بن سعد بن الحارث بن عامر بن حنيفة.

(٣) الأعلم: مشقوق الشفة العليا يسمى أعلم.

(٤) النكري: هو نُكرة بن لُكيز بن أفصى بن عبد القيس.

النعمان فقتل كل واحدٍ منهما صاحبه، ويقال بل حمل عبد الرحمن على النعمان فقُتل النعمان وأتاهم أبو المنازل فقاتلهم وهو يقول:

[من السريع]

اِصبر على حظّك فيما مَضى ... فإنما النصرُ مع الصَّابرِ

فقُتل عبد الرحمن بن بخدج وانهزم الخوارج وتفرقوا.

وقال المدائني: ذو الغاف بين فارس والبحرين وبعُمان أيضاً موضع يقال له ذو الغاف، وقوم يقولون: إن أبا فُدَيك وجّه ابنَ بخدج والخبر الأول أثبت.

وقال المدائني: ولم يزل النعمان النكري مقيماً بفارس ولم يكن هاجر إلى البصرة، فلما قدم عمر بن عبيد الله ابن معمر فارس والياً للمصعب تلقّاه النعمان وكان جسيماً طويلاً، فقال عمر: إن هذا الخليق للبأس والنجدة، وقال: ومن أنت؟ قال: النعمان بن عباد النكري، قال: اصحبني فأكرمه وولاه شُرطته فلما وجهه إلى ابن بخدج ولى مجّاعة شرطته. وتزوجت امرأة النعمان بعده رجلاً من قريش، فقال لها رجل من عبد القيس:

[من الطويل]

[و]إنَّكِ لم تستبدلي أُمَّ أيمنٍ ... طوالَ الليالي فانكحي أو تأيّمي

فكان يمرّ زوجها في الطريق فينشدون هذا البيت.

وقال الهيثم بن عديّ: ولّى عبد الملك حين قتل مصعباً يزيد بن هبيرة المحاربي[1] اليمامة، فخرج عليه خارجي يقال له سوّار بن عبيد فخرج إليه بأهل

---

(١) المحاربي: أي من محارب وفي العرب قبيلتان تسمى محارب الأولى من قريش وهو محارب ابن قريش وقريش أشهر قبيلة عربية فيتبادر إلى الذهن أنه منها يجب أن يقول المحاربي ثم =

اليمامة فقتله، وتزوّج يزيد امرأة من آل قيس بن عاصم[1] فأدخلت عليه وقد أُلبست العصب[2] والثياب الرقاق فقال:

[من الوافر]

للبسُ عباءةٍ وتقرَّعيني أحبُّ إليّ من لبس الشُّفوفِ
ويكرُّ يتبعُ الأظعانَ صعبٌ أحبُّ إليّ من بغلٍ زفوفِ[3]
وبيتٌ تخفقُ الأرواحُ فيه أحبُّ إليّ من قصرٍ مُنيفِ

ووليّ بعده أدهم بن عربي.

= القيسي لأن يزيد من محارب قيس وهو يزيد بن هبيرة بن أُقَيس بن جدعة بن كلبة بن خُفاف بن معاوية بن مرّة بن بكر بن عَمِيرة بن علي بن جسر بن محارب بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر.

(١) قيس بن عاصم المنقري من تميم سيد أهل الوبر كما سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي قال فيه الشاعر: [من الطويل]

فما كان قيس هلكه هلك واحدٍ ولكنه بنيان قوم تهدّما

(٢) عصب: ثياب مشهورة تصنع في اليمن في مدينة عصب.

(٣) الزفوف السّريع المشي بخطى متقاربة وهو اليوم يقال له الرهوان.

خلافة عبد الملك بن مروان

أمر عبد الملك بن مروان

١٠٨ ـ وأما عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أميّة بن عبد شمس بن عبد مناف، وأمّه عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أمية، وهو الذي جدع أنف حمزة بن عبد المطلب يوم أحد (بعد موته)[1] فقتل يوم أحد بعد انصراف قريش بثلاث. قتله علي بن أبي طالب بأمر النبي صلى الله عليه وسلم، وأمها فاطمة بنت عامر بن جُذيم من بني جمح وأمها سُكينة بنت أبي مُعيط.

بويع له في شهر ربيعٍ من سنة خمس وستين بدمشق ولعبد العزيز أخيه واستخلف في شهر رمضان سنة خمس وستين وكانت ولايته بعد مقتل عبد الله بن الزبير ثلاث عشرة سنة وثمانية أشهر وقتل ابن الزبير ومات عبد الملك وله اثنتان وسبعون سنة، وصلّى عليه الوليد بن عبد الملك ودفن بمقبرة الباب الصغير[2] وذلك في سنة ست وثمانين، وكنية عبد الملك أبو الوليد.

وقال الواقدي: مات وله ثلاث وخمسون سنة، وكان عبد الملك يلقّب رشح[3] الحَجَر لبخله وأبا الذبّان لنتن فمه وفساد عمور أسنانه واجتماع الذباب

---

(١) الكلمة من عندي كي لايظن أحدهم أنه جدع أنفه وهو حيّ.

(٢) لم يدفن عبد الملك في جبانة الباب الصغير كما ذكر ذلك الطبري في تاريخه والمسعودي في مروج الذهب ولكن دفن في بستان امرأته عاتكة خارج باب الجابية بدمشق وكذلك دفنت بجانبه أمرأته عاتكه وحتى هذا اليوم يسمى قبر عاتكه وهو حي بدمشق.

(٣) ورغم هذا البخل يعير عبد الله بن الزبير ببخله وأنه لهذا لايصلح للخلافة رغم أن أبا سفيان ساد قريش وهو بخيل.

عليها وعلى شفتيه، وكان أشهل ولم يزل يتنسَّك قبل الخلافة وقد روى الحديث عن عثمان وأبي هريرة وأبي سعيد الخُدري[1] وكان معاوية ولّاه ديوان المدينة بعد زيد بن ثابت الأنصاري، ولما ولّى عثمانُ مروانَ البحرين ولّاه هجر، فقال الشاعر:

[من الخفيف]

وبــدارينَ من قريشٍ أمــيرٌ عبــشَــمــيٌّ نفّــاعــةٌ ضرّار[2]

ويقال إنه ولد لسبعة أشهرٍ.

وقال فيه ابن قيس الرُّقيّات:

[من مجزوء الكامل]

لم تلتــفــت لِلداتهــا ومَــضــتْ على غُلوائــهــا[3]

وقال أبو اليقظان: العرب تُسمي الأبخر أبا الذبّان فلذلك قيل لعبد الملك أبو الذبّان.

وقال المدائني: كان عبد الملك آدم جميلاً أقنى كأنه من رجال يهوذ في تمامه، وقال فيه ابن قيس الرقيّات:

[من المنسرح]

يعــتــدِلُ التّــاجُ فوقَ مفــرقــهِ على جبــينٍ كأنّــهُ ذهــبُ[4]

فسمعه رجل فقال: يعلم والله إنه قد رآه.

---

(١) الخُدري بضم الخاء المعجمة من الخزرج من الأنصار والخِدري بكسر الخاء المعجمة نسبة إلى خِدره بطن من ذهل بن شيبان وأبو سعيد الخُدري: هو سعد بن مالك بن سنان بن عُبيد بن ثعلبة ابن عبيد بن الأبجر الذي هو خُدرة بن عوف بن الحارث بن الخزرج.

(٢) عبشمي: أي من عبد شمس كما يقال: عبدري أي من عبد الدار.

(٣) من قصيدة طويلة ولكن البيت الثاني لم يذكر في الديوان: ص: ١١٧ ومابعدها.

(٤) هذا البيت هو الـ/ ١٨/ من قصيدة وجاء في الديوان: كأنه الذهب: ص: ٥.

أولاد عبد الملك بن مروان:

١٠٩ ـ فولد عبد الملك الوليد وسليمان ومروان الأكبر وداود درجا[1] وعائشة تزوجها خالد بن يزيد بن معاوية، وأمهم: ولّادةُ بنت العباس بن جزء بن الحارث ابن زهير بن جَذيمة بن رواحة بن ربيعة بن مازن بن الحارث بن قُطيعة بن عبس، ولها يقول العجّاج:

[من المنسرح]

مُزينُ مروانُ قريعُ الأُنسِ وابنــةُ عبــاسٍ قريعُ عبسِ

وقال بعض الشعراء:

[من الطويل]

لقـد أنجبت ولّادةُ الخيرِ عنـدكُم إمـامي هُدىً: مُستخلفٌ ومُؤمَّـلُ

والحكم درج وأمه أم أيوب بنت عمرو بن عثمان بن عفّان وعبد الله ومسلمة والمنـذر، ويزيد ومروان الأصغر ومعاوية أمهم عاتكة بنت يزيد بن معاوية وهشام وأمه أم هشام واسمها عائشة بنت هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة ابن عبـد الله بن عُمـر بن مخزوم، وأبا بكر وأمه عائشة بنت موسى بن طلحة بن عُبيد الله، والحكم وأمه أم أيوب بنت عمرو بن عثمان بن عفان، وعبد الله ومسلمة والمنذر وعنبسة ومحمداً وسعيد الخير وكان خيّراً ينزل بنهر سعيد. وكان يزيد بن عبد الملك يقول: إن سعيد الخير لأهل أن أستخلفه، والحجاج وقُبيصة لأمهات أولادٍ شتّى، وفاطمة أمها أم المغيرة بنت المغيرة بن خالد بن سعيد بن العاص بن هشام ابن المغيرة تزوجها عمر بن عبد العزيز.

---

(١) أي الذي درج مروان الأكبر وداود. ماتا ولم يخلفا عقباً.

وقال أبو اليقظان: سمّى عبد الملك المنذر باسم رجل من أهل الشام كان ناسكاً، وقد شهد المنذر هذا قتال حُبيش بن دلجة للحنتف بالرَّبذة، ولا أعلم له عَقباً، قال: وسمى قبيصة باسم قبيصة بن ذؤيب الخزاعي، وكان قبيصة على خاتم عبد الملك وبيت ماله وولد له الوليد بن قبيصة فدرج[1] ولا عقب له، وسمى الحجّاج باسم الحجاج بن يوسف، وقال عبد الملك:

[من الرجز]

سميّتُهُ الحجّاجَ بالحجّاجِ الناصحِ المعاونِ الدُمّاجِ
نُصحاً لعَمري غيرَ ذي مزاجِ

فوهب الحجاج بن يوسف الحجاج بن عبد الملك داراً بدمشق تعرف بدار الحجاج[2]، وكان أبو بكر ضعيفاً وكان يسمى بكاراً، حجّ من المدينة حين وردها ماشياً على اللبون[3] وقُتل بعد عبد الله بن عليّ[4].

وولد لعنبسة بن عبد الملك الفيض بن عنبسة لا عقب له.

ووجّه عبدُ الملك عبدَ الله بن عبد الملك إلى الحجّاج أيام ابن الأشعث وإلى أهل العراق. فعرض عليهم عزل الحجاج فلم يقبلوا فأمر الحجاج بقتالهم. وولاّه أخوه الوليد بن عبد الملك حمص وغزا الصائفة، وولاّه مصر فمرض، فكتب إليه الوليد: أن اكتب إليّ أحوالك، فقال: اكتبوها له فليتني لم أعرف الوليد ولا أباه فمات.

---

(١) درج: مات ولم يخلف عقبا سواء مات صغيراً أو كبيراً.

(٢) مازال حتى يومنا هذا يسمى حيّ بحي الميدان قصر حجاج الذي كان لحجاج بن عبد الملك

(٣) اللبون: الناقة ذات اللبن الدائم وكانت معه عندما يمشي ليتغذى بلبنها.

(٤) أي بعد وقعة عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس بأهل دمشق وقتله كثيراً من أهلها.

فقال الوليد: رحم الله عبد الله خاف التبعة في الآخرة وتحّرج مما أصاب، وقد جعلته من ذاك في حِلٍّ، فبكاه الشاعر فقال وهو وبعض إخوته:

[من الطويل]

فهلّا على قبرِ الوليدِ أخي النَّدى وقبرِ سُليمانَ الّذي عندَ دابقِ
وقبرِ أبي عمرٍو أخي وأخيهمُ بُليتُ بحُزنٍ في الجوانحِ لاحقِ

وفيه يقول الشاعر:

[من الوافر]

فإنَّ بمصرَ عبدَ اللهِ يأسُو ويُجبرُ عظمَ ذي الكسرِ المَهيضِ

وأوفد مسلمة بن عبد الملك مروان بن عبد الملك إلى يزيد بن عبد الملك بقتل يزيد بن المهلب.

وأوصى عبد الملك الوليد وسليمان أن يستخلفا أحد بني عاتكة [بنت يزيد] يزيد أو مروان وهو الأصغر فمات مروان وكان ضعيفاً وله يقول كثّير:

[من الطويل]

أبا خالدٍ فارقتَ مروانَ عن رِضىً وكانَ يَزينُ الأرضَ أن ينزلا مَعا

وولد لمروان هذا معاوية بن مروان فولد معاوية الوليد بن معاوية بن مروان، وكان من رجالهم ولي دمشق وله عقبٌ.

وللحكم بن عبد الملك بن مروان يقول رؤبة:

[من الرجز]

ياحكَمُ الوارثُ عن عبدِ الملك ... ميراث أحساب وجود مُنسَلَك
إليكَ أشكو عضَّ دهرٍ مُنهتِك ... لا منكبين والجرانُ مُبترك
وقد علمنا ذاك عِلماً غير شك ... إنك بعد الله مالم تُدْرك
مفتاحُ حاجات وسيماهُنّ بك ... فَالّذكرُ فيها عندنا والأجرُ لَك
مابعد كلاّ من طلب ولا درك

وقال عبد الملك في بنيه:

[من الوافر]

يَزيد زيادةُ الرّحمن فينا ... وصاحبُ عزوة الأمر الشديدِ
ومروانُ الصفيُّ صفيُّ نفسي ... شبيهُ النفسِ منّي والجُدودِ
وعبدُ اللهِ صاحبُ كُلِّ حرب ... وعزٍّ تحتَ أبدانِ الحديدِ
فقد عُلّقت حُبهّم جميعاً ... على أنَّ الخلافةَ للوليدِ
سليمانُ الشّعار شعارُ قلبي ... [ومحضُ] الحبِّ من ذَوب الشهودِ
ورأي في هشامٍ أنَّ فيهِ ... حياءُ للجنود وللوفود

قالوا: وتزوج عبد الملك شقراء بنت مسلمة بن حنظلة الطائي فوصفت له وكان الواصفُ لها ابن معرّض الطائي فقال: والله لوددت أن الله جعل حظ طيّىء كلها من نار جهنم في حِرّ شقراء لنلتها هذه، وكانت عظيمة الرَّكَب(١).

ويقال: بل خرج عبد الملك متنزّهاً فرأى خباءً فَريداً فوقف عليه فخرج إليه أبو شقراء فقال له عبد الملك: ماإنزالك منتحياً؟ فقال: إنّ لي ابنةً لها بهاء قرشيّةٍ وحسن غطفانية وفم طائية وجسم عامرية، فتزوّجها فماتت عنده فصالحهم من ميراثها على ألف ألف درهم.

---

(١) الركب: الحِرّ أي الفرج.

وكتب عبد الملك إلى هشام بن إسماعيل وهو بالمدينة: اخطب عليّ امرأة من قريش من جمالها وطولها ومن بياضها. فكتب إليه: إني لا أعلم هذه الصفة إلا في بنات المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وكان المغيرة جميلاً وكانت بناته ذوات جمال وكمال، وللمغيرة يقول الشاعر:

[من الوافر]

ألا يا أيُّها الأعرابُ سيروا ... فما بعدَ المُغيرةِ من مُقامِ

المدائني عن إبراهيم بن سعد: أن عبد الملك رأى في منامه كأن امرأته المخزوميّة قلعت رأسه ثم لطعت منه عشرين لطعةً، فبعث إلى سعيد بن المسيِّب من سأله عن الرؤيا فقال: تلد منه ولداً يملك عشرين سنة فولدت هشاماً فملك عشرين سنة، ويقال أيضاً أنه رأى كأنه وُتِدت في ظهره أوتادٌ فقُصّت رؤياه على سعيد فقال: يخرج من صلبه أولادٌ يلون الخلافة.

وتزوّج عبد الملك ابنةً لعلي بن أبي طالب عليه السلام، وتزوّج أمّ أبيها بنت عبد الله بن جعفر فطلقها وقد ذكرنا قصتها فيما تقدم من أخبار آل أبي طالب، وتزوج أم الحكم بنت ذؤيب بن حلحلة ابن عمرو الخزاعي وهي أخت قبيصة بن ذؤيب صاحبه.

وأما مسلمة بن عبد الملك فسنذكره بعد هذا الموضع إن شاء الله وكان صاحب رأيهم وفتح الطوانة وغزا الصوائف غير مرة ومات بالحاقوف من مصر[1] سنة إحدى وعشرين ومئة وكان متوارياً عندما أخرج ابن الزبير بني أمية من المدينة.

---

(1) في تاريخ خليفة بن خياط. ص: ٣٥٠ مات مسلمه يوم الأربعاء من محرم سنة ١٢٠ بالشام وكذلك في تاريخ الإسلام للذهبي.

ماقيل في عبد الملك وأخباره بعد مقتل ابن الزبير

١١٠ ـ المدائني عن مسلمة، قال: رأى معاويةُ عبدَ الملك، فقال: هذا أبو الملوك.

المدائني عن عبد الله بن بكر السهمي، قال، قال عمرو بن العاص:

كنت عند معاوية وعنده عبد الملك فلما قام تبعه بصره ثم قال: لله درّ هذا الفتى ماأعظم مروآته.

المدائني عن المنهال بن عبد الملك، قال: نظر رجل إلى عبد الملك وكانت في رأسه شامةٌ مدورّة فقال: أما ليملكنّ فقال: ليت لنا من عرفج خُوصةً.

المدائني وغيره، قالوا: دخل عبد الملك على يزيد بن معاوية، فقال: ياأمير المؤمنين: إن لك أرضاً بوادي القُرى ليست لها غلّةٌ، فإن رأيت أن تأمر لنا بها، فقال يزيد: إنا لانُخدع عن صغير ولا نبخل بكبير، قال: فإن فيها كذا وكذا، قال: هي لك، فلما ولّى قال يزيد: هذا الذي يقال إنه يولّى بعدنا فإن كان ذلك باطلاً فقد وصلناه وإن كان ذلك حقّاً فقد صانعناه.

المدائني قال: قال عبد الله بن صفوان: رأى عثمان عبد الملك فضمّه إليه وقال: رأيتني أخذت برأسي فوضعته على رأسه، وقد ولده أبو العاص مرتين[١] ولئن خرجت مني إليه ماذاك بكبير.

المدائني والحرمازي عن العتبي، قال: قال سعيد بن العاص وبعضهم يقول عمرو بن العاص: لله درّ عبد الملك مازلتُ أعرفه، آخذاً بأربع تاركاً لثلاث، آخذاً بقلوب

---

(١) أي من ولد أبي العاص من قبل أبيه وأمه، فأبوه مروان بن الحكم بن أبي العاص وأمه عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص.

الرجال إذا حدّث ويحسن الاستماع إذا حُدّث ويترك الجدال إذا خُولف وباكلّهات البشر[1] إذا لُقي، تاركاً لخلّة الظنّين في دينه وملاحاة الغَلق خوفاً لشذاته، وللدخول فيما لايعنيه، هذا مع علم وحلم.

المدائني قال: وصف رجل عبد الملك فقال: إنه ليترك مخالفة الجليس توقّياً لسوء المجالسة، ويدع مماراة اللجوج كراهة لعداوته.

المدائني عن أبي هاشم الحرّاني كاتب بشر بن مروان، قال:

قال عبد الملك للشعبي[2] حين قدم عليه وحدثه: لقد حدّثتني بأحاديث قد مرّت بمسامعي ولكني انصتُ حتى يُظنّ أني لم أسمعها وإن ذلك لطرفاً من الأدب.

حدثني الحسين بن الأسود عن يحيى بن آدم عن وكيع ثنا الأعمش عن ذكوان قال:

كان فقهاء المدينة يعدّون أربعةً منهم عبد الملك بن مروان.

حدثني روح بن عبد المؤمن ثنا وهب بن جرير عن أبيه عن نافع قال:

لقد رأيت المدينة ومابها شابٌّ أشدّ تشميراً ولا أملك لنفسه ولا أظهر مروءةً من عبد الملك، قال: وكان يقال لعبد الملك بالمدينة حمامة المسجد لعبادته، قال: وشكا بعض العمال إلى ابن عمر وعبد الملك يصلي إلى سارية، فقال ابن عمر: لو وليهم عبد الملك هذا الذي يصلي مارضوا به، لَضُرب به المثل في الفضل والصلاح.

المدائني وغيره: أن عبد الملك قال حين وجّه يزيد بن معاوية الجيش إلى ابن الزبير: ليت السماء وقعت على الأرض، إعظاماً لذلك، ثم إنه ابتلي بعد ذلك بأن وجّه الحجاج فقتله بمكة ورمى البيت.

---

(١) من الكَلّ: وهو ثقيل الروح على الناس ـ اللسان ـ لعلعل: (ويطلق البشر) فهي مناسبة للمعنى.

(٢) من قبيلة شعبان: وشعبان اسمه حسان بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس ابن وائل بن الغوث بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن حمير.

وحدثني العمري عن الهيثم بن عديّ عن مجالد عن الشعبي، قال:

دخلت على عبد الملك فقلتُ أنا الشعبيّ ياأمير المؤمنين، فقال: لو لم نعرفك لم نأذن لك، فلم أدر ماأقول، ثم قال له: علّم بنيّ الشعر فإنه ينجدهم ويمجدهم.

وحدثني هشام بن عمار عن أبيه، قال: مرَّ ابن زِملٍ العذري[1] بسعيد بن المسيِّب فدعاه فجاءه وهو في المسجد، فقال: بلغني أنك مدحت عبد الملك فأنشدني ماقلت فيه، فأنشده:

[من الوافر]

فما عابَتْكَ في خُلُقٍ قريشٌ بيثربَ حينَ أنتَ بها غُلامُ

فقال: صدقت كذا كان وهو عندنا.

البيعة لعبد الملك ولأخيه عبد العزيز:

١١١ ـ وقال المدائني عن الأشياخ: بايع مروان بن الحكم لابنيه عبد الملك وعبد العزيز حين رجع من مصر بالصُّنبرة أو بدمشق ولى عبد الملك فلسطين، فلما مات مروان أتاه عبد الرحمن بن الحكم فسلّم عليه بالخلافة.

وقال: لما قَتَلَ عبدُ الملك عمرَو بن سعيد قال ابنُ الزبير: إنّ أبا الذبّان قتل لطيم الشيطان:

---

(١) من بني عُذرة بن سعد هُذَيم ابن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة. وزِمْلُ هو ابن عمرو بن العِتر بن حسان بن خَديج بن وائلة بن حارثة بن هند بن حرام بن ضِنّة بن عَبد بن كبير بن عذرة بن سعد هزيم.

﴿ وكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعضَ الظَّٰلِمِينَ بَعضًا بِمَا كانُوا يَكسِبُونَ﴾[1] وبلغ ذلك ابن الحنفية فقال: ﴿فَمَن نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفسِهِۦ﴾[2] يُرفع له يوم القيامة لواءٌ بغُدرته يلعنه الله وملائكته.

وقال الواقدي: كان عبد الملك ويُكنى أبا الوليد عابداً ناسكاً قبل الخلافة وسمع من عثمان وأبي سعيد الخُدري وأبي هريرة ومات بالشام سنة ست وثمانين، وقبض وله ثمان وخمسون سنةً وروى مروان عن عمر وعثمان وهاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وله ثمان سنين ومات سنة خمس وستين وله ثلاث وسبعون سنةً.

وقالوا: كتب عبد الله بن عمر حين قتل ابن الزبير إلى عبد الملك: لعبد الملك بن مروان من عبد الله بن عمر، سلام عليك فإني مُقرّ لك بالسمع والطاعة على سنة الله وسنة رسوله مااستطعتُ.

المدائني عن محمد بن صالح عن إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي قال:

كتب ابن عمر إلى عبد الملك بالبيعة، فقيل لعبد الملك: أترضى أن يكتب إليك بمثل هذا!

فقال: هذا من أبي عبد الرحمن كثير، وكتب ابن الحنفية ببيعته وقد كتبنا خبره وخبر عبد الملك والحجاج فيما تقدّم من خبر ابن الحنفية.

قالوا: ووفد الحجاج إلى عبد الملك بعد قتل ابن الزبير، وأوفد معه ابن الحنفية وعبد الله بن عمر وابن عثمان بن عفان وعمر بن عبد الرحمن بن عوف

---

(١) سورة الأنعام رقم: ٦ الآية رقم: ١٢٩.

(٢) سورة الفتح رقم ٤٨ الآية رقم: ١٠

وعيسى بن طلحة ومحمد بن سعد بن أبي وقاص في رجال آخرين، قالوا: فدخل عيسى بن طلحة على عبد الملك في هذه الوفادة ويُقال في غيرها، فسأله أن يُخليه[1]، فقال: ليس دون الحجاج سِتر، فقال: والله لئن لم تُخلني لاقبلت صلتك ولأرجعنّ ساخطاً قد قطعت رحمي. فأخلاه فقال: ياأمير المؤمنين سلّطت علينا هذا الغلام من ثقيف لايعرف لقومك حقّاً، فقال: إنكم ماتعرفون منه شيئاً إلاّ وأنا عارفٌ به وأنا عازله عنكم عزلاً جميلاً، ولايسمعنّ هذا منك أحدٌ فإني أخبره أنك أثنيت عليه. وخرج فأخبر عبد الملك الحجّاج أن عيسى أثنى عليه، فأتى الحجاجُ عيسى. فوقف عيسى على بابه ووصله. وقال بعضهم إن المتكلّم بهذا الكلام والذي أخلاه عبد الملك عمر بن عبد الرحمن بن عوف.

حدثني حفص بن عمر العمري عن الهيثم بن عدي عن يونس بن الزبير الأيلي عن الزهري قال:

سمع عبد الملك بعض أهل الشام ممن توجّه إلى ابن الزبير أيام يزيد بن معاوية يقول: والله ليُرمينّ البيتُ بالحجارة والنار إن أقام الملحد ابن الزبير على ماهو عليه على رغم أنف من رغم، فقال عبد الملك: فأشهد الله أن أنفي إن كان ذلك وأعوذ بالله (أن أكون) أول راغم، قال: فلم يلبث أن رماه الحجاج وهو عامله وصاحبه بأمره.

وحدثني أبو مسعود الكوفي عن عوانة عن أبيه قال:

كان عبد الملك أول خليفةٍ بُخِّل، وكان يقول: إعطاء الشعراء من السرف ولكنهم قوم يتأتّى لهم من الذمّ الباقي السائر ما لا يتأتّى لغيرهم فأنا أتّقيهم ببعض النوال ولا أتجاوز القصد.

---

(١) أخلِني: أي لاتجعل معي أحداً سواك.

وحدثني المدائني عن مسلمة بن محارب قال: لما مات مروان صلى عليه عبد الملك ودفنه، ثم صعد المنبر فقال: إني والله ماأنا بالخليفة المصانع ولا الخليفة المستضعف ولا الخليفة المطعون عليه[1]، إنكم تأمرونا بتقوى الله وتنسون ذلك من أنفسكم، والله لايأمرني أحدٌ بعد يومي هذا بتقوى الله إلا ضربت عنقه ثم نزل.

المدائني قال: تزوج عبد الملك ولّادة بنت العباس العبسي فولدت له الوليد وسليمان، فقال عثمان بن مسعود العبسي يوماً للحضين[2] بن المنذر: ياحضين أنت عجوز بكر بن وائل، فقال: لا، ولكني كبيرها وسيدها. وأنت من قوم سادهم في الجاهلية عبدٌ يعني عنترة، وتقدّمتم في الإسلام بحِرٍ[3] إن نَدِي نديتم وإن جفّ جففتم.

المدائني عن عوانة، قال، قال عبد الملك: زينةُ الكهل العلم وجنّته الحلم.

حدثني الحسين بن علي الأسود عن أبي بكر بن عياش عن حُصين، قال: قال الشعبي: وفدتُ على عبد الملك فما أخذت في حديث أراني أنه لم يسمعه إلا سبقني إليه وربما غلطت في الشيء وقد علمه فيتغافل عني تكرّماً.

المدائني قال: أتى رجلٌ عبدَ الملك فقال له: إن عندي لك ياأمير المؤمنين نصيحة في فلان فقال له: نستمعها منك على إن كنت صادقاً مقتناك[4] وإن كنت

---

(١) في هامش المخطوط: عنى بالمصانع معاوية والمستضعف عثمان والمطعون عليه يزيد.

(٢) في أصل المخطوط الحصين وصحته كما أثبته عن الجمهرة والكامل للمبرد وهو الحضين بن المنذر بن الحارث بن وعلة الرقاشي، أبو ساسان وكان مع علي بصفين ولعلي عليه السلام فيه شعر.

(٣) يقصد بالحِر فرج ولّادة العبسية، والحِرِ: الفرج للمرأة.

(٤) مقتناك: كرهناك.

كاذباً عاقبناك وإن أحببت أن نقيلك أقلناك قال: فأقلني، قال: قد فعلتُ.

الحرمازي عن درهم السَّليطي، قال: دخل أعرابي على عبد الملك فسأله، فقال: إن علينا في مالنا حقوقاً هي أوجبُ من حقك، فقال: والله لو كنت مثلك ما منعت راغباً، فقال: أعطوه، فأبى قبول عطيّته وخرج فقيل له: لِمَ امتنعت من قبول صلته، فقال: إن يد البخيل ثقيلة.

وحدثني عباس بن هشام عن أبيه عن عوانة، قال: دعا عبد الملك بمؤدّب ولده، وقال: إني قد اخترتك لتأديب ولدي وجعلتك عيني عليهم وأميني فاجتهد في تأديبهم، ونصيحتي فيما استنصحتك فيه من أمرهم، علّمهم كتاب الله حتى يحفظوه وفقّهم على مابيّن الله فيه من حلال وحرام حتى يعقلوه، وخذهم من الأخلاق بأحسنها ومن الآداب بأجمعها، وروّهم من الشعر أعفّه ومن الحديث أصدقه، وجنّبهم معاشة النساء ومجالسة الأظنّاء ومخالطة السفهاء، وخوّفهم بي وأدّبهم دوني، ولا تخرجهم من علمٍ إلى علم حتى يفهموه فإن ازدحام الكلام في السمع مضيعة للفهم، وأنا أسأل الله توفيقك وتسديدك، ثم أسمى له الوَرق وبدأ بصلة حسنة.

وحدثني أبو أيوب الرقي عن أبيه قال: دعا عبد الملك بمؤدّب ولده فقال له: روّ ولدي مافي هذا القرطاس وإذا فيه وصيّة معاوية، فكانت يابني أميّة، إنه لما قَرُب مني ماكان بعيداً، وخفت أن يسبق الموت إليّ ويسبقكم بي سبقت إليكم بالموعظة لأبلُغَ عُذرا وإن لم أردّ قدراً، إن الذي أنا فيه من دنياي أمرٌ تشاركون فيه وتغلبون عليه فإن الذي أبثه لكم من رأيي مقصور عليكم نفعه إن فعلتموه، ومتخوف عليكم ضرره إن ضيعتموه فاجعلوا مكافأتي قبول نصيحتي.

وإن قريشاً شاركتكم في أنسابكم، وتفرّدتم دونها بأفعالكم فقدّمكم ماتقدّمتم فيه، وأخرّ غيركم ماتأخروا له، وقد جُهِرَ لي فعلمتُ ونُعّم لي ففهمت، حتى كأني أنظر إلى أولادكم بعدكم كنظري لآبائهم قبلهم، إن دولتكم ستطول وكلُّ طويل مملول، وكل مملول مخذول فإذا انقضت مدّتكم كان أوله ذلك، إذ ملاذكم بينكم، واتفاق المختلفين عليكم فيدبر الأمر بضدّ ماأقبل به، فلستُ أذكر عظيماً يُنال منكم ولا حرمة تُنتهك لكم إلاّ وما آكفّ عن ذكره أعظم منه، فلا معوّل عليه عند ذلك أفضل من الصبر واحتساب الأجر، فيالها دولة أنست أهلها الدول في الدنيا والعقوبة في الآخرة فيها دّكم القِرْم دولتكم تمادّ العِنانين في عنق الجواد، فإذ أبلغ الله بالأمر مكاه[1] وجاء الوقت الذي حدّده رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد أمر السفياني ضَعُفت الحيلة وعَزُب الرأي وصارت الأمور إلى مصائرها.

فأوصيكم عندها بتقوى الله الذي يجعل لكم العافية إن كنتم متقين.

١١٢ـ ماقيل في صفات عبد الملك:

حدثني هشام بن عمّار عن الوليد عن روح بن جناح عن الزهري:

أن عبد الملك رأى عند بعض ولده حديث المغازي، فأمر به فأحرق وقال: عليك بكتاب الله فاقرأه والسّنّة فاعرفها واعمل بها.

وكان المنصور أمير المؤمنين يقول: الخلفاء ثلاثة معاوية وكفاه زياد وعبد الملك وكفاه الحجاج وأنا لا كافي لي.

وقال المنصور أيضاً وذكر ملوك بني أمية: كان عبد الملك أشدّهم شكيمة وأمضاهم عزيمة وكان هشام رجلهم.

---

(١) مكا الإنسان: صفّر بفيه ويقال للطعنة إذا فقهت فاها: مَكَتْ تمكو ـ اللسان ـ

حدثني الحرمازي عن أبي عبيدة قال:

قالت عبس: تستطيعون تزويج عبد الملك ولّادة بنت العباس فقال الوليد بن القعقاع العبسي لمزيد ابن عمر بن هبيرة: يابن الفرّار، فقال: يابن الضرّاط، فقال الوليد: يابن اللخناء قل:

[من البسيط]

بل أنـتَ نزوةُ خوَّارٍ على أمـةٍ لامُـدرِكُ الحلَبَـاتِ اللّومِ والخُـوزِ

قال ابن هبيرة:

يابن العجراء[1] لقد قدّمتك أعجاز النساء، وقدّمتني صدور الخيل والقنا.

وحدثني هشام بن عمار حدثني الوليد بن مسلم قال:

سمعت شيخاً من أهل دمشق مسناً يحدث عن أبي الزعيزة قال، قال عبد الملك للهُذَيل بن زُفَر وحاتم بن النعمان الباهلي[2]: إني قد عزمت على أن تجالساني وتسامراني، فلا تمدحاني في وجهي فإني أعلم بنفسي منكما، ولا تُطْرِيَا عندي فاسقاً فأمقتكما ولا ظنيناً فأستغشكما، ولا تكذباني فإنه لا رأي لمكذوب، ولا تعتبا عندي أحداً، وقولا بعد ذلك ماشئتما.

---

(١) العجراء: الحدباء. لعلها: العجزاء: عظيمة العجيزة.

(٢) قبيلة قيسية وهي باهلة واسمه مالك بن أعصر واسمه منبّة بن سعد بن قيس بن عيلان. ولد مالك بن أعصر سعد مناة وأمه باهلة بنت صعب بن سعد العشيرة من مَذحج ومعناً وأمه هند بنت شباب بن عبد الله بن غطفان، فولد معن أوداً وجيأوة وجعاوة وأمهما باهلة خلف عليها معن بعد أبيه وشيبان وهو فرّاض وزيداً وهو فيان ووائلاً والحارث وهو ليل وحرباً ووهيبة وعمراً وأمهم أرنب بنت شمخ بن فزارة وقتيبة وقعنباً وأمهما سودة بنت عمرو بن تميم فحضنتهم كلهم باهله فغلبت عليهم.

وحدثني عمر بن بُكير عن الهيثم بن عدي عن ابن عيّاش الهمداني، قال:

دعا عبد الملك الهُذيل بن زُفَر بن الحارث الكلابي وحاتم بن النعمان الباهلي، فقال: إني غزمتُ على أن تجالساني فلا تمدحاني في وجهي فإني أعلم بنفسي منكما، ولا تُطريا عندي فاسقاً فأمقتكما ولا ظنيناً فأستغشكما، ولاتكذباني فإنه لا رأي لمكذوب، ولا تعتبا عندي أحداً، وقولا بعد ذلك ماشئتما.

قال: فكان الهُذَيل يتّبع هواه فيما له وعليه ممّا يشينه ولايزينه، وكان حاتم بن النعمان يخالفه فيما حاط عليه عاقبته وضرره، فقال له الهذيل: ياأمير المؤمنين إنما يخالف حاتم ليري الناس جرأته عليك، فوقع ذلك في نفس عبد الملك وحجبه، فبينا عبد الملك يسير في مسير له إذ بَصُر بحاتم في الموكب، فدعا به وقال له: مالي لا أراك في مسيري إذا سرت ونزولي إذا نزلتُ، فقال: ماأبرح من عسكر أمير المؤمنين أصلحه الله ولا أخرج عنه، وقال:

[من الطويل]

(و)[1]إنَّ مسيري في المسيرِ ومَنزلي ... لبالمنزلِ الأقصى إذا لم أُقرَّبِ

ولستُ وإن أُدنيتُ يوماً بقائلٍ ... مقالةَ دَغْشٍ[2]آثمٍ للتحبّبِ

وقد عدَّها قومٌ كثيرٌ تجارةً ... ويمنعُني من ذاكَ ديني ومَنصبي

وإنّي أرى حقَّ الإمامِ ونصحَهُ ... وطاعتهُ فرضاً كما هِيَ للأبِ

فدعاه وأدناه وسمع منه.

حدثني محمد بن صُفي الحمصي عن الوليد عن ولد عمر بن عبد العزيز، قال:

قدم عبد العزيز بن مروان على أخيه عبد الملك من مصر في بعض الأمور،

---

(١) تزاد الواو ليصح الوزن.

(٢) دغش: دخل في الظلام.

فلما أراد الشخوص إليها. قال له: أنظر ماأوصيك به فاجعله لك إماماً. ابسط بشرك وألِنْ كهفك وآثر الرفق في الأمور فهو أبلغ بك، وانظر حاجبك فليكن من خير أهلك فإنه وجهك ولسانك، ولا يقفنّ أحدٌ ببابك إلاّ أعلمك مكانه ليكون أنت الذي تأذن له أو تردّه، وإذا خرجت إلى مجلسك فابدأ جُلسائك بالكلام يأنسوا بك وتثبت في قلوبهم محبّتك، واذا انتهى إليك أمرٌ مشكلٌ فاستظهر عليه بالمشاورة فإنها فتح مغاليق الأمور المهمة، واعلم أن لك نصف الرأي ولأخيك نصفه، ولن يهلك امرؤٌ عن مشورة، وإذا سخطت على أحدٍ فأخّر عقوبته فإنك على العقوبة بعد التوقّف أقدر منك على ردّها بعد إمضائها.

جدثني عباس بن هشام عن أبيه عن عوانة، قال:

كان عبد الملك جالساً وعنده قوم من الأشراف، فقال لعبيد الله بن زياد بن ظَبيان البكري[1]: ياعبيد الله بلغني أنك لا تشبه أباك. فقال: بلى والله إنّي لأشبه به من الماء بالماء والقتّة[2] بالقتّة والتمرة بالتمرة والغراب بالغراب ولكن إن شئت أخبرتك ابنَ مَنْ لم تنضجه الأرحام ولم يولد للتمام ولم يشبه الأخوال والأعمام، قال: ومن هو؟ قال: سُوَيدُ بن منجوف.

فلما خرج عبيد الله وسُويد، قال سُوَيد: مايسرني بمقالتك له حُمر النعم، قال عبيد الله: ومايسرني والله باحتمالك إياي وسكوتك عنّي سودها. وإنما عرّض بعبد الملك وكان ولد لسبعة أشهرٍ.

---

(١) البكري: هو عبيد الله الفاتك الشاعر ابن زياد بن ظَبيان بن الجعد بن قيس بن عمرو بن مالك بن عائش بن مالك بن تيم اللات بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل.

(٢) القَتّ: الفِصْفِصة وهو جمع واحدته قتّة. والقَتّ يكون يابساً ويكون رطباً ـ اللسان ـ

قالوا: ودخل أبو العباس الكناني الأعمى على عبد الملك فقال له: أخبرني عن مصعبٍ. فأنشده قوله فيه:

[من الخفيف]

يرحمُ اللهُ مُصعباً إنه ما ... تَ كريماً ورام أمراً عظيما

طَلَبَ المُلكَ ثم ماتَ حِفاظاً ... لم يَعِش باخلاً ولا مذموما

ليت مَنْ عاشَ بعده من بني ... العوام مُوِّتوا قبله وعاش سليما[1]

فقال عبد الملك: صدقت كان مصعبٌ ناباً من أنياب قريش وصنديداً من صناديدها.

حدثني أبو هشام الرفاعي عن عمه كثير بن محمد عن ابن عيّاش المنتوف، قال:

قال عبد الملك: شممت الطيب حتى ماأبالي رائحة ماوجدت، وأتيت النساء حتى ماأبالي رأيتُ امرأةً أم حائطاً، وأكلت الطعام حتى ماأبالي ماأكلتُ، ومابقيت لي لذّة إلاّ محادثتي رجلاً أُلقي التحفّظ بيني وبينه.

وحدثني أبو أيوب الرّقي عن الحجاج بن منيع الرصافي قال:

أوصى عبد الملك ولَده وأهل بيته فقال: يابني مروان ابذلوا معروفكم وكفّوا أذاكم واعفوا اذا قدرتم ولا تبخلوا إذا سُئلتم ولا تلحفوا إذا سألتم، فإنه مَن ضَيَّق ضُيِّقَ عليه ومن وَسَّع وُسِّع عليه.

المدائني قال: قيل لعبد الملك قد شبت ياأمير المؤمنين، فقال: وكيف لاأشيب وأنا اعرض على عقلي التوهق[2] في كل جمعة، يعني الخطبة.

---

(١) هذا البيت مكسور الوزن ويصح لو رويناه على الشكل التالي:

ليت من عاش بعده من بني ... العَوّام ماتوا قبلاً وعاش سليما

(٢) التوهق: الأوهاق جمع وهَقٍ بالتحريك وقد يسكن وهو حبل كالطوّل تشدّ به الإبل والخيل لئلا تندّ ـ اللسان ـ

حدثني أبو صالح الأفكالي[1] عن الحجاج بن محمد عن ابن جريج عن إسماعيل بن محمد، قال:

قدم علينا عبد الملك حاجّاً في سنة خمس وسبعين فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد فلستُ بالخليفة المُستضعف يعني عثمان ولا بالخليفة المداهن يعني معاوية ولا بالخليفة المأفون يعني يزيد، ألا وإن مَنْ قبلي من الولاة كانوا يأكلون ويؤكلون وإني والله لا أداويكم إلا بالسيف فمن أحبَّ أن يبدي صفحته فليفعل. فلا تكلّفونا أعمال المهاجرين ولستم تعملون أعمالهم، فوالله مازلتم تزدادون استجراحاً ونزداد لكم عقوبة حتى التقينا نحن وأنتم عند السيوف، هذا عمرو بن سعيد قال برأسه كذا فقلنا بسيفنا هكذا، ألا فليبلغ الشاهدُ الغائبَ، إنه ليست من لعبة إلا ونحن نحتملها مالم يبلغ أن يكون صعود منبر ونصب راية. ألا وإنّ جامعة عمرو بن سعيد التي جعلناها في عنقه عندنا، وإني أعطي الله عهداً ألا أجعلها في عنق أحدٍ فأخرجها منه إلا صُعْداً، أقول قولي هذا وأستغفر الله لكم.

المدائني عن مسلمة: قال عبد الملك إن الخلفاء قبلي كانوا يداوونكم بأدوائكم فيأكلون ويؤكلون، فإني والله لا أداويكم إلا بالسيف، إن الله فرض فرائض وحدّ حدوداً فمازلتم تزدادون في الذنوب ونزداد في العقوبة، حتى اجتمعنا نحن وأنتم عند السيف فليبق كل امرىءٍ على نفسه.

المدائني عن ابن جعدبة. قال: هدم ابن الزبير الدور التي كانت حول الكعبة وقال: أنتم حلتم على الكعبة ولم تحل عليكم، ولم يعطهم أثمان دورهم، فلما قتل

---

(١) الافكالي نسبة إلى الأفكل وهو عمرو بن الجُعَيد بن صَبِره بن الدَّيل بن شنّ بن أفصى بن عبد القيس بن أفصى ابن دُعميّ بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار.

تظلموا إلى عبد الملك، فقال: إن كان أخذها حقّاً فليس لكم عليه سبيل، وإن كان ظلمكم فإني لا أحبّ إخراجه من الظلم.

قالوا: دخل حُميد بن ثور الهلالي على عبد الملك، فقال له: ما الذي أقدمك ياحُميد؟ فقال:

[من الطويل]

أمالَ بنا اللّهُ الّذي فوقَ ماتَرى

فقال عبد الملك وماذاك؟ قال:

وفضلٌ ومعروفٌ عليكَ دليلُ

قال: وماذاك؟ قال:

ومطويّةُ الأَقرابِ أمّا نهارُها قصيرٌ وأما ليلُها فَذَميلُ[1]

فوصله وقضى حوائجه.

المدائني، قال: خطب عبد الملك أهل المدينة وقد قدمها يريد الحج، فقال:

إني لأعلم أني لا أحبكم ماذكرت قتل عثمان، وإنكم لاتحبوني ماذكرتم الحَرَّة وحبيش بن دَلجة، فأنا وأنتم كما قال الشاعر:

[من الطويل]

أَخي ليَ قبرٌ لايَزالُ مُواجِهي وضَربةُ رأسٍ فوقَ رأسيَ فاقِرهْ[2]

---

(١) ذميل: سريع.

(٢) القصة جاءت عند المسعودي في مروج الذهب بأوضح من هنا حيث قال: إن مثلنا ومثلكم، أن أخوين خرجا في الجاهلية مسافرين، فنزلا في ظل شجرة تحت صفاً، فلما دنا الرواح، خرجت إليهما من تحت الصفا حيّةٌ تحمل ديناراً فألقته إليهما، فقالا: إنّ هذا =

قال: وكان عبد الملك يهدّد أهل بيته بمثل ماصنع بعمرو بن سعيد، فكتب إليه عبد الله بن عمرو بن عثمان: إنك قد عرفت بلاء عثمان عندك وعند أهل بيتك ورفعة أقداركم، وما أوصاك مروان من قضاء دَين عمرو بن عثمان، وتأخّرك ذلك فإن تؤثر ماوصّاك أبوك فأهله نحن، وإلاّ تفعل فسيغني الله عنك والسلام.

وكان مروان أوصى عبد الملك قضاء دين عمرو، فكتب إليه عبد الملك: قد أتاني كتابك فعمرو بن سعيد كان أقرب منك رحماً وأوجب عليّ حقّاً فأوطأ رأسه موضع قدمه ففرّقت بين رأسه وجسده وهممت أن ألحقك به.

فكتب إليه عبد الله بن عمرو: قد أتاني كتابك بما ذكرت مما هممت به فإن تفعل فإني رجل معرف لي في الشهادة، أنا ابن أمير المؤمنين عثمان وابن أمير المؤمنين عمر، وكانت أمه حفصة بنت عبد الله بن عمر.

المدائني عن علي بن حماد، قال: قال عبد الملك: السياسة هيبة الخاصّة مع صدق مودّتها واقتياد قلوب العامة بالإنصاف لها واحتمال هفوات الصنائع فإن شكرها لأقرب الأيادي إليها.

= لمن كنزٍ، فأقاما عليها ثلاثة أيام، كل يوم تخرج إليهما بدينار، فقال أحدهما لصاحبه: إلى متى ننتظر هذه الحيّة؟ ألا نقتلها فنحفر هذا الكنز فنأخذه. فنهاه أخوه وقال له: ماتدري لعلك تعطب ولا تدرك المال، فأبى عليه فأخذ فأساً معه ورصد الحية حتى خرجت، فضربها ضربة جرحت رأسها ولم يقتلها، فثارت الحيّة فقتلته ورجعت إلى جحرها، فقام أخوه فدفنه، حتى إذا كان من الغد خرجت الحية معصوباً رأسها ليس معها شيء. فقال لها: ياهذه إني والله مارضيتُ ماأصابك ولقد نهيت أخي عن ذلك، فهل لك أن نجعل الله بيننا ولا تضرّيني ولا أضرّك وترجعين إلى ماكنتِ عليه، قالت الحيّة: لا، قال: ولِمَ ذلك، قالت: إني لأعلم أن نفسك لا تطيب لي أبداً وأنت ترى قبر أخيك، ونفسي لاتطيب لك أبداً وأنا أذكر هذه الشجّة، وأنشدهم شعراً للنابغة: [من الطويل]

فقالت أرى قبراً تراه مقابلي وضربة فأسٍ فوق رأسي فاقره

حدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبي مخنف وغيره:

أن عبد الملك كان فاسد الفمّ فوقعت فيه الأكلة وكان ينادي: ياأهل العافية لاتستثقلونها، فيسمع صوته ذلك من عدّة منازل، فلما اشتدّت علّته دعا بنيه، فلما حضروا قال لهم: أوصيكم بتقوى الله فإنه عصمة باقية وجنّة واقية، وقرّبوا كبيركم وارحموا صغيركم، وابذلوا للناس معروفكم وجنّبوهم أذاكم، وأكرموا مَسْلَمة فإنه سيفكم الذي به تزيّنون ونابكم الذي عنه تفترّون وسيفكم الذي به تصولون، فاقبلوا قوله واصدروا عن رأيه، واسندوا جسيم أمركم إليه.

واكرموا الحجاج بن يوسف فإنه وطّأ لكم المنابر ودوّخ لكم البلاد، وقد عرفتم بلاءه في الملحد ابن الزبير وفي طغاة أهل العراق، واجتهاده في طاعتنا ومحاماته علينا، ولم يلبث أن مات، فصلى عليه الوليد.

المدائني قال: كتب عبد الملك إلى الحجاج أن ابعث إليّ رجلاً كامل المعرفة، فبعث إليه الشعبي، فقال عبد الملك أردتك لتعليم ولدي فروّهم الشعر فإنه ينجدّهم ويمجدّهم.

المدائني عن عامر بن حفص، قال: مرض صديق لعبد الملك بن مروان من جرح كان به، فقال لروح بن زنباع الجذامي: أتيت فلاناً؟ قال: نعم، قال: فأين جرحه؟ قال: في عجانه[1]، فالتفت ثم قال لشبّة بن عقال: امض فانظر أين جرحه. فنظر ثم أتاه فقال: بين السّبّة والصفنة[2]، فقال عبد الملك لروح: قل كذا.

المدائني عن خالد بن مزيد بن بشر عن أبيه:

أن عبد الملك أُتي برجلٍ من قيس، فقال له: زبيريّ عُمَيريّ يعني عُمَير بن

---

(١) العجان: الاست ويقال هو القضيب الممدود من الخُصْيَةِ إلى الدبر - اللسان -

(٢) في الهامش: الصفنة: جلدة الخصيتين والسّبّة: الأست - اللسان -

الحُبـاب والله لايحِبّك قلبي أبداً، قال: ياأمير المؤمنين إنما تبكي على الحبّ المرأة، ولكن عدلاً وإنصافاً.

حدثني حفص بن عمر عن الهيثم بن عديّ عن عوانة وابن عيّاش، قالا:

دخل الهيثم بن الأسود النخعي على عبد الملك وقد أُتي بخارجي من النخع وعبـد الملك يحلف ليقتلنّـه فقال الهيثم: هذا رجل من قومك قالياً[1] أمير المؤمنين فهبْ جاني قومي لوافـدهم، قال: هولـك. فخـرج الهيثم والخارجي معه يقول: تآلى[2] على الله فكذّبه وغالبَ الله فغلبهُ، وقوم يزعمون أن الهيثم قال هذا لمعاوية، وقوله إياه لعبد الملك أثبت.

المدائني عن شبيب بن شيبة، قال:

قال أمير المؤمنين المنصور وذكر بني أميّة: أما عبد الملك فكان جبّاراً لايبالي ماأقدم عليه، وأما الوليد ابنه فكان مجنوناً، وأما سليمان فكان همّه بطنه وفرجه، وأما عُمـر بن عبد العزيز فإنه أعور بين عُميان، وأما يزيد بن عبد الملك فكان ركيكاً ماجناً ورجل القوم هشام.

المدائني عن مسلمة قال: وفد الحجاج بن يوسف على عبد الملك، فدخل عليه وعنـده خالـد بن يزيد ابن معـاوية، فقـال له خالـد: إلى كم هذا القتـل، فقال الحجاج: مادام بالعراق رجل يزعم أن أباك كان يشرب الخمر، فأسكته.

وحدثني أبو مسعود الكوفي عن إبراهيم الحلبي عن عوانة، قال:

دخل وَلدُ مسلم بن عقبة المريّ[3] على عبد الملك، فقال لهم: إنّ أباكم كان

---

(١) قالياً: مبغضاً.

(٢) آلى آلية: حلف حلفة ـ اللسان ـ

(٣) المريّ أي من قبيلة بني مرة وهـو مُرّة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غَطَفان ابن سعد بن قيس بن عيلان.

جَلداً لئيماً فمضى بجلده وخلف فيكم لؤمه فلا حاجة لنا بكم.

المدائني عن عوانة: أن حسان بن مالك بن بحدل الكلبي ومنظور بن زبّان بن سيّار مرضا فعادهما عبد الملك وهو خليفة فبدأ بحسان ثم منظور ثم خرج وهو يقول:

[من الوافر]

فمالي في دمشقَ ولا قُراها مَبيتٌ إن عَرضتُ ولا مَقيلُ
ومالي بعدَ حسّانٍ سميرٌ ومالي بعدَ منظورٍ خليلُ

وحدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه عن عوانة، قال:

مرض حسان بن مالك بن بحدل الكلبي ومنظور بن زيد بن أفعى الكلبي أحد بني حارثة بن عبدودّ[1] فعادهما عبد الملك، وقال:

[من الوافر]

فمالي في دمشقَ ولا قُراها مبيتٌ إن عَرضتُ ولا مَقيلُ
ومالي بعد حسّانٍ سميرٌ ومالي بعد منظورٍ خليلُ

وهذا أثبت وأصحّ[2].

---

(١) هذا سهو من البلاذري ليس هو أحد بني حارثة بن عبدودَ لأن عبدودَ ليس له حارثة وحارثة بن عامر ابن عبدود وهو ليس منهم إذ هو منظور بن زيد بن أفعى بن نَبْل بن خالد بن معاوية بن عامر بن عبد الله بن الحارث بن الشجب واسمه عوف بن عبدود بن عوف بن كنانة بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رُفيدة بن ثور بن كلب.

(٢) أثبت واصح لأنه كما شرحت فهو كلبي وهم ثبتوا حكم بني مروان في معركة مرج راهط أما منظور بن زبان فهو من فزارة وهو قيسي وكانوا على بني مروان في هذه المعركة. وكان عبد الملك يعرف لكلب حقها.

المدائني عن زيد بن عياض بن جُعْدُبة، قال:

حجّ عبد الملك فلقيه عمرين عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم الشاعر، فلما سلم عليه، قال: ويحك أما ترعوي عن فتونك لقد علمت قريش أنك من أطولها صَبْوةً وأبطئها توبةً وجفاه، فقال عمر: ياأمير المؤمنين بئست التحيّة من ابن العم لابن عمه على طول النّوى، وقيل له: يا أمير المؤمنين سلم عليك ابن أبي ربيعة وهو فتى قريش وشاعرها فلقيته بالغِلظة والجفوة فلو دعوت به فآنست وحشته وبسطه، فدعاه فدخل عليه وجارية تغمز رجله وأخرى تغمز رأسه، فقال له: إني كنت ضجراً فأسمعتك مالم أكن أحبّ أن أقوله لك، فسلني حوائجك. فقال: ياأمير المؤمنين قد علمت قريش أني من أكثرها مالاً وأحسنها حالاً وأنضّها عيناً وأقلّها ديناً، وأعظم حوائجي بقاؤك، ثم انصرف، فقيل له: يابا الخطاب دعاك أميرُ المؤمنين فعرض عليك الحوائج فلم تسأله شيئاً، فقال: إنه أجلس القمر عند رجليه والشمس عند رأسه ثم قال تصدّق وماكان ذاك ليكون أبداً.

من أقوال عبد الملك:

١١٣ ـ قال القاسم بن سلّام: يقال إن معاوية أو عبد الملك، قال: ماغضبي على من أملك وأنا أقدر عليه وماغضبي على من لا أملك ويدي لاتناله.

وحدثني عمر بن بكر عن هشام بن الكلبي عن ابن مسكين المديني عن أبيه قال:

حجّ عبد الملك فمرّ بمنزل حُبّى المدنيّة بالمدينة، وكان فتيان قريش يجلسون إليها فيتحدثون عندها، وأشرفت عليه ونظر إليها وهي تدعو له، فوقف وقال: ياحبّى أنا عبد الملك، فقالت: قد علمت فبأبي أنت وأمي الحمد لله الذي أراني وجهك قبل موتي. كيف أنت ياسيدي؟ قال: بخير ياحبّى كيف أول المبرّد ومن كان يغشاك من فتيان قريش؟ قالت: بخير ياأمير المؤمنين أقتلتَ أخاك عمرو بن

سعـد، قال: نعم ويعـزّ عليّ ولكنـه أراد قتـلي، قالت: فلالعـاً[1] له، فأمـر لها بخمسمئة دينار، وأهدت له أشياء قبلها.

حدثني العمري عن الهيثم بن عدي عن ابن عياش عن الشعبي، قال:

دخل محمد بن أسامة بن زيد على عبد الملك، فقال له: ابن كم كان أبوك حين عقد له النبي على الجيش؟ فقال: ابن سبع عشرة فقال: فهؤلاء يعيبونا حين عقدنا للوليد وهو ابن بضع وعشرين سنة[2].

المدائني عن شخص قال: دخل عروة بن الزبير على عبد الملك وعنده قوم، فكلّم عروةُ عبـد الملك بكلام فيه بعض الغلظة، فقال له الحجاج: يابن العمياء أتقول هذا لأمير المؤمنين! فقال عروة ومالنت وهذا يابن المتمنيّة يعني بالمتمنية امرأة كانت عند عروة بن مسعود وهي أم الحجاج تمنّت أنها على سطح فيّاح[3] وعندها نصر بن الحجاج[4] (السُلمي) وقالت:

[من البسيط]

هَلْ من سبيلٍ إلى خمرٍ فأشربُها ... أم هلْ سبيلٌ إلى نصرٍ بنِ حجّاج

---

(١) إذا دُعي للعاثر بأن ينتعش قيل لعاً لك ـ اللسان ـ.

(٢) ابتدأ من بعدها مكتوب بالهامش وكتب في أوّله الجملة التالية: هذه التخريجة تأتي في الأصل - بعد ثلاث عشرة قائمة ونصف ولم أعلم ماهي القائمة.

(٣) فيّاح واسع منتشر وهذا المتمنيّة كما هو المذكور في الكتب أنها كانت عند المغيرة بن شعبه ابن ابن أخي عروة بن مسعود، والله أعلم.

(٤) نصر بن الحجـاج هو نصر بن الحجاج بن علاط السلمي الذي نفاه عمر بن الخطاب إلى البصرة لجماله وتغني النساء به بالمدينة.

المدائني عن علي بن سليم عن محمد بن علي الكناني قال:

حجّ عبد الملك فأتى الطائف فسايره أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام وعبد الرحمن بن أم الحكم أخت معاوية فنزل ابن أم الحكم[1] الطائف ففضّلها وفضّل أهلها وقال: ياأمير المؤمنين جاء الإسلام وفينا من قريش عدة نساء كثرٌ، فقال عبد الملك: مافي مكرماً تقول، فقال (عبد الرحمن) إذن لاتجد فيهن مغيريّة، فقال ابن أم الحكم: نحن أعلم بقومنا إنا نعلم نعتام الكرام في مناكحنا ونأتي الأودية من ذروتها ولا نأتيها من أذنابها فقال عبد الملك: قاتلك الله ماأسبّك.

المدائني قال: جرت بين عبد الملك وبين عمرو بن سعيد منازعة في شيء فأغلظ له عمرو فقال له خالد بن يزيد بن معاوية: إن أمير المؤمنين لايُكلّم بمثل هذا الكلام، فقال: اسكت فوالله لقد سلبوك ملكك وغلبوك على أمرك فما كان عندك نكيرٌ، فما هذه النصيحة لي، أنت والله كما قال الشاعر:

[من الطويل]

ومُرضِعَةٍ أولادَ أخرى وضيَّعتْ بَنيها فلم تَرْقَعْ بذلكَ مَرْقَعا

وقال الهيثم بن عديّ: لما آمر عبد الملك بن مروان عَمروُ بن سعيد وقال خالد بن يزيد فيه مقالته أتاه، فقال عمرو: اسكت فوالله لقد سُلبت ملكك ونيكت أمّك فما كان عندك نكير فما هذه النصيحة، فقال: أما أنت فقد وقعت في الأنشوطة، فانظر كيف تخلص، وإنما أنت كما قال الدّول:

[من الطويل]

إلهي بأمر الحزم لو آستَطيعَهُ وقد حيلَ بينَ العَير والنَّزَوانِ

---

(١) ابن أم الحكم هو عبد الرحمن بن عبد الله بن عثمان بن عبد الله بن ربيعة بن الحارث بن حُبَيِّب بن الحارث بن مالك بن حُطَيْط بن جشم بن ثقيف.

قال المدائني: وقال عبد الملك بن مروان لثابت بن عبد الله بن الزبير: أبوك أعلم بك حيث كان يشتمـك، فقال: ياأمير المؤمنين أتدري لم كان يشتمني، إني نهيته أن يقاتل بأهلِ مكة وأهلِ المدينة، لأنّ أهل مكة أخرجوا رسول الله وأخافوه ثم جاؤوا إلى المـدينـة فأخـرجهم رسـول الله منها وسيّرهم يعرض بالحكم بن أبي العاص، وأما أهل المدينة فخذلوا عثمان حين قتل بينهم فلم يروا أن يدفعوا عنه، فقال له عبد الملك: لعنك الله.

المدائني عن مسلمة بن محارب عن بشير بن عبيد الله.

أن عمر بن عبيد الله بن معمر دخل على عبد الملك وعليه جبّة حبرة مفكراً وعليهـا أثـر الحمائل، فقال أميّة ابن عبد الله بن خالد بن أسِيد: يابا حفص أي رجل أنت لو كنت من غير من أنت منه من قريش، قال: ماأحبُّ أني من غير من أنا منه. إنّ منا لسيد الناس في الجاهليّة عبد الله بن جُدعان. ومنا سيد الناس في الإسـلام بعـد رسـول الله أبـو بكـر الصديق، وماهذه يدي عندك فيها استنقذت أمّهات أولادك من عدوك وهن حبالى في حجالك.

يعني استنقـاذه إياهـم من أبي فُدَيك بالبحرين، وقال أمية لعبد الملك: إن هذا دهره الافتيان عليّ، فهو كما قال الشاعر:

[من الطويل]

وكنتَ كذئبِ السّـوءِ لمّا رأى دمـاً   يُصـادِفُـهُ يومـاً أحـالَ على الـدّمِ

وأنشد عمر:

[من الطويل]

[و](1)لو كنتَ صُلبَ العودِ أو كابنِ معَمرٍ   لخُضـتَ حِياضَ المـوتِ والّليلُ مظلمُ

(1) زيدت الواو ليصح الوزن.

فتبسَّم عبد الملك وقال: قل له قال لك.

المدائني قال: تجرّى عبد الملك بن مروان الخيل فسبق عبّاد بن زياد، فقال الشاعر:

[من الرجز]

سُبِّقَ عبادٌ وصلّى خيلُهُ تلك الخفيقات وحتى الثُّلُثِ

وقال عبد الملك:

[من الرجز]

سُبِّقَ عبّادٌ وصَلَّت لحيتُهْ وكانَ خرّازَ الجواد قريتُهْ

قال: ويقال في عباد كان عبداً خرّازا ادعاه زياد، وكان باع أمه وهي حامل به ثم أقرّ بعدُ أنه ولده، فشكا عباد قول عبد الملك إلى خالد بن يزيد بن معاوية، فقال خالد: والله لأضعنّك منه بحيث يكره فزوجه أخته. فكتب الحجاج إلى عبد الملك: إن مناكح آل أبي سفيان قد ضاعت. فأخبر عبد الملك خالداً بكتاب الحجاج فقال خالد: ياأمير المؤمنين ماأعلم امرأة ضاعت ولا اغتربت إلا عاتكة بنت يزيد بن معاوية فإنها عندك وما عنى الحجاج غيرك. فقال عبد الملك: بل عنى الدعيّ ابن الدعيّ عباداً. قال خالد: ياأمير المؤمنين إذا ادّعى رجلاً لاأزوّجه إنما كنت ملوماً لو زوّجتُ دعيّ غيري.

قالوا: واستعمل عبد الملك نافع بن علقمة بن صفوان بن محرّث على مكة، فخطب ذات يوم وأبان بن عثمان تحت المنبر فشتم طلحة والزبير، فلما نزل قال لأبان: أأرضيتك في المدهنين في أمير المؤمنين؟ قال: لا ولكن سؤتني بحسبي أن يكونوا شركاء في أمره، فبلغ ذلك عبد الملك، فقال: صدق أبان وكتب إلى نافع ينهاه عن مثل ماكان منه.

المدائني عن عبد الحكم الأشجّ عن أبي قُدَّة:

إن عبد الملك خطب زينب بنت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فأبت أن تزوجه، وقالت: والله لايتزوّجني أبو الذبان وتزوجها يحيى بن الحكم بن أبي العاص، فقال عبد الملك: لقد تزوجت أسود أفوه[1]، فقال يحيى: أما إنها إذن أحبّت مني ماكرهت منه. وكان عبد الملك رديء الفم وكان يُدمى فيقع عليه الذباب.

المدائني: إن ليلى الأخيلية[2] استأذنت على عبد الملك، فأمر حاجبه أبا يوسف أن يدخلها، ويقال بل هي بُثَينة صاحبة جميل[3]. فدخلت امرأة طويلة يُعلم أنها قد كانت في جلّةٍ، فقال عبد الملك: ياأبايوسف ألق لها كرسيّاً، ففعل فقال لها عبد الملك: ويحك مارجا توبة، أو قال: جميل منكِ. فقالت: رجا مني الذي رجته منك الأمّة حين ولّتك أمرها.

---

(١) الأفوه: عظيم الفم طويل الأسنان ـ اللسان ـ

(٢) هي ليلى بنت حُذيفة بن شدّاد بن كعب بن معاوية بن عُبادة بن عُقَيل بن كعب بن ربيعة ابن عامر بن صعصعة، ومعاوية هذا هو فارس المرّار والمرّار اسم فرسه وهو الذي أدرك زهير بن جزيمة فطعن فرسه وإنما سُمّوا الأخايل لقول ليلى: [من الكامل]

نحن الأخايل لايزال غُلامنا — حتّى يدبّ على العصا مذكورا

وتوبة بن الحُمَيِّر عشيقها.

(٣) جميل بن قُمَيَّة ويعرف بها وهي أم جده معمر ويعرف باسم جميل بثينة عشيقته وهو جميل بن عبد الله بن معمر بن الحارث بن خيبري بن ضَبِيس بن حِنّ بن ربيعة بن حرام بن ضِنَّة بن عبد بن كبير بن عذرة.

وبثينة عشيقته هي من ولد عمه وتلتقي معه في النسب عند حن بن ربيعة وهي بثينة بنت حَبّا بن ثعلبة بن الهوذا بن عمرو بن الأحبّ بن حنّ بن ربيعة.

وروى الأصمعي عن نافع بن عبد الرحمن بن أبي نُعَيم المقرىء، قال:

قال عبد الملك للحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة وهو القُباع: ماكان الكذّاب يعني ابن الزبير في هذا، قال: ماكان كذّاباً، فقال له يحيى بن الحكم: مَنْ أمّك ياحار؟ قال: من تعلم، فقال عبد الملك: اسكت فإنها أنجب من أمّك. وكانت أم الحارث نصرانيّة فلما ماتت أراد قوم من المسلمين يحشدون له ويجلسون معه، فقال: رحمكم الله انصرفوا فإن لها ولاة غيركم، وكانت سبيّة سباها أبوه من اليمن.

المدائني عن مسلمة بن علقمة المازني:

أن عبد الملك، قال: العجب لخالد بن عبد الله بن أَسِيد، ولّيته البصرة وأمرته أن يجرّد السيف ويمنع المال. فبذل المال وأغمد السيف، فقال عبد الله بن فَضَالة الزهراني[1]: ياأمير المؤمنين لو جرّد السيف لوجد سيوفاً تُجرَّد ولو منع المال لوجد أيدينا تنازعه.

المدائني عن الفضل بن سليمان، أن عبد الله بن خالد بن أَسِيد تزوج امرأة من مُراد فولدت له جاريةً تزوجها عبد الله بن مُطيع العدوي. فدخلت المرادية على عبد الملك، فقال لها: ماتغمّر الشيخ حتى زوّج ابن مطيع، فما رجا من ابن مطيع ومارجوتم منه، فقالت: الذي رجا أبواي من بني حنطب[2] وقالت:

---

(١) عبد الله بن فَضَالة بن عَمِيرة بن عامر بن عمرو بن عَبْدة بن زيد بن ذبيان بن حارثة بن الحارث بن زَهران بن الحَجْرِ بن عمران بن عمرو مُزيقياء وهو جدّ الأزد وكان عبد الله بن فضالة شريفاً بالشام.

(٢) حنطب بن الحارث بن فراس بن غنم بن ثعلبة بن مالك بن كنانة بن خُزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر.

[من الطويل]

[و]مــاليَ لاأبـكـي وتبكي قَرابَتي وقد نكَحَ البيضَ الأوانِسَ حَنطَبُ

بنـى سَوَّد الـلهُ المـغــابـنَ بعــدهُ لها نَســبٌ في دوحَـتـيهــا مُطنَّـبُ

المدائني قال: اصطرع محمد وهشام ابنا عبد الملك بين يديه، فصرع هشام محمداً وقعد على صدره، فقال هشام: أنا ابن الوحيد[1] وكانت أمّه مخزومية. فغاظ ذلك عبد الملك فقال: عودوا فصرع محمد هشاماً فقعد على صدر هشام، فقال: ﴿ سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً ﴾[2] فضحك وضم محمد إليه.

المدائني قال: ضرب يحيى بن سعيد بن العاص يوم قتل عبدُ الملك عَمروَ بن سعيد الوليدَ بن عبد الملك على إليته فحبسه عبد الملك أربعين يوماً، ثم قال له: ياقبيح لو قتلت الـوليد بأي وجـه كنت تلقى ربّك، قال: بالوجه: ﴿ الَّذِي خَلَقَ فَسَـوَّىٰ ﴾[3] وكان يكنى أبا قبيح لقُبح وجهه، فقال عبد الملك: لله درّه أي ابن رقرهلة هو يعني عزمته، وكانت كنيته أبا أيوب.

المـدائني قال: حرم الحجـاج أهـل العـراق أعـطيتهم لتـظاهـرهم مع ابن

---

(١) الوحيد: هو الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عُمر بن مخزوم وأم هشام عائشة بنت هشام بن اسماعيل بن هشام بن الوليد وهو الوحيد بن المغيرة، وكانت حمقاء، أمرها أهلها ألاّ تكلم عبـد الملك حتى تلد، وكانت تثني الوسائد وتركب الوسادة وتزجرها كأنها دابّة وتشتري اللبـان فتمضغه وتصنع منه تماثيل وتضع التماثيل على الوسائد وقد سمّت كل تمثال باسم جارية وتنادي يافلانة يافلانة، فطلقها عبد الملك لحمقها. فهو يفخر بأحد آباء أمه، ولهذا غضب عبد الملك.

(٢) سورة المدثر رقم: ٧٤ الآية رقم: ١٧.

(٣) سورة الأعلى رقم: ٨٧ الآية رقم: ٢.

الأشعث، وكتب إلى عبد الملك يعلمه ذلك، فكتب إليه عبد الملك: إنّما أنك تستوجب طاعتهم بادّراء أهوائهم، فأعطهم إياها فإن في ذلك أعظم الحجّة لنا عليهم، وهبك منعت المقاتلة ليست على الطاعة، فما بال الذراري.

المدائني قال: قال عبد الملك: ظلم الناس عروة بن الورد[1] حين قدّموا عليه حاتم طيء في السخاء لقد كان سخياً حازماً.

حدثني أبو محمد النحوي المعروف بالتوزي عن الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء قال: نازع رجلٌ من قريش رجلاً من تميم، فقال التميميّ: أمّا فرسي فلها فضلها، ولكن منا الأحنف[2] بن قيس أحلم الناس وإياس بن قَتادة[3] أحمل الناس

---

(١) عروة بن الورد هو عروة بن الورد ابن عمرو بن زيد بن عبد الله بن ناشب بن هِدْم بن عوز بن غالب بن قُطَيعة بن عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان ابن سعد بن قيس بن عيلان. شاعر من شعراء الجاهلية وفارس فرسانها وصعلوك من صعاليكها المعدودين الأجواد قال عبد الملك بن مروان: مايسرّني أن أحداً من العرب ولدني ممن لم يلدني إلا عروة بن الورد. الأغاني. ج: ٣ ص: ٧٠ ط ثقافة.

(٢) هو الأحنف واسمه الضّحاك بن قيس بن معاوية بن حُصين بن حفص بن عُبادة بن النزّال بن مرّة بن عبيد بن الحارث وهو مقاعس بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة ابن تميم، وكان مشهوراً بالحلم وسئل عنه فقال: هو الذلّ مع الصبّر وفيه ضرب المثل أبو تمام فقال: [من الكامل]

إقدامَ عمرٍو في سماحةِ حاتِمٍ ... في حلم أحنفَ في ذكاءِ إياسِ

(٣) هو أياس بن قتادة بن أوفى بن مَوْءَلة بن عُتبة بن مُلادس بن عبشمس بن سعد بن زيد مناة بن تميم حامل الديات زمن الأحنف حين قاتلوا الأزد فقتلوا مسعود بن عمرو الأزدي ظنوه عبيد الله بن زياد فودوه عشر ديات وذلك بعد موت يزيد بن معاوية وهروب عبيد الله ابن زياد من البصرة.

وأنا أقول أحمل منه الذي أعطاه الديات، حيث جاء في كتاب النقائض: ج: ١ ص: ١١٤ طبعة دار المثنى. =

حمل دماء الأزد، ومنّا فارس العرب الحريش بن هلال. فبلغ ذلك عبد الملك بن مروان، فقال: قد كان الأحنف حليماً وكان إياس حُولاً وأما الحريش فإن عبّاد بن الحصين أولى بما وصفه به منه.

المدائني: أن عبد الملك حجّ فنزل بالمدينة دار مروان فمرَّ الحجاج بخالد بن يزيد بنِ معاوية وهو قاعدٌ في المسجد وعلى الحجاج سيف مجلجل وهو يخطر، فقال رجل لخالدٍ: من هذا الخطّار؟ قال خالد: بَخٍ بخٍ هذا عمرو بن العاص، فقال الحجـاج: أقلت هذا عمرو بن العاص، والله مايسرّني أن العاص وَلَدني، ولكن آبـائي الأشياخ من ثقيف والعقائل من قريش. وأنا الذي ضربتُ مئة ألف سيف بسيفي هذا، وكلهم يشهد أن أباك كان يشرب الخمر ويضمر الكفر، ثم ولّى وهو يقول: بخ بخ هذا عمرو بن العاص.

= قال إياس فجهدت أن يقوم لي بها أهل الحضر فلم يفعلوا، فخرجت إلى البادية فجعلوا يرموني بالبكر وبالأثنين حتى اجتمع لي من حمالتي شيء صالح، وصرت بالرمل إلى رجل ذُكر لي فلما دُفعت إليه إذ رجل أسود أُفَيْحِج أُعَيسر أُكَيْشف فلما انتسبت له وذكرت حمالتي قال: قد بلغني شأنـك فانـزل، فوالله ماقراني ولا بني عليّ، فلما كان من الغد أقبلت إبله لورودها فإذا الأرض مسودّة وإذا هي لاترد في يوم لكثرتها وقد ملأ غِلمانه حياضه فجعل كلما ورد رسلٌ من إبله جاء يعدو حتى ينظر في وجهي فيقول: أنت حُويمل بني سعد ثم يخرج يرقص فأقـول: أخزى الله هذا، وأخزى من دلّني عليه، حتى إذا رويت وضربت بعطن ـ يعني بركت بأعطانها ـ قال: أين حويمل بني سعد؟ قلتُ قريبٌ منك، قال: هات حبالك، فما ترك لي حبلاً إلا ملأه بقرينين، ثم قال: حبالك فجئنا بمرائر محالبنا وأرشية دلائنا وأروية زواملنا، ثم قال: حبالك، فحللنا عصم قربنا وعُقل إبلنا وخُطُمها فملأها لنا، ثم قال: حبالك، قلت: لا حبال، فقال: قد عرفتُ من دِقّة ساقيك أنه لاخير عندك.

فأيهما أحق بحامل الديات.

ولاية الحجاج بن يوسف:

١١٤ ـ حدثني محمد بن حبيب مولى بني هاشم عن أبي فراس الشبامي[١] عن هشام ابن الكلبي عن عوانة قال:

ولّى عبدُ الملك الحجّاج مكة سنتين ثم ضمّ إليه المدينة، وكان يتولاها قبله طارق، ثم ولاّه العراق، فاستخلف على مكة عبد الرحمن بن نافع بن عبد الحارث بن حُبالة بن عُمير الخزاعي[٢]، وكان نافع قد وَلي مكة لعمر بن الخطاب، وولى المدينةَ عبدَ الله بن قيس بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف، فعزله عبد الملك وقال للحجاج ولّيته وهو من أحمق أهل بيت في قريش، وولّى المدينة يحيى بن الحكم بن أبي العاص، وأقرّ عبد الرحمن بن نافع على مكة ماشاء الله.

وقال أبو الحسن المدائني ثم ضمّها عبد الملك إلى الحجاج فاستخلف عليها عبد الله بن قيس بن مخرمة، ثم ولى الحجاج العراق فاستخلف على مكة والمدينة عبد الله بن قيس بن مخرمة. فبعث عبد الملك على مكة نافع ابن علقمة بن صفوان الكناني خال مروان[٣]، وولى المدينة يحيى بن الحكم، ثم ولى عبد الملك المدينة أبان بن عثمان وولى عبد الملك اليمامة يزيد بن هُبيرة المحاربي ثم أبو كلثم بن عربي، وولّى الموصل يوسف بن الحكم بن أبي العاص. ولما مات عبد العزيز بمصر ولاّها عبدُ الملك ابنه عبد الله بن عبد الملك.

---

(١) الشبامي: أي من شبام واسمه عبد الله بن أسعد بن جشم بن حاشد بن جشم بن خيران ابن نوف بن همذان.

(٢) الخزاعي: أي من خزاعة واسم خزاعة عمرو بن لُحيّ واسمه ربيعة بن حارثة بن عمرو مزيقياء.

(٣) أم مروان ابن الحكم هي: آمنة بنت علقمة بن صفوان بن أمية بن محرّث بن حمل بن شق بن رقبة بن مخرج بن الحارث بن ثعلبة بن مالك بن كنانة نسب قريش للمصعب: ص: ١٥٩.

وقـال المـدائني: بلغ عبد الملك أن بعض عماله يقبل الهدايا فأشخصه إليه فقال له: أقبلتَ هديّةً مذ وليّتك. قال: ياأمير المؤمنين بلادك عامرة وخراجك دائم وافرٌ ورعيّتك على أفضل حال، قال: أجب عمّا سألتك عنه، قال: نعم قد قبلت، فقـال: لئن كنت أنلت مَهديا ماكافأته به من مال المسلمين، أو قلّدته من عملك مالم تكن لتقلّده إياه قبل هديته إنك لخائن، ولئن كنت عوّضت المُهدي إليك من مالك مااتهمك عند من ائتمنك وأطمع فيك أهل عملك، إنك لأحمق، وإنّ من أتى أمراً لم يخلُ فيه من لوم أو خيانة أو حُمق لحقيق أن لا يُصطنع ثم عزله.

المـدائني قال: وفـد إلى عبـد الملك رجـلٌ من أهـل المـدينة كان يألفه أيام تنسّكه، فأذن له وأُدخل إليه أُسراء، فأمر بضرب أعناقهم قبل أن يناظرهم. فقال له الرجل: ياأمير المؤمنين أقَسَّت الخلافة قلبك بعد أن كنتَ رؤوفاً. قال: كلاّ إن الخلافة لم تُقَسِّ قلبي ولكنه أقساه احتمال الضِغن بعد الضِغن.

المـدائني قال: خاض جلساء عبد الملك يوم قُتل عثمان، فقال رجلٌ منهم: ياأمير المؤمنين في أي سنّك كنتَ يوم قُتِل عثمان؟ قال: دون الحلم، قال: فما بلغ من حزنك عليه؟ قال: شغلني الغضبُ له عن الحزن عليه.

وقـال: قدم على عبـد الملك عَقيل بن عُلَّفَة[1] المري فقال له عبد الملك: ماأحسن أموالكم عندكم؟ قال: ماناله أحدنا عن صاحبه تفضلاً، قال: ثم أيها؟ قال: مواريثنا، قال: فما أسرّها لكم؟ قال: مااستفدناه فأكسبنا نُعماً وأفادنا عزّاً، قال: فما مبلغ عِزّكم؟ قال: لم يُطمع فينا ولم تؤمن بوادرنا. قال: فما مبلغ جودكم؟

---

(١) عقيل بن علّفة شاعر مجيد مقلّ كان أعرج جافيا شديد الهوج والعجرفية، دخل على عثمان بن حيّـان وهو والي المدينة. فقال له عثمان: زوجني ابنتك، فقال: أبكرة من إبلي تعني؟ فقـال له عثـمان: ويلك أمجنـون أنت! قال: أي شيء قلت لي؟ قال: قلت لك زوجني ابنتـك فقال: أفعل إن كنتَ عنيتَ بكرة من إبلي، فأمر به فوجئت عنقه، وكانت قريش ترغب مصاهرته وتزوج يزيد بن عبد الملك ابنته الجرباء.

قال: أحبّ أموالنا إلينا مااعتقدنا به منّةً فأبقى لنا ذكراً، قال: فما بلغ من حفاظكم؟ قال: يدافع الرجل منا عن جاره كدفاعه عن نفسه.

قال عبد الملك: مثلك فليصف قومه.

المدائني قال: قدم المساور بن هند بن قيس بن زهير بن جذيمة العبسي على الوليد بن عبد الملك، وأمّه ولّادة بنت جُزيّ بن الحارث بن زهير بن جذيمة، فنزل على رجل من قومه يدعى برْزاً فأقام أشهراً فلم يصنع به الوليد خيراً فارتحل، وقال:

[من الوافر]

ثلاثةُ أشهُرٍ في دارِ بَرزٍ ... أرمِّق نائلاً عندَ الوليدِ

فلا تشكي الجِلالَ بدارِ برزٍ ... ولكنْ قد نجوتِ فلا تَعودي

وإن ضَنّ الوليدُ كما زعمتُم ... فما نالَ الضنانَةَ من بعيدِ

فبلغت أبياته عبد الملك، فبعث في أثره وردّه وقال له: أمِن قبلنا جاءته الضنانة أم من قبلكم[1] قال: لا بل من قبلنا، فقال له عبد الملك: هات حاجتك. فقال: عليّ ثلاثة عشر ألف درهم للتجار، فقضاها عنه، وقال للوليد: أكانت هذه تفقرك لو دفعتها إليه قبل أن نسمع ماسمعت.

معاونو عبد الملك في الحكم.

١١٥ ـ حدثني العمري عن الهيثم بن عدي عن ابن عيّاش قال:

كان على شرط عبد الملك ابن أبي كبشة السكسكي ثم أبو نائل رياح الغسّاني ثم عبد الله بن زيد الحكمي ثم كعب بن حامد العبسي وهو على شرطه. وكان على حرسه الريّان فمات فصيّر مكانه خالد بن أبان، وكان كاتبه على الخراج

---

(١) من قبلنا أو من قبلكم يعني أن الضنانة ورثها من بني أمية أهل أبيه أم من بني عبس أهل أمه.

والجند سرجون الرومي وعلى رسائله أبو الزعيزعة مولاه. وكان على الخاتم قُبَيصة ابن ذؤويب فمات قبيصة سنة ست وثمانين ويكنى أبا إسحاق فصيّر مكانه عمرو بن الحارث مولى بني عامر بن لؤي.

قالوا: وكتب عبد الملك إلى الحجاج بعد الجماجم[1] أن يُعطي الناس عطاءهم، فكتب إليه: إنما تَجِبُ طاعتنا عليهم أن نعطيهم حقوقهم.

المدائني قال: أُتي عبد الملك بأسارى فهمّ بقتلهم، فقال له رجاءُ بن حَيْوةَ[2]: ياأمير المؤمنين اذكر آلاء الله عندك بالعفو، فعفا عنهم وأمر بتخليتهم.

المدائني قال: أراد الحجاج قتل من بقي في ديوان ابن الأشعث من أصحابه حين ظفر بهم، فقال له قتيبة ابن مسلم[3]: أصلح الله الأمير إن الله قد أعطاك ماتُحبّ من الظفر فأعطه مايحبّ من العفو. فبلغ ذلك عبد الملك فقال: لله درّ قتيبة لقد أبلغ في الموعظة ولقد أحسن الحجاج بالقبول.

---

(١) يعني بعد معركة دير الجماجم التي خرج فيها عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث وأهل العراق على الحجاج فقاتلهم الحجاج وهزمهم.

(٢) رجاء بن حَيْوة بن خَنْزل ابن الأحنف بن السمط واسمه تملك بن امرىء القيس بن عمرو ابن معاوية بن الحارث الأكبر بن معاوية بن ثور بن مرتع واسمه عمرو بن معاوية بن كندة واسمه ثور الذي أفضى إليه سليمان بن عبد الملك بكتاب وصاية الخلافة لعمر بن عبد العزيز.

(٣) قُتيبة بن مسلم بن عمرو بن حُصين بن ربيعة بن خالد بن أُسيد الخير بن كعب بن قضاعي ابن هلال بن سلامة بن ثعلبة ابن وائل بن معن بن باهلة واسمه معن وولي قتيبة خراسان من قبل الحجّاج وفتح سمرقند وفيه يقول الشاعر: [من الرجز]

قومٌ قتيبةُ أمُّهم وأبوهمُ ... لولا قتيبةُ أصبحوا في مَجهلِ

المدائني عن مسلمة قال: كتب الحجاج إلى عبد الملك: إنه بلغني أن أمير المؤمنين عطس فشمّته[1] من حضر فأجابهم أن يهديكم الله ويصلح بالكم، فياليتني كنتُ معهم فأفوز فوزاً عظيما.

المدائني عن أبي اليقظان عن جويرية بن أسماء قال:

قام رجل من أهل اليمن إلى عبد الملك وهو يخطب فقال: إن محمد بن يوسف يعني أخا الحجاج وكان على اليمن، يسفك الدمّ الحرام ويأخذ المال الحرام، فقال: اجلس فجلس: ثم قام فقال مثل مقالته، فقال له عبد الملك: لقد هممت أن أقتلكم، قال: ماقمتُ هذا المقام إلا وبطن الأرض أحبُّ إليّ من ظهرها، إني سمعتُ أن تكون نبوّةٌ ثم خلافة ورحمة ثم ملك وجبريّة، فقد ذهبت النبوّة والخلافة وهذه الجبريّة.

المدائني قال: قال عبد الملك بن مروان لأميّة بن عبد الله بن خالد بن أسِيد: مالكَ ولابن حُرثان.

قال: إنه أتى حدّاً فأقمته عليه، قال: أفلا درأت عنه بالشُّبُهة، قال: كان الأمر أظهر من ذاك، قال: أما والله لقد أوجعك ولوددت أني كنتُ تسلّمت منه وماسرّني أني هُجيت وأن لي مثل كل شيء أصبحت أملكه، وكان الذي هجاه ابن حُرثان:

[من الطويل]

أضاعَ أميرُ المؤمنينَ ثغورَنا ... وأطمع فينا المشركينَ ابنُ خالِدِ

وباتَ على حُمرِ الحشايا ممهّداً ... يُعانِقُ أمثالَ المَها في المجاسِدِ

---

(1) شمّت: دعا له بالخير - اللسان -

من صفات عبد الملك.

١١٦ ـ قال أبو اليقظان ثنا جويرية بن أسماء، قال:

كان لعبـد الملك بيت مال لايدخله إلاّ مال طيّب لم يظلم فيه مسلم ولا معاهد وقد عَرفَ وجوهه، فكان يشتري منه الإماء اللاتي يتخذهنّ أمهات أولاد، ويتزوج منه ويقول: لا أستحلُّ أن أنكح إلا طيّباً فإن ذلك [يظهر] في الأولاد.

المدائني قال: كان عبـد الملك يلبس جبّـة ورداء ويجلس للنـاس ينـظر في أمورهم، ويقف على بنيه في الكتّاب فيقول للمعلم: أحسن تأديبهم وتكليمهم.

قال: وقـال عبد الملك لإسماعيل بن مهاجر مؤدّب مسلمة ويزيد وعِنْبسة: علّم بنيّ القـرآن وخـذهم بمكـارم الأخلاق. وحُثّهم على صلة الأرحام وقرّهم في المـلاء واجفهم في السرّ، فإن الأدب أملك بالأحـلام من الحسب، وتهـدّدهم بي وأدّبهم دوني ولا تخرجهم من علم إلى علم حتى يفهمـوه، فإن ازدحام الكلام في السمع مُضلّةٌ للفهم.

المدائني عن بكر بن عبد العزيز، قال: قال عبد الملك لإسماعيل وهو مولى مخزوم مؤدّب بنيه: علّم بني الصدق حتى إن قتل أحدهم قتيلاً اعترف على نفسه وألصق بابن عاتكة يعني يزيد كان مهر أمه من عرق جبيني.

قال: وكان مع سعيد بن عبد الملك مَعْبَد الجُهني[1].

---

(١) هو مَعْبَد بن عبد الله بن عُويمر وقيل بن عبد الله بن عُكَيم الجُهني نزيل البصرة وأول من تكلم بالقدر في زمن الصحابة وكان أحد من شهد الحكمين والأوزاعي قال: أول من نطق في القـدر سوسن بالعـراق كان نصرانيـاً فأسلم ثم تنصرّ فأخـذ عنـه معبـد وأخذ غَيلان القدري عن معبد سير أعلام النبلاء ج: ٤ ص: ١٨٦ وفي المعارف لابن قتيبة كان معبد معلم صبيان. وله أبيات شعر في وصف الحكمين في تهذيب ابن عساكر.

المدائني عن علي بن حماد، قال: قام رجلٌ إلى عبد الملك، فقال: يا أمير المؤمنين قطعت إليك القفـر لأمـرٍ ضاق به الصدر، قال: وماهو؟ قال: ابني بثغرٍ قد أوفد واشتدّ إليه شوقي وطال توقي. قال: فكتب في ردّه فأقبل.

المدائني عن عبد الحكيم الأشجّ عن أبي قِدَة:

أن عبد الملك خطب زينب بنت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فقالت: والله لايتزوجني أبو الذبّان فتزوّجها يحيى بن الحكم فقال عبد الملك: لقد تزوّجت أسود أفوه، فقال يحيى أما إنها أحبّت مني ماكرهت منه.

حدثني عمر بن بكير عن الهيثم بن عديّ عن عبد الله بن عياش وأبي جناب، قالا:

رأى الغضبان بن القعبثرى صبياً يلعب عند عبد الملك بن مروان، فقال له: من هذا الصبيّ ياأمير المؤمنين؟ قال: ابني من عائشة بنت موسى بن طلحة، قال: سيناله السخاء بولادة طلحة له، فقال له: ويحك أوبخيل أنا؟ قال: أي والله الذي لاإله إلاّ هو لاأستثني. فضحك.

وقال ابن عياش: كان عبد الملك أول خليفة بُخِّل.

المدائني عن محمد بن عيسى، قال: سأل رجل عبد الملك فألحّ عليه وألحف في المسـألـة، فقـال له: قد ألحفت في المسـألة قال: إنك والله يا أمير المؤمنين لتَرُدُّ السائل الملحّ بالمنع المصرّح.

أراد عبـد الملك أن يتـزوّج زينب بنت عبـد الرحمن بن الحارث بن هشام، فتـزوجهـا يحيى بن الحكم فغضب واصـطفى كل شيء له، فقـال يحيى: كعكـة وزينب، فلما رأى عمـر بن عبـد الرحمن بن[1] عوف أسف عبد الملك عليها، قال

---

(١) عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن قريش كان يكنى أبـا محمـد وهـو أحد العشرة الذين بُشّروا بالجنّة وأحد الستة الذين ذكروا للشورى، وكان به برش فرخّص له النبي في لبس الحرير لذلك.

له: أدلّك على أجمل منها ابنة اسماعيل بن هشام وهو عندك، فخطبها إليه فتزوّجها.

الكلبي عن عوانة، قال: دخل مسلمة بن زيد بن وهب الفهمي[1] على عبد الملك، فقال له: أيّ الزمان أدركتَ أفضل وأيّ من أدركتَ من الملوك أكمل؟ قال: أمّا الملوك فلم أر منهم أحداً إلا وله ذامٌّ وحامدٌ، وأما الزمان فرأيته يرفع أقواماً ويضع آخرين وكل الناس إذا صدق نفسه ذمّ الزمان لأنّه يُبلي الجديد ويُهرم الصغير وكل مافيه منقطع إلاّ الأمل فإنه أبداً حامدٌ، قال: فأخبرني عن فهم، قال هم كما قال القائل:

[من الخفيف]

درج الـلَّيلُ والـنهـارُ على فهـم ... بنِ عمـرٍو فأصبحـوا كالـرَّميمِ
وخـلـت دارهُمْ فصـارت يَبـابـاً ... بعـد عزٍّ وثـروَةٍ ونـعـيمِ
وكـذاك الـزّمـانُ يذهَبُ بالنـا ... س وتـبـقى ديارُهم كالـرُّسـومِ

قال فمن الذي يقول:

[من الوافر]

رأيتُ النّـاسَ قد خُلقـوا جميعـاً ... يحبّـونُ الـغـنيَّ منَ الـرِّجـالِ
وإن كانَ الـغَـنيُّ قليلَ خيرٍ ... بخـيلاً بالـقـليلِ من النّـوالِ
فما أدري علامَ وفـيمَ هذا ... ومـاذا يرتجـونَ مِنَ الـبِـخَـالِ

قال: أنـا أخـوك، قال الكلبي فهم بن عمرو بن قيس بن عيلان، وكان الحارث أخو فهمٍ عدا عليه فقتله فسمّي عدوان.

---

(1) الفهمي هو فهم بن تيم اللات بن أسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعه وعلى ابنه مالك تنوخت تنوخ فسموا التنوخيين. ومنهم أيضاً فهم بن عمرو أخو عدوانَ بن عمرو بن قيس بن عيلان.

المدائني عن سفيان الثوري قال: قدم الحجاج على عبد الملك بن مروان وافداً ومعه معاوية بن قُرّة أبو إياس[1] فسأله عبد الملك عن الحجاج فقال: إن صدقناكم قتلتمونا وإن كذبناكم خشينا الله، فنظر إليه الحجاج، فقال له عبد الملك: لاتعرض له ياحجاج فغرّبْهُ إلى السند.

المدائني عن سحيم بن حفص، قال: كان الحجاج يقول: سألت قبل أن أقدم العراق عن وجوه رجاله فذكروا زياد بن عمرو العتكي فما كان أحدٌ أثقلَ عليّ منه، فقدمت على عبد الملك وهو معي في ناس من الأشراف فأثنوا عليّ فما كان أحدٌ منهم أحسن صفة منه ولاقام أحد منهم فعل مقامه، قال: ياأمير المؤمنين إن الحجاج سيفك الذي لاينبو وسهمك الذي لايطيش وخادمك الذي لاتأخذه في أمرك لومة لائم، فلقد رأيتني وماأحدٌ من الخلق بعد ذلك اليوم يعدله عندي.

هشام بن عمار والمدائني عن أشياخهم، قالوا: كان عبد الملك يشتو بالصِّنّبرة من الأردن فإذا انسلخ الشتاء نزل الجابية وأمر لأصحابه بإنزالٍ وبقرٍ وأغنام على قدر منازلهم فإذا مضت أيام آذار دخل دمشق فنزل ديرمُرّان حتى إذا جاءت حمارّة القيظ أتى بعلبكّ فأقام بها حتى تهيج رياح الشتاء فيرجع إلى دمشق فإذا اشتدّ البرد خرج إلى الصِّنّبرة. قال المدائني: وبها مات يوم مات.

المدائني قال: تغدّى شبّة بن عقال يوماً عند عبد الملك فأتى بخزيرة[2] فضحك شبّةُ، فغضب عبد الملك وقال: ماأضحكك، قال: تعيير جرير

---

(١) إياس بن معاوية القاضي المشهور بشدة الذكاء حتى ضرب به المثل أبو تمام وقد ذكرت الشعر سابقاً وهو: [من الكامل]

إقدام عمرٍو في سماحة حاتمٍ ... في حلم أحنف في ذكاء إياس

(٢) الخزيرة: اللحم الغابُّ يؤخذ فيقطع صغاراً في القدر ثم يطبخ بالماء الكثير والملح، فإذا أميت طبخاً ذُرّ عليه الدقيق فعصد به ثم أدم بأي إدامٍ شيء. ولا تكون الخزيرة إلا وفيها لحم وإذا لم يكن فيها لحم فهي عصيدة.

مجاشعاً بالخزيرة وهي على مائدة أمير المؤمنين وإنما ضحك من السخينة[1] التي تعيّر بها قريش.

المدائني قال: دعا عبد الملك عبيد الله بن زياد بن ظبيان وغيره إلى الغداء فأكل معه فجعل يتناول مما بين يديه، فقال له عبد الملك، ويقال بعض من كان قائماً على رأسه: كُلْ مابين يديك، فقال: أوَ في مائدة أمير المؤمنين حِمى ! فقال عبد الملك: لا فكل من أيّها شئت.

حدثني بعض الشاميين، قال: خطب عبد الملك بن مروان وأعرابيّ يسمع خطبته، فقال له رجل من قريش: كيف ماتسمع، قال: لو كان كلام يؤتدم به لكان هذا.

وقال الهيثم بن عديّ: تكلم عبد الملك بن عُمَير عند عبد الملك وأعرابي حاضر فقال: لو أن كلاماً يؤتدم به لكان هذا الكلام.

المدائني وغيره قالوا: كتب عبيد الله بن زياد بن ظَبيان إلى عبد الملك: إنه قد كان من بلائي ماقد رأيت ولم يكن من جزائك لي إلا ماعلمت. فأنا كما قال الجعدي[2]:

[من الطويل]

كفينا بني كعب فلم نَرَ عندهم لما كانَ إلّا ماجَزى اللهُ جازيا

قالوا: وبلغ عبد الملك قول عبيد الله بن زياد بن ظبيان حين قال لما خرّ عبد الملك ساجداً حين أتاه برأس مصعب: هممت بضرب رأسه فأكون قد قتلت ملكي

---

1) السخينة: التي ارتفعت عن الحساء وثُقلت عن أن تحسى وهي طعام يتخذ من الدقيق دون العصيدة في الرقه وفوق الحساء. وسخينة لقب قريش لأنها كانت تعاب بأكل السخينة.

(2) الجعدي: يُقصد نابغة بني جعدة الشاعر.

العـرب، فحجبه ثم أذن له فقال: ياأمير المؤمنين إنا والله مانكره سخط من رضاه الجور. فإن يك لك علينا طاعة فيها أحببت فإن لنا عليك العدل فيها وليت فلست مستكملاً طاعتنا إلا بعدلك فآثر طاعة الله فينا تسلم لك نصائحنا وتخلص نيّاتنا، ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله بصير بعملك وإليه مصيرك. فغضب عبد الملك غضباً شديداً، وقـال: لولا أن خير الأمـور مغبّـةً وأكرمها عاقبةً كريـم العفو بعد القدرة لأعلمت ذا الجلف أي موردٍ تورده الجهالة والاستطالة.

فقـال الـوليد بن عبد الملك: ياأمير المؤمنين ولم تستبقي مثله ولم يريك هيبة الخلافة وجلالة السلطان وواجب الطاعة، وإن كان بذي غَناءٍ ودالّةٍ ولم يوقّرك توقير المسلمين إياك.

فقال عبد الملك: يابنيّ ماكل شيء تعلمه، وأنشد عبد الملك:

[من الطويل]

ترى النـاسَ أخـلاطاً جميعاً وإنّهم ... على ذاك شتّى والهـوى مُتَفـرّقُ

ترى المـرء إن جالستَـه ذا صِنـاعةٍ ... وسـائِـرُ مافيه سوى ذاكَ أخـرَقُ

وتلقى أصيلَ اللُّبِّ ليس لسـانُـهُ ... بمخـرجِ مافي قلبـهِ حين ينطُقُ

أبو الحسن المدائني عن عبد الله بن سلم الفهري:

أن عبد الله[1] بن يزيد بن أسد بن كرز القسري من بجيلة دخل على عبد الملك ومعـه ابنه خالد بن عبد الله، فقال له عبد الملك: أهذا ابنك. قال: نعم قال: ماأشبهَهُ بكَ، قال: ذاك أحبّ إليّ وأبرأ لساحة أمّه.

المدائني قال: قدم الحارث بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم الشاعر على عبد الملك فلم يصله، ويقال إنه أقام ببابه أشهراً

---

(١) عبد الله بن يزيد بن أسد بن كُرز بن عامر بن عبد الله بن عبد شمس بن غمغمة بن جرير بن شق بن صعب بن يشكر ابن رُهم بن أفرك بن نذير بن قسر واسمه مالك بن عبقر وهو بجيلة بن أنمار بن أراش بن عمرو بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان.

لايأذن له فانصرف وهو يقول:

[من الطويل]

تبعتُــكَ إذ عيني عليهــا غِشَــاوةٌ ... فلما انجلت قَطَّعتُ نَفسي أَلــومُهــا

فمابيَ إن أقــصــيتــني من مراعــةٍ ... ولا افتقـرت نفسي إلى من يَسومُها

عطفتُ عليكَ النَّفسَ حتّى كأنــما ... بكـفَّـيكَ بُؤسي أو لديكَ نعيمُهــا

فبلغه ذلك فأرسل إليه فردّه، فقال: ياحارث أترى على نفسك غضاضةً في وقـوفـك ببــابي، فقال: لا والله ولكن طالت غيبتي وانكسرت ضيعتي وقد وجدت فضــلاً من قول فقلت وعـلي دينٌ، قال: كم دينـك؟ قال: ثلاثــون ألفاً. فقال: أقضاء دينك أحبّ إليك أم ولاية مكة، قال: ولاية مكة فولاه إياها.

فبعثت عائشــة بنت طلحــة بن عبيد الله إلى الحــارث وقد أقيمت ذات يوم الصــلاة وهي تطوف: إني لم أقض طوافي فتـوقف بالنـاس حتى قضت طوافها ثم صلى. فبلغ ذلـك عبـد الملك فعـزلـه، وقال: إني لم أستعملك لتنتظر بالناس في صلاتهم طواف عائشة.

قالوا: وكان الحارث يحبّ عائشة وكانت تحب الحارث فخطبها فلم تزوجه، فقيل لها: أحبّك رجل وأحببته عشرين سنة ثم خطبك فلم تتزوجيه، قالت: كان في عيب مايسرّني أن لي طلاع الأرض وأنه اطلع عليه فكان يظن أنه سوء الخُلق[1].

حدثني الحرمازي الحسن بن علي عن العتبي عن أبيه عن أبي المقدام عن رجل من أهل مكة قال:

قدمت المدينة فإذا غلمان بيض عليهم ثياب بيض يدعون الناس إلى الغداء،

---

(١) كانت عائشــة بنت طلحة لاتستر وجهها من أحد فعاتبها مصعب في ذلك فقالت: إن الله تبارك وتعالى وسمني بميسـم جمال أحببت أن يراه الناس، ويعرفوا فضله عليهم فما كنت لأسرّه ووالله مافيّ وصمة يقدر أن يذكرني بها أحدٌ، وطالت مراجعة مصعب إياها في =

وكـانت بي إليه حاجـة فدخلت فإذا عائشـة بنت طلحـة على السرير والنـاس يطعـمـون، فلما أكلت قالت لي: لعلّك غريب؟ قلت: نعم، قالت: فمن أين بك؟ قلت: من مكة، قالت: فكيف تركت الأعرابي.

فلما خرجت قلت: عمّن سألتني؟ فقالوا: عن الحارث بن خالد. فلما قدمت مكة أخبرته فأنشأ يقول:

[من البسيط]

مَنْ كانَ يسـأَلُ عنّـا أينَ منزِلُنا   فالأُقحـوانَـةُ منّـا منـزلٌ قَمِنُ

إذ نجعلُ العيشَ صفـواً لايكدّرهُ   طولُ الحياةِ ولاينبـو بَنـا الـزَّمنُ

قال الحرمازي: وبناحية من الشام موضع يعرف بالأقحوانة(١) أيضاً.

المدائني عن عبد الله بن مُسلم وغيره قالوا:

قَدم عمر بن عليّ بن أبي طالب على عبد الملك فسأله أن يصيّر إليه صدقة علي بن أبي طالب، فتمثل عبد الملك قول ابن أبي الحُقَيق اليهودي:

= ذلك، وكانت شرسة الخُلق وكذلك نساء تيم هنّ أشرس خلق الله واحظى عند أزواجهن وكانت عند الحسين بن علي عليهما السلام أم إسحاق بنت طلحة فكان يقول: والله لربما حملت ووضعت وهي مصارمة لي لاتكلمني أبداً وقعدت في غرفة وهيّأت فيها مايصلحها فجهد مصعب أن تكلمه فأبت ـ الدر المنثور في طبقات ربات الخدور: ص: ٢٨٣.

(١) الأُقحوانة: بالضم ثم السكون موضع قرب مكة والاقحوانة موضع بالأردن من أرض الشام على شاطىء بحيرة طبرية وذكر بيتين وهما:

وإن قصري هذا مابه وطني   لكن بمكة أمسى الأهل والوطن

من كان ذا شجنٍ بالشام منزله   فبالأباطح أمسى الهمّ والحزن

ـ معجم البلدان ـ

[من السريع]

إنـا إذا مالـت دواعـي الهـوى — وأنـصـتَ الـسـامـعُ للقـائـلِ

واعـتـلَجَ الـقـومُ بآرائـهـم — نقضي بحـكـم عادل فاصـلِ

لانـجـعـلُ البـاطـلَ حقّـاً ولا — نلطُّ دون الحـقّ بالـبـاطِـلِ

نخـافُ أن تُسـفَـهَ أحـلامُـنـا — فنخمـلُ الـدّهـرَ معَ الخـامـلِ

لا لعمري لا أخرجها من ولد الحسن إليك، ووصله عبد الملك فرجع من عنده.

المدائني قال: قال عبد الملك للهيثم بن الأسود: مالكَ؟ قال: قُوامٌ من عيش وغِنىً عن الناس فقيل لو أخبرته. فقال: لو أعلمُه مالي لحسدني إن كان كثيراً أو حقّرني إن كان قليلاً، فإنه يقال: لاتخبروا قريشاً بمالكم فإن كان كثيراً حسدوكم وإن كان قليلاً حقّروكم. وقوم يقولون إن الهيثم قال هذا لمعاوية، والثبت أنه قاله لعبد الملك.

المدائني عن أبي محمد المقرىء، قال: قال عبد الملك لرجل من ثقيف: ماالمروءة فيكم؟ قال: إصلاح المال والمعاش والفقه في الدين وسخاء النفس وصِلة الرحم، فقال: كذلك هي فينا.

قالوا: وتزوج بكر بن حصين بن عامر بن لؤي رُقيّة بنت سعيد بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، فقدمت إلى عبد الملك بن مروان وهو بالمدينة حين حجّ فكلّمت في أمر زوجها، قال: من زوجك؟ قالت: بكر بن الحُصين قال:

انسبي لي أباً آخر فإن عهدي بالقوم قديم، قالت: ابن أوس. قال: ويحك أوَتنكح المرأة عبدها! فقالت ياأمير المؤمنين:

[من الرجز]

إنّ الـقـبـورَ تُنـكـحُ الأيامى — والـنـسـوةَ الأرامَـل الـيَتَـامى

المرءُ لاتبقى له السّلامى

المدائني قال: قال عبد الملك: رأيتُ الفجور في بني الروميّات، ورأيت بني الفارسيّات أذلق لساناً وأمنع جانباً، ورأيت بني الهنديات أصبر لصدور العوالي.

ودخل جريرٌ على عبد الملك وعنده عديّ بن الرقاع العاملي[1]، ولم يكن جرير رآه قبلها، فقال له عبد الملك: ياجرير أتعرف هذا؟ قال: لا ياأمير المؤمنين، فمن هو؟ قال: رجل من عاملة، قال: ياأمير المؤمنين هذا من الذين قال الله ﴿ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ * تَصْلَى نَاراً حَامِيَةً ﴾[2] قال: لاويلك ياملعون، فأنشأ جرير يقول:

[من الطويل]

ويقصرُ باعُ العــامــليُّ عن العــلا ولــكــنَّ أيرَ الــعــامِــليّ طَويلُ

فقال ابن الرقاع:

[من الطويل]

أأمُّــكَ ياذا أخــبرتــك بطولــهِ أم أنتَ[3] مرءٌ لم تدرِ كيفَ تَقــولُ

فقال بل لم أدر كيف أقول.

---

(١) أي من قبيلة عامله وهو عدي بن زيد بن مالك بن عدي بن الرِّقاع بن عصر بن عَدّة بن شَعل بن معاوية بن عاملة واسمه الحارث بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب. وذكر صاحب الأغاني ج: ٥ ص: ٣٠٠ ط ثقافة القصة كانت مع الوليد بن عبد الملك وزاد فيها التالي: فوثب العاملي إلى رجل الوليد فقبلها وقال: أجرني منه. فقال الوليد لجرير: لئن شتمته لأسرجنّك ولألجمنّك فيعيرك الشعراء بذلك فكنّى جرير عن اسمه فقال:

إني إذا الشــاعــر المغــرور حرّبني جارٌ لقــبرٍ على مَرّان مرمــوس

(٢) سورة الغاشية رقم: ٨٨ الآية رقم: ٣، ٤

(٣) تلفظ همزة أنت وصلاً ليستقيم الوزن

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن ابن جعدبة عن صالح بن كيسان:

أن عبد الملك كتب إلى الحجاج: جنّبني دماء آل أبي طالب فإن بني حرب لما قتلوا حسيناً نُزع الملك منهم.

المدائني عن يزيد بن عياض. قال: أراد عبد الله بن جعفر أن يفد إلى عبد الملك وعلى المدينة أبان بن عثمان ابن عفان، فأرسل إليه بُديحاً(1) يستأذنه، فقال أبان: قل له فليبعث إليّ جاريته فلانة فرجع فأخبره بقوله: فقال ابن جعفر: لا ولا كرامة، وقال له: ارجع إلى بُقيع وكان أبان أبرص أبقع فقل له: أما الجارية فلا، قال: فليبعث إليّ بغلامه الزامر. فبعث به إليه وقال: هو شبيهُهُ، ثم أذن له فوفد على عبد الملك.

---

(1) بُدَيح كان يلقب بالمليح وهو مولى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وكان له صنعة يسيرة، حُكي أن عبد الله بن جعفر دخل على عبد الملك بن مروان وهو يتأوه. فقال: ياأمير المؤمنين لو أدخلت عليك من يؤنسك بأحاديث العرب وفنون الأسمار قال: لستُ بصاحب هزل، والجِدّ مع علّتي أحجى بي، قال: وماعلّتك؟ قال: هاج عرق النسا في ساقي هذه فبلغ مني، فقال: إن بديحاً مولاي لأرقى خلق الله له، فوجّه إليه عبد الملك، فأُتي به سريعاً، فقال: كيف رقيتك لعرق النسا؟ قال: أرقى الخلق له. فمدّ رجله فتفل عليها ورقاها مراراً، فقال عبد الملك: الله أكبر وجدتُ خفّاً، ياغلام، دع فلانه تكتب الرُّقْيَة، فإنـا لانأمن هيجها بالليل فلا نذعر بديحاً، فلما جاءت الجارية قال بديح: ياأمير المؤمنين امرأته طالق إن كتبتها حتى تعجّل جزائي، فأمر له بأربعة آلاف درهم، فلما صارت إليه قال: امرأته طالق إن كتبتها أو يصير المال في منزلي، فحمل إلى منزله فلما أحرزه قال: امرأته طالق إن كنت قرأت على ذلك إلا أبيات نصيب التي أغني بها: [من الطويل]

ألا إن ليلى العامرية أصبحت ... على النأي مني ذنبَ غيري تنقمُ

فقال له: ويلك ماتقول؟ قال: امرأته طالق إن كان رقى إلا بها قال. قال: فاكتبها عليّ، قال: وكيف وقد سارت بها البرد إلى أخيك بمصر، فطفق عبد الملك ضاحكاً يفحص برجليه.

المدائني عن محمد بن إبراهيم قال: دخل عبد الله بن جعفر على عبد الملك. فحثّه على صِلة ابن أبي عتيق وهو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكرٍ الصديق وذكر له خلّته، فدخل ابن أبي عتيق على عبد الملك، فقال: يابن أبي عتيق أخبرني عنك عبد الله بن جعفر بضيق من الحال، قال: كذب ياأمير المؤمنين مالي من حاجة وماأنا في ضيقة، فدخل ابن جعفر على عبد الملك فأخبره بقول ابن أبي عتيق فلقيه ابن أبي عتيق. فقال له ابن جعفر: ويحك تركت حظّك من أمير المؤمنين وقد عطفته عليك وحثثته على برّك فقال: إني دخلتُ عليه وعنده جارية له مارأيتُ شيئاً قطّ أحسن منها، فأخبرني بقولك وهي تسمع وتنظر إليّ، أفكنت ترى لي يابن أمّ أن أقرّ بالفقر بين يديها.

المدائني وغيره قالوا: نذر عبد الملك دم ابن قيس الرُّقيّات لقوله:

[من الخفيف]

إنّما مُصعبٌ شهابٌ من الله تجلّت عن وجهِهِ الظَّلماءُ

قال ابن قيس: فسألتُ عمّن أستعين به عليه، فقيل رَوح بن زنباع، فأتيت روحاً فقال: ماذاك عندي فأتيت عبد الله بن جعفر فاستجرت به فقال: أقم فإن لي في كل ليلة رجلاً أدخله معي إلى أمير المؤمنين فكن ذلك الرجل فلما كان الليل أدخلني وأمرني أن أجيد الأكل وأجذب مابين يديه ويدي عبد الملك، فنظر إليّ عبد الملك فقال: من هذا يابن جعفر؟ قال ابن جعفر: هذا القائل: [من المنسرح]

مانقموا من بني أمية إلا أنهم يحلمون إن غضبوا
وأنهم ساداتُ الملوك فما تصلح إلا عليهم العرب

فقال عبد الملك: ابن قيس؟ قال: نعم، قال: أما دمه فقد حقنه الله. وأما العطاء فلا عطاء له عندي، فقال ابن جعفر لابن قيس: اللهم غفراً إذا خرج العطاء فلك عندي عطاؤك.

وقال كُثيِّر يمدح عبد الملك:

[من الطويل]

يُحيُّونَ بَسَّامينَ طوراً وتارةً يحيّونَ عبّاسينَ شُوشَ الحواجبِ[1]

من النفَرِ البيضِ الذين إذا انتجوا أقَرَّ لنجواهُم لؤيُّ بنُ غالِبِ

كريمٌ يؤول الراغبون ببابِهِ إلى واسِعِ المعروف جزلُ المواهِبِ

إمامُ هُدىً قد سدَّد اللهِ رأيَهُ وقد أحكمتهُ ماضِياتُ المصائبِ

وقال فيه بعضهم:

[من الطويل]

قضى نحبَهُ مروان ثمَّ وليتَنا فكن يابنَ مروانٍ تجودُ وتدفَعُ

وقال كعب بن جعيل:

[من الوافر]

أميرُ المؤمنينَ هُدىً ونورٌ كما جلَّى دُجى الظُّلمِ النَّهارُ

قَريعُ بَني أُميَّةَ من قُريشٍ هُو اللَّسنُ المهذَّبُ والنُّضارُ

وقال أبو قطيفة عمرو بن الوليد بن عقبة بن أبي معيطٍ:

[من الطويل]

[و][2]نُبِّئتُ أنَّ ابنَ القلمَّسِ عابني ومن ذا من الناس الصحاح أيا سلمُ

ليُبصرْ سبيلَ الرُّشد سيدُ قومِهِ وقد يُبصرُ الرُّشدَ الرئيسُ المُعمَّمُ

فمن أنتُمُ هاخبرُونا من أنتمُ؟ وقد جُعلت أشياء تبدو وتُكتمُ

فقال عبد الملك ماكنتُ أرى أن مثلنا يقال له من أنتم، أما والله لولا ماتعلم

---

(١) الشوشاة: هي الناقة الخفيفة والمرأة تعاب بذلك فيقال امرأة شوشاة ـ اللسان ـ

(٢) زيدت الواو ليصح الوزن.

لقلتَ قولاً يلحقكم بأصلكم الجديب[1] ولضربتك حتى تموت.

وقال أعشى بني شيبان:

[من مجزوء الكامل]

عَرفت أميَّةُ كلُّها ... لبني أبي العاصِ المَهارةْ
لأبرِّها وأحقِّها ... عند المشورة بالإشارة
المانعينَ لما وَلُوا ... والنافعين ذوي الضَّرارَة
وهُمُ أحقُّهمُ بها ... عند الحلاوَةِ والمرارة

قال المدائني: قال قُبيصةَ بن ذؤيب، ووشى به قوم إلى عبد الملك فجفاه، كانت له منزلة عنده:

[من الطويل]

[ألا][2]إن تسيري في المسيرِ فمنزلي ... لَبالجانِبِ الأقصى إذا لم أُقرَّبِ
وما أنا إن قُرِّبتُ يوماً ببائعٍ ... خَلاقي وديني لابتغاءِ التَّحبُّبِ
ولكن أرى حقَّ الإمامِ ونُصحهُ ... وطاعتهُ حقاً كما هُو للأبِ

وهذا باطل وقد نسبنا الشعر إلى صاحبه الذي قاله، وذكرنا حديثه فيما مضى من أحاديث عبد الملك.

---

(١) الجَدْب: المحل عكس الخصب، قال: الحقكم بأصلكم لأنه كما جاء في كتاب مروج الذهب للمسعودي: ج: ٣ ص: ٧٩ ط الجامعة اللبنانية بيروت التالي: عندما أقيم الحد على أبيه الوليد لشرب الخمر شتم علي بن أبي طالب فقال له عَقيل بن أبي طالب: إنك لتتكلّم يابن أبي مُعَيْط كأنك لاتدري من أنت وأنت علج من أهل صفورية وكان ذكر أن أباه يهودي منها فادعاه أبو عمرو ابن أمية بن عبد شمس.

(٢) يجب إضافة ألا ليصح الوزن.

المدائني قال: أمر عبد الملك مسلم بن ربيعة أبا إسحاق[1] أن يقتل رجلاً من قيس فأبى فحبسه فقال:

[من الوافر]

ألا أبــلغ سراةَ الحــيِّ قيســاً ... شآميـهــم ومَـن هُوَ بالـعــراقِ

بأنيّ بالـرّهْــاءِ بها مُقـيمٌ ... قصـيرَ الخـيرِ مشـدودَ الـوثـاقِ

ومــاكـــانـت عقــوبتُهم بسجني ... لمعصِيَةٍ ومـاخــافـوا شِقــاقـي

ولــكــنّي كرهــتُ دمــاءَ قَومــي ... ومــالي بعــدَ قَومــي من تَلاقِ

ويقال إن محمد بن مروانَ أمره بذلك.

المـدائني عن علي بن حماد، قال: قال الأخطل لعبـد الملك بن مروان: ياأمير المؤمنين يزعم ابن المراغة[2] أنه يبلغ مدحتك في ثلاثة أيام، وقد أتيت بمدحك في قصيدة حولاً فما بلغت كل الذي أردت، فقال عبد الملك: فأنشدني قصيدتك، فأنشده:

[من البسيط]

خَفَّ القطين فراحوا عنك أو بكروا ... وأزعجتهم نوىً في صَرفهــا غِيَرُ[3]

فجعـل عبـد الملك يتطاول، ثم قال: ياأخطل أتريد أن أكتب إلى الآفاق أنـك أشعر العرب، قال: أنا أكتفي بقولك ياأمير المؤمنين، وأمر له بقصعة مملوءة دنانير ودراهم، وألقى عليه خلعةً وخرج به مولى لعبد الملك وهو يقول: هذا شاعر أمير المؤمنين.

---

(١) هو مسلم بن ربيعة بن عاصم بن جزء بن عامر بن عوف بن عُقَيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة من قيس وكان شريفاً بالشام وابنه إسحاق.

(٢) ابن المراغة: لقب جرير بن عطية.

(٣) في الأغاني بدلاً من عنك، منك.

المدائني عن عبد الله بن فائد قال: قال سعيد بن المسيِّب لعبد الملك: بلغني ياأمير المؤمنين أنك شربت الطلاء، قال: والدماء يابا محمد فسيغفر الله.

المدائني عن عبد الله بن مسلم الفهري، قال: دخل الأخطل على عبد الملك بن مروان وهو سكران، فقال له: يابا مالك ماهذا؟ قال: إن أبا نسطوس وضع في جمجمتي ثلاثاً، وأنشد:

[من الوافر]

إذا شَرِبَ الفتى منها ثلاثاً بغير الماء حاوَل أن يطولا

مشى قُرشيَّةً لاعيبَ فيها وأرخى من مآزره ذيولا[1]

المدائني قال: دخل على عبد الملك رجلٌ فتكلم فأحسن حتى سكت، فأراد أن يسبر عقله ليعرف ماعنده، فإذا هو مضعوف، فقال: زيادة منطق على عقل خُدعة وزيادة عقل على منطق هُجنة، وأحسن مازَين بعلمه بعضا، وبعضهم يروي هذا عن سليمان بن عبد الملك، وهو عن عبد الملك أثبت.

وقال: ذكر تشقيق الخُطَب والإسهاب في القول عند عبد الملك أو سليمان، فقال: من أكثر فأحسن قدر على أن يقلّ فيحسن، وليس كل من قصّر فأحسن بقادر على أن يطيل فيحسن.

حدثني أبو مسعود الكوفي عن عوانة قال:

كتب عبد الملك إلى الحجاج: أما بعد فإنه بلغ أمير المؤمنين أنك تنفق في اليوم ماينفق أمير المؤمنين في الجمعة وتنفق في الجمعة ماينفق أمير المؤمنين في الشهر

---

(١) لم يذكرها الديوان طبعة دار الكتب العلمية، بيروت وذكرها الأغاني ج: ٨ ص: ٢٨٨ طبعة دار الثقافة. بيروت: إذا اصطبح الفتى منها ثلاثاً.

وتنفق في الشهر ماينفق أمير المؤمنين في السنة[1] ، وهذا لاقوام معه ياحجاج.

وقال:

[من الطويل]

عَليكَ بتقـوى اللّهِ في كلِّ حالـةٍ وكـن لوعيدِ الـلهِ ربّـكَ تَخشَـعُ
ووفّـر خَراج المـسلمـينَ وفيئهم وكـن لَهُمْ حِصنـاً تَذودُ وتمـنَـعُ

فكتب إليه الحجاج:

[من الطويل]

أتـتـني بكُـتبٍ للخليفَـةِ ضُمِّنت قَراطيسَ تُطوى كي تُصان وتطبعُ
ومـنهـا كتـابٌ فيه لينٌ وشِـدّةٌ وذِكـرٌ وللذِكّرى لذي اللبّ تنفَعُ
وكـانت بلاداً ظلُّهـا ذاتُ فتنَـةٍ بها كلُّ نيرانِ الحـوادث تلمـعُ
فمازلتُ فيهـا أعملُ الحزَم جاهداً فأُعـطي على خيرِ العـطاءِ وأمنـعُ
فلا تَتَّـهـمـني إنّـني لكَ ناصـحٌ ولستُ على النُّصـح المُبينِ أُضيّعُ

فردّ عليه عبد الملك كتابه وكتب إليه في حاشيته: صدقت ياابا محمد وبررت.

ماحدث لمن كان مع مصعب عند عبد الملك.

١١٧ ـ ولما قُتل مصعب واستقام الأمر لعبد الملك، دخل عليه عُمر بن عبيد الله بن مَعمر، وسُويد بن منجوف[2] ونعيم بن مسعود التميمي وقيس بن الهيثم السُّلمي، بعد أن حبسهم على بابه حيناً.

---

(١) جعل إنفاق الحجاج في الأول سبعة أضعاف إنفاق أمير المؤمنين ثم أنقصه إلى أربعة أضعاف ثم زاده إلى اثني عشر ضعفاً.

(٢) عمر بن عبيد الله بن معمر التيميّ تيم قريش. سويد بن منجوف السدوسي ثم الشيباني.

فقال عبد الملك: إنكم سعيتم مع الشيطان فكنتم حزبه، فلما نكص نكصتم ولم يبق أحدٌ ممّن شبّب نار الفتنة، وسعى في الفرقة وتشتيت الأُلفة، إلا وقد أحدث من جرمه توبة وظهرت منه إنابة عرفناه بها فكففنا عنه العقوبة. أفما ترضون أن تكونوا أسوة من أبصر بعد العمى وعرف بعد الجهل واستحقّ بالإنابة العفو.

فتكلم سُويدُ بن منجوف، فقال: إنا كنا وزراء فأصبحنا أُسراء وكنا رؤساء فأصبحنا أذناباً وكنا كواهل فأصبحنا أعجازاً. فخذ فينا بالتي هي أحسن ذكراً وأبقى جمالاً. ثم قال عمر بن عبيد الله: والله مانعتذر إليك من معصية ولا نتوسل إليك بطاعة وقد ولينا لعدوّك الأعمال وجبينا الأموال وقتلنا الرجال، ولأن نكون كنا في ضلال فأصبحنا على هدىً خير من أن نكون على هدى ثم نصبح على ضلال، فإن تصطنعنا نكن لك كما كنا لمن قبلك. ثم تكلم نعيم بن مسعود، فقال: ياأمير المؤمنين إنا كنا أمس زبيريين فقد أصبحنا مروانيين، فأقلل العتاب وأكرم الغلبة وأقِل بعفوك العثرة. ثم تكلم قيس بن الهيثم، فقال: إنا لسنا بالحلو المأكول ولا بالمُرّ الملفوظ ولا عفوك بمنكر ولا عقابك بحتم، قد والله ياأمير المؤمنين قارعناك عن الدين والدنيا جميعاً فليسعنا مالم يضق عن غيرنا من عفوك، فمثلنا أسديت إليه العارفة فشكرها وأظهرت عنده الصنيعة فعرفها.

قال: فرضي عنهم وأسنى جوائزهم.

عبد الملك يدافع عن مصعب بن الزبير.

١١٨ ـ المدائني قال: أُنشد عبد الله بن الزبير قولَ أنس بن زُميم في مصعب حين تزوج عائشة بنت طلحة:

[من الكامل]

بِضــعُ الفَتــاةِ بألفِ ألفٍ كامـلٍ وتـبيتُ ساداتُ الجيوشِ جِياعــا
لو أنـني عُمــراً أقــولُ مقــالـتي وأبثُّهُ. ماقــد رأى لارتــاعــا

فقال عبد الله: صدق إن مصعباً قدّم أيره وأخر خيره، فبلغ عبد الملك قوله، فقال: لكنه أخّر أيره وخيره.

المدائني قال: قال عبد الملك: أي الشعراء أشجع شعراً؟ قالوا: عمرو بن معدي كرب. قال: وكيف وهو يقول:

[من الطويل]

وجــاشَــتْ إليَّ الـنَّـفس أوَّلَ مرّةٍ فردَّت على مكـروهها فاستقَـرتِ

فقيل ابن الإطنابة، فقال: وكيف وهو القائل:

[من الوافر]

أقــولُ لها وقـد جشـأت وجـاشت مكــانَــكِ تُحمــدي أو تستريحي

فقالوا: عنترة فقال: وكيف وهو يقول:

إذ يتّقــون بي الأسنّــةَ لم أَخِم[1] عنهــا ولـكـنّي تضــايقَ مُقــدمي

قيل فعامر بن الطفيل، قال: وكيف وقد قال:

---

(١) أخم: أجبن.

[من الطويل]

أقـولُ لنَـفسٍ لايُجـادُ بمـثلهـا أقِـلّي مِراحـاً إنّـني غيرُ مُدبـرِ

ولكن أشجع الناس المزني الذي يقول:

[من الطويل]

وإنّي لدى الحربِ العوانِ مُوكَّلٌ بتقـديمِ نفسٍ لا أُحبُّ بقاءها

وعباس بن مرداس حين يقول:

[من الوافر]

أُقـاتِـلُ في الـكـتيبـةِ لا أُبـالي أحـتـفـي كان فيهـا أو سِواهـا

المدائني عن عوانة: قال: كتب عبد الملك إلى الحجاج في أمرٍ استشاره فيه واستكتمه إياه، فانتشر وبلغ عبد الملك ذلك (فكتب إليه) كتاباً عاتبه فيه. وتمثل بهذين البيتين في كتابه:

[من المتقارب]

ألم تَر أنَّ وُشـاةَ الـرِّجـا لِ لايتركـونَ أديماً صحـيحـا

ولا تُفشِ سرَّكَ إلا إلـيكَ فإنَّ لكـلِّ نصـيحٍ نصـيحـا

العُمري عن الهيثم عن ابن عياش، قال: قال عبد الملك للشعبي: لله درّ ابن قميئة حين يقول:

[من الطويل]

كأنّي وقـد خلّفتُ تسعينَ حجَّةً خلعـتُ بها عنّي عذارَ لجامِ

رمتني بنـاتُ الـدّهر من حيثُ لا أرى فكـيفَ بمـن يُرمـى ولـيسَ برامِ

فلو أنّها نبـلٌ إذاً لاتّـقـيتُـهـا ولـكـنّني أُرمـى بغـيرِ سِهـامِ

فقال الشعبي: وقد أحسن لبيدٌ أيضاً حين يقول:

[من الطويل]

كأني وقـد خلّفتُ تسعينَ حَجةً	خلعـتُ بها عن مكـنبيَّ ردائـيا

قال: فنظر عبد الملك ثم أنشد:

[من الطويل]

إذا ماسلختُ الشّهرَ أهللتُ مثله	كفى قاتلاً سلخي الشهور وإهلالي

المدائني عن علي بن حماد، قال: أخبرني عبد الملك (عن) الخيل فحمل مسلمة على فرس، وكانت أمه أم ولد فجاء سابقاً، فقال لمصقلة بن رقبه العبدي: إن صاحبكم لقليل المعرفة بأولاد وأمهات الأولاد حين يقول:

[من الطويل]

نَهيتُكـمُ أن تحملوا هجنـاءكـم	على خيلكم يومَ الرّهانِ فتدركوا
ومايستوي المرءآنِ هذا ابنُ حُرةٍ	وهذا ابن أخرى بطنها متشرّك
فترعُـدُ كفّـاهُ ويسـقطُ سوطُـهُ	وتـفـترُ فَخـذاهُ فلا تتـحَـرّكُ
وتُـدركُـه أعـراقُ سوءٍ ذميمـةٌ	ألا إنّ عرقَ السـوءِ لابـدَّ مُدرِكُ

قال: ياأمير المؤمنين إن من الإماء ذات شرف فيمن هي منه، وليس أولئك عَني. وقد يشتري الرجل الجارية ويعتقها ويحصّنها فتكون كالحرّة، وإنما عني جمهور الإماء اللواتي لامواضيع لهنّ ولا هيئة.

أخبرني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه. قال:

سقى عبد الملك رجلاً من كلب شراباً يزيد في الباه ثم انصرف من عنده فأصابه شبقٌ شديد فلم يصل إلى منزله حتى أتبعه بجارية، وقال لرسوله: قل له إنا سقيناك شراباً يحتاج معه إلى مابعثنا به إليك، وقد كفيناك استبراءها[1] فدونكها.

---

(١) استبرأها: أي طهرت بعد الحيضة فلم يطأها والأمة والسبي تستبرأ بحيضة واحدة.

المدائني عن بكر بن حبيب السهمي، قال: وُلد لعبد الملك ابنٌ فقال له روح بن زنباع: ياأمير المؤمنين اسقه لبن اللبن، فاشترى عبد الملك لظئر[1] الصبي لقحة. فكانت تُحلب وتشرب الظئر لبنها، وقال الحالب: كيف أحلُبُها أخنفاً أم مَصراً أم فَطِراً، قال: بل احلبها مَصراً الخنف ضمّ اليدين على الضرع، والفَطر يحلب كما بعقد ثلاثين والمصر بأطراف الأصابع، ويقال الخنف باليد كلها والفَطر كأن تحلب بعقد ثلاثين[2] والمَصر أن لاتقبض على الضرع.

حدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه عن عوانة، قال:

توفي أميّة بن عبد الله بن خالد بن أَسِيد بالصنبّرة من الأردن، ومات خالد بن يزيد بن معاوية وروح بن زنباع في عام واحدٍ، فكان يسمى عام الملوك، فأرسل عبد الملك فأَحصى أضياف أمية فوجدهم خمسمئة فوصلهم عبد الملك، وكان أمية لما قدم الشام قال الناس: قدم أمية أخو خالد، فقال عبد الملك: أراك ببلد لاتُعرف فيه إلا بخالد لتصبحنّ وأنت أعزّ من بها، فجعل له حاجتين في كل يوم فأصبح الناس على بابه يسألونه الحوائج إلى عبد الملك، ولما مات هؤلاء الثلاثة رثاهم عبد الملك فقال:

[من الطويل]

لَعمرُكَ لاأنسى أُميَّةَ أظلمت ... عليَّ به أَرضي معاً وسمائِيا

---

(١) الظئر: المرضعة لذلك سموا بنو سعد الذين أرضعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أظآر رسول الله.

(٢) عقد ثلاثين: كانوا يكنون عن الضيق بعقد تسعين وعن السعة بعقد ثلاثين، وقد أبدع عبد الله بن المعلى في غلام له اسمه يوسف: [من الطويل]

مضى يوسفُ عنا بتسعينَ درهماً ... فعادَ وثلثُ المال في كفّ يوسف

ـ المنتخب للجرجاني ص: ٢٤ ـ

ومن يوم روحٍ قد علتني كآبةٌ وبلَّ دُموعي بالرّشاشِ ردائيا
وقد كان ينسينيهما يومُ خالدٍ أبي هاشمٍ إذ قال نسّى حيائيا
أولادكَ الأخلّاءُ الصافون مابقوا وكنتُ لهم ماصاحَبوني مُصافيا
فقد أُوحِشت أوطانُهم وبلادهُم وأُوحِش منهم مجلسي وفنائيا
أُشدُّ بهم رُكني سريري وموكبي فكيفَ بصبري بعدهم وعَزائيا

المدائني قال: مرّ عبد الملك على قبر معاوية ومعه عُمر بن عبيد الله بن معمر وابن بحدل الكلبي، فقال: هذا قبر رجل كان يسكته الحلم وينطقه العلم هذا قبر أمير المؤمنين معاوية، ثم أنشد:

[من الطويل]

وما الدَّهرُ والأيامُ إلّا كما أرى رزيَّةُ ملكٍ أو فراقُ حبيبِ

المدائني عن مسلمة بن محارب قال: دخل عليّ بن عبد الله بن عباس على عبد الملك، وقد حال بينه وبينه دخان العود، فقال: يا أمير المؤمنين احمد الله على ماأنت فيه من الدّفء مع ما الناس فيه من البرد ودعا له بالبقاء، فقال: يابا محمد أبعد ابن هندٍ وكان أميراً عشرين سنةً وخليفةً مثلها أصبحت تهتزّ على قبره بنبوته، ماهو إلا كما قال الشاعر:

[من الطويل]

وما الدّهر والأيامُ إلّا كما أرى رزيَّةُ مالٍ أو فراقُ حبيبِ
وإنّ امرأً قد جرّب الدهر لم يَخَفْ تقلُّب عَصريهِ لَغيرُ أريبِ

المدائني عن أبي بكر الهذلي، قال: ركب عبد الملك فتلقّاه محمد بن جبير بن مُطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف، فمرّا يتسايران حتى إذا بلغا المقابر عدل عبد الملك فوقف ومحمد بن جبير معه على قبر معاوية، فإذا عليه ثمامة أو عوسجة تهتزّ، فقال عبد الملك: رحمك الله أبا عبد الرحمن ثم التفت إلى محمد بن جبير فقال: يابا

سعيد ماكان علمك به؟ قال: كان علمي والله إنه كان ممّن ينطقه العلم ويسكته الحلم، قال عبد الملك: بذلك والله كان ثم ولى عبد الملك وهو يقول:

[من الطويل]

وما الـدَّهـرُ والأيامُ إلا كما أرى رزيَّةُ مالٍ أو فراقُ حبيبِ

ابن الكلبي عن عوانة، قال: لما أنشدَ عبدُ الملك قول خُريم بن فاتك الأسدي:

[من المتقارب]

لقيتُ من الغـانياتِ العِجـابـا ليالِيَ أدركـنَ منّي شَبـابـا
علام يُكـحـلّنَ حورَ الـعُـيونِ ويُحـدثْنَ بعـد خضـابٍ خِضـابـا
ويُبرقـنَ إلاّ لما تعـلمـونَ فلا تَحرمـوا الـغـانِياتِ الضِّرابـا

فقال عبد الملك: نعم الشفيع لهنّ خريمٌ.

المدائني عن سحيم بن حفص وعلى بن مجاهد قالا:

مات عمر بن عبيد الله بن معمر بضُمير وهي قرية من قرى دمشق، خرج عبد الملك فصلى عليه وقعد على قبره، فقالت امرأة ياسيّد العرب تعني عمر، فقال لها رجل من أهل الشام: اسكتي أتقولين هذا وأمير المؤمنين حاضر، فقال عبد الملك: مَهْ دعها فقد صدقت، وقال:

[من المتقارب]

ألا ذَهـبَ الـعُـرفُ والنّـائـلُ ومـن كانَ يعتـمـدُ السّـائـلُ
ومـن كان يطمـعُ في سَيبـهِ عنيُّ الـعـشـيرةِ والـغـائـلُ

ثم قام على قبره، فقال: رحمك الله أبا حفص فقد كنت لاتحسد غنياً ولا تحقّر فقيراً.

المدائني عن سحيم بن حفص، قال: أخذ إبراهيم بن عربي إبلاً للبَعيث المجاشعي[1] فخرج إلى عبد الملك فقال: من تحبّ أن تأمره بجمع إبلك، وردّها عليك؟ فقال: حُصين بن خُليد العبسي، وكان على بادية قيس فأمره بجمعها وردّها، فقال البَعيث:

[من الطويل]

[و][2]إنّي لأبوابِ المُلوكِ قَروعُ

قال أبو الحسن المدائني: ويقال إن البَعيث أتى شبّة بن عقال فأدخله على عبد الملك، قال شبّة: فدخل رجل أحمر أزرق فسلم تسليماً جافياً، فقال عبد الملك: أهُوَ هُوَ؟ فقال: إني والله هو قُلت وقيل لي وأنا الذي أقول:

[من الطويل]

إذا شئتُ عاطَتني الدّلالَ خَريدةٌ ... من البيض شَنباءُ اللّثاتِ شَموعُ[3]

سمَت بي جُدودٌ في العرانين وانتَمت ... بحيثُ تنمّى حاجِبٌ ووكيعُ[4]

---

(١) هو البَعِيث واسمه خِداش الشاعر بن بشر بن أبي خالد بن بَيْبة بن قرط بن سفيان بن مجاشع بن دارم بن مالك ولقبه الغَرف بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم. وهو الذي قال فيه جرير: [من الكامل]

إنّ الفرزدق والبَعيث وأمّه ... وأبا البعيث لشرُّ ماإستار

(٢) الواو ساقطة.

(٣) شنب: الشَّنَبُ: ماء ورقة تجري على الثغر ـ اللسان ـ

(٤) هو حاجب بن زُرارة بن عُدُس بن زيد بن عبد الله بن دارم بن مالك الغرف بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم. وكيع بن حسان بن قيس بن أبي سود بن كلب بن عوف بن غدانة الأشرس بن يربوع بن حنظلة بن مالك.

(*) الإستار: الأربعة.

قال: فلما فرغ من كلامه حتى سرّني وإني لأستحي من رثاثة هيئته، ومحمد بن عُمير جالسٌ، فقال عبد الملك: يابا عمرو زوجتموه؟ قال: نعم امرأة شبيهة به وهي ابنة خاله.

المدائني عن محمد بن عديّ بن النهاش بن قَهم، قال:

أصابت الناس قحمة أو قال حَطمةٌ فخرجوا إلى الشام يطلبون الريف، فصارت جارية من العرب إلى بيت من يهود تخدمهم، فوقع عليها رجل منهم غصبها نفسها فضرب عبد الملك عنق اليهودي وأخذ ماله فأعطاه أهل الجارية، ويقال إنه صلب اليهودي بحضور قَيله[1].

المدائني عن عبد الرحمن بن معاوية الزيادي قال:

حجّ عبد الملك فجعل يطوف بالبيت ومعه الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي، فلما كان الطواف السابع دنا من البيت ليلتزمه فجذبه الحارث، فقال: مالك ياحار! قال: أتدري من كان أول من فعل هذا؟ قال: لا، قال: عجوز من قومك على غير سُنّةٍ فمضى عبد الملك ولم يلتزمه.

المدائني عن حباب بن موسى عن الشعبي، قال:

سمعت عبد الملك يدعو: اللهم إن ذنوبي قد عظمت وجلّت وهي صغيرة يسيرة في جنب عفوك فاغفر فعالي برحمتك فحسدته.

المدائني عن محمد صالح عن موسى بن عقبة:

أن عبد الملك حجّ فلقيه رجل من ولد عمر بن الخطاب قد نالته ولادة من أبي بكر رضي الله عنهما، فسأله فحرمه، وقال متمثلاً:

ومن لايَزُد[2]عن حوضه بسلاحه

(١) القَيل بلغة أهل اليمن هو دون الملك الأعلى ويقصد هنا رؤسائه.

(٢) يَزُد: يمنع.

عن موضعه

فقال الرجل: إذا ذُدت ابن الفاروق وابن الصديق فمن تورده بعدهما؟

قال: بني عبد مناف[1].

المدائني عن أبي إسحاق بن ربيعة، قال: قال عبد الملك لموسى بن طلحة: يابا عيسى مابقي من طبّك؟ قال: ياأمير المؤمنين مازالت قريش تزنّني[2] وإيّاك بذلك ونحن غلمان، فضحك عبد الملك.

المدائني عن بشر بن أبي عيسى، قال: قال عبد الملك للأبرش واسمه سعيد بن الوليد بن عبد عمرو، وهو يتغدّى معه: ياأبرش إن أكلك أكل معدّيّ قال: ثأبي ذلك قضاعة.

حدثني العباس بن هشام الكلبي عن أبيه، قال: أصحب عبد الملك بن مَرْوان ذُبيان بن نعيم بن حصين بن سعدانة الكلبي أخاه عبد العزيز حين شخص إلى مصر، فرأى منه جفوة فكتب إلى عبد الملك:

[من الطويل]

[فـ][3]أبلغ أمـير المؤمنينَ ودونـهُ ... فراسخُ تطوي الطَّرف وهو حَديدُ
بأنيّ لدى عبـد الـعـزيزِ مُؤخَّـرٌ ... يُقـدّم قبـلي راسـبٌ وسـعـيدُ
وقـد كنتُ أدنى في القـرابـةِ منهـما ... وأشرفَ إن كُنـت الشَّريفَ تُريدُ

فكتب عبد الملك إليه في أمره فبرّه وسهّل أمره وأدنى مجلسه.

---

(١) بنو عبد مناف كان لهم في الجاهليّة عزّ قريش لأنه كانت لهم مناسك الحجّ جميعها حتى أن أبا قحافة أبا أبي بكر الصديق عندما سأل عمن خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقيل له ابنك أبو بكر، قال: أورضيت بنو عبد مناف.

(٢) زنن: زنّه بالخير زنّاً: ظنّه به أو اتهمه وأزننته بشيء اتهمته به ـ اللسان ـ

(٣) الفاء أو الواو ساقطة.

الهيثم عن ابن عيّاش عن أبيه قال: سمعتُ عبد الملك يقول لعبد الله بن مسعدة الفزاري: إن أفضل النساء السواحر، الذي يقول أهل الرجل قد سحرته وغلبت على عقله.

المدائني قال: بينا عبد الملك جالس وعنده ابناه الوليد وعبد الله، إذ مدّ الوليد رجله في حجر أخيه عبد الله بن عبد الملك فنبذها وقال: اقبض رجليك، فقال الوليد: ياأمير المؤمنين ألا ترى إلى ابن البربريّة، فقال عبد الله: أجلْ والله إني لابن البربرية، وإنها لأبنة أملاكٍ كرام وليست كأمّك ابنة الأعرابي الجلف البايل على عقبيه، فقال الوليد: ياأمير المؤمنين ألا تسمع، فقال عبد الملك: إيهاً الآن أعرضا عن هذا فكفّا، وعبد الله القائل حين احتضر وقد جاءه مالُ مصر: مالي وله ليت كان بَغْواً[1] حائلاً بنجد.

المدائني قال: رأى عبد الملك كأنه بال في الكعبة، فبعث إلى سعيد بن المسيِّب[2] من يسأله عن ذلك وقال له: لاتخبره من صاحب الرُّؤيا، فقال له الرجل: رأيتُ كذا، فقال له سعيد: مثلك لايرى مثل هذه الرُّؤيا، فرجع إلى عبد الملك فأخبره، فقال: ارجع إليه فأخبره بأني رأيتها، فرجع إليه فأخبره، فقال: من صلبه من يَلي الخلافة.

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن عبد الله بن جعفر بن حبيب بن قُنَيع، قال:

جلست إلى سعيد بن المسيِّب يوماً والمسجد خالٍ، فجاءه رجل فقال: يابا محمد رأيتُ في النوم كأني أخذتُ عبدَ الملك بن مروان فوتدت في ظهره أربعة أوتادٍ

---

(١) البَغْو: من بغى طلب ويقال: فرّقوا لهذه الإبل بغياناً يضبّون لها أي يتفرقون في طلبها وفي حديث أبي بكر في الهجرة وسأله أحدهم: من أنتم، فقال أبو بكر: باغٍ وهادٍ، عرّض بيغاء الإبل وهاد الطريق.

(٢) سعيد بن المسيِّب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يقظة الإمام العَلَم أبو محمد القرشي المخزومي عالم أهل المدينة ـ سير أعلام النبلاء ـ ج: ٤ ص: ٢١٧.

وتـداً بعـد وتـدٍ، فقال: ماأنت رأيت ذلك، فأخبرته من رأى هذه الرُّؤيا، قال: أرسلني إليك ابن الـزبـير بهذه الرؤيا لتعبّرها، فقال: إن صدقت الرؤيا قتل عبدُ الملك عبـدَ الله بن الزبير وخرج من صلب عبد الملك أربعة كلّهم يكون خليفة. قال: فرحلتُ إلى عبد الملك فدخلت عليه وهو في الخضراء[1] بدمشق فأخبرته الخبر فسرّه وسألني عن سعيد وحاله وسألني عن دَيني فقلت: أربعمئة دينار، فأمر لي بها من ساعته وبمئة دينار وحمّلني طعاماً وزيتاً وكِساً، فانصرفت راجعاً إلى المدينة.

المدائني عن أبي عبد الرحمن الطائي، قال: قال عبد الملك لعمرو بن حُريث: إني أراك ظاهر الدمّ لينّ البشرة، فليت شعري مِمَّ ذاك، فقال طعامي لباب البُرِّ وصغار المَعِز ولباسي الكتّان ودُهني البنفسج.

المدائني عن عبد الله بن سلم عن أبيه، قال: قال عبد الملك للعجّاج[2]: أتحسن الهجاء؟

فقـال: ياأمـير المؤمنين هل رأيت صانعاً إلا وهو على الإفساد أقدر منه على الإصـلاح، قال: فما يمنعـك من الهجـاء قال: إن الله أعـطانا عِزّاً منعنا من أن نُظلم، وحلماً منعنا من أن نَظلم. فقال عبد الملك: الهجاء أشدّ من المدح وحرّك رأسه.

هشام بن الكلبي عن عوانة قال: قال عبد الملك:أيّ النساء يابن مسعدة أفضل؟ قال: الساحرة يعني التي يقول الرجل قد سحرتني، فقال: صدقت.

المـدائني عن سُحَيم بن حفصٍ، قال: قال عبـد الملك بن مروان: إن من وثائق الحزم أن تحتمل الناس بالمال فإنهم أتباعه، قال: وقال عبد الملك: الحلم يحيا بحياة السؤدد.

---

(١) الخضراء: قصر الأمارة بدمشق.

(٢) العجـاج: هو الـراجز المشهور واسمه عبد الله بن رؤبة بن لبيد ابن صخر بن كثيف بن عَميرة بن حُنيّ بن ربيعة بن سعد بن مالك بن سعد بن زيد مناة بن تميم.

حدثني أبو مسعود الكوفي، قال: دخل كُثَيِّر[1] بن عبد الرحمن على عبد الملك، فقال:

أنشدك الله ياأمير المؤمنين، فقال: بكم؟ قال: بطرف ومذعانٍ[2] وألف وجُبّة وسيف عتيق من جياد الصفائح، فقال: ياغلام عجّل بجميع ماقاله الساعة، فأُتي بفرس سريع وناقة مذعانٍ وألفٍ وحلّةٍ وسيف، ثم أنشده شعره الذي مدحه به فأمر له بمال.

المدائني عن سُحَيم بن حفص، قال: قال عبد الملك لأسلم بن الأخيف وكان مضموماً إلى الوليد: أخبرني عن الوليد: قال أعفني ياأمير المؤمنين، قال: لتقولنّ، قال: يلحن لحناً فاحشاً يعرفه من لايبصر العربية، ويظنّ ظناً سيئاً أخافُ ماجاء في اللحن يوقعهويوبقه ويستحيي أن يسأل فيعلم.

فقال عبد الملك للوليد: بلغني أنك تلحن لحناً فاحشاً وتسيء الظنّ وتستحيي أن تسأل فتعلم.

فقال: أمّا السؤال فلا أدعه للحياء منه ولكني لاأرى أحداً أهلاً لأن أسأله عن شيء، وأما سوء الظنّ فمن ينبغي له أن يُحسن الظنّ بالناس بعد قتل مروان[3]، وأما اللحن فمُرْ الفصحاء بتقويم لساني.

المدائني قال: قال عبد الملك لربيعة الغاراني[4]: أحبّ الوليد وأريد توليته،

---

(١) كُثَيِّر عزّة أبو صخر بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر بن عُوَيمر بن مُخلَّد بن سعيد بن سُبيع بن جَعْثمة بن سعد بن مُلَيح ابن عمرو خزاعة بن ربيعة لحيّ بن حارثة بن عمرو مزيقياء شاعر مشهور في عهد الدولة الأموية وعشق عزة فنسب إليها.

(٢) ناقة مذعان: سلسة الرأس منقادة لقائدها ـ اللسان ـ

(٣) قيل إن امرأة مروان أم خالد بن يزيد وضعت على وجهه وسادة وقعدت هي وجواريها عليها فخنقته لأنه قال لخالد بن يزيد يابن الواسعة الرطبة.

(٤) الغاراني: هكذا جاءت في المخطوط ولم أجد لها تفسير فيما تحت يدي من كتب ولعلها عراني من عرانية بطن من عذرة. والله أعلم.

فقـال: ياأمـير المؤمنـين إن ولّيته الجباية فاستقصى ذُمّ وإن قصّر عُجِّز، ولكن ولّه الصوائف فيكون ذلك له شرفاً وذِكراً.

قالـوا: وقـال عبد الملك لأسلم بن الأخيف: كيف ترى الوليد؟ قال: إنه ليلحن بعـد لحناً قبيحاً، قال: إنه كان أحبَّ ولدي إليّ فلم تطب نفسي بمفارقته فأسترضع له بالبادية كما استرضعت لسليمان.

المدائني قال: قال عبد الملك لخالد بن يزيد بن معاوية: ألا تقيمون لسان عبـد الله بن يزيد! فقـال: ياأمير المؤمنين صعب علينا من تقويم لسانه ماصعب عليكم من تقويم لسان الوليد.

قال: وكان الوليد رديء اللسان، قال يوماً: ياغلام ردّوا فرسان الصادّان عن الميدان.

المدائني عن أبي معاوية بن عامر قال: تكلّم عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية عند عبـد الملك فلحن، فقـال عبد الملك: اللحن من الشريف أقبح من الجدري في الوجه الحسن.

المـدائني قال: قال عبـد الملك بن مروان: إن المغـيرة بن عبـد الـرحمن بن الحـارث بن هشـام ليفخّم اللحن كما يفخّم نافع بن جبير الإعراب، وكان المغيرة يلحن ويتشدّق.

المـدائني عن علي بن إبـراهيم قال: قال عبد الملك: اللحن هجنة في الشريف، والعجب آفة الرأي والخرس خير من البيان بالكذب لأن الكذب فساد كل شيء.

المدائني عن سُحيم بن حفص قال: صحّف عبد الملك بن مروان فقال لقوم من كندة: من كلان الميل منكم؟ فقالوا: ياأمير المؤمنين هو المِثل بن معاوية الأكرمين.

وقال المدائني: لما أنشد الأخطل عبد الملك قوله:

[من الطويل]

فَإلّا تُغَـيرّهـا قُريشٌ بمُـلكهـا يكُن عن قُريش مُستـهارٌ ومَرحلُ[1]

قال: لو قلت غير هذا لقطعت لسانك.

المدائني عن الوليد بن مسلم، قال: كان الحارث الأشعري[2] قاضي عبد الملك فأخبر عبدُ الملك أن امرأته كلمته في رجل فقضى له بقضيّة وأن الرجل أهدى لامرأة الأشعري هديةً، فقال عبد الملك:

[من الطويل]

إذا رشـوةٌ من باب بيتٍ تَقحّمت لِتسـكُـن فيه والأمـانـةُ فيه

سعـت هربـاً منـهُ وولّـت كأنّها حليمٌ تولّى من جِوارِ سفـيهِ

بيعة الوليد وسليمان

١١٨ ـ قالـوا: وكـان مروان بايع لعبد الملك ولعبد العزيز من بعده، وولى عبد العزيز مصر، فأراد عبد الملك أن يخلع عبد العزيز ويبايع لابنه الوليد.

فكتب إلى عبد العزيز: إن رأيت أن تصيّر هذا الأمر لابن أخيك وولدك، فأبى فكتب إليه يسأله أن يجعلها للوليد من بعده، ويقول له: لولا أن الوليد أعزّ

---

(١) لم يذكر البيت في الديوان طبعة دار الكتب العلمية بيروت رغم أنه من قصيدة طويلة ذكرها في ص: ٢٢٢ بعنوان القائد الميمون وذكر بيتين قبله: (لقد أوقع الجحاف) و(فسائل بني مروان) وفي الأغاني: ج: ١٢ ص: ٢٠٠ ذكر الثلاثة أبيات متتابعة.

(٢) الأشعر هو نبت بن أدد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ واسمه عامر.

الخلق على أمير المؤمنين لم يسلك هذا له، فكتب إليه: إني أرى في أبي بكر بن عبد العزيز مثل الذي ترى في الوليد.

فقال عبد الملك: اللهم إنه قطعني فاقطعه، وكتب إليه: احمل لي خراج مصر، فكتب إليه عبد العزيز: يا أمير المؤمنين إنا قد بلغنا سنّاً لم يبلغها أحدٌ من أهل بيتك إلا كان بقاؤه بعدها قليلاً، وإنا لاندري أينا يأتيه الموت أولاً، فإن رأيت أن لا تغثّث عليّ بقيّة عمري فافعل.

فرقّ عبد الملك وقال: لعمري لافعلت ذلك ولا سؤت أخي، وقال لبنيه: إن يُرد الله أن يعطيكم إياها لايقدر أحدٌ من العباد على ردّها عنكم، وقال لابنيه الوليد وسليمان: هل قارفتما حراماً قطّ، قالا: لا والله، قال: الله أكبر نلتماها وربّ الكعبة.

قالوا: وشاور عبد الملك قُبيصة بن ذؤيب الخزاعي، فقال: لاتعجل فلعلّ الله سيكفيك ولم تُظهر غدراً ولم يسؤه عنك السماع، وكان يلي السكّة والخاتم. فلم يشعر ذات يوم إلا وقد كُتب بنعي عبد العزيز فأدخل الكتاب على عبد الملك، فقال: ياأمير المؤمنين قد جاءك ماأردت ولم تقطع رحم عبد العزيز ولم تأت أمراً يُعاب، وقال أعشى بني أبي ربيعة شعراً يحثّ فيه عبد الملك على بيعة الوليد:

[من المنسرح]

ابنُك أولى بمُلكِ والدِهِ ... وعمُّه إن عَصاكَ مُطَّرحُ

ورثتَ عثمان وابنَ حرب ومَر ... وانَ وكلٌّ لله قد نَصحوا

فعِش حميداً واعمل بسُنّتهم ... تكُن بخيرٍ واكدح كما كَدحوا

في قصيدة[1] .

وأراد عبد الملك البيعة للوليد وكتب الحجاج إلى عبد الملك يزمّر[2] له بيعة الوليد وأوفد وفداً منهم عمران ابن عصام الغَنَزيّ[3] من بني هُميم بن عبد العُزّى بن ربيعة بن تميم بن يَقدُم بن عَنزة بن أسد بن ربيعة الشاعر وقد قتله الحجاج بدير الجماجم بعدُ، فقال عمران :

[من الوافر]

أميرَ المؤمنين إليكَ نُهدي	على النَّأي التحيَّة والسَّلاما
أجبني في بنيك يكن جوابي	لهم أكرومة ولنا قواما[4]
فلو أنَّ الوليدَ أطاعُ فيه	جعلتُ له الخلافَةَ والزِّماما
شبيهُكَ حول قبّتِهِ قُريشٌ	به يستمطرُ النّاسُ الغَماما
ومثلُك في التُّقى لم يصبُ يوماً	لدُن خَلع القلائد والخداما
فإن تُؤثر أخاكَ بها فإنّا	وَجدِّكَ مانُطيق لها اتّهاما
ولكنّا نحاذرُ من بنيه	بني العَلّاتِ أن تسقى السِّماما
ونخشى إن جعلت الملكَ فيهم	سحاباً أن يكون لنا جَهاما

---

(١) هذه القصيدة لأعشى بني أبي ربيعة وهو يسمى أيضاً أعشى بني أمامة وهو عبد الله بن خارجة بن حُبيب بن قيس بن عمرو بن قيس بن عمرو المزدلف بن أبي ربيعة بن ذُهل بن شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل.

(٢) يزمر له: يشجعه ويحضه.

(٣) العنزي هناك عنزه هذا وعنز بن وائل بن قاسط بن هنب والنسبة في كلا القبيلتين عنزي والأول بفتح الزاي المعجمة والثاني بسكونها.

(٤) أكر: مخابرة ـ اللسان ـ

في أبياتٍ.

فقال عبد الملك: إنه عبد العزيز ياعمران قال: احتل له ياأمير المؤمنين.

قالوا: وكان الحجاج كتب إلى عبد الملك يشير عليه باستكتاب محمد بن يزيد الأنصاري، وكتب إليه: إن أردتَ رجلاً عاقلاً فاضلاً وديعاً مأمونا مسلما كتوماً للسرّ تتخذه لنفسك تضع عنده سرّك وما لا تحبّ أن يظهر من أمرك فاستكتب محمد بن يزيد. فكتب عبد الملك أن أحمله إليّ فحمله إليه فاستكتبه.

قال محمد: فلم يكن يأتيه كتاب إلا دفعه إليّ فإني لجالس يوماً نصف النهار إذا أنا ببريد قد قدم من مصر فقال: الإذن، قلت: ليست هذه بساعة إذن فتعلمني ما الذي قدمتَ له، فأبى فقلت: هل معك كتابٌ، فقال: لا ودخل بعض من حضرني على عبد الملك فأخبره فأذن للرجل وصرت إليه، فقال حين دخل عليه: آجرك الله يا أمير المؤمنين في عبد العزيز، فاسترجع وبكى ووجم ساعةً، وقال: رحم الله عبد العزيز فقد مضى لسبيله ولابُدّ للناس من عَلم يسكنون إليه وقائم يقوم بالأمر من بعدي، فما ترى؟ قلت: ياأمير المؤمنين سيّد الناس وأرضاهم عندهم وأفضلهم الوليد بن أمير المؤمنين، قال: صدقت وفّقك الله، فمن ترى أن يكون بعده؟ قلت: ياأمير المؤمنين أين تعدل عن سليمان فتى العرب، قال: صدقت والله ووفّقت أما إنّا لو تركنا الوليد وإياها جعلها لبنيه. اكتب عهداً للوليد ولسليمان من بعده.

قال: فغضب الوليد عليّ حين أشرت بسليمان، وكان أول من تخيّر من الخلفاء، قال: وصيّر عبد الملك مع ابنيه حين بايع لهما عبيدة بن قيس العقيلي.

المدائني عن ابن جعدبة قال: كتب عبد الملك إلى هشام بن اسماعيل المخزومي وهو بالمدينة يأمره أن يدعو الناس إلى بيعة الوليد وسليمان فبايعوا غير سعيد بن المسيّب قال لا أبايع لأحدٍ وعبد الملك حيٌّ. فضربه هشام ضرباً مبرّحاً وألبسه المسوح وحمله إلى ثنيّة المدينة، وكانوا يقتلون عندها أو يصلبون. فظنّ أنهم يريدون

قتله. فلما انتهوا إليها ردّوه، فقال: لو ظننت أنهم لايصلبوني مالبست سراويل مسوح ولكني قلت يسترني.

وبلغ عبد الملك خبر سعيد فقال: قبّح الله هشاماً إنما كان ينبغي له إذا أبى أن يضرب عنقه[1]، وكتب إلى هشام يلومه ويقول: إن سعيداً لم يكن ممّن تخافه وكان ينبغي لك أن تدعه.

المدائني قال: قال أبو المقدام: مرّوا بسعيد بن المسيِّب علينا وأنا في الكُتّاب وعليه تُبّان شعر.

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي قال: ضرب هشام بن إسماعيل في سنة ستٍ وثمانين سعيد بن المسيِّب ستين سوطاً وطاف به في تُبّان من شعر حتى بلغ به رأس الثنيّة، فلما كرّوا به، قال: إلى أين تكرّوا بي؟ قالوا: إلى السجن، قال: والله لولا أني ظننته الصّلب مالبستُ هذا التُبّان أبداً فردّوه إلى السجن وحبسه، وكتب إلى عبد الملك بخلافه وتركه البيعة للوليد وسليمان من بعده، وذلك حين مات عبد العزيز بن مروان بمصر.

فكتب إليه عبد الملك يلومه فيما صنع، ويقول: كان سعيد والله أحوج إلى أن نصل رحمه من أن نضربه، وإنّا لنعلم أنه ماعند سعيد شقاق ولا خلاف.

قال الواقدي: وكان الذي دخل بالكتاب على عبد الملك في ضرب سعيد قبيصة بن ذؤيب، وكان على السكّة والخاتم، فقال: ياأمير المؤمنين كيف يفتات[2] عليك هشام بمثل هذا ويضرب ابن المسيِّب ويطوف به، والله لا يكون أبداً أمحك ولا ألجّ منه حين فعل مافعل، أو سعيد ممن يُخاف فتقه وغوائله!

---

(١) في الطبري: يضرب عنقه أو يكف عنه. ج: ٦ ص: ٤١٦.

(٢) يفتات: من افتأت برأيه: انفرد واستبد به، وتخفف الهمزة.

قال عبد الملك: قد كتبت إليه أعلمه كراهتي لما صنع به، وكتبتُ إلى سعيد أعتذر إليه، قال: فلما قرأ سعيد كتاب عبد الملك، قال: حكم الله بيني وبين من ظلمني.

قال: وصنعت لسعيد ابنته طعاماً كثيراً حين حُبس وبعثت به إليه، فأرسل إليها: لاتعودي لمثل هذا فإني لا أدري ماقدر حبسي، إنما غاية هشام بن إسماعيل أن يذهب بمالي، فلا تزيديني على القُوت الذي كنتُ آكله في بيتي، وكان يصوم الدهر.

وكان الوليد سيّيء الرأي في هشام فلما وَلِي عزله عن المدينة وأمر أن يوقف للناس، فدعا سعيد وَلده ومواليه. فقال: إن هذا الرجل قد كان أساء إلينا فلا يذكرنّه أحدٌ منكم بسوء ولا تعرضنّ له ولا تؤذينّه بكلمة فقد تركت مجازاته لله والرحمان، وإن كان ماعلمته سيىء الظنّ لنفسه. فأما كلامه فلا أكلمه أبداً.

قال: وأرسل هشام إلى أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام: اكفني ابن المسيَّب فإنه عند الناس ماعلمتَ، فقال: لابأس عليك منه، فقال: إنه حقودٌ، قال: أمّا ماصنعت به فلن يخرج من قلبه ولذلك لن تُرى منه سوء، وقال محمد بن سعيد لأبيه: خَلِّ بيننا وبينه فقال سعيد: لاتعرضَنَّ له فإنك إن فعلتَ لم أكلّمك بكلمة أبداً.

وحجّ الوليد فدخل مسجد المدينة فأُخرج الناس ولم يجترىء أحدٌ على إخراج سعيد. وقيل له: هذا أمير المؤمنين، فقال: لا والله لا قمتُ إلا في الوقت الذي كنتُ أقوم فيه، وجعل عمر بن عبد العزيز يعدل بالوليد عنه وإن عليه لربطتين لايساويان خمسة دراهم. وذلك لكراهة عمر أن يراه فينكر جلوسه. وكانت من الوليد التفاتة فقال: من الجالس؟ قيل سعيد بن المسيِّب ولو علم بمكان أمير المؤمنين لقام إليه، فقال الوليد: قد عرفت حاله ونحن نأتيه فنسلم عليه، فجاء الوليد حتى وقف على رأسه وقال: كيف أنت أيها الشيخ؟ وهو جالس. فقال: بخير والحمد لله، فكيف أمير المؤمنين وكيف حاله؟ فقال الوليد: خير حالٍ والحمد

لله وانصرف وهـو يقـول لعمر: هذا بقيّة الناس، وكان عمر إذا حلف يقول: لا والذي صرف عن سعيد شرّ الوليد ماكان هذا ولأفعلنّ هذا.

وحـدثني عباس بن هشـام عن أبيه عن جدّه، قال: لما ضُرب سعيد بن المسيِّب لامتنـاعه عن بيعة الوليد أقيم للناس، فمرّت به أَمَةٌ لبعض أهل المدينة، فقالت له: ياشيخ لقد أُقمتَ مقام خِزيٍ، فقال لها: من مقام الخزي فررتُ.

ولمـا مات عبـد العـزيز قال الشاميّون: رُدَّ على أمير المؤمنين أمره فدعا عليه فاستجيب له لقول عبد الملك: اللهمّ إنه قطعني فاقطعه.

المـدائني وغـيره: أن عبـد الملك قال لأسماء بن خارجة الفزاري[1]: بلغني عنك خصال كريمة فأخبرني بها فقال: وصفها من غيري أحسن. فقال: لتقولنّ، قال: أما اذا أبيت ياأمير المؤمنين ألا إني أخبرك فإنّي لم أمدّ رجلي بين يدي جليس قطّ كراهة أن يظنّ أني امرؤٌ لي عليه طَول[2]، ولا دعوتُ رجلاً إلى طعامي فأجابني إلا لم أزل أعـرف له الفضـل عليّ، ولاسألني رجل حاجة قطّ فرأيت أن شيئاً من الدنيا عوض من بذل وجهه إليّ واختياره إيّاي لها. فقال عبد الملك: حقّ لك أن تكون سيّداً.

---

(١) أي من بني فزارة وهو بطن من ذبيان وهو فزارة واسمه عمرو بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غَطَفان بن سعد بن قيس بن عيلان.

(٢) الطَّول: الفضل والإنعام.

إطراء عبد الملك لابنه الوليد:

١١٩ ـ وقال الوليد: ياأمير المؤمنين بلغني أنه أتاه الأخطل في ناسٍ من قومه يسألونه ديةً فلقيهم ببشر وطلاقة وأمر لهم بثلاث بِدَر[1]، فقال: بدرةٌ لمشاكم. وبدرة لإيثاركم إيّاي على غيري وبدرة لصاحبكم، ثم قال لابنيه: مُرا للقوم من مالكما بما أحببتما فأمرا لهم بعشرين ألفاً. فقال الأخطل:

[من الوافر]

إذا ماتَ ابنُ خارجة بن حصنٍ	فلا مطرت على الأرضِ السَّماءُ
ولا رجعَ البشيرُ بغُنمِ جيشٍ	ولا حملت على الطُّهرِ النّساءُ
فيومٌ منك خيرٌ من رجالٍ	كثيرٍ قولُهم نَعمٌ وشَاءُ
فبورِكَ في بنيك وفي أبيهم	إذا ذُكروا ونحن لكَ الفِداءُ[2]

فأعجب عبد الملك حديث الوليد له وروايته ماروى من شعر الأخطل، وقال له: معرفتك بفضل أهل الفضل فضيلة يابنيّ.

حدثني ابن أبي شيخ الكوفي عن عبيد الله بن موسى، قال:

بلغني أن عبد الملك بن مروان قال للحجاج: إنه ليس أحدٌ إلاّ وهو يعرف عيبه، فعزمت عليك لمّا أخبرتني بما فيك من العيب، فقال: أنا حسود حقود لجوج، قال: حسبك فما في الشيطان إلا دون هذه الحالات.

المدائني عن أبي مجاهد، قال: حبس عبد الملك يحيى بن سعيد بن العاص بعد قتل أخيه[3] أربعين يوماً ثم دعا به فاستشار من حضره في أمره، فقال بعضهم:

---

(١) كيس فيه ألف أو عشرة آلاف ـ اللسان ـ

(٢) لم يذكرها في ديوان الأخطل طبعة دار الكتب العلمية، بيروت.

(٣) أخوه عمرو بن سعيد الأشدق.

اقتله، وقـال بعضهم: مُنّ عليه، وقـال عبد الله بن مسعدة بن حكمة الفزاري: ياأمير المؤمنين إنَّ له رحماً وقرابة، والعفو أقرب للتقوى فمنّ عليه وسيّره إلى عدوك فلعلّ الله يكفيك إياه بخيلٍ من خَيلك. فلحق بعبد الله بن الزبير، فقيل له إن أخاك كان سيىء البلاء عنده فالحق بمصعب بالعراق فولده بالكوفة وواسط.

حدثني علي بن حماد عن الحوامي عن عبد الله بن نافع، قال:

وفد عبد الله بن جعفر على عبد الملك بن مروان، وأهدى إليه من ألطاف المدينة، فبعث إليه عبد الملك بألطافٍ وكُساً وفرس عبد الله بنُ الزبير الذي يقال له اليعسوب وكان قُتل عنه، فقبل الهدايا وردّ الفرس، فبعث إليه عبد الملك يعزم عليه ليخبرنّه لِمَ ردّ الفرس، فقال عبد الله: ماكنت لأقدم على قومي بأسلابهم.

قالوا: وقال عبد الملك لأسماء بن خارجة: زدني من صفة مذاهبك وأخلاقك، قال: ماشتمت رجلاً قطّ، ولا شتمني إلا حلمت عنه، إن كان كريماً فأنا أولى من غفر ذلّته وإن كان لئيماً لم أجعل عرضي خطراً له، فقال: أحسنت والله ماشئت.

المدائني قال: دخل تميم بن الحباب السُلمي أخو عمرو بن الحباب على عبد الملك، فقال: أنشدني بعض مارثيت به أخاك عُميراً، فأنشده:

[من الطويل]

وذي ميعةٍ لايُستطاعُ قيادُهُ ... مع الخيلِ إلاّ مُمسِكاً بلجامِ[1]

وزعتُ به الغارات حتى تركنَهُ ... جُزُور الضُحى من نكهةٍ وسآمِ

فكم من دمٍ يوماً هرقتَ ومن دمٍ ... حقنت ومن وفدٍ حَبوتَ كِرامِ

فقال عبد الملك: ماكان كما وصفت يابن الحُباب، قال: بلى والله يابن مروان رغم الراغمون.

---

(1) ميعة كل شيء: أعظمه ـ اللسان ـ

المـدائني عن عوانة، قال: قدم على عبد الملك قادم من العراق، فقال له: كيف تركت بشراً؟ يعني أخـاه فقال: تركته ليّناً في غير ضعف قويّاً في غير عنف، يعرف موضع العقوبة فيعاقب على قدر الذنب قال: ذاك ابن حنتمة يعني عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وقـال عبد الملك لأعرابي: إنك لحسن الخُدبة[1]، فقال: ذاك عنوان نعمة الله عليّ إنّي أدفىء رجليّ في الشتاء وآكل عند الشهوة وأزدرد عاتبة الهمّ، يعني بالشراب.

قال: وبعث عبـد الملك روح بن زنباع إلى أمّ البنين وهي عاتكة بنت يزيد يسألها أن تجعل مالها لابنيها يزيد ومروان الأصغر فقد أدركا، فقالت: عليّ بشهودٍ عدول، فلما دخلوا علَيهـا، قالت: اشهـدوا أني قد تصـدّقتُ بمالي على فقراء آل سفيان صدقـةً بتّةً بتّةً، وقالت لروح ياأبا زُرعة أتراني أخاف على ولديّ العَيلة وهما ابنـا أمير المؤمنين. فأتى عبد الملك فأخبره فغضب، فقال له روح: ياأمير المؤمنين لاتغضب فإنها لم تخطىء فيما صنعت ولا في الاتّكال على من اتكلت عليه.

وقـال الواقدي: كان الناس يصلون ركعات بعد العصر، وكان عبد الملك أول خليفة مدّ الصلاة من الظهر إلى العصر وأول خليفة بُخِّل.

المدائني عن عامر بن أبي محمد قال: تنبّأ رجل يقال له خالد أيام عبد الملك، فأمر به فصلب حيّاً فقـال: أتصلبـون رجـلاً أن يقول: ربي الله، فطعنه رجل فانثنت الحـربة فسجد أصحابه: فنكث عبد الملك في الأرض ثم تلا: ﴿ مَاكَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِن رِجَالِكُم ولكِن رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّنَ ﴾[2] ياأبا زُرعة اطعن في الجانب الأيسر فإن الشيطان يدفع عن الجانب الأيمن، فطعنه روح تحت الخاصرة فأخرج

---

(١) الخُذبة والخدب: الطول.

(٢) سورة الأحزاب رقم: ٣٣ الآية رقم: ٤٠

السنان من ظهره فقال عبد الملك: ﴿جَآءَ الحَقُّ وزَهَقَ البطِلُ﴾[1].

المدائني قال: قال عبد الملك: السياسة هيبة الخاصّة مع صدق مودّتها وإفساد قلوب العامة وإنصافها والإحسان إليها واحتمال هفوات الصنائع.

المدائني عن عمرو بن غياث، قال: دخل زُفر بن الحارث على عبد الملك بعد الصلح، فقال له: يابا الهذيل مابقي من حبّك الضحّاك بن قيس؟ قال: ما لا ينفعه ولا يضرّك، قال: لشدّ ماأحببتموه معاشر قيس! قال: أحببناه ولم نواسه ولو كنا فعلنا أدركنا مافاتنا منه، قال: فما منعك من مواساته يوم المرج، قال: مامنعك من مواساة عثمان يوم الدار.

قال عبد الملك لزُفر بن الحارث: بلغني أنك من كندة. قال: وماخيرُ من لاينفي حسداً ولايُدّعى رغبةً.

المدائني قال: دخل علي بن عبد الله بن عباس على عبد الملك فتغدّيا جميعاً، ثم دعا بشراب فأُتي فبدأ بعليّ فسقاه ثم شرب.

المدائني عن أبي خالد التميمي عن أبي لؤلؤة المازني:

أن عيّاش بن الزبرقان كان دخل على عبد الملك وعنده روح بن زنباع وأبو الزعيزعة مولى بني مروان، فقال عبد الملك: ياعياش أما ترى هذا اليماني يعني روحاً يفخر بملوك اليمن. فقال عيّاش: ياأمير المؤمنين نحن بنو إسماعيل بن إبراهيم فملك إخوتنا بني إسحاق بن ابراهيم أعظم من ملكهم، ملك داود وسليمان مع النبوّة ونحن بنو اسماعيل ففينا النبوّة والملك، فملكنا وملك إخوتنا أعظم من ملكهم، والله ياأمير المؤمنين لو متّ ولم أدَع وارثاً لكان أبو الزعيرعة أولى بي من روح، فقام أبو الزعيزعة فقبّل رأس عياش وألقى عليه مطرفه فأُسكت روحٌ،

---

(١) سورة الاسراء رقم: ١٧ الآية رقم: ٨١

قال: قاد عياش بن الزبرقان إلى عبد الملك خمسة وعشرين فرساً، فلما نظر إلى الخيل نسب كل فرس منها إلى أبيه وحلف على كل فرس منها يمين غير اليمين التي حلف بها على الفرس الآخر، فقال عبد الملك: ماأعجب نسبته للخيل ولكن أعجبُ من حلفه على كل فرس بيمين غير الأخرى.

المدائني، قالوا: دخل أُسيلم بن الأخيف الأسدي على عبد الملك فأدناه ثم قال له: أنشدني بعض ماقيل فيك، فامتنع ثم أنشده:

[من الطويل]

ألا أيُّها الرّكبُ المجدّونَ هل لكم ... بسيّد أهل الشام تُحيوا وترجعوا

أُسيلمُ ذاكم ليس يخفى مكانُهُ ... على مُقلةٍ ترنو وأذنٍ تَسمَّعُ

جلا المسكُ والحمَّامُ والبيضُ كالدُّمى ... وفرقُ المداري رأسَهُ فهو أنزعُ

فضحك عبد الملك ثم قال: ماقال قيس بن الأسلت خير مما قلته، قال:

[من السريع]

خضّبتُ بالبيضَة رأسي فما ... أطعم نوماً غير تهجاع

وزعموا أن رجلاً من الأعراب أهدى إلى عبد الملك شيئاً، فقال له: كيف أقبل هديتك وأنا أظنك لا تحسن أن تطّاف[1]. فقال: مهلاً ياأمير المؤمنين، والله لأطيل المشي حتى أتوارى كراهة أن أُرى، واستقبل الريح وأشتمّ اليسير وأقدّم رجلاً وأؤخر أخرى وأُخوِّي[2] تخوية الظليم وأمسح بالحجر وأجتنب المَدر. فضحك وقبل هديته ووهب له[3].

---

(١) طاف يطوف طوفاً واطّاف اطّيافاً: تغوّط وذهب إلى البَراز.

(٢) الخَواء: خُلو الجوف من الطعام ـ اللسان ـ

(٣) وجاء في كتاب البيان والتبيين: ج: ٢ ص: ١٧٩، وقال أبو الحسن علّم أعرابي بنيه الخِرَاءة فقال: ابتغوا الخلاء وابعدوا عن الملا واعلوا الضرّاء واستقبلوا الريح. وافِجُّوا إفجاج النعامة وامتسحوا بأشمُلكم.

حدثني مصعب بن عبد الله الزبيري عن مالك بن أنس، قال:

قال عبد الملك بن مروان لسعيد بن المسيِّب: يابا محمد صِرت أعمل الخير فلا أُسرُّ فيه وأعملِ الشرَّ فلا أسلُه، قال: الآن تكامل فيك موت القلب.

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن مسلم بن جمّار عن عثمان بن حفص عن الزهريّ عن قبيصة بن ذؤيب بن حلحلة قال:

كنا في خلافة معاوية في آخرها نجتمع في حلقة في مسجد بالليل أنا ومصعب بن الزبير وعروة بن الزبير وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام وعبد الملك بن مروان وعبد الرحمن بن المسور بن مخرمة وإبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة.

وكنت أنا آتي زيد بن ثابت حتى مات، وكان عروة يغلبنا بدخوله على عائشة رضي الله عنها وكانت أعلم الناس.

المدائني قال: قال عبد الله بن الزبير وسمع رجلاً يشتم الحكم بن أبي العاص: لاتسبّ الحكم فإنه كان رجلاً وديعاً، ولكن سُبَّ مروان وابن مروان، ثم قال: أيخوّفني عبد الملك بالحرب وأنا ابن الحرب وأخوها فيها وُلدت وفيها غُذِّيت.

حدثني عبد الله بن صالح بن مسلم العجلي، أخبرني البقة عن مجالد عن الشعبي، قال:

دخلتُ على عبد الملك فصعّد فيّ بصره وصوّبه، ثم قال: ياشعبيّ إنك لضئيلٌ، فقلت: زُحِمت في الرحم يا أمير المؤمنين، وكان توءماً، قال: ثم أنشأت أقول متمثلاً:

[من الطويل]

لسان الفتى نِصفٌ ونصفٌ فؤادُهُ ... فلم يبقَ إلاّ صورةُ اللّحمِ والدَّمِ

وكائن ترى من صامتٍ لكَ مُعجبٍ ... زيادتُه أو نقصُهُ في التّكلّمِ

قال: وكان الأخطل حاضراً، فقال:

[من الكامل]

لايُعجبنَّكَ من جليسٍ خطبةٌ   حتّى يكونَ مع المقالِ أصيلا
إنَّ الكلامَ من الفؤادِ وإنّما   جُعلَ الكلامُ على العُقول دليلا

فأنشدته في هذا المعنى غير شعرٍ، فقال الأخطل: أنا أُفرّغ من وعاء واحد وأنت تفرّغ من أوعية كثيرةٍ،

خطباء أهل الشام يجعلون عبد الملك بمنزلة الأنبياء.

١٢٠ - المدائني عن ثور بن يزيد، قال: ذكرت خطباء أهل الشام الخلافة فعظّموها، ثم أطرد عبد الملك، فالتفت إلى عبد الرحمن الحميري، فقال: يابن زُرعة مامنزلتي عند الله؟ قال: أما ترضى أن تكون منزلتك منزلة داود النبي عليه السلام، قال الله عزّ وجلّ: ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى﴾[1] الآية، فهذا قول الله لنبيّه فكيف بك، فأطرق عبد الملك فلم يتكلّم.

المدائني، قال: دخل رجل من تميمٍ على عبد الملك، فقال: ياأمير المؤمنين إن لي بلاءً أصيبت عيني يوم الدار فوصله، وكان لرجل من جلساء عبد الملك وأحبّائه ابن عمّ أعور، فقال له: إني مُدخلك على أمير المؤمنين، فقل كما قال فلان التميمي وأراد أن يضحك عبد الملك منه فأدخله إليه، فقال كما قال الرجل الأول، فقال: ومن يعلم صدقك؟ قال: هذا يعني ابن عمّه، فقال: كذب والله ياأمير المؤمنين ماأُصيبت إلا يوم المرج مع الضحاك بن قيس، فطرده عبدُ الملك فقال الرجل الذي أدخله: ياأمير المؤمنين هذه وَرْطةٌ قد وقعتُ فيها، قال عبد الملك: وكيف؟ قال: إنّ له أربعة بنين كالأسود ماآمنهم أن يقتلوني، فأمر له عبد الملك بمالٍ وقال: كفّهم عن نفسك بهذا.

---

(١) سورة ص رقم: ٣٨ الآية رقم: ٢٦

فلما خرج من عند عبد الملك تلقّاه بنو الرجل، فقالوا: غرَرْت أبانا وغرّرت به، قال: لاتعجلوا فالذي صنعت خيرٌ، هذه صلة أمير المؤمنين فدفعها إلى أبيهم فكفّوا عنه.

المدائني، قال: قال عبد الملك لأبي الزعيزعة مولاهم: أُتخمت قطّ؟ قال: لا، قال: وكيف ذاك؟ قال: لأنا إذا طبخنا أنضجنا وإذا مضغنا أدققنا ولانَكِظ المعد ولا نخليها.

المدائني، قال: لما بلغ عبد الملك خروج ابن الأشعث قال لمحمد بن عُمير بن عُطارد وهو عنده: مَنْ بالعراق ممّن إن دعا أجيب؟ فقال: لا أعلمه إلاّ أن يكون عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث.

من أقوال عبد الملك وماقيل فيه:

١٢١ ـ وقال عبد الملك لابن له لحن بين يديه: اخزَ من اللحن كما تخزى من الفاحشة يعلمها الناس.

قال: وقال عبد الملك لعبد العزيز أخيه حين أمره بقتل عمرو بن سعيد الأشدق فلم يفعل: لقد أشبهت أمّك الأعرابية(١) البايلة على عقبيها، فحلف عبد العزيز أن لايعطي شاعراً يمدحه شيئاً حتى يذكر أمه في مديحه، فقال ابن قيس الرقيّات:

[من المنسرح]

أُمّـك بيضـاءُ من قُضـاعـةَ في ... البيت الـذي يُستـظلُّ في طُنُبـهْ

وأنت في الجـوهـر المُهـذَّب من ... عبـدِ منـافٍ وذاك في سَبَبـهْ

---

(١) هي ليلى بنت زبّان بن الأصبغ بن عمرو بن ثعلبة بن الحارث بن حصن بن ضمضم بن عدي ابن جناب بن هبل بن عبد الله بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رُفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة بن تغلب ابن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة. فهي من كلب وكلب من قضاعة فلذلك قال الشاعر: من قضاعة.

المدائني عن عبد الله بن فائد، قال: كان يقال معاوية أحلم وعبد الملك أحزم.

المدائني عن جويرية بن أسماء قال: كتب مروان إلى معاوية يسأله أن يصيّر إلى عبد الملك ديوان المدينة، فصيّره فلم يزل عليه حتى كانت الفتنة.

المدائني، قال: قال عبد الملك: مارأيت البريط[1] الأقنى الذي يذكرونه قطّ، فقال بعضهم: صدق لم يرتفع إلى البريط إذ رأى الطنبور. وقال آخر: كذب والله إني لأراه يضربُ به.

المدائني عن عبد الله بن سلم، قال: فُرش لعبد الملك على سطحٍ وهو يشتكي فمه، فلما استلقى على فراشه، قال: يادنيا ماأطيبك مع العافية وكان يبحّ حتى يُسمع بُحاحُه من خارج القصر ياأهل العافية لاتستقلّوها.

المدائني، قال: ركب عبد الملك في يومٍ شديد البرد وعليه جلباب خَزّ متظاهراً، فلقيه علي بن عبد الله بن عباس، فقال: ياباامحمد[2] ندقُّ أمْ دفرٍ دقّاً، يعني الدنيا فما أتت عليه إلا جمعة حتى مات.

المدائني عن سحيم بن حفص قال: أوصى عبد الملك بنيه في مرضه الذي مات فيه فقال:

أوصيكم بتقوى الله فإنها أزين حليةٍ وأحصن كهف، ليعطف الكبير منكم على الصغير، وليعرف الصغير حق الكبير، وانظروا مسلمة فاصدروا عن رأيه فإنه نابكم الذي عنه تفترّون ومجنّكم الذي عنه ترمون، واكرموا الحجاج فإنه الذي وطّأ لكم المنابر ودوّخ لكم البلاد، فأذلّ الأعداء، وكونوا بني أمّ بررةٍ لاتدبّ بينكم العقارب، وكونوا في الحرب أحراراً، فإن القتال لايقرّب منيّة قبل وقتها، وكونوا للمعروف مناراً فإن المعروف يذكر يبقى آخره وذُخره وذِكره، وضعوا معروفكم عند

---

(١) البَرْبَط: العود أعجمي ليس من ملاهي العرب فأعربته وهو من ملاهي العجم شبه بصدر البطّ.

(٢) أبو محمد هو علي بن عبد الله بن عباس، أبو محمد الباقر.

ذوي الأحساب فإنهم آمنون له وأشكر لما يُؤتى منه، وتغمّدوا ذنوب أهل الذنوب، فإن استقالوا فأقيلوا وإن عادوا فانتقموا.

المدائني عن إسحاق الزيادي، قال: قال بعض أطبّاء عبد الملك في مرضه: إن شرب الماء مات، فاشتدّ عطشه، فقال: ياوليد أسقني، قال: لاأعين عليك، فقال: يافاطمة اسقيني فقامت لتسقيه فمنعها الوليد، فقال له عبد الملك: لتدعنّها أو لأخلعنّك، فقال: لم يبق بعد هذا شيء، فسقته فخمد.

المدائني، قال: جعل عبد الملك يقول حين احتُضِرَ: إن بنيّ صبيةٌ صيفيّون أفلح من كان له ربعيون، إنّ بنيّ صبية صغارٌ أفلح من كان له كبارٌ، فقال عمر بن عبد العزيز وهو عنده: ﴿ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّىٰ * وَذَكَرَ ٱسمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴾[1] .

قالوا: ودخل الوليد على عبد الملك، وعند رأسه فاطمة ابنته وهي تبكي، فقال: كيف أمير المؤمنين؟ قالوا: هو صالح، فلما خرج قال عبد الملك:

[من الطويل]

ومستخـبرٍ عنّا يُريد أخا الـرّدى ... ومستخـبراتٍ والـدُّمـوعُ سَواجِمُ

قالوا: وكان عبد الملك يقول: أخاف الموت في شهر رمضان، فيه وُلدتُ وفيه فطمتُ وفيه جمعتُ القرآن وفيه بايع لي الناس. فمات للنصف من شوال حين آمن الموت في نفسه، وكان موته في سنة ست وثمانين وهو ابن ثلاث وستين بدمشق. وكانت ولايته بعد مقتل ابن الزبير ثلاث عشرة سنة وثلاثة أشهر وخمسة عشر يوماً، وَدُفن خارج باب الجابية بدمشق وصلّى عليه الوليد فتمثل هشام أو سليمان:

[من الطويل]

فما كانَ قيسٌ هُلكُـه هلكُ واحـدٍ ... ولـكـنّـه بنـيانُ قومٍ تَهدَّمـا

---

(١) سورة الأعلى رقم: ٨٧ الآيتان رقم: ١٤، ١٥

فقال له الوليد: اسكت فإنك تتكلم بلسان شيطان، ألا قلت كما قال أوس بن حَجَر:

[من الطويل]

إذا مُقرمٌ منّا ذَرَى حدُّ نابِهِ   تخمَّطَ مِنّا نابُ آخرَ مُقرمُ

قال: عندي أن سليمان المتمّثل بالبيت الأول، لأن هشاماً كان يوم مات أبوه ابن أربع عشرة سنة، ولد عام قُتل مصعب.

قالوا: ولما أخرج عبد الملك احتزم الوليد ومشى بين يدي سريره، وكان في طريقهم إلى المقابر دار ان اختُرِقت كان الطريق أقرب إلى القبر، فأمر الوليد بهدم الدار قبل أن تخرج الجنازة فهُدِمت، وخطب الوليد حين رجع من الجنازة، فقال:

بعد أن حمد الله وأثنى عليه، لم أرَ مثلها مصيبة، ولم أر مثله ثواباً فإنا لله وإنا إليه راجعون لعظم المصيبة، والحمد لله على حسن العطيّة، إني قد كُفِيت ماكانت الخلفاء قبلي تتكلم به، فمن كان في قلبه حقدٌ فليمت بدائه من أمال أذنه أملنا رأسه.

وقال الشاعر يرثي عبد الملك:

[من الطويل]

شفاكَ ابن مروانٍ من الغيثِ مسبلٌ   أحشُّ سماليٌّ يجودُ ويَهطِلُ
فما في حياةٍ بعد موتكَ رغبةٌ   لِحُرٍّ وإن كان الوليدُ يؤمَّلُ

ورثاه كُثيّر وغيره.

بسم الله الرحمن الرحيم

خبر رستقاباذ في أيام عبد الملك، وولاية الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل العراق

١٢٢ - حدثني عباس بن هشام عن أبيه عن لوط بن يحيى وعن عوانة:

أن بشر بن مروان هلك بالبصرة وهو على الكوفة والبصرة، واستخلف خالد ابن عبد الله بن خالد بن أَسِيد بن أبي العيص على البصرة. فمكث نحواً من شهرين ثم ولّى عبدُ الملك الحجاج بن يوسف العراق كلّه غير خراسان وسجستان فإنه كان عليها أميّة بن عبد الله بن خالد بن أَسِيد، فأقرّه عبد الملك سنتين بعد قدوم الحجاج من الحجاز، وأبى عبد الملك أن يقرّ خالداً على عمله وكُلّم في ذلك فلم يجب إليه، وقال: أساء التدبير وعجز عن العدو وضَعُف عن أهل المصر.

فقدم الحجاج من الحجاز وكان والياً عليه، فأقبل حتى دخل الكوفة متلثّماً فقصد إلى المنبر فصعده، ثم جلس ساعة لايتكلّم، فقال محمد بن عُمير بن عُطارد للهيثم بن الأسود: ماله ترّحه[1] الله لايتكلم، ماأعياه وأشياه وأدمّه[2]، والله إني لأظنّ خبره أسوأ من مَرآته ثم أخذ كفّاً من حصى ليحصبه به، فلم يفعل حتى قام الحجاج فحسَر نقابه ثم قال:

[من الوافر]

أنا ابنُ جَلا وطلّاع الثّنايا ... متى أضعِ العِمامةَ تعرفوني[3]

إنّي لأرى رؤوساً قد أينعت وحان قطافها، قد شمّرت عن ساقها فشمّري، ليس هذا حين أوان عشك فادرجي.

---

(١) التَّرَحُ: نقيض الفرح وترّحه: أحزنه.

(٢) الشوّي: هو الشيء اليسير الهَيّن. الدّمّة: الرجل الحقير القصير.

(٣) من قصيدة لسحيم بن وثيل الرياحي رواها الأصمعي في الأصمعيات وهو صاحب المعاقرة مع غالب بن صعصعة جدّ الفرزدق. ص: ١ ط دار المعارف.

[من الرجز]

هذا أوانُ الشـدِّ فاشتَـدّي زِيَمْ — قد لفَّهـا الليلُ بسَـوَّاقٍ حُطَم[1]

ليس براعـي إبـلٍ ولا غنـمْ — ولا بجـزّارٍ على ظَهـرَ وَضـم[2]

قد لفَّهـا الـلَّيلُ بعـصـلبيِّ — مُهـاجـرٍ ليسَ بأعـرابيِّ

إني والله ياأهـل العـراق لاأحلقُ إلّا فريت، ولا أعـدُ إلّا وفيت، والله إني لأحمل الشرّ بثقله وأحذوه بنعله وأجزيه بمثله، إن الله ضرب مثلاً: ﴿ قَرِيَةً كانَتْ ءَامِنَـةً مُطْمَئِنَّـةً يأتِيهـا رِزقُها رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفرَت بِأنعمُ اللّهِ فأذاقَهَا اللّهُ لِبَاسَ الجُوعِ والخَوفِ بِمَا كانُوا يَصنعُونَ﴾[3] فأنتم أولئك وأشباه أولئك فاستوثقوا واستقيمـوا ولاَ تميلوا فقـد بينّ الصبـح لذي عينـين. والله لأمرينكّم بالهوان حتى تدوروا ولأعـصـبنكّم عَصبَ السَّلمـة[4] ولأقـرعنكّم قرع المـرُّوة[5] حتى تلينـوا ولأضربنكّم ضرب غرائب الإبل حتى تنقادوا، إنه والله مايقعقع لي بالشنان[6] ولا أغمز تغماز التين ولا أجلس على الدُبَر. إني امرؤٌ فُررتُ عن ذكاء وجَريت إلى الغاية

---

(١) الـرجـز لرشيد بن رميض العنزي يقوله في الحطم وهو شريح بن ضبيعة وكان غزا اليمن فغنم وسبى وأخذ في طريق مفـازة فنهـاه الدليل وهرب وهلك منهم ناس وجعل الحطم يسوق بأصحابه سوقاً عنيفاً حتى نجوا وورد الماء ـ الأغاني واللسان ـ

(٢) وَضَمْ: الوَضَم كل شيء يوضع عليه اللحم من خشب أو بارية يُوقى به من الأرض ـ اللسان ـ

(٣) سورة النحل رقم: ١٦ الآية رقم: ١١٢

(٤) السَّلَمَـة: شجرة من العضاة ذات شوك وورقها القرظ الذي يدبغ به الجلد ويعسر خرط ورقهـا لكثـرة شوكهـا فتعصب أغصانها ويشد بعضها إلى بعض بحبل شداً شديداً. ثم يهصرها الخابط إليه ويخبطها بعصاه فيتناثر ورقها للماشية ـ اللسان ـ

(٥) المَرْوُ: حجارة بيض براقة تكون فيها النار تقتدح منها النار. واحدتها مَروة ـ اللسان ـ

(٦) الشن والشنـة المهـتري من كل آنية صنعت من جلد وجمعها شنان والتشنن اليبس، وكان يقعقع بها عند اليبس لتذعر الإبل ـ اللسان ـ

وانتُضيت عن تجربة. إن أمير المؤمنين عبد الملك نكث كنانته ونثلها بين يديه وعجم عيدانها فوجدني أمرّها معجماً وأشدّها مكسراً فوجّهني إليكم ورمى بي في نحوركم، فإنكم أهل بغي وخلاف وشقاق ونفاق طال ماأوضعتم في الضلال وسننتم سنن الغيّ، تسائلون ماذا قال أميركم وماذا يقول وهاه وهاه، وإياي وهذه الزرافات والجماعات وكان ويكون وماأنتم وذاك، إني أرى الدماء بين العمائم واللّحى، والذي نفس الحجاج بيده لتسلكنّ طريق الحق ولتستقيمنّ عليها أو لأجعلنّ لكل امرىء منكم شغلاً في جسده، فاقبلوا الإنصاف ودعوا الإرجاف وقول القائل منكم أخبرني فلان عن فلان، قبل أن أوقع بكم إيقاعاً يترك النساء أيامى[1] والولدان يتامى فلتقلعوا وقد جنبتم العافية وغبنتم حظوظكم من السلامة، ألا ولا يركننّ رجل إلا وحده ولا يحفظنّ إلا نفسه.

فقال محمد بن عُمير: لله أبوه لقد كدنا نقع منه في شر، وجعل الحصا يتناثر من بين أصابعه.

١٢٣ ـ وقال المدائني في إسناده: قدم الحجاج في سنة خمس وسبعين في رجب، فبدأ بالكوفة فخطب أهلها وتوعّدهم وأرسل إلى الوجوه وإلى كثير من العامة، فقال: أخبروني عن الولاة قبلي ماكانوا يعاقبون به العصاة؟ قالوا: الضرب والحبس، قال: لكني لا أعاقبهم إلا بالسيف. إن المعصية لو شاعت لأهلها ماقُتل عدو ولا جُبي فيء ولا عزّ دينٌ ولو لم يغز المسلمون المشركين لغزاهم المشركون، وقد أجّلتكم ثلاثاً فمن وجدته بعد ثالثة من جيش عبد الرحمن[2] بن مخنف فبرئَت منه الذمّة، وقال ليزيد بن علاقة السكسكي[3] صاحب شُرطه: اجعل سيفك سوطاً

---

(١) الأيامى: المرأة إن لم تتزوج أو طلقت أو مات عنها زوجها تسمى أيمه.

(٢) عبد الرحمن بن مخنف كان على أهل البصرة في جيش المهلب بن أبي صفرة في حرب الخوارج ـ الطبري ـ

(٣) السكسكي: نسبة إلى السكاسك بطن من كندة وهو السكسك بن أشرس بن كندة. ويوجد الآن قرية في جنوب لبنان إسمها السكسكية وربما سميت لنزولهم بها والله أعلم.

فمن وجدته بعد ثالثة عاصياً فاقتله.

وقيل إن الحجاج قال في خطبته:

[من الرجز]

جاءت به والـقُـلصُ الأعـلاط تهوي هُوِيَّ سابِـقِ الـغَـطاط

ليس هذا أوان عشك فادرجي.

حدثني عبد الله بن صالح العجلي عن ابن كناسة الأسدي، قال: وحدثنا أشياخنا قالوا:

قدم الحجاج الكوفة فخطب خطبته التي توعّد الناس فيها، ثم قال: إياي وهذه الجماعات والزرافات والأخبار والاستخبار وسوء الأراجيف لايركننّ أحد منكم إلا وحده ولايخافنّ إلا ذنبه، إنه لو شاعت لأهل المعصية معصيتهم ماجُبيَ فيء ولا قوتل عدو ولعطّلت الثغور وأُهملت الأمور، ولولا أنكم تغزون كرهاً ماغزوتم طوعاً وقـد بلغني رفضكم للمهلب وإقبالكم إلى مصركم عصاة مخالفين. واقسم بالله لا أجـدُ أحـداً بعد ثالثة ممّن أخلّ بمركزه إلا ضربت عنقه، ثم دعا بالعرفاء، فقال لهم: القوا الناس بالمهلب وأتوني بكتبه بموافاتهم ولا أستبطأنكم فأضرب أعناقكم.

فلما كان اليوم الثالث من مقدمه سمع في السوق تكبيراً عالياً، فصعد المنبر فقال: ياأهل العراق ياأهل الشقاق والنفاق ومساوىء الأخلاق، إني سمعت تكبيراً ليس بالتكبير الذي يراد به الله في الترغيب ولكنه تكبير يراد به الترهيب وقد عرفت أنها عجاجة تحتها قاصف، أيا بني اللكيعة وعبيد العصا وأبناء الأيامى، ألا يربع أحدكم على ظلعه ويُحسن حمل رأسه ويحقن دمه ويبصر موضع قدمه، فأقسم بالله ليُوشك أن أوقع بكم وقعة تكونون بها نكالاً لما قبلها وأدباً لمن بعدها، فقام عُمير بن ضابىء التميمي ثم البرجمي فسأله أن يقبل منه بديلاً، وكان وطىء على بطن عثمان وهو مقتول فقدّمه فضرب عنقه.

قالوا: ولقي رجل أعرابياً من بني تميم فقال: ماالخبر؟ قال: قدم الكوفة رجل من شر أحياء العرب من هذا الحيّ من ثمود[1] حمش الساقين ممسوخ الجاعرتين أخفش العينين فقدّم سيّد الحيّ فضرب عنقه.

وقال ابن الزّبير لإبراهيم بن عامر الأسدي:

[من الطويل]

أقولُ لإبراهيمَ لمّا لقيتُهُ ... أرى الأمرَ أمسى مُنصباً مُتشعِّبا

تحرّر فأسرع والحقِ الجيشَ لاأرى ... سوى الجيشِ إلاّ في المهالِك مَذهبا

تخيّر فإمّا أن تزور ابن ضابىءٍ ... عُميراً وإمّا أن تزورَ المهلَّبا

هما خطتا سوءٍ نجاؤك منهما ... ركوبُك حولياً من الثّلجِ أشهبا

فأمسى ولو كانت خراسانُ دونهُ ... رآها مكانَ السوقِ أو هيَ أقربا

قالوا: وأتى الحجاج بعاص من بني سعد. فقال: أما سمعت جريراً يقول:

[من الوافر]

إذا ظفرت يداهُ بحبلِ عاصٍ ... رأى العاصي من الأجلِ اقترابا

ثم أمر به فضُربت عنقه.

وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى: كان الحجاج يفرض في ثلاثمئة ففرض للجرنفش أحد بني ثعلبة بن سلامان وكان يأخذ من فرض له بفرس جواد وسلاحٍ شاكٍ. فقال الجرنفش:

[من الطويل]

يكلّفني الحجاجُ درعاً ومغفراً ... وطِرقاً كميتاً رائعاً بثلاثِ

وستين سهماً صنعةً يثربيّةً ... وقوساً طروحَ النّبل غيرَ إباثِ

ففي أيِّ هذا أجعلنَّ دراهمي ... فريّ من هذا الحديثِ غياثي

---

(١) كان بعضهم ينسب ثقيف إلى ثمود وكان ردّ الحجاج على ذلك قول الله تعالى: وثمود فما أبقى.

المدائني عن سحيم بن حفص قال: كان قدوم الحجاج الكوفة يوم جمعة، فخطب ونزل وصلى وقرأ ﴿ سَأَلَ سائِلٌ بِعذَابٍ وَاقِعٍ ﴾[1] وقال في خطبته: أقسم بالله لتقبلُنّ الإنصاف ولتتركُنّ الإرجاف وكان وكان وأخبرني فلان عن فلان والهبر ما الهبر لأهبرنّكم بالسيف هبراً يدع النساء أيامى والولدان يتامى وحتى يمشوا السمهى[2] ويقلعوا عن هاه وهاه، وإياي وهذه الزرافات والجماعات.

وقال أبو مخنف: لما خطب الحجاج خطبته أمر مناديه فنادى: أن بُرّئت الذمّة من عاص مُخلٍّ بمركزه وجدناه بالكوفة بعد ثلاث، فالحقوا ببعث المهلب وبمكاتبكم من الثغور ومغازيكم للخوارج.

وجاءه عُمير بن ضابىء بن الحارث بن أرطاة البرجميّ من بني تميم، فقال: أصلح الله الأمير إني شيخ كبير عليل وهذا ابني حنظلة. وليس في بني تميم رجل أشدّ منه ظهراً وبطشاً، فإن رأيت أن تخرجه مكاني بديلاً فافعل، فقال الحجاج، والله لهذا خير لنا من أبيه، فقال له عنبسة بن سعيد أخو عمرو بن سعيد الأشدق، وكان أليف الحجاج وجليسه: هذا الذي فعل بعثمان كذا وكذا وحدّثه حديث ضابىء وأنشده شعره وقد كتبناه في خبر مقتل عثمان، فقال الحجاج فهلا بعثت حين أردت غزو عثمان بديلاً، اضربوا عنقه فلما ضُربت عنق عمير تطايرت عصاة الجيوش إلى مكاتبهم التي رفضوها، ولم يبق من أصحاب المهلب أحد إلا لحق به، وكان بإزاء الخوارج برامهرمز من الأهواز فركبوا إلى العراض حتى عرفوا حضورهم وعرضوهم ولحق كل مخلّ منهم بثغره ومركزه، وقال عبد الله بن الزَّبير الأسدي:

[من الطويل]

تخيّر فإما أن تزورَ ابنَ ضابىءٍ	عُميراً وإما أنْ تزورَ المهلّبا
هما خطّتا سوءٍ نجاؤك منهما	ركوبُك حَوليّاً من الثلج أشهَبا

---

(١) سورة المعارج رقم: ٧٠ الآية رقم: ١

(٢) سمه البَعيرة والفرس: جرى جرياً ولم يعرف الإعياء ـ اللسان ـ

فجـاء ولـو كانت خراسـانُ دونَـه رآهـا مكـانَ السـوقِ أو هيَ أقربا

وكان الحجاج أول من ضرب أعناق العصاة. ثم خرج الحجاج إلى البصرة فولاها الحكم بن أيوب بن الحكم بن أبي عقيل وخطب فقال: إن العوان لاتُعلَّم الخِمرَة[1] فالزموا الطاعة تحسن لكم العائدة، ومن كان بالبصرة من جيش المهلب فليلحق به فإني إن وجدت منهم أحداً بعد ثالثة ضربت عنقه، فأتاه شَريك بن عمـرو اليشكـري[2] وكـان به فتقٌ وكـان أعـور يضـع على عينـه قطنـة فلقّب ذا الكُـرسُف، فقـال له: أصلح الله الأمير إني عُرِضت على بِشر بن مروان فأمر العرّاض أن يوقعوا على اسمي زَمِناً[3] وأعطوني فهذا عطائي قد جئتك به لتردّه إلى بيت المال فقال الحجاج:

[منَ الرجز]

إنّ لها لسـائـقـاً عَشَـنـزَرا[4] على نواحـيهـا مِزخّـا مزجـرا

إذا ونينَ وَنيَةً تَغشْمرا[5]

ثم أمر به فضُربت عنقه لاستعفائه، وكان عريفاً فلم يبق بالبصرة عاص إلا لحق بالمهلب وبمكتبه، وقيل إن الحجاج أنشد هذه الأبيات:

إن لها لسائقاً. .

بالكوفة في خطبته بها، وقال الفرزدق، ويقال كعب الأشقري:

---

(١) إن العَوان لاتُعلَّمُ الخِمْرَة: الخِمرة من الخِمار وهذا المثل يعني أن المرأة المجربة لا تعلم كيف تفعل ـ اللسان ـ

(٢) اليشكري: بطن من قبيلة بكر بن وائل وهو يشكر بن بَكر بن وائل.

(٣) زَمِن: الزَّمانة: العاهة ـ اللسان ـ

(٤) العشنزر: الشديد الخَلق العظيم من كل شيء ـ اللسان ـ

(٥) الغشمرة: التهضم في الظلم والأخذ من فوق من غير تثبت وإتيان الأمر من غير تثبت ـ اللسان ـ

[من الطويل]

لقد ضَرب الحجّاجُ بالمِصر ضرَبةً   تقرقَر منها بطنُ كُلِّ عريفِ[1]

وبلغ المهلب خبر الحجاج، فقال: لقد أتى القوم والٍ ذكرٌ.

١٢٤ ـ خروج الحجاج إلى رستقاباذ[2].

المدائني، قال: كان الحجاج يغدي الناس إذ أتى قوم من بني سُليم برجلٍ، فقالوا: هذا عاص، فقال: والله ماشهدت عسكراً قطّ ولا أثبت لي اسم قط في ديوان، وإنما أنا نسّاج فضرب عنقه، فأمسك الناس عن الطعام، فقال الحجاج: مالي أراكم قد اصفرّت وجوهكم وخلت أيديكم من قبل رجل واحد، والله إن الذئب يكنى أبا جعدة، وإنه من لايذد عن حوضه يُهدّم.

وخرج الحجاج إلى رستقاباذ ومعه أهل الكوفة وأهل البصرة وبين رستقاباذ والأهواز ثمانية فراسخ وبينها وبين المهلب حينئذٍ ثمانية عشر فرسخاً، وإنما أراد أن يشدّ ظهره وظهور أصحابه بمكانه وأن لا يبرح حتى يهلك الله الخوارج، وبعث بالعراض إلى المهلب برامهرمز، فقال الشاعر:

[من الكامل]

قل للمهلَّبِ قد أتتكَ معاشِرٌ   حُشِروا إليك كحشرِ أهلِ البَرزَخِ

طاروا إليكَ برأسِ كلِّ طمرَّةٍ   جرداءَ تحملُ كلَّ قِرمٍ أبلَخِ

إني أرى الحجاجَ يَقطَعُ أذرُعاً   بأكفِّها ورؤوسِ قومٍ شُدَّخِ

أخَذَ البريءَ بما جناهُ عشيرُهُ   إنَّ السعيدَ هناكَ مَنْ لم يلطخِ

---

(١) كان عبد الملك بن مروان أوصى الحجاج عندما ولاه الكوفة أوصاه فقال له: اضغط الكوفة ضغطة تحبق منها البصرة.

(٢) رُسْتَقُباذ: من أرض دَسْتُوا ـ معجم البلدان ـ

أودى عُمـيرٌ والـسَّـبيلُ سبيلُهُ قُل للعُصــاةِ تخزري أو دربخي[1]

وقال سوّار بن المُضَرِّب أحد بني ربيعة بن كعب بن سعد[2] وكان عاصيا:

[من الطويل]

أقــاتــلي الحـجــاجُ إن لم أزُر لهُ درابَ وأتــرك عِنــدَ هِنــدٍ فُؤاديا

يريد درابجرد[3].

إذا جاوزتْ قصر المـجيزينَ يافَتى فَبــاستِ أبي الحجــاجِ لَمّا ثنــانيا

فإن كنـتَ لايرضـيك حتّـى تردَّني إلى قَطريٍّ[4]مــاأخــالــكَ راضيا

أتـرجـو بنو مروان سمعي وطاعتي ودوني تميمٌ والـفـلاة أمـامـيا

المجيزون كانوا يحفظون الطريق ويجيزون السابلة ولهم قصر بسفوان البصرة يعرف بهم كانوا ينزلونه.

قالوا: وقام الحجاج برستقاباذ حين نزلها خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه. ثم قال: ياأهل المصرين هذا المكان والله مكانكم جُمعة بعد جمعة وشهراً بعد شهر وسنة بعد سنة حتى يهلك الله هؤلاء الخوارج المطلّين عليكم فقال له الناس: ولم تحبسنا أصلح الله الأمير بهذا المكان، سِرْ بنا إلى هؤلاء الكلاب، فما هم إذا اجتمع أهل المصرين عليهم بشيء.

ودخل عليه الوجوه ذات يوم فرأى الهذيل بن عمران بن الفُضيل البرجمي وكان من أشراف أهل البصرة وكان ينادم بشر بن مروان وكانت له منه منزلة، وهو يجرّ ثوبه فقال له: ياهذيل ارفع ثوبك فقال: إن مثلي أيها الأمير لايقال له هذا

---

(١) دربخ: دربخت الحمامة لذكرها: خضعت له وطاوعته للسفاد وكذلك الرجل إذا طأطأ رأسه وبسط ظهره ـ اللسان ـ

(٢) ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم.

(٣) دَرَابجرد: كورة بفارس نفيسة ـ معجم البلدان ـ

(٤) قطري بن الفجاءة رئيس الخوارج وهو الذي يحاربه المهلب.

القول، فقال الحجاج: بلى والله وتُضرب عنقه. فخرج الهذيل وهو يقول: قاتله الله جدياً ماأتيهه في نفسه. وفي الهذيل يقول الشاعر:

[من الرجز]

ياأيُّها السائلُ في الرفاقِ إن هُذيلاً سيّدُ العراقِ

١٢٥ ـ خروج عبد الله بن الجارود على الحجاج.

ثم إن الحجاج خطب يوماً، فقال: إن الزيادة التي زادكم إياها ابن الزبير إنما هي زيادة ملحد منافق فاسق ولسنا نجيزها. وكان مصعب قد زاد الناس مئة مئة في العطاء. فقال له عبد الله بن الجارود واسم الجارود بشر بن عمرو بن حنش ابن المعلى العبدي[١] : أيها الأمير ليست بزيادة ابن الزبير إنما هي زيادة أمير المؤمنين عبد الملك إذ أنفذها وأجازها وجرّت لنا على يد بشر بن مروان أخيه، فقال له الحجاج: ماأنت والكلام، لتحسننّ حمل رأسك أو لأسلبنّك إياه فقال: ولم والله إني لك لناصح وإن قولي هذا لقول مرواني.

فنزل الحجاج ومكث أشهراً لايذكر الزيادة ثم أعاد القول فيها فردّ عليه ابن الجارود مثل رده الأول فقام مصقلة بن كرب بن رقبة بن خوتعة العبدري[٢] وهو أبو رقبة بن مصقلة الذي يتحدث عنه أي يروى عنه الحديث فقال: ليس للرعيّة أن تردّ على راعيها وقد سمعنا ماقال الأمير فسمعاً وطاعة فيما أحببنا وكرهنا. فقال له

---

(١) العبدي: أي من عبد القيس وهو عبد الله بن بشر (الجارود) بن عمرو بن حنش بن الحارث (المعلى) بن زيد بن حارثة بن معاوية ابن ثعلبة بن جُذيمة بن عوف بن بكر بن عوف بن أنمار بن عمرو بن وديعة بن لُكيز بن أفصى بن عبد القيس، مشجرات ابن الكلبي في الجمهرة مشجره: ١٦٨ و ١٦٩.

(٢) العبدري: هكذا جاء في المخطوطين وهو خطأ وصحته العبدي كما جاء في سير أعلام النبلاء: ج: ٦ ص ١٥٦ والكامل في التاريخ: ج: ٥ ص ٣٧٧ وتهذيب الكمال: ٤٣٠ وتذهيب التهذيب: ج: ١ ص: ٢٢٧

عبد الله بن الجارود يابن الجرمقانية ومأأنت وماهاهنا ومتى كان مثلك يتكلم وينطق في مثل هذا؟

وأتى الوجوهُ عبْد الله بن الجارود فصوّبوا قوله ورأيه في رده على الحجاج وإبائه ماأتى به، فقال له الهذيل ابن عمران البرجمي وعبد الله بن حكيم بن ذياد[1] المجاشعي وغيرهم: نحن معك ويدك وأعوانك إن هذا الرجل غير كاف أو ينقصنا هذه الزيادة فهلم نبايعك على إخراجه من العراق، ثم نكتب إلى عبد الملك نسأله أن يولّي علينا غيره فإن أبى خلعناه فإنه هايب لنا مادامت الخوارج. فبايعه الناس سرّاً وأعطوه المواثيق على الوفاء وأخذ بعضهم على بعض العهود. وبلغ الحجاج ماهم فيه ففرّق أخماس البصرة وأرباع أهل الكوفة وجعل بينهم طرقاً وصيّر فيها حرساً وأحرز بيت المال والناس في أمرهم فلما استتبَّ لهم أمرهم أظهروه وذلك في شهر ربيع الآخر سنة ست وسبعين.

وأتى عبدُالله بن الجارود عبدَ القيس فأخرجهم على راياتهم وخرج الناس معه حتى بقي الحجاج وليس معه إلا خاصته وأهل بيته.

وقال المدائني: كان خروجهم قبل الظهر، فقال رجل من عجل لعبد الله بن الجارود:

[من الرجز]

أخلِق بعبدِ الله أن يسُوسا	وأن يقود جحفلاً خميسا
أهلَ العراقينِ الكرامَ الشوسا	ويخلعوا الخليفةَ المتعُوسا

---

(١) ذياد: هكذا جاء في أصل المخطوطين بالذال المعجمة ولم أعرف آخر بالذال غير هذا وقد جاء في الكامل لابن الأثير بالزال المعجمة وفي كتاب جمهرة النسب لابن الكلبي من تحقيقي بالزال خطأ وصحح في المشجرات المشجرة رقم: ٦١ وفي أصل مخطوط الجمهرة ومخطوط مختصر الجمهرة بالذال المعجمة.

إذ قلّدوا أمرهُمُ الرّبيسا أكرم بهِ من قائدٍ قدموسا[1]

نحن قتلنا مُصعباً وعيسى وكم قتلنا منهمُ بئيسا[2]

وقطع ابن الجارود ومن معه الجسر، وكانت خزائن الحجاج من ورائه وغلبوا على السلاح وأرسل الحجاج أعين صاحب حمّام أعين. وهو في قول ابن الكلبي مولى بشر بن مروان وفي قول أبي اليقظان مولى سعد بن أبي وقّاص إلى عبد الله ابن الجارود. فأتى الصفّ فردّ فقال: إنما أنا رسول. فأذن له فقال: أجبْ الأمير، فقال ابن الجارود: ومن الأمير ولا نعمة عين لابن أبي رغال[3] وليخرج عنا مذموماً مدحورا، وإلّا قتلناه، فقال أعين: أما إذا لم تجبه فإنه أمرني أن أقول لك: أتطيب نفساً بقتلك وقتل أهل بيتك وعشيرتك. والذي نفس الحجاج بيده لئن لم تأتني لأدعنّ قومك عامةً وأهل بيتك خاصة كأمة قد بادت وحديثاً للغابرين.

وكان الحجاج قد حمّل أعين هذه الرسالة وقال له: إن لم يأتني فأدّها إليه، فقال ابن الجارود لأعين: يابن الخبيثة لولا أنك رسول لضربت عنقك. وأمر فوجىء في عنقه وأخرجوه.

قالوا: واجتمع الناس لابن الجارود، فأقبل بهم زحفاً نحو الحجاج وكان رأيهم أن يخرجوه عنهم ولا يقاتلوه، فلما صاروا إليه انتهبوا مافي فسطاطه وأخذوا ماقدروا عليه من متاعه ودوابه، وجاء أهل اليمن حتى احتملوا امرأته ابنة النعمان

---

(١) القدموس: الصخرة العظيمة، والمتقدم وقيل هو السيد والربيس: الشجاع من الرجال ـ اللسان ـ

(٢) البائس: المبتلي وقد بَؤسَ بأسَةً وبئيساً ـ اللسان ـ

(٣) ابن أبي رغال: يعني الحجاج، والرغلة كالقلفة التي تقطع من الذكر عند الختان وكان أبو رغال دليلاً للحبشة حين توجهوا إلى مكة فمات في الطريق بين مكة والطائف فقبره يرجم حتى الآن.

ابن بشـير الأنصـاري، وجـاءت مضر فاحتملوا امرأته الأخرى أم سلمة بنت عبد الرحمن بن سهل بن عمرو القرشي أخي سهيل فحصّنوها مخافة السفهاء. وقال ابن الكلبي وأبـو اليقـظان: هي أم سلمة بنت عبد الرحمن بن عمرو بن سُهيل أخي سَهل وكانت عند الحجاج ثم خلف عليها الوليد بن عبد الملك ثم سليمان بن عبد الملك ثم هشـام. ثم إن القـوم انصرفـوا عن الحجـاج وتـركوه وأتاه قوم من أهل المصرين فصاروا معه مستوحشين من محاربة السلطان ومخالفته فجعل الغضبان بن القبعثري الشيباني[1] يقول لعبد الله بن الجارود تعشّ بالجدي قبل أن يتغدّى بك، أما ترى من قد أتاه منكم ولئن أصبح ليكثرن ناصره ولتضعفن حدّتكم، فقال: قد قرب المساء ولكنا نعاجله بالغداة.

وكـان مع الحجـاج عثـمان بن قَطن بن عبد الله الحارثي[2] وزياد بن عمرو العتكي[3] وكان زياد على شرطه بالبصرة فقال لهما: ماتريان؟ فقال زياد: أرى أن آخذ لك من القوم أماناً وتخرج حتى تلحق بأمير المؤمنين فقد انفض جمهور الناس عنك ولا أرى لك أن تقاتل بمن معك ولا أحب أن تضع نفسك وتهلكها. فقال عثـمان بن قطن: لكني أرى (غـير) ذلـك. إن أمـير المؤمنـين قد أشركك في أمره وخلطك بنفسـه واستنصحـك وسلّطك وملكـك فسرت إلى ابن الزبير وهو أعظم

---

(١) الغضبان بن القبعثري بن هوذة بن عباد بن عمرو بن ثعلبة بن أسعد بن همّام بن مرّة بن ذُهل بن شيبان بن ثعلبة بن عُكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل الجمهرة ويراجع في قصصه مروج الذهب للمسعودي. ط: دار الفكر بيروت ج: ٣ ص: ١٥٧.

(٢) الحارثي: قبيلة الحارث بن كعب بن عمرو بن عُلة بن جلد بن مالك (مذحج).

(٣) العتكي: بطن من قبيلة الأزد. وهو العتيك ابن الأسد بن عمران بن عمرو (مزيقياء) بن عامر (ماء السماء) بن حارثة (الغطريف) بن امرىء القيس (البطريق) بن ثعلبة (البهلول) ابن مازن (النزاد) بن دره (الأزد) منهم المهلب بن أبي صفرة ـ نسب معد واليمن الكبير المشجرة رقم: ٧٥ .

الناس خطراً فقتلته فولّاك الله شرف ذلك وسناه وذخره وأجره، وولّاك أمير المؤمنين الحجاز ثم رفعك إلى ولاية العراقين أفالآن حين جريت إلى المدى وأصبت الغرض الأقصى وهابتك العرب تخرج على قَعود[1] تداوى يوجف بك إلى الشام. والله لئن فعلتها لانلت من عبد الملك مثل الذي أنت فيه من السلطان أبداً وليتضعنّ شأنك ولتسقطنّ عنده ولتهونن على عدو. ولكني أرى أن نمشي بسوقنا معك فنضارب هؤلاء القوم حتى نلقى ظفراً أو نموت كراماً.

فقال الحجاج: قرعتني بها في قلبي قرعاً، الرأي مارأيت فحفظ هذه لعثمان بن قطن واحتمل تلك على زياد بن عمرو.

وقال المدائني عن أبي اليقظان: إن عثمان أشار عليه بالقتال وإن عبد الرحمن بن عبيد بن طارق العبشمي[2] وكان على شرطه قال له: إنا نحن في عصبة وقد حيل بيننا وبين السلاح، فقال له: إن القليل الطيب خير من الكثير الخبيث وكثير ماينصر الله القليل على الكثير.

قالوا: وأتى الحجاج عامرُ بن مِسمَع فقال: إني قد أخذت لك من الناس أماناً فجعل الحجاج يرفع صوته ليسمع الناس فيقول: والله لا أُؤمنهم أبداً حتى يأتوا بالهذيل وعبد الله بن حكيم فإنهما سعّرا هذه الفتنة، ودعا الحجاجُ ابنَ العزِق مولاه فقال له: ائت عبيد بن كعب النميري وكان على خمس أهل العالية فقل له: هلمّ إليّ فامنعني. فقال له: قل له إنِ أتيت إليّ منعتك فقال: لا والله ولا كرامة. وبعث إلى محمد بن عُمير بن عُطارد بن حاجب بن زُرارة بن عُدس فقال له مثل ذلك. فقال ابن عمير: إن أتاني منعته. فقال: إنه لايأتيك ولكنك تأتيه في قومك،

---

(١) القَعُود من الإبل: مااتخذه الراعي للركوب وحمل الزاد والمتاع - اللسان -

(٢) العبشمي: أي من بني عبد شمس بن عبد مناف القرشي.

قال: لاناقة لي في هذا الأمر ولا جمل، ثم أرسل إلى عبد الله بن حكيم المجاشعي وهـو رأس تميم يسـألـه النصر، فقال مثل قول أصحابه يأتيني وقال له سُحيم بن شُعيب الحنفي: إن شئت أخـذنا لك أماناً فلحقت بصاحبك، فلم يجبه الحجاج بشيء وقـال: إن تكلم أو تحرّك فاضربـوا عنقـه. ثم تكلم الحجاج رافعاً صوته، فقال: إن هؤلاء القوم أرسلوا إليّ يطلبون مني الأمان ولا والله لاأؤمنهم، فلم ينطق الحنفي وجلس.

قالوا: ومر عبّاد بن الحُصين الحبطي[1] بابن الجارود والهذيل بن عمران وعبد الله بن حكيم وهم يتناجون فقال: اشركونا في نجواكم، فقالوا: هيهات أن ندخل في نجوانا أحداً من بني الحبط فغضب وصار إلى الحجاج في مئة، فقال له الحجاج: أعليّ أم كمٌ لي. فقال: لك أيها الأمير. فقال الحجاج: ماأبالي من تخلّف بعدك. وتخاذل الناس وسعى قتيبة بن مسلم في أعصر فقال: والله لاأدع قيساً يقتل وينتهب مالـه وأظـاهـر ابن الجارود عليه[2]. فأقبل في نحو من ثلاثين فسلم على الحجاج بالإمرة. فقال: أقتيبة بن مسلم. فقال: نعم؟ قال: تقدّم. وكان الحجاج قد يئس من الحياة فلما جاء هؤلاء اطمأنّ وقد كان همّ باللحاق بعبد الملك على كل حال، ثم أتـاه سبرة بن علي الكلابي فسلم وانتسب. فقال له خيراً، ثم جاء شعيب بن أسلم بن زُرعـة الكلابي فسلم عليه، فقال: هاهنا ادن مني، وأتاه جعفر بن عبد الـرحمن بن مخنف الأزدي فسلم ثم انتسب، فقال له: قف مكانك أما والله لنعم القوم قومك. وأرسل إليه مسمع بن مالك بن مسمع: إن شئتَ أتيتك وإن شئتَ أقمتُ فثبطْتُ[3] الناس عنك. فبعث إليه: أن أقم فثبطّهم.

---

(١) الحبطي: بطن من تميم وهو ولد الحارث بن عمرو بن تميم الذي هو الحبط.

(٢) نجد هنا أن القيسيين أتوا الحجاج تعصباً لقيس ضد ربيعة واليمن.

(٣) التثبيط: ردك الانسان عن شيء يفعله، وربّثه: شغلهم عن مرادهم ـ اللسان ـ

فلما رأى الحجاج أنه قد اجتمع إليه عدد يمتنع بمثله خرج إليهم فكتّبهم وعبّاهم وجعل لهم حرساً ويحارس الآخرون أيضاً. وتلاحق الناس بالحجاج، فلما أصبح وطلعت الشمس نظر فإذا حوله نحو من ستة آلاف وذلك الثبت. وقوم يقولون ألف وستمئة.

وقال عبد الله بن الجارود لعبيد الله بن زياد بن ظبيان: ماالرأي؟ قال: تركت الرأي أمس حين قال لك الغضبان: تعش بالجدي قبل أن يتغدى بك. وقد ذهب الرأي وبقي الصبر. فدعا ابن الجارود بدرع فلبسها مقلوبة فتطيّر، وعرض الحجاج أصحابه، قال: لايهولنّكم ماترون من كثرة عدد عدوكم فإنه ليس بكم بحمد الله قلّة ولا ذلّة فشدّوا عليهم يتطايروا تطاير طير الأجمة المُنفر، إنهم أخور من اليراع. وإذا صدقتموهم الضرب سألوكم الأمان، فتزاحف القوم، وعلى ميمنة ابن الجارود الهذيل بن عمران وعلى ميسرته عبيد الله بن زياد بن ظبيان، وعلى ميمنة الحجاج قتيبة بن مسلم ويقال عبّاد بن الحصين وعلى مسيرته سعيد بن أسلم بن زُرعة الكلابي. وحمل ابن الجارود وأقدم بأصحابه حتى جاز أصحاب الحجاج، وأعطف عليه الحجاج بأصحابه، فاقتتلوا ساعة ثم إن سهماً غَرْبَ[1] يهوي حتى أصاب عبدَ الله بن الجارود وإنه الظاهر على الحجاج فوقع ميتاً، ويقال إنه لما خرج دخل ديراً قريباً منه ومعه قوم من الهجريين فأحرق الدير عليهم فخرجوا فقتل ابن الجارود والهجريين، ونادى منادي الحجاج بإيمان الناس إلا الهذيل وعبد الله بن حكيم، وأمر ألا يُتّبعوا وقال: الاتّباع لهم من سوء الغلبة.

ولما هلك ابن الجارود قال عبد الله بن فُضالة الأزدي لعكرمة بن رِبعي من بني تيم الله بن ثعلبة ولابن ظبيان: قد هلك هذا الرجل وماأرى إلا اللحاق بخراسان. فقال عكرمة: أما أنا فلاحق بالشام فقدْ كان لي عند عبد الملك بلاء هو

---

(١) أصابه سهم غَرْبٍ وغَرَبٍ: إذا كان لايدري من رماه وقيل: إذا أتاه من حيث لايدري اللسان.

راعٍ له. وقال ابن ظبيان: وأنا سأمضي إلى بعض النواحي. فحملوا حتى إذا اختلط الناس وثار الغبار أخذ كل واحد نحو الوجه الذي أراده.

فأتى عكرمة يزيد بن أبي النمس الغساني فاستجاربه، فكلم فيه عبد الملك وذكر له بلاءه، وقال: هفا وزلّ فأمّنه عبد الملك. وكان ابن أبي النمس أثيراً عند عبد الملك سمعه يوماً يقول: هممت أن أقطع كل حبلة بالشام فقال: ياأمير المؤمنين من أحب أن يَعصيَ عُصي فضحك عبد الملك.

وأتى ابن ظبيان سعيد بن عياد بن زيد بن عبد بن الجلندي الأزدي بعُمان، فقيل لسعيد إنه رجل فاتك فاحذره، فلما جاء البطيخ بعث إليه بنصف بطيخة قد سمّه فيها، وقال لرسوله: قل له هذا أول شيء رأيناه من البطيخ العام فأكلت نصف بطيخة وبعثت إليك بنصفها فأكل عبيد الله بن زياد بن ظبيان فقتلته، ولما أحسّ بالسمّ. قال: أردت أن أقتله فقتلني.

وخرج عبد الله بن فضاله إلى أمية بن عبد الله بن أسِيد إلى خراسان فكان عنده، ثم أخذه حبيب بن المهلب فبعث به إلى الحجاج. فخرجت امرأته فكلمت امرأة عبد الملك فيه فكلمته فكتب إلى الحجاج في أمره فأمّنه.

وأُتي الحجاج برأس عبد الله بن الجارود فقال: غسّلوه ثم عمّموه ففُعل ذلك به. فقال: هو هو. وقال عباد ابن الحصين وسعيد[1] بن أسلم بن زرعة وقتيبة بن مسلم للهذيل بن عمران وعبد الله[2] بن حكيم: نحن نكلم الحجاج فيكما فعجّلا إلى الحجاج فأتياه وهما يجران مطرفيهما، فلما نظر إليهما. قال: اضربوا عدويّ الله

---

(١) في أصل المخطوطين سعد وصححته سعيد كما تقدم وكما جاء في جمهرة ابن الكلبي: ج: ٢ ص: ١٨.

(٢) في أصل المخطوطين عبد الملك وصححته عبد الله كما تقدم وذكره بعد ذلك. وكأن المخطوطين أخذا عن أصل واحدٍ.

اقتلوهما. فمشى عبيد مولى الحجاج إلى عبد الله بن حكيم، فقال ابن حكيم:

[من الطويل]

على عهدِ ذي القَرنين كانت مُجاشِعٌ حُتوفاً على الأعداءِ لدّاً خصومُها

فضربه بالسيف فعثر في طرفه. وقال: إن الراحة منكم لراحةٌ وكان أمر الله قدراً مقدورا، وقتل سريع مولى الحجاج الهذيل بن عمران. ثم أمر الحجاج بصلبهم فصلب ابن الجارود بين ابن حكيم والهذيل وبعث برأس ابن الجارود ورأسي هذين ورؤوس سواها إلى عسكر المهلب مع حاتم بن سويد بن منجوف ليئس الخوارج مما بلغهم من فساد أمر الحجاج وتقوّى متن المهلب وأصحابه.

ونادى الحجاج في الناس أن يلحقوا بأمصارهم وأقبل حتى دخل البصرة، فقتل أشيمَ بن شقيق بن ثور الهذلي.

ويقال إنه دخل في أمانه مع من أمّن فرآه في مجلسه، وقال له: ياأشيم أخرجت مع ابن الجارود؟ قال: نعم وقد أتى عفوك عن ذلك، وكان مع الحجاج كراز بن كراز العبدي وهو صاحب لواء ابن الجارود وراشد بن عوف العبدي ومسلم مولى مالك بن مسمع وعبيد الله بن كعب النميري والغضبان بن القبعثري الشيباني أخذهم برستقاباذ فحبسهم عنده ثم حبسهم بالبصرة أيضاً، ثم قال لعبيد الله بن كعب: أنت القائل قل للحجاج يأتيني فإني لا آتيه، ومن أنت يابن اللخناء؟ هل أنت إلا عبد من أهل هجر وحبسه وعذّبه حتى مات، وقال لمحمد بن عمير بن عطارد بن دهمان: أنت القائل لاناقتي في هذا ولاجملي لا كانت لك في مثلها ناقة ولا جمل ولا رحل، وأنشد:

[من الوافر]

ثَعالبُ في السنينَ إذا أحصّتْ[1] وأُسدٌ حينَ تمتلىءُ الوِطابُ

---

(1) أحصّتْ: أجدبت وذهب زرعها.

وكـان يقـال إن عميراً أباه كان صدر عن عكاظ فمر ببني دهمان[1] فعرضوا لامرأته فأخذوها ثم ردّوها حاملاً.

وحدثني المدائني عن سحيم وغيره قالوا:

رأى أبـو جابـر العبـدي وكان جسيماً ابن الجارود بين الهذيل وابن حكيم، وكان عبد الله بن الجارود لقِصره يسمى بُظير العناق، فقال: ليتني كنتُ بينهما فقد فضحنا هذا بقِصره.

قالـوا: وكتب الحجاج إلى عبد الملك: أما بعد فالحمد لله الذي حفظ أمير المؤمنـين في سلطانـه وجعـل دائرة السوء على من خالفه. أخبر أمير المؤمنين أني لما نزلت منزلي من رستقاباذ وثب عليّ أهل العراق فخالفوني ونابذوني ودُخل فسطاطي وانتهبت أمـوالي، وقـالـوا: اخـرج من بلادنـا إلى من بعثـك إلينـا ففارقني البعيد وأسلمني القـريب ويئس مني الشفيق، فشـددت عليهـم بسيفي ولعنتهم شيعتي. وقلت: الموت قبل البراح فوالله مارمت العرصة حتى جعل الله لأمير المؤمنين منهم أنصاراً فضربت بمقبلهم مدبرهم وبمطيعهم عاصيهم، فقتل الله طاغية القوم عدو الله الجارود وثمانية عشر من رؤوسهم وضرب الله وجوههم فأخذوا شرقاً وغرباً. ثم إني أمّنت الناس غائبهم وشاهدهم فتراجعوا واجتمعوا وألحقت الناس بأمصارهم، ولله الحمد كثيراً والسلام.

فكتب إليه عبـد الملك: أمـا بعـد فقد بلغني كتابك وأنت الناصح الحبيب الأمـين الغيب القليل العيب، فإذا أرابك من أهل العراق ريب فاقبل أدناهم مع غبّ منك أقصاهم والسلام.

---

(١) بنو دهمان: بطن من قبيلة ذبيان وهو دهمان بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان. وبنو دهمان ينسبون مُريون. جمهرة النسب لابن الكلبي: ج: ٢ ص: ١٢٣.

وقـال المدائني: أتى الحجاج بخليفة بن خالد بن الهرماس وقد ضُرِبَ على وجهه فقال له الحجاج: من أنت؟ قال: أحد الكفرة الفجرة قال: خلّوا سبيله فقال له سويد بن صامت العجلي: هذا الذي يقول:

[من الطويل]

فَلِّلهِ حَجّـاجُ بنُ يوسُـفَ حاكـماً   أراقَ دمـاءَ المسلمـينَ بلا جُرمِ

فأمر بخليفة فقتل.

قالوا: وبعث عبد الملك عبد الرحمن بن مسعود الفزاري إلى الحجاج وأهل العراق لينظر في مظالمهم ومايشكون من الحجاج، وأمره بإطلاق كراز ومن كان قد كلم فيه، فبلغ الحجاج ذلك فعجل على كراز وكان وراشد بن عوف ومسلم مولى مالك بن مسمع، فقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف، فدخل ابن مسعود ودماؤهم تشخب.

ولما قدم ابن مسعـود على الحجـاج صعد الحجاج المنبر وصعد ابن مسعود درجتـين أو ثلاثـاً. ثم قال: ألا من كان يطلب الحجـاج بمظلمة فليقم، فقـال الحجـاج: مَهْ، فقـال: لا والله مامن مَهْ، ثم قال: ياأهل العراق عليكم بالطاعة والجماعة، جمع الله لكم خير الدنيا والآخرة وإياكم والشقاق والفتنة، إني قد تركت ورائي خيلاً من حديد وقوماً لهم دين وليست لهم دنيا فإياكم أن تجمعوا دنياكم إلى دينهم. ثم إنه انصرف إلى عبد الملك فأخبره بسوء سيرة الحجاج وظلمه وعذابه الناس.

فبلغ ذلك الحجاج فكتب إلى عبد الملك: إن ابن مسعود امرؤٌ ظنين عليّ قد بلغني أنه أساء عليّ الثناء وأن شيعة ابن الزبير لن تحبّني أبداً، وهو من شرارها وفجارها وليس مثله قرب ولا صدق والسلام.

فكتب إليه عبد الملك: أما بعد فقد بلغني كتابك في ابن مسعود وليس مثله أتهم ولا أظنّ به ظن السوء والسلام.

وكان ابن مسعود صديقاً لحصين بن المنذر فلقيه فسلم عليه، فقال الحصين: ومن أنت عافاك الله. فأعلم الحجاج ذلك، فقال الحجاج: ياحصين أتعرف هذا؟ قال: لا، قال: كذبت ولكنك خفت أن يبلغني أنك سلّمت عليه فأظن بك أنك تبلغه الأخبار، فقال: صدق الأمير وبر، قال: لاتخف، فسلم عليه حصين وكلمه.

وقال الحكم بن المنذر بن الجارود:

[من الطويل]

أبا مطرٍ أقررتَ عَينَ عَدوِّنا   وكلٌ إلى ماصِرتَ سوفَ يصيرُ
أبا مطرٍ لو يُدفعُ الموتُ بالفِدا   لكانَ رجالٌ مُشفِقونَ كثيرُ
أبا مطرٍ لو يدفع الموت بالرِّشا   لقد كان مالٌ سارحٌ ونُذورُ

وقال الشاعر:

[من الكامل]

بكَر النَّعيُّ بسيِّدِ الأمصارِ   حامي الذِّمارِ وناقِصِ الأوتارِ
يابنَ المُعلّى ذي السَّماحَةِ والنّدى   كهف الضّعيفِ وطالبُ الآثار
عثَرت بِهِ بعضُ الجُدودِ وهَدَّنا   يالِلرِّجالِ لجِدِّنا العَثّارِ

قالوا: وكان غضبان بن القبعثري محبوساً عند الحجاج فكلم عكرمة بن رِبعي روح بن زنباع في أمره، فكلم عبد الملك في إيمانه، فكتب بذلك إلى الحجاج فدعا به الحجاج، فقال له: قد سمنت ياغضبان وصفا لونك، قال: القيد والرتعة. ومن يكن ضيف الأمير يسمن. قال: أنت القائل لابن الجارود تعش بالجدي قبل أن يتغدى بك، قال: مانفعت من قالها ولا ضرّت من قيلت له، قال: أتحبّني؟ قال: أوفَرَقٌ خير من حُبٍّ، قال: ولم لا تحبّني؟ قال: لأنك أخذت مالي

ووضعت شرفي، قال: فإن رددتُ مالك ورفعت قدرك، قال: الرضى مع الإحسان والسخط مع الغضب، قال: لأحملنّك على الأدهم. قال: مثل الأمير حمل على الأدهم والكميت، قال: إنه حديد قال: يكون حديداً خير من أن يكون تليدا.

فحمل من بين يديه ليطلق من حديده فلما استقل به من حمله، قال: الحمد لله ﴿ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾[1] فضحك الحجاج.

قصة أنس بن مالك مع الحجاج

قالوا: وقُتل مع ابن الجارود عبدُ الله بن أنس بن مالك الأنصاري، وكان شجاعاً شديد البطش، حمل بخراسان بَدرة[2] بفمه فعبر بها نهراً، فلما بلغ الحجاج خبر مقتله، قال: ألا أرى أنساً يُعين عليَّ، فلما دخل البصرة استصفى مال أنس، فأتاه فلما دخل عليه، قال: لامرحباً ولا أهلاً إيهاً ياخُبيثة شيخ ضلالةٍ جوّال في الفتن مرّة مع أبي تراب[3] ومرة مع ابن الزبير ومرة مع ابن الجارود، أما والله لأجردنّك جرد القضيب ولأعصبنك عصب السلمة ولأقلعنّك قلع الصمغة، فقال أنس: من يعني الأمير؟ قال: إيّاك، أصمّ الله صداك. فرجع أنس فأخبر ولده بما لقيه الحجاج به، فأشاروا عليه بأن يكتب بذلك إلى عبد الملك، فكتب إليه كتاباً شكا فيه الحجاج وماصنع به وماقال له، فأجابه جواباً لطيفاً وكتب إلى الحجاج:

---

(١) سورة الزخرف رقم: ٤٣ الآية رقم: ١٣.

(٢) البَدْرة: جلد السخلة إذا فطم، وكيس فيه ألف أو عشرة آلاف سميت ببدرة السخلة ـ اللسان ـ

(٣) أبو تراب: لقب عليّ عليه السلام.

أمابعد يابن أم الحجاج فإنك عبد طمت بك الأمور فعلوت فيها حتى عدوت طورك، وتجاوزت قدرك، وأيم الله يابن المستفرمة بعجم الزبيب[1] ، لأغمزنك غمزة كبعض غمزات الليوث الثعالب، ولأخبطنّك خبطةً تودّ لها أنك رجعت في مخرجك من بعض أمّك، أما تذكر حال آبائك بالطائف حيث كانوا ينقلون الحجارة على ظهورهم ويحتفرون الآبار بأيديهم في أوديتهم ومناهلهم، أم نسيت حال آبائك في اللؤم والدناءة والخُلق، وقد بلغ أمير المؤمنين الذي كان منك إلى أنس بن مالك جرأةً وإقداماً، وأظنك أنك أردت أن تسبر ماعند أمير المؤمنين في أمره، فتعلم إنكاره ذلك وإغضاءه عنه، فإن سوّغك ماكان منه مضيت عليه قدماً، فعليك لعنة الله من عبدٍ أخفش العينين أصكّ الرجلين ممسوح الجاعرتين[2] ، ولولا أن أمير المؤمنين يظنّ أن الكاتب كثّر في الكتاب من الشيخ إلى أمير المؤمنين فيك لأتاك من يسحبك ظهراً لبطن حتى يأتي بك أنساً فيحكم فيك. فأكرم أنساً وأهل بيته واعرف له حقّه، وخدمته رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا تقصّرنّ في شيء من حوائجه، ولا يبلغنّ أمير المؤمنين عنك خلاف ماتقدم فيه إليك من أمر أنس وبرّه وإكرامه فيبعث إليك من يضرب ظهرك ويهتك سترك ويشمت بك عدوك، والقَهُ في منزله متنصّلاً إليه، وليكتب إلى أمير المؤمنين برضاه عنك إن شاء الله، والسلام. رحم الله عبد الملك إذ أصاب الصواب.

وبعث الكتابين مع إسماعيل بن عبد الله مولى بني مخزوم، فأتى إسماعيل

---

(١) الفَرْمُ والفِرام: ماتتضيّق به المرأة من دواء، يقال: استفرمت المرأة إذا احتشت، وربما تتعالج بحب الزبيب تضيّق به متاعها ويستحصف. وقيل إنما كتب عبد الملك إلى الحجاج بذلك لأن في نساء ثقيف سَعة فهن يفعلن ذلك يستضقن به وفي الحديث: أن الحسين بن علي عليهما السلام، قال لرجل: عليك بفرام أمّك، سئل عنه ثعلب فقال: كانت أمّه ثقفيّة، وفي أحراح نساء ثقيف سَعة ـ اللسان ـ.

(٢) حرفا الوركين المشرفان على الفخذين وقيل هما رؤوس أعالي الفخذين ـ اللسان ـ.

أنساً بكتاب عبد الملك إليه فقرأه، ثم أتى الحجاج بالكتاب إليه فجعل يقرأه ووجهه يتغير وجبينه يرشح عرقاً، وهو يقول: يغْفِر الله لأمير المؤمنين فما كنت أظن يبلغ مني هذا كله. ثم قال لإسماعيل: انطلق بنا إلى أنس، قال إسماعيل: فقلت بل يأتيك، قال: فنعم إذاً. فأتى أنساً فأقبلا جميعاً حتى دخلا على الحجاج وأدناه، وقال: ياباحمزة عجّلت يرحمك الله باللائمة والشكيّة إلى أمير المؤمنين قبل أن تعلم كل الذي لك عندي، إن الذي فرط مني إليك عن غير نيّة ولارضاً بما قلت، ولكني أردت أن يعلم أهل العراق إذ كان من ابنك ماكان أني إذا بلغت منك مابلغت كنت إليهم بالغلظة والعقوبة أسرع، فقال أنس: ماشكوت حتى بلغ مني الجهد وحتى زعمتَ أنّا الأشرار وقد سمّانا الله الأنصار. وزعمت أنّا أهل النفاق، ونحن الذين تبؤوا الدار والإيمان، وسيحكم الله بيننا وبينك فهو أقدر على الغير لايشبه الحق عنده الباطل ولا الصدق الكذب، وزعمت أنك اتّخذتني ذريعة وسلماً إلى مساءة أهل العراق باستحلال ماحرّم الله عليك مني ولم تكن بي عليك قوّة، فوكلتك إلى الله وإلى أمير المؤمنين. فحفظ من حقي مالم تحفظ. فوالله لو أن النصارى على كفرهم رأوا رجلاً خدم المسيح عيسى بن مريم يوماً واحداً لعرفوا من حقّه مالم تعرفه من حقّي وقد خدمتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرَ سنين. وبعد فإن رأينا خيراً حمدنا الله وأثنينابه وإن رأينا غير ذلك صبرنا والله المستعان. فردّ الحجاج عليه ماكان قبض من أموالهم.

قالوا: وأتى الحجاج بدينار صاحب حفرة دينار، وكان هدَمَ قصر الحجاج فأخذ ببنائه فلما بناه ضرب عنقه بين شرفتين منه. ويقال ذبحه بينهما، وقُتل زياد بن مقاتل بن مسمع في المعركة. ويقال قُتل مع ابن الأشعث فبكته أخته، فقالت:

[من المتقارب]

أعينيَّ جودي ولا تجمُدي ... وبكّي زعيمَ بني جحدرِ[1]

---

(١) زياد بن مُقاتل بن مِسْمَع بن شهاب بن قُلع بن عمرو بن عُباد بن ربيعة وهو جحدر بن ضُبيعة بن قيس بن ثعلبة. ولذلك قالت زعيم بني جحدر لأنه جدهم الأكبر.

وقُتل الحريش بن هلال، ويقال قتل يوم الجماجم وذلك غلط. وقتل عبد الله ابن رزام، فقالت فيه امرأة:

[من المتقارب]

على ابنِ رَزامٍ تُبكّي العيونُ ... ومثلِ الحَريشِ الفَتى الأزهَرِ

وقال بعضهم: قُتل طفيل بن عامر بن واثلة، ويقال قتل مع ابن الأشعث وهو الثبت.

وقال بعضهم: قُتل أبورهم بن شقيق بن ثور، والثبت أنه خرج مع ابن الأشعث فرآه الحجاج في مجلسه فقال له: أخرجت عليَّ؟ فقال: قد أتى عفوك عن ذنوبنا، فقال لبعض من معه: ضع هذا المنديل في عنقه وأخرجه فاضرب عنقه.

قال ابن الكلبي: دخل البراء بن قُبيصة الثقفي على عبد الملك، وكان الحجاج يطلبه لخروجه مع ابن الأشعث فأنشده قوله:

[من الطويل]

أرى كلَّ جارٍ قد وَفى بِجوارِهِ ... وجارُ أمينِ اللّهِ في الأرضِ يُخذَلُ

ويروى: وجارُ أميرِ المؤمنين المُؤمَّلُ.

وَفَى ابنُ النَّمسِ اليَماني لجاره ... لِرَوحِ بنِ زنباعٍ وجارُكَ يؤكَلُ

وراحَ الفَتَى البكريُّ ينفض عِطفَهُ ... وذا ابنُ عُميرٍ آمِناً مايُزلزَلُ

فما هكذا كنتم إذا ماأُجرتُمُ ... وماهكذا كانَت أميَّةُ تفعلُ

فقال: صدقت وأمّنه وأمر الحجاج أن يمسك عنه.

أمر شارزنجي والزنج الذين خرجوا بفرات البصرة

١٢٦ ـ حدثني روح بن عبد المؤمن المقرىء قال: سمعت علي بن نصر الجهضمي يحدّث عن جرير بن حازم عن محمد الصعب ابن زيد، قال:

تجمّع الزّنج في فرات البصرة في آخر أيام مصعب بن الزبير، ولم يكونوا بالكثير وأفسدوا وتناولوا الثمار.

وولي خالد بن عبد الله بن خالد بن أَسِيد البصرة، وقد كثروا فشكا الناس مانالهم منهم، فجمع لهم جيشاً كثيفاً، فلما بلغهم ذلك تفرقوا وقدر على بعضهم فقُتلوا وصلبوا.

فلما كان من أمر عبد الله بن الجارود وخروجه على الحجاج مع وجوه أهل العراق ماكان وهو برستقاباذ خرج الزنج أيضاً فاجتمع منهم خلق من الخلق بالفرات وصيّروا عليهم رجلاً منهم يقال له رباح شيرزنجي ويعني شارزنجي أسد الزنج.

فلما فرغ الحجاج من أمر من خرج عليه برستقاباذ وعاد إلى البصرة وجه إليهم فقُتلوا.

وحدثني روح بن عبد المؤمن عن عمه عن أبي هشام، حدثني سُحيم بن حفص وغيره:

أن الزنج خرجوا أيام الحجاج بالفرات وعلى شرطة البصرة زياد بن عمرو العتكي، فوجّه إليهم زياد حفصاً ابنه في جيش من مقاتلة أهل البصرة وذلك بأمر الحجاج فواقعهم فقتلوه وهزموا أصحابه، وكان على الأبلّة والفرات كرّاز بن مالك السُّلمي ثم البهزي[1].

---

(١) بهز بطن من قبيلة سُليم وهو تيم (بهز) بن امرىء القيس بن بُهثة بن سُليم بن منصور.

وحدثني روح عن الوليد بن هشام بن قحذم، قال: خرج شيرزنجي بالفرات واتبعهم خلق من الزنج ومعهم لفيف من أهل الكلأ وغيرهم بيضان فغلب على كورة الفرات وكان على الأبلّة والفرات يومئذٍ كرّاز السلمي وذلك في أيام خروج الحجاج إلى رستقاباذ. فكتب شيرزنجي إلى كراز: من أمير المؤمنين رباح شيرزنجي إلى كراز السلمي:

أما بعد فقد حضرت ولادة سُكّة أم المؤمنين فابعث إليها بامرأتك لتقبلها والسلام. فهرب كراز وأخلى عمله ودخل البصرة، ثم إن زياد بن عمرو العتكي وجّه إليه وهو على شرطة البصرة وخلافة الحجاج بها جيشاً عليه ابنه حفص بن زياد، فقاتله أشدّ قتال، فقتل حفصاً وهزم أصحابه وقوي أمر شيرزنجي.

فلما قدم الحجاج البصرة، قال: ياأهل البصرة إن عبيدكم وكساحيكم رأوا معصيتكم فتأسّوا بكم، وأيم الله لئن لم تخرجوا إلى هؤلاء الكلاب فتكفوني أمرهم لأعقرنّ نخلكم ولأنزلنّ بكم ماأنتم له أهل باستخراجكم وفسادكم فانتدب الناس من كل خمس من أخماس البصرة، ووجّه عليهم وعلى جماعة من المقاتلة كراز بن مالك السلمي فلم يزل يقاتل الزنج حتى صاروا إلى صحاري دَوْرَق[1] فواقعهم هناك فقُتلَ شيرزنجي والزنج فقلّ من أفلت منهم.

قال: فلما قال جرير للأخطل:

[من الكامل]

لاتطلبنَّ خؤولةً في تغلبٍ　　　فالزِّنجُ أكرمُ منهمُ أخوالا

انبرى له سنيح بن رباح مولى بني سامة بن لؤي، فقال:

---

(١) دَوْرَق: بلد بخوزستان وهو قصبة كورة سُرّق يقال لها دورق الفُرس ـ معجم البلدان ـ

إنّ الفرزدقَ صخرةٌ عاديَّةٌ طالت فليسَ تنالُها الأوعالا[1]
ورميتَ تغلبَ وائلٍ في دارهم فأصبتَ عند التّغلبيّ نِصالا
والزّنجُ لولاقيتَهم في حربهم لاقيتَ ثمَّ جحاجحا أبطالا
قتلوا ابنَ عمرٍو حين رامَ رماحَهم ورأى رماحَ الزّنجِ ثمَّ طِوالا
هذا ابن عَجلى قد علمتم منهمُ غلبَ الرجالَ سماحه وفعالا
وبنو الحُبابِ مطاعمٌ ومطاعنٌ عند الشتاءِ إذا تهبُّ شَبَمالا
وبنو زبيبة عنترة وهراسةٌ وسُلَيكُ المتحمِّل الأثقالا
والزنجُ قد شهد النَّبيُّ بجودهم وببأسِهم إذ حاربوا الأفيالا

يعني بابن عمرو زياد بن عمرو، وابن عَجلَى عبد الله بن خازم السلمي، كانت أمه سوداء يقال لها عجلى، وكانت أم عمير بن الحباب سوداء، وكانت أم السليك سلكة سوداء، وقوله: شهد النبي بجودهم، ذهب إلى الحديث الذي روي أن النبيّ صلى الله عليه وسلم، قال في السودان: «إن فيهم لخلتين صدق السماحة والنجدة».

وروى سفيان بن عُيينة عن عمرو بن عوسجة مولى ابن عباس، قال: ذكر الحبش عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «لاخير في الحبش وإن فيهم لخلتين إطعام الطعام وبأس عند البأس».

---

(١) بهامش مخطوط المغرب: أي طالت كالأوعال، فليس ينالها يعني حفص بن زياد بن عمرو، يوجد إقواء؛ والصحيح الأوعالُ بالضم فاعل تنال.

١٢٧ ـ مسلمة بن هشام بن عبد الملك يشبه بشيرزنجي.

وحدثني حفص بن عمر عن الهيثم بن عدي وهشام بن الكلبي قالا:

دخل الوليد بن يزيد بن عبد الملك على هشام وعنده ولده وفيهم مسلمة بن هشام المكني أبا شاكر فقال الوليد لمسلمة وكان ظريفاً: مااسمك؟ قال: شيرزنجي يعرض بأنه يكثر شرب النبيذ إكثار الزنج، ويطرب طربه، وكان شيرزنجي خرج بفرات البصرة في خلق من الزنج فقتل، فلما قام الوليد ليخرج خرج معه أبو شاكر فوثب الوليد على فرسه ولم يمسّ السرج ولا المعرفة[1] فأعجبه فعله، فقال لأبي شاكر: أيصنع أبوك مثل هذا؟ فقال أبو شاكر: لأبي مئة عبد يصنعون مثل هذا وأكثر منه، فبلغ ذلك هشاماً، فقال: ماله قاتله الله ماأظرفه على أنه قد غلبني مجوناً.

---

(١) المَعْرَفة: بالفتح منبت عُرف الفرس من الناصية إلى المِنْسج ـ اللسان ـ

بسم الله الرحمن الرحيم

١٢٨ ـ أمر عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الكندي..

حدثني روح بن عبـد المؤمن المقـرىء مولى باهلة، قال: حدثني عمي عن سحيم بن حفص عن شيخ من كندة قال:

كان عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس معجباً عظيم الكِبَر، وكان شخص إلى سجستان مع خال له في طلب ميراث، فجعل يختلف إلى بغيٍّ يقال لها ماهنـوس[1] فأخـذ معهـا فشهـد عليه كردم الفـزاري الـذي يقول الناس فيه كل النـاس: بارك فيه وكردم لايبارك فيه، وكان أبو كردم مَرثد بن نجبة مع خالد بن الـوليد فقتل على سور دمشق[2] وشهد عليه معه زُفر بن عمرو الفزاري ومحمد بن قرطـة ويزيد بن زهير، فضرب حدّاً ولم يذهب الإمام[3] حتى صار هؤلاء النفر في جنده وقد وليّ سجستان فأساء بهم ودسّ إليهم قوماً شهدوا عليهم بالزنى فحدّهم فقال قائلهم:

[من الطويل]

شهـدنـا بحقٍّ وانتقمتَ بِبـاطـلٍ ... فَأُبنـا بأجـرٍ واشتملتَ عَلى وِزرِ

فلما كانوا بدير الجماجم خرج عيينة بن أسماء الفزاري إلى الحجاج وفارق ابن الأشعث، ثم إنه رفع على هؤلاء النفر أنهم كانوا موافقين لابن الأشعث وعلى رأيه، فحبسهم الحجـاج. وقـال: لاتقتلوهم فيقـول عدونـا إنّا نقتل أصحابنا، فأتاهم بعض أصحابه ليلاً فقتلهم.

---

(١) ماهنوس: إسمها في جمهرة ابن الكلبي ماه نوش وقال ابن الكلبي: بات أبو حزابة الشاعر وهـو الـوليـد بن حنيفة بن سفيان ابن مجاشع عند قحبة بفارس يقال لها ماء نوش تعطي بخمسـين درهماً، فأعطاها سرجه، فنظر إليه عبد الرحمن بن الأشعث وليس لفرسه سرج فقال: مالك؟ قال:

[من السريع]

يابـن قريـع كنـدة الأشجِّ ... ألا ترى لفـرسي في المـرجِ

في فتـنـة النـاس وهـذا الهـرج ... ومـاه نوش ذهـبـت بسرجـي

= فقال: اعطوه خمسين درهماً يفتّك سرجه قال الكلبي: علمه أن سعر تلك خمسون درهماً ريبة.

(٢) مازال حتى الآن قبره معروف في دمشق بجانب السور القديم في حي باب شرقي ويزوره للبركة بعض الناس والقبر مهمل ويقال عنه قبر أحد صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(٣) لم يذهب الإمام: أي لم يذهب إلى رجمه لأن الشهود ثلاثة وشهود الزني ليرجم المحصن يجب أن يكونوا أربعة: ويجب أن يقام الحد على الشهود.

١٢٩ ـ الحجاج يولّي عبيد الله بن أبي بكرة سجستان.

حدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي، ثنا وهب بن جرير بن حازم عن أبيه عن عمه:

أن المهلّب بن أبي صُفرة لما فرغ من قتال الأزارقة(١) قدم على الحجاج فأكرمه وأجلسه على سريره ووصله وأهل الغناء ممّن كان في جيشه، وقال: هؤلاء أهل الفعال والاستحقاق للأموال، هؤلاء غيظ الأعداء وحُماة الثغور، وولّاه خراسان وسجستان فقال: ألا أدلّك على من هو أعلم بسجستان منّي، قال: بلى، قال: عبيد الله بن أبي بكرة فقد كان وطىء هذا الثغر وعرف أموره فولّى ابن أبي بكرة سجستان.

وحدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه، وحفص بن عمر عن الهيثم بن عدي عن المجلد بن سعيد قال:

بعث الحجاج عبيد الله بن أبي بكرة إلى عبد الملك ليطلب له ولاية خراسان وسجستان. وكان على الثغرين أمية بن عبد الله بن خالد بن أَسِيد، فقال عبد الملك: لست بنازعٍ أمية عن الثغر للحجاج، وكان له محبّاً ولكن إن شئت ولّيتك إياهما. فقال: ماكنت لأخون الحجاج وقد أرسلني ووثق بي.

ثم إن عبد الملك استقصر أمية بن خالد أمره واستبطاءه في جباية الأموال وأتته جبايات الحجاج كثيرةً موفرة فكتب إلى الحجاج بولاية الثغرين وبعث إليه بعهده عليهما في سنة ثمان وسبعين فولّى الحجاجُ المهلب خراسان وعبيد الله بن أبي بكرة سجستان.

وقال المدائني وغيره: لما قدم عبيد الله بن أبي بكرة سجستان منعه رُتبيل(٢) الأتاوة التي كان يؤتيها. فكتب عبيد الله بذلك إلى الحجاج، فكتب إليه

---

(١) الأزارقة: فرقة من الخوارج سمّيت باسم رئيسها نافع بن الأزرق.

(٢) رُتبيل: أخو شاه فارس. الذي استقر بنواحي سجستان بعد هروب الشاه ـ الطبري: ج: ٤ ص: ١٨١.

الحجاج يأمره بغزوه وأن لايبرح حتى يستبيح أرضه ويهدم قلاعه ويقتل مقاتلته ويسبي حرمه، فغزاه بمن معه من أهل الكوفة والبصرة، وكان على أهل الكوفة شريح بن هانىء الحارثي، فسار ابن أبي بكرة متوغلاً في بلاد العدو فأصاب من الغنيمة ماشاء، فقال له شريح: إن الله قد غنمنا وسلّمنا وأذلّ عدونا فارجع بنا من مكاننا ونحن وافرون معافون، فإني أتخوّف إن كاثرت رتبيل وأهل بلده والتمست فتح مدائنهم وقلاعهم في غزاة واحدة لايطيق ذلك، فقال له: اصبر ياأيها الرجل ودع هذا، فقال: ابن هانىء[1] : إنه ليس لقصير أمر[2] والله إنك لتعمل في هلاك نفسك وجندك، وسار حتى قرب من كابل وجعل لايظهر له أحد ويفرّق أصحابه يطلبون العلف وانتهى بهم إلى شعب فأخذه عليهم الترك ولحقه رُتبيل وليس بالقوم قتال.

فبعث ابن أبي بكرة إلى شريح أني مرسل إلى هؤلاء فمصالحهم ومعطيهم مالا على أن يخلّوا بيننا وبين الخروج، فقال شريح: إنك لاتصالحهم على شيء إلا حسبه الحجاج عليكم من أعطياتكم، فقال ابن أبي بكرة: حرمان العلماء أيسر علينا من الهلاك، وبعث إلى رتبيل يطلب منه الصلح على أن يعطيه خمسمئة ألف درهم، ويقال سبعمئة ألف درهم وعدة من وجوه من كان معه وثلاثة من ولده يكونون عنده، وألا يغزوهم ماكان والياً، وكان الثلاثة من ولده: نهار والحجاج وأبو بكرة، ومعهم العاقب بن سعيد.

---

(١) في المخطوطين: فقال هانىء.

(٢) ليس لقصير أمر: وهو قصير بن سعد بن عمرو بن حذمة بن قيس بن هُلَيل ابن ربيَ بن نمارة بن لخم، وقد كان مع جَذيمة الأبرش الذي يقال في المثل: لايطاع لقصير أمر. قاله لجذيمة عند نصحه بعدم السير إلى الزباء وسأل جذيمة عمرو بن عدي فنصحه بالسير إليها فأحب جذيمة ماقاله عمرو وعصى قصيراً، فقال قصير: لايطاع لقصير أمر فذهبت مثلاً، نسبُ معد واليمن الكبير: ج: ١ ص: ١٥٩ ومابعدها.

فقال له شريح: اتق الله وقاتل هؤلاء القوم، لا تشتر الكفر بالإيمان، وزيادة خمسمئة ألف درهم، ويقال سبعمئة ألف، وتدفع قوماً من المسلمين إلى المشركين ثم تشترط لهم ألا تقاتلهم، ولاتجبهم خراجاً هرباً من الموت الذي أنت إليه صائر. هذا وأنت لاتدري مايكون من سخط الحجاج. ثم قال شريح: والله لقد فني عمري وذهب، ولقد تعرضت للشهادة في غير موطن فأبى الله أن يبلغني إرادتي منها.

ثم قاتل وقاتلت معه جماعة مطوعة من مَذحج وهمدان، فقتل وقتل معه من أهل المصرين ومن أهل الشام جماعة.

وبعث ابن أبي بكرة إلى رتبيل حين استعدّ شريح لقتال العدو وزحف لذلك: إني على صلحك وما فارقتك عليه، وهذا رجل واحد من أصحابي عصاني ولست أنصره عليك، فخذله وجرّأ رتبيل عليه، وقال شريح وهو يمشي إلى الكفار:

[من السريع]

أصبحتُ ذا بثٍ أقاسي الكِبَرا قد عشتُ بينَ المشركين أعصُرا
ثمّت أدركتُ النّبيَّ المنذِرا وبعدَهُ صِدّيقَهُ وعُمرا
ويومَ مِهرانَ ويومَ تُستَرا والجمعَ في صفّينهم والنَّهرا
هيهاتَ ماأطولَ هذا عُمُرا

وكان شريح من شيعة علي بن أبي طالب عليه السلام.

قالوا: واجتنب بنو عبد الله بن أبي بكرة ماكان رتبيل يعرضه عليهم من النساء والخمر، فعظموا في عينه وأعين أصحابه، وخرج ابن أبي بكرة من بلاد رتبيل وجعل جنده يؤتون بالطعام، فإذا أكلوه ماتوا، ثم إنهم أُطعموا السمن فلانت أمعاؤهم، فلم يصلوا إلى بست إلاّ وهم خمسة آلاف.

وكان ابن أبي بكرة حين رأى ما الناس فيه من القحط لأنهم يأكلون دوابّهم

في بلاد العدو، يشتري الطعام ثم يبيعه جيشه حساب القفيز[1] بدرهم حتى أصاب الناس ضرّ شديد ومرض وكان يبعث بالحصرم فيضعه في أسواقهم ويبيعهم إياه، ويقول: هذا صالح لمرضاكم، وباعهم التبن غربالاً بدرهم، ففي ذلك قول عبد الرحمن بن الحارث وهو أعشى همدان في قصيدة له أولها:

[من الكامل]

مابـالُ حزنـك في الفؤاد مولَّـج ... ولِـدمعِـكَ المُتَـحـدِّرِ المُتَهَيجِ

أسمعتَ بالجيشِ الّـذين تمزّقـوا ... وأصابهم ريبُ الزمانِ الأعوجِ

حُبِسـوا بكـابُـلَ يأكلونَ جيادَهُم ... بأضرِّ منـزلَـةٍ وشرِّ مُعـرجِ

لم يلقَ جيشٌ في البـلادِ كما لقـوا ... فلمثِلِهم قُل للنـوائـحِ تنشِـجِ

واسـألْ عبيدَ الله: كيف رأيتَهم؟ ... عشرين ألـفَ مُجفَّفٍ ومـدجّـجِ

بعـثـاً يخيّرهُ الأمـيرُ جلادَهُ ... بعـثـاً من المصرين غير مزلّـجِ

وُلّـيت شأنَهمُ وكـنـتَ أميرهـم ... فأضعتهم والحـربُ ذاتُ توهّـجِ

مازلـتَ تاركَـهـم لما زعَمـوا لنـا ... وتـغـلّهـم وتسـير سيرَ الأهـوجِ

وتـبيعـهـم فيهـا القفيزَ بدرهمٍ ... فيطلّ جيشُـكَ بالمـلامَـةِ ينتجي

ومـنـعـتـهـم أتبـانَهم وشعـيرهُم ... وتجرت بالعِنَب الّذي لم ينضَـجِ

ونَهَلتَ ضربـاً بالسياطِ جُلودَهم ... ظُلماً وعُـدوانـاً ولم تَتَـحـرَّجِ

والأرضُ كافـرةٌ تَضَرَّمُ حولـكُـم ... حربـاً بها لقـحـت ولمّـا تنتـجِ

فتسـاقـطوا جوعـاً وأنت صَفنـدَدٌ ... شبعـانُ تُصبح كالأبـدِّ الأفحـجِ

رخـوُ النَّسـا والحـالبـينِ ملثّـماً ... في مثـل جحفلة الحـمار الأيزَجِ[2]

وظـننت أنـك لن تعـاقبَ فيهمُ ... واللهُ يُصبـحُ من أمـام المُدلـجِ

---

(١) القفيز من المكاييل: معروف وهو ثمانية مكاكيك عند أهل العراق ـ اللسان ـ

(٢) الجحفلة لذوات الحوافر كالشفة للإنسان، والأيزج: المتثاقل المتخلّف.

حتّى إذا هَلكـوا وبـادَ كُراعُهم رُمتَ الخـروجَ وأيّ ساعـةِ مَخرجِ
وأبـى شُريحٌ أن يُسـامَ دنـيّةً حَرجـاً وصُحفُ كتابِكم لم تُدرجِ
وبقـيتَ في عددٍ يسـيرٍ بعـدهم لو سار وسط مراغـةٍ لم يزهـجِ
لاتُخـبرِ الأقـوامَ شأنـك كلَّهُ وإذا سئلت عن الحديث فَلجلجِ

في أبيات.

١٣٠ ـ قالوا: فمات ابن أبي بكرة كمداً، ويقال اشتكى أذنه فمات.

وبلغ الحجاج خبر ابن أبي بكرة وأنه قد استخلف ابنه أبا برذعة. فكتب إلى المهلب: أن يوجه إلى سجستان من قبله رجلاً. فوجه وكيع بن بكرٍ، فقال كعب الأشقري:

[من الكامل]

مازال أمـرُكَ يامـهلَّبُ صَالحـاً حتـى ضَرَبـتَ سُرادقـاً لوكـيعِ
وجـعـلتَـهُ ربّـاً على أربـابـهِ ورفـعـتَ منـهُ غيرَ جدٍّ رفـيعِ

فلما قدم [وكيع] على أبي برذعـة أهـدى إليه أبو برذعة ثلاثمئة ألف درهم وهدايا سوى ذلك، وأقام أبو برذعة بسجستان حتى قدم عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث من وجوه الخوارج، فولاّه الحجاج كرمان.

وقـال أبـو مخنف وعـوانـة: لما هلك عبيد الله بن أبي بكرة بسجستان، غمّ الحجـاجَ مهلكُـه غمّاً شديداً، وكتب إلى عبد الملك يعلمه ذلك ويستطلع رأيه في تولية هذا الفرج رجلاً.

فكتب إليه: بلغني كتابك لما ذكرت من مصاب المسلمين بسجستان حتى لم ينج منهم إلا الشريد وجرأة العدو لذلك وقوتهم على أهل الإسلام، فأولئك قوم كتب القتل عليهم فبرزوا إلى مضاجعهم وعلى الله ثوابهم، فأما ماستطلعت فيه رأيي، فإن رأيي أن تمضي ولاية من رأيت توليته موفقاً رشيداً.

قالـوا وكان الحجاج مبغضاً لعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، وكان عبد الرحمن رجلاً معجباً ذا نخوة وأبّهةٍ، وكان الحجاج يقول: مابالعراق رجل أبغض إليّ

منه، ومارأيته قطّ ماشياً أو راكباً إلا أحببت قتله، وكان عبد الرحمن يقول: مارأيت قط أميراً فوقي إلّا ظننتً أني أحقّ بإمرته منه، وكان يقول: لو قد رأيتُ البياض، وقرأت القرآن، وماتت أم عمران، يعني أمه، لطلبت الغاية التي لا مذهب بعدها.

وحدثني حفص بن عمر عن الهيثم عن مجالد عن الشعبي قال:

إني لعند الحجاج إذ دخل عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث يتمشى، فقال: انظروا إلى مشية المقيت، والله لهممت أن أضرب عنقه، فلما سلم عليه، قال: إنك لمنظرانيّ، قال: ومخبراني أصلح الله الأمير، ثم جعل يقول: أنا منظرانيّ أنا منظرانيّ، قال الشعبي: فحدّثت عبد الرحمن بما قال الحجاج حين رآه يتمشى، فقال: اكتمْ عليّ. والله لأحاولنّ إزالة سلطانه إن طال لي وله عمر.

قالوا ثم إن الحجاج انتخب اثني عشر ألفاً ويقال عشرة آلاف من أهل الجلد والقوّة والهيئة، وأعطاهم وجهّزهم وقوّاهم واستعمل عليهم عطارد بن عمير بن حاجب، ويقال بعض ولد ذي الجوشن الضبابي، وسار بهم إلى البصرة، وانتخب من أهل البصرة مثلهم وجعل عليهم عطية بن عمرو العنبري[1] الذي يقول فيه أعشى همدان:

[من مجزوء الكامل]

فابعثْ عطيَةَ في الخُيو ... لِ يُكبُّهنَّ عليهِ كبّا
فإذا جعلتَ دُروبَ فا ... رسَ خَلفَنا دَرباً فَدَربا

---

(١) العنبري: بطن من تميم، وهو عطية بن عمرو بن سُحيم بن حَزن بن هلال بن أرطاة بن عبد الله بن جناب بن الحارث ابن جُهمة بن عدي بن العنبر بن عمرو بن تميم، الذي يقول له أعشى همدان وكان مع ابن الأشعث: [من مجزوء الكامل]

فإذا جعلت دروب فا ... رس خلفنا درباً فدربا
فابعث عطية في الخيو ... ل يكبهنّ عليه كبّا

جمهرة النسب لابن الكلبي من تحقيقي. ج: ١ ص: ٣٦٤.

فلما تتامّوا واجتمعوا، سمّى ذلك الجيش جيش الطواويس، ويقال إن الناس سموهم بذلك لتكامل أهبتهم وعدّتهم ونُبلهم وشجاعتهم، وأمر فأمضى ذلك الجيش إلى الأهواز وكتب إلى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بولاية سجستان، وضمّ إليه ذلك الجيش. وكان الحجاج قد وجه عبد الرحمن لقتال الخوارج فشخص عبد الرحمن بهم حتى قدم سجستان، ثم نزل بُستَ فأتته رسل رتبيل.

وأتى إسماعيل بن الأشعث الحجاج فأشار عليه أن لايولي عبد الرحمن، وقال: إني والله أخاف خلافه والله ماجاز جسر الفرات قط فرأى أن لأحدٍ عليه سلطاناً، فقال: ليس هناك إني لست كأولئك، هولي أهيب وفيها لديّ أرغب من أن يخالفني، أو يخرج يداً من طاعتي. فقدم سجستان في آخر سنة تسع وسبعين.

وقال أبو عبيدة: كان الحجاج وجّه هميان بن عدي السدوسي[1] إلى كرمان وجعله مسلحة بها ليمدّ عامل سجستان إن احتاج إلى ذلك فعصى ومن معه، فوجه عبد الرحمن بن الأشعث لمحاربته فهزمه وقام بموضعه، فلما رأى ابن أبي بكرة ضمّ إليه جيشاً أنفق عليه ألفي ألف درهم، وكتب إليه في محاربة رتبيل بمن معه وبذلك الجيش.

قال أبو مخنف: خطب ابن الأشعث الناس حين دخل سجستان، فقال: إن الأمير الحجاج ولّاني ثغركم وأمرني بجهاد عدوكم الذي استباح بلادكم، وأباد خياركم، ثم عسكروا فخرجت له الأسواق، وبلغ ذلك رتبيل، فكتب إليه: إنه ليست أمّة من الأمم أعظم في أنفسنا ولا أحق بالإجلال والإكرام والتبجيل عندنا منكم، وقد كان من مصاب إخوانكم ماعلمتم وماكان ذلك عن هوى مني ولا إرادة، وقد كنا صالحناكم على صلح فيما مضى، ولولا أن ابن أبي بكرة نقض وبدّل لجرينا في أمره مجرانا في أمر غيره، ونحن نسألك أن تصالحنا وتقبل منا ماكان غيرك

---

(١) سدوس بطن من بني شيبان بن ذُهل وهو سدوس بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عُكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل.

ممن كان قبلك يقبله، وأهدي إليه خاله العاقب بن سعيد وكان ابن أبي بكرة رهنه مع ولده ثم أتبعه جميع الرهن الذين كانوا قبله.

فلم يجبه حتى أعدّ له القاسم بن محمد بن الأشعث أخاه، وكان ورد عليه من طبرستان في خيل عظيمة، وأمره أن يغير عليه بمكانه الذي هو به.

وكان مع رُتبيل رجل من تميم يقال له عبيد[1] بن أبي سبع، ويقال عبيد الله بن سبع وكان يرى رأي الخوارج فيما يقال، وكان مقيماً بسجستان في ولاية زياد بن أبي سفيان وبعد ذلك، فقال له: قد جاءك أغدر[2] العرب وأشدّهم أبّهةً وكبراً، فتحول من مكانك فإني لا آمن عليك أن يأتيك وأنت غارٍ. فخرج من مكانه مسرعاً، وورد القاسم فلم يجد إلا عجائز وشيوخاً وقتلى من المسلمين، فكفنهم وصلى عليهم ودفنهم، ثم لم ينشب[3] أن سار إليه في الجنود.

أبو الحسن المدائني عن أشياخه، قالوا: قدم عبد الرحمن سجستان فأقام حتى أسمن الناس وأراحوا وحضّر الغزو، فخرج بهم من باب يسك فعرض الناس وخطبهم وحرّضهم، ثم لما كان في أول المفازة عرضهم فلم يتخلف عنه أحدٌ منهم فقطع المفازة ونزل بست فتلقاه رتبيل واعتذر إليه من مصاب المسلمين، وقال: كان ذلك على كره مني وعرض عليه الفدية، وسأله أن يقبل منه ماكان يقبله من قبله وبعث الرهن وفيهم خاله العاقب بن سعيد، فأخذ الرهن ولم يجبه إلى شيء مما

(١) عبيد بن أبي سبع في نسخة مخطوط المكتبة العامة المغربية صفحة ٦٨/٤٧٢ صحح فوق عبيد أي كتب صح.

(٢) كانت عائلة قيس ابن معدي كرب عند العرب مشهورة بالغدر. فقيس هذا أسر وافتدى نفسه بثلاثمئة ناقة فأطلق وعندما جاءه آسره بطلب الفداء قتله، والأشعث ابنه أسلم ثم ارتد وقبل إسلامه بعد الردة أبو بكر الصديق وتركه وقال أبو بكر: وددت والله أني ضربت عنقه ولم أخله فإني رأيت لايكون شر إلا أعان الأشعث عليه. ويقال إن ابن ملجم ليلة قتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه بات ليلته هذه عنده غدر بمن سأله أن يزوج الحسن بن علي ابنته فنهاه عن ذلك وزوج هو الحسن ابنته جعدة التي سمّت الحسن رحمه الله.

(٣) لم ينشب: أي لم يلبث ـ اللسان ـ

يريد، وقدّم القاسم أخاه أمامه ثم سار وجعل رتبيل يدع البلاد حصناً طمعاً في أن ينال منه مانال من غيره، وحذر ابن الأشعث، فكان لايأتي حصناً ولايجاوز عمراناً إلا وخلّف فيه قائداً في كثف من المسلمين، ورتّب الرجال فأنزل أخاه القاسم الرخج ونزل هو بُست وكره التوغل في البلاد، وكتب إلى الحجاج بذلك.

فكتب إليه [الحجاج]: يابن الحايك الغادر كتابك إليّ كتاب رجل يحب الهدنة والموادعة لعدو قليل ذليل، ولعمري يابن أم عبد الرحمن إنك حين تكفّ عن ذلك العدو ومعك جندي لسخيّ النفس عمّن أصيب من المسلمين، إني لم أعدد رأيك مكيدة ولكني أعددته ضعفاً وجبناً والتياث رأي، فامض لما أمرتك به من الوغول في أرضهم والهدم لحصونهم، فإنها داركم حتى يفتحها الله عليكم.

١٣١ ـ إظهار عبد الرحمن بن محمد خلع الحجاج.

فأغضب عبد الرحمن بن محمد ذلك، وقال: يكتب إليّ ابن أبي رغال[١] بمثل هذا الكتاب وهو والله الجبان وأبوه من قبله[٢]، وعزم على خلع الحجاج، وكان سوى جند الكوفة والبصرة الذين جعله الحجاج عليهم بالأهواز، جند قدموا مع الصباح ابن محمد والقاسم بن محمد أخويه كانوا بطبرستان، فكتب الحجاج في إشخاصهم إليه معهما، وبعث الحجاج أيضاً إلى عبد الرحمن إسحاق بن محمد بن الأشعث في جند آخر، وكتب إليه: إن أنت توقفت عن السير في بلاد العدو ولّيت إسحاق بن محمد بن الأشعث جندك وصيّرتك من تحت يده كبعض أهل المصر.

فأظهر خلع الحجاج، وقال: أيها الناس والله إني لكم ناصح ولصلاحكم محبّ، وفيما يعمّكم نفعه ناظر، وقد استشرت ذوي أحلامكم والتجربة منكم، فأشاروا عليّ بما علمتم من ترك التوّغل في بلاد العدو، وإن الحجاج كتب إليّ بإنكار وكراهته إياه، وأمرني أن أتوغل بكم تغريراً لجماعتكم كما غرّر بإخوانكم بالأمس، فقالوا: لا، بل تأبى علي عدو الله أمره ولا نسمع له ولا نطيع، فإن ابن أبي رغال لايريد بنا خيراً.

وعقد لمن وثق به وحلّ ألوية من أبى منهم، وافتعل كتاباً من الحجاج في تولية

---

(١) أبو رغال: اسمه زيد بن مخلف عبدٌ كان لصالح النبيّ عليه الصلاة والسلام، بعثه مصدّقاً، وإنه أتى قوماً ليس عندهم لبن إلا شاة واحدة، ولهم صبي قد ماتت أمه فهم يغذونه بلبن تلك الشاة، فأبى أن يأخذ غيرها. فيقال إنه نزلت به قارعة من السماء، ويقال قتله رب الشاة، فلما فقده صالح النبي، قام بالموسم ينشد فأُخبر بصنيعه فلعنه، فقبره بين مكة والطائف يرجمه الناس، وكانت ثقيف تنسب إلى ثلاث: هوازن وهو الصحيح، وعنزة بن أسد ابن ربيعه، وثمود، وكان من يكره الحجاج ينسبه إلى ثمود أنه من ولد أبي رغال، وكان الحجاج يقول رداً على ذلك: وأما ثمود فما أبقى قول الله تعالى.

(٢) يعرض بجبن الحجاج وأبيه يوم هرب هو وأبوه على جمل واحد في حرب حبيش بن دلجة يوم الربذة في عهد مروان بن الحكم وعبد الله بن الزبير.

قوم وعزل آخرين ليفسد قلوبهم، وكانوا وجوهاً أشرافاً، قالوا وكان أول من تكلم عامر بن واثلة الكناني[1] وكان شاعراً خطيباً، فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه: أما بعـد، فإن الحجاج والله مايرى بكم إلا مايرى القائل الأول، إذ قال لأخيه احمل عدوك على الفرس فإن هلك هلك وإن نجا فهو لك، والله مايبالي أن يخاطر بكم فيقحمكم بلاداً كثيرة اللغوب والعقارب والأشُب[2]، فإن ظفرتم وغنمتم جبى وحاز الأموال، وإن ظُفر بكم كنتم الأعداء البُغضاء، فاخلعوا وبايعوا أميركم فإني أول خالع للحجاج عدو الله، ثم قال عبد المؤمن بن شبث بن ربعي: إن أطعم الحجاج جعلها بلادكم مابقيتم وجمّركم[3] تجمير فرعون لجنده، والله مايبالي أن تهلكوا وتقتلوا.

فنادى الناس من كل جانب: خلعنا الحجاج عدو الله، ووثبوا إلى عبد الرحمن ليبايعوه، فقال لهم: تبايعوني على خلع عدو الله الحجاج، وعلى نصرتي وعلى جهاد عدوي معي حتى ينفيه الله من أرض العراق، فبايعه الناس ولم يذكروا خلع عبد الملك.

وقال أبو مخنف: كانت بيعته على كتاب الله وخلع أئمة الضلالة وجهاد المحلّين، قال:

---

(١) الصحيح ليس عامر بن واثلة بن عبد الله بن عمير بن جابر بن حُميس بن جُديّ بن سعد بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، والذي كان يلقب أبا الطفيل، وإنما الصحيح الذي كان مع ابن الأشعث ابنه الطفيل وقتل معه، وله يقول أبوه: [من البسيط]

خلّى طفيلٌ عليّ الهم فانشعبا ... فهدّ ذلك رُكني هدّةً عجبا

كما جاء في كتاب جمهرة النسب: ج: ١ ص: ٢٠٢ وأعتقد أن الناسخ أسقط سهواً الطفيل.

(٢) أشَبَ: خلط والإشابة من الناس: الأخلاط والجمع الأشائب. والأشَب: كثرة الشجر وهو بفتح الشين وليس بضمها كما جاء في مخطوط المكتبة العامة المغربية. واللغوب: التعب.

(٣) جمّر: الجمر النار المتقدة، وجمّر الشيء: جمعه ـ اللسان ـ

فلما بايعوا ابن الأشعث، قالوا: ننصرف إلى العراق فنخرج الحجاج عدو الله من العراق فإن جهاده أولى.

وقال الهيثم بن عدي، أخبرني عمر بن ذر الهمداني أن أباه ذر بن عبد الله ابن زرارة، كان مع ابن الأشعث، وأنه ضربه وحبسه لانقطاعه إلى أخويه القاسم وإسحاق ابني محمد، وضرب وحبس معه عدّة، منهم عمران بن عبد الرحمن وقتادة بن قيس، فلما خلع دعاهم فحملهم وكساهم وأعطاهم وأقبلوا معه فيمن أقبل، فأما ذر بن عبد الرحمن فكان قاصّاً خطيباً فثبت معه وناصحه، وأما عمران بن عبد الرحمن فناصحه وثبت معه، وأما قتادة ففارقه ولحق بالحجاج.

قالوا ولما خلع الحجاجَ عبدُ الرحمن وأصحابه وادع رتبيل وكتب بينه وبينه كتاباً وعاهده على أن لا يرزأ منه شيئاً، وإن ظفر بالحجاج لم يسأله خراجاً أبداً مابقي، وإن قوي عليه الحجاج لجأ ومن معه إليه فمنعهم، ثم انصرف ابن الأشعث إلى بُست فاستعمل عليها عياض بن عمرو السدوسي، وهو الثبت، ويقال عياض بن همام وكان عياض قاتل عبد الرحمن حين قدم سجستان فقتل من أصحابه مقتلةً عظيمة، وبعث إلى الحجاج برؤوس من قُتل وهرب حتى لحق برتبيل، فلما بلغه خلعه للحجاج أتاه فبايعه. وولّى عبد الله بن عامر التميمي ثم المجاشعي[1] ولقبه البعّار زرنج، وقال ابن الكلبي البعّار علقمة[2] بن حُوَيّ بن سفيان بن مجاشع.

---

(١) مجاشع بطن من تميم وهو مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم.

(٢) وعلقمة هو البعّار بن حوي بن سفيان بن مجاشع. جمهرة ابن الكلبي من تحقيقي. ج: ١ ص: ٢٩٣.

وأقبل عبد الرحمن بن محمد يريد العراق فهرب منه إسحاق بن محمد والقاسم والصباح والمنذر إخوته، فأما القاسم فإنه رأى إسحاق يناجي الصباح دونه فغضب فعاد إلى أخيه، وأما الآخرون فلحقوا بالحجاج، وجعل أعشى همدان يجري على فرس وقد خرج عبد الرحمن عن سجستان مقبلاً إلى الحجاج، وهو يقول:

[من الرجز]

شطَّت نَوى مَنْ دارُه بالإيوان ... إيوانِ كسرى ذي القُرى والرَّيحانْ
فالبَنْدنْجينَ إلى طرازِ أستانْ ... فالجسرُ فالكوفةُ فالغَرِّيّانْ
من عاشِقٍ أمسى بزَابُلِستان ... إنَّ ثقيفاً منهمُ الكذّابان[1]
كذّابُها الماضي وكذّابٌ ثانْ ... إنا سَمَونا للكفورِ والخوّانْ
حين طغى في الكفر بعد الإيمانْ ... بالسَّيِّد الغِطريفِ عبدِ الرحمن
سار بجمعٍ كالدَّبى[2] من قحطان ... ومن مَعَدٍّ قد أتى ابنُ عدنان
بجحفلٍ جَمٍّ كثيرِ الأركانَ ... فقل لحَجّاجٍ وَليِّ الشّيطانْ
أثبُتْ لجمعٍ مَذْحِجٍ وهَمْدانْ ... والحيِ من بكرٍ وقيس عَيلان
فإنّهم ساقوكَ كأسَ ذيفان[3] ... أو مُلحقوكَ بقُرى ابنِ مروان

وقال أبو جلدة اليشكري[4]، وكان مع ابن الأشعث:

---

(١) الكذابان: هما المختار بن أبي عبيد الثقفي وقد قتله مصعب بن الزبير بالكوفة عندما استولى عليها منه، والكذاب الثاني يقصد به الحجاج بن يوسف.

(٢) الدّبى: الجراد قبل أن يطير، ويقال، جاؤوا كالدّبى: أي كثيرين.

(٣) الذّئفان بالهمز، والذّيفان بالياء والذّيفان بكسر الذال وفتحها والذّواف، كله: السمّ الناقع ـ اللسان ـ

(٤) اليشكري: بطن من بكر بن وائل وهو يشكر بن بكر بن وائل.

[من الرجز]

نحنُ جَلَبنـا الخيلَ مِن زَرَنجـا مالـكَ ياحـجّـاجُ منّـا منجـا
لتُـبـعـجَـنَّ بالـرمـاحِ بَعـجـا أو لتـفـرّنَّ وذاك الحـجـى

١٣٠ ـ حدثني خلف بن سالم وأحمد بن إبراهيم، قالا ثنا وهب بن جرير عن ابن أبي عيينة:

أن عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث لما خلع، كتب إلى المهلّب يسأله الخلع معه، فقال المهلب: ماكنت لأغدر بعد سبعين سنة، ثم قال: ماأعجب هذا يدعوني إلى الغدر مَن بعض ولدي أكبر منه، وقال لرسوله: اتق الله في دماء المسلمين، ولم يجبه عن كتابه وبعث به إلى الحجاج.

وحدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه عن جَدّه، قال:

لما عاهد عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث رتبيل وكتب بينه وبينه كتاب الوثيقة، وثب رجل من همدان يقال له فندش بن حيان الهمداني على رجل من الكفار من أصحاب رتبيل، جرى بينه وبينه خلاف في شيء. فضربه فشجّه شجّة خفيفة، فبعث رتبيل إلى عبد الرحمن بفندش ولم يقتله، فأمر عبد الرحمن بقتله، فقال أعشى همدان، وكان فندش صديقاً له ونديماً له:

[من الطويل]

تعـوَّذ إذا مابتَّ من بعدِ هَجعَـةٍ من المـرءِ في سُلطانِـهِ المُتفَحّشِ
ومن رجـلٍ لاتعـطفُ الرحمُ قلبَهُ جريءٍ على أخـوالـهِ مُتحـمِّشِ
لجوجٍ شديدٍ بطشُـهُ وعـذابـهُ حتى يأتِـهِ ساعٍ بعمياءَ يبـطِشِ
أمن خَدشَـةٍ بالعـودِ لم يُدمَ كَلهـا ضربتَ بمصقـولٍ علاوةَ فَندَشِ
وأزهقتَ في يوم العُروبـةِ نفسَـهُ بغـيرِ قتيلٍ صاحـياً غيرَ مُنتَشِ
أبـى رُتـبَـيلُ قتـلَهُ فقـتـلتَـهُ وأنـتَ على خوّارةٍ وسطَ مِفـرشِ
وبـاكـيةٍ تبكي على قبرِ فَنـدشٍ فقلت لها: أذري دموعَكِ واخمِشي
وإنّا لنجزي الذحلَ بالذحلِ مثله ونضربُ خيشومَ الأبلِّ الغَطمَّشِ
فتـىً كان مقـدامـاً إذا الخيل أجمعتْ ضروباً بنصلِ السيفِ ليسَ بمُرعِشِ

ويقال إن فندشاً والأعشى ورجلاً آخر كانوا على شراب لهم وهم في عسكر ابن الأشعث، فنُودي يوماً بالسلاح فمر بهم المنادي فأمرهم باللحاق بالناس، فقال فندش: لانريم حتى نفرغ من شرابنا، فعلاه المنادي بالسوط، فوثب فندش عليه فضربه بعصاً على رأسه، فانطلق إلى ابن الأشعث فأعلمه فأمر بقتل فندش فقُتل، والأول أثبت.

قالوا وكان مع ابن الأشعث أبو جوالق أحد بني غسل بن عمرو اليربوعي[1]، وقوم يقولون عسل والأول قول ابن الكلبي، وكان أبو جوالق شجاعاً، وفيه يقول الشاعر:

[من الرجز]

سبعونَ ألفاً كلُّهم مُفارقْ　　　مثلُ الحَريشِ وأبي جوالِق

يعني الحريش بن هلال القريعي[2].

قالوا وأقبل عبد الرحمن يسير بالناس، وسأل عن أبي إسحاق السبيعي[3]، فقيل له: لاتأتيه فقد سأل عنك فكره أن يأتيه، ونزل أبو إسحاق بفارس ولم يدخل

---

(١) اليربوعي: بطن من تميم وهو يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم.
(٢) الحريش بن هلال بن قدامة بن شَماس بن لأي بن جعفر (أنف الناقة) بن قريع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم.
(٣) هو سبيع بن عمرو بن فُتيَة بن أمة بن بَجالة بن مازن بن ثعلبة بن سعد بن ذبيان بن بغيض.

الفتنة حتى انقضت، وأتى عبد الرحمن كرمان فولّاها عمرو بن لقيط العبدي[1]، ثم أتى فارس فولّاها خرشة بن عمرو التيمي.

وحدثني علي بن المغيرة عن أبي عبيدة، قال:

كتب المهلب إلى ابن الأشعث من خراسان: يابن أخي إنك قد وضعت رجليك في ركابين طويل غيُّهما على أمّة محمد، تركت قتال المشركين وأقبلت لقتال المسلمين، أما تذكر بلاء الحجاج عندك حين جمع لك الجندين جميعاً، قال: وقال أعشى همدان:

[من مجزوء الكامل]

من مُبلغُ الحجاجَ أنّي ... قد نَدَبتُ إليه حَربا

حربـاً مذكّرةً عوانـاً ... تترك الشُّبّانَ شُهبا

وصفقتُ في كفِّ امرىءٍ ... جَلدٍ إذا ماالأمرُ غبّا

لابنِ الأشجّ قريعِ كنـ ... ـدَةَ لا أبينّ فيه عتبا

أنتَ الرئيسُ ابن الرئيسِ ... وأنت أعلا القومِ كعبا

في قصيدة:

قال وتمثل ابن الأشعث حين أقبل يريد الحجاج بشعر مُعَفِّر بن حمار البارقي:

[من البسيط]

سائِل مُجاوِرَ جَرمٍ هل جَنَيتُ لهم ... حرباً تُزيِّلُ بينَ الجيرَةِ الخُلُطِ

وهل تركتُ نساءَ الحيِّ ضاحِيةً ... في باحَةِ الدّارِ يستوقدنَ بالغُبُطِ[2]

وتمثل أيضاً:

---

(١) العبدي: أي من عبد القيس.

(٢) الغبيط: الرّحل وهو للنساء يشدُّ عليه الهودج والجمع غُبُطٌ.

[من الكامل]

خلَعَ المـلوكَ وسـار تحتَ لوائِـهِ ... شجرُ القُرَى وعُـراعُـرُ[1] الأقوامِ

قال وأخرج ابنُ الأشعث لأيَ بن شقيق بن ثور، عاملَ الحجاج على كرمان وأخـذ مافي بيت مالها، فقـدم لأي بن شقيق بن ثور على الحجاج، فأخبره خبره فكتب معه إلى عبد الملك يستمدّه، قال وقالت ابنة سهم بن غالب الهجيمى[2]:

[من الرجز]

ياأيُّهـا الـسـائـلُ عمّا قد كان ... أبشر أتـاكَ الغـوثُ من سِجستـانْ

ابـنـا نزارٍ وسراةُ قحـطانْ ... وفـيهـمُ المنصـورُ عبـدُ الـرحمن

يقـودُ جيشـاً جَحفـلاً ذا أركـان ... سبعـينَ ألفـاً لابسـين الأبـدانْ

قد ذَهـبَ المـلكُ عن آلِ مروان ... والـثـقـفـيُّ زالَ عنـهُ الـسُّلطانْ

خلع عبد الملك بن مروان:

١٣١ ـ قالوا فلما صار ابن الأشعث ومن معه بفارس، قال بعضهم لبعض: إذا خلعنـاالحجاج فقد خلعنا عبد الملك، فاجتمعوا إلى ابن الأشعث، فكان أول الناس قال: خلعت عبد الملك بيحان بن الجرّ أحد ولد ربيعة بن نزار، أحد بني بكـر بن وائل، قام فقال: أيها الناس إني خلعتُ أبا الذبّان كخلعي قميصي هذا فخلعه الناس.

وكان أبو حزابة وهو الوليد بن حُنَيفة بن سفيان بن مجاشع بن ربيعة بن وهب بن عبدة بن ربيعة ابن حنظلة بن مالك بكرمان، فلما وردها ابن الأشعث، تعرّض له فقال:

---

(١) عُرْعُرة الجبل: غلظه ومعظمه وأعلاه.

(٢) سهم بن غالب المجيمي: وهـو أول خارجي بعـد النهروان، والهجيم بطن من تميم وهو الهجيم بن عمرو بن تميم.

[من الرجز]

يابنَ قَريعٍ كِندةَ الأشجِّ أما تَرى لفرسي في المرجِ
وماهَنُوشٍ ذهبتْ بسَرْجي في فتنةِ الناسِ وهذا الهَرجِ[1]

فضحك وقال: افتكّوا سرجه قبّحه الله، وكان قد رهنه على خمسين درهماً عند بغي، يقال لها ماهنوش وبات ليلة عندها[2]، والأشج (أبو جدّه) قيس بن معدي كرب شُجَّ في بعض أيامه.

وحدثني عبد الله بن صالح العجلي، حدثني القاسم بن سهل النوشجاني، حدثني عدّة من آل المهلب:

أن المهلب كتب إلى ابن الأشعث حين بلغه خلعه: إنك يابن محمد قد وضعت رجلك في غَرْزٍ[3] طويل الغيّ فالله الله يابن أخي، انظر لنفسك ولا تهلكها واتق الله في دماء المسلمين أن تسفكها والبيعة فلا تنكثها، والجماعة فلا تفارقها، فإن قلت أخاف الناس على نفسي فالله أحقّ أن تخافه، والسلام.

قال، وقالوا: كتب المهلب إلى الحجاج، أما بعد: فإن أهل العراق قد أقبلوا وهم مثل السيل المنحطّ من علٍ ليس يرده شيء حتى ينتهي إلى قراره، ولأهل العراق شِرّة[4] في أول مخرجهم، وبهم صبابة إلى أبنائهم ونسائهم فليس شيء يردّهم دون أهليهم، فلا تستقبلهم وخَلِّ لهم السبيل حتى يأتوا البصرة فيواقعوا نساءهم ويتنسموا أولادهم، فترقّ قلوبهم ويخلدوا إلى المقام في منازلهم فيتفرّقوا عن ابن الأشعث، ثم واقع من حاربك منهم فإن الله ناصرك عليهم.

---

(١) في الجمهرة: ج ١١ ص: ٢٣٢. في فتنة الناس وهذا الهرج وماه نوشٍ ذهبت بسرجي.

(٢) وفي نفس الصفحة: فقال: أعطوه خمسين درهماً يفتكُّ سرجه، قال الكلبي: علمه أن سعر تلك خمسون درهماً ريبة.

(٣) الغرز: ركاب الرحل من جلود مخروزة، فإن كان من حديد أو خشب فهو ركاب.

(٤) شِرّة: الشرّة: النشاط والرغبة ـ اللسان.

فلما قرأ الحجاج كتابه، قال: ويلي على المزونيّ[1] والله مالي نظر ولكن لابن عمّه[2] نصح، ثم إنه نظر بعد ذلك في كتابه، فقال: رحم الله المهلّب فقد كان ناصحاً للإسلام وأهله.

وحدثني عمر بن شبّة عن هارون بن معروف عن ضُمرة بن ربيعة عن ابن شوذب قال:

كتب عمال الحجاج إليه: إن الخراج قد انكسر وإن أهل الذمّة قد أسلموا ولحقوا بالأمصار فكتب إلى أهل البصرة وغيرها: إن من كان له أصل في قرية فليخرج إليها، فخرج الناس فعسكروا وجعلوا يبكون ويقولون: يامحمداه، وجعلوا لايدرون أين يذهبون، فجعل قرّاء أهل البصرة يخرجون إليهم مقنعين فيبكون معهم. وقدم ابن الأشعث على تفئة[3] ذلك، فاستبصر أهل البصرة في قتال الحجاج مع ابن الأشعث.

وقال أبو مخنف وعوانة: ورد على الحجاج أمر ابن الأشعث وهو نازل بلعلع[4] فقال إنها لِغليقة[5] من الأمر، وكتب إلى عبد الملك يخبره وسأله إمداده بالجنود، وأتى الحجاج موضع واسط حين فصل مِن لعلع فابتنى به مسجداً وقال: هذا مكان واسط فسمّيت واسط القصب، ثم بناها بعد ذلك.

---

(١) المزوني: نسبة إلى مزون وهو اسم من أسماء عُمان بالفارسية ـ اللسان ـ والمهلب من أزدعُمان.

(٢) جعل العمومة في قحطان فابن الأشعث من كندة قبيلة قحطانية وأزدعمان قبيلة المهلب قحطانية.

(٣) على تفئة ذلك: على أثر ذلك ـ اللسان ـ

(٤) لعلع: منزل بين البصرة والكوفة ـ معجم البلدان ـ

(٥) الغليقة: الداهية والأمر العجاب ـ اللسان ـ

قالوا ولما ورد كتاب الحجاج على عبد الملك في أمر ابن الأشعث، نزل عن سريره وبعث إلى أبي هاشم خالد بن يزيد بن معاوية وأقرأه الكتاب، فلما رأى خالد مابه من الجزع والارتياع، قال: إنما نخاف الحدث من خراسان وهذا الحدث من سجستان فلا تخفه، ثم خرج عبد الملك على الناس. فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إن أهل العراق قد استطالوا عمري فاستعجلوا قدري، فسلِّطِ اللهم عليهم سيوف أهل الشام حتى يبلغ رضاك.

وصار الحجاج إلى البصرة وأقام بها وعزم على لقاء ابن الأشعث، وكان المهلب كتب إليه يشير عليه أن لايقاتله حتى يرد الناس منازلهم فيركنوا إلى الدَّعة وتمنعهم الرقّة على أولادهم وعيالاتهم من المحاربة، ويحدث لهم آراء غير آرائهم وينتقضوا عند التفرق عن أمرهم، ويغط الرجل أخوه والرجل قومه فيفسخ عزمه، فلم يلتفت إلى كتابه ومشورته. وكان الحجاج أقدم سفيان بن الأبرد الكلبي من طبرستان وأُخذ بالحساب فكان محبوساً عنده، فلما حدث هذا الحدث دعا به خالياً فشاوره فيه، فرأى له أن يستقبل ابن الأشعث فيجعله على خيله وأحبّ بذلك التخلص من الغرم، فقبل قوله لموافقته هواه ورفض رأي المهلب.

وجعل فرسان أهل الشام يأتونه من قبل عبد الملك أرسالاً، يأتيه في اليوم المئة والعشرة وأكثر من ذلك وأقلّ، فبعضهم يأتي على البريد وبعضهم على الخيل العتاق المقدّحة[1] وبعضهم على الإبل الناجبة، وكانت أخبار ابن الأشعث تأتيه بنزوله مكاناً مكاناً، وسار الحجاج بأهل الشام حتى نزل تُستر الأهواز، وقدّم بين يديه عبد الله بن زُميت الطائي ومظهّر بن حُبَى العَكيّ[2] وجعل ابن زُميت من تحت يده.

---

(١) خيل مقدّحة: خيل مضمّرة ـ اللسان ـ.

(٢) العكّي: نسبة إلى علك وهو ابن الديث بن عدنان.

يوم دجيل ويوم تستر

١٣٢ ـ قالوا وقدّم عبدُ الرحمن بن محمد بن الأشعث محمدَ بن أبان بن عبد الله الحارثي في ثلاثمئة، فوجّه إليه مظهّر بن حبّى العَكيّ عبد الله بن زُميت، فهزمَ ابنَ أبان حتى اضطرهم إلى دجيل الأهواز، فوجّه مظهر مولى له، يقال له منقذ إلى الحجاج بالفتح وعظم الأمر، وأخبر أنه لقي مقدّمة ابن الأشعث فهزمهم وقتل أكثرهم، ولما رأى ابن الأشعث مافُعل بأصحابه جمع الناس وعبّأهم، ثم قال: اعبروا إلى أصحاب الحجاج فأقحم الناس خيولهم في دُجيل حتى صاروا إلى موضع الوقعة، ومظهّر في سبعة آلاف من أهل الشام، وذلك في يوم ضباب لايكاد الرجل يتبيّن فيه صاحبه، فحمل عليهم[1] عطيّة بن عمرو العنبري فضعضعهم، ثم حمل عليهم جرير بن هاشم بن سعيد بن قيس الهمداني فاقتتلوا قتالاً شديداً، ثم أتاهم الحريش بن هلال القريعي من بني تميم من خلفهم، وحمل الناس عليهم من بين أيديهم، فَهُزموا هزيمة قبيحة وقُتلوا قتلاً ذريعاً، وركب أصحاب الخيول في طلبهم فقتلوهم وأسروهم أنّى شاؤوا، وكان في الأسرى رجل من همدان، فقال لابن الأشعث: أصلح الله الأمير أنا أحد أخوالك، فقال: ابدأوا بخالي، فقُدّم فقتل وذلك يوم النحر سنة إحدى وثمانين يوم الجمعة، ويقال عشيّة عرفة واستباحوا عسكرهم.

وكان الحجاج حين جاءه رسول مُظهّر صعد المنبر فخطب، فقال: احمدوا الله على هلاكِ عدوّكم، فما نزل حتى جاءه بخبر هذه الوقعة عُبيد بن سرجس مولاه، فقال: أيها الناس إن تجلوا بنا إلى البصرة فإن هذا مكان لايحتمل الجند،

---

(١) عليهم: عائدة على أصحاب الحجاج.

وانصرف حتى نزل الزاوية[1] وبعث إلى طعام التجّار بالكلاّء[2] فأخذه فحمله إليه، وقال: من كان منهم وليّاً رددت عليه، ومن كان عدوّاً فما له ودمه حلال لنا، وخلّى البصرة لأهل العراق.

وكان عامله عليها الحكم بن أيوب الثقفيّ، الذي يقول فيه الشاعر:

[من البسيط]

قد كانَ عنــدكَ صيدٌ لوقَـنِعتَ بهِ ... فيه غنىً لك عن درّاجـةِ الحكمِ

وفي عوارِضَ ماتــنـفــكُّ تأكُـلُهــا ... إن كان يَشفيكَ أكل اللحم من قَرَمِ[3]

وكان الحكم بن أبي عقيل هذا أبخل الخلق، وكانت له درّاجة يُؤتى بها بعد الطعام، وكان استعمل رجلاً من بني مازن من بني تميم يقال له الغطرّق على بعض العروض، فقدم عليه والدرّاجة بين يديه، فدعاه إلى الأكل فأكل معه من درّاجته، فعزله وقال: الحق بأهلك، والعوارض المنكسر فتجبر، يقال هذا لحم عبيط[4] أم عارضة.

وقـال الهيثم بن عديّ: هزمَ ابنُ الأشعث صاحبَ الحجـاج بسواد دُجَيل، وقتـل من أصحـابه ثمانية آلاف، وقال غيره: قتل ألفين. قال وجاء ابن الأشعث وأهـل العـراق حتى دخلوا البصرة، فبـايعـه أهلها على حرب الحجاج وخلع عبد الملك، وسـارع إليه القرّاء والكهول[5] وكان الحجاج أمر سفيان بن الأبرد الكلبي

---

(1) الزاوية: موضع قرب البصرة كانت به الوقعة المشهورة بين الحجاج وابن الأشعث ـ معجم البلدان ـ

(2) الكلاّء: بالفتح ثم التشديد والمد: إسم محلة مشهورة وسوق بالبصرة أيضاً سميت بذلك ـ معجم البلدان ـ

(3) قرم: الشهوة إلى اللحم.

(4) عبط الذبيحة: نحرها من غير داء ولا كسر وهي سمينة فتيّة.

(5) الكهلْ: الرجل وقد جاوز الثلاثين ولم يبلغ الخمسين سنة.

حين أقبل إلى البصرة أن يكون في أخريات الناس فيهدم القناطر ويقطع الجسور وضمّ إليه جماعة، ففعل سفيان ذلك، وكان نزول الحجاج الزاوية يوم الخميس لسبع ليالٍ بقين من ذي الحجّة سنة إحدى وثمانين وكان عيّاش بن الأسود ابن عوف الزهري[1] حين بلغه أمر ابن الأشعث جمع بسوق الأهواز رجالاً ثم أتاه ومحمد بن الأسود فكانا معه.

وكان أول من دخل البصرة هميان بن عدي السدوسي، وكان شجاعاً وكان الحجاج قد حبس امرأته في قصر المسيّرين وهي أم بكر من ولد شقيق بن ثور السدوسي، وكان معه قوم فأخرجوها وقوماً كانوا محبوسين معها، فقال الشاعر:

[من الوافر]

فمنْ للمُـرهَفـينَ إذا استجاروا   ونـادى المُحصنـاتُ أبـا جريرِ

وهي كنية هميان، وعارض سفيانُ بن الأبرد هميانَ بن عديّ حين أخرج امرأته من محبسها فقاتله حتى دخل ابن الأشعث والناس، وقال زدا نَفرُّوخ بن بيري المجوسي كاتب الحجاج له: إنك إن منعتهم من دخول البصرة، حاربوك بجدّ واجتهاد لطول غيبتهم عن أوطانهم، وإن أنت تنحّيت وتركتهم فرجعوا إلى أهليهم قلّ من يحاربك منهم.

---

(١) الزهري: أي منْ زهرة من قريش أخوال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عيّاش بن الأسود بن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة بن كلاب وزهرة أخو قصي.

يوم الزاوية

١٣٢ - قالوا دعا ابن الأشعث بعبّاد بن الحصين وقد كبُر وفُلج، فقال: أشر بالرأي، فقال:

[من مجزوء الرجز]

يالـيتَـني فيهـا جَذع أخـبُّ فيهـا وأضَـع

أرى أن تخندق على المِربَد[1] ثم تدعهم حتى يخرجوا من معسكرهم في الزاوية فيأتوك مُعيين كالّين، ويخرج الناس إليهم نشاطاً جامِّين. فقال عبد الله بن عامر بن مسمع وكان صار إليه، وكان قبل قدومه على شرطة البصرة، وبشر بن محمد بن الجارود، وعبد الحميد بن منذر بن الجارود: أتخندق على تميم دورنا ودور الأزد؟ فخندق ناس من الناس على مايليهم، وخندق ابن الأشعث ولم يبلغ في الحفر، وخندق الحجاج على عسكره، وخرج سورة بن أبجر إلى الحجاج فصار معه، وخرج إلى ابن الأشعث رجل من أهل الشام يقال له نويرة الحميري، وكان شجاعاً فصار معه.

وكان قوم من أصحاب الحجاج يخرجون فيناوشون قوماً من أصحاب ابن الأشعث، ثم إن الحجاج ضمّ إليه خيله وجعلت الرجال تأتيه من عند عبد الملك على البريد والإبل والدّواب، وكتبَ على كل واحد منها ترد على صاحبه في كل يوم، وقال الحريش بن هلال السعدي[2] لعبد الرحمن: علامَ تدع الحجاج يأتيه كل يوم من أهل الشام، عاجله قبل أن يكثر جمعه، فقال ابن الأشعث: إن الله قد جمع كلمتكم وأعزّ دعوتكم فاخرجوا إليهم فجاهدوهم على اسم الله.

---

(١) المِربد: ناحية تبعد عن البصرة ثلاثة أميال وهي سوق من أسواق العرب مثل عكاظ.

(٢) السعدي: أي من قبيلة سعد بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس وهي القبيلة التي أرضعت رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فخرج وخرج الناس فجعل على الميمنة عبد الرحمن بن عوسجة الهمداني، وعلى الميسرة الحريش بن هلال السعدي، وعلى المجفّفة[1] طفيل بن عامر بن واثلة وتيحان البكري[2] وعلى الرجاله زياد بن مقاتل بن مسمع.

وخرج الحجاج إليهم وعلى ميمنته سفيان بن الأبرد الكلبي، وعلى ميسرته أيوب بن الحكم بن أبي عقيل الثقفي، وقال الحجاج لأصحابه: ياأهل الشام إنكم على الحق فاصبروا صبر المحق فإن الله مع الحق، إلناكث المبطل أولى بالفرار، ثم إنهم اقتتلوا قتالاً شديداً، فجعل الشاميّون يقولون للحجاج: لو صبرت حتى يجيىء مدد أمير المؤمنين، فيقول: لو كنت مبطلاً انصرفت، وجعل العراقيّون يدخلون عسكر الحجاج حتى بلغوا بيت ماله وسجنه وانهزم عنه أهل بيته، ثم رجعوا إليه، وجاء مولى لقيس بن الهيثم يقال له توبة إلى الحجاج وهو يظنه ابن الأشعث لكثرة من رأى في عسكره من العراقيين، فقال: أقرّ الله عينك أيها الأمير الحمد لله الذي أخزى الحجاج، فقال: اقتلوه لعنه الله فقُتل، ثم إن الحجاج جثى على ركبتيه وثاب أصحابه إليه وحمل سفيان على الناس فهزمهم، فقال زياد بن عمرو العتكي للحجاج: قد هزموا والحمد لله وكان معه.

وقُتل في المعركة يوم الزاوية فيما ذكر هشام ابن الكلبي: عيّاش بن الأسود بن عمرو الزهري، ويقال بل أسر بهُراة من خراسان واتي به الحجاج فقتله، وقُتل محمد بن الأسود أخوه، وقتل عقبة بن عبد الغافر الأزدي، وقتل عبد الرحمن بن عوسجة أبو سفيان، وقتل عبد الله بن عامر بن مسمع، وقد كان على شرطة الحجاج بعد زياد بن عمرو حين غضب على زياد، فلما أتي الحجاج برأسه قال: والله ماكنت أرى هذا فارقني، وقتل الطفيل بن عامر بن واثلة الكناني، وكان قد قال:

[من الطويل]

ألا أبلغِ الحجّاجَ أن قد أظلّهُ   عذابٌ بأيدي المؤمنينَ مُصيبُ

---

(١) التجفاف: الذي يوضع على الخيل من حديد أو غيره في الحرب ـ اللسان ـ

(٢) لم أعرف في تميم بطن يقال له البكري. ولم أجده في جمهرة النسب لابن الكلبي، والله أعلم.

فمرّ به الحجاج وهو في القتلى وقد كان بلغه شعره، فقال: تمنيّت لنا أمراً كان في العلم أنك أولى به، فجعل الله ذلك لك في الدنيا، وهو معذّبك في الآخرة.

وكان قتالهم يوم الأحد وكان البراء بن قبيصة بن أبي عقيل مع الحجاج فانهزم مع من انهزم من أهل بيته، وفارقوه في صدر يوم الأحد فرجعوا إليه جميعاً إلا البراء فإنه مضى إلى عبد الملك فعاذ به، فقال الحجاج: والله لا أمّنته إلا أن أضربه بالسيف ضربة أخذت ماأخذت وأبقت ماأبقت، فقال البراء في أبيات:

[من الطويل]

أخوَّفُ بالحجّاجِ يوماً ومَن يكُنْ طريدة ليثٍ بالعِراقين يفرقُ

كأنَّ فؤادي بينَ أظفارِ طائرٍ من الخوفِ في جوِّ السماءِ مُحلّقُ

وكان امرأً قد كنتُ أعلم أنّهُ متى مايَعد من نفسه الشرّ يصدقُ

وصبر آل سعيد بن العاص مع الحجاج، فقال ابن موهب كاتب الحجاج ومولاه واسمه عبيد:

[من الطويل]

لعمري لقد فرَّ البرا وابنُ عمّه وفرّت قريشٌ غيرَ آلِ سعيدِ

يعني (وابن عمه) مصعب بن عبد الله بن أبي عقيل، وكان عنبسة بن سعيد أيضاً جال جولة ثم رجع إلى الحجاج من ساعته فلم يفقده.

وظفر الحجاج بأهل الزاوية حين فاء الفيء يوم الأحد.

قتال أهل البصرة بعد معركة الزاوية:

١٣٣ ـ وأقبل (الحجاج) إلى البصرة فقاتله الناس قتالاً شديداً على أفواه السكك، فقال الحجاج: دعوهم فإنهم منهزمون والآن يتفرقون، وانصرف عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث واستخلف عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، وقال له: قاتل بالناس فإن عندهم قتالاً شديداً ولهم نشاط فإني منصرف إلى الكوفة ومُمِدّك بالرجال. ووثب أهل البصرة إلى عبد الرحمن ابن العباس فبايعوه على الصبر، فقاتل بهم الحجاج ثم انصرف، وكانت تلك الفعلة من ابن الأشعث هزيمةً، وكان يقول: إنما انصرفت وفي الناس فضل وعندهم قتال لأنه بلغني أن مطر بن ناجية الرياحي وثب بالكوفة فغاظني أن أكون فتحت باباً دخل مطر منه، وأن أكون إنما قدر على الوثوب بي فيكون له صوت معي، فأردت أن ألحقه فأحول بينه وبين إرادته.

فأقبل عبد الرحمن نحو الكوفة في ألفٍ من أهلها وقاتل ابن العباس آخر يوم الأحد ويوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء وليلة الخميس، وهي ليلة الهرير وصبر أهل البصرة على قتال الحجاج على أفواه السكك. وفُقد ابن الأشعث، فأمر الحجاج فرُفعت راية أمان، وناداهم أصحاب الحجاج بأمره: ثكلتكم أمهاتكم علامَ تقاتلون وقد ترك صاحبكم القتال ومضى؟ فدخلوا في الأمان وتفرقوا، وخرج ابن العباس ومَن معه مِن أهل الكوفة والأقوياء من أهل البصرة حتى لحق بابن الأشعث.

وجاء الحجاج حتى دخل البصرة، فنادى مناديه: ياأهل الشام لاتنزلوا البصرة، ونزل هو دار المهلب فرأى عنده جماعة نسوة، فقال: إن هؤلاء النسوة لجأن إليّ وخشين أن يدخل عليهنّ، فليرجعن فنحن أغير عليهن من أزواجهنّ، وقال حميد الأرقط بن عبد الرحمن بن سمرة، وكان أعور في أيام الزاوية:

[من الرجز]

يا أعورَ العينِ فَديتَ العورا ... لاتحسَبنَّ الخندقَ المحفورا

يدفَع عنكَ القَدرَ المقدورا ... ودائراتِ الدّهرِ أن تَدورا

وصعد الحجاج المنبر فذكر الله بما هو أهله، ثم قال: إن الله لم ينصركم ياأهل الشام على عدوكم لأنكم أكثر منهم عدداً وأظهر قوة، ولقد كانوا أثرى منكم وأقوى وهم في بلادهم، ومادتهم تأتيهم من مصرهم وبيوتهم فهم يستندون إلى ذلك ويعتصمون به، ولكنكم كنتم أهل الطاعة وكانوا أهل المعصية، فنصركم الله بغير حول منكم ولا قوة، فاحمدوا الله على نعمه ولاتبغوا ولا تظلموا، وإياكم أن يبلغني أن رجلاً منكم دخل بيت امرأة فلا يكون له عندي عقوبة إلا السيف، أنا الغيور ابن الغيور لا أداهن في الريبة ولا أصبر على الفاحشة.

قالوا وأصابت الحريش يومئذ جراحة، وكان يقاتل قتالاً شديداً، ويقول:

[من الرجز]

أنا حريشٌ وأبو قدامة ... أضربُ بالسيفِ مقيلَ الهَامة

أشجَعُ من ذي لُبَدٍ ضَرغامَه

وأتى سفوان[1] فمات من جراحته، وقالت حميدة بنت مقاتل ترثي أخاها زياد بن مقاتل بن مسمع:

[من المتقارب]

[أ] ياعينُ جودي ولا تفتُري ... وبكي رئيسَ بَني جَحدرِ[2]

ولما تَولّت جموعُ العراقِ ... وأسلِمَ مَنْ كانَ في العسكر

---

(١) سفوان: ماء على قدر مرحلة من باب المربد بالبصرة.

(٢) هو زياد بن مقاتل بن مِسْمع بن شيبان بن شهاب بن قُلع بن عمرو بن عبّادة بن ربيعة (جحدر) بن ضبيعة بن قيس ابن ثعلبة.

وحـامـى زيادٌ على قومِـهِ وفـرَّ جُديٌّ بني الـعـنـبرِ[1]

فسمعها البلتع وكان يبيع سمناً له عند بعض بني العنبر فاتّزر بكسائه وجاء حتى قام عندها وهو يقول:

[من المتقارب]

علامَ تلومـينَ من لم يُكـم[2] تطاول ليلك من مُعصِرِ[3]
فقـد تُبطحُ الخيلُ تحتَ العجاج غيرَ الـشّـهـيدِ ولا الُمـعـذِرِ
ونـحـنُ منـعـنـا لواءَ الحـريشِ وطـاحَ لواءُ بني جحـذَرِ

ورجـع إلى أصحـابـه، فقـال: قد شفيتكم منهـا. وقال عامر بن واثلة أبو الطفيل يرثي ابنه:

[من البسيط]

خلّى طُفيلٌ عليَّ الهـمَّ فانـشَـعبـا فهـدَّ ذلـك رُكـني هدَّةً عَجبـا
وابني سُهيمـةَ لا أنسـاهُما أبـداً فيمن نَسيتُ وكـلٌ كان لي نَصبا
وأخـطأتـني المنـايا لاتُـطالـعُني حتى كبرتُ فلم يتركنَ لي شذَبـا

في أبيات.

وولّى الحجاجُ الحكمَ بن أيوب البصرة في صفر، واتبع ابن الأشعث وسلك طريق الـبر، وكان زاذ نفروخ ابن بيري استخفى بالبصرة فخرج من دار إلى دار، فقتله بعض من رآه من أصحاب ابن الأشعث، فاستكتب الحجاج مكانه ابنه مرداشاه.

---

(١) بني العنبر: بطن من قبيلة تميم وهو العنبر بن عمرو بن تميم.

(٢) يُكم: الكوم: الفرج الكبير وكامها كوماً: نكحها وقيل الكوم يكون للإنسان والفرس.

(٣) المُعصِر: التي بلغت عصر شبابها وأدركت ـ اللسان ـ.

أمر مطر بن ناجية الرياحي[1]

١٣٤ ـ قالـوا كان مطر عامـل الحجـاج على المدائن وناحيتها، فأتى الكوفة فقال: إن ابن الأشعث قد هزم أهل الشام، فهلمّوا نخرج من عندنا منهم فكثرت تابعته وجاء حتى أحاط بالقصر، وفيه عبد الرحمن بن عبد الله بن عامر الحضرمي عامل الحجاج على الكوفة، وهو في أربعة آلاف من أهل الشام، ويقال في ألفين، فأشرفوا عليه وصالحوه على أن يجلوا ويخلّوا القصر والمصر.

وكان يونس بن أبي إسحاق يحدّث: أن مطراً لما أراد دخول القصر زحمه بغلٌ فضربـه بسيفـه فقطع جحفلته[2]، ثم قال: اللهمّ اخزه زحمني وقد آمنت صاحبه فأعـطاه بغـلاً مكـانـه، وأسلف النـاس مئتي درهم، وصحّت عنـده هزيمـة ابن الأشعث فخـطب النـاس، فقـال: إن محمـداً قد هُزم وأنا لكم مكانه أقوم مقامه فبايعه نفر من قومه قليل، وأمسك الناس فلم يبايعوه، فلما رأى ذلك دخل القصر ثم خرج بالعشي، فقال:

أيها الناس إن ابن محمد لقي الحجاج بالزاوية إلى جانب البصرة فاقتتلوا قتالاً شديداً، ثم تحاجـزوا فنـظروا فإذا ابن محمد مفقود لايُدري أفي الأحياء هو أم في الأموات، فبادر الناس عند ذلك إلى عبد الرحمن بن العباس ابن ربيعة بن الحارث بن عبـد المطلب فبايعوه، فعهد العاهد به وقد حصر الحجاج وظهر عليه، فقوموا فبـايعوا له فإنه رجل من قريش، ثم من بني هاشم من أهل بيت نبيكم صلى الله عليه وسلم.

فقام إليه عبد الرحمن بن أبي ليلى فبايعه، ثم بايعه حمزة بن المغيرة بن شعبة، ثم إنه دخل وأمر مطرٌ ابنَ أبي ليلى بأن يبايع الناس، فقال صدقة وتوبة ابنا عبيد

---

(١) الرياحي: أي من بني رياح بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم.

(٢) الجحفلة: جحفلة الدابة: ماتناول به العلف، وقيل الجحفلة من الخيل والحُمر والبغال والحافر بمنزلة الشفة من الإنسان والمِشفر من البعير ـ اللسان ـ

الله بن الحر الجعفي[1] : ماهذه البيعة؟ نحن على بيعتنا الأولى، ويقال إنهما ضربا وجه ابن أبي ليلى بحصى كان معهما وقالا: نحن على بيعتنا التي بايعنا عليها صاحبنا حتى تنظر ماصنع، وقام ناس كثير فقالوا مثل ذلك، وصاحوا بابن أبي ليلى انزل فنزل، وسمع (ابن) ناجية الصوت، فقال: ماهذا؟ قالوا له: قد اختلف الناس، فخرج فقال: أيها الناس أنا رجل منكم فمن استقمتم له ورضيتم به وبايعتموه بايعته، فسكن الناس.

وأقبل ابن الأشعث وسمع الناس بمجيئه فخرجوا يستقبلونه.

وقال الهيثم بن عدي: أقبل ابن الأشعث من سجستان وقد خلع فنزل الخُريبة بالبصرة، خندق على عسكره واقتتل هو والحجاج بالزاوية، وبلغ ابن الأشعث أن مطر بن ناجية قد أخذ الكوفة، فدعا خاصّته وأعلمهم أنه يريد الكوفة، واستخلف عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة وسار في نحو من ألف ففُقد، وقاتل عبد الرحمن بن عباس بالبصرة خمسة أيام ثم انهزم، وقدم ابن الأشعث الكوفة.

وقال ابن الكلبي عن أبي مخنف وغيره: لما خرج الناس لتلقي ابن الأشعث، فرأى كثرة من استقبله عدل عن الطريق كراهة أن يروا من معه من الجرحى، وجعل أصحابه يقولون: إن الله قد أخزى الحجاج وهزمه وفرّق جمعه، وأقبل حتى نزل عند دار فرات بن معاوية، وقال: والله لا أبرح ولا أدخل منزلي حتى أستنزل مطراً ثم جلس في أصحاب الخُلقان[2] فرآه رجل من بني أسدٍ، يقال له عبد الله، فقال: ماأخلق هذا الرجل لأن يخلق أمره، وجاء الناس إليه من كل مكان وسبقت

---

(١) أي من قبيلة جعفي، وهو جعفي بن سعد العشيرة بن مالك (مذحج) بن أود بن زيد بن يشجب بن عَريب بن زيد بن كهلان بن سبأ.

(٢) خُلقان: شيء خَلَقٌ: بالٍ الذكر والأنثى فيه سواء ويقال ثوب خلق، وملحفة خلق والجمع خُلْقَانٌ ـ اللسان ـ

إليه همدان الناس وكانوا أخواله، وتفرّق الناس عن ابن ناجية وأراد قوم من بني تميم[1] أن يقاتلوا عنه، فلم يطيقوا ذلك فأمسكوا، وقال ابن الأشعث: كفّوا عنه ولا تقتلوه وأتوني به سالماً، فدعا الناس بالسلاليم فوضعت على القصر وصعدوا، فأخذ وأتي به ابن الأشعث، فقال له:

استبقني فإني أفضل فرسانك وأعظمهم غَناءً عنك، فأمر به إلى الحبس. ثم دعا به بعد ذلك فبايعه فقال الشاعر(*):

[من الكامل]

أبني تميمٍ ما المنابر ملككُمْ ... لايستقرُّ قعودُهُ يتمرمرُ

إنَّ المنابر أنكرت أشباهَكُم ... فادعُوا خزيمةَ[2] يستقرَّ المنبرُ

قومٌ رأيتُ الله ينصرُ دينَهم ... عند اللقاءِ ودينكُم لايُنصرُ

خلعُوا أمير المؤمنينَ وبايعوا ... حوّاكَ[3] كندةَ بيعةً لاتظفرُ

بايعتمُ مَطراً وكانت هفوةً ... خَلفٌ لعمرُكَ من أميّةَ أعورُ

قالوا ودخل عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث القصر وجاءه الناس من كل أوب، فأتاه أهل البصرة وتقوّضت إليه المسالح، وجاءه قوم من الثغور، ولحق عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب في جماعة من فرسان البصرة ووجوههم، ممن لم يأمن الحجاج ولم يثق بأمانة، وتلاحق به أصحابه.

---

(١) أراد قوم من بني تميم: لأن رياح بطن من تميم كما شرحت سابقاً.

(٢) خزيمة: لاأجد هنا لها معنى سوى إذا قصد قبيلة خزيمة ابن أسد لأن منها كنانة ومن كنانة قريش ومن قريش أمير المؤمنين عبد الملك.

(٣) حوّاك: من حاك الثوب وكانت العرب تعيّر كل صاحب صناعة أو مهنة وكان كثير من كندة في اليمن أصحاب مهن منها الحياكة فيعيّر الأشعث بالحياكة في كندة، كما يعيّر الفرزدق بابن القين أي ابن الحداد.

(*) في الهامش من أصل المخطوط هو: الأقيشر الأسدي.

وقـام الحجـاج بالبصرة خطيبـاً، فقـال: إنكم خالفتم وعصيتم وأحللتم بأنفسكم فعفـوت عنكم وقـد قدرت، وأنا أقسم لكم بالله لئن عدتم لمثل فعلكم لأقتلنّ مقـاتلتكم ولأخربنكم بأموالكم، وأقام فيها يقال بالبصرة نحواًمن شهر ثم خرج منهـا إلى الكـوفة ومعه زياد بن عمرو العتكي[1] ، فرفع إلى الحجاج أن عند زياد ثقل عبد الله بن يزيد بن المغفل ونجائبه وإبله، فسأله الحجاج عن ذلك فأقرّ به، وقال: أصلح الله الأمير، كان رجلاً من قومي فوالله ماشعرت بشيء حتى رأيته في داري وثقله فاستحييت منـه وخـرج هاربـاً، وكانت مُلَيْلة بنت يزيد بن المغفل أختـه امـرأة عبـد الـرحمن بن محمد بن الأشعث، قال: أفتؤوي ثقله وقد عرفت عداوته لي وللمسلمين؟ فأين ثقله الآن؟ قال: ألحقته به إلا مالا بال به، فشدّه في الحـديد وخـرج به معـه. فبعث زياد ابن الحواري بن زياد إلى عبد الملك فأعلمه علمـه، فكتب إلى الحجـاج: أمـا بعـد فإنـه بلغني أنـك حبست زياد بن عمرو العتكي، وليس مثـل زياد يُحبس ولايُظنّ به سوء، فخـلِّ سبيله حين يأتيك كتابي فإنه من أهل السمع والطاعة والمناصحة قديماً والسلام، فخلّى سبيله وهو بدير الجماجم.

خبر يوم دير الجماجم

١٣٤ ـ قالـوا سار الحجاج من البصرة في البر فمر بين القادسية والعذيب، فبعث ابن الأشعث إليه عبـد الـرحمن ابن العباس في خيل أهل الكوفة والبصرة، وكان ابن الأشعث جمع بالبصرة سلاحاً كثيراً وتجافيف، فسار ابن العباس إليه فى

---

(١) جاء هنا العتكي بينما جاء في السابق العكي والعتكي غير العكي وعك قبيلة عدنانية وهو عك بن الـديث بن عدنـان بينـما العتكي بطن من أزدعمان ومنهم المهلب بن أبي صفرة، والصحيح العتكي.

خلق من المجففة، فمنعوه من نزول القادسية، ويلغه كثرة من مع ابن الأشعث واجتماعهم على قتاله، فارتفع عنهم وسايروه حتى نزل دير قرة[1]، وكان عزم على الارتفاع نحو الجزيرة ليقرب من عبد الملك، ولا يكون بينه وبينه أحد يتخوفه، فلما صار إلى دير قرّة، قال: والله مابهذا المنزل من أمير المؤمنين وأهل الشام بعد، ولا أحد يحول بيني وبينهم، ولا أتخوف أن يأتيني من ورائي أحد وإني لفي رساتيق من الفلّوجة وبالقرب من عين التمر، أرجو أن تحملنا هذه الرساتيق، ولنزولي معهم في بلادهم أشدّ عليهم من نزولي نائياً عنهم، فنزل بدير قرّة، ونزل عبد الرحمن بن العباس بدير الجماجم، وخرج ابن الأشعث حتى صار إلى دير الجماجم[2] فعسكر، فقال الحجاج: نزلنا بدير قرّة ونزل عدو الله بدير الجماجم أفما أتفاءل بهذا، وخندق الحجاج وخندق ابن الأشعث أيضاً على نفسه.

واجتمع قرّاء أهل الكوفة إلى جبلة[3] بن زَحْرٍ الجعفي فجعلوه رئيساً عليهم، وكان الحجاج كتب إلى عبد الملك حين قدم من البصرة يخبره بكثرة أهل العراق وجدّهم واجتماعهم على حربه، فسرح إليه عبد الله بن عبد الملك ابنه في عشرين ألفاً من أهل الشام، ومحمد بن مروان أخاه في عشرين ألفاً من أهل الجزيرة، فوافوا الحجاج بدير قُرّة بعد تضييق أهل العراق عليه، فلما قدموا عليه قوي أمره وروخي من خناقه، ولم يكن بين الفريقين قتال قبل قدوم عبد الله ومحمد، إلا أن أهل العراق كانوا يأتون عسكر الحجاج فيكون بينهم تناوش على خندقه عند أبوابه في غير تزاحف.

---

(١) دير قُرّة: دير بإزاء دير الجماجم على طرف البر.

(٢) دير الجماجم: ملاصق لطرف البر مما يلي الكوفة ـ معجم البلدان ـ

(٣) جبلة بن زحر بن قيس بن مالك بن معاوية بن سعنة بن بدّاء بن سعد بن عمرو بن ذهل بن مَرّان بن جعفي، وزحر أبوه هو الذي حمل رأس الحسين عليه السلام وأصحابه إلى الشام، وكان له أربعة أولاد كلهم شرفاء ـ جمهرة النسب لابن الكلبي. ج: ١ ص: ٣١١.

مفاوضات الفريقين في عزل الحجاج.

١٣٥ ـ وكـان من قبل عبد الملك من وجوه الناس من قريش وغيرها، قالوا له: إذا كان رضى أهـل العراق بعزل الحجاج فاعزله عنهم، تخلص لك طاعتهم وتحقن دماءهم ودماء أهل الشام، فقال لابنه: إذا اجتمعت ومحمداً عمك فاعرضا على أهـل العـراق أن تعزل الحجاج عنهم وتجري عليهم أعطياتهم كما تجري على أهـل الشـام، وتجري على ذرّيتهم كما تجري على ذرّية أهل الشام، وأن ينزل ابن الأشعث أي بلد شاء، ويكون عليه موالياً مادام حيّاً، فإن قبلوا ذلك كان محمد بن مروان الأمير عليهم، وإن أبوا فالحجاج أمير عليك وعلى محمد والناس.

وكـان عبد الملك كتب إلى محمد بن مروان في المسير إلى العراق من الجزيرة لأنه كان عامله عليها، وكتب إليه بمثل ماأوصى به ابنه عبد الله. وقوم يزعمون أن محمداً كان حاضره فأوصاه مشافهة والأول أثبت.

قالوا فلما قدم عبد الله ومحمد على الحجاج وقد أوصيا بها أوصيا به اشتدّ ذلك على الحجـاج، فكتب إلى عبد الملك: والله لئن أعطيت أهل العراق مايحبون من نزعي[1] وعرفوا أنك تحبّ مداراتهم، لم يلبثوا إلا قليلاً حتى يخالفوك ويسيروا إليك، ألم تسمع بوثوب أهل الكوفة على عثمان فلما سألهم عمّا يريدون قالوا: نزع سعيد بن العاص فلما نزعه لم تتمّ لهم السنة حتى ساروا إليه فقتلوه، وإن بعض الشدّة أبلغ في السياسة وأحزم في الرأي فإن الحديد بالحديد يفلّ، خار الله لك فيما ارتأيت.

وأبى عبد الله إلا عرض هذه الخلال على أهل العراق طلباً للعافية، فخرج عبد الله ومحمد حتى وقفا على عسكر أهل العراق، فقال لهم: أنا عبد الله ابن أمير المؤمنين، وهذا عمّي محمد بن مروان، وإن أمير المؤمنين يعطيكم كذا وكذا، وأدّى رسـالـة أبيه فقالوا: ترجع العشية لنعرفك رأينا، ثم اجتمعوا على عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فقال لهم:

---

(١) نزع: عزل أي عزل الحجاج عن العراق.

إنكم قد أعطيتم ماسمعتم فاقبلوا ماعُرض عليكم وأنتم أعزاء أقوياء. إن كانوا نالوا منكم يوم الزاوية نيلاً، فقد نلتم منهم يوم تُستر مثله، وهذه فرصة لكم فانتهزوها، فوثب الناس من كل جانب فقالوا: إن الله قد أهلكهم فأصبحوا في الأزل[1] والضنك والمجاعة والقلّة والذلّة، ونحن ذوو العدد الكثير والمادّة القريبة لا والله لانقبل، وأعادوا حلفاً ثانياً، وكان إجماعهم على خلع عبد الملك بدير الجماجم أكثر من اجتماعهم على خلعه قبل ذلك.

فرجع عبد الله ومحمد إلى الحجاج، فقالا: شأنك بعسكرك وجندك فاعمل برأيك، فإنّا قد أُمرنا أن نسمع ونطيع لك، فكانا يسلمان عليه بالإمرة، ويسلم عليهما بالإمرة أيضاً وخلّياه والحرب، فعبّأ جنده وعبّأ ابن الأشعث جنده، فجعل على خيله عبد الرحمن الهاشمي، وعلى القرّاء جبلة بن زَحرٍ الجُعفي، وكان في القراء عامر الشعبي وسعيد بن جبير مولى بني أسدٍ، وقوم يقولون إنه مولى سعيد بن العاص، وذلك باطل.

وكان الحجاج وجهه على نفقات جيش الطواويس، فصار مع ابن الأشعث بعد، وأبو البختري الطائي واسمه سعيد بن فيروز مولى نبهان[2]، وقال الهيثم بن عدي: اسمه سعيد بن جبير، وقال علي بن المدائني: اسمه سعيد ابن عمران، وعبد الرحمن بن أبي ليلى الأنصاري، ومسلم بن يسار مولى طلحة بن عبيد الله من بني تيم من قريش، وعبد الله بن خالد الجهضمي من الأزد، وعقبة بن وسّاج البرساني[3] من الأزد، وأبو صالح ماهان الحنفي، ومحمد ابن سعد بن أبي وقّاص، فجعلوا يتزاحفون فمرّة ينتصفون ومرة تكون لهؤلاء ومرة تكون لهؤلاء.

---

(١) الأَزْل: شدة الزمان وضيق العيش.

(٢) نبهان: بطن من طيء واسمه أسودان بن عمرو بن الغوث بن طيء.

(٣) البرساني: بطن من الأزد وهو برسان بن عمرو بن كعب بن الحارث (الأصغر الغطريف) ابن عبد الله بن عامر بن بكر بن يشكر بن مبشّر بن صعب بن دهمان بن نصر بن زَهران =

وكـان أهل العراق في خصب وأهل الشام في غلاءٍ من السعر وضُرٍّ، وكان ابن الأشعث قد بعث عبد الله ابن إسحاق بن الأشعث لحشر الناس من الكوفة، فأخــرج جعفــر بن عمــرو بن حريث، وبعض آل أبي مُعيط[1] إلى عسكـر ابن الأشعث، وأمـر كُميل[2] بن زياد أن يحرّض النـاس فأُخرج وهو شيخ كبير فحُمل حتى أُقعـد على المنبر دون عبد الله بن إسحاق بدرجتين، فخطب خطبة طويلة، يقول فيها:

إنكم قد غُلبتم على فيئكم وبـلادكم، ولقد فتح الله عليكم الموصل وأداني الجزيرة، وجميع أذربيجان وأرمينيّة، ثم انتزعها منكم معاوية فجعل عليكم غزوها وجعل لأهل الشام خراجها، إنه والله لاينفي عنكم الظلم والعدوان إلا التناصح والتآسي واجتماع الكلمة وصلاح ذات البين، والصبر على الطعان بالرماح والضرب بالسيوف، إنكم ياأهل العراق مُنيتم بشر أهل بيتين في العرب، باآل الحكم بن أبي العاص بن أميّة، وآل أبي عقيل، فتباذلوا وتناصحوا وتواسوا بالأنفس والأبدان.

قالوا ولم تكن كتيبة أشدّ على أصحاب الحجاج من كتيبة القراء، لأنهم كانوا يحملون فلا يكذبون ويُحمل عليهم فلا يبرحون، ثم إن الفريقين تعبّوا فعبأ الحجاج لكتيبـة القـراء ثلاث كتائب، وبعث عليها الجراح بن عبد الله الحكمي[3] فحمل

= ابن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد. ومازال حتى الآن قبيلة البرسان موجودة في الأردن. ولا أعلم إن كانوا يعرفون نسبهم هذا أم لا.

(1) أبو معيط بن أبي عمرو بن أميّة الأكبر بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي.

(2) كُميل بن زياد بن نَهيك بن الهيثم بن سعد ابن مالك بن الحارث بن صهبان بن سعد بن مالك بن عوف بن جسر (النخع)، طلبه الحجاج فهرب فحرم قومه عطاءهم فخرج إليه وقال له: أنا شيخ كبير قد نفد عمري لاينبغي أن أحرم قومي العطاء فاقض ماأنت قاض فإن الموعد الله وقد أخبرني أمير المؤمنين علي عليه السلام أنك قاتلي فقتله الحجاج.

(3) الحكمي: نسبة إلى الحكم بن سعد العشيرة بن مالك بن مذحج وكان على خراسان وإليه ينسب الشاعر أبو نواس.

أهل الشام ثلاث حملات، ثم قال ابن أبي ليلى: إن الفرار قبيح وليس هو بأحد من الناس أقبح منه بكم، فإني سمعت علياً رفع الله درجته في الصالحين وأثابه أحسن ثواب الشهداء الصديقين، يقول: من أنكر منكراً بقلبه فقد برىء منه، ومن أنكره بلسانه أُجر، ومن أنكره بالسيف فقد أصاب سبيل الهدى ونوّر قلبه باليقين، قاتلوا هؤلاء المحلّين المبتدعين، الذين جهلوا الحق فليس يعرفونه، وعملوا بالعدوان فليس ينكرونه، وقال أبو البختري الطائي: قاتلوهم فوالله لئن ظهروا عليكم ليفسدنّ دينكم وليغلبنّكم على دنياكم، وقال الشعبي قاتلوهم فوالله ماأعلم أحداً على بسيط الأرض أجورمنهم في حكم ولا أغلافي ظلم لا تركاً ولا ديلماً، وقال سعيد بن جبير: قاتلوهم بنية ويقين ولا تتأثموا في قتالهم فعليّ كل إثم يدخل عليكم في ذلك، قاتلوهم على جورهم في الحكم وتجبّرهم في الدين واستذلالهم الضعفاء وإماتتهم الصلاة.

قال ثم تهيؤوا للحملة، فقال جبلة بن زَحر: احملوا حملة صادقة، فحملوا فضربوا الكتائب الثلاث حتى أزالوهم، فوجد جبلة بن زحر صريعاً لايُدري من قتله فهدّهم ذلك، فقال أبو البختري: إنما كان ابن زحر رجلاً منكم فاعتصموا بالصبر وارجعوا إلى الله في الأمر.

ويقال إن الحارث بن جعونة(١) العامري طعن جبلة فقتله، وحمل الحجاج رأس جبلة على رمحين، وقال: ماكانت فتنة قطّ فخبت حتى يقتل فيها رجل من أهل اليمن، وقُتلت جماعة من القرّاء.

١٣٥ ـ وقال ابن الكلبي عن أبي مخنف وعوانة: كان قتالهم بالدير مئة يوم،

---

(١) الحارث بن جَعْونة بن الحارث بن خالد بن مالك بن ربيعة بن نضلة بن عبد الله بن كليب بن عمرو بن ربيعة بن عوف بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة.

ثم اقتتلوا فهـزموا وضعف أمر ابن الأشعث، وقُتل أبو عيسى عبد الرحمن بن أبي ليلى، ويقال إنه قتل يوم دُجيل الأهواز، وأبو البختري وابن شدّاد بن الهاد، ويقال يوم دُجيل أيضاً، ويقال إن أبا البختري قتل يوم دُجيل أيضاً.

قالوا وكان بسطام بن مصقلة بن هبيرة الشيباني بالريّ، فلما بلغه خلع الناس وابن الأشعث قام ابن مصقلة خطيباً، فقال: إن عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث قد خلع الحجاج وعبد الملك وأخرج الحجاج من العراق، فانصرفوا إلى نسائكم وأولادكم، فتصدّع الناس فتركوا قتيبة[1]، ووثبت ربيعة إلى بسطام وصار أهل اليمن إلى جعفر بن عبد الرحمن بن مخنف، فبقي قتيبة ليس معه أحد وخاف أن يُحارب، فلما انصرفوا عنه وتركوه ولم يقاتلوه سُرّ بذلك.

وأقبل بسطام مسرعاً حتى أتى عبد الرحمن بن محمد (بدير) الجماجم، فيقال إن قتيبة استخلف على عمله وسار يستقري[2] الجبال، ويسكّن الناس والدهاقين[3] حتى صار إلى عكبرا، وكتب إلى الحجاج يعرفه خبره، فكتب إليه: قد وفيت وسمعت وأطعت ونصحت، فأقبل إليّ فصار إليه ثم ردّه حين كثرت عنده الأمداد، ويقال إنه لم يبرح من الريّ.

وكان بسطام بدير الجماجم على ربيعة، فاقتتلوا فحمل حتى دخل عسكر الحجاج فسبى نحواً من ثلاثين امرأة من بين أمة وسريّة فلما دنا من عسكر ابن الأشعث خلاّهن، فقال الحجاج: أولى له، أما والله لو لم يفعلها لسبيت غداً نساءهم إذا ظهرت عليهم. وكان أبو البختري وسعيد بن جبير يقولان: ﴿ وماكانَ لنفسٍ أنْ تَموتَ إلاّ بإذنِ اللّهِ كِتَباً مُؤجَّلاً ومَنْ يُرِدْ ثوابَ الدُّنْيا نُؤْتِهِ منْهَا ومنْ يُرِدْ

(١) قتيبة: هو قتيبة بن مسلم الباهلي عامل الحجاج على خراسان.

(٢) يستقري: من قرا الأمر: تتبعه ـ اللسان ـ

(٣) الدّهقان والدُّهقان: التاجر فارسي معرب ـ اللسان ـ

ثوابَ الآخرةِ نُؤْتِهِ منها وسنجْزِي الشَّكِرِينَ﴾[1] ثم يحملان.

حدثني يوسف بن موسى ثنا جرير بن عبد الحميد عن معين عن التريّع بن جبلة، وخالد الضبي، قال:

سمعت الحجاج خطب على المنبر، فقال: أخليفة أحدكم في أهله أكرم عليه، أم رسوله في حاجته؟

قال فقلت: لله عليّ ألا أصلي خلفك أبداً، وإن رأيتُ قوماً يجاهدونك أن أجاهدك، فخرج في دير الجماجم فقتل.

وقال أبو المخارق الراسبي[2] : قاتلناه مئة يوم أعدّها، نزلنا دير الجماجم مع ابن الأشعث غداة يوم الثلاثاء في شهر ربيع الأول سنة ثلاثة وثمانين، وهُزمنا يوم الأربعاء لأربع عشرة مضت من جمادى الآخرة عند ارتفاع الضحى، وماكنا قطّ عليهم أجرأ منا في ذلك اليوم، خرجوا إلينا فاقتتلنا قتالاً شديداً ونحن للهزيمة آمنون وعليهم ظاهرون، ثم خرج علينا سفيان بن الأبرد الكلبي من قبل ميمنة أصحابه فانحط على ميسرتنا، وفيها الأبرد بن قرّة التميمي فانكشف، فظن الناس أنه كوتب واستُميل لأن الفرار لم يكن من عادته فتقوّضت الصفوف لفعله، وركب الناس رؤوسهم، وصعد عبد الرحمن بن محمد منبره وجعل ينادي: عباد الله أنا عبد الرحمن بن محمد، وجاءه قوم فأحاطوا به، فيهم بسطام بن مصقلة وهو فارس الناس، وأتاه عبد الله بن يزيد ابن المغفّل أخو امرأته، فقال له: انزل فإن الناس قد ذهبوا، وإن أهل الشام قد كثروا وأنا أخاف إن لم تنزل أن تؤسر، ولعلك إذا انصرفت عنهم أن تجمع لهم جمعاً يهلكهم الله به.

---

(١) سورة آل عمران رقم: ٣ الآية رقم: ١٤٥.

(٢) الراسبي: نسبة إلى راسب ولم يقل أي راسب فهناك بطنان من القبائل بهذا الإسم راسب الأزد وراسب قضاعة. أما راسب الأزد فهو راسب بن مالك بن ميدعان بن مالك بن نصر بن الأزد. وراسب قضاعة هو راسب بن الخزرج بن جدّة ابن جَرْم بن رَبّان (عِلاف) بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة.

وقال الحجاج حين انهزموا لاتتبعوهم، فنزل ابن الأشعث فخلّى أهل العراق والعسكر ومضى مع بني جعدة[1] حتى جاؤوا به قرية بني جعدة بالفلّوجة فعبروا، وانتهى إليهم بسطام بن مصقلة، فقال: أفيكم ابن محمد؟ أفيكم الأمير؟ فلم يكلموه فأتى أهله فأوصاهم ثم خرج من الكوفة إلى المدائن ثم أتى مأمنه، واستقبل مطر بن ناجية الناس، فحمل على أصحاب الحجاج في خيل لبني حنظلة فخرقهم حتى جاز به، ثم حمل عليهم راجعاً، فقال الحجاج: دعوهم لاتتبعوهم. ثم إن الناس مضوا منهزمين وجال أصحاب الخيل في متونها واسودّت الأرض من الرجالة، وتنحى عبد الرحمن بن عباس بن ربيعة في ناس كثير، فقاتلوا معه قتالاً شديداً بعدما ذهب أكثر النهار، وشُغل الحجاج وأهل الشام عن الناس حين انهزموا، وكثُرت عليهم الأسراء فقتل بعضهم وعفاعن بعض كراهة أن يفنيهم، وقال: من لثغورهم إذا ذهبوا، وأمر الحجاج: فنودي إن من رجع فهو آمن ومضى حتى نزل دير النسا . وكان على الكوفة من قبل عبد الرحمن بن محمد عبدَ الله بن إسحاق بن الأشعث، فهرب حتى لحق بعبد الرحمن بن محمد.

ومضى عبد الرحمن إلى المدائن، ثم أتى مسكن الأهواز وهي بقرب تُستر، واجتمعت إليه فلوله من أهل الكوفة وغيرهم وتلاوموا في الفرار.

وقال الهيثم بن عدي وغيره: أتى ابن الأشعث بعد الجماجم الكوفة فحمل ولده ونساءه وماله، ثم أتى المدائن، فزحف إليه الحجاج فمضى نحو البصرة فقاتله الحجاج بمفتح دجيل.

---

(1) بنو جعدة: بطن من بني عامر بن صعصعة وهو جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة.

مقتـل بسـطام

١٣٥ ـ وقـد كان بسـطام بن مصقلة لحق به، ثم أن بسطاماً حلق رأسه، وقال: حتى متى تكون الحياة وقاتل وخلق معه تبايعوا على الموت حتى قتلوا جميعاً، فهدّ ذلك ابن الأشعث.

قالوا فصل ابن الأشعث من مسكِن، فأمر بقنطرة وشادوران هناك فهُدما، فلم تصلح القنطرة إلى هذه الغاية.

قالوا ورجع محمد بن مروان إلى الجزيرة، وعبد الله بن عبد الملك إلى الشام، وخلّوا الحجاج والعراق فجاء حتى نزل الكوفة، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

ياأهـل العـراق إن الشيطان استبـطنكم فخالط اللحم منكم والعَصَب والأعضاء والأطراف، وجرى مجرى الدّم ومضى إلى الأمخاخ والأصماخ فحشاها شقاقاً ونفاقاً وسوء رعةٍ ثم عشّش فيها وباض وفرّخ ودبّ ودرج، اتخذتموه دليلاً تتابعونه وقائداً تطاوعونه، فلن ينفعكم معه تجربة، ولا تعظكم وقعة ولايحجزكم إسلام ولايكفّكم بيان، ألستم أصحابي بالأهواز حين رمتم النكر وسعيتم بالغدر واجتمعتم على الكفر، أقسم بالله لأرميكم بطرفي وإنكم لتسللون متفرقين، كل امرىء منكم ناكس رأسه على عنقه حذار السيف رعباً وجبناً وذلاً، مكّنه الله في قلوبكم، ويوم الزاوية ومايوم الزاوية كان فشلكم وتخاذلكم وبراءة الله منكم، ونكوص ولّيكم بعد أن غرّكم فوليتم أستاهكم السيوف هاربين، لايسأل الشيخ عن بنيه ولايلوي امرؤ على أخيه حتى عضّكم السلاح وأقعصتكم الرماح، ويوم دير الجماجم ومادير الجماجم، كانت الملاحم والمعارك العظام، بضرب يزيل عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله.

فما الذي أذكر منكم ياأهل العراق وما الذي أتوقّع وما الذي أستبقيكم له؟

إن بعثتكم إلى الثغور جبنتم وإن أمنتم رجعتم وإن خفتم نافقتم لاتجزون لحسنةٍ ولا تشكرون نعمةً، هل استنبحكم نابح واستغواكم غاوٍ واستخفكم ناكثٌ واستفزّكم عاصٍ؟ إلا تابعتموه وبايعتموه وكفيتموه وأجلبتم حوله، وهل شغب شاغبٌ ونعب ناعب وظهر كاذب؟ إلا كنتم أشياعه وأنصاره.

ياأهل العراق لم تنفعكم التجارب وتحكمكم المواعظ عن سوء ماأبيتم، ولا استنفعتم بالعبر في الوقائع، ولا وزعتكم موارد الأمور ومصادرها.

ثم ياأهل الشام أنا لكم كالظليم[1] المحافظ على فراخه ينفي عنهنّ القذر ويباعد المدر ويكنفهن عند المطر، ويحرسهنّ من الذباب، أنتم العدّة والجُنّة[2] إن حارب محارب وجانب مجانب، وماأنتم إلا كما قال نابغة بني جعدة:

[من المتقارب]

تحينُ المنايا بأيديكُم ومن يَكُ ذا أملٍ يُكذَبُ

قالوا ولم يدخل في الأمان إلا نحو من ألف. فأمر الحجاج مصقلة بن كرب ابن رقبة العبدي بتوبيخهم وتصغير أنفسهم إليهم، فجلس على كرسي يبايعهم ويوبّخهم ويشتمهم حتى جاء زهير بن سُليم الأزدي، وكان قد ولاّه قبل ذلك ميسان، فقال الحجاج: ياهؤلاء ألا أعجبكم من هذا، الذي عهدي في يده لم يجفّ خاتمه، ثم خرج عليّ.

وركب الناس وجوههم إلى المدائن حتى اجتمعوا إلى ابن الأشعث بمسكن وهي من الأهواز.

---

(١) الظَّلِيم: الذكر من النعام والجمع أظلمة وظُلمات وظِلمات ـ اللسان ـ

(٢) الجنّة: من المجنّ وهو الترس يعني أنتم يتقى بكم مثل الترس.

وقال الهيثم: صار الحجاج إلى البصرة فوجّه جيشاً لمحاربة ابن الأشعث، وضمّه إلى ابنه محمد بن الحجاج، فواقعه بمسكن فقُتل بسطام بن مصقلة وجماعة بايعوه على الموت، ثم بعد مسكن أتى السوس ساعة من نهار، ثم إن ابن الأشعث انهزم وأصحابه حتى صار إلى سابور من فارس، فاجتمعت إليه مع أصحابه الأكراد فقاتلهم عُمارة قتالاً شديداً، ثم إن ابن الأشعث انهزم ومن معه، وقاتلت الأكراد بعد مضي ابن الأشعث عمار قتالاً شديداً على العقبة، وأتى ابن الأشعث كرمان فتلقاه عمرو بن لقيط العبدي، وكان خلّفه عليها فهيأ له نزلاً، وقال رجل من عبد القيس لابن الأشعث: والله لقد بلغنا أنك كنت جباناً، فقال: والله ماجبنت ولقد دلفت بالرجال إلى الرجال، ولففت الخيل بالخيل، وقاتلت فارساً وراجلاً، وماتركت الفرصة للقوم حتى لم أجد مقاتلاً، ولكني زاولت ملكاً مؤجّلاً له مدّة.

وأمدّ الحجاج عُمارة بن تميم بخيل كثيفة، وأمر محمداً ابنه بالانصراف إليه، وَوَلي عُمارة بن تميم سجستان ثم إن ابن الأشعث فوّز(1) بمن معه في مفازة كرمان، وأهل الشام يتبعونه، فدخل بعض الشامين قصراً في المفازة فإذا فيه شعر كتبه بعض أصحاب ابن الأشعث في صحيفة، ويقال في حائط.

[من الوافر]

أيا لَهفي وياحُزني جميعاً	وياحَرَّ الفؤادِ لما لَقينا
تركنا الدِّين والدُّنيا جميعاً	وأسلمنا الحلائلَ والبَنينا
ألا كنا أناساً أهلَ دينٍ	فنصبرَ للبَلاءِ إذا ابتُلينا

(1) المفازة: الصحراء لا ماء فيها لليلتين أما دون ذلك فليست مفازة، وفوّز: صار إلى المفازة ـ اللسان ـ

ألا كنـا أنـاسـاً أهـل دُنـيا فـنـمـنَـعَـهـا وإن لم نرجُ دينـا
تركـنـا دورَنـا لِطَعـامِ عَكٍّ وأنبـاطِ القُـرى والأشعَـرينـا

ثم إن ابن الأشعث صار إلى زَرنج مدينة سجستان، وفيها رجل من بني تميم كان خلّفه عليها يعرف بالنعّار، فلما علم أن ابن الأشعث منهزمٌ أغلق باب المدينة دونه ومنعه دخولها، التماساً للتقرّب بذلك إلى الحجاج وتلافي أمره عنده، فأقام ابن الأشعث عليهـا أيامـاً، فلما لم يصـل إليها أتى بُست، فاستقبله عياض بن عمرو السـدوسي صاحبـه بها، وقـال له: انزل فجاء حتى نزل، فلما تفرّق أصحابه في المنازل وأغفلوه، وثب عليه فأوثقه ليأمن به عند الحجاج ويتّخذ به مكانةً.

وعلم رتبيل بمقدم ابن الأشعث فاستقبله في جنوده، فلما أوثق ابن الأشعث ذهب رجـال من أصحـابه يركضون حتى استقبلوا رتبيل فأخبروه بما ركب عياض صاحبُهُ منه، فجاءه رتبيل حتى أحاط ببُست، ثم نزل وبعث إلى عياض، فقال: لئن أقـذيت عينـه أو ضررتـه أدنى مَضرّةٍ أو رزأته حبلاً من شعر، لا أبرح حتى أقتلك وجميع من معـك ثم أسبي ذراريكم فأرسـل إليه: أعـطنا أماناً على أنفسنا وأموالنا ونحن ندفعه إليك سالماً موفوراً، فأمّنهم ففتحوا الباب لابن الأشعث وخلّوا سبيله، واستأذن ابن الأشعث رتبيل في قتل عياض، فقال: قد أمّنته. قال: فأذن لي في الاستخفـاف به، فأذن له في ذلـك فأمر أن يوجأ عنقه ثم تركه، ويقال إن رتبيل وجّه من تخلّص ابن الأشعث وقدم إليه بعياض ولم يتولّ أمره.

ولـما صار ابن الأشعث إلى رتبيل أعـظمـه وأكرمه وأقام له الإنزال ولمن معه ووفى بما كان بينه وبينه قبل شخوصه عن سجستان، وقدم فلّالة ابن الأشعث عليه من كل وجـه، واجتمـع إليه منهم عشرون ألفـاً، فأمّـروا عليهم عبـد الرحمن بن العبـاس الهاشمي، وحاولوا فتح زرنج وكتبوا إلى ابن الأشعث فأتاهم، فلما صار بزرنج وفتحها أخذ البعّار فضربه وحبسه، وقال أصحاب ابن الأشعث حين قرُبَ

منهم عُمارة بن تميم بن فروة اللخمي: اخرج بنا من سجستان ودعها لأصحاب الحجاج، وأتِ خراسان، فقال: إن بخراسان يزيد بن المهلب وهو رجل شابٌ شجاع ولن يترك لكم سلطانه لو قد دخلتموها، ولن يدع أهل الشام أيضاً اتباعكم فأكره أن يجتمع عليكم أهل الشام وجند خراسان، فقالوا: إنما أهل خراسان منّا نرجو إن دخلتها أن يكون من تبعك منهم أكثر ممن يقاتلك، وهي أرض طويلة عريضة نتنَحّى إلى حيث شئنا إن أردنا التنحّي ونقيم بها إلى أن يُهلك الله عبد الملك والحجاج ونرى من رأينا، فقال: سيروا على اسم الله فسار ابن الأشعث بأصحابه حتى قرب من هُراة، فلم يشعر حتى فارقه عبيد الله بن عبد الرحمن بن سمرة القرشي[1] في ألفين، وأخذ طريقاً غير طريقهم وجعل يفسد الناس على ابن الأشعث، وقال بعضهم أتى البصرة بعد ذلك فغلب عليها ثم هرب.

وقال ابن الأشعث لأصحابه: إني قد شهدت بكم هذه المواطن فليس منها مشهد إلا وأنا أصبّر لكم فيه نفسي حتى لايبقى معي منكم أحدٌ، فلما رأيت أنكم لاتقاتلون ولا تصبرون أتيتُ ملجأ ومأمناً فكنتُ به، فجاءتني كتبكم بأن أقبل إلينا فقد اجتمعنا بزرنج فأمرنا واحدٌ وكلمتنا مجتمعة، فأبيتم قتال عدوكم ورأيتم أن نمضي إلى خراسان وزعمتم أنكم مجتمعون لي وأنكم لن تتفرّقوا عني، وهذا عبيد الله بن عبد الرحمن بن سَمُرة قد صنع مارأيتم، فحسبي منكم فاصنعوا مابدا لكم فإني منصرف إلى صاحبي الذي أتيتكم من عنده، فمن أحبّ منكم أن يتبعني فليفعل، ومن كره ذلك فليذهب إلى حيث أحبّ في خيار من الله.

فتفرّقت منهم طائفة وخرجت معه منهم طائفة حتى أتوا معه رتبيل، وبقي عظم العسكر فوثبوا إلى عبد الرحمن بن العباس الهاشمي فبايعوه وانتهوا إلى هراة،

---

(١) هو من بني عبد شمس: عبيد الله (الأعور) بن عبد الرحمن بن سَمُرة بن حبيب بن عبد شمس.

فلقوا بها الرُّقاد الأزدي فقتلوه. وسار إليهم يزيد بن المهلب فلقي عبد الرحمن بن العباس ومعه خلق كثير، فقاتلهم بهُراة فهزمهم يزيد وفلّهم وقتل خلقاً منهم.

فما أحصوا إلا بالقصب[1] وأخذ رؤوس من معهم أسراء، فكان منهم: محمد ابن سعد بن أبي وقّاص، وعمر بن موسى بن عبيد الله بن مَعمر التيمي وكان على شرطته بعد الجماجم، وعُتبة بن عبيد الله بن عبد الرحمن بن سَمرة بن حبيب بن عبد شمس، وعاصم بن قيس التميمي، وأسر يومئذ الهلقام بن نُعيم بن القعقاع ابن مَعبد بن زُرارة بن عُدس. وعيّاش بن الأسود بن عوف الزهري، ويقال إنه قتل بالزاوية، وعبد الرحمن بن طلحة الطلحات الخزاعي ويقال يزيد بن طلحة الطلحات، وفيروز حصين المنسوب إلى حصين العنبري وكان مولاه، فحبس بن طلحة الطلحات عنده وأمّنه وبعث بالباقين إلى الحجاج، ويقال إنه صفح عن جميع الأسراء اليمانية وبعث بمن سواهم.

وقال الحجاج لمحمد بن سعد حين رآه، وكان أحول أسود: هذا ظلّ الشيطان، وثّابٌ في كل فتنةٍ. ألست صاحب يوم الحرَّة[2]؟ تقتل أصحابك كما تقتل عدوك، قال: أوليس ذاك كان أحبَّ إليك؟ قال: أما والله لاتقاتل بعدها في فتنة أبداً، ثم ليُصلينّك الله ناراً كلما خَبت زيدت سعيرا، فقال: إن الله قد أعدّها لك ولقومك أكباد الحُمر، فأما أنا فقد والله حشدتُ عليك فيمن حشدت وجهدتُ مع من جهد، وايم الله ماأعطيتُ بيدي طائعاً ولكني ضربتُ بسيفي حتى انقطع،

---

(١) أحصوها بالقصب: يظهر أنهم كانوا يأتون بقصب متساوي العقد فيعدّون القتيل بعقدة قصبة وهكذا وعندما تنتهي عقد قصبة يأتون بأخرى وهذا دواليك وعندما ينتهون يعدّون القصب كم قصبة ثم يضربونها بعدد العقد فيحسبون عدد القتلى بعدد عقد القصب.

(٢) يوم الحرة: هو يوم انتصر مسلم بن عقبة المريّ على أهل المدينة عندما خلعوا يزيد ابن معاوية، وخرج محمد بن سعد بن أبي وقاص يرد الناس بسيفه حتى غلبته الهزيمة، فذهب فيمن ذهب من الناس.

فأمر به الحجاج فقُتل، ويقال إنه قال له: ياظلّ الشيطان أنت أعظم الناس كِبراً وتيهاً، تأبى بيعة يزيد بن معاوية تشبّهاً بابن عُمر والحسين ثم تبايع حوّاك كندة، فقال له: ملكت فأسجح[1] فضربَ عنقه، ثم دعا بعمر بن موسى بن عبيد الله، فقال له: أنت صاحب شرطة عبد الرحمن بن عباس، فقال: أصلح الله الأمير كانت فتنة شملت البرّ والفاجر فدخلنا فيها، وقد أمكنك الله منا فإن عفوت فبحلمك وفضلك، وإن عاقبت عاقبت ظلمة مذنبين، فقال: أما قولك شملت البر والفاجر فقد كذبت فيه ماشملت إلا الفجّار، ولقد عوفي منها الأبرار، وأما اعترافك بذنبك فعسى أن ينفعك، فعُزل ناحية ورجا الناس له السلامة، وقال للهلقام: مارجوت من اتباع ابن الأشعث، أظننت أنه يكون خليفة؟ قال: نعم، قد رجوت أن يكون خليفة وطمعت في ذلك وأن ينزلني منه بمنزلتك من عبد الملك، فغضب وقال: اضربوا عنقه، ونظر إلى عمر بن موسى وقد نحّي فقال: اضربوا عنقه، فقُتل، ويقال إنه قال لعمر بن موسى: أتقوم بالعمود على رأس ابن الأشعث الحائك وتشرب معه الشراب، يافرزدق أنشده ماقلت فيه، فأنشده:

[من الكامل]

وَخَضَبتَ أيركَ للزّناءِ ولم تكُنْ   يومَ الهياجِ لتخضبَ الأبطالا[*]

قال: فوالله لقد أكرمتُه عن عقائل نسائكم، وقُتل عتبة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سَمُرة وجميع الأسراء.

وكان يزيد بن المهلب أمن حين انهزم عبد الرحمن بن عباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ومن معه ألا يتبّعوا فهرب عبد الرحمن إلى السند فمات بها،

---

(١) ملكت فأسجح مثلاً والإسجاح حسن العفو أي ملكت الأمر عليّ فأحسن العفو عني، ويروى عن عائشة أنها قالت لعلي رضي الله عنهما يوم الجمل حين ظهر على الناس فدنا من هودجها ثم كلمها بكلام فأجابته: ملكتَ فاسجح.

(*) لم يذكره ديوان الفرزدق طبعة دار الكتاب العربي بيروت وذكره الطبري. ج: ٦ ص: ٣٨٠.

وكان ممّن خرج مع ابن الأشعث ببّة وهو عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، فلحق بعُمان وهو شيخ كبير فمات بها.

وقال المدائني في إسناده: لما قدم ابن الأشعث من هَراة أشار عليه مودود بن بشر العنبري أن لايأتي رتبيل وأن يتحصّن ويقاتل حتى يظفر أو يؤمّن أو يموت كريماً فأبى وأتى رتبيل، وأقام مودود متحصّناً في مدينة زرنج فأتاه عُمارة بن تميم اللخمي[1] في أهل الشام فحصره حيناً ثم أمّنه وأصحابه، فوفى لهم الحجاج، وقال لمودود: أي الأرض أحبّ إليك؟ قال: البصرة، قال: فإنها أبغض إليك قال عُمارة: فسيّره إلى عمان ، وفي مودود يقول بعض همدان ممّن كان مع عُمارة:

[من الطويل]

(*)[و] للّهِ عينا مَنْ رأى مِن فوارسٍ ... أكرَّ على المكروهِ منهم وأصبرا

فما بَرحوا حتى أعضّوا سيوفَهم ... بذي الهامِ منّا والحديدِ المشمّرا

فلو أنّهم لاقوا مؤاماً[2] مقارباً ... ولكن لقُوا مَوجاً من البحرِ أخضرا

(١) اللخمي: نسبة إلى قبيلة لخم وهو مالك بن عدي بن الحارث بن مرّة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عَريب بن زيد بن كهلان بن سبأ.

(٢) مؤاماً: الأمُّ، بالفتح القصد، أمّه يؤمه أمّاً: إذا قصده.

(*) زيدت الواو ليصح الوزن.

مقتل عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث

١٣٦ ـ قالوا ولما صار عبد الرحمن إلى رتبيل منصرفه من خراسان وأقام عنده، كتب الحجاج إلى رتبيل:

أما بعد: فإن الكذاب الشرود عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن معدي كرب، فإنما معدي كرب عاهد مَهرة[1] فغدر بهم فظفروا به فجدعوا أنفه وأذنيه، وشقّوا بطنه وملؤه حصىً، وأما قيس فإنه عاهد مَذحج ثم غدر بهم فقتلوه، وأما الأشعث فإنه كفر بعد إيمانه وغدر بقومه فأسلمهم لينجو، وأما محمد فغدر بأهل طبرستان، وهذا رجل غدّار فاجر مائق[2] معرق له في الغدر والفجور، فلا تثق به وتمنعه ولا تؤوه.

وتتابعت كتب الحجاج إلى رتبيل في أمر ابن الأشعث بالوعيد والترّغيب والترهيب حتى كان خوفه أكثر من رجائه، وقال في بعض كتبه: لئن لم تسلّمه وتبعث به إليّ أو تخرجه من بلدك إلى غير حرز، لأبعثن إليك مئة ألف ومئة ألف من أهل الشام والجزيرة وأرمينية وأهل خراسان، ولئن أسلمته أو أخرجته لأضعنّ عنك الأتاوة سبع سنين.

وكان عند رتبيل رجل من بني يربوع يقال له عبيد بن سبع بن أبي سبع، فقال لرتبيل: أنا آخذ لك أماناً من الحجاج، وكتاباً بوضع الخراج عن أرضك سبع سنين ولا تُغزى على أن تدفع عبد الرحمن بن محمد إليه.

فسفر بينه وبينه عُمارة بن تميم، ويقال إنه أتى الحجاج فتوثّق منه لرتبيل، وبعث رتبيل إلى الحجاج برأس ابن الأشعث فوفى له الحجاج بالصلح، فيقال إن ابن الأشعث مات حتف أنفه، فلما أرادوا دفنه احتزّ رتبيل رأسه وبعث به إلى

---

(١) مَهرة: قبيلة مَهْرة (مهري) بن حيدان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة.

(٢) مائق: من الموق وهو الحمق ـ اللسان ـ

الحجاج، ويقال بل دُسَّ له شربة أضنته وقتلته، فأخذ رأسه حين مات وبعث به إلى الحجاج، فكانت مُلَيكة امرأته فيما زعموا، تقول: مات ورأسه على فخذي، فلما أرادوا دفنه أمر رتبيل فاحتزّ رأسه، وكان قد أصابه السلّ.

وقال الهيثم بن عدي عن أشياخه: كان عبيد الله بن سبع مولى بني تميم تاجراً يدخل بلاد رتبيل، وكان عاقلاً، وهو كان الداخل بين ابن الأشعث ورتبيل في الصلح، فبلغ ابن الأشعث عنه شيء فأراد قتله فصار عليه.

فلم يزل يحذّر رتبيلَ الحجاجُ ووفاءه بما كان يتوعدّه به ويخوفه أهل الشام، فقال: ابعثني أتوثّق لك من عُمارة. ففعل واشترط له عُمارة أن لاتؤخذ منه الجزية عشر سنين ولا يُغزى، فكتب عُمارة بذلك إلى الحجاج فأنفذه الحجاج وأجازه، فلما همّ رتبيل بالغدر بابن الأشعث، قال له: فرّق أصحابك فإن البلاد لاتحملهم، ففعل ثم صنع طعاماً فحضره وجعل يعظّمه، وأمر أساورته[1] فكفّروا[2] له وأقبل على طعامه، ثم أشار إلى أساورته بأن يأخذوه، فأخذوه ومن معه في البيت من آل الأشعث، وتسامع أصحاب ابن الأشعث بذلك فهربوا على وجوههم، وأُخذ من أهل بيته جماعة، يقال ثمانية عشر ويقال سبعة وعشرين، فبعث بهم إلى عُمارة فقتلهم جميعاً وبعث بابن الأشعث إلى الحجاج فرمى بنفسه من قصرٍ أُنزله في طريقه فمات فأخذ رأسه.

وقال أبو الحسن علي بن محمد المدائني في إسناده:

أتى عبيد بن سبع عُمارة وهو ببُست، فقال: ماتجعلون لي ولرتبيل إن دفع

---

(١) الأسوار والإسوار: قائد الفرس والجمع أساورة وقيل هو الجيد الرمي بالسهام ـ اللسان ـ

(٢) يقال للابس السلاح كافر وفي الحديث «ألا ترجعنّ بعدي كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض»، أي لابسين السلاح متهيئين للقتال من كفر فوق درعه إذا لبس فوقها ثوباً.

إليكم ابن الأشعث؟ فجُعل له ثلاثمئة ألف درهم، وجُعل لرتبيل ألا يؤخذ منه الخراج سبع سنين ولا يُغزى، وكتب إلى الحجاج أن عبيد بن سبع أحد بني يربوع ذكر كذا وسأل كذا، فكتب إليه: أعطه ماسأل لنفسه واعط رتبيل ماسأل له، ثم قدم على رتبيل فقال له: ماكنتَ صانعاً فاصنعه فقد توثّقت لك، وإلاّ أتاك مالا قبل لك به من جنود أهل الشام والمصرين والجزيرة وخراسان، وهيّبه الحجاج وأخبره بغدر ابن الأشعث، فأجابه إلى إسلام ابن الأشعث، وجاء ابن الأشعث فدخل على رتبيل فلما جلس قام رتبيل فقال: قد جاشت نفسي وترك ابن الأشعث في المجلس، فقام إليه البعّار وقد كان أُخرج من محبسه فضرب رأسه بعمود حديد كان معه فشجّه وأثخنه، فقال: ويلك أخذت لها جُعلاً، ثم أخذوا ابن الأشعث فأوثقوه وناساً من آل ابن الأشعث، وقيل لأصحابه إنكم آمنون فاذهبوا حيث شئتم، وبعث بابن الأشعث ومن معه من حرمه إلى عُمارة بن تميم اللخمي لينفذهم إلى الحجاج، ووكل بهم ابن سبع جماعةً من جند رتبيل فسلموهم إلى عمارة بن تميم، وصيّر عليهم عُمارة رجلاً من بني تميم وسيّر معه رجلاً من بني ربيعة بن حنظلة كان أتى عنزاً[1] فلقّب أبا العنز فجُعل مع ابن الأشعث في سلسلة واحدة، فلما صار بالرخج رمى ابن الأشعث نفسه من جبل ويقال من فوق سطح عال كان إلى الطريق وأبو العنز فوقه فتدهدها[2] وأبو العنز يقول له: أنشدك الله والصحبة، فلما وافيا الأرض مات أبو العنز، ثم لم يلبث ابن الأشعث أن مات فاحتُزّ رأسه وحُمل إلى الحجاج، وقُدم بالقاسم بن محمد وأهل بيته ومُليكة بنت يزيد الأزدي امرأة عبد الرحمن وأمّه على عُمارة فحملهم، فقال الحجاج: يامُليكة أسلطاننا خيرٌ أم سلطان رتبيل؟ فظنّت أنه عرّض بها، فقالت: ماكنت فحّاشاً، فقال: إني لم أذهب إلى

---

(١) أتى عنزاً: أي نكح عنزاً.

(٢) تدهده: تدحرج.

حيث ذهبتِ. فقالت: سلطانك خيرٌ لنا. وقال الحجاج لأم عبد الرحمن ويقال لامرأته أخذت مال الله فوضعته تحت ذيلك فقال عنبسة بن سعيد بن العاص: لقد أعففت المنطق، قال: أفكنتَ تراني أقول الأخرى.

ولما رأى الحجاج رأس ابن الأشعث، قال: لقد كنت عالماً بتيهه ومُوقه وسخافة عقله، ولكن الله أراد أن يهلك به جيلاً من خلقه كانت له فيهم نقم، وتمثل:

[من الطويل]

أبى حَينهُ والموقُ إلّا تَهوُّرا ... فلاقاه عَبلُ الساعدين شَتيمُ

كريهُ المحيّا باسِلٌ ذو عُرامَةٍ ... فروسٌ لأعناقِ الكُماةِ أزوم[1]

فقال ناعصة بن زياد القيني ويقال إنه من غير القين: لايبعد الله إلّا من عصاك.

قالوا وبعث برأسه إلى عبد الملك، فبعث به عبد الملك إلى عبد العزيز بمصر، فقال الشاعر:

[من الكامل]

هيهاتَ موقعُ جثَةٍ من رأسِها ... رأسٌ بمصرَ وجثّةٌ بالرّخّجِ

قتلُوه قَسراً ثم قالوا بايِعوا ... وجرى البريدُ برأسِ قَرمٍ أبلَجِ

وقُدم بالقاسم بن محمد ومن معهم من أهلهم على الحجاج فاستبقى القاسم ولم يقتله، قال ولم يُقتل من آل ابن الأشعث أحدٌ يُعرف غير عبد الرحمن وعبد الله ابن إسحاق بن الأشعث، وكان عبد الرحمن بن محمد ولّى عبدَ الله بن إسحاق الكوفة، فلما هُزم عبد الرحمن خرج وهو يريد عبد العزيز بمصر، وكان ابن خالته

---

(١) أزوم: شديد ... اللسان.

فأخذ طريق السماوة فانتهى إلى ماءٍ من مياه كلب فنزله، فوجد الأعراب منه ريح الطيب فقالوا إن لهذا شأناً، ولم يعلمهم من هو فأخذوه فأتوا به عبد الملك فضرب عنقه، وكانت أم عبد الله بن إسحاق الشعثاء بنت زبّان ابن الأصبغ الكلبي، وأم عبد العزيز ليلى بنت زبّان.

وقال هشام ابن الكلبي: خرج الحجاج في أيامه تلك ومعه حُميد الأريقط وهو يقول:

[من الرجز]

مازال يبني خَندقاً ونَهدِمُهْ هيهاتَ من مُصْعَده مُنهزمه
إنّ أخا الكِظاظِ[1] من لايسأَمُه

فقال الحجاج هذا أصدق من قول الفاسق أعشى همدان: إن بني يوسف المزل الزلق، قد تبينّ من زلّ وتبّ ومن دحض فانكب[2]، ورفع صوته ففزع الأريقط، فقال له: مالك؟ قال: إن سلطان الله عزيز ورأيتك قد غضبت، فأرعدت خصائلي واسترخت مفاصلي وأظلم بصري، فقال: صدقت إن سلطان الله عزيز فعد إلى ماكنت فيه.

وقال أبو الحسن علي بن محمد المدائني: كان صلح رتبيل سنة ثلاث وثمانين والمدة سبع سنين ويقال تسع ويقال عشر سنين، قالوا وكان مع ابن الأشعث عبد

---

(١) في المخطوطين: بالككاظ بكافين وهو خطأ وصححته من اللسان والكظاظ في الحرب: الضيق عند المعركة. ومثل العرب: ليس أخو الكظاظ من تسأمه ـ اللسان ـ.

(٢) جاء هذا في الطبري: ج: ٦٢ ص: ٣٩٢ هذا أصدق من قول الناس... [مجزوء الكامل]

نُبِّئتُ أن بني يو سف خرَّ من زَلَقٍ فتبّا
قد تبيّنَ له منٍ زَلِقَ وتبّ ودحض فانكبّ.

الرحمن اليحصبي[1] وكان أطول الناس صلاةً فهرب إلى خراسان ودخل حائطاً ليصلي ويبعث غلامه إلى السوق ليبتاع له مايصلحه، فجاء ناس فجلسوا إلى جنبه فظنوا أن معه مالاً، فوثبوا عليه وهو قائم يصلي فقتلوه، ثم نظروا فإذا ليس معه شيء.

وقال المدائني: كان عبّاد بن الحصين الحبطي مع ابن الأشعث، وأشار عليه بأشياء بلغت الحجاج، فهرب إلى سجستان وصار إلى ناحية كابل واعتزل في قرية هناك، وكان صاحب القرية شاباً وكان يراسل أمةً له فسقى عباداً يوماً شيئاً، فوثب ابنه جهضم وبه كان يكنى على العلج فقتله، فاجتمع أهل تلك القرية على ابنه ومن معه فقاتلوهم فقتلوا بعضهم، فيقال إن جهضماً قتل يومئذ، ويقال إن الحجاج ظفر به فقتله لخروجه مع ابن الأشعث.

وقال عوانة وغيره: بدأت فتنة ابن الأشعث في سنة إثنين وثمانين وانقضت في سنة ثلاث وثمانين ومات عبد الملك في سنة ست وثمانين.

قالوا وكتب عبد الملك إلى الحجاج: أن جمّر[2] أهل العراق وتابع عليهم البعوث واستعن عليهم بالفقر فإنه جند الله الأكبر ففعل ذلك بهم سنتين، ثم كتب إلى عبد الملك كتاباً يقول فيه: إن الله إنما نصرنا بطاعته والوفاء ببيعة خليفته[3] وإنما هلك العراق بمعصيتهم وخلافهم ونكثهم، وإن لهم في هذا الفيء حقاً ونصيباً

---

(١) يحصب بطن عظيم من حمير وهو يحصب بن مالك بن زيد بن غوث بن سعد بن عوف بن عدي بن مالك بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن شمس بن وائل بن الغوث بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن حمير.

(٢) جمّر: جمّر الشيء: جمعه ـ اللسان ـ

(٣) إن الله نصرنا بطاعته والوفاء ببيعة خليفته: أي خليفة الله وهذا هو أساس الخلاف في دولة بني أمية إذا كان الخلفاء الراشدون خلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فعدلها بنو أمية إلى خلافة الله والمال مال الله فلذلك يحق لهم التصرف في بيت المال كما شاءوا.

وإني أخاف إن حبسناه عليهم أن ينصروا علينا، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر لهم بحقوقهم فليفعل، وإلا فلا يحرمن أمير المؤمنين الذرّية الذين لاذنوب لهم. فكتب إليه أن آمر للناس جميعاً من أهل المصرين مقاتلتهم وذرّيتهم بحقوقهم.

فوضع للحجاج سرير في المسجد، ثم دعا الناس بعد الجماجم بسنتين فأعطاهم عطائين للسنة الأولى والثانية، وعزل الحجاج عُمارة بن تميم اللخمي، وولّى عبد الرحمن بن سُليم الكلبي ثغر سجستان، فظفر عبد الرحمن بعطيّة بن عمرو العنبري وخرشة وكانا متحصنين في قلعةٍ وبعث بهما إلى الحجاج، فقتلهما وصلبهما على باب منزليهما.

قالوا وكان منادي الحجاج حين هزم أهل دير الجماجم نادى: من لحق بقتيبة ابن مسلم فهو آمن فلحقت به جماعة.

أمــر الشــعبي

١٣٧ ـ وكـان منهم عامـر بن شراحيل الشعبي[١] وكان قتيبة بالريّ، وسأل الحجـاج عن الشعبي فأخبره يزيد ابن أبي مسلم مولى الحجاج بمصيره إلى قتيبة، فكتب إلى قتيبة في إشخاصه.

فلما قُدم به استشار ابن أبي مسلم في أمره، فقال: ماأدري ماأشير به غير أن أعتذر بما استطعت، فلما دخل على الحجاج سلم بالإمرة، ثم قال: أيها الأمير إن الناس أمروني أن أعتذر إليك بغير الحقّ، وأيم الله لاقلت في مقامي هذا إلا حقّاً، قد والله سعّـرنـا عليك الحرب واجتهدنا كلّ الجهد فماألونا، ولقد نصرك الله علينا وظفرّك بنا، فإن سطوت علينا فبذنوبنا وماكسبت أيدينا، وإن عفوت فبحلمك عنا وبعد الحجّة علينا، فقال: أنت والله أحبّ إليّ قولاً ممّن يدخل علينا وسيفه يقطر من دمائنا، فيقول: والله مافعلتُ ولاشهدتُ، فقد أمنت عندنا ياشعبي فانصرف.

قال الشعبي: ثم دعـاني فارتعتُ حتى ذكـرت قولـه: أنت آمن عنـدنـا فاطمـأننت، فلما دخلت عليه، قال: هيه ياشعبي، فقلت: أصلح الله الأمـير أوُحِش الجنابُ وأحزن المنزل ونبا بنا واستشعرنا الخوف واكتحلنا السهر واستحلسنا البلاء وفقدنا الصالحين من الإخوان، أو قال صالحي الإخوان وشملتنا فتنة لم نكن لها بررةً أتقياء ولا فجـرةً أقوياء، وما أعتذر إلى الأمير ألاّ أكون سعيت عليه، وقد

---

(١) شعبان: هو حسان بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن شمس بن وائل بن الغوث بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن حمير بن سبأ. وشعْب جبل باليمن، وهـو ذو شعبين نزله حسان بن عمرو الحميري وولده فنسبوا إليه فمن كان بالكوفة يقال لهم: شعبيون، ومن كان بالشام: شعبانيون، ومن كان باليمن: آل ذي شعبين، ومن كان بمصر والمغرب: الأشعوب.

كنت أكتب إلى يزيد بن أبي مسلم بعذري وأعلمه حالي، فصدّقه يزيد، فقال الحجاج: قد قبلتُ عذرك ياشعبي وأمر بعطائه فرُدَّ عليه وقال: انصرف مصاحباً.

حدثنا يوسف بن موسى القطان عن جرير عن مغيرة، قال:

دخل الشعبيّ على الحجاج، فقال له: ماالذي نقمت؟ قال: لايسألني الأمير مانقمت ولكن ليسلني لم بطرت؟

حدثني عمر بن شبّة، ثنا حاتم بن إسماعيل عن عيسى الحنّاط قال:

لما ظهر الحجاج على ابن الأشعث جعل يؤتى بالناس فأُتي بالشعبي فقال: هيه ياشعبي: قال: أصلح الله الأمير أجذَب الجناب واعترانا السهر وامتلأنا رُعباً وأتينا فتنةً لم نكن فيها أبراراً أتقياء ولا فجّاراً أقوياء قال: صدقت ياشعبي خلّوا سبيله.

وروي عن مخلد بن الحسين عن أسماء بن عبيد عن الشعبيّ، قال: هربت من الحجاج فأتيت المدينة.

حدثني حفص بن عمر عن الهيثم بن عدي عن مجالد عن الشعبيّ قال:

لما انهزم ابن الأشعث ضاقت بي الأرض، وكرهت ترك عيالي وولدي، فأتيت يزيد بن أبي مسلم وكان لي صديقاً، وكانت الصداقة تنفع عنده، فقلت: قد صرت إلى ماترى، قال: إن الحجاج لايُكذب ولايُخدع، ولكن قم بين يديه وأقرّ بذنبك واستشهد بي على ماشئت، قال فوالله ماشعر الحجاج إلا وأنا ماثل بين يديه، فقال: أعامر؟ قلت: نعم أصلح الله الأمير، قال: ألم أقدم العراق فأحسنت إليك ووفدتك إلى أمير المؤمنين واستشرتك؟ قلت: بلى، قال: فَأَنّى كنتَ من هذه الفتنة؟ فقلت: استشعرنا الخوف واكتحلنا السهر وأحزن بنا المنزل، وأوحش الجناب وفقدنا صالحي الإخوان وشملتنا فتنة لم نكن فيها بررة أتقياء ولا فجرة

أقـوياء، وقـد كنت أكتب إلى يزيد بن أبي مسلم بعـذري، فصـدّقه يزيد، فقال الحجاج: هذا لامَن ضربنا بسيفه ثم جاءنا بالأحاديث كان وكان.

حدثنـا أبـو أيوب سليمان بن المعلّم الرقي عن عيسى بن يونس عن عباد بن موسى عن الشعبيّ قال:

أُتي بي الحجاج فلما انتهيت إلى الباب لقيني يزيد بن أبي مسلم، فقال: إنّا لله ياشعبي لما بين دفّيك من العلم، وليس بيوم شفاع. بُؤْ للأمير بالشرك والنفاق على نفسك فبالحري أن تنجو، ثم لقيني محمد بن الحجاج، فقال مثل مقالة يزيد، فقـال لي الحجـاج: وأنت ياشعبي فيمن خرج علينـا! فقلت: أصلح الله الأمـير أحزن بنا المنزل وأجدب الجناب وضاق المسلك واكتحلنا السهر واحتلسنا الخوف، ووقعنا في خزية لم نكن فيها بررة أتقياء ولا فجرة أقوياء، فقال: صدق والله، مابرّوا بخروجهم ولا قووا بحمد الله علينا إذ فجروا، أطلقا عنه، ثم قال: ماتقول في أمّ وأختٍ وجَـدٍّ؟ قلت: اختلف فيهـا خمسـة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: عثـمان بن عفّـان وعـليّ وعبد الله بن عباس وابن مسعود وزيد بن ثابت، قال: ماقال فيها ابن عباس إن كان لمتقناً؟ قلتُ: جعل الجدَّ أباً فأعطى الأم الثلث ولم يعط الأخت شيئاً، قال: فابن مسعود؟ قلت: جعلها من ستةٍ فأعطى الأخت النصف ثلاثة والجد الثلث اثنين والأم سدساً، قال: فأمير المؤمنين عثمان؟ قلت: جعلهـا أثـلاثاً، قال: فزيد بن ثابت؟ قلت: جعلها من تسعة أعطى الأم الثلث ثلاثة والجد أربعة والأخت اثنين، قال: فأبو تراب؟ قلت: جعلها من ستة أعطى الأخت النصف ثلاثة والأم الثلث والجدّ السدس، فقال: مروا القاضي أن يمضيها على قول أمير المؤمنين عثمان.

أمر عبيد الله بن عبد الرحمن بن سمرة

١٣٨ ـ وقال الهيثم بن عدي: فارق ابن الأشعث عُبيد الله بن عبد الرحمن ابن سمرة فأتى زابلستان فأقام بها برهة من دهره، ثم صار إلى خراسان فحبسه قتيبة ابن مسلم، وخرج ابنه أبو بكر بن عبيد الله إلى عبد الملك، فطلب له الأمان فأمّنه وكتب بذلك إلى الحجاج فرتّب الحجاج أمره، وبعث إلى قتيبة رسولاً ودفع إليه زبيبة، وقال: ضعها في يد قتيبة ثم اغمز عليها فَفَعل، فبعث قتيبة إلى عبيد الله من غَمّه حتى قتله، وكتب الحجاج إلى عبد الملك: إن رسولي وافاه وقد مات.

وقال المدائني: لما هُزم ابن الأشعث من مسكن، هرب عبيد الله بن عبد الرحمن بن سمرة إلى خراسان، فاستخفى بها، فعلم به يزيد بن المهلب فأخذه وحبسه، وكان قد فارق ابن الأشعث، فلما عُزل يزيد ووُلّي المفضّل بن المهلب، كتب إليه الحجاج في قتله، فكتب إليه: إنه لما به وستكفاه بغير قتله، فلما وُلي قتيبة خراسان ومات عبد الملك خرج أبو بكر بن عبيد الله بن عبد الرحمن إلى الوليد فكلّمه في أبيه، فكتب إلى الحجاج في إيمانه، وبلغ الحجاج الخبر فسبق بتوجيه رجل إلى قتيبة فقتله ودفنه.

أمر سعيد بن جبير

١٣٩ ـ حدثني عدّة من المشايخ، قالوا: سمعنا أبا نعيم الفضل بن دُكين يقول:

خرج مع ابن الأشعث من أهل الكوفة: سعيد بن جُبَير، وعبد الرحمن بن أبي ليلى، وعبد الرحمن بن عوسجة، والشعبي، وذر، وطلحة بن مُصرِّف، وعبد الله بن شداد، وأبو البختري الطائي، والحكم بن عتيبة، وعون بن عبد الله فيما يقال، ومن أهل البصرة مسلم بن يسار، وجابر بن زيد أبو الشعثاء الأزدي، وعقبة بن

نل معه، وأبو الجوزاء وقتل معه، وعبد الله بن غالب وقتل معه، وعقبة بن وسّاج، وطلق بن حبيب، وأبو شيخ الهنائي[1] من الأزد واسمه خَيوان بن خالد.

وقال أبو نعيم: كان مع ابن الأشعث ثمانون ألف فارس ومئة واثنان وعشرون ألف راجل.

قالوا وكان خالد بن عبد الله القسري[2] عامل الوليد بن عبد الملك بمكة، وكان سعيد بن جُبير هرب إلى مكة فاستخفى فيها حتى مات عبد الملك. ثم ظهر فكتب الحجاج إلى خالد في إشخاصه وإشخاص طلق بن حبيب العنزي[3] فأشخصهما إليه فقتلهما.

وقال المدائني: أخذ سعيدَ بنَ جُبير خالدُ بنُ عبد الله القسري بمكة فحمله إلى الحجاج مع إسماعيل بن أوسط البجلي[4]، فقال له: ألم أقدم العراق فأكرمك وذكّره أشياء فعلها به، فقال بلى، قال: فما أخرجك عليّ؟ قال: كانت لابن الأشعث بيعة في عنقي وعزم عليّ فغضب وقال: رأيت لعدو الله الحائك عزمةً لم

---

(١) الهنائي: بطن من الأزد وهو هناءة بن مالك بن فهم بن غنم بن دوس بن عُدثان بن عبد الله بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد.

(٢) القسري بطن: وهو خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد ابن كرز بن عامر بن عبد الله بن عبد شمس بن غمغمة بن جرير بن شق بن صعب بن يشكر بن رهم بن أفرك بن نذير بن مالك (قسر) ابن عبقر بن أنمار بن أراش بن عمرو بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ.

(٣) العنزي هناك عنز بن وائل والنسبة إليه عَنْزِي وعَنَزَة بن أسد بن ربيعة بن نزار والنسبة إليه عَنَزي بالفتح ولم يبيّن من أيهما.

(٤) البجلي: كل أولاد أنمار بن أراش نسبوا إلى أمهم بجيلة بنت صعب بن سعد العشيرة ماعدا أفتل الذي هو خثعم.

ترها لله ولخليفته ولي. والله لا أرفع قدمي حتى أقتلك وأعجّل بك إلى النار، قال: إذن أخاصمك بين يدي الله، قال: إذا أخصمك، قال: إن الحاكم يومئذ غيرك، فأمر بقتله فقام إليه مسلم الأعور ومعه سيف عريض حنفي[1] فضرب به عنقه.

حدثني محمد بن أبان الواسطي عن جرير بن حازم، وحدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي عن وهب بن جرير عن أبيه عن محمد بن الزبير الحنظلي:

أن الحجاج وجّه سعيد بن جبير في جيش الطواويس وأعطاه ألفي ألف درهم، وولاّه نفقات الجيش وقال له: إذا رأيت خللاً فسدّه، ومن كان من ضعيف فاحمله ومن جريح فأنفق عليه، وولاّه أمر الغنائم إذا غنم الجيش، فخرج عليهِ مع ابن الأشعث، وكان يقول ماخرجنا عليه حتى كفر بالله.

المدائني عن جرير بن حازم، قال قال سعيد بن جُبير: أليس كافراً بالله من زعم أن عبد الملك أكرم على الله من محمدٍ رسول الله صلى الله عليه وسلم.

المدائني عن يحيى بن زكرياء عن سالم الأفطس، قال: لما قتل الحجاجُ سعيدَ بن جبير عرفوا تغيّر عقله لأنه قتله ثم قال: قيود فدعا بها ليقيّده.

حدثني روح بن عبد المؤمن المقري، حدثني علي بن نصر الجهضمي، قال: كان خالد ابن خليفة يحدّث وكان بواب الحجاج، قال: ضربتُ عنقَ سعيد بن جُبَير فندر رأسه، وهو يقول: لا إله إلا الله.

المدائني عن عبد الله بن مروان، قال: لما أمر الحجاج بقتل سعيد بن جبير جاءت خالةٌ له فدفع إليها يده فقبّلتها. وقال له الحجاج حين أدخل عليه: أأنت شقيُّ بن كسير؟ قال: لا بل سعيد بن جبير، قال: ألم أصنع بك؟ ألم أكرمك؟ ألم أولّك؟ ألم أئتمنك؟ قال بلى قال: فوالله لأقتلنّك، قال: إذاً أخاصمك غداً، قال: إذاً أخصمك

---

(١) أي من صنع بني حنيفة بن لجيم.

ياعدو الله، فضحك سعيد فقال: مايضحكك؟ قال: التعجّب من جرأتك على الله.

المدائني عن أبي مريم صاحب الدسنوائيّ، قال: رأيت سعيد بن جبير مقيّداً بمكة، واستأذن خالد بن عبد الله في توديع البيت فأذن له، فطاف أسبوعاً وهو مقيّد وقد اتّكـأ عليّ أو قال على رجل، فقال: اللهم إن كنتَ قضيت للحجاج قتلي فاجعل ذلك كفّارةً لذنوبي.

المدائني عن محمد بن ذكوان، قال: أخذ سعيداً عبد الله بن أسد ابن أخي خالد، فقال له: قد كنتُ أكره أن يجري أمرك على يدي، قال: فهلا إذ كرهت ذلك قلت كما قال العبد الصالح: ﴿ إِنَّ المَلَأَ يأتَمِرونَ بِكَ لِيَقتُلُوكَ﴾[1] وكان الكَريَّ[2] الذي حمل سعيد بن جبير زيد بن مسروق اليربوعي، والذي أدخله إلى الحجاج إسماعيل ابن أوسط البجلي.

المدائني عن رجل عن عمرو بن أبي وحشيّة، قال: رأيت رأس سعيد بن جبير في فم كلب يعدو به بين الأطناب.

المدائني عن عمرو بن هشام، قال: قيل لسعيد بن جبير إن الحجاج إذا أخذ رجلاً كان مع ابن الأشعث وأقرّ له بالكفر خلّى سبيله وإن الحسن قال يدفع عن نفسه، فقال سعيد بن جبير يرحم الله أبا سعيد[3] لاتقيّة في الإسلام.

المدائني عن جرير بن حازم عن واصلٍ عن عبد الله بن سعيد بن جبير، قال: قُتل أبي وله تسع وأربعون سنة.

---

(١) سورة القصص رقم: ٢٨ الآية: ٢٠.

(٢) الكري: أي الذي استكروه ويدفع له أجر حمله.

(٣) يقصد بالحسن: الحسن البصري وكنيته أبو سعيد.

وحدثنا عفّان بن مسلم، ثنا هشيم، ثنا أبو بشر عن سعيد بن جبير، قال: أنا ممن أنعم الله عليه ببني أسدٍ.

المدائني عن محمد بن إسحاق عن عبد الملك بن أبي سليمان، قال: رأى خالدُ بن عبد الله سعيدَ بن جبير، وطلق بن حبيب العنزي ورجالاً يطوفون في قيودهم، فقال: ماهؤلاء؟ قيل الأسراء الذين أمرت بحملهم، فقال: امنعوهم من الطواف.

حدثني عمر بن شبّة عن رجلٍ عن جرير عن جرير عن مغيرة: أن الحجاج كان يعرف سعيد ابن جبير فسأله: ماالخبر؟ فقال سعيد: تركت الخمر تباع بالكوفة ظاهرةً، ويباع الحكم بالرُّشا، فقال الحجاج: والله لئن ولّيت لأغيرنّ، فلما قدم ردّ شُريحاً على القضاء ومنع أن تباع الخمرة.

المدائني عن جرير عن حبيب بن أبي عمرة، أن الحجاج أمر سعيد بن جبير أن يصلي بالناس في شهر رمضان فصلى بهم، فكساه الحجاج برنس خزٍّ أسود فلبسه.

حدثني عمر بن شبّة، ثنا أبو عاصم النبيل، ثنا عمرو بن قيس، قال: كتب الحجاج إلى الوليد أن قوماً من أهل الشقاق والنفاق قد لجؤوا إلى مكة، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي فيهم، فكتب الوليد إلى خالد بن عبد الله القسري فيهم، فأخذ عطاءً وسعيد بن جبير ومجاهداً وطلق بن حبيب وعمرو بن دينار، وأما عطاءٌ وعمرو فخلّيا، وأما الآخرون فبعث بهم إلى الحجاج، فمات طلق في الطريق وحبس مجاهد حتى مات الحجاج وقتل الحجاج سعيد بن جبير.

حدثني عمرو بن محمد الناقد عن عبد الله بن قمير عن عبد الملك بن أبي سليمان، قال: أخذ خالد القسري سعيد بن جبير وطلق بن حبيب، وحبيب بن أبي ثابت وأصحابهم فقيّدوا، فكانوا يطوفون بالبيت في قيودهم، قالوا وبعث إبراهيم[1] إلى سعيد في السر أن القوم لن يستحيوك فاصلب لهم.

---

(١) إبراهيم هذا لم أعرفه ولم يذكر قبل ذلك عنه شيئاً.

حدثني العباس بن الوليد النرسي، ثنا عبد الواحد بن زياد عن الربيع بن أبي صالح، قال: دخلت على سعيد بن جبير حين جيء به فبكيت، فقال: مايبكيك؟ قلت: الذي أرى بك، قال: فلا تبك فإن هذا كان في علم الله، وقرأ ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ ﴾إلى قوله ﴿ نَبْرَأَهَا﴾(1).

المدائني عن أبي بكر بن عيّاش عن عاصم بن بَهدلة، قال: ماتكلم سعيدٌ بشيء وذلك أنه كره المثلة.

حدثني الحسين بن علي بن الأسود عن أبي بكر بن عياش عن يزيد بن أبي زياد، قال: لما جيء بسعيد جعل يحدثنا لاننكر منه شيئاً، حتى جاءت ابنته فتحرك فانكشفت قيوده فبكت الجارية، فقال سعيد: اسكتي يابنيّة لاتغمي أباك، فهذا أكثر مارأينا منه.

حدثني حفص عن الهيثم بن عدي عن ابن عياش، قال: قال الحجاج لسعيد: أكفرت بخروجك؟ قال: ماكفرتُ مذ آمنت، قال: اختر أي قتلة أقتلك، قال: اختر أنت لنفسك أي القصاص شئت، فإن القصاص أمامك: فقتله فما قتل أحداً بعده.

حدثني محمد بن إبراهيم الدورقي، ثنا وهب بن جرير عن أبيه عن الفضل بن سويد، قال: جيء بسعيد بن جبير، فقمت على رأس الحجاج، فقال له الحجاج: ألم أشركك في أمانتي؟ ألم استعملك؟ ألم أفعل؟ ألم أفعل؟ فقال: بلى، قال: فما حملك على خروجك عليّ، قال: عزم عليّ الرجل، فقال: رأيت لعزمة عبد الرحمن حقاً، ولم تر لله ولا لأمير المؤمنين ولا لي عليك حقاً، اضرب عنقه فضربت عنقه فندرت رأسه وعليه كُمّةٌ(2) بيضاء لاطية صغيرة.

المدائني قال، قال سلم بن قتيبة: كنت عند الحجاج فقال لسعيد: أخرجت عليّ؟

---

(1) سورة الحديد رقم: ٥٧ الآية رقم: ٢٢

(2) كُمّة: الكُمّة: كل ظرف غطيت به شيئاً وألبسته إياه فصار له كالغلاف ـ اللسان ـ

قال: كانت للرجـل في عنقي بيعة، قال: أتفي لعدو الله ولا تفي لأمير المؤمنين، اضرب عنقه فضُربت عنقه فسال دم كثير.

حدثني عمرو بن محمد الناقد، ثنا سفيان بن عيينة عن سالم بن أبي حفص، قال: لما دخـل سعيد بن جبير على الحجـاج، قال: أنت شقي بن كُسَير؟ قال: لابل أنا سعيد بن جبير، قال: أما والله لأقتلنّك، قال: إذاً [أنا] لكما سمّتني أمي سعيد، دعـوني أصلي ركعتين، فقال: وجّهوه إلى قبلة النصارى: قال: ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾[1] .

وحـدثني علي بن الحسن بن عرفـة عن أبيـه عن الحارث بن أبي الزبير المدني، عن عبد العزيز بن زمعة العارمي، حديثاً طويلاً اختصرته: أن الحجاج أرسل إلى سعيد بن جبير فأتى به، فلما دخـل عليه قال: أنت شقيّ بن كُسـير، قال: أنا سعيد بن جبير، قال: أنت شقيّ بن كسير، قال: أمّي كانت أعلم باسمي منك، فقال لصاحب عذابه أسمعني صوته، فعذّبه فلم يسمع له الحجاج صوتاً، فقال له آمرك أن تصبَّ عليه العـذاب حتى تسمعني صوته، قال: قد عذّبته بألوان العذاب فلم أرَ أصبر منه قطّ، فدعا به الحجاج، فقال: أو تتصبّر على عذابي، قال: إن من ذكر عذاب الله هان عليه عذابك، قال: لألحقنّك بأمك الهاوية، فقال سعيد: لو علمت أن ذلك إليك لاتخذتك إلهاً من دون الله، ثم أمر به أن يقتل فتبسّم، فقال: ألم يُقَلْ لي أنـك لم تضحـك قطّ، قال: ضحكتُ للتعجّب من جرأتك على الله واغترارك بحلمـه، وانحـرف إلى القبلة، فعُـدل به عنهـا، فقـال: ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾[1] وقال سعيد: اللهم لاتمهله، فقدّم فضُربت عنقه، ويقال ذُبح ذبحاً، قال فأخـذ الحجـاج الـزمهـرير وقَرِح جوفه حتى كانت القديدة تدلى في حلقه ثم تجبذ فيخرج منها الدود، وهو يصيح: مالي ولسعيد بن جبير، فلم يزل كذلك حتى مات.

---

(١) سورة البقرة رقم: ٢ الآية رقم: ١١٥.

حدثني عبد الله بن صالح العجلي عن أبي بكر بن عياش عن يزيد بن أبي زياد، قال: لما دخل سعيد بن جبير على الحجاج أمر به أن يقتل، فنهض رجل من أهل الشام، فقال له: الصق بالمنكبين.

حدثني أبو محمد النحوي المعروف بالتوزي عن أبي عبيدة عن يونس النحوي، قال: لما أتي بسعيد بن جبير، قال الحجاج: لعن الله ابن النصرانية يعني خالد بن عبد الله[1] والله لقد كنتُ أعرف مكانه ولوددت أنه بعث بغيره ولم يبعث به، ثم قال: ماأخرجك عليّ؟ فقال: أنا رجل من الناس أخطىء وأصيب، قال: ألم أكرمك؟ قال: بلى قال: فما حملك على مافعلت؟ قال: كانت للرجل في عنقي بيعة، فاستشاط الحجاج غضباً، وقال: أفلم تكن لأمير المؤمنين في عنقك بيعة، ثم أخذتها عليك بالكوفة؟ قال: بلى، قال: فنكثت بيعة أمير المؤمنين ووفيت ببيعة ابن الحائك، اضربا عنقه، فذلك قول جرير بن عطيّة:

[من الكامل]

يارُبَّ ناكِثِ بيعَتينِ تركتَهُ وَخِضابُ لحيَتِهِ دمُ الأوداجِ

وقال أبو عبيدة: أُتي الحجاج بسعيد وهو يريد الركوب، فقال: والله لاأركب حتى تتبوّأ مقعدك من النار، اضربوا عنقه فضُربتْ عنقه. فخولط والتبس عقله مكانه فجعل يقول: قيودَنا قيودَنا فظنوا أنه يقول القيود التي على سعيد، فقطعوا رجليه من أنصاف ساقيه وأخذوا القيود.

حدثني سجاع بن مخلد الفلاس، ثنا جرير بن عبد الحميد عن المغيرة، قال: كان الحجاج يقول حين قتل سعيد ابن جبير، وَلَعٌ يالك من وَلَع.

---

(١) كانت أم خالد رومية نصرانية فبنى لها كنيسة في ظهر قبلة المسجد الجامع بالكوفة، وكان إذا ذكروه قالوا: ابن البظراء فكره ذلك، فيقال ختن أمه وهي كارهة فعيره أعشى همدان، فقال: [من الطويل]

لَعمرُكَ ماأدري وإنّي لَسائلٌ أبظراءُ أم مختونةٌ أمُ خالدِ

حدثني عمر بن شبّة، ثنا عُبيد بن جنّاد عن عطاء بن سالم، قال: لما قتل سعيد بن جبير قال ميمون بن مهران[1] ماأدري بما أكافىء أخي، إلا بأن أتزوج ابنته فأقدم على سيف الحجاج وانطلق فتزوج ابنة سعيد بالكوفة وقدم بها الرقّة.

قال عطاء: فمضيت حتى رأيتها فإذا امرأة مسنّة جليلة عابدة قاعدة في مسجدها، فالتمست عندها حديثاً فلم أجده.

وقال عبيد بن جناد: وكان في الطريق أهل مسلحة يمنعون النساء، فجلس إليهم ميمون فألقى تحت مصلى أحدهم ثلاثمئة درهم، ثم قال: معي امرأة، فقالوا: وهل يمنع مثلك امض راشداً.

حدثنا أبو أيوب المؤدب الرقي، حدثني محمد بن مُصفّى عن الوليد بن مسلم، ثنا عبد الملك بن محمد، قال: سمعت ثابت بن محمد يقول: هرب سعيد بن جبير من الحجاج فكان عندي سنين أو قال سنتين.

حدثنا عمر بن شبّة عن أبي عاصم النبيل، حدثني شيخ من أهل مكة، قال: كان رجل من أهل مكة ضعيفاً، فمازحه سعيد وهو يطوف، أو قال زحمه، فقال: أنت تَفِرُّ من الحجاج وتجيء إلى هاهنا، فضربه عكرمة بن خالد وناس من قريش حتى كاد ينبسط.

حدثني الحسين بن علي عن أبي بكر بن عياش، قال: قيل ليزيد بن أبي زياد: هل كان سعيد يحدّث؟ قال: نعم ويضحك، غير أني رأيت ابنته جاءت فجلست في حجره، فسمعت حركة القيود فبكت، فقال: مَهْ، قال: وأخذ بكُفلاء لئلا يُلقي نفسه في الفرات إذا مرّ به، فكنتُ ممّن كفل به في آخرين.

---

(١) ميمون بن مهران الجزري أبو أيوب الرّقي، كان مملوكاً لامرأة من أهل الكوفة من بني نصر فاعتقته وبها نشأ ثم نزل الكوفة وكان ذا مروءة وطلاقة وجه وقضاء الحوائج روى الحديث وروي عنه ولي لعمر بن عبد العزيز قضاء الجزيرة ـ تهذيب الكمال: ج: ٢٩ ص: ٢١٠

حدثني عمر بن شبّة عن محمد بن حاتم عن القاسم بن مالك، ثنا أبو الجهم، قال: دخل علينا سعيد بن جبير الديماس[1] ولم يكن لكل قاعدٍ منّا فيه مقعد إلاّ قدر مايمدّ رجله، فأوسعت له إلى جنبي، فلما كان يوم أُخرج ليقتل، قال لي: شدّ عليّ ثيابي، قال: فشددّت عليه بركتي[2] قباء وكان عليه من خلفه وخُرج به فقُتل.

حدثني عمر بن شبة عن عبد الملك بن عبد الله القطان عن هلال بن جناب، قال: جيء بسعيد إلى الحجاج، فقال له: والله لأقتلنّك، قال: إني إذاً لسعيد كما سمتني أمّي، قال فقتله فلم يلبث بعده إلا نحواً من أربعين يوماً، وكان إذا نام يراه في منامه يأخذ بمجامع ثوبه، ويقول: ياعدو الله فيمَ قتلتني؟ فيقول: مالي ولسعيد بن جبير.

وحدثني عمر عن محمد بن حاتم عن القاسم بن مالك عن رجل من أهل هجر عن عبد الملك بن سعيد بن جبير قال:

لما قُدم بسعيد بن جبير على الحجاج، قال: أنت شقيّ بن كُسير، قال: أنا سعيد بن جبير، قال: والله لأقتلنك، قال: إذاً ألقى الله بعملي وتلقاه بدمي، لقد أصابت أمّي إذاً إذ سمّتني سعيداً، فقال الحجاج: ياحرسي اضربه ضربةً على حبل عاتقه تخالط رئته، قال: فأذن لي أصلِّ ركعتين، قال: صلِّ، فلما توجّه إلى القبلة، فقال: الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا، قال الحجاج: لا إلى قبلة النصارى، فقال سعيد: أينما تولوا فثم وجه الله، فصلى ثم ضربه الحرسي ضربة خالطت رئته.

وقال الفضل بن دكين أبو نعيم: قُتل سعيد في سنة خمس وتسعين، وهو ابن تسع وأربعين سنة.

---

(١) الديماس: اسم سجن الحجاج.

(٢) بركتي: برك وبركة: الصدر والقباء ثوب مفتوح من الأمام.

مقتل عبد الله بن إسحاق بن الأشعث.

١٤٠ ـ وحدثني أبو مسعود الكوفي، قال:

لما أخذ الأعرابُ عبدَ الله بن إسحاق بن الأشعث فأتوا به عبد الملك فقال له عبد الملك وقد أدخل عليه بحمص: ألم أقدم الكوفة حين قتلت مصعباً فوجدتك في ستمئة من العطاء فبلغت بك ألفين، ووليّت بشراً أخي الكوفة فأمرته أن يجعلك في حاشيته، وحملتك على دابّة من دواب رحلي، وخلعتُ عليك ثياباً من ثياب بدني؟ قال: بلى، قال: ثم بلغني أن بشراً غضب عليك في حمقةٍ من حمقاتك فإنك من أهل بيت حمقٍ ولؤم فأغزاك أصبهان، فكتبت إليه أعزم عليه أن يُقْفِلك ويعيدك إلى حالك؟ ففعل قال: بلى، قال: فلعنتني على منبر البصرة وشتمتني على منبر الكوفة، وأخذت رسولي فقطعت يديه ورجليه وصلبته منكوساً؟ قال: بلى قال: فأنت ترجو الهوادة عندي؟ لا أمّ لك، وتمثل:

[من الطويل]

أبعدَ الّذي بالنعفِ[1] نَعف كويكب	رهينة رمسٍ من تُرابٍ وجَندلِ
أُذكّرُ بالبُقيا على مَنْ أصابَهُ	وبُقيايَ أني جاهدٌ غيرُ مؤتلِ
أنختُم علينا كلكَلَ الحربِ مرّةً	فنحنُ مُنيخوها عليكم بكلكَلِ

قُمْ ياعتاب بن مسروق فاضرب عنقه، ودع عليه من ثيابه مايواري عورته، فقال: قد أمّنني عبد العزيز، فقال عبد الملك: مايقول؟ فأُخبر به، فقال: كذبَ ولو آمنه لم أجز أمانه فضُربت عنقه.

---

(١) النعف: من الانتعاف: وهو وضوح الشخص وظهوره ـ اللسان ـ

مقتل المسور بن مخرمة بن عوف الكلبي.

١٤٠ - قال ابن شبّة في روايته: وأُتي عبدُ الملك بالمِسوَر بن مخرمةَ بن عوف الكلبي، فقال: ألم يأتني بك يدّعيك عبداً، فقلت [له] أرى جلدةً عربيّةً ولأن يكون لك ابن عم خير من أن يكون عبداً، فأثبتّ نسبك وفرضت لك في أربعمئةٍ، ثم أصحبتك الوليد بن عبد الملك حين أغزيته، وأمرته أن يجعلك من البُشراء؟ قال: بلى. قال: قُم ياأبا العباس فاضرب عنقه، ففعل.

إخلاء سبيل ابن عبد الله بن يزيد الخطمي[1].

١٤١ - ثم أتي بابن عبد الله بن يزيد الخطمي من الأنصار، فقال له: من أنت؟ قال: أنا ابن عبد الله بن يزيد الخطمي، قال: من أهل بيت شبابة؟ قال: اقبل فيّ وصيّة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأنصار: «أن يُقبل من مُحسنهم ويُعفى عن مسيئهم» فقال: خلّوا سبيله.

إخلاء سبيل غطيس الجهني[2].

١٤٢ - وأُتي بغطيس الجهني ومعه ابن له يتعلّق به، ويقول: ياأمير المؤمنين أبي، ياأمير المؤمنين أبي، فرحمه وقال: وهبتك لابنك[3].

---

(١) خَطَمة: هو عبد الله بن جُشم بن مالك بن الأوس بن حارثة. بطن من الأوس الأنصار.

(٢) جُهينة قبيلة من قضاعه وهو جُهينة بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة.

(٣) من بعد وهبتك لابنك يأتي كلام قد سبق ذكره فيما سبق في الصفحة: ٣٢٤ المدائني عن شخص قال وحتى الصفحة ٣٢٩ آخر كلمة: فما بال الذراري. يقابلهم في المخطوط آخر الصفحة ٤٨٣/ ٦٨ من مخطوط المكتبة المغربية ويبدأ بالمدائني عن سحيم قال وحتى أول الصفحة ٤٨٥/ ٦٨ فما بال الذراري وقد أشير في المخطوط بهامش الصفحة ٤٨٣/ ٦٨ مايلي: من هنا قد تقدم سابقاً فنخرجه في الحاشية، أما مخطوط استنبول فلم يذكر شيئاً وأعاد الكلام الذي سبق.

مقتل حطيط الزيات.

١٤٣ ـ قالوا وأُتي الحجاج بحُطيط الحَرامي الزّيات، وحرّام بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم، فسأل الحجاج حُطيطاً عن أبي بكرٍ، فقال خيراً، ثم عن عمر فقال خيراً، ثم سأله عن عثمان، فقال: لم أولد إذ ذاك، قال الحجاج: يابن اللخناء أولدت زمن أبي بكر وعمر، ولم تولد زمن عثمان؟ فقال: يابن اللخناء لاتعجل عليّ، إن الناس أجمعوا على أبي بكر وعمر واختلفوا في عثمان فوسعني أن أكله إلى الله، قال له: أما والله لألحقنّك بالنار، قال: أما ترضى أن تكون مالكاً في الدنيا حتى تكون مالكاً في الآخرة؟! فقال الحجاج: عليّ بصاحب العذاب فدفعه إليه وقال: أسمعني اليوم صوته، قال: نعم، فقال حطيط: كُذب فجعل يعذبه ووضع الدَّهَق[1] على ساقيه، وكان ثقيلاً فكسر إحدى ساقيه، وقال: أنا فلان، قال حطيط: لعنك الله تتكنّى عليّ لأن كسرت ساقي، فجعل يعذّبه وهو ساكت لايتكلم، فأخبر الحجاجَ بأمره، فدعا به فحُمل حتى وضع بين يديه، فقال له الحجاج: أتقرأ من القرآن شيئاً؟ فقال حطيط: بل أنت تقرأ، فقرأ الحجاج: ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَنِ ﴾ حتى بلغ ﴿ ويُطْعِمُونَ الطَّعَام عَلى حُبِّهِ مِسكِيناً ويَتِيماً وَأَسِيراً ﴾[2] فقال حطيط: وأنت تقتلهم.

قال فبينا هو يحاوره إذ وقع ذبابٌ على بعض جراحاته، فقال: حَسّ، فقال الحجاج: يابن اللخناء أتجزع من ذباب ولا تجزع من العذاب؟ قال: يابن اللخناء إني عاهدت الله عليك، ولم أعاهده على الذباب، عاهدت الله لأجاهدنّك بيدي ولساني وقلبي، فأما يدي فما أجد عليك أعواناً، وأما لساني فقد تسمع، وأما قلبي فالله أعلم بما فيه، فقال الحجاج: على بمسالّ الحديد فجُعلت تُدخل فيما بين

---

(١) الدَّهَقُ: خشبتان يغمز أي يعصر بهما الساق.

(٢) سورة الإنسان رقم: ٣٦ الأيتان ١ و ٨.

الظفر واللحم وهو ساكت، فقال بعض جلساء الحجاج: ماأصبره! فقال حطيط: أوما علمت أن الله عزّ وجلّ يفرّغ الصبر إفراغاً.

فأمر به فأدرج في عباءٍ وضرب بالخُشب حتى قتل.

صلب ماهان العابد.

١٤٤ ـ حدثني عبد الله بن صالح العجلي عن محمد بن فُضَيل بن غزوان عن إبراهيم المؤذّن، قال: لما صلب ماهان الحنفي طُعن وهو يُسبِّح وفي يده أربع وعشرون، فرأيته على الخشبة والعقد في يده، وكنا نرى السُّرج بالليل عند خشبته.

وروى أبو بكر بن عياش عن عمّار الدُهني[1]، قال: لما صلب ماهان أبو صالح اجتمع الناس، فنظر إليّ، فقال: ياعمّار وأنت هاهنا أيضاً.

مقتل عبد الرحمن بن أبي ليلى.

١٤٥ ـ قالوا وكان الحجاج بعث إلى عبد الرحمن بن أبي ليلى، فقال: بلغني أنك تشتم أمير المؤمنين عثمان، فقال: إنه ليمنعني من ذلك ثلاث آيات في كتاب الله قوله: ﴿**لِلْفُقَرَآءِ الْمُهَـٰجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ**﴾ إلى قوله ﴿**الصَّـٰدِقُونَ**﴾ وقوله: ﴿**وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَـٰنَ مِنْ قَبْلِهِمْ**﴾ إلى قوله ﴿**رَءُوفٌ رَحِيمٌ**﴾[2] وأنا منهم، فأعجبَ الحجاجَ قولُه، ثم إن ابن أبي ليلى دخل على الحجاج بعد ذلك فقال: ياأهل الشام إن أردتم رجلاً يشتم أمير المؤمنين عثمان فدونكم هذا، فقال عبد الرحمن بمثل قوله الأوّل، فقال الحجاج: صدق.

---

(١) في مخطوط استنبول الذهني بالذال المعجمة وصحته كما جاء في مخطوط المكتبة المغربية الدال المهملة كما جاء في فهرس سير أعلام النبلاء: عمّار الدهني بن معاوية بن أسلم أبو معاوية البجلي الكوفي.

(٢) سورة الحشر رقم: ٥٩ الآيات رقم: ٨ و ٩ و١٠.

فحدثنا عمرو بن محمد الناقد عن هشيم، ثنا الأعمش، قال: رأيت عبد الرحمن بن أبي ليلى وقد ضربه الحجاج ووقفه على باب المسجد، فجعلوا يقولون له: العن الكذابين، فيقول: لعن الله الكذّابين ويسكت ثم يبتدىء فيقول: عليٌّ بن أبي طالب، وعبدُ الله بن الزبير، والمختارُ بن أبي عبيد، فجعلتُ أعرف حين سكت ثم ابتدأ أنه لايريدهم.

وحدّثتُ عن أبي بكر بن عياش وحفص بن غياث عن الأعمش، قال: رأيتُ عبد الرحمن بن أبي ليلى على المصطبة، وكان ظهره مسحاً أسود لضرب الحجاج إياه، وهم يقولون له: العن الكذابين، فيقول: لعن الله الكذابين ثم يسكت، فيقول عليٌّ بن أبي طالب وعبدُ الله بن الزبير والمختارُ بن أبي عبيد، وأهل الشام حوله كأنهم حمير مايعقلون مايقول.

وقوم يقولون غُرّق ابن ليلى بدُجيل، وآخر يقولون قتل يوم الجماجم، وكان الحجاج أقامه قبل ذلك.

مقتل الفضيل بن بزوان العدواني[1].

١٤٥ ـ قالوا أتى الحجاجُ بالفُضَيل بن بزوان العدواني، فقال له: فُضَيل؟ قال: فُضَيل، قال: ألم أكرمك؟ قال: بل أهنتني، وكان قد ولّاه حين قدم العراق عملاً فهرب، قال: ألم أقربّك؟ قال: بل باعدتني، قال: والله لأقتلنّك، قال: بغير جرمٍ ولا فسادٍ في الأرض، قال: كلّ ذلك قد أتيت بمعصيتي، فقتله.

ويقال إنه قال له: إذاً أخاصمك في دمي، قال: إذاً أخصمك، قال: إن الحاكم يومئذٍ غيرك.

---

(١) العدواني: نسبة إلى قبيلة عدوان القيسية. واسم عدوان الحارث عدا على أخيه فهم فقتله فسمّي عدوان وهو الحارث ابن عمرو بن قيس عيلان.

اختفاء الحسن البصري:

١٤٦ ـ قالوا ودخل الحسن بن أبي الحسن[1] على الحجاج بعد قتل ابن الأشعث، فقال: حملت عليّ السلاح؟ قال: والله مافعلت، فأخرج الحجاج إليه كفّه فمسح عليها، ثم لم يأمنه فتوارى، فيقال إنه توارى تسع سنين، وكان ينتقل في منازل الناس، ثم لزم منزله فتوارى فيه.

إبراهيم التيمي وإبراهيم النخعي:

١٤٧ ـ حدثنا خلف بن هشام وعفان قالا: ثنا هشيم بن بشير، أنبأ العوّام بن حوشب، أنه لما انطُلق بإبراهيم التيمي إلى السجن، قال له أصحابه: هل توصي إلى إخوانك بشيء تحبّ أن نبلغهم إياه عنك؟ ألك حاجة؟ قال: نعم تذكروني عند غير الربّ الذي عناه يوسف، قال خلف: يقول تدعون الله لي ولاتشفعون لي إلى السلطان، وإن إبراهيم لم يسأل العافية مما هو فيه حتى مات في محبسه، وكان يقول: اللهم هذا بعينك، اللهم قد ترى.

وحدثنا عمرو الناقد عن سفيان بن عيينة عن أبي سعد، قال: دخل علينا إبراهيم التيمي السجن فتكلم، فقال أهل السجن: مايسرّنا أنا خارجون منه.

حدثني عمر بن شبة عن الأصمعي، قال: قال يزيد بن أبي مسلم: هاتوا إبراهيم، فقيل إنهما إبراهيمان التيمي والنخعي، قال هاتوهما جميعاً فمات التيمي في الحبس واستخفى النخعي.

حدثنا خلف البزاز أبو شهاب عن الحسن بن عمرو، قال: كان إبراهيم[2] النخعي

---

(١) الحسن البصري: هو الحسن بن أبي الحسن يسار أبو سعيد البصري.

(٢) قد يظن القارىء أن هذا هو إبراهيم بن الأشتر النخعي وكان قتل مع مصعب قبل ورود الحجاج العراق. ولكن هذا غيره وهو: إبراهيم النخعي ابن يزيد بن قيس أبو عمران الكوفي الفقيه ـ فهرس سير أعلام النبلاء ـ

ليالي الحجاج متوارياً، وكان المسجد على بابه فكان لايخرج فيصلي فيه.

المدائني عن عامر بن حفص، قال: حبس الحجاج إبراهيم التيمي فجاءت ابنته فلم تعرفه حتى كلمها، وكان الحجاج يُطعم أهل السجن دقيق الشعير والرماد مخلوطين، ومات إبراهيم التيمي في السجن، فرأى الحجاج في الليلة التي مات فيها [إبراهيم] قائلاً يقول: مات في هذه الليلة رجل من أهل الجنّة، فلما أصبح قال: من مات الليلة بواسط، قالوا: إبراهيم التيمي، قال: نزعة من نزعات الشيطان، وأمر به فألقي.

استخفاء أبي عمرو بن العلاء.

١٤٨ ـ وقال الأصمعي: مات الحجاج وعمرو بن العلاء مستخفٍ فسمع أعرابياً يقول: مات الحجاج وأنشد:

[من الخفيف]

ربّما تُشفِقُ النُّفوسُ من الأَمْرِ   لهُ فرْجةٌ كحلِّ العقالِ

فقال أبو عمرو: ماأدري أبموت الحجاج كنت أسرّ أم بقوله فرّجة، إنما كنا نرويها فُرجةً.

وأُتي الحجاج برجلٍ من ثقيف كان في الأسرى فشهق فمات.

قتل أعشى همدان.

١٤٩ ـ قالوا وأتي الحجاج بأعشى همدان، فقال له: يابن اللخناء ألست القائل:

[من الرجز]

أمكنَ ربّي من ثَقيفٍ همدان   يوماً إلى اللّيلِ نجلّي ماكان

فقد أمكن الله ثقيفاً من همدان، أولست القائل:

[من الكامل]

وَسـألـتَـني بالمـجـدِ أينَ محلُّهُ فالمـجـدُ بينَ محمَّـدٍ وسَـعـيدِ
بين الأشجِّ وبين قيسٍ في الذُّرى بَخٍْ بَخٍْ بوالِـدِهِ وبـالمـولـودِ

والله لاتبخبخ لأحدٍ بعد اليوم أبداً، ثم أمر بضرب عنقه فقتل.

قتل ابن القرية.

١٥٠ - قالـوا وأتى بابن القِـريَّة، فقـال: أتـأذن لي في الكـلام؟ فقـال: لاتكلمني، قال: ائذن لي جُعلت فداك في ثلاث كلمات كالدّهم الواقفات، فأمر به فضُربت عنقه.

قال ابن الكلبي: قتل الحجاجُ أيوبَ بن السائب من النمر بن قاسط[1] وأمه القِرِّيَة.

وقـال المـدائني: أمـره الحجـاج أن يكتب كتـاباً إلى ابن الأشعث، فكتبه، وقال: انطلق به إليه فأتاه بالكتاب، فقال: أنت كتبته؟ قال: لا، قال: بلى والله لاجـرم لتكتبنّ جوابـه، فكتبـه وأتى الحجاج، فلما قرأه قال: هذا كتابك، قال: أكرهني عليه فقتله.

وقال علي بن محمدٍ[2] أبو الحسن المدائني عن أشياخه، قُتل زياد بن مقاتل بن مِسمع مع ابن الأشعث فقالت امرأته بنت شقيق بن ثور:

[من الطويل]

ومـاكـنتُ أخشى أن أقـومَ سَوِيَّةً لأبـغـي زياداً لا أمـوتُ فأكمـدُ

(١) النمر بن قاسط: قبيلة وهو النمر بن قاسط بن هِنب بن أفصَى بن دُعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار.

(٢) هذه أول مرة يذكر اسم المدائني. وهو علي بن محمد بن عبد الله أبو الحسن المدائني الأخباري.

وحبس الحجاج مِسمع بن عبد الملك[1]، فكتب عبد الملك إلى الحجاج، قد كان من بلاء مالـك بن مسمـع عندنا مايعفّي على ذنب ابنه مسمع فخلّ عنه وولّه سجستان فولّاه إياها، فظهر أبو جلدة اليشكري في ولايته وكان مستخفياً من الحجاج، فكتب إليه الحجاج في حمله، فكتب إليه أنه قد مات، فكتب إليه لارحمه الله ابعث إلى بشَعره. فاراد أبو جلدة أن يشخص إليه، فقال له: أتكذبني ويلك أقم ولا تظهر، وبعث إلى الحجاج بشعره.

ثم عتب أبو جلدة على مِسمع، فقال:

[من الطويل]

إذا كانَ خيرٌ قلت ليسَت عشيرتي ... تميلُ علينـا جائِـراً في قضـائِكـا
وإن كانت الأخرى فبكرُ بنُ وائلٍ ... يخافُ عليهـا ردَّهـا من ورائِكـا
قضيّةُ سوءٍ ماقضيتَ ابنَ مالـكٍ ... أمـا أن ستُجزى فاعلَمنَّ بذلكـا

فأعطاه عشرة آلاف درهم، فقال:

[من الرجز]

يامِسمـعَ بنَ مالـكِ بن مسمـع ... أنتَ الجـوادُ والخـطيبُ المُصقَـع
فاصنع كما كانَ أبوكَ يَصنعُ

فقـال: لعنه الله أمرني أن أفعل بأمّي ماكان يفعل أبي، ويقال إن الفرزدق قال ذلك.

بعض من قتله أو عفا عنه الحجاج:

١٥١ ـ وقال المدائني: أتى الحجاج بطفيل بن حكيم بمسكن، فقال له: ألم

---

(١) هكذا جاء في أصل المخطوطين ويجب أن يكون بن مالك كما ذكره بعد ذلك عبد الملك، وكما يظهر في شعر أبي جلدة بعد هذا.

أجعلك عريفاً؟ ألم أفعل؟ ألم أفعل؟ قال: بلى، قال: فما أخرجك عليّ؟ قال: ياأبا محمـد إن رأيت أن تأذن لي فألحق بأهلي؟ قال: نعم الحق بهم، فلما ولّى قال الحجاج: ماكنتُ أرى أن به البائس من الضعف كل هذا.

قال المـدائني: قدم إلى الحجـاج قيس بن مسعـود بن عطارد، فقـال [له الحجـاج] ماكنت أظنك إلاّ عند أبي حفص، يعني عمر بن محمد بن أبي عقيل، وكان بالبلقاء، فقال يزيد بن أبي كبشة: ﴿ أكفاركم خير من أولئكم ﴾ قال الحجاج: كأنك ترى أن ماقلت له ينجيه، وأمر به فقتل، وكانت ابنته عند عمر بن محمد بن أبي عقيل فلذلك قال له ماقال.

وقال المدائني: قُتل مع ابن الأشعث عبد الله بن رزام، والحريش بن هلال، وعمـرو بن عتبة بن أبي سفيان ويزيد بن كعب العدوي الشاعر، ونويرة الحميري وكان له هوى من أهل العراق فأعانهم لمكانهم فقتل، وطُفيل بن عامر بن واثلة، وغُرّق ابن أبي ليلى بدجُيل الأهواز، ويقال قتل يوم الجماجم، وقُتل مُرّة بن شراحيل الهمداني الذي يقال له مرّة الطيب.

وقـال له الحجاج: أما في الفتنة فأنت صحيح تحضّ وتأمر، وأما في الجماعة فأنت مريض سقيم، ثم تسعى على أمير المؤمنين عثمان.

قال وقتـل بالكـوفـة رجالاً من أهل الشام رأوا رأي ابن الأشعث فأعانوه، ويقال تعصّبوا له باليمانيّة، وغَرِّقَ عبد الله بن شدّاد بن الهاد الليثي يوم مسكن في دُجيل الأهواز، ويقال قتل يوم دير الجماجم وأتى الحجاج بعمران بن عصام العَنَزي الشاعر أحد بني هُمَيم[1]، فقال: ياعمران ألم أوفدك إلى أمير المؤمنين فوصلك ثم

---

(١) بنو هميم: بطن من عنزة بن أسد بن ربيعة، وهو هميم بن عبد بن ربيعة بن تيم بن يقدُم بن عنزة.

قدمت فوصلتك؟ قال: بلى، ولكن باذام مولى ابن الأشعث أخرجني، قال: أما كان في حجلة امرأتك مقْعدين؟ قال: قد فعلت فأخرجني باذام بالسيف، فهمّ بالعفو عنه فنظر إلى رأسه فوجده محلوقاً[1] فقتله، ويقال إن الحجاج أتى بعمران بن عصام، فقال: أقررت بالكفر؟ فقال: ماكفرتُ مذ آمنت فقتله.

قال وأخذ ماهان الحنفي بمكة فحمل إلى الحجاج فشدّ عليه قصباً قد شُقّق، ثم أمر به فجُذب فقطّع جلده فكان يقول: أُخذت في حرم الله وأنا بعين الله ونعم القادر الله، فألقي وقد ذهب ماعلى عظامه من اللحم فرقّ له أصحابه وبكوا، فقال: لاتجزعوا فإن كانت النار فما أيسر هذا فيما يراد بي، وإن كانت الجنّة فهذا محتمل.

مقتل فيروز حصين أبي عثمان.

١٥٢ ـ قال وقتل الحجاج فيروز حصين[2] في العذاب وكان مع ابن الأشعث، وكان الحجاج جعل في رأسه عشرة آلاف درهم، وجعل هو في رأس الحجاج مئة ألف، فلما قُدم به في الأسرى من خراسان، قال: احبسوا [أبا] عثمان واستأداه، فقال: إن أمنتني على دمي لم يكثره شيئاً، فلم يؤمّنه وعذّبه، فقال: أخرجوني فإن لي عند الناس ودائع، فأخرج وكثر الناس، فقال: أيها الناس، أنا فيروز حصين فليبلغ الحاضرُ الغائبَ، إن من كان لي عنده مال فهو له، فقال

---

(١) محلوق: كانت الخوارج تحلق رؤوسها وبعضهم يجعل في وسط رأسه قسماً بشكل مستطيل صغير محلوقاً بالموس.

(٢) فيروز حصين: كان فيروز رجلاً جيّد البيت في المعجم مشهور الآباء فلما أسلم وإلى حصيناً وهو حُصين بن عبد الله العنبري وكان فيروز كثير المال موصوفاً بالوفاء، وعندما جعل في رأس الحجاج مئة ألف قال الحجاج: والله جعلني كثير التلفت خيفة القتل. ـ الكامل للمبرد: ج: ٣ ص: ١٢٨٦ ـ

لصاحب العذاب اقتله، فوضع الدهق على صدره حتى قتله، قال، ويقال إن فيروز كتب ماله ولم يسم من هو عنده، وقال: لاأسميهم أو تؤمني على دمي، فلم يؤمنه وقتله.

وقتل الحجاج عمر بن موسى بن عبيد الله بن معمر، وقال له: ألست صاحب ليلة سابواء مع ابن الأشعث وقد خضبت أيرك! فقال: لقد كنت أرغب به عن عقائل نساء قومك فقتله[1].

وقتل الحجاج عتبة بن عبيد الله بن عبد الرحمن بن سَمُرة حين حُمل إليه.

وقال ابن الكلبي: أتى بعمران بن عصام، فقال له: ألم أقدم العراق وأنت خاملٌ فنوهّت باسمك وزوجتك مولاتك ابنة مقاتل بن مِسمع، ولست لها بكفء، وأوفدتك إلى أمير المؤمنين؟ قال: بلى، قال: فخرجت عليّ تضربني بسيفك مع ابن الحائك، قال: قد فعلتُ، قال: أكفرت بخروجك؟ قال: ماكفرت منذ أسلمت فأمر به فضربت عنقه.

فقال عبد الملك: أقُتل عمران بن عصام بعد قوله:

[من الكامل]

وبُعثتُ من وَلَدِ الأغرّ مُعَتِّبٍ ... صقراً يلوذُ حمامةٌ بالعوسَجِ

مهما طبخت بناءة أنضجته[2] ... وإذا طبختُ بغيرها لم يَنضُجِ

قال وكان ممن خرج مع ابن الأشعث، يوسف بن عبد الله بن عثمان بن أبي العاص الثقفي، فهرب ثم مثل بين يدي الحجاج، فلما رآه قال: ثكلتك أمك، قال: وأبي مع أمّي، قال: أين ألقتك الأرض بعدي؟ قال: ماقمتُ مقاماً أوسع

---

(١) في أصل مخطوط استنبول ص: ٥٣ ساقط بين موسى حتى عبيد الله بن عبد الرحمن.

(٢) الناءة: اللحم النيّء.

من مقامي، إن الله استعملك علينا فأبينا فأبى علينا، فأمّنه.

وقتل الحجاجُ آدمَ بن عبد الرحمن أخا صالح بن عبد الرحمن، ويقال بل قتله لأنه كان يرى رأي الخوارج.

المدائني عن سعيد بن عبد الرحمن عن مالك بن دينار، قال: حبس الحكمُ بن أيوب الثقفي عليَّ بن زيد بن عبد الله بن أبي مُليكة بن عبد الله بن جُدعان التيمي، والحسن يومئذ مستخف ونحن معه مستخفون، فأتاه الحسن ليلاً وأتيناه، فأجلسه معه على السرير، فما كنا عنده ليلتنا إلا مثل الفراريج، فذكر يوسف وإخوته، فقال:

باعوا أخاهم وحزنوا أباهم، ومكانه من الله مكانه، ثم لقي يوسف عليه السلام مالقي من الحبس وكيد النساء ثم أداله الله منهم، وأعلا كعبه، فلما أكمل أمره وجمع أهله وأقرّ عينه بأبويه ﴿ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَد ءاثَرَكَ اللَّهُ عَلَينا وَإن كُنَّا لخطئين * قَالَ لَاتَثْرِيبَ عَلَيكم الْيَومَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُم وَهُوَ أرحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[1]، قال الحكم وأنا أقول: لاتثريب عليكم، لو لم أجد إلا ثوبي هذا لسترتكم به، وأطلق علياً.

وقال المدائني: وأخذ الحجاج عبد الله بن شريك بن الأعور، وكان خرج مع ابن الأشعث فقتله، ويقال كان هرب إلى سجستان فبُعث به إلى الحجاج، وأتي بالمساور بن رئاب السليطي[2] فقتله، وقال: ادفعوه إلى أهله فأهل القتيل يلون القتيل، ويقال قتل يوم الزاوية في المعركة.

المدائني: وكان الحجاج إذا قتل رجلاً فتزوّجت امرأته كفّ عنها، وإذا لم

---

(١) سورة يوسف رقم: ١٢ الآيتان رقم: ٩٢ و ٩٣.

(٢) السليطي: نسبة إلى سليط بطن من بني يربوع من تميم. وهو سليط واسمه كعب بن الحارث بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم.

تتزوج حبسها في قصر المسيَّرين فحبس من قدر عليه من نساء أصحاب ابن الأشعث.

وقال المدائني: لما أُتي الحجاج برأس ابن الأشعث سجد وقال: كنت أحبّ أن يؤتى به أسيراً فأقمه فيخطب على خربه خطبة إبليس على أهل النار، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعدَ الحَقِ وَوعَدتُّكُمْ فَأَخلفتُكُمْ، وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيكُم مِن سُلْطنٍ﴾[1] الآية.

ختم الحجاج أهل البصرة:

١٥٢ ـ المدائني عن عبد الله بن فايد وسحيم بن حفص، قالا: عرض الحجاج أهل البصرة بعد هزيمة ابن الأشعث على الإقرار بالكفر، والنفاق فمن أقرّ ختم في يده. ومن أبى قتله، فما أبى ذلك إلا ثلاثة قتلهم، فكان ابن سيرين يلبس رداءً وإزاراً ولم يكن خُتم فيمن خُتم، فيقال له لو لبست قميصاً ليكون أستر ليديك، فمن رآك ظنّ أنك خُتمت، فأبى ذلك.

حدثني عمر بن شبة عن أبي داود عن شعبة عن عمرو بن مرّة، قال: لما كان يوم الجماجم أراد القرّاء أن يؤمّروا عليهم أبا البختري الطائي، فقال: إني مولى فأمّروا رجلاً من العرب.

وروى سفيان بن عيينة عن العلاء بن عبد الكريم، قال: أتى طلحةُ بن مُصرِّف وأنا أضحك، فقال: أما هذا فلم يشهد الجماجم.

حدثنا عمرو الناقد عن أبي أحمد عن عبد الجبّار الهمداني عن عطاء بن السائب، قال: قال لي أبو البختري الطائي يوم الجماجم: أين تَفرّ؟ النارُ أشدّ حرّاً من السيف،

(١) سورة إبراهيم رقم: ١٤ الآية رقم: ٢٢

وقاتل حتى قتل.

أخبرني عمرو عن أبي نعيم عن إسرائيل بن الحكم، قال: سمعتُ ذرّاً بالجماجم يقول: هل هي إلاّ حديدةٌ في يد كافر مفتون، قال: وقال راذان وددتُ أن دماء أهل الجماجم في كسائي هذا وأنا خصمهم عند الله.

حدثني الحسين بن علي، حدثني يحيى بن آدم عن أبي بكر بن عيّاش عن الأعمش، قال: قلت لإبراهيم: مالكَ لاتخرج قد خرج ابن أبي ليلى، وسعيد بن جبير وأبو البختري، وعددتُ عليه، فقال: إني رجل جبان، يقول: عمَّ أقدموا عليه؟

مقتل كميل بن زياد.

١٥٤ ـ قالوا وأُتي الحجاج بكُمَيل بن زياد، أتى به قومه، فقال له: ياعبد[1] النخع كنت ممّن سار إلى أمير المؤمنين عثمان فعفا عنك معاوية، ثم عفا عنك أميرُ المؤمنين عبد الملك، فأقمت في بيتك مقعداً لاتشهد للمسلمين جمعة ولا جماعة، حتى إذا خلع حوّاك كندة خرجت فقعدت على المنبر، ثم قلت: إن شرّ بيتين تحت أديم السماء آل الحكمين[2]، الحكم بن أبي العاص، والحكم بن أبي عقيل، ثم أمر به فضُربت عنقه، وهو شيخ كبير.

قتلى ابن الأشعث في مسكن.

١٥٥ ـ قال الهيثم بن عدي: التقى الحجاج وابن الأشعث بمسكن من أيّوقباذ فقتل عبد الله بن شدّاد بن الهاد في عسكر ابن الأشعث، وقُتل معه بسطام

---

(١) كميل بن زياد ليس بعبد للنخع ولكنها شتيمة وهو من النخع صلبية ونسبه كُميل بن زياد بن نَهيك بن الهيثم بن سعد بن مالك بن الحارث بن صَهبان بن سعد بن مالك بن جسَر الذي هو النخع.

(٢) عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص: والحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل.

ابن مَصقلة بن هُبيرة الشيباني، وعُمير بن ضُبيعة الرؤاسي وبشر بن المنذر بن الجارود، والحكم بن مُخرّبة العبدي، فجعل الحجاج ينظر إلى رأس بسطام بن مصقلة ويقول:

[من البسيط]

إذا مررتَ بوادي حيّةٍ ذَكَرٍ فاذهَبْ ودَعْني أُمارسْ حيّةَ الوادي

قال وبكى مِسمع بن مالك بن مسمع، فقال الحجاج: أجزعاً عليهم؟ فقال: لا ولكن جزعاً لهم من النار.

هرب ابن الأشعث من مسكن.

١٥٦ ـ وكان فِيلُ مولى زياد عاملاً لابن الأشعث على الأُبلّة فأعدّ سفينة بحريّة، فلما صار ابن الأشعث إلى الأبلّة حمله في السفينة وركب معه، فمرّ بعبّاد بن الحُصين وهو في ضيعته بعبّادان فناداه ياأبا مالك احملني معك وإني أخاف الحجاج، فقال ابن الأشعث: إيّاك أن تدنو منه فإنما يريد أن يتقرّب بك إلى الحجاج. فلما لم يطمع فيه، نادى: ويلك لايغلبنّك ابن الأشعث؟ تقرّب به إلى الحجاج تأمن على نفسك وولدك. فأتوا جناباً ثم ركبوا الدّواب إلى سابور ثم مضى إلى سجستان.

قال الهيثم: وكان من تبع ابن الأشعث سَوّار بن مرّ وارتدّ.

الحسن بن أبي الحسن البصري ينهى عن اتباع ابن الأشعث:

١٥٧ ـ وقال المدائني، قال ابن عوف رأيت ابن الأشعث يخطب[1] على منبر البصرة متربّعاً، مارأيت متربّعاً قطّ على منبر غيره، فجعل يوعد الذين ينهون عن اتباعه، فقيل إنما يعني الحسن، قال: فأتيت الحسن فما دخل عليه أحد إلّا نهاه عن اتباعه.

---

(١) ابتداء من وولدك حتى ابن الأشعث يخطب ساقط من أصل مخطوط استنبول: ص: ٥٥.

حدثنا عبيد الله بن معاذ عن أبيه، ثنا أبو معدان عن مالك بن دينار، قال: شهدت الحسن بن أبي الحسن ومسلم بن يسار وسعيداً ومسلماً يأمرون بقتال الحجاج مع ابن الأشعث، فقال الحسن: إن الحجاج عقوبة جاءت من السماء، أفتستقبل عقوبة الله بالسيف؟ ولكن استغفروا وادعوا وتضرّعوا.

المدائني قال: قيل لابن الأشعث: إن أردت أن يقاتل معك أهل البصرة جميعاً فأخرج الحسن، فيقال إنه أخرجه كُرهاً.

حدثنا أبو الربيع الزهراني عن حمّـ ن زيد، قال: حدثني أيوب أنه أُخرج كرهاً وكان ينهى عنه.

المدائني قال: حُمل عيّاش بن الأسود بن عوف الزهري إلى الحجاج أسيراً، حمله يزيد بن المهلّب وكان شيخاً، فقال الحجاج: هذا والله الأشمط الغُمن الغُفل، أنا بالعراق مذ كذا لم أرَ له وجهاً قطّ ولم أسمع له بذكر، حتى إذا كانت الفتنة خرج فيها تابعاً لابن الحائك، ثم أمر به فقُتل، قال وقُتل محمد بن الأسود أخوه يوم الزاوية.

قال وحُمل إليه أيضاً ابنٌ لعبيد الله بن عبد الرحمن بن رستم، فإذا غلام حدث،، فقال: أصلح الله الأمير مالي ذنب كنت غلاماً صغيراً مع أبي وأمّي لا أمر لي ولا نهي. قال: وكانت أمّك مع أبيك في هذه الفتنة كلها؟

قال: نعم، قال على أمك لعنة الله.

سبب نقمة الحجاج على يزيد بن المهلب.

١٥٨ - وروى عبد الله بن المبارك، قال: كان مُطرّف بن المغيرة بن شعبة مع ابن الأشعث ثم اعتزله، فأُتي به الحجاج بعد ذلك، فقال: يامُطرّف أكفرت؟ فقال: لم نبلغ ذلك ولو نصرنا الحق وأهله كان خيراً لنا.

حدثنا الحرمازي اخبرني أبو عبيدة معمر بن المثنى أن الهلقام بن نعيم التميمي، قال للحجاج حين أُدخل عليه، وقد حمله إليه يزيد بن المهلب: لعنك الله ياحجاج إن فاتك هذا المَزْوني وقد قدّم قومك وأخرّ قومه، فوقر ذلك في قلب الحجاج وقال: اتخذني ابن المهلب جَزّاراً أجزر مضر، وترك قومه اليمانية، وكان قد أمسك عن حمل اليمانية وحمل غيرهم من خراسان.

قتل نافع كاتب الحجاج.

١٥٩ - المدائني قال: لما قتل عبدُ الملك عبدَ الله بن إسحاق بن الأشعث أصابوا في ثقله جاريةً فقالت: أنا لنافع كاتب الحجاج استودعني قوماً بالبصرة، فلما خرج الحجاج عن البصرة دلّوا ابن الأشعث عليّ فأخذني فصرت إلى عبد الله بن إسحاق.

فبُعث بها إلى الحجاج، فقال الحجاج لنافع: هذه جاريتك وقد وطئها ابن اسحاق المنافق فلا تقربها، فأعتقها ابنُ نافع، وعوّضه الحجاج منها خمسة آلاف درهم، فتبعها نفسه فتزوجها وأحبلها، وغضب الحجاج عليه في سرٍّ أفشاه إلى صالح بن عبد الرّحمن في كتاب أقرأه إياه وفي مئة ألف [درهم ارتشاها](1)، وبلغه أن الجارية حبلى، فأرسل إليه فقطع يديه ورجليه، وسأله عن كتب كانت عنده، فقال: أين تلك الكتب؟ فقال: في حِرِ أمّك، فقطع لسانه وقال: قطعت لسانك

(1) ابتداء من كلمة درهم وحتى كلمة ارتشاها ساقط من أصل مخطوط استنبول، ص: ٥٦.

لإفشائكم سِرّي وقطعت يديك ورجليك للرشوة، وزعمت أنك تزوجت هذه الجارية، ولم تقم على تزوّجك فأنا أرجمك فرجمه، وقيل مات قبل أن يُرجم، وكان أيضاً تزوج أم ولد للحجاج بغير علمه.

وكان نافع مولى لمصعب فانضمّ إلى الحجاج حين ولي العراق فاستكتبه.

خبر مطرف بن المغيرة بن شعبة الثقفي وخروجه على الحجاج

١٦٠ ـ حدثني علي بن المغيرة الأثرم عن أبي عبيدة، قال: سمع مطرّفٌ الحجاجَ يقول: أرسول أحدكم أكرم عليه أم خليفته؟ فوجم وقال: كافر والله، والله إن قتله لحلالٌ.

وحدثني العمري عن الهيثم بن عدي عن ابن عياش الهمداني، قال: قدم الحجاج الكوفة فاستعان بولد المغيرة، فولّى عروة الكوفة وأمّه أمةٌ كانت لمصقلة بن هُبيرة. فلم يزل على الكوفة حتى رجع إليها الحجاج بعد رستقاباذ، وولّى حمزة بن المغيرة المدائن، وأرسل إلى مُطرِّف بن المغيرة، وكان يتألّه فقال له يوماً: إن عبد الملك خليفة الله وهو أكرم على الله من رسله، فوقرت في نفس مطرّف، وكان يعتقد إنكار المنكر ولا يبلغ قول الخوارج، فمرّ شبيب بن يزيد الخارجي بالمدائن ومطرّف بها فناظره فخالفه في رأيه ووافقه على الخروج.

وقال هشام بن الكلبي عن أبي مخنف وغيره: كان بنو المغيرة صلحاء بتلاء[1] واستعمل الحجاج عروة بن المغيرة على الكوفة، فكتب إلى عبد الملك كتاباً ذمّ فيه الحجاج ونسبه إلى العجلة والتسرّع إلى القتل، فبعث عبد الملك بكتابه إلى الحجاج، فضربه بالسياط حتى مات وذلك بالكوفة.

---

(١) بتلاء: من التبتل وهو الانقطاع إلى عبادة الله ـ اللسان ـ

وقال أبو عبيدة: كتب عبد الملك إلى عروة وإلى محمد بن عُمير بن عطارد يسألهما عن سيرة الحجاج، فأمّا محمد بن عُمير فأتى الحجاج بكتابه وأقرأه إياه، وكتب جوابه برضى الحجاج وإرادته، وأما عروة فكتب ينسب الحجاج إلى التجبّر والعجلة في الأمور والتسرّع إلى العقاب والإقدام على الدماء فضربه حتى قتله بالتجنّي عليه.

وقال هشام بن الكلبي: استعمل الحجاج حمزة بن المغيرة على همذان، واستعمل مُطرّفاً على المدائن ونواحيها، وخرج شبيب بن يزيد الخارجي على الحجاج، فجاء حتى نزل مدينة بهرسير، فقال بشر بن الأجدع الهَمْداني لمطرّفٍ:

[من البسيط]

إني أعيذُك بالرّحمنِ من نَفَرٍ	حُمرِ السّبالِ كأُسْد الغابَةِ السُّودِ
فرسانُ شيبانَ لم يُسمع بمثلِهمِ	أبناءُ كُلِّ كريمِ النّجر[1] صِنديدِ
شدّوا إلى ابنِ حُصين[2] في كتيبتِهِ	وغادرُوه صَريعاً ليلةَ العيدِ
وابنُ المجالِدِ إذْ أودت رماحُهمُ	كأنّما زَلَّ عن خلفاء تنجود[3]

سعيد بن المجالد بن عمير بن ذي مرّار الهمداني، يعني أصحاب شبيب الخارجي، فقطع مطرّف الجسر بينه وبين شبيب، وبعث إلى شبيب أن ابعث إليّ رجالاً من صلحاء أصحابك لأناظرهم فيما تدعو إليه.

فبعث إليه قعنباً وسُويد بن سليمان في آخرين، واحتبس شبيب رسل مطرّف

---

(١) النَّجر والنِّجار والنُّجار: الأصل والحسب ـ اللسان ـ

(٢) في هامش المخطوط: هو عثمان بن قَطن بن عبد الله بن الحصين.

(٣) في الطبري: ج: ٦ ص: ٢٨٥: وابن المجالد أردتهُ رماحهُمُ كأنها زلَّ عن خوصاء صيخود.

ليكونوا رهناً عنده بأصحابه. فلما دخلوا على مطرّف، قال سُويد: السلام على من خاف مقام ربّه وعرف الهدى وأهله. قال مطرّف: أجل مسلّم الله على أولئك، فقصّوا علينا أمركم وخبّرونا إلى ماتدعون، فحمد الله سُويد وأثنى عليه، ثم قال: الذي ندعو إليه كتاب الله وسنّة نبيّه، وقد نقمنا على قومنا الاستئثار بالفيء وتعطيل الحدود والتّسلّط بالجبرية، فقال مطرّف: مادعوتم إلا إلى حقٍّ ولا أنكرتم إلا منكراً ولا نقمتم إلا جَوْراً ظاهراً، وأنا على مثل هذا متابع، فأجيبوني إلى ماأدعوكم إليه يجتمع أمري وأمركم، وتكن يدي وأيديكم واحدة. قالوا: هات اذكر ماتريد أن تذكر.

قال مطرّف: أدعوكم إلى أن نقاتل هؤلاء الظلمة العاصين، على ماأحدثوا وندعوهم إلى الكتاب والسنّة وأن يكون هذا الأمر شورى بين المسلمين، يولّون من ارتقوه، على مثل الحال التي تركهم عليها عمر بن الخطاب، فإن العرب إذا علمتْ أنه إنما يراد الرضى من قريش رضوا وقنعوا فإنّما الأئمة من قريش.

فقالوا: هذا مالانجيبك إليه يابن المغيرة، [قال سويد بن سليم][1] : لو كان القوم يريدون غدراً كنت قد أمكنتهم من نفسك ففزع لها، وقال: صدقت وإله موسى.

ومضى القوم فأخبروا شبيباً بقول مطرّف فطمع فيه، وبعث إليه من الغد سويداً، فانطلق ومعه رجل آخر، فقاله مطرّف:

من هذا الذي ليس لك دونه سرّ؟ قال: هذا الشريف الحسيب، هذا ابن مالك بن زهير بن جذيمة العبسي، قال مطرف: بخٍ بخٍ استكرمت فاربط إن كان دينه على قدر حسبه فهو الكامل.

---

(١) الاستدراك من الطبري ج: ٦ ص: ٢٨٧

ثم أقبل سويد على مطرّف، فقال له: قد ألقينا إلى أمير المؤمنين ماقلت: وهو يقول لك: إنا لا نرى قريشاً أحقّ بهذا الأمر منا، فكما اختارت قريش أفضلها بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فكذلك لنا أن نختار أفضلنا، وانصرف الرجلان.

ثم إن مطرّفاً دعا رجالاً من ثقاته ونصحائه فيهم الربيع بن يزيد الأسدي فقال لهم:

إنكم نصحائي وأهل لمودّتي ومن أثق بصلاحه وحُسن رأيه، ولم أزل لأعمال هؤلاء الظلّمة كارهاً أنكرها بقلبي، فلما عظُمت خطيئتهم ورأيتُ هؤلاء يجاهدونهم، لم أرهم أولى بمجاهدتهم مني، ولم يسعني إلا مخالفتهم ومحاربتهم إن وجدتُ أعواناً عليهم، ولو كان هؤلاء الخوارج أجابوني إلى الشورى ولم يركبوا أهوائهم لقاتلت معهم، وخلعت عبد الملك بن مروان والحجاج.

فقال له يزيد بن أبي زياد مولاه: إني لا آمن أن يؤدّي ماكان منك إلى الحجاج، ويزاد على كل كلمة مما تتكلم بها عشر أمثالها، وأرى لك أن تطلب داراً غير المدائن، فإن أصحاب شبيب سيتحدّثون بها دار بينك وبينهم حتى يفشو خبرك وخبرهم ونحن مجيبون لك إلى دعوتك. فقال: إني أشهدكم أني قد خلعت عبد الملك بن مروان والحجاج بن يوسف، فمن أحبَّ صحبتي فليصحبني ومن أباها فليذهب حيث شاء، فإني لا أحبُّ أن يتبعني من لا نيّة له في جهاد أهل الجَوْر، وإني أدعوكم إلى قتالهم فإذا جمع الله لنا أمرنا كان هذا الأمر شورى بين المسلمين يرتضون من قريش من أحبّوا.

فوثب إليه أصحابه فبايعوه، وأتاه قوم من أهل المدائن فبايعوه أيضاً، وارتحل حتى أتى الدسكرة، ثم خرج منها متوجهاً نحو حلوان، وقد صارت معه جماعة

يرون رأيه. وبلغ الحجاج بن حارثة خروج مطرّف فاتبعه وصار معه في ثلاثين، ودخل مطرّفٌ حلوان، فقاتله عامل حلوان قتالاً خفيفاً عَذّر فيه، ثم بعث إليه العامل أن اخرج من حلوان فإني أكره أن ينالك وأصحابك مني مكروه. فمضى وعرض له الأكراد فأوقع بهم، فلما دنا من همذان كره أن يدخلها فيتّهم أخوه حمزة عند الحجاج، فبعث إليه يسأله إعانته بمال وسلاح، وكان رسوله يزيد بن أبي زياد فصرفه إليه بما سأله.

حبس حمزة بن المغيرة حتى مات.

١٦١ ـ وبلغ الحجاج ذلك فعزل حمزة وكتب إلى قيس بن سعد العجلي، وهو على شرطة حمزة بن المغيرة بولايته همذان، وأمره أن يحبس حمزة، فحبسه فيقال إنه مات في الحبس.

وسار مطرّف حتى نزل بقرب أصبهان ثم صار إلى ناحية قُمّ وقاشان، وعلى أصبهان البراء بن قبيصة بن أبي عقيل الثقفي، وهو الذي يقول فيه الشاعر:

[من الطويل]

حَوَى المُلْكَ حجاجٌ عليكَ كما حَوى	عليكَ النّدى والمكرُومـاتِ بَراءُ

فبعث الحجاج نحواً من ألف رجل من موالي الإمارة عليه عبيدٌ مولاه إلى البراء وأمره أن ينهض إلى مطرّف فأنهضهم وعدّة معهم ممن قبله إليه، فقاتلوه فهزمهم حتى لحقوا بالبراء وهو بجيّ.

مقتل مطرف بن المغيرة.

١٦٢ ـ وكان مطرّف قد كتب كتبه وبثّ دُعاته في النواحي، فأجابه خلق من الناس، فكتب البراء إلى الحجاج: إن كانت لك في أصبهان وغيرها حاجة، فابعث

إلى مطرّف جيشاً كثيفاً يستأصله، فإنه لاتزال العصابة بعد العصابة تأتيه وقد كثرت تابعته واستفحل أمره واشتدت شوكته.

فكتب إليه الحجاج: إذا أتاك كتابي فاخرج بمن معك ومن بعثت به إليك من الموالي فعسكر حتى يصير إليك عديّ بن وتّاد الإيادي[1] من الرّي، فقد كتبت إليه أن يُنهض إليك ثلاثة أرباع أهل الرّي، فإذا صار إلى ماقبلك كان أمير الجيش كلّه فسمعت له وأطعت.

فوافاه عديّ فيمن نهض معه واجتمعا على قتال مطرّف، والأمير عدي بن وتّادٍ ومعه عمر بن هبيرة الفزاري[2] على إحدى مُجنّبتيه وهو في حدّ دستبى. فلما تدانوا وعظهم مطرّف ودعاهم إلى مجاهدة الظلمة، ثم أمر بعض أصحابه، فنادى: ياأهل قبلتنا أسألكم بالله الذي لا إله غيره لما أنصفتمونا وصدّقتمونا، فإن الله شهيد على نياتكم، أخبرونا عن عبد الملك بن مروان والحجاج بن يوسف، ألا تعلمونهما جبّارين يتبعان الهوى ويزيغان عن الحق ويأخذان بالظنّة ويقتلان على الغضب، فقالوا من كل جانب: كذبت ياعدو الله، فقال له مطرّف: قل لهم: ﴿وَيْلَكُم لاتَفتَرُوا عَلى اللّهِ كَذِباً فيُسحِتَكُم بِعَذاب وقَد خَابَ مَن ٱفْتَرَى﴾[3] قد استشهدتكم فكتمتم الشهادة، وقال الله عزّ وجل ﴿ولاَ تكتمُوا الشَهدَةَ ومَن يَكتُمها فإنَّهُ ءَاثِمٌ قَلبُهُ﴾[4] وكان الرجل بُكير بن هارون البجلي، فخرج إليه صارمٌ مولى عدي بن وتّاد، فقتله بُكير، وجعل يقول:

---

(١) إيادي: نسبة إلى إياد بن نزار بن معدّ.

(٢) الفزاري: نسبة إلى فزارة بطن من ذبيان وهو فزارة واسمه عمرو بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غَطَفان.

(٣) سورة طه رقم: ٢٠ / ٦١

(٤) سورة البقرة رقم: ٢ الآية رقم: ٢٨٣.

[من الرجز]

صارمُ قد لاقيتَ سيفي صارماً غيرَ كَهامٍ[1] يَجتلي الجماجما

ثم لقي القوم فاقتتلوا قتالاً شديداً فانكشفت ميسرة مطرّف حتى انتهت إليه فجعل يقول: ﴿يأَهلَ الكِتبِ تعالوا إلى كَلمةٍ سَواَءٍ بَينَنا وبَينكُم ألَّا نَعبُدَ إلّا اللَّهَ ولاَ نُشركَ بِهِ شيئاً ولاَ يتَّخذَ بعضاً أَرباباً مِن دُون اللَّهِ فإن تَولَّوا فقُولُوا آشهدُوا بأنَّا مُسلمونَ﴾[2] وقاتل أشدّ قتال حتى قُتل، واحتزّ رأسه عمر بن هبيرة الفزاري، وذكروا أنه هو قتله. وقيل إن الذي قتله غير ابن هبيرة وأن ابن هبيرة احتزّ رأسه، فأوفده به عدي بن وتّادٍ إلى الحجاج وبذلك حظي وذُكر، وقُتل يزيد بن أبي زياد مولى المغيرة، وكان صاحب راية مطرّف، ثم انصرف عديّ وأصحابه إلى الرّي، وطلبت بجيلة الأمان لبُكير بن هارون فأمّنه عديّ، وكان رجال من أصحاب مطرّف لما أحيط بهم في عسكره، نادوا: يابراء خذ لنا الأمان، يابراء اشفع لنا فشفع لهم فتركوا، وأسر عديّ خلقاً فخلّى سبيلهم وبسط للناس الأمان فسلموا.

وأتى الحجاج بن حارثة الرّي فطُلب إلى عدي بن وتّاد فيه وهو مستخفٍ، فقال: هذا رجل مشهور مع صاحبه، وهذا كتاب الحجاج فيه أن أحمله إليه إن كان حيّاً، ولا بُدّ من السمع والطاعة له، ولولا كتابه لم أعرض له ولم أطلبه ولآمنته. فلم يظهر الحجاج ولم يزل خائفاً حتى عُزل عدي بن وتّادٍ عن الرّي، وقدم خالد بن عتّاب بن ورقاء الرياحي[3] والياً على الرّي، فكُلّم فيه فأمّنه وظهر.

---

(١) كهام: كليل، ضعيف، وهو وهو مكسور الوزن،

(٢) سورة آل عمران رقم: ٣ الآية رقم: ٦٤.

(٣) الرياحي نسبة إلى رياح. وهو بطن من بني يربوع من تميم وهو خالد بن عتاب بن ورقاء ابن حبيري بن الحارث بن عمرو بن همام بن رياح بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم.

وقال بعضهم كان مطرّف يرى رأي الخوارج، وذلك باطلٌ، إنما كان رأيه كرأي من خرج مع ابن الأشعث من القرّاء قال الشاعر:

[من الطويل]

فيا فرحةً ماتُفرحَنَّ عدوَّنا | إذا لم يكن في دَستبيٍّ مُطرّفُ
فنعم الفتى تعشُو إلى ضَوء ناره | ونعمَ الفتى عند القنا المُتقصِّفُ

قتل عروة بن المغيرة بن شعبة.

١٦٣ ـ وقال بعضهم: وجّه الحجاج إلى مطرّف أولا علقمة بن عبد الرحمن، ويقال خريم بن عمرو المرّي[1]، وكان عمر بن هبيرة في جنده، ثم كتب إلى ابن وتاد أن يلقاه وولّاه الجيش الذي بعثه، وقال قوم: ولي حرب مطرّف خُريم وهو أوفد ابن هبيرة إلى الحجاج، وأمر ابن وتّادٍ أثبت.

حدثني عبد الله بن صالح المقري العجلي، قال: كتب عبد الملك إلى أبي يعقوب عروة بن المغيرة، وإلى محمد بن عُمير بن عطارد: إنكما من سراة أهل العراق، فاكتبا إليّ بسيرة الحجاج وأمره واصدقاني عنه. فأما محمد بن عمير فأتى الحجاج بالكتاب، وقال: ائمرني بأمرك، فكتب إليه بما أملاه عليه.

وأما عروة فكتب: إن في الحجاج عجلة وإن في لسانه ذَرَباً[2]، وبعث عبد الملك بالكتاب إلى الحجاج، فدعا بعروة فضربه بالسياط حتى مات، وذلك بالكوفة.

وقال المدائني: كتب عروة أن فيه غرباً وتسرعاً وإقداماً على الدماء، فضربه الحجاج حتى قتله.

---

(١) المري: نسبة إلى بني مرّة بطن من ذبيان. وهو مرّة بن عوف بن سعد بن ذبيان.

(٢) الذرب: حدّة اللسان مع فحش ـ اللسان ـ

وحدثني عباس بن هشام عن أبيه عن عوانة، قال: كانت الفارعة بنت همّام بن عروة ابن مسعود بن معتّب أم الحجاج بن يوسف عند المغيرة بن شعبة، فولدت له ابنةً فماتت فخاصم الحجاج في ميراثها عروة بن المغيرة إلى ابن زياد فأغلظ له عروة بن المغيرة، وقال: مالأختك عندنا ميراث، فكان يحقد ذلك على عروة، فلما كتب فيه إلى عبد الملك بما كتب به، قدم رسول عبد الملك إلى الحجاج بكتابه وعروة عنده، فقال له: ماهذا الكتاب، فلم يجبه فضربه الحجاج وهو شيخ فمات تحت السياط، وقال قوم أخرج من الكوفة فمات بظهر الكوفة من ذلك الضرب.

طعن في نسب مطرف.

١٦٢ ـ حدثني عمر بن بكير عن الهيثم بن عدي، قال: ابتاع المغيرة[١] من مصقلة ابن هبيرة جاريةً، وكان بها حبل فولدت له مطرّف بن المغيرة، فتنازعا فيه واختصما إلى معاوية، فقضى بالولد للمغيرة، وقذف مصقلة المغيرة فقال له يازان، فيقال إن معاوية أراد أن يحدّ مصقلة، وقال قوم إنه حدّه وولّاه بعد ذلك طبرستان.

وقال ابن الكلبي: قدم مصقلة يريد طبرستان فرأى قبر المغيرة، فقال:

[من الخفيف]

إنَّ تحتَ الأحجـارِ حَزماً وعَـزمـا	وخَـصـيماً ألـدَّ ذا مصـداقِ
حيَّةٌ في الـوِجـارِ أربـدُ لاينفـعُ	منـه الـنُّفـوسَ رُقـيُ الـرّاقـي

وقال أبو عبيدة: هلك مصقلة بطبرستان فقدُم بثقله إلى الكوفة وفيه جارية له حامل وكانت وضيئة فأخذها المغيرة بمالٍ كان له عليه، فولدت له مطرّفاً. فكان الحجاج يقول: لو كان مطرّف من ولد المغيرة ماخرج على السلطان، ولكان ذا سمع وطاعة واستقامة وسلامة، كما سمع حمزة أخوه وأطاع، ولكنّه ابن مصقلة كما

---

(١) ابتداء من مصقلة وحتى قذف مصقلة أي بين المصقلتين ساقط في مخطوط استنبول في الصفحة: ٦٠

قيل، وهذا الدين معروف لبني شيبان وليس فينا منه شيء بحمد الله ونعمته، وكان يقول أيضاً: مالثقيف وهذا الرأي، إنما هذا الرأي لبني شيبان[1].

أمر الخوارج في أيام عبد الملك بن مروان

أمر قطري بن الفجاءة.

١٦٥ ـ قالوا ولما قُتل الزبير بن علي[2] [السليطي] بأصبهان أراد الخوارج أن يولّوا أمرهم عبيدة بن هلال، فقال عبيدة: أنا أدلّكم على من هو خير مني قطري ابن الفُجاءة[3] فبايعوه، وكان قطري يكنى أبا نعامة.

فلما بلغ الأحنف خبره ومسيره من أصبهان قال: إيهٍ أبا نعامة إن ركب بناتِ سجاح[4] وقاد بنات صهال وأمسى بأرض وأصبح بأخرى وجبى المال وأعطى الرجال أمره. فبلغ ذلك قطرياً فنادى في عسكره: ألا لايصحبنا إلا رجل معه بغل، فكان ذلك مما يُنكر على الأحنف.

واسم الفُجاءة فيما ذكر الكلبي عن شرقي بن القطامي: جعُونة وقال غيره اسمه مازن بن زياد بن يزيد بن حنثر بن حارثة بن صُعيّر بن خزاعي بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم.

---

(١) مصقلة بن هبيرة شيباني، وهو مصقلة بن هبيرة بن شبل بن يثربي بن امرىء القيس بن ربيعة بن مالك بن ثعلبة ابن شيبان بن ثعلبة، والضحاك بن قيس الخارجي من شيبان وشبيب بن يزيد الخارجي من شيبان ولذلك قال الحجاج: هذا الرأي لشيبان.

(٢) الزبير بن علي بن يزيد بن مساحق بن زُبيد بن ضبابّ بن كعب الذي هو سليط بن الحارث بن يربوع.

(٣) قطري بن جعونة (الفجاءة) بن مازن بن يزيد بن حبتر بن كابية بن حرقوص بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم: الجمهرة: ج: ٣ المشجرة: ٨٢.

(٤) بنات سجاح: البغال وبنات صهّال: الخيل.

وقال ابن الكلبي: غاب مازن بن يزيد باليمن دهراً ثم أتاهم فجاءة فسمّي الفجاءة. وكان اعتقاد قطري وبيعته في سنة إحدى وسبعين.

وأتى قطريّ فارس وعليها عمر بن عبيد الله بن معمر فاقتتلا، ثم صار قطريّ والخوارج إلى رامهرمز وكان المهلب بن أبي صُفرة بالبصرة، وقد أراد المصعب ابن الزبير المصير إلى جُميراء للقاء عبد الملك، فسأله المهلب أن يكون معه أو بقربه فأبى، وقال: إن أهل مصرك محتاجون لمن يدفع عنهم هذا العدو المطلّ عليهم، فأنا أوثرهم بك لأني خائف أن تسبيهم الحروريّة، فسار المهلب لقتال الخوارج.

فلما بلغ ذلك قطرياً صار إلى كرمان، فقال بعض أصحاب قطريّ:

[من الطويل]

هَرَبنا نريدُ الخفضَ من غيرِ عِلَّةٍ ... وللحرب نابٌ لايُفَلّ ومخلبُ
فقولا لأصحاب القرآن نصيحة ... دعُوا الظنَّ إن الظنَّ بالناس يكذبُ
عسى أن يقولوا أنَّ فينا منافقاً ... يُصيبُ أمير المؤمنين ويقصبُ
فلا والّذي أرسى تَبيراً مكانه ... ورضوى بأكنافِ الحجاز وكبكبُ
لقد قلتُ هذا غيرَ طالبِ عيبهِ ... وفي عيبهِ لوعبتُ جدعٌ مُوعِبُ

فلما بلغ قطرياً الشعر رجع إلى رامهرمز، فسار إليه المهلب فقاتله ثلاثة أشهر أو أكثر، وقُتل مصعب بن الزبير، فبلغ خبرُ قتله قطرياً قبل أن يبلغ المهلب، فناداهم الخوارج: ماتقولون في مصعب؟ قالوا: إمام هدىً، قالوا: فما تقولون في عبد الملك؟ قالوا: ضالٌ مضلّ، فمكثوا يومين أو ثلاثة ثم أتى المهلب قتل مصعب واجماع الناس على عبد الملك، وورد على المهلب كتاب عبد الملك بتوليته قتال الخوارج فضجّوا في عسكره، وأقبل الخوارج فوقفوا على الخندق، فقالوا: ماتقولون في مصعب وابن الزبير؟ قالوا: لانخبركم، قالوا فعبد الملك قالوا: إمام هدىً، قالوا: ياأعداء الله بالأمس عندكم كان ضالاً وهو اليوم إمام هدىً، لعنكم الله

يافسّـاق ياعبيد الدنيا، وهذا أثبت الأخبار، ولم يأت قطري فارس لمكان عمر بن عبيد الله، فقتل مصعب وقطري برامهرمز.

ولاية خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد

١٦٦ ـ قالوا قدم خالد البصرة والياً من قبل عبد الملك بن مروان، وجهه من الكـوفة، وقال له: أكرم جُفْرتيك، يعني من نصره يوم الجُفرة، فعزل المهلب عن قتـال الأزارقة قطريّ وأصحابه وولاّه الأهواز وكور دجلة وولّى فارس ابنيه، فجعل أحـدهمـا في بعض كورهـا والآخـر على باقيها، وبعث أخاه عبد العزيز على قتال قطريّ وأصحـابـه، فسـار إلى قطري ومعـه فرسان أهل البصرة، ومعه مقاتل بن مِسمع، وكان معه ابن قيس الرّقيات.

وقال أبو الحسن المدائني: لما قدم خالد وذكر عزل المهلب عن قتال الأزارقة، قال له ابن النعمان ابن صُهبان الراسبي: إن أهل المصر قد كانوا أمنوا العدو، والمهلب بالأهواز وابن معمر بفارس، وقد عزلت ابن معمر عن فارس فإن عزلت المهلب لم نأمن العدو، فقال خالد: ذهب المهلب بحظ هذا المصر، فأعزله وأوجّه عبد العزيز إلى هذه المارقة، فقال له أميّة أخوه: لاتعزل المهلب فإن ظفره لك وهزيمته عليه، فأبى إلاّ عزله، وكتب إلى المهلب فقدم عليه.

وتجهّز خالد وشخص إلى الأهواز، وأقبل قطريّ والخوارج إلى الأهواز، فخرج إليهم خالد ومعه المهلب فالتقوا بكريج دينار، فقاتلوا خالداً ومنعوه من حطّ أثقاله، وصبر لهم يومه كلّه، فقُتل الربيع بن زياد اليشكري وهو يومئذ على شرطته وتحاجزوا عنـد المسـاء، فقال له المهلب: إنك لاتدري أتطول حربك أم تقصر، وما هاهنا لايحمل متعلّفك وسرحك، فاقطع دُجيلاً فتصير بين مناذر والسوس وجند يسابور ونهر تيري، ففعـل، وارتحـل قطري فنـزل مدينـة تيري. وكـان الخوارج قد بنوها وخندقوا وعقدوا جسراً جعلوا كرسيه في الخندق، ونزل خالد رستاقاً من مناذر يقال له برِتـا، فقـال المهلب: إن قطرياً قد تحصّن وأنت أولى بهذا منه فخندق، وفرّغ

سفنك وأدخلها الزايدان فإني لا آمن البيات، قال: يابا سعيد الأمر أعجل من ذلك، فقال المهلب لبعض أصحابه: أخرجوا ماكان لكم من متاع في هذه السفن فإني أرى أمراً ضائعاً، وقال لزياد بن عمرو خندق فخندق، ودعا المهلب فيروز حُصينٍ إلى التحوّل إليه، فقال يابا سعيد الرأي رأيك، ولكني أكره مفارقة أصحابي، قال: فكن يابا عثمان قريباً منا إذ أبيت مفارقة أصحابك، فقال: أما هذا فنعم.

وكان زياد يومئذ على شرطة خالد بن عبد الله، وقاتلهم الخوارج أربعين يوماً لا ينفسونهم.

وكتب عبد الملك إلى بشر بن مروان أن يمدّ خالداً بجيش عليه عبد الرحمن ابن محمد بن الأشعث الكندي، ففعل، وقال بشر لعبد الرحمن: إذا فرغتم من الحرب فسرْ إلى الرّيّ.

فقدم عبد الرحمن على خالد، وقال المهلب لخالد: أصلح الله الأمير إنك قد أبيت أن تخندق وأن تدخل سفنك الزايدان، فحوّل مافي سفنك، فأبى.

وأقبل الخوارج يريدون أن يبيّتوا خالداً، فأخذوا سفناً فيها قصب فألهبوا فيها النيران وحدروها على سفن خالد وأقبلوا هم في خيولهم، وأحرقت النيران سفن خالدٍ وأقبل الخوارج حتى خالطوا عسكر خالدٍ لايلقون أحداً إلا قتلوه ولا دابّة إلا عقروها ولا فسطاطاً إلا هتكوه وألهبوا فيه النار.

فبعث المهلب يزيد ابنه في مئة فارس فخرج من الخندق، وجاء الصلت بن الغضبان الجذعي[1] في مئةٍ، وجاء فيروز حُصَينٍ في مئة من مواليه، وجاء عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث في مئة، فحمل الخوارج عليهم فصرع يزيد بن

(١) الجذعي: نسبة إلى جذع بن عمرو الذي يقال فيه: خذ من جذع ماأعطاك وهو جذع بن عمرو بن مجالد بن الحارث بن عمرو بن عدي بن عمرو بن مازن بن الأزد وأكثر غسان من ولد مازن بن الأزد.

المهلب فقاتلوا عنه حتى ركب، وأبلى عبد الرحمن بن الأشعث فصُرِع وحامى عليه قوم من همدان، وأبلى الصلت ورماهم فيروز بالنّشاب حتى أخرجوهم من العسكر، فانصرفوا على حاميتهم إلى عسكرهم.

ونادى ملّاحو قطري ملّاحي خالد: تعالوا إلى خير الناس وأدناهم فقال أعشى همدان لعبد الرحمن بن الأشعث في قصيدة:

[من السريع]

ويومَ أهوازك لاتنسَهُ ليسَ الثّنا والمدحُ بالبَائِدِ

وأصبح عسكر خالدٍ كأنه حرَّةٌ سوداء من الرماد. فنادى الخوارج خالداً: ذهبت سفنك لولا هذا الساحر المزوني لأهلكك الله وأخزاك.

وقال خالد للمهلب لما رأى مابعسكره من القتلى والجرحى: كدنا نفتضح، فقال: إن لم تخندق عادوا إليك، فقال: اكفني أمر الخندق، فقام له المهلب بالخندق حتى أحكمه، فقاتل قطري خالداً بعد أن خندق ثلاث مرّات ثم ارتحل إلى كرمان، ورجع خالد إلى البصرة وخلف أخاه عبد العزيز على الأهواز عاملاً عليها.

وقال قطري لما بلغه انصراف خالدٍ: إن أتاكم عتّاب بن ورقاء أتاكم شجاع يلقاكم في سرعان الخيل، وإن أتاكم حجازي فهو ماتريدون، وإن أتاكم ابن معمر فليست ثم مناظرة فهي دمعة إمّا له وإما عليه وفيها الموت، وإن جاءكم المهلب فإن ناجزتموه ناجزكم وإن طاولتموه طاولكم، وهو البلاء.

قال أبو الحسن المدائني: وأقام قطري وأصحابه بكرمان خمسة أشهر، ثم أتوا فارس.

وقال مقاتل بن مِسمع لخالدٍ: ولِّ عبد العزيز قتال الأزارقة وانتخب له، ففعل وشخص عبد العزيز في ثلاثين ألفاً، ويقال في خمسة وعشرين ألفاً وعلى

شرطه هرّاسة بن الحكم أحد بني ضُبيعة بن قيس بن ثعلبة، وعلى بكر بن وائل مقاتل بن مسمع، وعلى بني تميم عبس بن طلق، وحمل عبد العزيز معه امرأته ابنة المنذر بن الجارود، واستعمل خالد المهلب على الأهواز فأقام بها في ثلاثمئة.

انتصار الخوارج على عبد العزيز.

١٦٧ ـ وقال عبد العزيز حين سار للقاء الخوارج: زعم البصريون أن هذا الأمر لايقوم به إلا المهلب وسيعلمون، وكان الخوارج بأردشيرخُرّه، فلما قرب عبد العزيز منهم، قيل له إن الخوارج منك قريب فأنزل الناس على غير تعبئة، فما حطوا الأثقال حتى طلع عليهم سعد الطلائع في سبعمئة وهم على غير تعبئة فناوشوهم، ثم ولّى الخوارج منهزمين مكيدةً منهم، وقال سعد: استطردوا لهم واتبعهم عبد العزيز والناس، وقيل له: ارجع واتركهم حتى يحطّ الناس أثقالهم، فقال: لا حتى أخرجهم من هذا الرستاق، فانتهوا إلى عقبة فصعدوا فيها ولهم بها كمينٌ، ثم انحدروا من العقبة واتبعهم عبد العزيز وأصحابه، وخرج الكمين عليهم فحكموا[1]، وعطف قطري والخوارج يقاتلوهم.

فقال عبد العزيز لعبس بن طلق انزل، فنزل وهو أعرج فقتل وصبر الناس، فقُتل مقاتل بن مِسمع وهرّاسة بن الحكم، وسُليم بن سلمة الليثي[1]، وجعفر بن داود بن قحذم أحد بني قيس بن ثعلبة.

وانحاز عبد العزيز والناس واتبعوهم فقتلوهم فرسخين، وأسروا منهم أسرى فشدّوهم وثاقاً وألقوهم في غارٍ وسدّوا عليهم بابه فماتوا فيه، وحوى قطري عسكر عبد العزيز[2] وأخذوا امرأته أم حفص بنت المنذر بن الجارود وأخذوا امرأة سُليم بن

---

(١) فحكموا: أي قالوا لاحكم إلا الله وهو شعارهم ولكي يعلم أصحابهم بخروجهم فيعطفوا عليهم.

(١) الليثي: أي من بني ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة.

(٢) عبد العزيز هذا الذي عناه قطري عندما قال: فإن أتاكم حجازيّ فهو ماتريد وصدق في توقعه.

سلمة وغيرها وساقوا النساء إلى عسكرهم.

ماحدث لنساء عسكر عبد العزيز.

١٦٦ ـ وضربت امرأة منهن الرجل الذي أخذها بسوارها فشجّته فقتلها، وكان يقال لها: ريمة، ونادوا على أمّ حفص فتزايدوا عليها قوم أسلموا من المجوس وصاروا خوارج ففُرض لهم في خمسمئة خمسمئة فسموا البنجكيّة، حتى بلغوا بها سبعين ألفاً، فغمّ ذلك قطري بن الفجاءة، وقال: ماينبغي لرجل من المسلمين المهاجرين أن يكون له سبعون ألف درهم وإن هذه لفتنة، فضربها أبو الحديد العبدي[1] فقتلها فأخذوه.

فقال قطريّ: مهيم ياأبا الحديد؟ قال: ياأمير المؤمنين خشيت الفتنة عليهم في هذه المشركة، قال: أحسنت.

وقال آل الجارود ماندري أنذمّ أبا الحديد أم نشكره، فقال رجل من الخوارج:

[من الوافر]

كفانا فِتنةً عظُمت وجلَّت	بحمدِ اللّهِ سيفُ أبي حَديدِ
تغالى المُسلمون بها وقالوا	على فرطِ الهوى هل من مزيدِ
فَزادَ أبو الحديد بنَصلِ سَيفٍ	رقيقِ الحدِّ فعلَ فتىً رشيدِ

وجاء يومئذٍ العلاء بن مطرّف بن شهاب التميمي من بني عبشمس، ومعه امرأتان له إحداهما عبشمية من بني مُلادس[2] والأخرى ضبّيّة[3]، يقال لها أم جميل وهي مطلقة، وقال:

---

(١) ويقال إنّ أبا الحديد قتلها تعصباً للعرب ولعبد القيس لأنّ الذين زادوا في ثمنها مجوس كانوا أن تصير إليهم فقتلها. وهي أم حفص بنت المنذر بن الجارود بن عمرو بن حنش بن الحارث بن معاوية بن ثعلبة بن جذيمة بن عوف بن بكر بن عوف بن أنمار بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس

(٢) مُلادس ابن عبشمس بن سعد بن زيد مناة بن تميم.

(٣) ضبّيّة نسبة إلى بني ضَبّة بن أدّ بن عامر (طابخة) بن إلياس بن مضر.

[من الطويل]

ألستُ كريماً إذ أقولُ لقينتي(١) قِفوا فاحملوها قبلَ بنتِ عقيلِ

يعني العبشمية المطلقة.

ولو لم يكن عودي نُضاراً لغُودرت بخَسفٍ غداةَ الرَّوعِ أمُّ جميلِ

فقلت أليس الفحلُ فحلكِ إن نجا وآلَ ولمّا يُذعَروا بقتيلِ

وقال أيضاً:

[من الطويل]

وماسنَّ لي من والدٍ تركَ عِرسهِ فكنتُ إذاً غبَّ الحديثِ أقولُ

وحمَّتُها عند الفراقِ بِبكرةٍ حفاظاً وإخوان الحفاظِ قليلُ

العلاء ابن عمّ عمرو القنا الخارجي، وكان قطري مقدّمه أمامه، وكان العلاء يتمنى أن يلقاه عمرو فلقيه فتمثل عمرٌو:

[من الوافر]

تمنّاني ليلقاني لقيطٌ وذاكَ عليه لو يدري بلاءُ

ثم قال له: النجاة يابا الصدي.

وقال الهيثم بن عدي: كان على عبد العزيز سلاح مظاهر فضُرب ثلاثين ضربة فلم تحك فيه وفرّ فقال بعضهم: قبّح الله ابن السوداء فَرَّ وإنّ الدولة له.

قال وقال ابن قيس الرّقيات:

[من الخفيف]

عاهد اللهَ إن عَدتُه المنايا ليعُودنَّ بعدها حُرميّا

مرّةً يسكن الصِّفاحَ ونُعمانَ وسلعاً ومرةً نجديّا

حيث لايشهدُ الصفوفَ ولا يسمعُ يوماً لكرِّخيل دويّا(٢)

---

(١) في أصل المخطوطين: لقينتي. والقينة: المغنية.

(٢) في أصل المخطوطين لركز والصحيح من الكامل للمبرد. ج: ٢ ص: ٢٦٠ ولم يذكروا في الديوان.

ماجرى بعد الهزيمة.

١٦٩ ـ حدثني خلف بن سالم عن وهب بن جرير عن أبيه عن عمه صَعب بن زيد، قال: لما توجّه [عبد العزيز[1] بن عبد الله بن خالد بن أسيد إلى قطري أتاني كردوس حاجب المهلب وأنا بالأهواز، فقال: أجب، فأتيته، فقال: ياصعب فإني أنظر إلى هزيمة عبد العزيز]، ولا أدري من يفجؤنا وليس معي جند فأعلم أين مستقرّ عبد العزيز، فخرجت حتى علمت مكانه ومابينه وبين الخوارج، ثم خلّفت عمران بن عزيز البرساني ليكتب بخبرهم، وإذا كردوس قد دعاني بعد مقدمي بثلاث، فأتيت المهلب فأقرأني كتاب عمران بن عزيز بهزيمة عبد العزيز، فقال: اخرج حتى تلقى الفَلَّ وتعلم العلم، فخرجت على فرس لي فسمعت بالليل كلام عبد الله بن قيس الجهضمي، فناديته فعرفني فقلت: ماوراءك؟ قال: الشرّ، فقلت: أين عبد العزيز؟ قال: أمامك، فانتهيت إلى ماهرْويان فإذا خمسون فارساً معهم لواءٌ، فجاء رجل يركض، فقلت: لمن هذا اللواء؟ فقال: لعبد العزيز، فدنوت منه فسلّمتُ عليه ثم قلت: أيها الأمير، لايعظم عندك مالقيت فإنك كنت في شرجند كلّهم متأمّر معابل، وهراسة والهذيل بن عمران وأشباههم.

ثم تركتهم وأقبلت إلى المهلب، فقلت: الخبر مايسرّك هُزم الرجل وافتضح فقال: ويحك ومايسرّني من فضيحة رجل من قريش وفلّ جيش المسلمين ! فوجّهني إلى خالد فامتنعت وقلت: أهديك إذاً إلى بيت الله، فوجّه عمران بن عزيز، وقال: أنا بينه وبين أخيه فلا أجدُ بُدّاً من أن أبعث إليه بخبره.

قال فلما أتى خالداً فأخبره، قال: كذبت وكذب من بعثك، والله لهممت أن أضرب عنقك، قال عمران وردّ عليّ رجل من قريش، وقال: كذبت، فقلت: أصلح الله الأمير، إن كنت كاذباً فاقتلني وإن كنت صادقاً فاعطني مطرف هذا المتكلم.

---

(١) ابتداء من كلمة عبد العزيز حتى ولا أدري أي بين عبد العزيز ولا أدري ساقط في أصل مخطوط استنبول.

قال صعبٌ: وقدم عبد العزيز على المهلب فوصله وواساه وبرّه وشخص معه إلى البصرة، واستخلف بالأهواز حبيب بن المهلب، وقال: لاتبرح موضعك حتى ترى الخيل فإن رأيتها فصر إلى مناذر ثم اقطع الجسر، وخذ على نهر تيرى حتى تقدم إلى البصرة، ففعل حبيب ذلك حين رأى الخوارج وقدم البصرة.

فغضب خالد فتوارى حبيب حتى كلمه فيه المهلب فرضي، وتزوّج حبيب في تواريه أم عبّاد بن حبيب وهي من بني هلال.

قال صعبٌ: وكتب خالد إلى عبد الملك يعتذر لعبد العزيز، وقال للمهلب: ماتراه صانعاً بي؟ قال: يعزلك، قال: تراه قاطعاً رحمي؟ قال: نعم، قد علم أمر أمية في انهزامه عن أبي فُدَيك، وعلم أمر عبد العزيز، وأخذ خالد ماكان في بيت المال.

كيف سمي عبد الرحمن بن محمد ضرطة الجمل.

١٧٠ ـ وقال الهيثم: لما أمِدَّ المهلب بعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، قال له: يابن أخي خندق على أصحابك، قال: ياأبا سعيد أنا أعلم بهم منك، والله لهم أهون عليّ من ضرطة جملٍ، فقُتل من أصحابه ولقوا شرّاً ولُقّب بضرطة الجمل، فقال الشاعر:

[من البسيط]

تركتَ فرسـاننـا تَدمى نُحورُهُمُ ... وجِئت مُنهزماً ياضَرطةَ الجملِ

وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى: أخذ خالد بن عبد الله ماكان في بيت المال بالبصرة، وهو خمسة عشر ألف ألف درهم.

---

(١) في أصل مخطوط المكتبة العامة المغربية: الرحض: وهو الغسل وفي مخطوط استنبول: الدحض بالدال المهملة وهو الزّلق ـ اللسان ـ

عزل خالد بن عبد الله عن البصرة.

١٧١ ـ وقال أبو الحسن المدائني وغيره: كتب عبد الملك إلى خالد: إني عهدت إليك أن تولي المهلب قتال الخوارج، فلما ملكت أمرك آثرت هواك على طاعتي، فعزلت المهلب وولّيته الجباية، وولّيت أخاك عبد العزيز حرب الأزارقة، فقبّح الله هذا الرأي أتبعث أخاك وهو رجل من أهل مكة، وتدع المهلب وقد مارسهم، وقد قال الأول: ياعجباً من ضأنٍ يطأن الرّحض ، ولعمري لو عاقبتك على قدر جرمك لأتاك مالا بقيّة بعده، ولكني ذكرت الرحم فحجزني ذلك فجعلت عقوبتك عزلك. وانتشر الخوارج وقال بعض الشعراء:

[من الطويل]

بعثتَ غُلامــاً من قُريشٍ فروُقــةً ... وأخّرتَ ذا الرأي الأصيلِ المُهلَّبا

أبى الـذمَّ واختـار الـوفاءَ وجُرِّبت ... مكيدتُـــهُ عنــد الأمــورِ وجُــرِّبـا

وقال أبو الحديد:

[من الكامل]

عبدَ العزيز فضحتَ جيشكَ كلُّهُمْ ... وتــركتهم صرعى بكــلِّ سبيلِ

من بينِ ذي رَمــقٍ يجودُ بنفسـهِ ... ومُلحّــبٍ(١)وسط الـغُبــار قتيلِ

هلاّ صبرتَ مع الشهيدِ مُقــاتــلٍ ... إذ رُحت مُنتكثَ القــوى بأصيلِ

وتــركت جيشـك لا أميرَ عليهمُ ... فارجـع بعــارٍ في الحـياةِ طويلِ

ونـسيتَ عرســكَ إذ تُقــادُ سبيّة ... تبــكي الـغيورَ برنّــةٍ وعــويلِ

وقال أيضاً:

[من الكامل]

عبدَ العزيز فضحتَ جيشكَ كلُّهم ... وتــركتهم صرعى بكــلِ مكــانِ

لمّا رأيتَ أبــا نعــامــةَ مُقــبــلاً ... نجيّتَ نفســكَ والـرّمــاحُ دَوانِ

---

(١) لحب: قطع اللحم وملحّب: مقطّع ـ اللسان ـ

ورأيتَ سعداً في الطلائع مُعلِماً ... ولصالحٍ شَغباً على الأقرانِ
أسلمتَ عِرسكَ والبلاءُ مُوكَّلُ ... بالقولِ عند تشاجُرِ المُرَّانِ[1]

وقال آخرُ:

[من الطويل]

ألا ليتَ شعَري مايقُولَنَّ خالدٌ ... إذا الخيلُ جالت والقنا تَتشاجرُ
[ألا] تَصبرِ إنَّ الصَّبر ليس سجيَّةً ... لآلِ أُسيدٍ يومَ تُسبى الحرائرُ

وقال الفرزدق:

[من الكامل]

فرَّ اللَّئيمُ عن الُلقاءِ مُبادراً ... وثَوى بمنزلةِ الكريمِ مُقاتلُ[2]

وقال عبد الملك: نكس خالد الرماح على عواليها، وترك المهلّب المعروف بالنجدة والعلم بمكيدة الخوارج، فجعله جابياً، وولّى أخاه قتال الخوارج.

جمع البصرة مع الكوفة لبشر بن مروان.

١٧٢ ـ قالوا ولما عزل عبد الملك خالداً جمع لبشر بن مروان الكوفة والبصرة، وكتب إلى بشر: إنك أخو أمير المؤمنين يجمعك وإياه مروان، وإن خالداً يجمعني وإياه أمية[3] فانظر لنفسك، وانظر المهلب فإنه حازمٌ صارم، فوجّهه إلى هذه المارقة وأمدّه من أهل الكوفة بثمانية آلاف.

---

(١) في هامش مخطوط المكتبة العامة المغربية ص: ٤٩١/٦٨ مكتوب: المرّان: الرماح واحدها مرّانة، وفي اللسان المُرّان بالضم وهو فعّال: الرماح الصلبة اللّدنة واحدتها مُرّانة.

(٢) لم يذكر في ديوان الفرزدق.

(٣) عبد الملك وبشر ابنا مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية الأكبر وخالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص بن أمية الأكبر.

فغمّ بشراً كتابُه في المهلب، وقال: والله لأقتلنّه فإنه زبيريّ، فقال له موسى ابن نصير: أصلح الله الأمير إن للمهلب بلاءً وطاعةً ووفاءً. فسار بشر من الكوفة إلى البصرة في آخر سنة أربع وسبعين وأول سنة خمس وسبعين.

فكتب موسى بن نصير وعِكرمة بن ربعيّ، وكان عكرمة وادّاً للمهلب إلى المهلب: أن الْقَ الأمير متذللاً، فلقيه على بغلٍ أو حمار، وسلّم مع العامّة، ثم انصرف.

ودخل بشر البصرة وعن يمينه الهذيل بن عمران البرجمي[1]، وعن يساره الحكم بن المنذر بن الجارود، فقال المهلب: أميركم يشرب، قد كنا نكتفي بشاهد واحدٍ وهذان شاهدان، وكانا يشربان. ولما نزل بشر دار الأمارة سأل عن المهلب، وقال: لم أره، فقيل: بلى، قد أتاك وهو شاكٍ[2].

فأراد أن يوجّه إلى قطريّ وأصحابه عمر بن عبيد الله بن معمر أو غيره، فشاور فقال له أسماء بن خارجة: ماولاّك أمير المؤمنين إلا لتعمل بما ترى، وقال له عكرمة: لاتفعل، ولكن راجع أمير المؤمنين وأعلمه شكاة المهلب. فأوفد بشر إلى عبد الملك وفداً يخبره بوجع المهلب، وإن قوماً من أهل البصرة يغنون أكثر من غنائه.

فخلا [عبد الملك] بعبد الله بن حكيم المجاشعي[3]، فقال له: إن لك عقلاً ورأياً، فمن ترى لمحاربة هذه المارقة؟

---

(١) البرجمي: نسبة إلى البراجم وهم بطون من تميم وهم غالب وعمرو وقيس ومرة الظليم وكلفة أولاد حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم قال لهم أحدهم: تعالوا فلنجتمع فنكن ككفّي هذه فسموا البراجم والهذيل بن عمران بن الفُضيل من بني غالب ابن حنظلة.

(٢) شاك: أي مريض يشكو الوجع.

(٣) المجاشعي بطن من تميم وهو عبد الله بن حكيم بن ذياد (بالذال المعجمة ولا يوجد غيره بالذال كما جاء في الجمهرة ومختصر الجمهرة) بن حُويّ بن سفيان بن مجاشع بن دارم بن مالك (غرف) بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة ابن تميم.

قال: المهلب، قال: إنه وجعٌ، قال: ليس وجعه مما يمنعه النهوض. فقال عبد الملك: أرى بشراً يريد أن يعمل بما عمل خالدٌ.

فكتبَ إليه يعزم عليه أن يوجّه المهلب فأرسل بشر إلى المهلب: أن انتخب من أحببت، فقال: أنا عليل ولا أقدر على الاختلاف[1]، فأمر فحُمل إليه الديوان فانتخب، فلم يجز له بشر عامّة من انتخب، وكلّمه في قوم فخلّفهم، واستقرض المهلب مالاً من التجّار وغيرهم، وبلغت الجعالة بين الناس أربعة آلاف وسار إليهم المهلب فلقوه، فأبلى يزيد بن المهلب وهو ابن إحدى وعشرين سنة، فنفاهم عن الأهواز فأتوا فارس فوجّه إليهم المهلبُ ابنَه المغيرة. فقيل له: طاول هؤلاء الكلاب وإلّا ستلزم بيتك إن فرغت من أمرهم، فقال: ليس هذا من الوفاء، ثم رجع الخوارج إلى رامهرُمز.

فكتب بشر بن مروان إلى خليفته بالكوفة: أن أعقد لعبد الرحمن بن مَخنف على ثمانية آلاف. فلما قدم عليه قال له: قد علمت حالك عندي فكن عند ظني، انظر هذا المَزْوني فخالفه وأوعده. فخرج ابن مَخنف وهو يقول: سبحان الله ماطمعَ فيه هذا الغلام مني يأمرني بتصغير شيخ من شيوخ قومي[2] وسادتهم.

موت بشر وولاية الحجاج الكوفة والبصرة.

١٧٣ ـ ونزل ابن مخنف رامهرمز، ومات بشر واستَخلَفَ خالدَ بن عبد الله ابن خالد بن أسِيد فرفض أهل الكوفة وقدموا إلى بلدهم، وأراد أهل البصرة أن

---

(١) الاختلاف: الإتيان إليهم.

(٢) عبد الرحمن بن مخنف بن سليم بن الحارث بن عوف بن ثعلبة بن عامر بن ذهل بن مازن بن ذبيان بن ثعلبة من الدّول بن سعد مناة بن عمرو (غامد) بن عبد الله بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد. والمهلّب هو ابن ظالم (أبي صفرة) بن سِرّاق بن صبح بن كندي بن عمرو بن عدي بن وائل بن الحارث بن العتيك بن الأسْد بن عمران بن عمرو مُزيقياء بن عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرىء القيس البطريق بن ثعلبة البهلول بن مازن الزاد بن الأزد.

يفعلوا مثل ذلك، فقال لهم المهلب: لستم تقاتلون لبشر ولا لخالد إنما تقاتلون عن بلادكم وحرمكم، فلا تصنعوا كما صنع أهل الكوفة فتجزّئوا عدوكم عليكم، فأقام بعضهم ورجع بعض عصاة إلى البصرة.

وأقام المهلب في البصريين، وأقام عبد الرحمن في ناس من أهل بيته، لم يكن بقي معه أحد غيرهم.

فلما قدم الحجاج العراق والياً في سنة خمس وسبعين بدأ بأهل الكوفة فخطبهم وتهدّدهم وتوعّد العصاة بالقتل وقتل بعضهم، وخطب أيضاً بالبصرة، وألحق الناس بالمهلب.

وكتب الحجاج إلى المهلب: إن بشراً رحمه الله بعثك مستكرهاً لنفسه عليك، وأراك غناءه عنك وأنا أعرّفك حاجتي إليك، فناهض عدوك ودع العلل لأحشرنّ الناس إليك حشراً، فإني آخذ السميّ بالسميّ والوليّ بالوليّ حتى يكون قليل من يأتيك لكثير من فارقك، واقتل من خفته على المعصية، فإني/من قبلي من أهل الطبقة، فإن العاصي يجمع خلّتين: إنه أخلّ بمركزه، ووعّر المسلمين من نفسه، وهو أجيرٌ لهم ليس له أن يأخذ إلا بقدر ماعمل.

فكتب إليه المهلب: ليس معي إلا مطيع وإن الناس إذا أمنوا العقوبة صغّروا الذنوب وإذا أيسوا من العفو كفرهم[1] ذلك. فهب لي الذين سمّيتهم عصاة وإنهم فرسانٌ أرجو أن يقتل الله بهم هذا العدو إن شاء الله.

وقال المهلب لجنده: لقد جاءكم والٍ ذكرٌ ولولا هو كنا بمضيعة، فعليكم بالجدّ والحزم، فإني رأيت البقاء مع الحزم، واستشعروا الصبر واعلموا أنه ليس كل

---

(١) كنت قرأت كتاب الحجاج إلى عبد الملك عندما أجار أحد طلبة الحجاج وفيه يقول: من أمن العقوبة استصغر الذنب ومن خاف العقوبة استكبر الذنب. فالآن عرفت أن الحجاج أخذها عن المهلب.

غادٍ يؤوب إلى أهله، ولا كل سلامة تدوم لأهلها، وهؤلاء القوم يقاتلونكم عن دينكم ودنياكم، فأكرموا الخيل تنفعكم عند اللقاء، وأطيلوا الرماح فإنها قرون الخيل، وعيّروا الجبان يأنف، فلقد رأيتني مع الحكم بن عمرو بخراسان وإنّا لنعدُّ في سرعان الناس رجالاً لا يعابون إلا بالجبن، وإن خلفهم لرجالاً ما يحتملون إلا على الناس، فما رجع مستقدم ولاتقدّم مستأخر والرجال يحمل عنها سمينها والشجاعة ضراوة.

فلما كثر الناس قال قطري وهو برامهُرمز: نأتي سردر[1] فإنها حصينة، قال عبيدة[2]: بل نأتي سابور ونخرج إلى كرمان فنمضي منها إلى حيث نشاء. فأتى قطري سابور ونزل المهلب أرجان وبعث خيلاً إلى سردر وخاف أن يأتيها الخوارج فيتحصنون وليست بمدينة ولكنها جبال وعقاب منيعة. وأتى المهلب كازرون وخندق، وأقبل عبد الرحمن مخنف في جند أهل الكوفة فنزل ناحيةً، وذلك أن الكوفيين أبوا أن يخالطوا البصريين، فأرسل إليه المهلب: إمّا أن تنزل معنا وإما أن تخندق على نفسك، فأرسل إليه: خنادقنا سيوفنا.

كتب متبادلة بين الحجاج والمهلب في أمر حرب الخوارج.

١٧٢ ـ كتب الحجاج إلى المهلب وهو بكازرون: إنك أقبلت على جباية الخراج وأبطأت عن قتال العدو وقد هممت أن أولّي عبّاد بن حصين أو عبيد[3] الله

---

(١) سردر: من قرى بخارى ـ معجم البلدان ـ

(٢) في أصل مخطوط استنبول: ص: ٦٧ قال أبو عبيدة وهو خطأ فأبو عبيدة هو معمر بن المثنى الراوية. وعبيدة هو عبيدة بن هلال اليشكري من رجال الخوارج وهو الذ أمّر قطري كما مرّ سابقاً.

(٣) عبيد الله هكذا في أصل المخطوطين وصحته عبد الله كما مرّ سابقاً وكما جاء في جمهرة النسب لابن الكلبي.

ابن حكيم المجاشعي ماولّيتك هذا قبل خروج الناس عليك.

وقال الهيثم بن عدي: استبطأ الحجاج المهلب فكتب إليه: إنك مرواني وابن مرواني[1] والعجب منك حين تخاف قتال الأزارقة، كأنك ترى أنك ترث الأرض، وايم الله لئن لم تناجزهم لأبعثن إليك من يحملك على مكروه أمرك. والسلام.

فكتب إليه [المهلب] أما بعد: فقد جاءني كتابك أني مَزْوَني وابن مَزْوني. ماأنكر ذلك وإنما مَزْون عُمان سمتها العجم بذلك، ولكن الأمير أصلحه الله من قبيلة قد ادّعت إلى حِمير وعدّة قبائل وما استقرّ قرارها بعد، كانوا بقيّة ثمود ثم انتموا إلى وحاظة[2] من حمير ثم إلى إياد ثم إلى عَدوان ثم إلى قِسيّ بن مُنبّه.

فلما قرأ الحجاج الكتاب تبسّم، ثم قال: أفحشنا للرجل فأفحش.

وقال المدائني: كتب إليه الحجاج: إنك تشاغلت بالجباية عن الحرب.

فكتب إليه: إن من ضعف عن الجباية فهو عن القتال أضعف، ولو ولّيت

---

(١) في حاشية مخطوط المكتبة العامة ص: ٦٨/٤٩٢ : يغير الخطأ وقد صحف الناسخ، وإنما هو مَزوني وابن مزوني، ومزون قبيلة من الأزد سكنت أرض مزون. انتهت الحاشية والصحيح أن المهلب من أزد عُمان وهم أيضاً يسمون أزد شنوءة ونزلوا عُمان وعُمان تسميها الفرس مَزون فمن أراد شتم المهلب يعيره بأنه مَزوني ابن مزوني ولم يكن المهلب مرواني وإنما كانا زبيري. أيام عبد الله بن الزبير وأخيه مصعب كما مر معنا سابقاً وكما يظهر بعد هذا في جواب المهلب.

(٢) وحاظة بن سعد بن عوف بن عدي بن مالك بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جُشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن الهميسع بن حِمير.

غيري ممّن سمّيت لرجوت أن يكونا للولاية أهلاً في فضليهما وجرأتهما، وذكرت أني رجل من الأزد من أهل عُمان، وإنّ شرّاً من الأزد قبيلة تنازعتها ثلاث قبائل ثم لم يستقر لها بيت في واحدة منهن[1] .

حرب المهلب للأزارقه.

١٧٥ ـ وناهض المهلب قطرياً وأصحابه بكازرون في شهر رمضان سنة خمس وسبعين، وقاتل معه جعفر ابن عبد الرحمن بن مخنف في رجال من أهل الكوفة وجعل عبيدة يقاتل وهو يرتجز:

[من الرجز]

إني لُمُذْكٍ للشُراةِ نارَهَا ومانعٌ ممّا أتاها دارَها
وغاسلٌ بالطَّعنِ عنها عارَها

ثم تحاجزوا وأبلى يومئذ عيّاش الكندي وكان من الفرسان، فلما هلك قال المهلب: لاوالت أنفس الجبناء بعد عياش، وكان من رجال المهلب. وقُتل مرّة الكتان فبكى قطري حين أُتي برأسه فقيل له: أتبكي على رجل من النار، فقال: إنما نبكي على أهل النار وكان من قومه، وأبلى أهل الكوفة يوم كازرون حتى عرف مكانهم. وحذّر المهلب الحريش[2] ومن معه من بني تميم البيات، فقال الحريش للمغيرة بن المهلب: يابا خداش لاتخافن البيات من قبلنا، وأراد الخوارج أن يبيتوهم فلم يقدروا، وقال الحريش:

---

(١) يقصد بهذا القول قبيلة ثقيف قوم الحجاج فكانت تنسب في ثلاث قبائل. في عنزة وفي ثقيف وفي ثمود.

(٢) الحريش بن هلال بن قدامة بن شماس بن لأي بن جعفر (أنف الناقة) بن قريع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم.

[من الرجز]

وجـدتمـونـا وُقَّـراً أنـجـادا لاكُـشُـفـاً ميلاً ولا أوغـادا

وترجّل أبو الأحوص صاحب مسعود[1] وخزيمة بن نصر وغيره وقاتلوا. فقُتل ابن مخنف وارتث جعفر ابنه، وكان عبد الرحمن بن مخنف يلقّب في قول بعضهم ضرطة الجمل، ويقولون إنه القائل: لولا ماحُكي عن ابن الأشعث من قول. هم أهون عليّ من ضرطة جمل، وقال حميد بن مسلم يرثي ابن مخنف:

[من الكامل]

إن يقـتـلوكَ أبـا حكـيمٍ غِرَّةً فيها تشـدُّ وتـقـتُـلُ الأبـطالا

ولمثـلِ قتلِكَ هدَّ قومـك كلهُمْ من كان يحمـلُ عنهـمُ الأثـقـالا

في أبيات، وقال سُراقة بن مرداس البارقي:

[من الطويل]

أعينيَّ جودا بالـدُّموعِ السواكِبِ وكيفاً كراس شنّة مع راكب

وكـونـا بخـيرٍ قبلَ قتلِ ابن مخنَفٍ وكـلُّ فتىً يومـاً لبعضِ المـذاهِبِ

أمـارَ[2]دمـوعَ الشّيبِ من أهـل مصرِهِ وعـجّـلَ في الشبّـانِ شيبُ الـذّوائبِ

وقال أيضاً:

---

(١) هكذا في أصل المخطوطين: صاحب مسعود، وقد أسقط الناسخ ابن، وهو أبو الأحوص عوف بن مالك بن نضلة بن خذيج بن حبيب بن حديد بن غنم بن كعب بن عُصيمة بن جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن صحب ابن مسعود وروى الحديث عنه جمهرة ابن الكلبي ج: ٢ ص: ٧٠.

(٢) أمار: أثار.

[من الطويل]

ثَوى سيِّدُ الأزدِ من أزدِ شنوءَةٍ وأَزدِ عُمانٍ وهُـو رَمسٌ بكـازِرِ
وصَـابـرَ حتّى ماتَ أكـرمَ ميتـةٍ بأبيضَ من بيض الحديدِ البـواتِـرِ

في أبيات.

وواقـع المهلب الخوارج مرات صابرهم فيها وصابروه، وكان الحجاج يوجّه إليه من يأخذه بالقتال والمناجزة ووجّه إليه أميناً فكتب يخبره فقتل، فقال الشاعر في أبيات له:

[من الطويل]

فمن مُبلغُ الحجـاجَ أنَّ أمينَـه زياداً أصـابتـهُ رمـاحُ الأزارِقِ

وكتب الحجـاج إلى عتّـاب بن ورقاء، فصار إلى المهلب، فكان على جيش عبد الرحمن بن مخنف.

وقـال المدائني: بعث الحجـاجُ الجـراحَ بن عبـد الله إلى المهلب مستحثـاً بالمناجزة، فقال له المهلب: ياأبا عقبة ماتركت حيلة أبلغ بها مكيدة إلا وقد أعملتها وقد انتهيت في قتال هذا العدو إلى الغدر، ولكن البلاء أن يكون الرأي لمن يملكه دون من يعمله.

وكتب الحجاج إلى المهلب: إنك أقمت في خندق احتجازاً من قتال هؤلاء المارقة.

فكتب إليه المهلب: أتـاني كتـابـك تعيب عليّ فيه الخندقة، والخندق حرز وحصن، وقد خندق رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمر الله، وذكرت أنك لاتظن بي جبناً، وقد عاتبتني معاتبة الجبناء، وأوعدتني كما يوعد العاصي، فسل الجراح عما رأى، فلما سأل الجراح، قال: لم أركما رأيت اقتتلوا ثلاثة أيام ضرباً بالسيوف وطعناً

بالرماح وخبطاً بالعمد، فقال: لشدّ مامدحته أبا عقبة، فقال: كلا ولكنه يحتمل المصيبة ويلقى كثيراً بقليل.

ولم يزل عتّاب بن ورقاء مع المهلب حتى بعث إليه الحجاج في القدوم للقاء شبيب، فأعطى المهلب أهل البصرة ولم يعط أهل الكوفة، فسأله عتّاب إعطاءهم فلم يفعل، فقال له: حُدّثت أنك شجاع فرأيتك جباناً، وحدّثت أنك جواد فرأيتك بخيلاً، فقال المهلب: يابن اللخناء[1]، فقال: إنها لمعمّة مخولة[2]، فغضبت بكر بن وائل للمهلب. فشتم بسطام بن نُعيم بن هبيرة أخي مصقلة عتّاباً للحلف، وكان المهلب كارهاً لحلف بكر والأزد، فلما رأى أن بكراً قد نصرته سرّه ذلك الحلف، فلم يزل بعد ذلك يشدده ويقوّيه. وغضبت تميم البصرة لعتاب وأزد الكوفة للمهلب.

فمشى المغيرة فيما بين أبيه وعتاب حتى أصلحه، وكلم أباه فأعطى الكوفيين، وقال رجل من أهل هجر:

[من الوافر]

ألا أبلغْ أبا ورقاءَ عنّا فلولا أنّنا كُنا غِضابا
على الشيخِ المهلّبِ إذْ جَنانا للاقتْ خيلُه منّا ضِرابا

وكان عتّاب وبنو تميم يحمدون المغيرة، وقال عتّاب إني لأعرف فضله على أبيه، وكان مقام عتاب مع المهلب ثمانية أشهر يقاتل معه الخوارج بفارس وكرمان،

---

(١) اللخناء: منتنة رائحة الفرج وقيل هي التي لم تختن ـ اللسان ـ

(٢) لمعمة مخوله: أي جاءت لأعمامها وعماتها وأخوالها وخالاتها ويظهر أن أم عتاب وجدته كانتا من قوم المهلب حتى قال هذا القول.

واتخذ ركب الحديد. وكانت ركب الناس الخشب فكان الفارس يُضرب ركابه فيقطع الركاب وقدمه، فقال عمران بن عصام العَنزي من عنزة[1]:

[من السريع]

ضَربوا الدّراهمَ في إمارتهم ... وضَربتَ للحدثانِ والحربِ
حلقاً ترى منه مراكلها ... كمناكبِ الحمّالةِ الجُربِ

وقالوا كان قتال المهلب قطرياً وأصحابه بنيسابور وماحولها ثمانية عشر شهراً.

ووجّه المهلب بشر بن مالك إلى الحجاج، وأمر له بجائزة فردّها، وقال: إنما الثواب بعد الاستحقاق، فلما ورد على الحجاج، قال له: كيف تركت المهلب؟ قال: أدرك ماأمِلَ وأَمِنَ ماخاف، فقال: كيف هو بجنده؟ قال: والد رؤوف، قال: كيف جنده به؟ قال: ولد بررة، قال: هذه السياسة.

بعض حيل المهلب.

١٧٦ ـ وكان مع قطري رجل حدّاد يقال له: أبزيّ يتخذ نصالاً مسمومة، فذُكر ذلك للمهلب، فقال: أكفيكموه فكتب المهلب كتاباً إلى أبزي أنه قد أتتنا نصالك وقد بعثت إليك بألف درهم فزدنا نصالاً، وبعث بالكتاب فألقي في عسكر قطري. فأُخذ الكتاب فدُفع إلى قطري فسأل أبزيّ عن الخبر، فقال: لا أدري ولا

---

(١) في القبائل عنزة بن أسد بن ربيعة وعنز بن وائل أخو بكر بن وائل وتغلب بن وائل والنسبة للقبيلة الأولى عَنَزي والثانية عَنْزي وهو من عنزة من بني هُميم بن عبد بن ربيعة بن تيم بن يقدم بن عنزه بن أسد بن ربيعة قتله الحجاج يدير الجماجم وهو شاعر جمهرة النسب. ج: ٢ ص: ٣٤٢، بينما جاء البيت الثاني عند الكامل للمبرد تحقيق الدكتور محمد أحمد الدالي طبعة مؤسسة الرسالة بيروت: حلقاً ترى منها مرافقهم. وقال هي لعمران بن عصام العنبري وهذا خطأ لأن العنبر بطن من بني تميم وصحته من عنزة كما جاء عند البلاذري وابن الكلبيّ.

أعلم هذا الكتاب، فأمر به فقتل، فقال له عبد ربه: قتلت رجلاً بغير ثقه ولا بيان يحلّ به دمه، فقال: يمكن هذا أن يكون حقاً ويمكن أن يكون باطلاً، فرأيت في قتله صلاح الدين أمثل، وللإمام أن يحكم بما يرى فيه الصلاح، وليس للرعية أن تردّ عليه، فتنكّر له عبد ربه في جماعة وخالفوه في القول ولم يفارقوه.

وأرسل المهلب رجلاً نصرانياً، وقال له: إذا رأيت قطرياً فاسجد له فإن نهاك فقل له: إنما سجدت لك، ففعل النصراني، فقال له قطري: مَهْ، إنما السجود لله، قال: ماسجدت إلاّ لك، فقال رجل من أصحابه قد عبدك من دون الله وقرأ: ﴿إِنَّكُمْ ومَاتَعْبُدونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصبُ جَهنَّمَ﴾[1] فقال قطري: قد عبد النصارى المسيح بن مريم وإنما عني الله الأصنام، فقام رجل فقتل النصرانيّ. فقالوا: قتلت ذمياً فاختلفوا.

ودسّ المهلب أيضاً إلى عسكر قطري رجلاً فقال: أرأيتم إن خرج إليكم رجلان مهاجران فمات أحدهما قبل أن يصل إليكم، وأتاكم الآخر فامتحنتموه فلم يجز المحنة، فما تقولون في الميت؟

فقال بعضهم: الذي مات مؤمن وهذا كافر حتى يجيز المحنة، وقال آخرون: هما كافران، واختلفوا فارتحل قطري إلى اصطخر، في سنة سبع وسبعين في صفر.

وقال المهلب: الاختلاف أشدّ عليهم وأسرع في هلاكهم فلا تشغلوهم بالقتال عن الجدال، فتركهم شهرين ثم أقام بإصطخر، فتركهم شهراً وهم يخوضون في اختلافهم.

فقال لهم صالح بن مخراق مولى قريش ويقال مولى آل مصقلة الشيباني: إن

---

(١) سورة الأنبياء رقم: ٢١ الآية رقم: ٩٨.

المسلم يُغضي عينه على مايقذيها، ويدع حسناً لقبيح وصغيراً لمخافة كبير، والله إن الأمر الذي أتيتموه لقبيحٌ وفي الفتنة لمحق، فاتقوا الله وراجعوا سلامة صدوركم، فقد أطمع اختلافكم عدوكم فيكم.

وخرج عمرو القنا فنادى: يامعشر المحلّين، هل لكم في الطّراد؟ فلا عهد لنا به منذ حينٍ، وقال:

[من الطويل]

ألم ترَ أنّــا مُذْ ثلاثــونَ ليلةً   قريبٌ وأعداءُ الكتاب على خَفضِ

وتهاجموا، وأبلى المغيرة بن المهلب وصرع فاستنقذه فرسان من الأزد، واستاق الخوارج سرح المهلب، فقال الرجل الذي كان يسوق السرح.

[من السريع]

نحنُ خدعنــاكم بسـوق السَّرحِ   وقد نكأنا القرحَ بالقرح

فلحق ذاك الرجل بنو المهلب فردّواالسرح، وأراد الخوارج هدم فسا فاشتراها ازاذمرد بن الهربذ منه (أي من قطري) بمئة ألف درهم. وارتحل الخوارج يريدون كرمان فنزلوا مناهل الصغرى وهي من اصطخر، فاتبعهم المهلب فقال غلام لأكتَل ابن منجب السدوسي: اليوم آتيك بجارية من جواريهم، فقال أكتل:

[من الكامل]

أخِـلاجُ إنّــك لن تُعــانقَ طِفلَةً   سَرِحــاً بها الحــادِيُّ كالتمثــالِ
حتى تُلاقي في الكتيبــة مُقْــدمــاً   عمــرَو القَنــا وعَبيدَةَ بنَ هلالِ
وتـرى المُقَعـطرَ في الكتيبـة مُعلِماً   في عُصبــةٍ قَسَـطوا مع الضُـلاَّلِ

والمقعطر عبديّ: قالوا ومضى قطري إلى السيرجان، ورجع المهلب إلى فارس.

وبعث الحجاج كَردَماً على فارس، فسأل المهلب الحجاج أن يجعل له كوراً سماها. ففعل فكان المغيرة والرُّقاد يجبيان ولا يعطيان الجند، فقال رجل من بني ضَبَّة:

[من الوافر]

ولـو علمَ ابنُ يوسُفَ مانُـلاقي … مِن الـبـلوى بمنـزلَـةِ الـطِّرادِ

بكـت عَينـاهُ من شَفَـقٍ علينـا … وأصلـح ماastـطاعَ من الفسـادِ

قرنـا أرضَ فارسَ في جمادى … إلى شعـبـانَ نقـطـعُ كلَّ وادِ

ترى الـشيـخَ البجـالَ على حمارٍ … يسـوقُ به فتـىً رخـوَ الـنِّجـادِ

ألا قلْ للأمـير جُزيتَ خيراً … أرِحـنـا من مُغـيرةَ والـرُّقـادِ

وفي كردم يقال:

[من الرجز]

ولـو رآهـا كَرْدمٌ لكـردَمـا[1] … كَردمـةَ الـعَـيرِ أحسَّ الـضَّيغَـما

قال ابن الكلبي: وهو كردم بن مرثد الفزاري.

خطبـة قطـري

١٧٧ - وأتى المهلب السيرجان فقاتل قطري بها، فصعد قطري المنبر فخطب:

فقـال: أمـا بعد، فإني أحذّركم الدنيا فإنها حلوة نضرة، حُفّت بالشهوات ورأفت بالقليل، وتحبّبت بالعاجلة وتحلّت بالآمال وتزينت بالغرور، لايدوم خيرها ولا تؤمن فجيعتهـا، غرّارة ضرّارة وحـائلة زائلة بائـدة نكّالةٌ عوّالة لاتعدو إذا هي

(١) كردم: عدا مزيباً.

تنامت إلى أمنية أهل الرغبة فيها والرضى عنها أن تكون كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿ كَمَآءٍ أَنزَلْنَـٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَـٰحُ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾[1] مع أن امرأ لم يكن منها في حبرةٍ إلا أعقبته بعدها عبرةً، ولم يلق من سرّائها بطناً إلا منحته من ضرّائها ظهرا، ولم يطله فيها رخاء إلا هطلت عليه مُزنة بلاء، وحريٌّ إذا أصبحت له منتصرة أن تمسي له خاذلة متنكّرة، وإن جانبٌ منها اعذوذب وحلا، أمرّ منها جانبٌ وأوبأ، وإن أتت امرأ من غضارتها ورقاً أرهقته من نوائبها نُغبا[2]، ولم يُمسِ امرؤٌ منها في جناح آمن إلا أصبح منها في قوادم خوفٍ، غرّارةٌ غُرورها فيها فاتنةٌ فإن من غيّها لاخير في شيءٍ من رادها إلا التقوى، من أقلّ منها استكبر مما يؤمّنه، ومن استكبر منها استكثر مما يوبقه ويُطيل حزنه وتبكي عينه، كم من واثقٍ بها قد فجعته وذي طمأنينة قد صرعته، وذي اختيال قد خدعته، وكم ذي أبّهةٍ فيها قد صيرته حقيرا، وذي نخوةٍ قد ردّته ذليلاً، ومن ذي تاج قد أكبّته لليدين والفم، سلطانها ذل وعيشها دنق وعذبها أجاج وحلوها صبر وغذاؤها سمام وأسبابها رمام، حيّها بعرض موت وصحيحها بعرض سقم ومنيعها بعرض اهتضام، مُلكها مسلوب وعزيزها مغلوب وسليمها منكوب وجارها محروب، مع أن وراء ذلك سكرات الموت وهول المطلع، والوقوف بين يدي الحكم العدل ليجزي الذين أساؤوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى.

ألستم في مساكن من كان أطول منكم أعماراً وأوضح منكم آثاراً وأعدّ عديداً، وأكثر جنوداً وأشدّ عنوداً تعبّدوا للدنيا أي تعبّد وآثروها أي إيثار، فظعنوا عنها بالكره والصغار، فهل يُعلم أن الدنيا سمحت لهم نفساً بفدية، أو أغنت عنهم

---

(١) سورة الكهف رقم: ١٨ الآية رقم: ٤٥

(٢) النُّغَب: جمع نغبة: جرعة.

فيما أهلكتهم بخطبٍ، بل قد أرهقتهم بالفوادح وضعضعتهم بالنوائب، وقد رأيتم شكرها لمن دان لها وآثرها وأخلد إليها حين ظعنوا عنها الفرات الأبد إلى آخر المسند، هل زوّدتهم إلا الشغب أو أحالتهم إلاّ الضنك أو توردّت بهم إلا الظُّلمة أو أعقبتهم إلا الندامة، فهذه تؤثرون أم على هذه تحرصون أم إليها تطمئنون، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ مَنْ كانَ يُريدُ ٱلحَيوٰةَ الدُّنيَا وزِينتَها نُوفِّ إليهِم أعملَهُمْ فِيها وهُمْ فيها لايُبخَسُونَ ﴾[1] فبئست الدار لمن أقام فيها، فاعملوا وأنتم تعلمون أنكم تاركوها لأبد، فإنما هي كما وصفها الله عزّ اسمه باللعب واللهو، وقد قال: ﴿ أتبنُون بكُلّ ريعٍ ءايةً تعبثُونَ * وتتَّخذُونَ مصانعَ لعلَّكُمْ تَخلُدُونَ * وإذا بَطشتُم جبَّارينَ ﴾[2] وقد ﴿ قالُوا مَنْ أشدُّ مِنّا قُوَّةً ﴾[3] ثم حُملوا إلى قبورهم فلا يدعون ركباناً وأنزلوا فلا ينزلون ضيفاناً، وجُعل لهم من الضريح أجنانا ومن التراب أكفانا ومن الرفات جيرانا، وهم جيرة لايجيبون داعيا ولا يمنعون ضيما، إن خُصبوا لم يفرحوا وإن قُحطوا لم يقنطوا، جميعٌ وهم آحاد جيرة وهم أبعاد متناؤون لايتزاورون، حلماء وقد ذهبت أضغانهم، جهلاء وقد ماتت أحقادهم، لايُخشى فجعهم ولايُرجى دفعهم وكما قال الله عزّ آسمه: ﴿ فَتلكَ مَسكِنُهُم لَمْ تُسكَن مِن بَعدِهِم إلَّا قَلِيلًا وكُنَّا نَحنُ الوٰرِثِينَ ﴾[4] استبدلوا بظهر الأرض بطنا وبالسعة ضيقا، وبالأهل غربة وبالنور ظلمة، فجاؤوها كما فارقوها حفاة عراة، فرادى غير أن ظعنوا بأعمالهم إلى الحياة الدائمة وإلى خلود الأبد، يقول الله عزّ وجلّ: ﴿ كَما بَدأْنَا أَوَّلَ خلقٍ نُعيدُهُ وعْداً عَلَينا إنّا كُنّا فَعِلِينَ ﴾[5] فاحذروا ماحذّركم الله وانتفعوا

---

(١) سورة هود رقم: ١١ الآية رقم: ١٥

(٢) سورة الشعراء رقم: ٢٦ الآيات رقم: ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠.

(٣) سورة فصلّت رقم: ٤١ الآية رقم: ١٥

(٤) سورة القصص رقم: ٢٨ الآية رقم: ٥٨

(٥) سورة الأنبياء رقم: ٢١ الآية رقم: ١٠٤.

بمواعظه واعتصموا بحبله عصمنا الله وإياكم بطاعته، ورزقنا وإياكم أداء حقه.

ثم ارتحل قطري إلى جِيرفت واتبعه المهلب فنزل على ليلتين منه، واختلفوا فقال المهلب: الاختلاف خيرٌ لنا وشرٌ لهم.

اختلاف الخوارج وتفرقهم.

١٧٨ ـ وإنما اختلفوا لأنهم اتهموا عبيدة بن هلال بامرأة رجل قصّارٍ رأوه يدخل إليها بغير إذن متفضلاً، فأخبروا قطرياً، فقال لهم: إن عبيدة وموضعه من الدين والعسكر ماعلمتم، فقالوا: لانصالح على الفاحشة، فقال قطري لعبيدة: إني على أن أجمع بينك وبينهم، فلا تكاشف مكاشفة البذيء ولاتخضع خضوع المريب، ثم جمع قطري بينهم وبينه فقرأ عبيدة: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِالإِفْكِ عُصبَةٌ مِّنكُم ﴾[1] الآية فبكوا وقاموا إليه فبايعوه، وقالوا: استغفر لنا. فقال عبد ربه الصغير مولى قيس[2] بن ثعلبة: والله لقد خدعكم وإنه لكما ظننتم، فبايع عبدَ ربه منهم قوم وتنكّروا لقطري وخالفوه في أمور فعلها نقموها عليه، فصار مع عبد ربه نصف أهل عسكر قطري، فحارب عبد ربه قطرياً فقُتل من أصحابه قوم، وقتل صالح بن مخراق مع عبد ربه، فكره قطري أن يقيم في عسكر من يقاتلانه، فخرج يلتمس منزلاً، فجاء المهلب حتى نزل في معسكره، وقاتل عبد ربه وكتب إلى الحجاج بالخبر، وأشار عليه أن يوجّه إلى قطري من يتبعه ويحاربه.

مقتل عبد ربه الصغير.

١٧٩ ـ وألصق المهلب بعبد ربه، وقال عبد ربه: يامعشر المهاجرين إن قطرياً وعبيدة هربا رجاء البقاء ولا سبيل إليه، فالقوا عدوكم غداً فإن غلبكم على الحياة فلا يغلبنّكم على الموت.

---

(١) سورة النور رقم: ٢٤ الآية رقم: ١١

(٢) قيس بن ثعلبة قبيلة من بكر بن وائل وهو قيس بن ثعلبة بن عُكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل.

فقـاتلوا المهلب فقُتل عبد ربه، وطلب بعض أصحابه أماناً، ومضى عمْرو القنا إلى خراسان فمات بها، ومضى بعضهم إلى سجستان، وحوى المهلب عسكر الخـوارج وأصـاب به جرحى، فدفـع كل جريح إلى قومـه، ورجـع المهلب إلى جيرفت، فقال: الحمد لله الذي ردّنا إلى الخفض والدّعة فما كان عيشنا بعيش.

قالوا ونظر المهلب إلى قوم في مجلسه لايعرفهم، فقال: ماأشدّ عادة السلاح ناولني درعي، فلبس سلاحه، وقال: خذوا هؤلاء، فأخذوا فقال: من أنتم؟ قالوا: أردنا غرّتك لنقتلك، فقتلهم.

وقـال الهيثم بن عدي: اعتـزل عبد ربه الصغير في أربعة آلاف، والصغير مولى بني قيس واعتزل الكبير في سبعة آلاف والكبير مولى يشكر[1]. فقاتل المهلب الصغير فقتله وأصحابه، ومضى قطري وبقي الكبير فقاتله المهلب فقتله أيضاً.

كتاب المهلب إلى الحجاج بالنصر

١٨٠ ـ قالـوا وكتب المهلب إلى الحجاج: أمـا بعـد، فالحمـد لله الكـافي بالإسلام فقد ماسواه، الذي أوجب المزيد بالشكر، وقد كان من أمرنا وأمر عدوّنا ماقد انتهى إليك خبره بعد مطاولة نلنا فيها منهم مالم ينالوه منا، وأدنيت السواد من السـواد حتى تعارفوا بالوجوه، وقاتلت الأغمار[2] فكان مايسوءهم منادون مايسرهم وكـان مايسرهم منـادون مايسـوءهم ومايسرّنا منهم فوق الذي يسوءنا، حتى وقع بينهـم الاختـلاف ففـرّق الله أهـواءهـم وألـقى بأسـهـم بينهم، ولم يزل الله يمحصنا[3] ويمحقهم، وينصرنا ويخذلهم حتى بلغ بنا وبهم الكتاب أجله، فقطع

---

(١) بني يشكـر: قبيلة من بكـر بن وائـل وهـو يشكر بن بكر بن وائل قوم الحارث بن حِلّزة اليشكري صاحب المعلّقة.

(٢) الأغمار الغُمْر: لم يجرّب الأمور بيّن الغُمارة من قوم أغمار.

(٣) المحص: في اللغة التخليص والتنقية وفي التنزيل ليمحّص مافي قلوبكم: أي بما يقع عليهم من قتل أو ألم أو ذهاب مال، ويمحق الكافرين: أي يستأصلهم ـ اللسان ـ

دابر الكافرين والحمد لله رب العالمين.

فكتب الحجاج: إن الله قد صنع بالمسلمين خيراً، وقد فُرغ من عدوكم، وأراحكم من كثير مما كنتم فيه، فاقتسم ماأفاء الله عليك فيمن معك، فأما قطري وعبيدة فنحن كافوك إياهم بعون الله وتوفيقه فأقبل وليكن معك بنوك وفرسانك، ولا تُطمعنّ أحداً في اللحاق بأهله دون قدومك عليّ، واستخلف على كرمان.

فاستخلف ابنه يزيد وأوصاه بالقصد والمبالغة في الأمور، وكان قد بعث بكتاب الفتح مع كعب الأشقري(1) ومرّة بن تليد الأزدي أزد شنوءة، فأنشد كعبٌ الحجاج قوله:

[من البسيط]

ياحَفصَ إنّي عَداني عنكمُ السَّفـرُ [وقد أَرقتُ وآذى عينيَ السَّهرُ](*)

فقال الحجاج: أخطيب أنت أم شاعرٌ؟ فقال: خطيب شاعرٌ. قال: فأخبرني عن بني المهلب قال: المغيرة سيّدهم وأشجعهم، وحسبك بيزيد فارساً، وماالستحى شجاع أن يصدّ عن مدرك، ومالقي الأبطال مثل حبيب، وعبد الملك موت ناقع، وكفاك ببأس مفضل ونجدته، وأسخاهم قَبيصة ومحمدٌ ليث عادٍ.

ثم قال لابن تليد: أخبرني كيف كانت حالكم؟ قال: كنا إذا لقيناهم بعفونا وعوفهم يئسنا منهم، وإذا لقيناهم بجّدنا طمعنا فيهم، قال: فكيف كان بنو المهلب؟ قال: حُماةُ السَّرح نهاراً وفرسان البيات، قال: فأين السماع من العيان؟

---

(1) كعب الأشقري: شاعر ذكره الأغاني وهو من الأشاقر بطن من الأزد والأشقر هو سعد بن عائذ (الصليمي) بن مالك ابن عمرو بن مالك بن فهم بن غنم بن دوس بن عُدثان بن عبد الله بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد.

(*) القصيدة موجودة بكاملها في الطبري: ج: ٦ ص: ٣٠٤

قال: السماع دون العيان، قال: فأيهم أفضل؟ قال: هم كالحلقة المفرغة لايُعرف طرفاها.

فوصل بني المهلب وأهل البلاء والغناء ممن كان معه وزادهم في الأعطية، وولّى الحجاجُ المهلّبَ خراسان.

وكان المهلب يقول: ماأحبّ أن لي مكان بيهس[1] بن صُهيب ألف فارس فقيل: إنه ليس بشجاع، قال: لكنه سديد الرأي عاقل حذر فهو لايدع الاحتراس والسؤال، ولو كان مكانه ألف فارس شجاع لناموا حتى يحتاج إليهم.

محاربة قطري بن الفجاءة وقتله.

١٨١ - قالوا وعقد الحجاج لسفيان بن الأبرد الكلبي على خمسة آلاف، وضرب على أهل الكوفة بعثاً فخرجوا في عشرة آلاف عليهم الصباح بن محمد بن الأشعث، ويقال إسحاق بن عبد الله بن الأشعث وجعل على جماعة الناس سفيان بن الأبرد، وقال له الحجاج: أتدري إلى أين تسير؟ قال: نعم إلى كلاب النار، فقال: اعلم إنك تسير إلى أُسد الشرى وسباع العرب، يرون الموت قربة إلى الله ويعدّون الفرار كفراً، فعليك بالصبر والعزم، والقوم أصحاب مناجزة وإياك والعجلة.

فسار سفيان وجعل على ساقته البختري بن عامر العاملي[2] فمر بالأخضر

---

(١) بيهس بن صهيب من أشراف أهل الشام وهو أبو المقدام بن صهيب بن عامر بن نائل بن مالك بن عبيد بن علقمة بن سعد بن كبير بن غالب بن عدي بن شمس ابن طرود بن قدامة بن جرم بن زبّان (عِلاف) بن حلوان بن عمران ابن الحاف بن قضاعة.

(٢) العاملي: نسبة إلى عامله وهي قبيلة من قضاعة وهي عاملة بن التيم بن النمر بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران ابن الحاف بن قضاعة.

ابن ورقاء الكلبي ومصاد بن زياد القيني، والوازع بن زؤالة الكلبي وهم سكارى فشتموا البختري، فقال له سفيان: هلا ضربت أعناقهم! وبلغ الحجاج أمرهم فحكّوا[1] على أسمائهم فكتب فيهم فردّها.

قالوا ومضى قطري وأصحابه نحو مكران وماوراءها، فأوقع ببعض من كان بأطراف بلاد السند ومضى بعض أصحابه إلى سجستان، وأتى عبيدة بن هلال قومس فصار بها، ومضى قطري في طريق خراسان ثم عدل يريد الأصبهيذ بطبرستان، وبلغ الأصبهيذ ذلك فبعث إلى قطري والخوارج يسألهم عن أمرهم، فقال قطري: نحن قوم أنكرنا جُوْر سلطاننا فتنحينا عنهم، ونحن قوم لانظلم أحداً ولا نغضبه ولاننزل عليه إلّا برضاه، فأذن له الأصبهيذ في دخول بلاده، فدخل قطري طبرستان في أصحابه، فلما استقرّ بعث إلى الأصبهيذ يدعوه إلى الإسلام أو الجزية.

فقال الأصبهيذ لرسله، قولوا له أنت رجل دخلت بلادنا طريداً فآويناك وأحسنا إليك فتبعث إليّ بمثل هذه الرسالة! فأرسل إليه: أنه لايسعني في ديني غير هذا، فصار الأصبهيذ إليه ليخرجه عن بلده، فأوقع به قطري وهزمه وقتل ابنه وأخاه، فخرج حتى أتى البرّي وغلب قطري على طبرستان، وأتى الطبري سفيان بن الأبرد وقد وافايا الرّي فوضع يده في يده وحدّثه بما صنع قطري، وقال له: أنا أدخلك عليه في طريق مختصرة حتى توافيه وهو لايشعر بك، ففعل فقاتل سفيان ومن معه قطرياً وأعانه الأصبهيذ وأساورته[2] وجعل قطري يقول:

[من الرجز]

أنـا أبـو نَعـامَـةَ الشّيخُ الهَبِلْ ... أنـا الّـذي ولدتُ في أحْرى الإبلْ

---

(١) فحكّوا: أي مسحوا أسمائهم من الديوان فكتب فيهم الحجاج فردّها أي ردّ الكتابة بأسمائهم.

(٢) الإسوار والأسوار: الواحد من أساورة فارس وهو الفارس من فرسانهم المقاتل ـ اللسان ـ

فطعنه رجل من أهل هشام في صدغه فانهزم وأصحابه، فاتبعهم أهل الشام فقتلوا منهم خلقاً، وعثر بقطري فرسه فاندقت فخذه، ووقع بين صخرتين وأتى إليه باذام مولى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، فقال باذام: الساقط بين الصخرتين والله قطري، فقال قطري: يافاسق أنا غُزَيلكم أو قال أُرَينبكم الذي تطلبون، فاختلف وباذام ضربتين، فكانت ضربة قطري ضعيفة وضربه باذام فأبان يده ثم احتز رأسه، وادّعى سورة بن الحر التيمي أنه قتله معه.

وقال المدائني: انهزم قطري فإذا هو قد وقع إلى غيضة، فنزل عن فرسه فقاده حتى انتهى إلى موضع فيه ماء، فأقام عنده وذلك في الصبّح، وأقبل سورة بن الحر وباذام مولى الأشعث بن قيس وشنظير الثعلبي أحد بني ثعلبة بن يربوع يطلبون قطرياً، فأخبروا بأن رجلاً دخل الغيضة فطلبوه فيها فوجدوه قائماً يصلي وقد نزف دمه وضعف، فقال لهم: أنا غُزَيلكم الذي تطلبون، فقال سورة لباذام: إن شئت أتيته أنا من بين يديه وأتيته أنت من خلفه، وإن شئت فأنا آتيه من خلفه وأنت من بين يديه. فتلقاه سورة من بين يديه وأتاه باذام من خلفه، فقتلاه واحتزا رأسه فاختصما فيه، ووافاهم أبو الجهم الكلبي فأخذ الرأس وأتى به سفيان فبعث به إلى الحجاج.

ويقال إن سورة كان يقول: رأيت قطرياً وهو على فرس وخلفه امرأة على بغل فاتبعته أنا وباذام ونحن لانعرفه فحملت على المرأة فلما غشيتها نادت: ياأميرَ المؤمنين فعطف عليّ وشددّت عليه فعانقته فسقطنا إلى الأرض فصار تحتي وندّت سيفه من يده فزحف يريد السيف وصارت إبهامه في يدي فرضضتها حتى فتر، وجاء باذام فضرب بالسيف بطنه، واقتتلت أنا وباذام على رأسه، ويقال إن الذي قتل قطرياً عثمان بن أبي الصلت.

المدائني قال: قال معاوية بن محصن الكندي: رأيت قطرياً وقد صرع في الشعب وهو يهوي ولا أعرفه وحوله نساء فيهن عجوز فحملت عليهنّ فانتضت العجوز السيف فضربتني فجرحتني في عنقي، وضربتها فقتلتها. وأتى علجٌ قطرياً وهو لايعرفه، فقال له: اسقني ولك سلاحي فمضى العلج فحدر عليه صخرة فأوهنت فخذه، وأتاه سورة فقتلهُ واختصم في رأسه سورةُ وبَاذام وشنظير الثعلبي وعثمان بن أبي الصلت وجعفر بن عبد الرحمن بن مِخْنَف والصبح بن محمد بن الأشعث.

وقال جعفر بن عبد الرحمن: إني عرفته لم تكن لي همّة إلا قتله لأنه قتل أبي.

مقتل عبيدة بن هلال اليشكري:

١٨٢ ـ قالوا لما قُتل قطري وبعث سفيان برأسه، أتى قومس وبها عبيدة بن هلال فحصره ثلاثة أشهرٍ، ويقال خمسة أشهرٍ ووضع عليه المنجنيق فضاقوا وضجروا، وصاروا إلى ذبح دوابهم وأكلوا لحومها، وأكلوا الجيف، فذلك حين قال عبيدة:

[من الطويل]

إلى الله أشكو مانرى بجيادِنا ... بقومِسَ هَزلى مُخُهنَّ قليلُ

فإن يَكُ أفناها الحصارُ فربّما ... تشحّطَ فيها بينهنّ قتيلُ

وأشرف عبيدةُ عليهم، فقال: أقرأ عليكم أو أنشدكم؟ فقالوا: أنشد، فقال: يافسقة قد علمت أنكم تؤثرون الشعر على القرآن.

ونادى سفيان: من خرج فهو آمن، فهمّ قوم بالخروج كثير.

وقال الهيثم: نادى سفيان: يامعشر الأزارقة لا أمان عندي إلاّ لمن جاء برأس صاحبه، فكان الرجل منهم يخاف ابنه وأخاه على قتله لما هم فيه من الجهد. وخرج

عبيدة فاقتتلوا في يوم جمعة إلى المساء، ثم دخل عبيدة القصر وانهزم قوم من أصحابه فلم يدخلوا القصر، فاتبعهم سفيان فأخذهم أسراء فقتلهم، وقال عبيدة:

[من الطويل]

ومازالتِ الأقدارُ حتّى قَذفنَني ... بقومس بينَ الفُرّخان وصولُ
إلى اللهِ أشكو لا إلى الناس أشتكي ... بقومسَ إذ فيها الشُّراةُ حلولُ

ووعظ أصحابه فقال: إنما هي ساعة حتى يظفروا أو تستشهدوا فما بعد الحصار إلّا القتل فخرجوا وشدّوا على سفيان وأصحابه، وقالوا: الحصن لمن غلب فكُشِف أصحاب سفيان ثم بقي في جماعة من أهل الشام ليسوا بالكثير، فقال سفيان: ياأهل الشام، ياأهل الصبر والحفاظ ياحماة الأدبار أعن هؤلاء الأكلب تفرّون؟! فتراجع الناس فقال سفيان: الأرض فنزلوا جميعاً وصبروا، فقال عبيدة: ياإخواني روحوا إلى الجنّة، فقاتل وقتل عبيدة وعامّة أصحابه واستأمن الباقون، فأمّنهم سفيان، وكان من المستأمنة حطّان الأعسر، فقال شعراً:

[من الطويل]

بُليتُ وأبلاني الجهادُ وسَاقني ... إلى الموتِ إخوانٌ لنا وأقاربُ
شَريتُ فلم أُقتل ونازلتُ لم أُصب ... كذاكَ صروفُ الدهرِ فينا عَجائِبُ

واستأمن قيس الأصمّ وهو قيس عسعس ويلقّب الخشبي، ثم كُفّ بصره فمر بقومس، فقال لقائده: أيّ موضع هذا؟ فأخبره، فقال: قِفْ بي أبكي إخواني، وقال:

[من الطويل]

ذكرتُ الشّراة الصادقينَ بقومسٍ ... وذِكري لهم ممّا يَهيجُ شُجوني

وكان الحجاج كتب إلى سفيان يستبطئه في أمر عبيدة ويُصغّر ماعمل، فقال: إن أبا محمد لايرضى حتى يجعل المحسن مسيئاً والمطيع عاصياً.

قالوا وكانت عند قطري العيوف بنت يزيد بن حبناء التميمي، فولدت ابنتين، مُزنة والفُجاءة، فأخذ سفيان الفجاءة فبعث بها إلى عبد الملك، فصارت إلى العباس بن الوليد فولدت له الحارث والمؤمّل، فلما ولي عمر بن عبد العزيز أمر بردّ سبايا الأزارقة، وقال للعباس: خلّ سبيلها أو تزوجها إن رضيت فتزوجها برضاها، ويقال إنه كانت عند العباس نعامة بنت قطري.

قال المدائني: وفد على عمر بن عبد العزيز قوم من بني مازن[1] في أمر بنت قطري، فقال شاعرهم:

[من الطويل]

أتـيـنـاكَ زوّاراً وَوفـداً إلى الّـتي	أضاءت فأضفى من الناسِ نُورُها
أبـوهـا عميد الحيّ عمـروٌ وأمُّهـا	من الحَنفيّات الكـرامِ قبـورُهـا
فإن تكُ كانـت حيثُ كانـت فإنّها	لها أسرة منـا كرامٌ نَفـيرُهـا

فقال عمر: قد تزوّجها برضاها.

وقال رجل للحارث بن العباس أنت ابن الخلائف الأربعة، قال: ويحك من الرابع؟ قال: قطري.

وقال الهيثم: بعث سفيان بن الأبرد برأس قطري ورؤوس أعلام من معه إلى الحجاج مع الوليد بن بخيت الكلبي.

---

(١) قطري من بني مازن بن مالك بن عمرو بن تميم.

أمر أبي فديك عبد الله بن ثور أحد بني قيس ابن ثعلبة بن عكابة

١٨٣ - أمر أبي فُدَيك بن عبد الله بن ثور أحد بني قيس بن ثعلبة بن عكابة.

قالوا ولما خالف نجدة بن عامر من خالفه من أصحابه ولّوا أمرهم أبا فُدَيك عبد الله بن ثور، وكانوا بايعوا قبله ثابتاً اليماني، وكانت أخته عند أبي فديك، ثم قالوا: لايقوم بأمرنا إلا رجل من العرب وجعلوا الاختيار إليه، فاختار لهم أبا فُدَيك.

فلما ولي خالد بن عبد الله بن خالد بن أَسِيد البصرة، وجّه أخاه أميّة بن عبد الله إلى أبي فديك وهو بالبحرين، فهزمه أبو فُدَيك وفضحه، فقال الفرزدق:

[من البسيط]

جاؤوا على الـرّيحِ أو طاروا بأجنحةٍ ساروا ثلاثاً على الجلحاءِ من هَجرا[1]

حدثنا أبو خلف بن سالم المخزومي، ثنا وهب بن جرير بن حازم عن أبيه عن عمه صعب بن زيد ومحمد ابن أبي عيينة، قالا: خرج أبو فديك بالبحرين فلقيه أمية بن عبد الله فهزمه، فركب أمية فرساً له جواداً كان يقال له المهرجان فدخل البصرة عليه في ليلتين أو ثلاث، فقال يوماً وهو بالبصرة: لقد سرت على المهرجان إلى البصرة فدخلتها في ليلتين أو قال ثلاث فقال له بعضهم: هذا المهرجان فلو ركبت النوروز لم تسر ليلة حتى تدخلها.

---

(١) ذكره في الديوان مع ثلاثة أبيات وتغيير بعض الكلمات ص: ٣٤٢

حدثنا خلف[1] بن سالم وأحمد بن إبراهيم الدورقي، قالا: ثنا وهب بن جرير عن أبيه عن صعب بن زياد وغيره.

قالوا: خرج أبو فديك بالبحرين فبعث إليه خالد أخاه أمية فهُزم، فبعث إليه عُمر بن عبيد الله بن معمر فقتله، وقالوا هزم أبو فديك أميّة وهزم قطريٌّ عبد العزيز بن عبد الله بالأهواز بعد ذلك، وفضحه فقال الفرزدق:

[من الطويل]

[و] كُلُّ بني السوداءِ قد فرَّ فرَّةً فلم تبقَ إلاّ فرَّةٌ عند خالدِ
فضحتُم قُريشاً بالفرارِ وأنتمُ لدى الحربِ أنكاسٌ قِصار السَّواعدِ(*)

قال الهيثم: هزم أبو فُديك أميّة بن عبد الله، فندب عبد الملك عمر بن عبيد الله بن معمر، وضمّ إليه عبد الرحمن بن عِضاة الأشعري ومعه وجوه أهل الشام، وقدم الكوفة فأجلسه بشر على سريره وأكرمه فسار فواقع أبا فُديك فانهزم أهل البصرة، وقاتل في أهل الشام والكوفة، فقتل أبا فديك، وكان لقاؤه إياه بالبحرين، وكان أبو فديك في اثنى عشر ألفاً، وكان على جند البصرة عبّاد بن الحُصين، ونُصب رأسُ أبي فديك في رحبة البصرة، قال ودعا عُمر أعشى همدان، وقال له: ياأبا الصبح سر إلى بشر بالفتح وقُل فيه شعراً.

وقال ابن الكلبي: كان محمد بن موسى بن طلحة بن عبيد الله التيمي[2]، وعمر بن موسى بن عبيد الله بن معمر يتباريان في فعلهما، وكان في جيش عمر بن

(*) لم تذكر في ديوان الفرزدق.

(1) في الأول أبو خلف وهنا خلف وصحته خلف وهو خلف بن سالم أبو محمد السندي البغدادي ـ فهرس أعلام النبلاء ـ.

(2) التيمي: يعني تيم بن مرة من قريش قوم أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

عبيد الله، فقال عبد الله بن شبل البجلي بفضل عمر بن موسى بن عبيد الله بن معمر، وهو الذي خرج مع ابن الأشعث بعد فقتله الحجاج:

[من الطويل]

تُباري ابنَ موسى يابن موسى ولم تكُن ... يَداكَ جميعاً تَعدلانِ لهُ يَدا
تُباري امرأً إحدى يديهِ مُفيدةٌ ... وإحداهُما تَبني بناءً مُشيَّدا(*)

ووُجّه محمد بن موسى بعد إلى شبيبٍ فقتله شبيبٌ[1]، وقال أبو اليقظان كان على جيش أهل البصرة مع عمر بن عبيد الله حين توجّه إلى أبي فديك عمر بن موسى بن عبيد الله بن معمر، وكان آخا عبد الله بن عامر لأمّه، أمهما دجاجة بنت الصلت، وعلى جيش أهل الكوفة محمد بن موسى بن طلحة بن عبيد الله، وقال العجّاج[2]:

[من الرجز]

لقد شَفاكَ عمرُ بنُ معمَرِ ... من الحروريّينَ يومَ العسكَرِ
وقعَ امرئٍ ليس كوقعِ الأعورِ

يعني عبد الله بن عمير الليثي، وكان قد وجّه إلى بعض الخوارج نجدة أو غيره فهُزم.

(*) ذكر البيتين في جمهرة ابن الكلبي. ج: ١ ص: ١٠١

(١) شبيب الخارجي وهو شبيب بن يزيد بن نُعيم بن قيس بن عمرو (الصلب) بن قيس بن شراحيل بن مرّة بن همام بن مرّة بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن عكابة ابن صعب علي بن بكر بن وائل.

(٢) جاء في الأغاني: هو من مخضرمي الدولتين وأخذ عنه وجوه أهل اللغة وهو العجاج الراجز واسمه عبد الله بن رؤبة بن لبيد بن صخر بن كثيف بن عميرة بن حُنيّ بن ربيعة بن سعد بن مالك بن سعد بن زيد مناة بن تميم.

وقال العجاج في أرجوزته التي في مر أولها:

قد جَبَر الدِّينَ الإلهُ فجبَر هذا أوانُ الجدّ إذ جدّ عُمر

وصرّح ابنُ معمرٍ لمن ذَمر

المدائني عن أشياخه قالوا: بويع عبد الله بن ثور أبو فُديك إحدى الحرقتين، والحرقتان تيم وسعد ابنا قيس بن ثعلبه بن عكابة سنة إحدى وسبعين وأقام باليمامة ستة أشهر ثم فتك به مسلم بن جبير وهو من أهل الحجاز لمخالفته إياه في رأيه وقوله.

يقول نجدة: فوجأه اثنتي عشرة وجأة وقال:

[من المتقارب]

[و] خالفتُ قوميَ في دينهم خلاف صَبا الرّيح جاءت جنُوبا

أُرجّي الإله وغفرانهُ ويرجونَ درهمهُم والجَريبا

فقُتل مسلم وحُمل أبو فُديك فبرىء من جراحاته، وقيل لأبي فُديك لا خير لك في المقام باليمامة مع بني حنيفة لأنا لا نأمنهم عليك، فخرج أبو فُديك إلى البحرين فأقام بجُواثاء، فوجّه إليه مصعب بن الزبير محمد بن عبد الرحمن الإسكاف، فقال أبو فديك: يامعشر المسلمين إن الله قد أذهب عنكم نزغ الشيطان، وأنقذكم من فتنة نجد وصيّركم إلى أنصاركم، فأنتم تناضلون عن دين الله أو ماسمعتم ماأعدّ الله للمجاهدين في سبيله حين قال: ﴿ وَالَّذِينَ جَٰهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾[1] فمن كان الله معه فهو المُفلح المنجح،

---

(١) سورة العنكبوت رقم: ٢٩ الآية رقم: ٦٩

وقال: ﴿ ولاَ تَحسَبنَّ ٱلَّذينَ قُتلُوا في سَبيلِ اللَّهِ أَمواتاً بَلْ أَحيآءٌ عِندَ رَبّهم يُرزَقُونَ ﴾[1] فاشروا أنفسكم تنالوا الفوز كما وعدكم، و ﴿ٱصْبرُوا وصابِرُوا ورَابِطُوا وٱتَّقُوا اللَّهَ لعلَّكُم تُفلِحُونَ ﴾[2] وإياكم والفرار من الزحف فتبوءوا بسخطٍ من الله ويحلّ عليكم غضبه، ثم ناهضهم.

وكان البصريون يرون أن ابن الاسكاف إذا عاين أبا فُديك قتله، فلم ينتصف النهار حتى انهزم البصريون ومضى ابن الاسكاف مهزوماً. وأقام أبو فديك بالبحرين.

وسار مصعب إلى الكوفة وتشاغل بأمر عبد الملك ولقائه، فجمع زياد بن القرشي جمعاً من أهل البحرين ومن أهل البصرة، ولقي أبا فديك مُحتسباً، فقال له السائب بن الأخرس من ولد اللُّبوء بن عبد القيس: ويحك يابن القرشي، لاتخرج إليهم، فأبى وسار إليهم فلقيه عُمارة الطويل، وهو عُمارة بن عقبة بن مُلَيل، وعُمير ابن سلمى من ولد زيد بن يربوع بن ثعلبة بن الدّول بن حنيفة، فقُتل ابنُ القرشي وتفرّق أصحابه فقال الشاعر:

[من الوافر]

تَمتَّع قبلَ جيش أبي فُديكٍ ... وقبل عُمارة الرّجلِ الطّويلِ
أغرُّ سُميدعٌ يمشي إذا ما ... تتابعَ مشيةَ الجملِ الصَّؤُولِ
وقبل الطيرِ تنهشُ لحم قومٍ ... بمُعتركِ البيادقِ والخيولِ
وقبل معرِّسٍ لاشكَّ فيه ... سينأى بالخليلِ عن الخليلِ
فمالَكَ حين تقطع صهر تاجٍ ... إلى البيض العَباهرِ من سبيل[3]
لقاءُ الأُسدِ أهونُ من لقاءٍ ... به التحكيمُ يُشهَرُ بالأصيلِ

---

(1) سورة آل عمران رقم: ٣ الآية: ١٦٩.

(2) سورة آل عمران رقم: ٣ الآية: ٢٠٠

(3) الصهر: القرابه والصهر زوج البنت والأخت، والعبهر: الممتلىء شدة وغلظاً ورجل عبهر: ممتلىء الجسم.

المعركة بين أمية بن عبد الله وأبي فديك.

١٨٤ ـ قالوا وقتل مصعبٌ في سنة اثنتين وسبعين، وقدم خالد بن عبد الله بن خالد بن أسِيد بن أبي العيص. والياً على البصرة من قبل عبد الملك، فوجّه أخاه أمية بن عبد الله في سنة ثلاث وسبعين إلى أبي فديك في اثني عشر ألفاً وأبو فديك في سبعمئة.

فلما تواقف الجمعان وتراءَيا قال أبو فديك: قد ترون عدوكم والقليل المنصور خيرٌ من الكثير المخذول فاستنصروا ربكم واصبروا لعدوكم، فاقتتلوا ثم تحاجزوا على السواء، ثم عاودوا القتال فقاتلوهم حتى زالت الشمس، فكمن لهم ثابت التمّار في مئةٍ واستطرد الخوارج واتّبعهم أمية، فلما جاوزوا موضع الكمين خرج عليهم وهم يحكّمون من خلفهم، وكرّ أبو فديك وأصحابه، فصبر البصريون ساعة ثم انهزموا وصرع أمية فحمله عون بن عبد الرحمن بن الإسكاف التيمي، وحوى أبو فُديك عسكرهم.

ومضى أمية والناس منهزمين إلى البصرة، وأصاب أمية في طريقه ضُرٌّ ولم يجد طعاماً، فلقي أعرابياً، فقال له عون: مامعنا دارهم ولكنّي أعطيك درعي هذه وتبيعني ناقتك، قال: لا أبالك، أتراها تساوي ناقتي؟ قال: والله لهي خير منك ومن أبيك ومن ناقتك، فأخذ الدرع ونحروا الناقة فأصابوا منها فأكثر أميّة الأكل، فقال عون: ألم ينهك الطبيب عن الإكثار من لحم الجزور؟ قال: ويحك اسكت فليس هذا بموضع مزاح.

فلما قدموا البصرة لزم أمية بيته استحياء من الناس حين هُزم وفرّ، فأتاه خالد ابن صفوان[1] بن عبد الله بن الأهتم التميمي، فقال: الحمد لله الذي خار لنا عليك ولم يخر لك علينا، أما والله لقد كنتَ حريصاً على الشهادة طالباً لها، ولكن الله أبى إلا أن يزيّن بك مصرنا ويؤنس بك وحشتنا ويجلو بك غمّنا، وقال الفرزدق يذمّ أمية:

[من البسيط]

أميَّ هلاّ صَبّرتَ النَّفسَ إذ جزعت ... فتُبـلِيَ اللّهَ عُذراً مثـل من صبرا
طاروا سِراعـاً ومـاسلُّوا سُيوفَهُمُ ... وخلَّفـوا في جُواثـا سيِّدي مُضرا
ساروا على الـرِّيحِ أو طاروا بأجنحـةٍ ... ساروا ثلاثـاً إلى الجلحـاءِ من هجَرا
لو كنتَ إذ جشأت ربطتَ حُزونها ... ولم تُولّهمُ يومَ الـوغى الـدُّبُـرا(*)

يعني سيدي مضر عبد الله[2] بن الحشرج الجعدي، والحارث بن عباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ارتثّ بجواثا فحُمل إلى البصرة فمات بها ودُفن، ويقال بل مات هناك فحمل في صندوق إلى البصرة.

وقال بعض الشعراء:

[من البسيط]

يومـاً بني خالـدٍ يومـان قد فُضحا ... يومٌ بفَـسّـا يومٌ كان في هَجـرا

وقال آخر لأمية:

---

(١) خالد بن صفوان الكاتب البليغ وهو خالد بن صفوان بن عبد الله بن عمرو بن سنان (الأهتم) بن سُميّ بن سنان بن خالد بن منقر بن عبيد بن الحارث (مقاعس) بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم.

(٢) عبد الله بن الحشرج غلب على فارس أيام الفتنة وهو عبد الله بن الحشرج بن الأشهب بن ورد بن عمرو بن ربيعة بن جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن.

(*) ذكرها الديوان مع تغيير بعض الكلمات: ص: ٣٤٢

[من الكامل]

أمـا القتـالُ فلا أراكَ مُقـاتـلاً ولئـن فررت ليُعـرفـنَّ الأبـلقُ[1]

إرسال عمر بن عبيد الله بن معمر لمحاربة أبي فديك.

١٨٥ ـ وقال أبو الحسن علي بن محمد المدائني، وغيره: بلغ عبد الملك أمر أمية بن عبد الله، فقال لعمر بن عبيد الله ابن معمر بن عثمان بن عمرو بن كعب بن تيم بن مرّة، وهو عنده: اكفني أبا فُديك، فقال: لا عليّ، فقال عبد الملك: والله لتسيرن إليه، قال: والله لا أفعلُ، قال: فارفع حسابك لفارس وصحّحه قال: نعم، وقام فأتبعه روح بن زنباع الجذامي، فقال: ياأبا حفص تردّ على أمير المؤمنين ويقسم فتقسم، قال: ياأبا زرعة إن أخاه بشراً بالكوفة وابن عمه خالد بن عبد الله بالبصرة، وهما يحيلان بيني وبين ماأريد من النخبة، وإن يندبا معي إلا ضعفة الناس، من لايحامي على دين ولا حسب، فإن صبرتُ قتلتُ ضيعةً وإن أنجزت افتضحت.

فرجع روح إلى عبد الملك وأخبره بقول عمر، فأرسل إليه عبد الملك فردّه، وقال: ياأبا حفص لو رأيتَ بين عيني أمير المؤمنين وتداً، أما كنت نازعه وواقياً أمير المؤمنين مكروهه؟ قال: بلى والله ياأمير المؤمنين بنفسي وأهلي ومالي، قال: فإن أبا فُديك وتدٌ بين عيني فاكفني أمره، قال: نعم إن أعفيتني من عنت بشر وخالد، قال: فليس لأحدٍ عليك سلطان في بلد تنزله، وليس لك أن تصلّي بالناس ولا تجبي الخراج، وأنت مسلط على الدواوين وانتخب من شئت وكم شئت وكتب له بذلك إلى بشر.

---

(١) جاء في مخطوط مختصر جمهرة ابن الكلبي نسخة مكتبة راغب باشا باستنبول، في نسب الهان مايلي: قال أبو جعفر: كان جبريل بن يحيى الأحمسي أشد الناس وكان محدوداً مشؤوماً، قال خرج يوماً في بعض حروبهم على فرس أبلق فقال له بعض القوم:

أمّا القتال فلا أراك مقاتلاً ولئن فررت ليعرفن الأبلق

فسار حتى قدم الكوفة على بشر فأكرمه، وأقعده معه على السرير، وقال: والله لو لم يكتب إليّ أمير المؤمنين بما كتب فيك، لقوّيتك فهذه الدواوين فانتخب من شئت وهذا المال فأعطهم.

فانتخب من كل ربع ألفين، فأعطاهم أعطياتهم، فلم يكلّمه بشر في تخليف أحدٍ، وقال لهم: سيروا إلى البصرة، واستعمل عليهم محمد بن موسى بن طلحة بن عبيد الله، وتزوج عمر بالكوفة عائشة بنت طلحة، فأقام عندها أياماً ثم اتبع محمد بن موسى وحمل معه عائشة، فقدم البصرة وأوصل كتاب عبد الملك إلى خالد وانتخب من أهل البصرة ثلاثة عشر ألفاً، فكلّمه خالد في قوم ليخلّفهم فأبى ذلك، فمنعه خالد الديوان، فقال بيهس بن صهيب الجرمي: إن بشر بن مروان لم يكلّمه في تخليف أحدٍ، وهو أخو أمير المؤمنين ولم يطمع في ذلك، فقال: إنه لم يدع لي محدّثاً ولاسميراً، فكفّ خالد حتى استكمل ماأراد، فقال العجّاج:

[من الرجز]

لقد سما ابن معمر لما اعتمر	مغزىً بعيداً من بعيدٍ وصَبر
في نخبة الناسِ الّذي كان افتخر	ثلاثةً وستّةً واثني عشر

ألفاً يجرّونَ مِن الخيل العَكَر[1]

فقال عمر بن عبيد الله: لاحول ولا قوّة إلا بالله، وكان المهلب بالبصرة قد عزله خالد عن قتال الأزارقة، وولى قتالهم عبد العزيز أخاه، فأثبته عمر فيمن خرج معه وأثبت عبّاد بن الحُصين. فقال له المهلب: إني رمد العين فاختر أيّ بنيّ شئت ليخرج معك وأعفني، فقال: لا، وعسكر عمر وأخذ الناس في الجهاز وأعطاهم أعطياتهم، ورأى المهلب فقال له: مُر ابنك المغيرة بالتجهّز والخروج مكانك، فإن أهل مصرك محتاجون إليك يابا سعيد.

---

(١) العكر: مافوق خمسمئة من الإبل.

وبعث خالد إلى عمر بمال، فقال: اقسمه في فرسانك، فقسمه فيهم وفضّل المغيرة بن المهلب، فقال: أما والله لأربحنّ عليك ربحاً زغيبا. فتجهّز الناس بجهاز حسن وأداة كاملة وخرجوا إلى المعسكر بالنُحيَت[1]، وخرج المغيرة في ثلاثين مجفّفاً فعرضهم عمر فجاءه الصلتان العبدي، فقال: حاجتك، قال: أنشدك، قال: إيّاك أن تكلّمني في أن أعفي أحداً من وجهه هذا، ماكنتُ لأرغب بأحدٍ عنك، قال: هات فأنشده:

[من المنسرح]

لن يُعدَم الحائطُ المؤمِّلُ إن ... حلَّ بدارِ ابن معمرٍ ورقا

لايُخلفُ الوعدَ حينَ تسألُهُ ... ولايُرى عابساً ولا غَلِقا

في أبيات. فقال: حاجتك، قال: ماتركت لي حاجة غير صحبتك، قال: ماأرغبني في أن تصحبني، ولكني أكره أن أعرّضك فقال الصلتان:

[من الطويل]

رأيتُ صُروفَ الدهر ليسَ يفوتُها ... صغيرٌ ولا ذو حيلةٍ يتفكّرْ

فكم من شُجاعٍ صاولَ الحربَ قد نَجا ... ومِنْ حائِذٍ عن عُمرِهِ لايُعمَّرُ

قال له: صدقت، وأمر له بأربعة آلاف درهم، وحمله على فرس وأعطاه سلاحاً.

وصيّر عمر بن عبيد الله على أهل الكوفة جميعاً وهم ثمانية آلاف محمد بن موسى بن طلحة، وعلى ربع أهل المدينة بشر بن جرير بن عبد الله البجلي، وعلى ربع كندة وربيعة إسحاق بن الأشعث، وعلى ربع تميم وهمدان محمد بن عُمير بن عطارد، ويقال الحرّ بن ناجية، ويقال عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني،

---

(١) في هامش مخطوط المكتبة العامة المغربية صفحة ٦٨/ ٩٩٦: النحيت موضع على أربعة أميال من البصرة.

وعلى ربع مَذحجٍ وأسد زياد بن النضر الحارثي وابنه، ويقال زَحر بن قيس الجعفي.

وكان على جماعة أهل البصرة عمر بن موسى بن عبيد الله بن معمر، وعلى خمس أهل العالية سنان بن المحبّق الهذلي[1]، ويقال سعيد بن أسلم بن زُرعة الطائي[2]، وعلى بكر بن وائل أبو رُهم بن شقيق بن ثور السدوسي، وعلى تميم عباد بن الحصين وإليه الخيل كلها، وعلى عبد القيس الحكم بن مخرِّبة، وعلى الأزد المغيرة بن المهلب.

وحمل عمر بن عبيد الله معه عائشة بنت طلحة، وخلّف رملة بنت عبد الله ابن خلف فلم يحملها معه، فقال الشاعر:

[من البسيط]

أنعم بعائِشَ في عَيشٍ له أنقٌ وانبِذ برملةَ نبذَ الجوربِ الخَلقِ

ويروى: عيشْ بعائشَ عيشاً غير ذي رنق.

وقال أيضاً:

[من الرجز]

مَنْ يجعلُ الدّيباجَ عدلاً للزّيق بينَ الجواري وبينَ الصديق

كبكرةٍ مما تباعُ في النّوق

قالوا وسار بالناس فلما نزل الوفراء، وجّه خمسمئة فارس، وبعث معهم الفعلة، وقال: احفروا لي خندقاً فإذا فرغتم فاعلموني، فتقدموا فحفروا له خندقاً وأعلموه، فارتحل فنزل الخندق، وقدمهم ليحفروا في المنزل الآخر خندقاً، فلم يزل

---

(١) الهذلي: نسبة إلى قبيلة هذيل بن مدركه بن إلياس بن مضر والنسبة إليه هُذَيلي وهُذَلي قياس ونادر.

(٢) الطائي: نسبة إلى قبيلة طيء واسمه جلهمة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان.

يصنع ذلك وتُحفر له الخنادق وينزلها حتى أتى هجر ونزل بجواثا في خندق.

وأبو فُديك بالمشقر في جمع كبير من الأعراب كانوا ضووا إليه بعد هزيمة أميّة. فقال أبو فديك لأصحابه: قد أتاكم هؤلاء القوم، فمن أحبَّ لقاء الله فليقم، ومن أراد الدنيا فليذهب حيث شاء فهو في حلٍّ، فتفرّقوا عنه وبقي فيما بين التسعمئة إلى الألف. وعمر في إحدى وعشرين ألفاً.

وقال رجل لأبي فُديك: إن عطيّة بن الأسود بريء من نجدة فإن كنا مخطئين فنجدة محق وإن كنا محقّين فعطية لنا ولي، فما تقول؟ قال ليس هذا يوم نظر، عدونا قد نزل فنجمع على حربه حتى يحكم الله بيننا ثم ننظر فيما سألت عنه، فقال: علام أسفك دمي ولحق باليمامة.

وجعل عمرُ على الحرس عباد بن الحصين الحبطي، فخرج ليلة فتلقّاه المغيرة ابن المهلب فقال عباد: من هذا؟ وقال المغيرة: من هذا؟ فضربه عبّاد فشجّه، فقيل له هذا المغيرة فكفّ عنه، فغضبت الأزد للمغيرة ولبسوا السلاح، فجاء رجل من هُناءة[1] من الأزد وكان متألّهاً فقال له رجل من قومه: اتق الله، فقال: اغرب تقول لي اتق الله وقد ضُرب ابن المهلب!

وبلغ عبّاداً فقال: أعلى هذه الحال ونحن بإزاء العدو ولئن كانت بيننا شجّة ليهلكنّ هذا الجيش، فمشى إلى المغيرة فاعتذر إليه، ويقال إنه إنما كان هذا أيام مايرثا بنهر تيري وهم يقاتلون الأزارقة وضرب عبادٌ المهلب فغضبت الأزد، والأول أثبت.

وأقام عمر بن عبيد الله ثلاثة أيام، ثم أتاهم أبو فُديك فنزل بإزائهم، وخندق خندقاً دون خندق، وخرج عمر ينظر ومعه رجلان من بني حنيفة، فلقوا رجلاً من أصحاب أبي فُديك فحملوا عليه، فقال: سبحان الله أما تستحيون ثلاثة

---

(١) عند ابن الكلبي هنوء بن الأزد ـ المشجّرة رقم: ١

على فارس واحد ليبرزُ إليّ رجل رجل، فبرز إليه أحد الحنفيين فلم يصنع شيئاً وطعنه الخارجي فقتله. وخرج إليه عمر بن عبيد الله بنفسه، فوقف له الخارجي فلما دنا منه وحس بالرمح ثم ضربه بالعمود على رأسه فصرعه، ونزل إليه فأجهز عليه، ورجع عمر إلى أصحابه، فقال: مايئستُ من الحياة قط إلا يومي هذا فدفع الله، رأيت الحنفيين جميعاً قد أحسنا القتال وطعناه فلم يصنعا، فعلمت أن على جسده شيئاً يقيه الطعن فقلت لاتقتله إلا بالعمود، فلما قتله نظرت فإذا عليه سنّور.

فلما كان اليوم الرابع من مقام عمر، قال أبو ماعز الحارثي، لو خرجنا إلى هؤلاء القوم فوارس فذاقوهم فخرج أبو ماعز في ثلاثمئة فارس حتى أتى خندق أبي فُديك فأشرفوا عليهم، فخرج إليهم فوارس من الخوارج فاستطرد لهم أبو ماعز وأصحابه حتى إذا انقطعوا عطفوا عليهم فصرعوا أربعة أو خمسة، وبلغ ذلك عمر فأقبل في الناس وقد تحاجزوا وانصرف الخوارج، فلام عمر أبا ماعزٍ، وقال: كدتم تفضحونا، لو قتل منكم رجل لهدّ العسكر، فقال مجّاعة بن عبد الرحمن العتكي: قد وقى الله ماحذرت، ورجع عمر إلى عسكره.

فلما كان الغد نهض عمر للقتال وصفّ الناس وقدّم الرجالة، وخرج الخوارج من عسكرهم فركزوا رماحهم واستتروا بالبراذع، فقال أهل البصرة للرجالة: حرّكوهم، فقال عبّاد: إن خلف هذه البراذع أدرعاً شداد وأسيافاً حداداً، وأنفساً سخية بالموت، وهم شادّون عليكم شدّةً لايقوم لها شيء، فإن كانت فيكم جولة فليكن انصرافكم على حامية يمنع بعضكم بعضاً، فإنهم يتبعونكم وأكثرهم رجالة، فإذا لغبوا[1] فكرّوا عليهم، قال: وقال رجل من الخوارج شدّوا عليهم واحذروا خطبة الحمار - سمّوا عباداً الحمار - يقول: احذروا قول عباد حين قال: ليكن انصرافكم على حامية، فإذا لغبوا فكرّوا عليهم.

---

(١) لغبوا: اللغب: التعب والإعياء ولغبوا تعبوا وأعيوا - اللسان -

(٢) أبو طالوت: واسمه مطر بن عقبة بن زيد بن شهل (الفند) بن شيبان بن ربيعة بن زِمّان بن مالك بن صعب بن علي بن بكر بن وائل.

فنحّوا البراذع واحتملوا رماحهم وسيوفهم، وشدّوا على الميسرة وفيها أهل البصرة فكشفوهم فذهبوا في الأرض، وصرع المغيرة فحماه الكوثر بن عبيد، ويقال عبد بن معمر، واعتزل المغيرة بن المهلب ومجّاعة بن عبد الرحمن الأزدي في فوارس، فقاتلوهم وتراجع الناس فردّوا الخوارج وحازوهم إلى موقعهم، ومرّ أصحاب عمر ابن عبيد الله بعمر بن موسى جريحاً فاحتملوه، وشدّوا على الخوارج حتى أدخلوهم عسكرهم وأحرقوا فيه نبتاً، وهاجت الريح فأمالت الدخان في وجوههم، فقتلوا منهم ثلاثة ويقال ثمانية وذلك الثبت، وأسروا ثلاثة نفر فقتلهم عمر صبراً.

فلما كان اليوم الثالث من هذا اليوم باكرهم أبو فُديك بالقتال، فقال لأصحابه: إن قتلت فأميركم أبو طالوت، وزحفوا جميعاً مستميتين فشدّوا على الناس شدّة أزالت الميمنة والميسرة والقلب من أهل العراق، فبقي عبّاد بن الحصين وسنان بن سلمة والمغيرة بن المهلب، فأمر عباد غلمانه مهيراً ووازعاً وميسرة فجثوا وأشرعوا رماحهم، ونادى عباد: أيها الناس أنا عبّاد، فقال له غلامه الوازع: ياسيدي لاتنوّه باسمك فيقصدوا إليك، قال: ويحك إني إن ثبت ولم أنوّه باسمي أقدموا عليّ، فإذا عرفوني لم يقدم عليّ منهم أحدٌ، فرجع مجاهد بن بلعاء في الخيل، وكان عبّاد صيّره خليفته على الخيل، فرجع في عدّة من البصريين وجماعة من أهل الكوفة من بني تميم، ومضى الباقون، فلم يكن لهم ناهية دون البصرة، فقال عباد لمجاهدٍ: احمل عليهم، فقال: إني عليك لهين حين تأمرني بالإقدام بالخيل وليس معي رجالة تقيها، فقال عباد: فليترجّل بعضهم فترجّلوا، وقال عمر لعباد: ماترى فقد ذهب الناس، قال: الصبر فقال: ماشاورتك إلا وأنا أريد أن أسألك أي موتة ترى أن أموت، قال: انزل، فنزل عن برذون له أشهب أبيض، وأقدموا عليهم، فكان عبّاد يحمل عليهم فيطاعنهم ثم يرجع فيقول: إنا لله وصبروا ملياً.

مقتل أبي فديك:

١٨٦ ـ فسمعوا صارخاً يقول: صُرع أمير المؤمنين يعني أبا فديك وأطافوا به، وأقبل عمر كأنه جمل هائج قاصداً لمصرع أبي فديك، وحماه أصحابه حوله،

شدّوا عليه بأسيافهم فما انثنى حتى أخذ برجل أبي فديك فسحبه والدم يسيل من كمّه والسيوف تأخذه، فذبّ عنه عبّاد بن الحصين والمغيرة بن المهلب، وسنان بن سلمة، ومحمد بن موسى، ومجاهد بن بلعاء حتى أفرجوا عنه وانحازوا ورجل أبي فديك في يده.

فقال: احتزوا رأسه فاحتزّوه وبعث به من ساعته إلى البصرة، واتبع ابن بلعاء الخوارج ثم رجع ومضى الخوارج إلى المشقر.

فوجه عمر بن عبيد الله إليهم مجاهد بن بلعاء، وبيهس بن صُهَيب الجرمي، وعرفطة بن رجاء اليشكري، فحصروا الخوارج حتى نزلوا على حكم عمر، فقتل الموالي واستحيا العرب.

هرب عبد الله بن صباح الزماني.

١٨٧ ـ وكان على خيل أبي فُدَيك عبد الله بن صُباح الزّماني[١]، فلما طلب الأمان كلّم قوم من بني حنيفة عُمر، وقالوا: إنّا قد أمّناه، فقال: لا ولا نعمة عين، وأرسل إليه فحبسه فهرب من السجن، فلقي أعرابياً معه بعيران، فقال: أتكريني إلى اليمامة؟ فقال: نعم بكذا وكذا، وقال عبد الله: بل أضعفه لك على أن ترفق فيه في السير، قال: ذاك إليك، فحمله وطلبه عمر بن عبيد الله بن معمر، وبلغ الأعرابي أن عمر يطلب ابن صُباح الزِّماني، فلما سار بقيّة يومه، قال للأعرابي: أتدري من أنا؟ قال: لا، قال: أنا عبد الله بن صُباح الزِّماني هربتُ من السجن وعمر يطلبني وإن أخذني هلكت وذهب بعيرك، فأنت أعلم، قال: غررتني، قال: أتراني أضعف لك كراءك وأنا آمن، فطرد به شلّاً[٢] حتى قدم اليمامة.

---

(١) الزّماني نسبة إلى بطن من قبيلة بكر بن وائل وهو زِمان بن مالك بن صعب بن علي بن بكر بن وائل.

(٢) الشّلُّ: المطرد شللت الإبل أشلها شلّاً: إذا طردتها فانشلت ـ اللسان ـ

ثم أتى البصرة فاستجار بعامر بن مِسمع، فأخذ له عامر بن مسمع الأمان من خالد، فكان يغدو إلى خالد، وتزوّج ابنُ صُباح ابنة عطية بن الأسود، وأقام بالبصرة حتى قدم الحجاج بن يوسف، فدخل عليه، فقال له من أنت؟ قال: رجلٌ من ربيعة، قال: هات نسباً أقرب من هذا، قال: من بني بكر بن وائل، قال: من أيهم؟ قال: من بني مازن، قال: فمن أنت؟ قال: عبد الله بن صالح، قال: صاحب خيل أبي فُدَيك؟ قال: نعم، قال: لئن تغيّبت عني لأقطعن يدك ورجلك أو لأضربن عنقك، فخاف فهرب إلى اليمامة.

فكان في أصحاب إبراهيم بن عربي[1] وأظهر التّوبة من رأي الخوارج فرأى يوماً رؤوساً تشبّط[2] فغُشي عليه فعلم أنه على رأيهم.

فعل خالد بن عبد الله عندما علم بالهزيمة.

١٨٨ ـ قالوا وقدم المنهزمة من أبي فُديك البصرة، فكان أول من دخل منهم عبد الله بن عثمان بن أبي العاص الثقفي، ثم تتابعوا فسرّ ذلك خالد بن عبد الله ودعا بسريره فجلس عليه وأعلم الناس، أن عمر قد انهزم وأرسل إلى عبد الله بن عُمير الليثي[3]، وكان قد انهزم عن بعض الخوارج[4] يبشّره بانهزام عمر، فأعتق كل مملوك له. وبعث خالد يوم جاءه خبر هزيمتهم رسولاً إلى عبيد الله بن عبد الله بن معمر، فأخبره بأن أخاه قد انهزم فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون إني لأنتظر من الله إحدى الحسنتين الشهادة أو الظفر، فأمّا الهزيمة فلا أخافها عليه ولاسيما ومعه ابنة

---

(١) إبراهيم بن عربي والي عبد الملك على اليمامة.

(٢) تشبط: كانت الخوارج يحلقون رؤوسهم أقصر مايكون الشعر وتشبط رؤوسهم بالموسى أو يحلق نصف الرأس بالموس بشكل مستطيل أحد عرضيه أقل من الثاني، وأنا شاهدت بعضاً من أهل حماة ماقبل عام ١٩٥٠ يحلقون بهذا الشكل ولايعرفون ما السبب ولكنها بعض العادات التي ذهبت الآن.

(٣) الليثي: نسبة إلى ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة.

(٤) في هامش مخطوط المكتبة المغربية يقول: كان انهزامه عن نجدة بن عامر الحنفي.

عمه(١).

ودخل المهلب على خالدٍ، فقال: إيه يابا سعيد ماعندك من خبر أبي حفصٍ؟ فقال: عندي أن أبا فديك قد قتل ورأسه يأتيك، قال: وما علمك؟ قال: وجّهت مع المغيرة ابني غلامين، فقلت إن ظفر عمر فوجّه إليّ فلاناً وإن ظفر أبو فديك فوجه فلاناً، ولا ترسلنّ واحداً منهما حتى يتبينّ لك الظفر. فبعث بالذي أمرته أن يرسله إذا ظفر عمر، قال: ماأتاك الغلام إلا منهزماً، قال: مابذلك أخبرني.

قالوا فإنه ليحدّثه إذ دخل رسول عمر بن عبيد الله برأس أبي فُدَيك فألقاه بين يديه. فقال: ويحك كيف كان الأمر؟ قال: انهزم الناس وصبر عُمر وعباد ونُفير يسير معهما ساعة، ثم كرّ أهل الحفاظ فقاتلوا الخوارج فقُتل أبو فديك، وأُخذ الرسول بأذنيه ثم هزّه، وقال: يابا فُديك كيف رأيت ضرب بني عثمان؟ يعني عثمان ابن عمرو ابن كعب بن تيم بن مرّة بن كعب بن لؤي، وذاك أن عمر بن عبيد الله من ولده.

فتناول خالد نعليه فانتعل، وقال: أفٍ ودخل مغموماً.

فكان عباد بن الحصين يقول: مارأيتُ أحداً يقاتل يوم أبي فُديك غير المغيرة ابن المهلب، وسنان بن سلمة بن المحبّق. وقالت عائشة بنت طلحة يومئذٍ: من الرجل الذي كان إذا صاح كادت الأرض تتصدّع من صوته؟

فقال لها عمر: ذاك عبّاد بن الحصين.

وقال خير بن حبيب بن عطيّة أحد بني مالك بن سعد: استأذنت على عمر ابن عبيد الله بن معمر بالبحرين، فقال آذنه: من أنت؟ قلتُ: خيرٌ، فدخل ثم رجع إليّ فقال: ابن خير؟ قلت: خير بن حبيب، وعلمت أنه قد عرفني فتفاءل

---

(١) ابنة عمه أي زوجته عائشة بنت طلحة أجمل امرأة في قريش مع سكينة بنت الحسين عليه السلام. وكانت زوجتا مصعب بن الزبير قبل أن يقتل. وعائشة من بني تيم مثل عمر بن معمر ولذلك قال ابنة عمه.

باسمي، فدخل ثم رجع فأذن لي، فدخلت عليه وجاريته تشدّ عليه جيب الدرع وهي تبكي، فكلّمته بحاجتي ثم خرجت، وخرج فقُتل يومئذٍ أبو فديك، قال: ثم أرسل إلي بعد ذلك بأيام، فدخلت عليه وعائشة إلى جنبه، فلم أر زوجاً قطّ أحسن منهما، فقال: ماقلت في عائشة قلت: [من الرجز]

مَنْ يجعل الدّيباجَ عَدلا للزّيق[1] ... وبين يديه لؤلؤٌ منشورُ

فقال: تناول من هذا اللؤلؤ، وحفن لي حفنات منه، فبعت ذلك اللؤلؤ واشتريت بثمنه أرضاً.

فكانت عائشة بنت طلحة تقول لعمر: أيّ اليومين كان أشدّ عليك، يوم أبي فديك أو يوم فارقت رملة؟ فيضحك، ويقال إنها قالت: أو يوم كنت تزور فيه رملة فترى خلقتها وعظم أنفها.

وكان مقتل أبي فديك في سنة أربع وسبعين.

وقال المدائني: كانت هزيمة عبد العزيز بن عبد الله بعد مقتل أبي فديك.

وأوفد عمر إلى عبد الملك ببشارة الفتح وفداً فيهم الصلتان وهو قثم بن خبيّبة ابن قثم العبدي، ويقال هو تميم بن خبيّبة بن قثم، فقال له عبد الملك: ياصلتان لِعُمر ثناؤك وعليه جزاؤك، فقال: ياأمير المؤمنين إني لأعيش من جدواه وأتقلب في نعماه، وإن خيره عليّ لكثير، وقد أدرك في عدوك وعدوه ماأدرك وهو محمودٌ، فقال: صدقت، وأمر له بألفي درهم، وقال بعض الشعراء:

[من البسيط]

صحت جُواثا ولم تفرحْ بمقدَمِنا ... لما قَدِمنا وماذا ينفَعُ الضَّجرُ

وقال أعشى همدان في قصيدة له طويلة يذكر فيها قتالهم بجواثا ويفخر بصبر الكوفيين ويذمّ البصريين في هزيمتهم، فمنها قوله:

---

(1) الزيق: تزيّقت المرأة تزيّقاً: تزيّنت وتلبّست واكتحلت ـ اللسان ـ

[من الطويل]

ألم يأت بِشراً ماأفـاءَت رمـاحُنا وبشرُ بنُ مروانٍ بذلـك أسعـدُ

فإنّـك قد جهّـزتَ جيشـاً مُباركـاً ومثـلُ أبي مروانَ بالخـير يُحمـدُ

أطعـتَ أمـير المؤمنـين وإنّـما جُعـلتَ غياثـاً كلّ خيرٍ يُغـمَّـدُ

وأعطيتَنا منكَ العطاءَ مُضاعفاً وزوّدتـنـا حتى جُعلنا نُحسَّـدُ

ولمـا رأينـا القـوم ليسَ لديهـمُ لمن زار إلاّ المشرفيُّ المـهـنّـدُ

مشَينـا إليهم في الحـديدِ كأنّنـا سَحابٌ يُضيء البرقُ فيه ويَخمَـدُ

ولمـا رأى أهـلُ البُصرةِ حدَّهُـم فولُّـوا سِراعـاً خيلُهـم ثَمَّ تطردُ

ومـاقـاتلت فُرسانُهم عن رِجالِهم ومـامَـنـعـوا قتـلاهمُ أن يُجرّدوا

ولكنّهم حاصـوا من المـوتِ حيصَـةً فهم في أُصولِ النخلِ مثنى وموحدُ

وأهـلكَ جمعُ المـارقـينَ فأصبحـوا أحـاديثَ إذ جازوا عن الحقِّ واعتـدُوا

حدثني العمري عن الهيثم بن عدي: أن سعيد بن خالد من ولد عثمان بن عفان، قال بيهس بن صهيب الجرمي: يابا المقدام أميّة [بن عبد الله] أفضل أم عمر بن عبيد الله؟ أو كلّما نشأ ناشيءٌ من بني أميّة أردتم أن تجعلوه مثل عمر. لا والله لعمر أجود منه جوداً وأكرم منه نفساً وأشدّ منه بأساً، فغضب سعيد وقال: ماأنت وذاك ياأخا جَرمٍ، فقال: اسكت فما أنت بالأول ولا الثاني ولا الثالث ولقد كنت الرابع فذُبحت.

المدائني عن مسلمة بن محارب: أن عمر بن عبيد الله دخل على عبد الملك وعليه جبّة حبرة مُصدّاء عليها أثر الحمائل، فقال له أمية بن عبد الله بن خالد: أي رجل أنت لو كنت منّا ولم تكن ممن أنت منه من قريش يابا حفص، فقال: ماأحب أني من غير من أنا منه، إن منّا لسيّد الناس في الجاهلية عبد الله بن جدعان، ومنا سيد الناس في الإسلام بعد رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر.

وما هذهِ يدي عندكِ استنقذت أمهات أولادك من عدوك وهن حبالى فولدن في حجـالـك، وكان لما قُتل أبو فديك وتفرّق أصحابه حوى عسكره فاستنقذ من صار إلى الخوارج من نسائه، وماكانوا أخذوا من أمواله وردّ ذلك عليه، فقال أمية لعبد الملك: رجل منّان وهو لكما قال الشاعر:

[من الطويل]

وكنتَ كذئبِ السُّـوءِ لمّا رأى دمـاً بصـاحبـهِ يومـاً أحـالَ على الـدَّمِ

فقال عمر:

[من الطويل]

ولـو كنتَ صُلبَ العـودِ أو كابنِ معمرٍ لخُضتَ حِياضَ المـوتِ واللَّيلُ مُظلمُ(*)

فقال أمية: ألا تسمع ياأمير المؤمنين، فقال عبد الملك: قل كما قال لك.

(*) إقواء في القافية، بانتقالها من الكسر إلى الضم.

أمر صالح بن مسرح أحد بني امرىء القيس
ابن زيد مناة بن تميم

١٨٦ ـ قال الهيثم بن عدي: خرج صالح بن مسرِّح أحد بني امرىء القيس ابن زيد مناة بن تميم، وكان من مخابيث الخوارج، وكان لايرفع رأسه خشوعاً، وكان يكنى أبا مالك.

فخرج ومعه فرسان من فرسانهم، منهم ثور بن البطين وسويد ومرّة وحنظلة وشوذب وشبيب وهم من بني شيبان، فخرج بجوخى ثم أتى النهروان فصلى في مصارع أصحابه، وقال: اللهمّ ألحقنا بهم فإنهم مضوا على طاعتك، ثم أتى قرية بين الموصل والعراق وفيها قصر فنزله.

فبعث إليه بشر بن مروان زُفر بن عمرو الفزاري فنكص عنه، وبعث إليه الحارث بن عميرة بن ذي المسعار الهمداني فواقعه فقتله، وقُتل للحارث ابنان وكان الذي طعن صالحاً فقتله الأشعث بن الحارث بن عميرة.

وقال هشام بن محمد الكلبي عن أبي مخنف: كان صالح بن مسرِّح أحد بني امرىء القيس بن زيد مناة بن تميم، ويكنى أبا مالك متخشّعاً، فأتاه شبيب بن يزيد الشيباني، فقال له صالح: إن الحكيم السعيد إذا سمع الحق نوّر الله قلبه وجلى العمى عن بصره.

ثم إن شبيباً أتى الموصل وهو يريد الشام في أمرٍ من أموره، فقدم صالح بن مسرِّح الموصل وهو بها، وصالح يريد نصيبين للقاء قوم من أصحابه بها، فصار صالح إلى نصيبين ومضى شبيب إلى عبد الملك بن مروان بالشام.

ثم أتى داراً وصالح بن مسرِّح بها، فقال لصالح: يابا مالك رحمك الله اخرج بنا فوالله ماتزداد السنّة إلاّ دروساً، ولايزداد المجرمون إلا طغياناً واستجراحاً.

فبثّ صالح الرسل إلى أصحابه فتواعدوا الخروج في صفر سنة ست وسبعين ليلة الأربعاء، فاجتمعوا جميعاً للميعاد، فقال شبيب لصالح: أرى أن تستعرض الناس فإن الكفر قد علا والظلم قد فشا، فقال صالح: بل ندعوهم فإن الدعاء أقطع للحجّة ولانريد أن نعيب على قوم أعمالاً ندخل فيها.

وكان رأي صالح البسط بعد الدعاء، فأقاموا بأرض دارا بضع عشرة ليلة فتحصّن منهم أهل دارا ونصيبين وسنجار، وكان خروج صالح في مئة وعشرين، فأخذوا دواباً من دواب محمد بن مروان كانت بقربهم، وقد كان أمرهم بلغ محمداً فاستخفّ به، وهو على الجزيرة ونواحيها من قبل أخيه عبد الملك بن مروان.

فوجّه محمد إليهم عدي بن عدي بن عَمِيرة الكندي في خمسمئة ثم أمده بخمسمئة فصار في ألف فأتى الخوارج بدوعان من حرّان، وقد جعل صالح على ميمنته شبيب وعلى ميسرته سويد بن سليم.

وكان عدي متنسّكاً متوقّياً للدماء. فأرسل إلى صالح إني لست على رأيك ولكني أكره سفك الدماء فواقعه فكبّ عديّ رايته وهرب فحوى صالح عسكره، فغضب محمد بن مروان وبعث مكانه الحارث بن جَعُونة العامري[1] في ألف وخمسمئة، وبعث أيضاً خالد بن جُزيّ السلمي في ألف وخمسمئة، وقال: أيكما سبق فهو الأمير فتوافيا جميعاً.

فوجّه صالح شبيباً إلى جَعُونة العامري في شطر أصحابه، وتوجّه هو إلى خالد بن جُزي في النصف الباقي فاقتتلوا بآمد حتى حجز المساء بينهم، وقد قتل من الخوارج ثلاثون ومن أصحاب محمد سبعون، وسار صالح فيمن بقي معه حتى أتى الموصل ثم صار إلى الدسكرة.

---

(١) الحارث بن جعونة هو نميري ثم العامري من عامر بن صعصعة، وهو الحارث بن جَعُونة بن الحارث بن نمير بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن.

ووجه بشر بن مروان الحارث بن عَميرة بن مالك بن جمرة بن أيفع بن ربيب ابن شراحيل، وكان يقال لجمرة ذو المسعار الهمداني في ثلاثة آلاف من أهل الكوفة، وصالح في تسعين، ويقال بل وافاه في أربعة آلاف من مقاتلة أهل الكوفة، وستة آلاف من الفرس، وكان على ميمنة الحارث بن عميرة أبو الرُّواع الشاكري[1] من همدان وعلى ميسرته الزبير بن الأروج التميمي، فثبت صالح فقتل وضارب شبيب حتى صرع عن فرسه فوقع في الرجالة.

فلما رأى صالحاً قتيلاً، قال: إليّ يامعاشر المسلمين فلاثوا به واجتمعوا إليه وحامى بعضهم على بعض حتى دخلوا حصناً بجواثا[2] فقال لهم شبيب: بايعوني أو من شئتم منكم، ثم اخرجوا بنا حتى نبيّتهم فإن الليل أخفى للويل وهم آمنون لكم. فبايعوا شبيباً وأتوا باللبود فبلّوها بالماء ثم ألقوها على الجمر وخرجوا، فلم يشعر ابن عميرة وأصحابه إلا والخوارج يضربونهم بالسيوف في جوف عسكرهم، وضارب الحارث بن عميرة حتى صرع، فاحتمله أصحابه وانهزموا وخلّوا لهم العسكر ومافيه ومضوا إلى المدائن، ومات ابن عميرة، ويقال إن صالحاً جُرح جراحات مات منها في ليلته وأمر أن يبايع شبيب واستخلفه، والأول أثبت.

وكان قتل صالح بن مسرَّح في أيام بشر بن مروان، وقال قوم كان قتله في سنة ست وسبعين يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة خلت من رجب، ويقال يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة، وقال الجعد بن ضمام:

---

(١) نسبة إلى شاكر بطن من همدان، وهو شاكر بن ربيعة بن مالك بن معاوية بن صعب بن دومان بن بكيل بن جشم بن خيران بن نوف بن أوسلة الذي هو همدان.

(٢) ذكرت سابقاً بالبحرين فأين الدسكرة والمدائن من البحرين إلا أن يكون هناك جواثا أخرى لم يذكرها معجم البلدان.

[من الطويل]

أيا عينُ فابكي صالحاً إنَّ صالحاً شرَى نفسهُ للّهِ يبغي بها الخُلدا
وقد كان ذا رأيٍ ثخينٍ ورأفةٍ صفوحاً عن العَوراء يدفعها عَمدا
وقد كان في الحرب العَوانِ يَشبُّها ويُسعِرُها بالخيلِ محبوكةً جُردا

في أبيات، وقال أعشى همدان، وهو عبد الرحمن بن نظام[1] أحد بني مالك بن حاشد بن جشم بن خيران بن نوف بن همدان:

[من المتقارب]

إلى ابن عميرة تحدو بنا على متْنِها[2] القُلُصُ الضُّمَّرُ
ولابن المُسرَّحِ في جحفَلٍ دلفنا وفرسانه حُضَّرُ
شَبيبٌ وقعنَبٌ ثم البطين وعمروٌ وفارسُهم أبجرُ
ليوثُ عرينٍ همُ مالَهم إذا حكَّموا وإذا كبّروا
فلم يُرَ تحتَ ظِلالِ السّيوفِ مثلُك مُحتَسباً أصبرُ
ولامثلُ أشبالِك الضارياتِ ولامثلُ مَعشرِكم مَعشرُ

وقال رجل من بني تميم يرثي صالحاً، واسمه المنهال:

[من الطويل]

أمنهالُ إنَّ الموتَ غادٍ ورائحُ ولاخيرَ في الدّنيا وقد ماتَ صالحُ
إذا قلتُ أنسى صالحاً عادَ ذكرُهُ جديداً لِما انضمّت عليه الجَوانحُ
لئن كانَ أمسى صالحٌ فُلّ عرشُهُ لقد كان لايُخشى عليه الفَضائحُ

---

(١) هو عبد الرحمن بن الحارث بن نظام بن جشم بن عمرو بن مالك بن عبد الحيّ بن زيد بن حرب بن قيس بن عامر ابن مالك بن جشم بن حاشد بن جشم بن خيران بن نوف بن أوسله الذي هو همدان.

(٢) متنها: ظهرها. والقُلص: الإبل الفتية.

في أبيات، وقال الحويرث الراسبي[1]:

[من الطويل]

أقــول لنفسي في الخـلاءِ ألـومُها ... هَبلتِ دَعيني قد مَللتُ من العُمـرِ

ومن عيشَــةٍ لاخـيرَ فيهـا دَنيئةٍ ... مذمَّـةٍ عنـد الكـرام ذَوي القَـبرِ

سأركــبُ حدبــاءَ الأمــورِ لعــلَّني ... ألاقي الـذي لاقى المحـرَّقُ في القَصرِ

ومــاكــان غمــراً صالــحٌ غيرَ أنَّــهُ ... رَمتهُ صُروفُ الدهرِ من حيثُ لايَدري

أمر يزيد بن بعثر

١٨٧ ـ قال الهيثم: خرج يزيد بن بعثر السعدي[2] من تميم بجوخى، فوجّه إليه بشر بن مروان خيلاً فقُتل، فقال عمران بن حِطّان[3].

[من الطويل]

لقـد كانَ في الـدنيا يزيدُ بنُ بعثَـرٍ ... حَريصاً على الخيراتِ حُلواً شمائلُهُ

في أبيات، وقـال الهيثم بن عدي: خرج في أيّام ابن عربي وولايتـه اليمامـة خوارج من السجن، وكـانـوا مقيّدين فحكّمـوا، فقـال لهم رجـل منهم: اطلقـوا

(١) لم يقل أي راسب إذ يوجد بطنان من القبائل بهذا الاسم: راسب الأزد وراسب قضاعة، أما راسب الأزد فهو راسب بن مالك بن ميدعان بن مالك بن نصر بن الأزد ومنهم رأس الخوارج عبيد الله الراسبي، وأما راسب قضاعة فهو راسب بن الخزرج بن جدّة بن جرم بن ربّان بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة.

(٢) السعدي: نسبة إلى سعد بن زيد مناة بن تميم.

(٣) عمران بن حطان شاعر مفلق أهم شعراء الخوارج وهو عمران بن حطّان بن ظبيان بن شعل بن معاوية بن الحارث بن سدوس بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل.

قيودكم، قالوا: ولِمَ لسنا نريد الفرار، فلم يخرج إليهم إبراهيم بن عربي، وأخرج رجلاً يقال له عطيّة بن جناب من أصحابه ومعه رجل موالي آل أبي مرثد الغنوي فقاتلهم فقتل الخوارج.

أمر هدبة الطائي

١٨٨ - هدبة بن عمرو من بني جدعاء[١] الطائي، وأمه شيبانية وكان فيهم، قال: وخرج هدبة الطائي بجوخى على بشر بن مروان في جماعة، فقتله سيف بن هانيء وكان على مسالح جوخى والطريق وكان موكّلاً بقتال الخوارج في نواحيه، فقال أيوب بن سعفة:

[من الطويل]

[فـ]إنْ يَكُ خلَّى هُدبةُ اليومَ قد مضى فإني بآلاءِ الفتى أنا نادِبُه

فياهُدبَ للهَيجا والسَيفَ والقَنا وياهُدبَ يوماً للخَصيمِ تُجاذِبُه

في أبيات، ويقال إن هدبة شيباني وهو هدبة بن عبد عمرو من قيس بن خالد الشيباني.

وقال المدائني: قتل هدبةَ سيفٌ في أيام الحجاج.

أمر شبيب بن يزيد الشيباني

١٨٩ - قال ابن الكلبي عن لوط وغيره، غزا يزيد بن نُعيم بن قيس بن عمرو بن قيس بن شراحيل بن همّام ابن مرّة بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن عكابة[٢] الروم، فابتاع جاريةً من السبي ووقع عليها فولدت شبيب بن يزيد في سنة

---

(١) جدعاء بن ذهل بن رومان بن جندب بن خارجة بن سعد بن قُطرة بن طيء.

(٢) شبيب بن يزيد بن نُعيم بن قيس بن عمرو (الصُلب) بن قيس بن شراحيل بن مُرّة بن همّام بن مرّة بن ذهل ابن شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل.

خمس وعشرين في يوم النحر، فقال أبوه: ولد في اليوم الذي تُهراق فيه الدماء، وأحسبه سيكون صاحب دماء، وكان اسم أم شبيب جهيرة.

قال الهيثم بن عدي: كان اسم أمه غزالة واسم امرأته جهيرة بنت عمرو.

وقال الكلبي: وانتقل يزيد من الكوفة إلى الموصل، وكان شبيب صاحب فتك وغارات وكان يبيّت الأكراد فقال الشاعر:

[من الطويل]

[فـ]لم أَرَ أيّاماً كأيّام مالكٍ ولم أر ليلاً مثل ليلِ شَبيب

وكان مالك رجلاً يغير بالنهار فيأخذ مااستطفّ[1] له، وكان شبيب في الديوان فُرض له حين أدرك، ثم أنه تنسَّك وارتدع وذلك أنه سمع رجلاً يقرأ: ﴿ ومَاذا عَليهم لَو ءامَنُوا بآللَّهِ وآليوم الآخر وأَنفقُوا مِمَّا رَزقهُمُ اللَّهُ وكانَ آللَّهُ بهم عَليماً * إنَّ آللَّهَ لاَ يَظلمُ مِثقالَ ذرَّةٍ وإن تَكُ حَسنةً يُضعفهَا ويُؤتِ مِن لَّدُنهُ أجراً عَظيماً * فَكيفَ إِذَا جِئنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشهيدٍ ﴾ إلى قوله: ﴿ ولاَ يَكتمُونَ آللَّهَ حَدِيثاً ﴾[2] فقال: ما أغفل شبيب عما خُلق له وعمّا يُراد به، فأعجب أباه مارأى من حاله.

ثم إن شبيباً حجَّ فأتى الكوفة فنزل على القعقاع بن شَورٍ الذهلي في بدأته فبّره وأكرمه ثم سار، فلما قضى حجّته وصار بالربذة أيدع[3] به وانقطع بقومٍ معه أيضاً، فمرّت بهم هند بنت أسماء بن خارجة الفزاري فقاموا إليها وسألوها، فأمرت لهم بزاد وحملان.

---

(١) استطف: طفّ وأطفّ واستطفّ: دنا وتهيأ وأمكن ـ اللسان ـ

(٢) سورة النساء رقم: ٤ الآيات رقم: ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٢

(٣) ايدع: أي ودعوه ونفذ مامعه من زاد وأراد السير.

ثم إن شبيباً قدم الكوفة فجعل يسأل عن أهل العبادة والصلاح فدلّ على صالح بن مسرَّح، فسمع منه قبل قوله، ومضى شبيب بعد أن لقي صالحاً إلى الموصل. وسار صالح يريد نصيبين للقاء أصحاب له، هناك ثم أتى دارا.

ومضى شبيبٌ إلى عبد الملك بن مروان وقد كان اسمه سقط من الديوان لكثرة غيبته وتخلفه عن الاعتراض على العُرّاض، فحلّق[1] على اسمه. فكلّم الناسُ عبد الملك في الفكّ عن اسمه وإدرار أرزاقه عليه فأبى، وقال: إن بكر بن وائل وتميم حيّان كثير شرّهما، وماأحبّ أن يكثروا بهذه البلاد، وأُخبر شبيب بقول عبد الملك، فقال: والله لأسوءنَّهُ فأبلغوه ذلك عنّي فله مني يوم أرونان[2].

ثم قدم على صالح بن مسرَّح وهو بدارا، فكان منه ماذكرنا، وقتل صالح فبايعه أصحابه.

وقال الهيثم بن عدي: كان بنو مروان لايفرضون لبكر ولاتميم بالشام، فخرج شبيب يطلب الفريضة وقد سبقه صالح بن مسرَّح بالخروج، والخوارج يرون من خرج منهم ثم خرج بعد آخر فإن الثاني تبعٌ للأول. فكان شبيب معه حتى قتل فبويع بعده.

شبيب بن يزيد في أيام الحجاج.

١٨٩ ـ فوجّه إليه بشر بن مروان خيولاً فهزمها شبيب، وأقام على ذلك نحواً من سنة حتى مات بشر بن مروان وقدم الحجاج العراق، فأقام سنة لايعرض لشبيب حتى كثف أمره واشتدّت شوكته.

---

(١) حلّق: أي جعل على اسمه حلقة لكي يعرف فلا يعطى عطائه.

(٢) يوم أرونان: الرون: الشدّة والرونة: الشدّة ورونة الشيء غايته من حر أو برد أو غيره، ومنه يوم أرونان ـ اللسان: رون ـ

وبلغ قطريَّ بن الفجاءة خروج شبيب في أيام الحجاج، فقال: إن الله قيّض للفاسق أخي ثمود رجلاً من الصُّفريّة سيشجبه ويخزيه، والله مانبالي في أي الفريقين كان الفتح.

وقال ابن الكلبي: لما اعتقد شبيب ارتفع إلى أرض الموصل فدعا سلامة بن سيّار الشيباني إلى الخروج معه، وكان فُضالة بن سيّارٍ أخوه: الفضل بن سيار قد خرج قبل خروج صالح بن مسرّح فقتلته عنزة ففرض لهم عبد الملك وأنزلهم بأنقايا من حرّة الموصل، فاختار سلاّمة من أصحابه ثلاثين فأغار بهم على عنزة فقتل منهم بشراً، وقال شعراً يقول فيه:

[من الطويل]

فصبّحتهُم قبلَ الشُّروقِ بفتيةٍ ... مَساعيرَ لاكشفِ اللقاءِ ولا عُزلِ
وليست دماء اليقدمينَ[1] بالّتي ... تُوازي دماء الحيِّ شيبانَ في القَتلِ
لعلَّ جيادي أن تعودَ عليهمُ ... فتُنزلَهم دارَ الصَّغَارِ مع الذُّلِّ

فيقال إن سلامة صار معه، ويقال إنه اعتذر بشغل له.

وأقبل شبيب في أصحابه نحو راذان ومعه أمه في مظلّة من مظالّ الأعراب، وكان حملها من الموصل معه وانضم إليه قوم منهم أبو الصفراء إبراهيم المحلّي، وكان نازلاً في بني تيم بن شيبان.

وكان الحجاج قد ولى سفيان بن أبي العالية الخثعمي[2] طبرستان، فكتب إليه أن ينكفىء راجعاً لمواقعة شبيب ونادى في جيش الحارث بن عَميرة الهمداني بالكوفة

---

(1) اليقدميين: نسبة إلى يقدم بن عنزه بن أسد بن ربيعة بن نزار.
(2) الخثعمي: نسبة إلى خثعم واسمه أفتل ابن أنمار بن أراش بن عمرو بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان.

والمـدائن فسـاروا وعليهم سورة بن أبجر بن نافع بن العرباض أحد بني أبان بن دارم[1] ، فلم يتخلف منهم كبـير أحـدٍ، وعجّـل سفيان بن أبي العالية إلى محاربة شبيب بخانقين قبل مصير سورة إليه.

وأكمن شبيب لابن أبي العالية مصاد بن يزيد أخاه، واستطرد لهم حتى ظنّوا أنهم قد هزمـوه، ثم خرج عليهم الكمـين فقـاتلوهم من ورائهم، وكـرّ شبيب فواجههم فانهزموا وثبت سفيان بن أبي العاليه في نحوٍ من مئتين فقاتلهم فأحاط به أصحاب شبيب فقاتل دونه غلام له يقال له غزوان، وأقبل سفيان إلى مهرود فنزل بها وكتب إلى الحجاج بخبره ومواقعته شبيباً بخانقين.

فكتب الحجاج إلى سورة يعنّفه ويأمره أن يأتي شبيباً، فبعث سورة إلى المدائن فانتخب له منها خمسمئة رجل من جندها فتوافوا إليه مع من معه، وخرج لطلب شبيب وهو يجول بجوخى، وأتى شبيب المدائن فقتل من ظهر له، وأخذ دوابّاً من دواب الجند ولم يدخل البيوت.

انهزام سورة ابن أبجر من شبيب.

١٩٠ ـ ثم إن شبيباً أتى النهروان فوقف وأصحابه على قبور من قتلهم علي ابن أبي طالب فاستغفر لهم وكان في مئةٍ فلقيه سورة في نخبة من معه، فقاتله شبيب وهو يقول:

[من الرجز]

مَنْ يَنِـكِ الـعَـير يَنِـكْ نيَّاكـاً [جنـدلَتانِ اصطَّكتا اصطكاكا][*]

---

(١) هو سورة بن أبجـر بن نافـع بن العرباض بن ثعلبة بن سيف بن أبان بن دارم بن مالك (الغرف) بن حنظلة بن مالك بن زيده مناة بن تميم.

(*) التتمة من الطبري: ج: ٦ ص: ٢٢٩.

فهزمه شبيب واتبعه حتى بلغ المدائن ودنا من بيوتها فرُمي وأصحابه من فوق البيوت، ثم أتى شبيبٌ كَلواذَى، ثم أقبل يسير إلى أرض جوخى وصار إلى جبال تكريت.

ولحق الجند بالكوفة فغضب الحجاج على سورة بن أبجر، وقال: والله لأسوءَنَّهُ، ووجّه الجزل[1] وهو سعيد بن شرحبيل بن عمرو بن الأرقم الكندي، وبعضهم يقول سعيد بن عمرو والأول أثبت، وضمّ إليه أربعة آلاف مقاتل، وأقبل الجزل يطلب شبيباً في أرض جوخى وشبيب يريه الهيبة له فخرج من طَسّوج[*] إلى طسّوج، وكان يومئذ في ستين ومائة.

واستبطأ الحجاج الجَزل فولّى سعيد بن المجالد بن عمير بن ذي مرّان الهمداني، جدّ المجالد بن سعيد المحدّث جيشه وضمّه إليه فصار من تحت يده، وقال له: لاتفعل كما فعل الكندي، يطلب طلب السبع ويحيد حياد الضبع، وأتى شبيباً براز الرّود فالتقوا وعلى ميمنة ابن المجالد عياض بن أبي لبينة، وعلى ميسرته عبد الرحمن بن عوف الرؤاسي[2] أبو حميد بن عبد الرحمن، فهزمهم شبيب وحمل على سعيد بن المجالد فضربه ضربة خالطت دماغه فقتله شبيب، وقاتل الجزل قتالاً شديداً حتى صرع فسقط بين القتلى فحمل إلى المدائن ولحق الجيش بالكوفة.

وكتب الجزل إلى الحجاج بالخبر، فأجابه بجواب لطيف وفيه يقول بعض الكنديين:

---

(١) الجزل: هو عثمان بن سعيد بن شرحبيل بن عمرو بن الأرقم بن سلمة بن وهب بن الحارث (الولادة) بن عمرو بن معاوية ابن الحارث الأكبر بن معاوية بن ثور بن عمرو (مرتع) بن معاوية بن ثور الذي هو كندة. وفي الجزل يقول الشاعر: [من الرجز]

جاؤوا بشيخهم وجئنا بالجَزَل ... شيخ إذا مانزل الناس نزل

(٢) الرؤاسي: نسبة إلى رؤاس بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن.

(*) الطَسُّوج: الناحية.

[من الرجز]

جاؤوا بشيخهم وجئنا بالجزَل شيخٌ إذا مالَقِي القومَ نَزَل

ولم يلبث الجزل أن مات، وقال المحلّ بن وائل:

[من الرجز]

كيف رأيتَ يابنَ ذي مُرّان جلادنا عندَ قُرى النهروان(*)

أذاقكَ العَلقَم والذيفانْ والموتَ أسيافُ بني شيبان

وبعث الحجاج إلى الجزل بن أبجر الطبيب ليعالجه وبألف درهم.

وأقبل شبيب إلى كرخ بغداد(١) ولم يعرض لأهل سوقها العتيق، ثم سار شبيب جواداً حتى أتى الكوفة فنزل عند دار الرزق، وقد أمر الحجاج أهل الكوفة فعسكروا بالسبخة، وعليهم عثمان بن قطن الحارثي.

ووجه الحجاج سويد بن عبد الرحمن السعدي للقائه، فحمل عليه شبيب حملة منكرة، ومضى حتى قطع بيوت الحيرة، ثم مضى شبيب إلى الأنبار، ثم أتى دقوقاء ثم مضى إلى أذربيجان وناحية أرمينيّة، فتركه الحجاج وخرج إلى البصرة، واستخلف على الكوفة عروة بن المغيرة.

شبيب يدخل الكوفة على الحجاج.

١٩١ ـ ثم إن شبيباً أقبل يريد الكوفة، وبلغ الحجاج ذلك فأقبل من البصرة جواداً إلى الكوفة، وأتى شبيب حرباً وهي على دجلة فعبر منها، وقال لأصحابه: ليس الحجاج بالكوفة فما دون دخولها بإذن الله شيء فخرج مبادراً، ونزل الحجاج

---

(١) كرخ بغداد: فبغداد عمّرت في عهد المنصور وأين أيام المنصور من أيام الحجاج وربما يقصد أرض كرخ بغداد قبل البناء.

(*) النهروان: تكسر الوزن، ويصح لو قلنا: النهران.

الكوفة العصر، ونزل شبيب السبخة المغرب، فلما صلى المغرب والعشاء الآخرة، جاء حتى ضرب باب القصر بعمود، وتمثل:

[من الكامل]

عاري الجـواعِـرِ من ثَمـودٍ أصلُهُ　　　عبـدٌ ويزعُـمُ أنَّـه من يَقـدُمُ[1]

ثم إنه اقتحم المسجد الأعظم وعلا المنبر، وأقعدَ غزالة وهي امرأته وهي من سبي أصبهان على المنبر كيلا يصيبها الرمي، ويقال بل كانت نذرت أن تصعد المنبر فصعدته، وقال بعضهم: لم تكن امرأته ولا أمه ولكنها كانت من الخوارج ثم خرج.

ونادى الحجاج في الناس، فكان أول من أتاه عثمان بن قطن بن عبد الله، ثم وجه الحجاج بشر بن غالب الأسدي في ألفين، وزائدة بن قدامة الثقفي في ألفين، وأبا الضّريس مولى بني ثعلبة بن يربوع تميم في ألف، وأعين مولى بشر بن مروان، ويقال مولى سعد بن أبي وقّاص في ألف، ووجه محمد بن موسى بن طلحة التيمي وزياد بن عمرو العتكي، فنزل هؤلاء الأمراء أسفل الفرات، فتجنّبهم شبيب وأخذ نحو القادسية.

وبعث الحجاج زحر بن قيس الجعفي في ألف وثمانمئة جريدةً، وقال: اتبعه فإن لم يعطف عليك فلا تقاتله، وبلغ شبيباً خبرُه فأقبل إليه فالتقيا فهزم أصحاب زحر ونزل وقاتل حتى صُرع، فلما أمسى تحامل حتى دخل الكوفة وبه بضع عشرة ضربة، فأكرمه الحجاج وبرّه، وقال: من أراد أن يرى شهيداً يمشي على الأرض وهو من أهل الجنة[2] فلينظر إلى هذا، ويقال إن زائدة لقيهم وعلى ميمنته بشر بن

---

(١) بعض النسابين كان ينسب ثقيف إلى ثمود وأصل ثقيف عبد لصالح، وبعضهم ينسبهم إلى عنزة ويقدم كما مرّ سابقاً ابن عنزه بن أسد بن ربيعة.

(٢) ماتقول رحمك الله في رجل شهيد من أهل الجنّة يمشي على الأرض. كان حارب الحسين بن علي عليهما السلام في الطفّ ثم عندما قتل حمل رأسه إلى الشام إلى يزيد بن معاوية !!

غالب، وعلى ميسرته زياد بن عمرو العتكي. فصير شبيب سويد بن سليم في كردوس حيال الميمنة، وصيّر أخاه حيال الميسرة، ووقف بحيال القلب فشد سويد على زياد فصابره ساعة ثم انهزم زياد وقد أحاط به ثلاثون سيفاً وقتل زائدة.

وبلغ شبيباً مكان الأمراء بأسفل الفرات فسار إليهم ودافعهم، وأفرد بإزاء كل أمير منهم جماعة من أصحابه، وعليهم رجل يسوسهم، فقُتل زائدة بن قدامة، وقاتل زياد بن عمرو العتكي من يليه فصابرهم ثم هزموه، وقاتل محمد بن موسى ابن طلحة بن عبيد الله فقُتل، ودخل أبو الضريس جوسقاً هناك، فقال شبيب لأصحابه: ارفعوا السيف، فبايعه قوم منهم عبد الرحمن بن جُندب، وأبو بُردة بن أبي موسى.

ثم خرج شبيب بأصحابه إلى نفر، ثم أتى خانيجان فأقام بها، فوجّه إليه الحجاج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث في كثفٍ ومعه من كندة خمسمئة فارس، فدخل على الجَزل وهو يعالج الموت، فقال له: إنك تقاتل قوماً كأنهم قد خُلقوا من أضلاع الخيل وبُنوا على ظهورها، أسود غابة يستطعمون الموت إن هجهجوا أقدموا، وإن كُفّ عنهم لم يكفّوا، فأقبل شبيب حتى نزل حَولايا، ونزل ابن الأشعث بقربه، وذلك في أيام العشر، فبعث إليه شبيب: إن هذه أيام عيد فإن رأيت أن توادعنا حتى نمضي وكان يحبُّ المطاولة فوادعه.

عزل عبد الرحمن بن الأشعث عن الجيش:

١٩٢ ـ فكتب عثمان بن قطن بذلك إلى الحجاج، وبإقبال عبد الرحمن على الجباية واستيكاله الرعيّة. فولاّه جيش عبد الرحمن، وولّى المدائنَ مطرف بن المغيرة ابن شعبة مكانه، وكان ابن أبي عُصيفير الثقفي على المدائن فعزله وولى المدائن عبد الرحمن.

وخرج ابن قطن فتسلّم عسكر عبد الرحمن بن الأشعث، وواقع شبيباً وهو في مئة وإحدى وثمانين فترجّل عثمان وكان على ميسرته عقيل بن شدّاد السلولي[1] فجعل يقول:

[من الرجز]

لأضربنّ بالحسامِ الباتِر ضربَ شُجاعٍ بَطَلٍ مُغاوِر

فحمل عليه شبيب فقتله، ووقع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث في نهر حَولايا، فدُفع إليه رمح فتعلّق به.

وقال له محمد بن عبد الرحمن بن أبي سبرة الحنفي: اركب فقال: أينا الردف؟ فبلغ الحجاج فقال: أنخوة وهو منهزم.

وظهر شبيب عليهم، فأمر برفع السيف ودعا إلى البيعة، فبايعه قوم من الرجالة، وقتل من كندة يومئذ مئة وعشرون ومن سائر الناس ألف. وقُتل عثمان بن قطن قتله مصاد أخو شبيب ثم أتى شبيب سفح ساتيدما[2] فقتل قوماً من بكر بن وائل لم يتبعوه ثم أتى المدائن فناظر حذيفة اليمان[3].

فقال الحجاج لمن قبله: والله لتقاتِلُنّ عن فيئكم أو لأبعثَنّ إلى قوم هم أسمع وأطوع وأصبر على اللأواء منكم، فليقاتلن عدوكم وليأكلنّ فيئكم، فقام زهرة بن حُويّة التميمي، فقال: إني كبير السنّ ضعيف، ولكن ابعث رجلاً وأكون معه أشير

(١) نسبة إلى سلول بطن من هواز واسم سلول مرّة بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن أم أولاد مرة، سلول فنبسوا إليها.

(٢) ساتيدما جبل قرب الموصل والجزيرة ـ معجم البلدان ـ

(٣) حذيفة اليمان هكذا في أصل المخطوطين وصحته حذيفة بن اليمان واليمان قتل يوم أحد وحذيفة بن اليمان صحابي جليل وكان ولي المدائن. وكأنه أقام بها.

عليه فقال الحجاج: جزاك الله خيراً عن أوّل أمرك وآخره، وكان زهرة ممّن شهد القادسية[1].

فكتب إلى عبد الملك يخبره أن أهل الكوفة قد عجزوا وضعفوا عن شبيب، ويسأله أن يبعث إليه رجلاً ذا شجاعة ونصيحة.

فوجه إليه سفيان بن الأبرد الكلبي في أربعة آلاف، وحبيب بن عبد الرحمن الحكمي[2] في ألفين، ويزيد بن هبيرة المحاربي[3] معهما، وبعث الحجاج قبل قدومهم إلى عتاب بن ورقاء الرياحي[4] وهو مع المهلب يقدم عليه، فجعله على أهل الكوفة وضم إليه زهرة بن حُوية، وكان بشر بن مروان وجّه عتّاباً إلى المهلب وهو بالأهواز يحارب قطري بن الفجاءة.

وأتى شبيب نهر سير فنزل مدينتها وبعث إليه مُطرِّف بن المغيرة أن ابعث إليّ من أناظره، فكان من أمره ماكان مما قد ذكرناه في كتابنا هذا.

ووجّه الحجاج عتّاب بن ورقاء وشبيب يومئذ في ستمئة، فواقعه عتاب فقاتل وصبر فقُتل عتاب قتله رجل يقال له عمرو بن عبد عمرو من بني تغلب[5]، ويقال

---

(١) زهرة بن حَوية بن عبد الله بن قتادة بن مرثد بن معاوية بن قطن بن مالك بن أزنم بن جشم بن الحارث الأعرج بن كعب ابن سعد بن زيد مناة شهد القادسية وقتل الجالينوس وحاز سلبه قتله شبيب عند ابن الكلبي في الجمهرة وفي الاستيعاب والوافي قتل بالقادسية.

(٢) نسبة إلى الحكم بن سعد العشيرة بن مذحج.

(٣) المحاربي: نسبة إلى محارب بن فِهر الذي هو قريش.

(٤) الرياحي: نسبة إلى رياح بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم.

(٥) تغلب بن وائل أخو بكر بن وائل بن قاسط ابن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديله بن أسد بن ربيعة بن نزار.

الفضل بن عامر الشيباني، ويقال عامر بن عمرو وولِجئ زُهرة بن حُوية فجعل يذبّ بسيفه، وهو شيخ ضعيف البصر لايستطيع القيام، فجاء الفضل بن عامر الشيباني، ويقال عامر بن عمرو فقتله وذاك بسوق حكمة.

فلما رأى شبيب زُهرة، قال: لئن أنت قُتلت ضالاً لربَّ يوم من أيام المسلمين قد حسن فيه بلاؤك وعظم غناؤك، ولربَّ خيل للمشركين قد هزمتها، وسريّة لهم قد ذعرتها، واستمكن شبيب من أهل العسكر، فقال: ارفعوا عنهم السيف ودعاهم إلى البيعة فبايعوه ثم هربوا من تحت ليلتهم.

غرق شبيب وقتل أخيه وأمه وأخته.

١٩٣ ـ ودخل سفيان بن الأبرد الكلبي وحبيب بن عبد الرحمن الكوفة فيمن معهما، وخطب الحجاج أهل الكوفة فقال: لا أعزّ الله من أراد العزّ بكم، لاتشهدوا معنا قتال عدونا فالحقوا بالنصارى واليهود، وأقبل شبيب إلى الكوفة فقتل عامل سورا، وأخذ ماكان عنده من المال وزحف إليه الحجاج نفسه ومعه سفيان بن الأبرد، فجعل أهل الكوفة يقولون: دبّوا دبيباً واحذروا شبيباً. وصار شبيب إلى السبخة، فوجّه إليه الحجاج غلماناً له فقتلهم، ووجّه إليه عُمارة الطويل فاستعلى عليه، فقال شبيب: قاتلني رجل ماأحسبه ولا أراه إلا طويل بني المجنون.

وأخذ أهل الكوفة بأفواه السكك وأشرعوا الرماح في وجوههم. وقاتل خالد ابن عتّاب بن ورقاء الخوارج فقتل مُصاداً أخا شبيب وجهيرة أم شبيب، وكانت قد قاتلت قتالاً شديداً، فقال الناس:

[من الرجز]

أمُّ شبيبٍ ولَدت شَبِيباً ... هل تَلِدُ الذئبةُ إلاّ ذيباً

وقُتلت غزالة واحتزّ رأسها، فقال الحجاج: والله ماقُوتل شبيبٌ قبل يومه هذا، ومرّته هذه، وهرب شبيب، فبعث الحجاج في أثره حبيب بن عبد الرحمن

الحكمي في ثلاثة آلاف من أهل الشام، فقاتله بالأنبار حتى كره بعضهم بعضاً، وأتى شبيب واسطاً من ناحية أرض جوخى، ثم أتى الأهواز وتجاوزها إلى فارس حتى إذا قوي واستراش[1] عاد إلى الأهواز. فلقيه سفيان بن الأبرد وحبيب والشاميّون عند جسر دُجيل بالأهواز، فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى اضطر الخوارج إلى الجسر فلم يجدوا عنه محيصاً.

فلما انتهى شبيب إلى الجسر نزل ونزل معه مئة فقاتل أشدّ قتال، فلما رأى سفيان صعوبة أمرهم أمر الرماة فرشقوهم بالنبل، فكرّ شبيب على الرّماة فصرع منهم أكثر من ثلاثين، ثم قال لأصحابه: اعبروا رحمكم الله وقُدّمهم وبقي في أخريات الناس، ورأى فرسه رَمكَةً بعض أصحابه فتحصّن[2] فزلت رجل فرسه فسقط في الماء هو يقول: ﴿ لِيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً ﴾ ويقال إنه لما قاتلهم قال لأصحابه: في المساء وقد انصرف عنكم عدوكم فاعبروا بنا، فإذا أصبحنا قاتلناهم، ومرّ يركض فلما صار في وسط الجسر قطعه قوم من بني شيبان كانوا حقدوا عليه قتل من قتل في ساتيدما فغرق، ويقال إنه لما حجز بينهم الليل عبر شبيب الجسر، وبصربهم قوم من أصحاب سفيان فقطعوا الجسر فماج بهم فغرق شبيب وجماعة معه.

قالوا فأمر سفيان فاستخرج شبيبٌ بالشباك وشق بطنه، فوجد قلبه كأنه صخرة يضرب به الأرض فلا يثبت وينبو عنها نبوّ الحجر، وكان غرقه ليلاً، والشّراة يقولون: كان على قلبه شعرٌ، وذلك باطل.

---

(١) استراش: ارتاش فلان: إذا حسنت حاله ـ اللسان ـ

(٢) الرمكة: الفرس تتأخذ للنسل وتحصّن: أي أصبح حصاناً: وكأن الفرس كانت تطلب الفحل فاستعد حصانه لذلك فزلت رجله.

وقال معمر بن المثنى: خرج شبيب في أيام بشر بن مروان حين قُتل صالح ابن مسرّح وكان معه، فلم يزل يتنقّل في جوخى حتى ولي الحجاج، فبعث إليه عبيد بن المخارق القيني من أهل الشام فهزمه شبيب، ثم بعث إليه زحر بن قيس فهزم أصحابه وارتثّ وبه ثلاثون طعنة وضربةً حتى حُمل في القطن، ثم بعث إليه عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فهزمه، ثم عتاباً فقتله، ثم الجَزْل الكندي فقتله، ثم بعث إليه زياد بن عمرو العتكي فانهزم، ثم بعث محمد بن موسى بن طلحة بن عبيد الله فقتله، فقال قطري حين بلغه أمر شبيب.

إن الله قد قيّض للفاسق أخي ثمود رجلاً من الصفريّة قد أشجاه والله، مانبالي بأي الفريقين كان الفتح. ووجه الحجاج إلى شبيب يزيد بن هبيرة المحاربي فهزمه.

وحدثني العمري عن الهيثم بن عدي وابن عيّاش وغيرهما، قالوا: لما قتل صالح بن مسرّح وبويع شبيب بعده في ولاية بشر، بعث إليه بشرٌ خيلاً ففضّها، ومكث شبيب يتنقّل بجوخى والسوّاد سنةً، ثم وجّه الحجاج إليه عبيد بن أبي المخارق القيني[1] فهزمه شبيب، ثم وجه إليه يزيد بن هبيرة المحاربي فهزمه، ثم بعث إليه زَحر بن قيس الجعفي فهزمه، فارتث وبه ضربات وطعنات، فكان يُحمل في القطن، وكانت ضربة منها قد فلقت عينه، فقال الحجاج: من أحبّ أن ينظر إلى الشهيد الحي فلينظر إلى زحر بن قيس، ثم بعث عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فهزمه، ثم بعث عتّاب بن ورقاء فلقيه بالفلّوجة فقتله شبيب، ثم بعث إليه الجَزل الكندي. فوجّه إليه شبيب المهذب السكوني[2] والبُطين الشيباني، فقال شاعر أهل العراق:

---

(١) مرّة يقول ابن المحارق ومرة يقول ابن المخارق ولم يذكره الطبري. والقيني نسبة إلى القين واسمه النعمان بن جَسر بن شيع اللات ابن أسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة.

(٢) السكون بطن من كندة وهو السكون بن أشرس ابن كندة.

[من الرجز]

جاؤوا بشيخهم وَجِئنا بالجَزَل شيخاً إذا ماعايَنَ المَوتَ نَزَل

فقُتل الجزل، ثم بعث إليه عثمان بن قطن الحارثي[1] فقتله شبيب، ثم بعث إليه طهمان مولى آل عقبة بن أبي مُعَيط بن أبي عمرو بن أميّة، وقال غير الهيثم: هو مولى عثمان وكان على فرس الحجاج، فشدّ عليه شبيب وهو يظنّه الحجاج فقتله، ثم بعث إليه أبا الورد مولاه فقتله، ثم بعث إليه زياد بن عمرو العتكي فصابروه يوماً وليلة ثم انهزم زياد ومع زياد يومئذ النَّضر بن القعقاع بن شور الذهلي.

فلما رآه شبيب منهزماً كفّ عن جري فرسه ليدٍ كانت لأبيه عنده، ثم قال: أبا نضر لاحكم إلا لله قلها لتنجو، فقال الخوارج: أتعصَّبُ في دين الله؟ قال: لا ثم حمل على النضر فقتله، ثم بعث إليه محمد بن موسى بن طلحة بن عبيد الله فقتله شبيب، ثم بعث إليه أبا الضّريس مولى تميم فقتله.

ومكث شبيبٌ أربع سنين، ثم ضرب الحجاج البعث على أهل الكوفة وخرج حتى عسكر بالسبخَة، وجعل شبيب يتنقّل فيما بين السواد والجبل، وبعث إليه الحجاج عبد الله بن زُميت، فما شعر الحجاج وهو في عسكره بالسبخة إلاّ وقد أقبل شبيب، وقد سبق أصحابه في ثلاثين فارساً وفرقهم في نواحي عسكر الحجاج ثم حكّموا فابذَعرّ الناس ودخل عليهم الكوفة، وقتل من أصحاب الحجاج نحو من مئة وثلاثين، ولم يُقتل من أصحاب شبيب إلا رجلان، ثم انصرف شبيب فلقي أصحابه على الطريق فردّهم، ثم أقبل فأتى الفلّوجة فأقام بها خمس عشرة ليلةً، ثم أتى كوثى فبعث إليه الحجاج علقمة بن عبد الرحمن الحكمي فكسره ثم انحاز إلى الأنبار.

---

(١) نسبة إلى بني الحارث بن كعب بن عمرو بن عُلَة بن جلد بن مذحج وهذه القبيلة إحدى جمرات العرب.

وكتب الحجاج إلى عبد الملك: الغوث الغوث ياأمير المؤمنين، وجّه إليّ أهل الشام فإنه لاغناء عند أهل الكوفة، فبعث إليه أربعة آلاف رجل فقدموا عليه وشبيب بالأنبار، فقال شبيبٌ: لنذعرّن ابن أبي رغال.

وأقبل وقد قرّط فرسه عنانه[1] وقرّط الخوارج خيلهم أعنّتها حتى دخلوا الكوفة ليلاً بعدما صلّيت العشاء الآخرة، ومعه مئة وخمسون رجلاً، ومعه جهيرة امرأته وغزالة أمه وكانت من سبي أصبهان، وفي المسجد أصحاب الأساطين[2] والبرانس يصلّون والأحراس في السكك، فقال شبيب لأصحابه: فليقم على كل بابٍ رجلان ولا يمر بهما أحد إلا قتلاه، وقال لأمه وامرأته اقعدا على المنبر لاتصبكما معرّة، ثم اعترض من في المسجد فقُتلوا، وقتل أصحابه من شدّ فأراد الخروج، وقُتل أبو سُليم وهو أبو ليث بن أبي سليم المحدّث في عدّة من النساك، وطلب حوشب بن يزيد فاستخفى، وأخذ ميمون العذاب مولى حوشب بن يزيد بن رُويم الشيباني، وكان حوشب يومئذ على الشرُطة والاستخراج، وميمون خليفته على الاستخراج، وطلب حوشباً فلزم منزله ولم يخرج.

وجعل أصحاب شبيب يضربون باب القصر ويقولون: ياعدو الله يابن أبي رغال ياأخا ثمود اخرج، ففي ذلك يقول وُصَيلة بن عُتبان الشيباني:

---

(1) قرط فرسه عنانه: حملها على أشدّ الحُضر وذلك أنه إذا اشتدّ حُضرها امتدّ العنان على أذنها فصار كالقرط.

(2) الأساطين: جمع أسطوانة وهي أعمدة المسجد.

[من الطويل]

لَعَمري لقد نادى شَبيبٌ وصحبُهُ ... على البـابِ لو أنَّ الأمـيرَ يُجيبُ

فأَبلغ أميرَ المؤمنين رسالـةً ... وذو النصح لو تُصغي إليه قَريبُ

أتـذكـرُ إذا دارت عليك رماحُنا ... بمسكـنَ والكلبيُّ[1] ثمَّ غَريبُ

فلا صلح مادامت منابرُ أرضِنا ... يقومُ عليها مِنْ ثقيفٍ خَطيبُ

فإنكَ إلاّ تُرضِ بكرَ بنَ[2] وائلٍ ... يكن لك يوم بالعراق عَصيبُ

فلا صبرَ إن كانت قُريشٌ عديً لنا ... يُصيبونَ منّا مرّةً ونُصيبُ

فإن يكُ منهم كان مروانُ وابنُه ... وعمرٌو ومنهم هاشِمٌ وحبيبُ[3]

فمنا سُويدٌ والبُطينُ وقعنبٌ ... ومنّا أميرُ المؤمنين شبيبُ

غَزالـةُ ذاتُ النَّذرِ منّا حَميدةٌ ... لها في سهامِ المسلمين نصيبُ[4]

يقال إنها نذرت أن تقعد على منبر الكوفة.

ومنّا سنانُ الموتِ وابنُ عُويمرٍ ... ومُرَّةُ فانظر أيَّ ذاك تعيبُ؟

فقال عبد الملك: كلهم والله أُعيب.

فلما طلع الفجر، قال شبيب لبعض أصحابه: أذّن، فأذّن وأقام وتقدّم شبيب فصلّى بهم الغداة، وقرأ بهم سورة البقرة وآل عمران حتى كادت الشمس تطلع، ثم جلس وسط المسجد ساعة وأقبلت الخيول، فقال لأصحابه اركبوا، ونادى منادي الحجاج: ياخيل الله اركبي وأقبل الناس.

---

(١) والكلبي: يقصد سفيان بن الأبرد الكلبي الذي كان على أهل الشام مدداً للحجاج.

(٢) بكر بن وائل قبيلة كثيرة العدد بالعراق ومنها شيبان وشبيب من بني شيبان.

(٣) مروان: هو مروان بن الحكم، وابنه: هو عبد الملك بن مروان هما من بني عبد شمس وعمرو: هو عمرو بن العاص، من بني سهم وهاشم: هو هاشم المرقال هو ابن عتبة بن أبي وقاص من بني زهرة، وحبيب: و حبيب بن مسلمة الذي كان يغزو الروم في عهد عثمان فهو من محارب بن فهر وكل هذه البطون من قريش.

(٤) فغزاله اعتبرها مجاهدة في سبيل الله فلها اسم من فيء المسلمين.

فجالدهم شبيب وأصحابه في المسجد، ثم خرج شبيب وأصحابه واتبعه الناس واضطربوا في موضع السوق ساعة، ثم زاحفهم الحجاج في أربعة آلاف من أهل الشام، وقال: لايخرجنّ من أهل الكوفة أحدٌ إلا خالد بن عتّاب بن ورقاء فإنه ثائر بأبيه وغير جهم بن زحر بن قيس.

وكان الحجاج أشدّ الناس انقطاعاً في الحرب، إنما كان مولاه أبو كعب هو الذي يأمر وينهى، فصابرهم شبيب وأصحابه يومهم الأطول في السبخة، وكان قتيبة[1] يومئذ مع الحجاج، وأحجم الناس عن شبيب، وعلا شبيب مزبلة كانت هناك يُشرَف منها على الكوفة. فجالدوه حتى أزالوه عنها وصاروا جميعاً إلى الأرض، فتقاتلوا حتى كثرت الجراح في الفريقين، وولى شبيب وأصحابه منهزمين، واتبعهم علقمة بن عبد الرحمن الحكمي وأصحابه حتى انتهوا إلى القرب من دار الرزق.

وخرج شبيب من وجهه إلى الأنبار، وقال عبد الواحد الأزدي من الخوارج:

[من الكامل]

ياليتني في الخيلِ وهيَ تدوسُهم	في السوقِ يومَ الظفر بالحجّاجِ
بأخي ثمودَ وقربَ ماأخطأنه	ولقد بلغنَ العُذرَ في الإدلاجِ
أُصبحنَ بالأنبارِ ثمَّ أتينهُ	مثل السّعالي تحت ليلٍ داجِ
فبطحنَ ميمونَ العذابِ لوجههِ	وتركنه متقطع الأوداجِ
ولقد تخطّأتِ المنايا حوشباً	فنجا إلى أجلٍ وليس بناجِ

وقال أسامة بن زيد الأحمسي[2]، وقال بعضهم الأبيات لعمران بن حطّان فطلبه الحجاج فهرب إلى الشام:

---

(١) قتيبة: يعني قتيبة بن مسلم الباهلي الذي ولي للحجاج خراسان بعد ذلك.

(٢) نسبة إلى أحمس بن ضُبَيعة بن ربيعة بن نزار.

[من الكامل]

صَدعتْ غزالةُ قلبهُ بكتيبةٍ ... تركت شراستهُ كأمسِ الدّابرِ

أسدٌ عليَّ وفي الحروبِ نعامةٌ ... خرجاءُ[1] تنفُرُ من صفيرِ الصَّافرِ

هلاّ خرجتَ إلى غزالةَ في الوغى ... بل كانَ قلبُكَ في جوانحِ طائرِ

ألقِ السِّلاحَ وخُذ وشاحي مُعصرٍ ... واعمد لمنزلةِ الجبانِ الكافرِ

فقال الحجاج: لا أمان له عندي.

وكان شبيب أصاب بجوخا رمكة[2] فحمل عليها رجلاً من أصحابه، وقال: اركبها حتى نقسم ثمنها، فبلغ ذلك خوارج الكوفة فركب إليه مسلم بن أبي الجعد أخو سالم بن أبي الجعد الأشجعي[3] ودجاجة الحنفي[4] وكانا من رؤوس الخوارج حتى أتياه وهو بالأنبار، فقالا: أعطيت مسلماً الغلول[5] ماكان هذا من سيرة من مضى من المسلمين، فقال: إنما أعطيته إياها ليركبها ثم نقسم ثمنها، قالا: قل نفقت[6] فتب، فكره أن يتوب فيخلع فبرىء منه مسلم ودجاجة.

وبعث الحجاج إلى شبيب علقمة بن عبد الرحمن الحكمي وأمره بطلبه، فلحقه فاقتتلا يوماً وليلة. ثم ولّى شبيب منهزماً فكان وجهه إلى باجرايا وباكسايا، ثم توجه منها إلى الأهواز.

---

(١) خرجاء: الخَرَج: بالتحريك لونان سواد وبياض. ويقال نعامة خرجاء وظليم أخرج ـ اللسان ـ وجاء هذا البيت في أكثر الكتب فتخاء عوضاً عن خرجاء والفتخ: الفتخة: خاتم يكون في اليد والرجل، والفتخ: لين في المفاصل وعقاب فتخاء: لينة الجناح.

(٢) الأنثى من الخيل والبرذون تؤخذ من أجل الولادة.

(٣) نسبة إلى قبيلة أشجع بن ريث بن غطفان من قيس وهذا أول خارجي قيسي يمر ذكره.

(٤) نسبة إلى قبيلة حنيفة بن لجيم من بكر بن وائل.

(٥) غَلَّ يَغُلُّ غُلولا: خان ـ اللسان ـ

(٦) هكذا جاءت في أصل المخطوطين: هل نفقت.

ووجه الحجاج في طلبه سفيان بن الأبرد الكلبي، فطلبه حتى بلغ إلى دُجيل الأهواز، فأقبل شبيب نحوه وسفيان في ألفي رجل، فلما ذهب ليجوز إلى سفيان أمر سفيان بقطع جسر دجيل فاستدارت به السفن فغرق فاستخرجه سفيان بالشباك فاحتزّ رأسه، وقُتلت أمه وامرأته وعدّة من أصحابه، وانصرفت فرقة منهم إلى الجزيرة وتفرقت فرقه في السواد.

وقال الهيثم وأخبرني غير واحد عن ابن عياش، أنه حارب سفيان حتى حجز المساء بينهما، فلما عاد سفيان إلى معسكره، قال شبيب لأصحابه: اعبروا بنا فعبر فتحصّن فرسه فسقط في دُجيل، فقال أصحابه: غرق أمير المؤمنين، ويقال بل قطع الجسر قومٌ من بني بكر بن وائل وكانوا قد تبرؤوا منه لما فعل بالرمكة التي حمل عليها صاحبه، ويقال إنه لم يكن لهم هزيمة إلا على الجسر فقطعه سفيان فغرق شبيبٌ ومن كان معه على الجسر، وقال أيمن بن خريم في قصيدة له:

[من المتقارب]

رأيتُ غزالةَ إذ طرّحت	بمكّةَ هودَجها والغَبيطا
سَمت للعراقينِ في سَومها	فلاقى العراقان منها أطيطا
أبى الجبناءُ وأهل العراقِ	على اللّهِ في الحرب إلا قسوطا
أيهزِمُهم مِثنا فارسٍ	من السّافكين الدِّماءَ العبيطا

في قصيدة طويلة، وقال أعشى بني أبي ربيعة:

[من الطويل]

[و]صبّ أبـو يحيى[1] على كلِّ مارقٍ كما صبَّ بيزارٌ[2] عـلى صيدهِ صَقـرا
ألا انـظُر هَداك اللهُ في شأنِ حاجتي فمِثلُك أعـطى الخيرَ واحتسبَ الأجرا

وقـال المدائني: دخل شبيب الكوفة ثلاث مرّات واجتمع له ستمئة رجل، فأتى منبج وذعر أهل الشام وأتى أرمينية، قال ورثى الفرزدق محمد بن موسى بن طلحة، فقال:

[من الكامل]

وإذا ذكرتُـكَ يابنَ موسى أسبلت عيني بدمـعٍ دائـمِ الهـمـلان
ماكنتُ أبكي الهـالكينَ لفقـدهم ولـقـد بكيتُ وعـزَّ ماأبـكـاني

وقال أعشى همدان:

[من الطويل]

أعينيَّ مابعـدَ ابنِ موسى ذخيرةً فجـودا إذا أنفـذتمـا الـدمع بالدم

قال وولّى الخوارج بعد شبيب البطين فغلب على سوق الأهواز، فسار سفيان إلى البطين فقاتله أياماً، فطلب أصحابه الأمان فأمّنهم وتفرقوا، وهرب البطين فظفر به الحجاج بعد ذلك فقتله في دار قومه، فقال جرير:

[من الرجز]

قد نُصر الحـجّـاج والله نُصرة أخـزى شَبيبـاً والبُـطينَ إذ كَفـرْ[3]

وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى:

لما صعدت غزالة منبر الكوفة قال أيمن بن خريم بن فاتك الأسدي:

---

(1) أبو يحيى لعلها كنية سفيان بن الأبرد الكلبي فهو قتل قطري بن الفجاءة وقتل شبيب وأما كنية الحجاج فهو أبو محمد.

(2) البيزار: حامل البازي في الصيد.

(3) هكذا جاء ولم أجد في ديوان جرير أي ذكر لكلمة البطين. ولم يذكر هذا البيت. والشطر الأول مكسور ويصلح لو قلنا: قد نصر الله الحجّاج نَصرةً.

[من المتقارب]

أبى الجبناءُ وأهل العراقِ على اللّهِ والناسِ إلا قُسوطا

أيهزِمُهم مِئتا فارسٍ من السّافكينَ الدِّماءَ العَبيطا

وخمسون من مارقاتِ النساءِ يُجرّرنَ للمُبدياتِ المُروطا

وهم مئتا ألف ذي ذاتُ قويسٍ يئطُّ العِراقان منها أطيطا

رأيتُ غزالةَ إذ طرحت بمكّةَ هودجَها والغَبيطا

سمت للعراقينِ في سَومها فلاقى العراقانِ منها البَطيطا

ألا يستحي الله أهل العراق إذا قلّدوا الغانيات السُّموطا

وخيلُ غزالة تعتامُهم فتقتُلُ من كان منهم وسيطا

وخيلُ غزالةَ تحوي النِّهابا وتسبي السَّبايا وتُجبي النَّبيطا

وتُحجِزُهم في حِجالِ النّساء كما تحجزُ الحيّةُ العصرَ فُوطا

وقد قالَ أهلُ الوفاءِ اهبطوا نُقاتِلْ فلم يَستطيعُوا هبوطا

من الغِشّ إمّا شقاقُ الأمير وإمّا نِفاقاً وإمّا قُنوطا

ولكنهم بمنعونَ الفرارَ إذا ماغزالةُ غطّت غَطيطا

كأنّهُمُ في الصّعود الكؤود نعامُ نَوافِرُ لاقت حطوطا

أقامت غزالةُ سوق الضِّرابِ لأهلِ العراقين حولاً قميطا[1]

وأنتم دُبا الأرضِ عند العطاءِ وفي الحربِ تأتونَ إلاّ شطوطا[2]

أهابوا غزالةَ أم قَد رضُوا غزالةَ إذ خالطوها خلوطا

في أبيات.

وقال أبو عبيدة: قال حبيب بن حدرة في قتل عتّاب بن ورقاء:

---

(١) قمط: القمط: شدّ كشد الصبي في المهد. ويقال مرّ بنا حول قميط: أي قام واستشهد بهذا البيت ـ اللسان ـ

(٢) الشّط: شاطيء النهر وجانبه والجمع شطوط. وهذه القصيدة ذكرها الأغاني: ج: ٢٠ ص: ٢٧٧ ط ثقافة بيروت.

[من الكامل]

ألـوت بعتّـابٍ شوازبُ خَيلنـا	ثم انـثـنـت لكتـائب الحجّـاجِ
لأخي ثمـودَ فربـما قد أخطأت	ولـقـد بلغنَ العُـذرَ في الإدلاجِ
حتى تركنَ أخـا الضّـلال مُسهَّداً	مُتـمـنِّـعـاً بحـوائطٍ ورتـاجِ
ولـعَـمـرُ أمِّ الـعبـدِ لو أدركنـهُ	لسـقـينـهُ صِرفـاً بغـيرِ مِزاجِ
ولـقـد تخطَّأتِ المنـايا حَوشبـاً	فنجـا إلى أجـلٍ وليس بنـاجِ

الحجاج يغري بمحمد بن موسى بن طلحة فيقتل.

١٩٤ ـ قال أبو عبيدة: وجّه عبد الملك بن مروان محمد بن موسى بن طلحة بن عبيد الله أميراً على سجستان فمرّ بالكوفة، فقال له الحجاج: إن هذا المارق قد أفسد البلاد وأخاف السبيل، وهو بالأهواز فقاتله لعلّ الله يظفرك به، فيكون أجر ذلك وذخره لك ثم تسير إلى عملك.

فمضى محمـد إلى الأهواز وسار إلى شبيب، فقال له شبيبٌ: لايغرنّك هذا العبـد من نفسـك فامض لشـأنـك ومابعثت له، فأبى إلا مباكرته بالقتال. فقال شبيب: لايدعـه صلفـه وعجبه حتى يحارب[1]، فأمر شبيب البطين بالخروج إليه فخـرج، فقـال له: قل لشبيب فليبـازني، فبرز له شبيب فتجـاولا ساعـةً لايقدر أحـدهمـا على صاحبـه، ثم إن محمداً غفل غفلةً فضربه شبيب بعمود على بيضته فهشم رأسـه في البيضـة، وانهزم عسكـر محمـد وأمـر شبيب بالكفِّ عنهم، فقال الفرزدق يرثي محمد بن موسى:

---

(١) عنـد الطبري: قال له شبيب إنك جاري بالكوفة ويلزمني حق الجوار فاذهب إلى مابعثت إليه فإني لا أحب قتلك.

[من الكامل]

نامَ الخليُّ ومـاأُغـمّضُ ساعـةً ... أرقـاً وهـاجَ الشـوقُ لي أحـزاني

فإذا ذكـرتُـكَ يابنَ موسى أسبلَت ... عيني بدمـعٍ دائـمِ الهَمـلانِ

ماكنتُ أبكي الهالكينَ لفقدِهم ... ولـقـد بكيتُ وعـزَّ ماأبـكـاني

لاجيءِ بعـدكَ يابنَ موسى فيهمُ ... برجـولـةٍ لنـوائـبِ الحـدثـانِ

أودى ابنُ موسى والمكـارمُ والنَّدى ... والـعـزُّ عنـد تخمطِ السّلطانِ

جُمعَ ابنُ موسى والمكـارمُ والنّـدى ... في القـبرِ بين سبـايبِ الكتّـانِ

ماكـان فيهم بعـدَ طلحـة مثلُهُ ... للسـائـلينَ ولا ليومِ طعـانِ

ولئن جيادُكَ يابنَ موسى أصبحت ... مُلسَ الظّهور يُجلنَ في الأشطانِ

لهما تُقـادُ إلى الـعـدوِّ ضوامـرٌ ... جُرداً مجنّبـةً مع الـرُّكـبـانِ(*)

وقال الفرزدق أيضاً:

[من الطويل]

أعينيَّ مابعـدَ ابنِ موسى ذخـيرةً ... فجـودا إذ أنفـذتمـا الـدّمعَ بالدَّمِ

وهيجـا إذا نامَ الخـليُّ وأسعِـدا ... عليه بنَـوحٍ منـكُـما كلَّ مأتَـمِ

كريمٌ رأى أنّ الحـياة قليلةٌ ... وأنَّ المـنـايا تَرتـقـي كلَّ سُلَّمِ (*)

في أبيات. وقال رجلٌ من بجيلة:

[من الطويل]

قتلنـا شَبيبـاً واستلبنـا عُقـابـهُ ... وأفـلتـنـا فوتَ الـرّمـاحِ بُطينُ

وقال بعض بني عذرة(١) :

[من الرجز]

لاقـيتَ منّـا ياشـبـيبُ خادراً ... وفـتـيةً يُهدونَ موتـاً حاضرا

يُزجى إليكَ رائـحـاً وبـاكـرا ... ضَربـاً هذا ذيكَ(٢)ومـوتـاً قاهِـرا

---

(١) عذرة بن سعد هذيم بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة.

(٢) هذا ذيك: أي متوالٍ.

وحدثني أبو مسعود القتّات عن ابن كناسة عن أبيه: أن قوماً من الخوارج تجمعوا والحجاج بواسط، وعلى شرطة الكوفة حوشب بن يزيد بن رويم الشيباني ودخلوا الكوفة، فأخذوا على أهلها بأفواه السكك مما يلي الحيرة، فقال إياس بن حصين بن زياد بن عُقفان بن سويد بن خالد بن أسامة بن العنبر بن يربوع بن حنظلة لبنيه وقومه: ليخرج إلى هؤلاء الخوارج عدّتهم منكم، فخرجوا فقتلوا الخوارج إلا من هرب منهم.

وبلغ الخبر الحجاج ففرض لهم في ثلاثمئة، فقال:

[من الطويل]

[و]ما في ثلاثٍ مايُجهِّزُ غازياً ولافي ثلاثٍ مُتعَةٌ لِفقيرِ

فقال الحجاج: افرضوا له في شرف العطاء ففرضوا له في ألفين.

أمر أبي زياد المرادي

١٩٥ ـ قال الهيثم: لما قتل شبيب خرج بعده أبو زياد، وهو رجل من مراد[1] ، وكان تكوّن بنهر الملك من السواد، فخرج بجوخا وكان الجرّاح بن عبد الله الحكمي يومئذ ببابل والفلوجتين، فبعثه الحجاج على محاربته في ثمانمئةٍ، فلما تواقفا قال الجراح لأصحابه: الأرض، فقال أبو زياد: نحن والله أولى بالأرض والصبر منكم يافسقة، فعرقب الخوارج دوابهم، فلما رأى الجراح ذلك، قال لأصحابه: موتوا يابني الحرائر فشدّوا عليهم فقتلوهم جميعاً، وتمثّل الجراح:

[من البسيط]

قالوا الركوبُ فقلتُ تلكَ عادَتُنا أو النّزولُ فإنّا مَعشرٌ نُزُلُ

---

(١) المرادي نسبة قبيلة مراد وهو يحابر (مراد) بن مالك (مذحج) بن ادد بن زيد بن يشجب بن عريب.

أمر أبي معبد الشني من عبد القيس

١٩٦ - قالوا ثم خرج بعد أبي زياد المرادي رجلٌ من عبد القيس، يقال له أبو معبد قدم من ناحية البحرين[١]، كان خروجه بموقع، فبعث إليه الحكم بن أيوب خليفة الحجاج على البصرة الشّرَط فقُتل هو وأصحابه.

قال أبو الحسن المدائني: يقال كان خروج أبي معبد في أيام عبد الملك، ويقال في أيام الوليد بن عبد الملك.

وقال أبو الحسن المدائني: قال بعض الشرط: مالنا والخوارج؟ فقال بعضهم: ومالنا لانقاتلهم أليست أعطياتنا دارّة؟ فقال عمران بن حِطّان[٢]:

[من الطويل]

فلو بُعثتْ بعضُ اليهودِ عليهمُ ... يؤمُّهمُ أو بعضُ مَنْ قد تنصّرا

لقالوا: رَضينا أن أقمتَ عطاءنا ... وأجريتَ ذاكَ الغرضَ مِنْ بُرٍّ كسكرا

خبر المصك الطائي

١٩٧ - قال الهيثم بن عدي: لما هرب الناس من الحجاج أيام الجماجم، تجمع ناس من الخوارج بالفلّوجة، فقال رجلٌ من جديلة[٣] طيء يقال له المِصَكّ: لولا مكان ابنتي هذه لسريت إلى سيف بن هانيء وكان سيف على جوخا وحَولايا في رابطة أعدّوا للخوارج تدفعهم عن الناس، فقال له رجل من الخوارج: هي مع بناتي لايسعني بيتي ويعجز عنها، قال: فأشتري حماراً أو أعطي نفقةً.

---

(١) البحرين: اسم جامع لبلاد على ساحل بحر الهند بين البصرة وعُمان - معجم البلدان -

(٢) عمران بن حطان شاعر مفلق أعظم شعراء الخوارج وقال عنه الفرزدق: لو لم يشغل بمذهبه لمنع عنا الطعام وهو: عمران بن حطان بن ظبيان بن شعل بن معاوية بن الحارث بن دوس بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة.

(٣) جُندبٌ وحورٌ ابنا خارجة بن سعد بن فطرة بن طي ينسبان إلى أمهما جديلة بنت سبيع بن عمرو بن حمير.

فخرج إلى راذان فرآه سيف في الصفّ الأول وعليه أطمار، فاستراب به فقال لأصحابه: خذوه حتى أصلّي، وفتّش فوُجد معه خنجر، فضرب سيف عنقه وصلبه، ولما قُدّم للقتل، قال: الحمد لله لاحكم إلا الله وأنشد:

[من البسيط]

يالهف نفسي على سيفٍ وشيعَتِهِ ... لو كنتُ ألحقتُ سيفاً بالخبيثينا

أبـراً إلى الله من سيفٍ وشيعتِهِ ... ومن عليّ ومن أصحاب صِفّينا

ومن معاويةَ الغاوي وشيعتِهِ ... أخزى إله الورى تِلكَ العثائينا

خبر خارجي من عبد القيس بالبحرين

١٩٨ ـ قال علي بن محمد أبو الحسن المدائني: خرج رجل من بني محارب بن عمرو بن وديعة بن لُكيز[1] بن أفصى بن عبد القيس بالبحرين، على محمد بن صعصعة في سنة ثمان وسبعين، قبل أن يُقتل قطري.

فكتب الحجاج إلى عبد الملك: إن قطرياً قد شغل من قبلي، فإن رأى أمير المؤمنين أن يكتب إلى إبراهيم بن عربي في أمر هذا الخارجي.

فكتبَ إلى إبراهيم وهو باليمامة أن سر إلى البحرين فإن ظفرت بالمحاربي فلا تقتله وأحسن إليه واحفظ له بلاءه عند أمير المؤمنين مروان، فإنه لجأ إليهم يوم الجمل، ثم تحوّل إلى بني هُميم.

فخرج إبراهيم إلى البحرين في ألفين فهزم الخوارج وتفرّقوا ورجع إبراهيم إلى اليمامة.

---

(١) هذا الذي عناه المثل: يحمل شن ويُفدّى لكيز.

أمر الريان النكري

١٩٩ ـ قال أبـو الحسن: وخـرج بعد هذا المحاربيّ على محمد بن صعصعة الكلابي[١] ريّان النُّكريّ نُكرة بن لكيز ابن أفصى سنة تسع وسبعين على فراسخ من سوق الحِنَط[٢]، وقدم ميمون الخارجي من عُمان في أصحابه فنزلوا دارين، فكتب إليه الـريّان: أن أقبـل إليّ فصـار ميمـون إلى الزارّة وأتاه الريّان، فندب محمد بن صعصعة الناس، فأبطأ عنه العبديون وأتاه قوم من أهل الحِنط، فوجه إلى الخوارج رجـلاً من الأزد، ويقـال وجّه إليهم عبدَ الله ابن عبد الملك العوذي[٣]، فهزمهم الخوارج وقتلوا أميرهـم ورجع النَّلُّ إلى محمد بن صعصعة، فخافهم محمد ولم يكن معـه جنـد سواهم وخـذله العبديون فخرج من البحرين، وأقام ميمون بالبحرين أربعين يوماً ثم انصرف إلى عُمان، ثم أقام الريّان بالزارة.

وبلغ الحجـاجَ الخـبرُ، فبعث يزيد بن أبي كبشـة السكسكي وهـو يزيد بن حيويل بن يسار بن حِييّ بن قرط ابن شبل بن المقلد[٤]، مدداً لمحمد بن صعصعة فسار يزيد وقدم محمد على الحجاج فهم بقتله، فقال: إن الناس خذلوني ولم يكن معي أحـد من أهـل الشـام، وانهزم من وجّه إلى الخوارج وفرّوا عن أميرهم حتى

---

(١) الكلابي: نسبة إلى قبيلة كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن.

(٢) الحنطة: البُرّ، القمح وجمعها حنط ـ اللسان ـ

(٣) العوذي: نسبة إلى بطن من لخم، وهو عوذي ابن عدي بن نمارة بن لخم (مالك) بن عدي بن الحارث بن مرّة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب، وعدي بن نمارة هو عم بن نماره الذي عناه النابغة بقوله: [من البسيط]

ساق الرُّفيدات من عوذي ومن عمم ... ومـاشَ من رهط ربـعـيّ وحـجـار

وكان عوذي هذا مع مالك بن دُعر حين أخرجوا يوسف من الجبّ.

(٤) يزيد بن حيويل (أبي كبشة) بن يسار بن حيي بن قرط بن شبل بن المقلد بن معدي كرب بن عريق بن السكاسك بن أشرس بن ثور (كندة) بن عفير بن عدي بن الحارث بن مرّة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان.

قتل، فحبسه في السجن حتى مات.

وقدم يزيد بن أبي كبشة البحرين في اثني عشر ألفاً، وكان الريّان في ألف وخمسمئة، فالتقوا فقُتل الريّان وهُزم أصحابه وأُسر منهم أسراء فقتلهم يزيد وصلبهم وصلب الريّان. وكتب إلى الحجاج بالفتح وبعث بالرؤوس، فولّى الحجاج زياد بن الربيع بن زياد على البحرين، وقدم ابن أبي كبشة والشاميون على الحجاج.

أمر داود بن محرز العبقسي

٢٠٠ ـ قال أبو الحسن: وخرج داود بن محرز أحد [بني] عبد القيس ومعه جماعة، فانزلوا الريّان وأصحابه ودفنوهم، وأعانهم أهل البحرين على إنزالهم ودفنهم.

ثم أقام داود بالقطيف فلقيه أبو الفضل خليفة أبي البهاء صاحب الشُّرط، فهزم داود أبا الفضل فخرج إليهم أبو الحرّ عبد الرحمن بن النعمان العوذي[1] من الأزد، ثم من بني عوذ بن سود بن الحجر بن عمران أخوة زهران بن الحجر فقاتلهم في سوق القطيف في موقف الإبل وهو يدعى المراغة فعُقر بعبد الرحمن فحماه ابن عمه عنبسة بن عبد الرحمن وتحاجزوا.

فلما أصبحوا اجتمع الناس وكثروا فقُتل الخوارج، وكان أهل بيت عبد الرحمن قوم لهم نيّة في قتل الخوارج، وقد لقوهم مراراً، فقال أبو البهاء في فرار خليفته.

[من الرجز]

لولا أبو الحُرِّ ولولا عِنبسةْ ... أودى أبو الفضلِ وخلّى الطّنفسة

ولّى حثيثاً وهو يغزو الكعبسة[2] ... إذ كثُرت تحت السّيوفِ الوسوسَة

وغضب الحجاج على أهل البحرين فأخذ عمّ عبد الله بن سوّار العبدي، وكان يقال له عميرة بن حصين وقال: لعن الله عبد القيس قبيلتك، فإنما أنتم لصّ

---

(١) العوذي: في هذه المرة حدده من الأزد، وهو: عوذ بن سود بن الحجر بن عمران بن عمرو (مزيقياء) بن عامر (ماء السماء) بن حارثة (الغطريف) بن امرىء القيس (البطريق) بن ثعلبة (البهلول) بن مازن (الزاد) بن دِرْء (الأزد).

(٢) الكعبسة: مشية في سرعة وتقارب خُطا ـ اللسان ـ

أو خارجي أو نصراني[1] فقطع يده، وأخذ يزيد بن الفضل فحبسه في قصر المسيّرين.

قال: وذكر بشر بن عاصم الليثي[2] الخوارج فشتمهم، فسمعه رجل منهم فمكث أياماً ثم أتاه، فقال له: أصب لي سيفاً قاطعاً، وكان لبشر غلام صيقل[3] من عدة غلمان صياقل، فاشترى له من بعضهم سيفاً، فتناوله الخارجي وهزّه، ثم قال لبشر: كيف ترى هذا في هامة الشيخ الكافر؟ فوقع في نفس بشر أنه أراده لغيبته الخوارج وشتمه إياهم، فقال: أرى فيه شيئاً يحتاج إلى إصلاحه فتناوله، فلما أخذه أدخله في غمده، ودخل البيت هارباً من الخارجي، ثم ألقى إليه سيفه فأخذه الخارجي، وقال: أولى لك وحكّم على الناس، وهو يقول:

[من الطويل]

وأبيضَ من سرِّ الحديدةِ صارمٍ ... تخيَّرُهُ الليثيُّ بشرُ بنُ عاصمِ

أقودُ جيادَ الخيلِ قُبّاً[4] بطونُها ... أُرجّي ثوابَ اللهِ يوم التخاصُمِ

إلى ابنِ زيادٍ خيَّبَ اللهُ سعيهُ ... إلى شرِّ والٍ من معدٍّ وحاكمِ

---

(١) أنظر هذا قول الحجاج في قبيلة عبد القيس، بينما قال عبد الملك يوماً لجلسائه: أي حيّ من أحياء العرب فيهم أشدّ الناس وأسخى الناس وأخطب الناس وأطوع الناس في قومه وأحلم الناس؟ فتحزروا كثيراً فلم يعرفوا فقال عبد الملك: عبد القيس أشد الناس حكيم بن جبلة وأسخى الناس عبد الله بن سوّار. وأطوع الناس في قومه الجارود بن بشر أرادوا الارتداد عن الاسلام فأبى فأطاعوه وأخطب الناس صعصعة بن صوحان وأحلم الناس الأشج قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: فيك خلّتان يحبهما الله: الأناة والحلم.

(٢) الليثي: نسبة إلى ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة.

(٣) صيقل: الذي يشحذ السيف.

(٤) الأقب: الضامر وجمعه قبٌّ ـ اللسان ـ.

خبر الخطار النمري من النمر بن قاسط

٢٠١ ـ قالوا: وخرج الخطّار النِّمري[١]، وكان نصرانياً فأسلم ودعته الخوارج فأجابها، وخرج براذان على سفيان بن هانىء الهمداني، فحاربه سفيان فقتله وأصحابه، فقال سلامة بن عامر القشيري[٢]:

[من الطويل]

ألا خبِّراني باركَ اللّهُ فيكُما ... متى العهدُ بالخطّارِ بافتيانِ

يذكّرني الخطّارَ كُلُّ مُنطَّقٍ ... يجولُ به عند اللقا حِصَانِ

فياحَزني ألّا أكونَ شهدتُهُ ... براذانَ والخيلانِ تصطفِقانِ[٣]

فتىً لايرى نومَ العشاءِ غنيمةً ... ولاينثني من رهَبةِ الحدثانِ

فما طعمت عيناي يوماً لِلذّةٍ ... ومازالتا من ذكرِه تكفانِ

خبر داود بن النعمان العبدي

٢٠٢ ـ قالوا: كان داود بن النعمان أحد بني أنمار بن وديعة بن لُكيز بن أفصى بن عبد القيس بن أفصى ابن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة، عابداً مجتهداً وكان يقول لأصحابه: إني قد مللت الدنيا والمقام في دار الكفر مع الظلمة والكفرة وقد انقطع العذر، فقال له أصحابه: فما يمنعك من الخروج؟ قال: مكان أبي بهذه البلاد. ثم حجّ ورجع فقال لأصحابه: اخرجوا بنا إلى البصرة فإنّ لنا بها إخوان، فأجابه أربعون رجلاً.

---

(١) النمري: نسبة الى النمر بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دُعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار.

(٢) القشيري: نسبة إلى قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن.

(٣) اصطفق: اضطرب ـ اللسان ـ

وبلغ أباه أمره، فقال: يابنيّ إني أخاف أن يسعى بك أمرك هذا إلى أمرٍ يفسد دينك ودنياك، فاتق الله وانظر لنفسك، فإن الناس قد اختلفوا. فقال: ياأبة إن الله أكرم من أن يضلّ طالبه، فقال: يابني إن لي مالاً كثيراً قد ادّخرته لك، قال: لاحاجة لي فيه، إن الله يقول: ﴿ وٱلَّذينَ يَكنِزُونَ ٱلذَّهبَ والفِضَّةَ ولاَ يُنفقُونهَا في سَبيلِ اللَّهِ فَبشّرهُم بعذابٍ أَليم ﴾[1] فقال: يابني إني أصرم أربعة آلاف جريب، قال: يا أبتِ إن في حائطك بعوضاً، وأنا أريد حائطاً لابعوض فيه.

ثم خرج ومعه أخته وخرج معه أربعون رجلاً فودّعه أبوه وهو يبكي.

فقدم البصرة وأقام بها حتى فرغ من جهازه ولقي من أراد، ثم خرج إلى موقوع[2] سنة ستة وثمانين. فوجّه إليه الحكمُ بن أيوب عبدَ الملك بن المهلب، وقال قوم كان الحكم غائباً عن البصرة وخليفته عبد الملك بن المهلب فوجّه إليهم عبدُ الملك عبدَ الله بن كزمان الجهضمي[3] فالتقوا.

فقال داود لأخته: تقدّمي فإني أخاف أن تبقي بعدي فتسبي وتسترقّين، فتقدّمت فقُتلت وقُتل أصحابه وبقي وحده، وأحاطوا به قرب الليل فألجؤوه إلى حائط ثم رموه بالنبل وطعنه رجل، وقال: ذق ماقدّمت يداك، فقال: ويحك حرّ النار أشدّ من هذا، ومات فقال زياد الأعسم:

---

(١) سورة التوبة رقم: ٩ الآية رقم: ٣٤.

(٢) موقوع: ماء بناحية البصرة قتل به أبو سعيد المثنى الخارجي العبدي كان قدم من البحرين في زمن الحجاج وخرج بهذا الموضع يحكّم فخرج إليه الحكم بن أيوب - معجم البلدان - وكانت كنيته أبا سعيد ولقبه المثنى واسمه داود.

(٣) الجهضمي: نسبة إلى جهضم بن عوف بن مالك بن فهم بن غنم بن دوس بن عدثان بن عبد الله بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد، وبنو جهضم يقولون جهضم بن جذيمة الأبرش وكان جذيمة عاقراً.

[من الطويل]

سقى الله أجساداً تلوح عظامها ... بقُرضة موقوعٍ سحاباً غواديا
فإن يكُ داودٌ مضى لسبيلهِ ... فقد كان ذا شوقٍ إلى اللّهِ تاليا
وقد كان ذا أهلٍ ومالٍ وغبطةٍ ... وكان لما يغنى من العيش قاليا
كأن الفتى داودَ لم يَكُ فيكم ... ولم تَرهُ يوماً من الصَّوم باليا
أُقيمُ على الدنيا كأنّي لاأرى ... زوالاً لها أو أحسب العيش باقيا

وقال سعيد المرادي :

[من الوافر]

ألا يافي سبيلِ اللهِ شالت ... بداودٍ وإخوتِهِ الجذوعُ
مضوا قتلاً وتشريداً وصلباً ... تظلُّ عليهمُ طيرٌ وقوعُ
إذا ماالليلُ أظلم كابدوه ... فاسفَرَ عنهمُ وهُمُ ركوعُ
يُعالون النحيبَ إليه شوقاً ... وإن خَفَضوا فربُّهم سميعُ

قال أبو الحسن: يقال إن داود قتل في أوّل سنة ست وثمانين قبل موت عبد الملك ، ويقال إنه قتل في أيام الوليد بن عبد الملك في سنة سبع وثمانين.

وقال أبو الحسن: كان داود بالبصرة فكان يأتي سوق الإبل فينادي: لو تعلمون ماأعلم لبكيتم كثيراً إنكم لفي أمر مريجٍ ، ثم يقول: مُكذِّبين وربِّ الكعبة، وطلب فرساً فقيل له لاتشتره فإنّ بظهره شامة، ولم يكن بظهر فرس شامةٌ إلا قُتل فارسها ، فقال: وكيف لي بالقتل لقد رغّبتموني فيه فاشتراه.

أمر مطَر بن عمران بن شور

٢٠٣ ـ وهو ابن أخي القعقاع بن شَورٍ الذهليّ[1].

قال الهيثم بن عدي: خرج على محمد بن مروان وهو والي الجزيرة والموصل مطر بن عمـران بالموصل، فقتلته خيل الموصل وعليها ثوبان الحضرمي وقد انحاز إلى باجُميرا[2] فقتـل بباجميرى[3]، وبعث ثوبـان بأسراء من أصحابه إلى الحجاج فقتلهم، وكانوا يكرهون أن يقتلوا خارجياً بالجزيرة والشام، مخافة أن يتخذ الخوارج هناك دار هجرة.

وقال المدائني: خرج مطر قبل خروج صالح بن مُسرَّح فقتلته خيل محمد بن مروان بناحية باجمير أو بدقوقاء[4] من أرض الموصل، فبلغ امرأته خبره وكان أهلها منعوها الخروج معه فماتت أسفاً عليه. فقال الجعد بن صمام الدوسي:

[من الطويل]

أرى مطراً قد باعَ للهِ نفسَـهُ ... بما ظَلَّ يُعطي للشُّراةِ ويوعـدُ

فأصبـحَ قد نالَ الكـرامةَ كلَّهـا ... بما كان يسعى في بُغـاهـا ويجهدُ

فإن يَكُ قد لاقـى مقـادير قومـهِ ... فقـد بانَ منـا الخـاشِـعُ المتَبِّدُ

في قصيدة، وقال محارب بن دثّارٍ:

[من الرجز]

على جميلٍ صَلواتُ الأبـرار ... ومـطرٍ فاغـفـر لهُ ياغـفّـارْ

قد كان صوّاماً طويلَ الأسحارْ

---

(١) الذهلي: نسبة إلى ذُهل بن ثعلبة بن عُكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل.

(٢) باجُميرا: موضع دون تكريت.

(٣) باجُميري: موضع من أرض الموصل.

(٤) دقوقاء: مدينة بين أربل وبغداد ـ معجم البلدان ـ

خارجي يرد على الحجاج.

٢٠٤ ـ قال: وخرج على محمد في أيام عبد الملك خارجيٌّ يقال له سُكين المحملي، فوجّه إليه قائد من أهل الجزيرة فحاربه فأسره وأتى به محمداً فبعث به إلى الحجاج ليقتله، فقال له: أجمعت القرآن؟ فقال: أو كان متفرّقاً فأجمعه، ولكني أقرؤه وأحفظه، قال: ماتقول في أمير المؤمنين؟ قال: ومن أمير المؤمنين؟ قال: عبد الملك، قال: لعنة الله عليه وعليك معه، قال: إنك مقتول، قال: إذاً ألقى الله بعملي وتلقاه بدمي، فأمر الحجاج به فقتل وصلب.

قال الهيثم: وكان باليمامة رجل يكنى أبا الحريرة من بني حنيفة، وكان متعبّداً فرأى قوماً يكلمون امرأة فقال: ماهذا؟ قالوا: إنا اكتريناها نهارا وليلاً، فقال: هبكم اكتريتموها نهاراً للخدمة، فما بال الليل؟ قالوا: ننكحها، فعمد إلى سيف له ثم هجم على القوم، وهم تسعة عشر رجلاً، وقال: ﴿ وإمَّا تخافَنَّ مِن قَومٍ خِيانَةً فآنبِذْ إلَيهِمْ على سَوآءٍ إنَّ آللّهَ لايُحِبُّ الخائنينَ﴾[1] فأخذوا سلاحهم وقاتلهم فقتلهم، ثم خرج فحكّم بسوق حجر فقتل عدّة ثم قُتِل.

(١) سورة الأنفال: رقم: ٨ الآية رقم: ٥٨

أمر جواز الضبي

الحجاج يقول: الخليفة أعظم منزلة عند الله من الملائكة.

٢٠٦ ـ قال الهيثم: أتى جوّاز الضبي[1] الشام وكان من رؤساء الخوارج مع من شهد حصار ابن الزبير، وكان هارباً من الحجاج فنزل الشام على عبد الله بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، وكانوا يضيفون من يعرفون ومن لايعرفون، وكان عبد الله بن يزيد وروح بن زنباع أكرم من بالشام إضافة، وكانا يتغديان مع عبد الملك ويتعشيان، فإذا انصرفا دعوا بطُرف ماعندهما وأكلاه مع أضيافهما.

فكتب الحجاج إلى عبد الملك يعظّم فيه أمر الخلافة، ويذكر أن الخليفة أعظم منزلة عند الله من الملائكة المقربين، لأنه جعل آدم خليفة ثم أمر الملائكة بالسجود وجعلهم رسلاً إليه، فَحسُن موقع ذلك من عبد الملك وأعجبه وازدهاه.

فقال: وددت أن عندي بعض الخوارج فأخاصمه كتاب الحجاج، فلما انصرف عبد الله بن يزيد حدّث أضيافه بما كان، فقال جوّاز توثّق لي منه ثم أعلمني، فراح إليه فتوثّق له ثم أعلمه ذلك، فلما أصبح جوّاز اغتسل وتحنط ولبس ثوبين أبيضين وأدخله إلى عبد الملك، فدعا بكتاب الحجاج فقال: اقرأه، فقال جوّاز: جعلك مرّة ملكاً ومرّة نبيّاً ومرة خليفةً، فإن كنت ملكاً فخبّرنا متى نزلت؟ وإن كنت نبيّاً فأعلمنا متى نُبِّئت، وإن كنت خليفة فأعلمنا أعَن ملأٍ من المسلمين استخلفت؟ أم عن ابتزازٍ لأمورهم، وكان أميّة بن عبد الله بن خالد بن أَسيدٍ حاضراً، فقال: هو والله منهم، فقال جوّاز: ياأميّة لو كنت منهم عرفتني يوم أبي فُدَيك حين هزمك.

فقال عبد الملك: قد أعطيناك عهداً وموثقاً فلا سبيل إلى قتلك، ولكنّك والله لاتُساكنّي في بلدٍ.

---

(١) الضَّبيّ: نسبَة إلى قبيلة ضبّة بن أدّ بن عامر (طابخة) بن إلياس بن مضر بن نزار.

الحق بحيث شئت، قال: فإني أختار مِصْر، فنزل مِصْر وأتى المغرب فأفسد أهله، وكان يرى رأي الصفريّة.

فلما مات عبد الملك، كتب الحجاج إلى الوليد: إن ذمّة أمير المؤمنين عبد الملك قد وَفَت، ولا أمان لعدو الله جوّاز الضبي. فإن رأى أمير المؤمنين أن يبعث إليّ به، وكانت بنو أمية لاتقتل خارجياً بالشام والجزيرة لئلا تتّخذ دار هجرة.

فكتب الوليد إلى قُرَّة بن شريك، أن ابعث إليّ بجوّاز الضّبيّ، فبعث به إليه، فلما دخل عليه قال: انطلقا به إلى الحجاج، فقال: إني في أمان أبيك وذمّته، قال: لابدّ من الحجاج، قال: مثلك والله أخفر أباه واستخفّ بذمته وأخفرها.

فلما قدم على الحجاج، قال: بلغ من أمرك ياجوّاز أن تردّ على أمير المؤمنين، قال: اقضِ ماأنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا، وكان صالح بن عبد الرحمن الكاتب السجستاني عدوّاً ليزيد بن أبي مسلم [حاجب] الحجاج وكان جبلة أخو صالح خارجياً، فدعا صالحاً فأدخله في رأيه، فأشار [يزيد بن أبي مسلم] على الحجاج أن يأمر صالحاً بقتل جوّاز فقال له: ياصالح قمْ فاقتله، قال صالح: فأردت أن أطرح السيف ثم خفت الحجاج أن يسبي بناتي فقتلته، ثم لم أزل خائفاً من الخوارج.

فلما عذّبه عمر بن هبيرة أيام يزيد بن عبد الملك، وطُرح على مزبلةٍ على باب دار العذاب وبه رمق كان وهو على المزبلة، يقول: لاحكم إلا لله، أستغفر الله من قتل جوّاز، اللهم اغفر لي ولا أراك فاعلاً.

وقال بعض الخوارج:

[من البسيط]

لابــاركَ الـلهُ في قومٍ أجــازَ لهُمْ حكــامُهم أن أصــابـوا المرءَ جوّازا

إن يقــتــلوهُ فما فازوا بمــقــتـلِهِ وقـد أصـابَ الّذي رَجّى وقد فازا

وقـال ابن الكلبي : خرج سُكـين أحـد بني محلّم بن ذهـل بن شيبان بدارا فأصـابتـه خيل محمـد بن مروان ـ هذا ومـابعده ينبغي أن يكون في أخبار سليمان لاهـاهنـا ـ وهـو يلي الجـزيرة فبعث به إلى الحجاج، فكلّمه كلاماً شديداً فضرب الحجاج عنقه.

وقال سليمان بن عبد الملك لأبي حازم الأعرج وهو بالمدينة يريد الحجّ : مابالنا نكره الموت، قال: لأنكم أخربتم آخرتكم وعمّرتم دنياكم، فكرهتم أن تنتقلوا من العمران إلى الخراب.

وقال أبو حازم لسليمان وقال له : لِمَ لَمْ تأتنا : إن الأمراء كانت تأتي العلماء رغبة فيما عنـدهم، فقـد صار العلماء يأتـون الأمـراء فسقـطوا من أعـين الناس، فقال الـزهـري : إياي تعني ياأبا حازم؟ وذلك أنه كان عند سليمان، فقال: ماتعمّدتك ولكنه ماتسمع.

وقـال سليمان: ياأبـا حازم أي النـاس أكـرم على الله؟ قال: أهـل المـروءة والنهى، قال: فأيهم أكيس؟ قال: رجل عمل بطاعة الله ودلّ الناس عليها، قال: فكيف نحن؟ ياليت شعري، قال: اعرض عملك على كتاب الله تعلم ذلك.

فبعث سليمان إليه بصلة فلم يقبلها.

- انتهـــى -

الفهارس العامة

أولاً ـ فهرس الآيات

سورة النساء (٤)

الآية		الصفحة
٣٩ ـ ٤٢	﴿ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا (٣٩) إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا (٤٠) فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا (٤١) يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴾	٥٧٨
٧٧	﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾	٢٤٩
٩٥	﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾	٢٥٠
٩٧	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾	٣٤٢

سورة المائدة (٥)

الآية		الصفحة
٥٤	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾	٢٥٠

سورة الأنعام (٦)

الآية		الصفحة
١٢١	﴿ وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾	٩٨
١٢٩	﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾	٣١٠

سورة الأنفال (٨)

الآية		الصفحة
٤٢	﴿ إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَٰدِ ۙ وَلَٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾	١٨٧
٥٨	﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴾	٦١٢

سورة التوبة (٩)

سورة يونس (١٠)

سورة هود (١١)

سورة يوسف (١٢)

سورة الرعد (١٣)

سورة إبراهيم (١٤)

سورة النحل (١٦)

* * *

ثانياً ـ فهرس الأحاديث

* * *

ثالثاً ـ فهرس الأعلام

(ب)

(ت)

(ش)

(ص)

(ض)

(ط)

(ك)

(ل)

(م)

* * *

رابعاً ـ فهرس الأماكن والبلدان

* * *

خامساً ـ فهرس الأشعار

(ف)

(ق)

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الصفحة
نبّهتُمُ ليثَ عرين باسلا	ناكلا	من الرجز	شمر بن ذي الجوشن	٦٦
كهول دمشقَ وشبّانُها	الجاليةْ	من المتقارب	ابنة النعمان بن البشير	٢٥
فما في كتاب الله هدم بيوتنا	مادخلهْ	من الطويل	جرير بن عطية	١١٤
أفي قُمّليٍّ من كُلَيبٍ هجوتُه	مراجلُهْ	من الطويل	الفرزدق	١١٤
لقد كان في الدنيا يزيد بن بعثرٍ	شمائلُهُ	من الطويل	عمران بن حطّان	٥٧٦
فما ميتةٌ إن مُتّها غيرَ عاجزٍ	غولها	من الطويل	عبد الله بن الزّبير	٢٤٢
		(م)		
فإن تكُ يا عبّادُ وُلّيتَ شرطةً	تُكلَّمُ	من الطويل	زياد الأعجم	١١٣
ابا مالكٍ هل لمتني إذ حضضتني	لائمُ	من الطويل	الجحاف	١٨٢
لقد أورث المصرين حزناً وذلّةً	مقيمُ	من الطيول	ابن قيس الرقيات	١٩٩
وإن جرّ مولانا علينا جريرةً	الدعائمُ	من الطويل	نجدة الخارجي	٢٩٥
ونُبّئتُ أنّ ابن القَلَمّسِ عابني	سلمُ	من الطويل	عمرو بن الوليد بن أبي مُعيط	٣٥٢
ومُستخبرٍ عنّا يريد أخا الرّدى	سواجمُ	من الطويل	تمثل به عبد الملك	٣٨٧
إذا مقرمٌ منّا ذرى حدّ نابه	مقرمُ	من الطويل	أوس بن حجر	٣٨٨
ولو كنتَ صلبَ العود أو كابن معمرٍ	مظلمُ	منالطويل	شاعر	٥٧١
ماز لتُ مذحججٌ بمكة مُلحداً	حمامُ	من الكامل	عقبة الأسدي	٢٦
خلعَ الملوكَ وسار تحت لوائهِ	الأقوامُ	من الكامل	تمثل به ابن الأشعث	٤٣٦
عاري الجواعر من ثمودٍ أصله	يقدمُ	من الكامل	تمثل به شبيب الحاجي	٩٩، ٥٨٤
بدير الجاثليق على دُجيلٍ	الهمامُ	من الوافر	رجل من بلقين	٢١٦
فما عابتكَ في خُلُقٍ قريشٌ	غلامُ	من الوافر	ابن زمل العذري	٣٠٩
قد كان عندك صيدٌ لو قنعتَ به	الحكمُ	من البسيط	الشاعر	٤٤١
إنا دعونا سميعاً فاستجاب لنا	صَمَمُ	من البسيط	سليمان بن سلام	٢٤٧
قد علمتْ قيس ونحن نعلم	أجذمُ	من الرجز	شعيث بن مليل	١٦٤
نحن وفينا مقتلَ الإمام	هشامُ	من الرجز	النهشلي	٢٤٣
بني عاصمٍ إن تلجئوها فإنكم	العمائمِ	من الطويل	الفرزدق	٢٢
أبو هاشمٍ عطّارةٌ فارسيّةٌ	الفمِ	من الطويل	زفر بن الحارث	١٤٤
نعاطي الملوكَ الحقَّ ما قسطوا لنا	بمحرَّمِ	من الطويل	عبيد الله بن زياد ظبيان	١٩٥، ١٨٧

* * *

فهرس المحتوى

* * *

